بسم الله الرحمن الرحيم

موسوعة الشهيد الأوّل

المدخل

الشهيد الأوّل حياته وآثاره

رضا المختاري

مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة
مركز إحياء التراث الإسلامي

مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة

موسوعة الشهيد الأوّل
المدخل (الشهيد الأوّل، حياته وآثاره)
الشيخ رضا المختاري
إشراف: علي أوسط الناطقي

الناشر: مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة
معاونية الأبحاث لمكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلميّة، قم المقدّسة
إعداد: مركز إحياء التراث الإسلامي
الطباعة: مطبعة نگارش
الطبعة الأُولى ١٤٣٠ق / ٢٠٠٩م
الكمّيّة: ١٠٠٠ نسخة
سعر الدورة: ٢٠٠٠٠٠ تومان
العنوان: ١٠٠ ؛ التسلسل: ١٤٩

حقوق الطبع محفوظة للناشر

العنوان: قم، شارع الشهداء (صفائية)، زقاق آمار، الرقم ٤٢
التلفون والفاكس: ٧٨٣٢٨٣٣، **التوزيع:** قم ٧٨٣٢٨٣٤؛ طهران ٥ ـ ٨٨٩٤٠٣٠٣
ص. ب: ٣٧١٨٥/٣٨٥٨، **الرمز البريدي:** ١٦٤٣٩ ـ ٣٧١٥٦
وب سايت: www.isca.ac.ir **البريد الالكتروني:** nashr@isca.ac.ir

موسوعة الشهيد الأوّل (المدخل: الشهيد الأوّل حياته وآثاره) / الشيخ رضا المختاري؛ إشراف عليّ أوسط الناطقي؛ إعداد مركز إحياء التراث الإسلامي. ـ قم: مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة، ١٤٣٠ق. = ٢٠٠٩م. = ١٣٨٨ش.
٢١ ج.
٢/٠٠٠/٠٠٠ريال (دوره)
ISBN: 978-600-5570-12-0 ـ. (مدخل)
ISBN: 978-600-5570-11-3 ـ. (دوره)
ISBN: 978-600-5570-14-4 ـ. (ج.٢)
ISBN: 978-600-5570-13-7 ـ. (ج.١)
ISBN: 978-600-5570-16-8 ـ. (ج.٤)
ISBN: 978-600-5570-15-1 ـ. (ج.٣)
ISBN: 978-600-5570-18-2 ـ. (ج.٦)
ISBN: 978-600-5570-17-5 ـ. (ج.٥)
ISBN: 978-600-5570-20-5 ـ. (ج.٨)
ISBN: 978-600-5570-19-9 ـ. (ج.٧)
ISBN: 978-600-5570-22-9 ـ. (ج.١٠)
ISBN: 978-600-5570-21-2 ـ. (ج.٩)
ISBN: 978-600-5570-24-3 ـ. (ج.١٢)
ISBN: 978-600-5570-23-6 ـ. (ج.١١)
ISBN: 978-600-5570-26-7 ـ. (ج.١٤)
ISBN: 978-600-5570-25-0 ـ. (ج.١٣)
ISBN: 978-600-5570-28-1 ـ. (ج.١٦)
ISBN: 978-600-5570-27-4 ـ. (ج.١٥)
ISBN: 978-600-5570-30-4 ـ. (ج.١٨)
ISBN: 978-600-5570-29-8 ـ. (ج.١٧)
ISBN: 978-600-5570-32-8 ـ. (ج.٢٠)
ISBN: 978-600-5570-31-1 ـ. (ج.١٩)
فهرست‌نويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
كتابنامه.
١. اسلام ـ مجموعه‌ها. ٢. فقه جعفرى ـ قرن ٨ق. ـ مجموعه‌ها. ٣. شهيد اول، محمّد بن مكّى، ٧٢٤ ـ ٧٨٦ق. ـ سرگذشتنامه. الف. ناطقى، على اوسط، ب. مكتب الإعلام الإسلامي. مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة، مركز إحياء التراث الإسلامي.
٨م/ BP٤/٦ ٢٩٧/٠٨
١٣٨٨

دليل

موسوعة الشهيد الأوّل

المدخل =الشهيد الأوّل حياته وآثاره

الجزء الأوّل ـ الجزء الرابع = ١. غاية المراد في شرح نكت الإرشاد

الجزء الخامس ـ الجزء الثامن = ٢. ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة

الجزء التاسع ـ الجزء الحادي عشر = ٣. الدروس الشرعيّة في فقه الإماميّة

الجزء الثاني عشر = ٤. البيان

الجزء الثالث عشر = ٥. اللمعة الدمشقيّة في فقه الإماميّة

الجزء الرابع عشر = ٦. حاشية القواعد (الحاشية النجّاريّة)

الجزء الخامس عشر = ٧. القواعد والفوائد

الجزء السادس عشر و الجزء السابع عشر = ٨. جامع البين من فوائد الشرحين

الجزء الثامن عشر =الرسائل الكلاميّة والفقهيّة

الرسائل الكلاميّة

٩. المقالة التكليفيّة

١٠. الأربعينيّة في المسائل الكلاميّة

١١. العقيدة الكافية

١٢. الطلائعيّة

١٣. تفسير الباقيات الصالحات

الرسائل الفقهيّة

١٤. أحكام الميّت

١٥. الرسالة الألفيّة

١٦. الرسالة النفليّة

١٧. جواز السفر في شهر رمضان اعتباطاً

١٨. المنسك الصغير

١٩. المنسك الكبير

٢٠. أجوبة مسائل الفاضل المقداد

٢١. المسائل الفقهيّة

الجزء التاسع عشر =المزار والرسائل المتفرّقة

٢٢. المزار

٢٣. الأربعون حديثاً (١)

٢٤. الأربعون حديثاً (٢)

٢٥. الأربعون حديثاً (٣)

٢٦. الوصيّة (١)

٢٧. الوصيّة (٢)

٢٨. الوصيّة (٣)

٢٩. الإجازة لابن نجدة

٣٠. الإجازة لابن الخازن

٣١. الإجازة لجماعة من العلماء

٣٢. الأشعار

الجزء العشرون =الفهارس

فهرس الموضوعات

تصدير ١١
المقدّمة ١٣

الباب الأوّل حياة الشهيد

الفصل الأوّل: مصادر ترجمته ١٩
الفصل الثاني: اسمه ولقبه و نسبه ٣٠
الفصل الثالث: مولده ونشأته ٣٧
الفصل الرابع: السرد التاريخي لرحلاته وحياته العلمية ٤٣
الفصل الخامس: الثناء عليه ٥٠
الفصل السادس: مكانته العلمية والأخلاقية وبعض آرائه ٥٧
الفصل السابع: أساتذته ومشايخه في الرواية ٦٨
الفصل الثامن: تلامذته والراوون عنه ٩١
الفصل التاسع: أولاده وزوجته ١٠٣
الفصل العاشر: استشهاده ١١١

الباب الثاني: الشهيد الأوّل عصره، سيرته، أعماله وما مكث منها

المقدّمة ١٣٩
الفصل الأوّل: أرضيّة تاريخيّة ١٤٨
١. انتشار التشيّع في المنطقة الشاميّة والبلاء الصليبي ١٤٩
٢. تحت وطأة السياسة المملوكيّة ١٥١
٣. نكبة كسروان وأعمال ابن تيميّة ١٥٣
٤. تداعيات النكبة ١٦٤

الفصل الثاني: جزّين ماضي الأيّام الآتية ١٧٢
١. في التاريخ العام ١٧٢
٢. في التاريخ الثقافي ١٧٦
الفصل الثالث في السيرة ١٨٢
إشكاليّات البحث ١٨٢
١. النسب والمولد والنشأة ١٨٣
٢. في الحلّة ١٨٩
٣. بدء صلته بعليّ بن المؤيّد الخراساني ١٩٠
٤. ما بعد الحلّة، رحلاته العلميّة ١٩٢
٥. في جزّين ١٩٤
٦. شهادته ٢٠١
المُقارنة بين الروايتين ونقدهما ٢٠٢
الفصل الرابع في خِضمّ المعترَك ٢٠٦
١. من هم أُولئك التركمان؟ ٢٠٧
٢. فرصتهم التاريخيّة الأخيرة ٢٠٨
٣. التطوّرات السكانيّة وآثارها ٢٠٩
٤. بواعث الشهيد على العمل ٢١٢
٥. في سوح العمل، الإعداد الفكروي ٢١٤
٦. أعمال الشهيد تؤتي ثمارها ٢١٩
الفصل الخامس: عالَم الشهيد وسيرته من هذا المنظور ٢٣٣
١. علاقاته الداخليّة ٢٣٥
٢. علاقاته الخارجية ٢٤٥
الفصل السادس: لماذا قتل الشهيد؟ ٢٥٨
١. في الوقائع ٢٥٩
الجمع بين الروايات ٢٦٠
٢. الأقوال والمزاوجة بينها ٢٦٤
الفصل السابع: ماذا مكث من أعمال الشهيد؟ ٢٧٠
١. المشهد في جبل عامل قبل الشهيد ٢٧١
٢. المشهَد نفسه بعد الشهيد ٢٧٥
الخاتمة ٢٨٢

الباب الثالث: مؤلّفات الشهيد وآثاره العلميّة

المقدّمة ٢٨٧
الفصل الأوّل: كتبه ورسائله ٢٨٨
١. أجوبة مسائل ابن نجم الدين الأطراوي ٢٩٠
٢. أجوبة مسائل الفاضل المقداد ٢٩١
٣. أحكام الميّت ٢٩٤
٤. الأربعون حديثاً (١) ٢٩٥
٥. الأربعون حديثاً (٢) ٢٩٨
٦. الأربعون حديثاً (٣) ٣٠١
٧. الأربعينية في المسائل الكلامية ٣٠٤
٨. البيان ٣٠٦
٩. تفسير الباقيات الصالحات ٣١٠
١٠. جامع البين من فوائد الشرحين ٣١٣
١١. جواز السفر في شهر رمضان اعتباطاً ٣١٨
١٢. حاشية القواعد ٣١٩
١٣. الدروس الشرعيّة في فقه الإماميّة ٣٣٠
١٤. ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة ٣٤٢
١٥. الرسالة الألفية ٣٤٧
١٦. الرسالة النفلية ٣٥١
١٧. شرح قصيدة الشهفيني ٣٥٢
١٨. الطلائعية ٣٥٥
١٩. العقيدة الكافية ٣٦٠
٢٠. غاية المراد في شرح نكت الإرشاد ٣٦٤
٢١. القواعد و الفوائد ٣٦٤
٢٢. اللمعة الدمشقيّة في فقه الإمامية ٣٦٩
٢٣. المزار ٣٧٧
٢٤. المسائل الفقهية ٣٨٠
٢٥. المقالة التكليفيّة ٣٨٣
٢٦. المنسك الصغير (= خلاصة الاعتبار في الحجّ والاعتمار) ٣٨٦
٢٧. المنسك الكبير ٣٨٧

٢٨. الوصية (١) ٣٨٩
٢٩. الوصيّة (٢) ٣٩١
٣٠. الوصية (٣) ٣٩٤
الفصل الثاني: إجازاته ٤٠٣
١. الإجازة لجماعة من العلماء ٤٠٣
٢. الإجازة لابن نجدة ٤٠٥
٣. الإجازة لابن الخازن ٤١٤
٤. الإجازة لأولاده الثلاثة ٤٢٠
٥. الإجازة لولديه ٤٢٠
الفصل الثالث: أشعاره ٤٢٢
الفصل الرابع: فوائده المتفرّقة وأعماله العلمية ٤٤١
الفصل الخامس: الآثار المنسوبة إليه ٤٦٤
الخاتمة: أخطاء كتب التراجم في ترجمة الشهيد ٤٨٩

الملاحق

١. مختصر نسيم السحر ٤٩٥
مقدّمة التحقيق ٤٩٧
الشهيد الأوّل وأرباب السلطة (منجك و بيدمر و برقوق) ٤٩٩
الشهيد الأوّل ودوره، وقضاة السلطة ومقتله ٥١٠
ابن جماعة، قاضي القضاة في القاهرة ثمّ في دمشق ٥١٤
برقوق والقضاء وابن جماعة ٥١٥
ابن خلدون والمرحلة، وتاريخه المشوّش ٥١٨
عملنا على مخطوطة مختصر نسيم السحر ٥٢٢
متن الرسالة ٥٢٦
ثبت المصادر والمراجع ٥٦٢
٢. رسالة ابن تيميّة إلى السلطان ٥٦٥

مصادر التحقيق ٥٧٥
تنبيهات ٥٧٥
أ) المصادر العربيّة المطبوعة ٥٧٦
ب) المصادر المخطوطة ٦٠٠
ج) المصادر الفارسية ٦٠٢

تصدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربّ العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأعظم، والنبيّ الخاتم محمّد وعلى آله الطاهرين.

وبعد؛ لا يخفى على العلماء الأجلّاء والمحقّقين الفضلاء فائدة نشر المؤلّفات الكاملة لكلّ عالم من علمائنا، في عرض آرائه العلميّة وتحقيقاته في ميادين العلم والثقافة والاجتماع والسياسة، وما جدّ في عصره من المسائل التي لم يُبْتلَ بها الأسلاف، باعتباره كاشفاً عن تطوّر العلوم الإسلاميّة في ذلك الحين، فضلاً عن فوائد أُخرى كثيرة يعرفها العاملون في حقل تراثنا الإسلامي.

وقد شَرَع مركز إحياء التراث الإسلامي في مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة قبل عدّة سنوات (سنة ١٣٨٠هـ ش) بافتتاح مشروعه الكبير في تحقيق ونشر الأعمال الكاملة لسلسلةٍ من العلماء والمصلحين من أعلام الشيعة الإماميّة الماضين والمعاصرين، الذين كان لهم دور كبير في مختلف المجالات العلميّة والثقافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة.

وقد تمّ الانتهاء من نشر موسوعة الإمام السيّد عبدالحسين شرف الدين محقّقة كاملة في أحد عشر مجلّداً كواحدةٍ من حلقات هذا المشروع عام ١٤٢٧، وقد لقيت حسن القبول لدى العلماء والمحقّقين في إيران والعالم العربي فللّه الحمد وله الشكر. ثمّ موسوعة العلّامة المجاهد الشيخ محمّد جواد البلاغي في ثمانية مجلَّداتٍ عام ١٤٢٨.

والآن يتشرّف مركز إحياء التراث الإسلامي بعرض موسوعة الشهيد الأوّل في عشرين مجلّداً على أمل أن تنال رضى علمائنا الأعلام، وهي تتضمّن جميع ما عثر عليه محقّقونا الفضلاء من كتب ورسائل تعود للشهيد بعد جهد متواصلٍ دام أكثر من عشرين سنة.

وتزامناً مع بداية العمل في جمع وتحقيق آثار الشهيد بل وقبلها شملت العناية الإلهية فضيلة الشيخ رضا المختاري حيث اشتغل بكتابة ترجمة الشهيد، وقدّم نتيجة دراساته في هذا المجال والتي استغرقت أكثر من عشرين سنة ضمن هذا الكتاب كمدخل لموسوعة الشهيد الأوّل.

ورتّب الكتاب في ثلاثة أبواب وخاتمة وملاحق:

الباب الأوّل يشتمل على عشرة فصول. تناولت بصورة واسعة وشاملة حياة الشهيد الأوّل.

وفي هذا الباب، تمّ استقصاء مصادر دراسة حياة الشهيد الأوّل، والمؤلّفات التي اختصّت بهذا الموضوع، وتمّ رفع العديد من الاشتباهات التاريخيّة في هذا المجال.

وأخيراً، تمّ كتابة دراسة مفصّلة عن شهادته، وهي جديدة لا سابق لها.

والباب الثاني خصّص لدراسة تحليل تاريخي لعصر الشهيد الأوّل، سيرته، أعماله وما مكث منها. كتبه الأُستاذ الدكتور الشيخ جعفر المهاجر (حفظه الله ورعاه).

والباب الثالث يشتمل على خمسة فصول، خصّصها بالدراسة عن مؤلّفات الشهيد وآثاره العلميّة واشتمل على قائمة مفصّلة وكاملة ـ غير مسبوقة حتّى الآن ـ لآثار ومؤلّفات الشهيد، وما نُسب إليه. وتوجد فيها معلومات قيّمة ومفيدة.

كذلك ـ ولأوّل مرّة ـ تمّ جمع الأشعار المتفرّقة للشهيد الأوّل في مواضع مختلفة، وترتيبها وتنظيمها وتصحيحها، ومن ثمّ طبعها في هذا الكتاب.

كما ويضمّ الكتاب ـ كملحق ـ كتاب مختصر نسيم السحر، تحقيق الدكتور يوسف طباجة.

وفي الختام من الواجب علينا أن نتقدّم بالشكر والتقدير إلى جميع السادة المحقّقين في مركز إحياء التراث الإسلامي الذين ساهموا وأعانوا في إنجاز هذا المشروع الكبير مثمّنين جهودهم المباركة، ونخصّ بالذكر المحقّق الفاضل الشيخ رضا المختاري الذي كتب هذا الكتاب الثمين، والأخ الفاضل فضيلة الشيخ عليّ أوسط الناطقي المشرف على مركز إحياء التراث الإسلامي.

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا في طريق إحياء آثار عظماء الشيعة، وتعريفهم للعالم، ويجعلنا خيرَ خَلَفٍ صالحٍ لهم. إنّه وليّ التوفيق.

قم المقدّسة
شوّال المكرّم ١٤٣٠
المركز العالي للعلوم والثقافة الإسلاميّة
أحمد المبلّغي

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا ونبيّنا أفضل الخلائق أجمعين،
ووصيّه وخليفته عليّ أمير المؤمنين، وآله الطيّبين الطاهرين،
ولا سيّما الإمام المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

الشهيد الأوّل هو الفقيه المحقّق والمجدِّدُ الورع أبو عبدالله شمس‌الدين محمّد بن مكّي المعروف بـ«الشهيد» على الإطلاق (تغمّده الله بغفرانه وأسكنه فراديسَ جِنانه).

وهو من أكبر فقهاء الشيعة على مرّ التاريخ، ولا تزال آثاره القيّمة منبعاً صافياً ينهل منه الخلف، وملجأً وملاذاً للعلماء والفقهاء، وصار البعضُ منها مادّةً دراسيةً في الحوزة العلمية. ونظراً للمكانة الرفيعة لهذا الشهيد السعيد والحبّ الذي أكنُّهُ له باعتباره واحداً من فطاحل الفقه الشيعي، فقد بدأتُ شخصياً وقبلَ عدّة سنواتٍ، وبالتحديد قبل عدّة أعوامٍ، أعني عام ١٤٠٦ بالتحقيق في تاريخ حياته، فنَشَرتُ مقالةً في إحدى المجلّات الصادرة في قم المقدَّسة، تضمَّنتْ جانباً من تحقيقاتي حول الشهيد. وبعد ذلك نَشَرَتْ إحدى المجلّاتِ[1] الصادرة في دمشق تلك المقالة بصورة مشوّهةٍ ومغلوطةٍ، بعد ترجمتها إلى العربية، وقد فعلوا ذلك دون علمي وإذني. ثمّ نقل العالم المعاصر السيّد حسن الأمين رحمه الله جانباً من الترجمة المغلوطة عبر المجلّة، وأوردها في مستدركات أعيان الشيعة[2].

---

١. مجلّة الثقافة الإسلامية، العدد ٦، ص١٠٧ ـ ١٢٤، عام١٤٠٧.
٢. مستدركات أعيان الشيعة، ج١، ص٢٠٦.

وبعد ذلك التاريخ، أعني عام ١٤٠٦، استمرّتْ أبحاثي وتحقيقاتي حول هذا الفقيه الجليل، ثمّ نُشِرَتْ كمقدِّمةٍ لكتاب غاية المراد ـ حين حقّقتُه بمساعدة عدّةٍ من الفضلاء خلال أكثر من عشر سنوات من سنة ١٣٦٨ش إلى سنة ١٣٧٩ش ـ مع الجزء الأوّل من غاية المراد، عام ١٤١٤ / ١٣٧٢ش.

ثمّ ارتأيت أن أُضيف إليها ما وقفت عليه بعد نشر تلك المقدّمة، وأُعدّه ككتابٍ مستقلٍّ في ترجمة الشهيدﷺ. فأضفت إليها مطالب كثيرة ونُشِرَت في كتاب منفرد، في حوالي ٤٠٠ صفحة، في مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة في قم، عام ١٤٢٦/١٣٨٣ش. ثمّ وقفت على مطالب جديدة حول الشهيد، فأضفتها إليها.

وكتب الكاتب الفاضل، الشيخ جعفر المهاجر، فصلاً مشبعاً عن عصر الشهيد، بطلب من مركز إحياء التراث الإسلامي، فأدرجناه في هذا الكتاب وجعلناه الباب الثاني منه، فله منّا جزيل الشكر والامتنان.

وأيضاً وقفتُ لأوّل مرّةٍ على مخطوطة مختصر نسيم السحر في ترجمة الشهيد ـ الذي سيأتي الحديث عنه في الفصل الأوّل من الباب الأوّل، ومقدّمة الباب الثاني وملاحق الكتاب ـ وسلّمتُه إلى الأخ الفاضل الدكتور يوسف طباجة ليحقِّقه كي ندرجه في ملاحق الكتاب، فحقّقه بحمدالله. ونشكره على جهوده في هذا الميدان. وسلّمت مخطوطة مختصر نسيم السحر إلى الشيخ جعفر المهاجر أيضاً للاستعانة به في بحثه الذي جعلناه الباب الثاني من هذا الكتاب.

وإنّني إذ أضع بين أيديكم في هذا الكتاب خلاصةَ جهودٍ استمرّتْ سنين متوالية ـ أعني أكثر من عشرين سنة ـ سأُحاول عرض ملاحظاتٍ وتحقيقاتٍ جديدة؛ وسأُورد في نهاية كلّ مبحثٍ أو فِقْرةٍ رئيسية عمدةَ الأخطاء والاشتباهات الواردة في مصادر ترجمة الشهيد.

وقد وضعتُ هذا الكتاب في ثلاثة أبواب، وخاتمةٍ وملاحقَ، وأدرجتُ في الملاحق مختصر نسيم السحر، تحقيق الدكتور يوسف طباجة، ورسالةَ ابن تيمية إلى السلطان حول نشاطات الشيعة في جبل عامل، والتي أُشير إليها في الباب الثاني من الكتاب.

وأرى من الواجب عليّ أنْ أُقدِّمَ شكري وثنائي إلى كلِّ من ساهم أو أعان على ظهور هذا الكتاب، وأخُصّ منهم بالذكر:

١. المحقّق العلّامة، الأُستاذ الرؤوف، الباذل لما يستطيع، خدمةً للتحقيق والمحقّقين، المرحوم السيّد عبدالعزيز الطباطبائي ﷺ.

٢. العالم المحقّق، والفقيه المدقّق، آية الله الحاجّ السيّد موسى الشبيري الزنجاني (دامت بركاته).

٣. الأُستاذ العلّامة، المحقّق المدقِّق، الحاجّ السيّد محمّد عليّ الروضاتي (دامت إفاضاته).

٤. شيخنا المحقّق، الأُستاذ الجليل الشيخ رضا الأُستادي الطهراني (دامت تأييداته).

٥. العالم الفاضل المتتبّع، الأُستاذ عبدالحسين الحائري، المشرف على مخطوطات مكتبة مجلس الشورى الإسلامي(دامت تأييداته).

٦. العالم الفاضل، الدكتور السيّد محمود المرعشي، المشرف على مكتبة آية الله المرعشي (دامت تأييداته).

٧. الأخ الفاضل، الشيخ عليّ أوسط الناطقي مدير مركز إحياء التراث الإسلامي (دام تأييده).

كما أخصّ بالذكر الإخوة الأعزّاء في مؤسَّسة تراث الشيعة، ومركز إحياء التراث الإسلامي، خصوصاً الفضلاء الكرام: عليّ أكبر زماني‌نژاد، أسعد الطيّب، لطيف فُرادي، محمّد عليّ النجفي، أبوالفضل حافظيان، حسين الواثقي، عليّ أكبر الصفري، محمّدرضا خادميان، قربان المخدومي، محسن الصادقي، محسن النوروزي، حسين المتّقي، جواد القرباني و ولدي البارّ حسن المختاري، الذي صفّ الحروف؛ داعياً الله سبحانه أن يوفّقهم جميعاً لمرضاته.

والحمد للّه أبد الآبدين، وصلّى الله على أفضل الخلائق أجمعين، أبي القاسم المصطفى خاتم النبيّين، و وصيّه وخليفته مولانا أمير المؤمنين، وآله الطيّبين الطاهرين.

قم المقدّسة
مؤسّسة تراث الشيعة
٢٨ شوّال المكرّم، ١٤٣٠ = ١٣٨٨/٧/٢٦ هـ ش
رضا المختاري

الباب الأوّل

حياة الشهيد

الفصل الأوّل: مصادر ترجمته

الفصل الثاني: اسمه ولقبه و نسبه

الفصل الثالث: مولده و نشأته

الفصل الرابع: السرد التاريخي لرحلاته و حياته العلمية

الفصل الخامس: الثناء عليه

الفصل السادس: مكانته العلمية والأخلاقية وبعض آرائه

الفصل السابع: أساتذته ومشايخه في الرواية

الفصل الثامن: تلامذته والراوون عنه

الفصل التاسع: أولاده وزوجته

الفصل العاشر: استشهاده

الفصل الأوّل

مصادر ترجمته

لقد أوردت المصادر الكثيرة ـ من الخاصّة والعامّة ـ تراجم للشهيد الأوّل ﷺ، سنورد فيمايلي أُمّهات هذه المصادر حسب ترتيب تاريخ وفاة مصنِّفيها. وقد وضعنا نجمةً بجانب المصادر الأساسية والتي تحتوي على مطالب جديدة تغني مراجعةُ مجموعها الطالب عن مراجعة سائر المصادر:

١. * تكملة درّة الأسلاك، لابن حبيب (م٨٠٨)، حوادث سنة ٧٨٦.

٢. * غاية النهاية، لشمس‌الدين الجزري (م٨٣٣)، ج٢، ص٢٦٥.

٣. * السلوك، لتقيّ الدين أحمد المَقْريزي (م ٨٤٥)، ج ٥، ص ٧٦، حوادث سنة ٧٨١، وأيضاً ج ٥، ص ١٦١، حوادث سنة ٧٨٥.

٤. * تاريخ ابن قاضي شُهبَة، لابن‌قاضي شُهبة‌الدمشقي (م٨٥١)، ج١، ص١٣٤ـ١٣٥، ١٥١.

٥. * إنباء الغُمْر، لابن حجر العسقلاني (م٨٥٢)، ج١، ص٣١١، حوادث سنة ٧٨١ وج٢، ص١٨١، حوادث سنة ٧٨٦.

٦. * لحظ الألحاظ، لابن فهد المكّي (م٨٧١)، ص١٦٨.

٧. * مجموعة الجباعي[1]، المخطوطة، لشمس‌الدين محمّد بن عليّ الجباعي (م٨٨٦) في مختلف أوراقها.

٨. * مجالس المؤمنين، للقاضي نور الله التستري الشهيد (م١٠١٩)، ج١، ص٥٧٩.

٩. نقد الرجال، للتفرشي (كان حيّاً سنة ١٠٤٤)، ص٣٣٥.

---

١. انظر الكلام حولها فيما يأتي في الفصل الرابع من الباب الثالث.

١٠. شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي (م١٠٨٩)، ج٦، ص٢٩٤.
١١. جامع الرواة، للأردبيلي (م١١٠١) ج٢، ص٢٠٣.
١٢. * أمل الآمِل، للشيخ الحرّ العاملي (م١١٠٤)، ج١، ص١٨١ـ١٨٣.
١٣. * بحارالأنوار، للعلّامة المجلسي (م١١١٠)، ج١، ص١٠، ٢٩ ـ ٣٠ و ج١٠٧، ص١٧ ـ ١٨، ٢٩، ١٤٠ ـ ١٤١، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١١ ـ ٢١٢، و ج١٠٨، ص١٥٢ ـ ١٥٣ وج١٠٩، ص٨ ـ ١٠، ١٤، ١٦، ١٧، ٢٠، ٢٣، ٢٩ ـ ٣١، ٣٧، ٤٠، ٥٠، ٥٥ ـ ٥٦ ـ ٧٠ ـ ٧٣ و ج١١٠، ص١٦٦، ١٦٨، وغيرها.
١٤. * تعليقة أمل الآمل، للميرزا عبدالله الأفندي (م حوالي ١١٣٤)، ص٧٥ ـ ٨١.
١٥. رياض العلماء، للميرزا عبدالله الأفندي (م حوالي ١١٣٤)، ج٥، ص١٨٥ ـ ١٩١.
١٦. * الفوائد الطريفة، للميرزا عبدالله الأفندي (م حوالي ١١٣٤)، ص ١٣٠ ـ ١٣١، ٢٣٨ ـ ٢٤٤، ٣٨١ ـ ٣٨٢، ٤٦٦ ـ ٤٦٨، ٥٧٦ ـ ٥٨٠.
١٧. حدائق المقرّبين، للمير محمّد صالح الحسيني الخاتون آبادي (م١١٢٦)، الباب الرابع، مخطوط.
١٨. كشكول البحراني، للمحدِّث الشيخ يوسف البحراني (م١١٨٦)، ج٢، ص١٤٩ ـ ١٥٠، ١٩٣ ـ ٢٠١.
١٩. * لؤلؤة البحرين، للمحدّث الشيخ يوسف البحراني (م١١٨٦)، ص١٤٣ ـ ١٤٨.
٢٠. منتهى المقال، لأبي عليّ الحائري (م ١٢١٦)، ج٦، ص٢٠٧.
٢١. رياض الجنّة، للميرزا محمّد حسن الحسيني الزنوزي (م ١٢١٨)، ج٣، ص ٢١٧ ـ ٢٣٤.
٢٢. مقابس الأنوار، للمحقّق التستري (م١٢٣٧)، ص١٣ ـ ١٤.
٢٣. كشف الحجب و الأستار، للسيّد إعجاز حسين الكنتوري (م١٢٨٦)، ص٣٥، ٥٨، ٧٦، ٩١، ١٥١ ـ ١٥٢، ٢٠٦، ٢١٠، ٢١٣، ٢٢١، ٢٤٣، ٢٥٠، ٢٧٨ ـ ٢٧٩، ٣٩١، ٤١٦، ٤٨١، ٥٠٢، ٥٨٥.
٢٤. قصص العلماء، للميرزا محمّد التنكابني (م١٣٠٢)، ص٣٣٧ ـ ٣٤٢.
٢٥. * روضات الجنّات، للسيّد محمّد باقر الخوانساري الإصفهاني (م ١٣١٣)، ج٧، ص٣ ـ ٢١.

٢٦. طرائف المقال، للسيّد عليّ أصغر الجابلقي البروجردي (م ١٣١٣)، ج ٢، ص ٤٢٦ ـ ٤٢٩.

٢٧. * خاتمة مستدرك الوسائل، للمحدّث النوري (م ١٣٢٠)، الطبعة القديمة: ج ٣، ص ٤٣٧ ـ ٤٤٩؛ الطبعة الجديدة: ج ٢٠، ص ٣٠٢ ـ ٤٠١.

٢٨. بهجة الآمال، للمولى عليّ العلياري (م١٣٢٧)، ج٦، ص ٦٦١ ـ ٦٦٩.

٢٩. * مرآة الكتب، لثقة الإسلام التبريزي الشهيد (م ١٣٣٠)، ج ٢، ص٢١٦، ٢١٨، ٢٣٢ وج ٣، ص١٠٦ وغيرها.

٣٠. إيضاح المكنون، لإسماعيل باشا البغدادي (م١٣٣٩)، ج ١، ص ٣٥٥، ٤٣٣، ٤٧١، ٥٥٩، ٥٦٠، وج ٢، ص ١٤٠، ٢٦٥.

٣١. هدية العارفين، لإسماعيل باشا البغدادي (م١٣٣٩)، ج ٢، ص ١٧١.

٣٢. لباب الألقاب، للمولى حبيب الله الكاشاني (م ١٣٤٠)، ص ٩.

٣٣. تنقيح المقال، للشيخ عبدالله المامقاني (م١٣٥١)، ج ٣، ص ١٩١ ـ ١٩٢.

٣٤. تكملة أمل الآمل، للسيّد حسن الصدر (م ١٣٥٤)، ص ٣٦٥ ـ ٣٧١.

٣٥. كشف الأستار، للسيّد أحمد الخوانساري (م١٣٥٩)، ج ٣، ص ٤٣٣ ـ ٤٤٥ وغيرها.

٣٦. * الفوائد الرضوية، للمحدّث القمّي (م١٣٥٩)، ص ٦٤٥ ـ ٦٥٣.

٣٧. الكنى و الألقاب، للمحدّث القمّي (م١٣٥٩)، ج ٢،ص ٣٦٤ ـ ٣٥٠.

٣٨. سفينة البحار، للمحدّث القمّي (م١٣٥٩)، ج ١، ص ٧٢١.

٣٩. هدية الأحباب، للمحدّث القمّي (م١٣٥٩)، ص ١٨٥ ـ ١٨٧.

٤٠. تحفة الأحباب، للمحدّث القمّي (م١٣٥٩)، ص ٤٩٢.

٤١. * أعيان الشيعة، للعلّامة الأمين (م١٣٧١)، ج ١٠، ص ٥٩ ـ ٦٤. و مستدركات أعيان الشيعة، ج ٢، ص ١٧٦ ـ ١٨٣.

٤٢. ريحانة الأدب، للميرزا محمّد عليّ التبريزي (م١٣٧٣)، ج ٣، ص٢٧٦ ـ ٢٧٨، وج ٨، ص ٢٩٧.

٤٣. * حياة الإمام الشهيد الأوّل، للشيخ محمّد رضا شمس‌الدين (م ١٣٧٧).

٤٤. * ماضي النجف و حاضرها، للشيخ جعفر آل محبوبة (م١٣٧٧)، ج ٢، ص ٤٠٧ ـ ٤١٣.

٤٥. تحفة العالم، للسيّد جعفر آل بحر العلوم (م١٣٧٧)، ج١، ص١٥٥ ـ ١٦١.

٤٦. * الذريعة، للشيخ آقا بزرگ الطهراني (م١٣٨٩) في مختلف مواضعه، سيأتي أكثرها وأهمّها في البحث عن مؤلّفات الشهيد وآثاره العلمية.

٤٧. * الحقائق الراهنة، للشيخ آقا بزرگ الطهراني (م١٣٨٩)، ص٢٠٥ ـ ٢٠٧.

٤٨. مُصَفّى المقال، للشيخ آقا بزرگ الطهراني (م١٣٨٩)، ص٤٢٥ ـ ٤٢٦.

٤٩. * شهداء الفضيلة، للعلّامة الأميني (م١٣٩٠)، ص٨٠ ـ ٩٨.

٥٠. تاريخ العراق بين احتلالين، لعبّاس العزاوي (م١٣٩١)، ج٢، ص١٧٩.

٥١. الأعلام، للزِرِكْلي (م١٣٩٦)، ج٧، ص١٠٩.

٥٢. مكارم الآثار، للحبيب آبادي (م١٣٩٦)، ج٦، رقم ١١٦٨، ضمن حوادث عام ١٢٦٩.

٥٣. الجامع في الرجال، للشيخ موسى الزنجاني (م ١٣٩٩) قسم المخطوط منه، ج ٣، ص ٧٩٢ ـ ٧٩٣.

٥٤. مقدِّمة بحارالأنوار، للشيخ عبدالرحيم الربّاني الشيرازي (م١٤٠٠)، ج المدخل، ص١٥٢ ـ ١٥٦.

٥٥. ذرائع البيان، للشيخ محمّد رضا الطبسي (م١٤٠٥)، ج٢، ص١٤٧ ـ ١٥١.

٥٦. * مقدِّمة القواعد والفوائد، للشهيد السيّد عبدالهادي الحكيم (م١٤٠٥)، ج١، ص٧ ـ ٢٧.

٥٧. السيوف البارقة على هام المتصوّفين المارقة، للشيخ ذبيح الله المحلّاتي (م ١٤٠٦)، ص ٤١٢ ـ ٤١٣.

٥٨. معجم رجال الحديث، لآية الله الخوئي (م١٤١٣)، ج١٧، ص ٢٧٠ ـ ٢٧٣.

٥٩. * فهرست نسخه‌های خطی کتابخانهٔ مرکزی، لمحمّدتقي دانش‌پژوه (م١٤١٧)، ج ٥، ص١٠٩٣ ـ ١٠٩٧، ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨، وج٦، ص٢١٩٤ ـ ٢١٩٨.

٦٠. مقدِّمة الدرّة الباهرة، للشيخ محمّد هادي الأميني (م١٤٢١)، ص٥ ـ ٢٢.

٦١. * الشهيد الأوّل: محمّد بن مكّي، للمرحوم السيّد حسن الأمين ﷺ (م١٤٢٣)[1].

---

١. جاء في تمهيد هذا الكتاب، ص٧: «ترتبط حياة الشهيد محمّد بن مكّي، كما استشهاده، بفريقين من الناس، وبأربعة رجال من بين هذين الفريقين:

←

٦٢. أعلام العرب في العلوم و الفنون، لعبد الصاحب عمران الدجيلي (المعاصر)، ج ٢، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٩.

٦٣. مفاخر إسلام، للشيخ عليّ الدواني (المعاصر)، ج ٤، ص ٣٢٧ ـ ٣٦٦.

٦٤. * مقدِّمة الروضة البهيّة، للشيخ محمّد مهدي الآصفي (المعاصر)، ج ١، ص ٧٧ ـ ١٤٨.

٦٥. * الصلة بين التصوّف والتشيّع، لكامل مصطفى الشيبي (المعاصر)، ج ٢، ص ١٣٤ ـ ١٤١.

٦٦. * الهجرة العاملية إلى إيران، للشيخ جعفر المهاجر (المعاصر)، ص ٥٧ ـ ٩١.

٦٧. * ستّة فقهاء أبطال، للشيخ جعفر المهاجر (المعاصر)، ص ٧٩ ـ ١٠٨.

٦٨. جبل عامل بين الشهيدين، للشيخ جعفر المهاجر (المعاصر)، ص ١٠٥ ـ ١٦٠.

٦٩. * مقالة «الشهيد الأوّل ومشروع القيادة الدينية ـ السياسية في جبل عامل»، للدكتور يوسف طباجة (المعاصر)، المطبوعة في مجلّة العرفان، المجلّد الثمانون، العدد الأوّل ـ العدد الثامن، آذار ١٩٩٦م ـ تشرين الأوّل ١٩٩٦.

٧٠. * مهاجرت علماى شيعه از جبل عامل به ايران، لمهدي فراهاني منفرد (المعاصر) ص ٥٩ ـ ٨٢.

٧١. * معجم أعلام جبل عامل. لعليّ داود جابر (المعاصر)، ج ٣، ص ١٩٣، ٢٢١ ـ ٢٢٢ ـ ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ـ ٢٢٧ ـ ٢٢٨، ٢٣١ ـ ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٦ ـ ٢٤٧، ٢٧٢ ـ ٢٧٣، ٢٧٥ ـ ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٩٤ ـ ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٤، ٣٠٦ ـ ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٢ ـ ٣١٣، ٣١٥، ٣٣٠ ـ ٣٣١، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٩، ٣٥٤.

٧٢. طبقات الفقهاء، لآية الله الشيخ جعفر السبحاني التبريزي (المعاصر)، ج ٨، ص ٢٣١ ـ ٢٣٨.

٧٣. * الشهيد الأوّل محمّد بن مكّي العاملي في المصادر العربية. إعداد مؤسَّسة تُراث الشيعة.

← أمَّا الفريقان فهما: السربداريون الذين استدعوه، والمماليك الذين قتلوه.

أمَّا الرجال الأربعة فهم: الظاهر برقوق سلطان المماليك في مصر، ونائبه في الشام بيدمر، وعليّ بن المؤيّد آخر أُمراء السربداريين في خراسان، وتيمورلنك، وهذا لا يرتبط به اسم الشهيد مباشرة، بل بوساطة عليّ بن المؤَيَّد تارةً وبوساطة برقوق تارةً أُخرى. ولذلك كان لابدَّ لنا من دراسات موجزة كلَّ الإيجاز لكلٍّ من الفريقين الإثنين: السربداريين والمماليك، ولكلٍّ من الرجال الأربعة لتتّضح لنا معالمُ العصر الذي عاش فيه الشهيد والعوامل التي كان لها الأثر الفعّال في تلك الأحداث وما رافقها من شؤون وشجون قبيل عصر الاستشهاد».

٧٤. * شناختنامهٔ شهيدين. إعداد مؤسَّسة تراث الشيعة، ص ٦ ـ ٢٦٦.

هذه عمدة المصادر التي ترجمتْ للشهيد، وكثير من هذه المصادر لم يأتِ لنا بجديدٍ عن حياة الشهيد واقتصر على النقل من هنا وهناك.

وأكثر هذه الكتب تفصيلاً وشموليةً وأقدمها كتاب حياة الإمام الشهيد الأوّل؛ وسوف نتجاوز الموارد التي بحثها هذا الكتاب في حياة الشهيد بصورةٍ وافيةٍ، ونبحث عن المطالب التي طَرَقَها الكتاب المذكور بصورةٍ موجزة أوبالإشارة، والتي لم يتعرّض لها.

* * *

هذا، وأقدم من هذه المصادر والأهمّ منها كتابان لم يصلا إلينا متنُهما الكامل، بل وقفنا على مختصرٍ وملتقط منهما، اختصر والتقط منهما الشيخ شرف الدين محمّد مكّي من سلالة الشهيد الأوّل (الذي كان حيّاً عام ١١٨٦)، وسمّينا هذا الملتقط والمختصر مختصر نسيم السحر وأدرجناه بكامله في ملاحق هذا الكتاب. يقول الشيخ شرف الدين محمّد مكّي في أوّل مختصر نسيم السحر بخطّه:

> قد نقلت مختصراً من كتاب نسيم السحر في أحوال الشهيد الشريف شمس الدين محمّد بن شرف الدين مكّي؛ فإنّه قد ذكر فيه آباء الشريف الشهيد محمّد بن مكّي وأجداده من الطرفين، ثمّ ذكر تاريخ ولادته وكيفية حاله بعد أبيه ببلده جزّين، وابتداء شروعه في العلم وسفره إلى الأمصار وسعيه في الأقطار لتحصيل العلم....

ويقول في أواسط الرسالة بعد نقل قضيّة استشهاد الشهيد، وبعد ختم كلام صاحب نسيم السحر ظاهراً:

> والحمد للّه وحده. وقد ذكر الشيخ الفاضل الصالح الشيخ محمّد بن عليّ بن الوحيد البتدّيني في مجموع له قد كتب بخطّه جميع أحوال الشريف الشهيد شمس الدين محمّد بن مكّي من حين مولده إلى حين مقتله... على نحو ما ذكرناه إلّا في يسيرٍ من بعض الألفاظ قد ذكرها جميعاً من غير اختصار ـ كما ذكر في غير موضع بعض الأصحاب ـ وممّا ذكره الشيخ الفاضل المجيد محمّد بن عليّ بن الوحيد في مجموعه هكذا صورة ما ذكره: «لقد كان شيخنا...».

وهذا الكلام يدلّ على أنّ البتدّيني كتب في مجموعه جميع أحوال الشهيد نحو ما ذكره مؤلّف نسيم السحر. وظاهر هذا الكلام أنّ مؤلّف نسيم السحر هو غير البتدّيني. ولكن قال الشيخ محمّدرضا شمس‌الدين﵀:

نعم يحدّثنا التاريخ ـ المهجور ـ وبعضُ الكتب الخطّية على هامش أمل الآمل وفي كتاب الدرّ المنثور، وغيرهما عن كتابين مستقلّين لمؤلّفين قديمين، في حياة الإمام الشهيد الأوّل:

١. نسيم السحر في حياة الشهيد الأوّل من حين مولده حتّى قُتل ـ للفاضل المحقّق ـ هكذا رأيتُ ـ الشيخ أحمد بن الوجيه «أو الوحيد» العاملي، من قرية «زبدين».

٢. تاريخ حياة الشهيد الأوّل وأحواله، لمؤلّف مجهول، وأحسبه عامليّاً من تلامذة الشهيد أو معاصريه.

وهذان الكتابان، وإن كان يحوطهما هالة من الريب والخفاء من بعض الجهات؛ فإنّهما يدلّان على ما كان يحمل السلف الصالح من الشعور بالواجب نحو الأئمّة الفحول والعلماء المصلحين، على نحو ما يدركه العصر الحاضر ورجال الغرب اليوم، كما تقدّم. هذانِ الكتابانِ ـ ويا للأسف ـ لا أثر لهما اليوم، ولو كانا موجودين، لما كنّا في هذا الخصب التأريخي الذي يشكوه كلُّ من حاول الكتابة عن الإمام الشهيد الأوّل؛ والبحث عن مصادر حياته وسيرته وجهاده الديني، وعمله الإصلاحي الذي لم يقف التاريخ الحديث إلّا على جزء قليل، وأهملَ تسجيلَ الكثيرِ منه تاريخُنا القديم[١].

ومن هنا فقد سمّينا جميع هذه الرسالة ـ التي يبدو أنّها مختصر وملتقط من كتابين ـ مختصر نسيم السحر، ونسبناه إلى محمّد بن عليّ بن الوحيد البتدّيني. والظاهر من عبارته﵀ أنّه لم يقف على هذين الكتابين ولا على مختصرهما، والظاهر أنّ ما وقفنا عليه بحمدالله لأوّل مرّة وسمّيناه مختصر نسيم السحر هو مختصر هذا الكتابين ولعلّه أخطأ في ذكر مؤلِّفهما؛ فإنّ مؤلّف نسيم السحر مجهول لنا، وأمّا مؤلّف الكتاب الآخر ـ وهو المجموع ـ فهو البتدّيني كما ذكرنا.

وأمّا مؤلّف مختصر نسيم السحر فهو الشيخ شرف الدين محمّد مكّي من ذرّية الشهيد

١. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ١٣.

الأوّل، وردت ترجمته في مصادر كثيرة[١] وكانت له مكتبة كبيرة، ومن مؤلّفاته سفينته الموجودة اليوم واستفدنا منها كثيراً في تأليف هذا الكتاب وبعض مطالبها يوجد أيضاً في مختصر نسيم السحر، وسمّيناها في هذا الكتاب بسفينة شرف الدين محمّد مكّي، وكتب قسماً منها عام ١١٨٦ وهذا يدلّ على أنّه كان حيّاً إلى هذه السنة، ولا يبعد أن يكون قد كتب مختصر نسيم السحر أيضاً في هذه السنة. وكتب إجازةً معروفةً للفاضل التبريزي محمّدرضا بن عبدالمطّلب في الثامن من ذي الحجّة سنة ١١٧٨.

وقال في وصفه الشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق:

... الشيخ مكّي بن محمّد بن شمس الدين بن الحسن بن زين الدين بن محمّد بن عليّ بن شهاب الدين محمّد بن أحمد بن محمّد بن شمس الدين بن محمّد بن بهاء الدين بن عليّ بن ضياء الدين محمّد بن شمس الدين محمّد الشهيد بن شرف الدين مكّي والد السعيد الشهيد، هكذا نسب نفسه (أطال الله بقاه) وقد اجتمعتُ به في النجف الأشرف وقت تشرّفه بتقبيل أعتاب ذلك المقام النيّر الأعلام (على مشرفه أفضل الصلاة والسلام)، وقد أتى (سلّمه الله) من بلاده جبل عامل مهاجراً في طلب العلم، وكان على غاية من التقى والصلاح والديانة، وقد صارت له معنا (سلّمه الله) صحبة أكيدة ومحبة زائدة (أمدّه الله تعالى بالتوفيقات الربّانية والرواشح السبحانية)[٢].

وقال الشيخ حرزالدين:

هو أشهر رجال هذه الأُسرة وأوّل من عُرف منها بالنجف، وعنه أُخذت بعض المعلومات عن آبائه، وهو الذي شاد بذكر هذه الأُسرة وشيّد عنوانها، كانت له خزانة كتب نفيسة تبعثرت في النجف وخارجه. وآباؤه كلّهم علماء وأرباب فتيا وشيوخ إجازة، ولكن لم يتحقّق لديّ ولم أقف على أوّل من هاجر منهم من قرى جبل عامل؛ إذ الأب الذي ترجع إليه هذه الأُسرة وهو الشهيد رحمه الله وكثير من أبنائه بعده عاشوا في جبل عامل، ويُلِمُّ

١. منها تكملة أمل الآمل، ص ٢٢٩؛ أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٤؛ الشهيد الأوّل في المصادر العربية، ص ١٢٨ ـ ١٢٩؛ الكواكب المنتشرة، ص ٧٣٩ ـ ٧٤١؛ ماضي النجف وحاضرها، ج ٢، ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨؛ شناختنامه شهيد أوّل، ص ٧١، ١٣١؛ مكارم الآثار، ج ٦، ص ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠؛ فهرس المكتبة المرعشية، ج ٣١، ص ٢٩٧ ـ ٢٩٩؛ الذريعة، ج ٧، ص ١٠٧، ج ١١، ص ١٠٩، ٣٠١، ج ١٢، ص ٢٠٤، ج ٢٥، ص ١٠٦؛ كشكول البحراني، ج ٢، ص ١٤٩ ـ ١٥٠.

٢. كشكول البحراني، ج ٢، ص ١٤٩ ـ ١٥٠.

البعض منهم إلماماً بالعراق ولا تزال ذرّيّته في سوريا، وهم عدد كثير لم ينقطع العلم عنهم، بل فيهم الكثير من العلماء وأهل الفضل والمشتغلين بالأدب. كان المترجم في عصره من أعلام النجف وله ذكر يتردّد على ألسنة أهل العلم، وكان من أهل الشأن والاعتبار، وممّن يرجع إليه في الفتيا، وهو معم مخول جدّه من طرف الأب الشهيد رحمه الله وجده من طرف الأُمّ الشيخ حسين بن عبد الصمد والد الشيخ البهائي رحمه الله، له إجازة مبسوطة مفصّلة بخطّه الشريف كتبها لمحمّد رضا بن عبدالمطلب التبريزي في النجف يوم الغدير سنة ١١٧٨ على كتابه «الشفاء في أخبار آل المصطفى»، توجد نسخة منه في مكتبة العلّامة السيّد حسن الصدر، وعنها أُخذت معلومات أُسرته، وله إجازة أُخرى أشرك أخوي التبريزي فيها معه وهما الآغا إبراهيم والآغا إسماعيل، أيضاً موجودة على ظهر كتاب «الشفاء» للتبريزي المذكور، وصرّح فيها بأنّه يروي عن مشايخ كثيرين من علماء البحرين وجبل عامل والعراق واليمن والقدس والخليل ومكة والعجم وغيرها من الأقطار... [١].

وأمّا كتابه هذا أعني مختصر نسيم «السحر وما أُلحقَ به، وأصلهما فلم يُشير إليهما أحدٌ قبل هذا سوى الشيخ محمّدرضا شمس الدين كما تقدّم قبيل هذا، وهو لم يرهما، ووقفتُ عليه بحمد الله لأوّل مرّة، وفيه بعض الأخطاء العجيبة كما سيأتي التنبيه عليها في مواضعها. ويقول الصديق العزيز الشيخ جعفر المهاجر بشأن هذا الكتاب في بحث غيرُ منشور بعدُ:

... فإنّ ما وصل إلينا من «المختصر» يمكن قسمته تقديّاً إلى قسمين:

ـ القسم الأوّل: من الورقة الأُولى حتّى نهاية السطر الخامس من الورقة ٦ الأصل.

ـ القسم الثاني: من نهاية القسم الأوّل إلى آخر ما وصلنا منه.

ومع أنّ الكاتب واحد وغرضه واحد في القسمين دون ريب، فإنّ القارئ يلمس فرقاً واضحاً في المنهج وطريقة التفكير بين الإثنين، انعكستْ بشكل قاس على مادة السيرة. فكأنّنا نقرأ سيرتين لشخصين.

في القسم الأوّل يبدو صاحب السيرة، الشهيد الأوّل، أشبه بأبطال القصص الشعبيّة. بطل تُحرّكه نوازع خيّرة، جماعها طلب الخير للناس. سلاحه معرفة لا حدود لها، واستعداد

١. ماضي النجف وحاضرها، ج ٢، ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨.

للتضحية طلباً لرضى الله سبحانه، في مقابل أعداء تحرّكهم نوازع شريرة: الحسد والغيرة وطلب الجاه والسلطان، هم اليالوشي وابن يحيى والقاضي ابن جماعة. وهو دائماً ينتصر عليهم بالحجّة البالغة، أو بالتمكّن من المعارف السريّة، أو بكرامة إلهيّة. وبذلك يتخلّص من المؤامرّات التي يحيكونها له، أو يُخلّص الناس من الخداع والتضليل. ولكنّه أخيراً يفوز على أيديهم بدرجة الشهادة؛ لأنّ الله تعالى شاء له ذلك فأطاع وامتثل.

حقّ أنّ هذه الصورة تتجاهل كافّة المعطيات التاريخيّة الموضوعيّة التي اضطرب فيها الشهيد وعمل في قلبها. كما أفرزتْ أضدادها ومعوّقاتها، مثلما هو الشأن دائماً في هذه الأحوال. ولكن هذا لا ينتقص أبداً من قيمتها وأهميتها. هو ذا الجانب الآخر، غير المرئيّ، من شخصيّة صاحب السيرة، وهي في حالة تفاعل مع الجمهور الذي أحبَّه وعرف فضله. ومهما تكن هذه الصورة ساذجة غير موضوعيّة، حافلة بالأخطاء الكبيرة [1]، فإنّها تُبيّن لنا ما يعجز التاريخ الرسمي عادةً عن بيانه. أعني وُجدان الجمهور في وطن الشهيد. الذي عانىٰ طويلاً من وطأة الاستلاب والاضطهاد المعنوي بالاحتلال الصليبي، ثمّ بمختلف صنوف الاضطهاد التي عانى منها الشيعة في المنطقة، منذ أوائل القرن الثامن الهجري. وجاء الشهيد بمشروعه ليمنحه الهُويّة الجامعة، ونجح في ذلك أيّما نجاحٍ. ولذلك فإنّه بعد أنْ قُتِلَ منحه لقب الشهيد على الإطلاق. مع أنّه الجمهور الذي ينتمي إلى ثقافة لا تشكو أبداً من قلّة الشهداء. خلاصة ما أُريد قوله هنا: أنّ كتاب نسيم السحَر، قد أودع هذا القسم من كتابه صورة الشهيد كما أفرختْ ونمتْ في وجدان الناس. أعني صورة البطل الشعبي المُنقذ والهادي. والجمهور ليس مؤرّخاً لكي نُطالبه بالصدق الموضوعي بحسب مقاييسنا. إنّه أمين فقط على وُجدانه.

أمّا القسم الثاني، فهو عبارة عن ستّ نقولات، عن ستّة من تلاميذ الشهيد. اثنان منهما

---

١. مثل وصفه لبيدمر بأنّه «خليفة» (الورقة ٣/آ من الأصل). وهو سيف الدين بيدمر الخوارزمي. ولي الشام ستّ مرّات، ثالثها من سنة ٧٧٥ حتّى ٧٧٨ (إعلام الورى بمن ولي الشام من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص ٢٥ ـ ٣٠). ومثل قوله إنّ الشهيد قتل سنة ١١٨٦ (الورقة ٦ / ب من الأصل) ولا تفسير عندي لهذا الخطأ. وأيضاً زعمه أنّ الشهيد لقي العلّامة الحلّي في النجف. وهو توفّي سنة ٧٢٦.

من معارف تلاميذه والمُجازين منه. ثلاثة من تلك النقولات مُقتبسَة عن رسائل أو كُتُب ضمّنها مصنّفوها ما يتعلّق بالشهيد.

الكتاب إجمالاً في غاية الأهمّيّة. فهو يبسط سيرة مختلفة للشهيد عن كلّ المصادر الأُخرى. من ذلك: علاقته بالسلطة المحلية في دمشق والمركزية في القاهرة وكيفية مقتله وما جرى عليه قبل ذلك. والأعمّ من ذلك أعماله في وطنه، التي نجد إلماحات مُضيئة عنها فيما اقتبسه صاحب هذا المختصر.

* * *

وممّا يذكر أنّ الشيخ عبدالله السبيتي رحمه الله (م١٣٩٧) قال في مقدِّمته للروضة البهيّة:

ـ إذا سمحتْ لي الفرصة سوفَ أُقدِّم للمكتبة كتاباً عن الشهيدين وفيه تفصيل عن موطنهما جبل عامل [١].

ـ... ونترك تفصيل هذا إلى الكتاب الذي سنُخرجه عنه وعن الشهيد الثاني، إن شاء الله تعالى [٢].

ـ... وستطلِّع على تفصيل الحادث في كتاب الشهيدان [٣].

والجدير بالذكر أنّ المنيّةَ وافَتْه ولم يوفَّق لهذا التأليف، كما أخبرني المرحوم الأُستاذ العلّامة السيّد عبد العزيز الطباطبائي رحمه الله، وقال إنّه كان صهراً للعلّامة السيّد شرف الدين العاملي رحمهما الله [٤].

ومضافاً إلى هذا كلّه فقد بحثتُ في المكتبات وفهارس المخطوطات فلم أعثر على شيءٍ جديد في ترجمة الشهيد، وما ورد في المخطوطات ـ ممّا عثرتُ عليه، منها المجموعة المرقّمة ٢٩٣٦/٣ في مكتبة ملك الوطنية بطهران ـ فهو منقول عن المصادر التي ذكرتُها.

---

١. الروضة البهيّة، ج ١، ص «م»، طبع مصر.

٢. الروضة البهيّة، ج ١، ص «يو»، طبع مصر.

٣. الروضة البهيّة، ج ١، ص «يد»، طبع مصر.

٤. وردتْ ترجمته في مجلّة العرفان، المجلّد ٨٠، العددين ٥ ـ ٦، ص٥٨ ـ ٦٥، مقالة «العلّامة المناضل الشيخ عبدالله السبيتي».

الفصل الثاني

اسمه ولقبه و نسبه

هو الشيخ الشهيد السعيد أبوعبدالله محمّد بن مكّي العاملي الملقَّب بـ«شمس الدين» والمشهور بـ«الشهيد» على الإطلاق و«الشهيد الأوّل». ذكر اسمه ونسبه شمس الدين الجزري، المعاصر للشهيد والذي صحبه الشهيد مدّةً مديدةً [1]، هكذا: «محمّدبن مكّي بن محمّد بن حامد أبوعبدالله الجِزّيني...» [2].

وقال أُستاذ الشهيد فخر الدين (رضوان‌الله‌عليهما) في إجازته له: «... شمس الحقِّ والدين محمّد بن مكّي بن محمّد بن حامد» [3].

وذكره الجباعي في مجموعته بقوله: «الشيخ العالم محمّد بن مكّي بن محمّد بن حامد» [4].

وقال شيخ إجازة الشهيد، شمس الأئمّة الكرماني في إجازته له: «شمس الملّة والدين محمّد ابن الشيخ العالم جمال الدين مكّي بن شمس الدين محمّد الدمشقي» [5].

وقال الشهيد نفسه في آخر إجازته لابن الخازن الحائري: «محمّد بن مكّي بن محمّد بن حامد بن طيّ» [6].

---

١. قال شمس الدين الجزري في غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥: «... صحبني مدّةً مديدةً».
٢. غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥.
٣. بحارالأنوار، ج ١٠٧، ص ١٧٨.
٤. مجموعة الجباعي، الورقة ١٤٦ب.
٥. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٣.
٦. بحارالأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٢، وفيه: «محمّد بن محمّد بن حامد ابن مكّي». وما أثبتناه مطابق لما وردتْ في مخطوطة تلك الإجازة بمكتبة آية الله المرعشي، برقم ٥٦٠٥، (الورقة ١٦ ألف).

وقال في آخر فهرست منتجب‌الدين ـ الذي كتبه بخطّه ـ: «محمّد بن مكّي بن حامد» [١].

وذكره ولد الشهيد بقوله: «شمس‌الدين أبو عبدالله محمّد بن محمّد بن حامد» [٢].

وذكرته بنت الشهيد في وثيقةٍ لها سنأتي بنصّها في الفصل التاسع من هذا الباب: «محمّد بن أحمد بن حامد ابن مكّي» [٣].

ووقّع الشهيد في الكثير من الموارد بـ«محمّد بن مكّي المطّلبي» [٤] و«محمّد بن مكّي» [٥].

وقد أطلق عليه أساتذته وتلامذته أمثال ابن مُعَيّة والفاضل المقداد «محمّد بن مكّي» [٦].

وكتب أحد أحفاد الشهيد ـ أعني الشيخ شرف‌الدين محمّد مكّي من علماء القرن الثاني عشر (كان حيّاً ١١٨٦) [٧] ـ اسمه ونسبه هكذا:

أفقر الطلبة إلى ربّه المجيد شرف‌الدين محمّد مكّي بن محمّد بن شمس بن الحسن بن زين‌الدين من سلالة الشريف أبي عبدالله الشريف محمّد بن جمال الدين مكّي بن محمّد بن أحمد بن حامد بن طيّ المطَّلبي الحارثي الهمداني الخزرجي العاملي الحانيني الجزّيني (سنة ١١٦٩).

المطَّلبي: المطَّلب أخوهاشم بن عبدمناف جدّ الرسول صلى الله عليه وآله.

الحارثي: منسوب إلى الحارث الهمداني المخاطب بـ«يا حار همدان».

الخزرجي: نسبة إلى سعد بن عبادة الأنصاري من عظماء العرب والصحابة.

حانين: اسم بلدةٍ من جبل عامل وبلاد الشام [٨].

... السعيد الشهيد محمّد بن مكّي بن أحمد بن حامد بن طيّ الأسدي القرشي الحارثي الهمداني الخزرجي الحانيني الجِزّيني، بتاريخ ١١٦٥ [٩].

---

١. مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي قدس سره، المرقّمة ٣١١٢، الورقة ٢٥٧ ألف.
٢. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٨٦.
٣. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص٨.
٤. الورقة الأخيرة من إيضاح الفوائد بخطّ الشهيد، المحفوظة في المكتبة المركزية لجامعة طهران، برقم ٧٠٦.
٥. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص٢٠٧؛ الأربعون حديثاً، ص١.
٦. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٨٢، ١٨٥.
٧. سفينة شرف الدين محمّد مكّي، المحفوظة في مكتبة آية الله المرعشي، برقم ١٢٣٨٦، الورقة ١ ب.
٨. پيامبران وخمسهٔ طيّبه، ج ١، ص٥٩٦ ـ ٥٩٧؛ وانظر أيضاً ج ٢، ص ١٣٥٣؛ گنجينهٔ خطوط، ج ١، ص ٦٠٨.
٩. مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي قدس سره، برقم ٣٥١٥، الورقة ١، ذكرت في فهرسها، ج ٩، ص ٣١٢ ـ ٣١٣.

وعلى هذا فالظاهر أنّ النسب الكامل للشهيد هكذا: «شمس الدين أبو عبدالله محمّد ابن جمال الدين أبو محمّد مكّي بن محمّد بن أحمد بن حامد بن طيّ»[١] وبما أنّ حذف بعض الأسماء من سلسلة النسب أمرٌ عاديٌّ جدّاً فالظاهر هو صحّة جميع هذه التعابير، أعني[٢]:

١. محمّد بن مكّي [ابن محمّد بن أحمد] بن حامد؛

٢. محمّد [بن مكّي] بن محمّد [بن أحمد] بن حامد؛

٣. محمّد [بن مكّي بن محمّد] بن أحمد بن حامد؛

واعلم أنّ نُسخ إجازة الشهيد لابن الخازن مختلفة ففي آخر بعضها ـ كما تقدّم ـ: «محمّد بن محمّد بن حامد ابن مكّي»، وأيضاً ورد في وثيقة بنت الشهيد ـ وسيأتي نصُّها في الفصل التاسع من هذا الباب ـ: «شمس الدين محمّد بن أحمد بن حامد ابن مكّي» ففي هذين التعبيرين كلمة «ابن مكّي» وصف لـ«شمس الدين محمّد» أعني نفس الشهيد المذكور أوّلاً، لا لـ«حامد»؛ ـ ويلزم إثبات الف «ابن» في أمثال هذه المواضع ـ[٣]؛ لأنّ الشهيد كان معروفاً بـ«ابن مكّي» وأُطْلِقَ عليه هذا التعبير مراراً[٤]. فعلى هذا يجمع بين جميع تلك التعابير الواردة في اسمه ونسبه ولاتهافت بينها، ويصحّ أيضاً إطلاق «محمّد بن محمّد ابنُ مكّي» على الشهيد، كما فعله الطهرانيﷺ في مواضع[٥].

ثمّ اعلم أنّه ورد في أوّل مختصر نسيم السحر: «الشريف شمس الدين محمّد بن مكّي شرف الدين بن حامد بن محمّد بن طه بن عليّ المطلبي العاملي الجزّيني» والظاهر أنّ «طه» مصحَّف «طيّ»، ولم يرد في سائر المصادر في عمود نسب الشهيد اسم «طه». فهذا يُعَدّ من أخطاء كاتب نسيم السحر، كسائر أخطائه.

---

١. وفي حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٣٦: «جدّ الشهيد الأعلى الشيخ أحمد بن طيّ».

٢. وضعنا الأسماء المحذوفة من سلسلة النسب بين المعقوفات.

٣. انظر، الكافي، ط. الجديدة، ج ١، ص ٥ ـ ٦، المدخل.

٤. منها في كلام ابن قاضي شُهبة ـ كما سيأتي في الفصل العاشر من هذا الباب ـ ومنها في نسخة الجباعي من الصحيفة ـ كما سيأتي في الفصل الرابع من الباب الثالث ـ ومنها في مجموعة الجباعي، الورقة ١٧٨ ب، ومنها ما سيأتي في الفصل الرابع من الباب الثالث ذيل «فهرست منتجب الدين».

٥. منها: الذريعة، ج ٢، ص ٣٧٧؛ وج ٣، ص ١٢؛ وج ٧، ص ٢١٤.

وقال الشيخ آقا بزرگ الطهراني:

محمّد بن مكّي بن محمّد بن حامد. هو الشيخ السعيد شمس الدين أبو عبدالله محمّد بن جمال الدين مكّي بن محمّد بن حامد بن أحمد النبطي العاملي [١].

و تبعه بعضهم فقالوا:

محمّد بن مكّي بن محمّد بن حامد بن أحمد بن المطلّبي، شمس الدين أبو عبدالله العاملي الجزّيني، النبطيّ الأصل، المعروف بالشهيد الأوّل [٢].

و«النبطي» في كلامه لعلّه تصحيف عن «بن طيّ» فإنّه لم يرد في المصادر المعتمدة القديمة وصف الشهيد بـ«النبطي» و «النباطي» نسبةً إلى «نبطية» في جبل عامل [٣].

ثمّ اعلم أنّ الشيخ آقا بزرگ الطهراني ذكر الشهيدَ في مواضع باسم «محمّد بن محمّد بن مكّي» [٤]. وكما تقدّم فإنّ هذا الإطلاق صحيح، وعليه فلا اعتراض يذكر على ما كتبه الطهراني؛ ولكنّ العلّامة السيّد عبدالله شرف‌الدين (حفظه الله سبحانه ورعاه) أشكل مرّاتٍ عديدةٍ على الشيخ الطهراني وكتب:

ـ والعجب من تعبيره عن الشهيد بمحمّد بن محمّد؛ فمن البديهيات الواضحة أنّه محمّد بن مكّي [٥].

ـ هذا سهو عجيب منه (عليه الرحمة)؛ فالشهيد هو محمّد بن مكّي، ومحمّد هو ولده [٦].

وظهر ممّا سبق أنّ هذا الإيراد غير وارد؛ فإنّ ولد الشهيد أيضاً كتب نسب والده هكذا: «محمّد بن محمّد بن حامد» [٧].

* * *

كان والد الشهيد جمال‌الدين مكّي (كان حيّاً ٧٢٨) من علماء عصره، وكان من تلامذة

---

١. الحقائق الراهنة، ص ٢٠٥؛ وانظر الشهيد الأوّل محمّد بن مكّي العاملي في المصادر العربية، ص ٦٨، ٩٤، ١٠٨، ١٣٢، ١٥٦، ١٦٠؛ شناختنامهٔ شهيدين، ص ٦٥.

٢. طبقات الفقهاء، ج ٨، ص ٢٣١.

٣. وانظر حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٢٥ حيث قال: «... ولعلّها تحريف عن كلمة المطّلبي...».

٤. الذريعة، ج ٢، ص ٣٧٧؛ و ج ٣، ص ١٢؛ وج ٧، ص ٢١٤.

٥. مع موسوعات رجال الشيعة، ج ١، ص ٣٣.

٦. مع موسوعات رجال الشيعة، ج ١، ص ٣٧.

٧. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٦.

الشيخ العلّامة الفاضل نجم‌الدين طومان بن أحمد العاملي المناري [١]. وإليك نصّ كلام الشهيد بهذا الشأن الذي نقله عنه صاحب المعالم في إجازته الكبيرة:

... وقد كان والدي جمال‌الدين أبو محمّد مكّي رحمه الله من تلامذة المجاز له الشيخ العلّامة الفاضل نجم‌الدين طومان [٢]، والمتردِّدين إليه إلى حين سفره إلى الحجاز الشريف ووفاته بطَيْبَةَ في نحوسنة ثمان وعشرين وسبعمائة أوما قاربها (رحمة الله عليهم أجمعين) [٣].

ولم ترد معلومة أُخرى عن حياة والد الشهيد إلّا هذه العبارة التي أوردناها، وهي منقولة عن خطّ الشهيد نفسه.

قال الشيخ جعفر المهاجر (حفظه الله تعالى ورعاه):

قرأ أبو محمّد في وطنه على طومان بن أحمد المناري، حتّى قُبيل وفاة هذا الأخير في السنة ٧٢٨. وقد رجّحنا أنّ قراءته عليه كانت في قرية الشيخ، أي في المنارة.

بعد وفاة شيخه الأوّل شخُص إلى الحلّة. وهناك قرأ على فخرالدين محمّد بن الحسن بن المُطهّر الحلّي، الشهير بلقب فخر المحقّقين (م ٧٧١). وهو شيخ ابنه الشهيد أيضاً.

فيما خلا ذلك فإنّنا لا نعرف عنه ما يُذكَر. لا أعماله ولا مؤلَّفاته، إن كانت له مؤلفات ولا حتّى مكان وتاريخ وفاته.

يصف الحرّ أبا محمّد بأنّه «كان من فضلاء المشايخ في زمانه، ومن أجلّاء مشايخ الإجازة» [٤]. لكنّنا بعد البحث والتدقيق في مُختلف المظانّ لم نعثر له على ذكر في كلّ ما تحت يدنا من نصوص الإجازات. ولا شكّ أنّ الحرّ قد استند فيما قاله إلى معلومات لم تصل إلينا [٥].

أقول: قوله: «بعد وفاة شيخه الأوّل شخص إلى الحلّة» لا دليل عليه إطلاقاً ولا مستند، ومن المحتمل أنّه لم يذهب إلى الحلّة أبداً. والظاهر أنّه توفِّي في زمن صغر الشهيد كما

---

١. نسبة إلى قرية المنارة في جبل عامل والتي هي اليوم ضمن القرى السبع التي ضمّتها إسرائيل عام ١٩٤٨م (راجع العرفان، المجلّد ٨٠، العددين ٣ ـ ٤، ص ٩٨).

٢. قال صاحب المعالم في هامش إجازته: «وجدت بخطّ الشهيد رحمه الله في غير موضعٍ: طومان...» (بحارالأنوار، ج ١٠٩، ص ١٧، الهامش).

٣. بحارالأنوار، ج ١٠٩، ص ٢٠.

٤. أمل الآمل، ج ١، ص ٤٨٦.

٥. جبل عامل بين الشهيدين، ص ٧٧.

استظهره الطهراني حيث قال: «... من عدم روايته من والده مع كثرة مشايخه يظهر أنّه ما أدرك والده كبيراً، وأنّه توفّيَ في صغر الشهيد» [١].

وقال السيّد حسن الأمين رحمه الله:

إنّ الذين ترجموا للشهيد الأوّل ذكروا أنّه ابن الشيخ جمال الدين مكّي ابن الشيخ شمس الدين محمّد بن حامد. فقد وصف كلّ من أبيه وجدّه بالشيخ، ولقِّب الأوّل بجمال الدين والثاني بشمس الدين، ولم يوصف أبوجدّه ولم يلقَّب. ولنا أن نستدلّ بذلك على أنّهما كانا من أهل العلم ممّا لم يكنه أبوجدّه، وإلّا لما وصفا ولقِّبا على عادة أهل العلم، ولم يوصف ولم يلقب أبو الجدّ.

وقد رأينا أنّ والد الشهيد هو تلميذ الشيخ طومان الذي عاش في الاحتلال [الصليبي]، فيكون جدّ الشهيد قد درس في جبل عامل خلال الاحتلال ... .

إنّ من أهمّ النواقص في سيرة محمّد بن مكّي أنّ أحداً ممّن كتبوا عنه لم يعرض للكتابة عن أبيه في تفصيل، ومن هنا فإنّ ثغرة كبيرة تعترضنا ونحن نسعى لجمع شتات سيرته. وذكر في أعيان الشيعة أنّ والده كان من أفاضل العلماء وأجلّاء مشايخ الإجازة. فما هي التفاصيل عن مكّي هذا؟ ... بل أكثر من ذلك من هي الأُسرة التي تسلسل منها ونشأ فيها؟ ...

وكلّ ما نعرفه أنّ أباه يحمل، إلى جانب اسمه، لقبين: هما: «الشيخ» و«جمال الدين»، وفي هذا ما يعني أنّ أباه كان معدوداً من رجال العلم كما ذكر في أعيان الشيعة.

وكذلك جدّه لأبيه الذي ذكر اسمه «محمّد» مقروناً باللقبين العلميين: «الشيخ» و«شمس الدين». ثمّ تنقطع الألقاب العلمية في اسم أبي جدّه وما بعده من آباء، فيذكر واحد باسم «حامد» وآخر باسم «أحمد» غير مقرونين بأيّ لقب علمي ... .

وهكذا فإنّ لنا أن نستنتج بأنّ الحياة العلمية لأُسرة الشهيد محمّد بن مكّي تبدأ بجدّه محمّد [٢].

كان أصل الشهيد ـ بلاشكّ ـ من جِزّين [٣] من قرى جبل عامل، كما صرّح بذلك معاصره

---

١. الحقائق الراهنة، ص ٢١٩.

٢. الشهيد الأوّل، ص ٥٩، ٨٢ ـ ٨٣؛ وانظر مستدركات أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٣٧٢.

٣. جِزّين بوزن سكّين. قال العلّامة الأميني في شهداء الفضيلة، ص ٨٠: «جزّين... كانت شيعية لا يوجد فيها بيت لغير الشيعة، ومنذ سبعين سنة عادتْ نصرانية، لا يوجد فيها اليوم بيت إسلامي أزيد من واحدٍ أو اثنين». وقال ←

شمس الدين الجزري [١]. وعلى هذا فإنّ وصف ابن فهد المكّي وابن حجر العسقلاني وابن العماد الحنبلي للشهيد بـ«العراقي» [٢] غير صحيحٍ؛ أوباعتبار أنّه قد درس في العراق.

قال الشيخ محمّد رضا شمس الدين:

وفي جزّين مسجد يُعرف بمسجد الإمام الشهيد الأوّل، وقد حُوِّل حديثاً إلى كنيسةٍ [٣].

ومن الأثريات القديمة في جزّين الموجودة حتّى اليوم مقام ـ أو دار ـ الإمام الشهيد الأوّل، وقد حُوِّلَ إلى الطريق ووضع محلّه صخرة [٤].

* * *

وقال شرف الدين محمّد مكّي حفيد الشهيد بشأن أُمّ الشهيد:

ـ أُمّه بنت السيّد محمّد بن مُعَيّة، صاحب المسجد على رأس النبع في جِزّين، وهو مسجد حسن حسن [٥].

ـ أُمّ الشهيد قدس سره بنت السيّد محمّد بن مُعَيَّة، الذي بنى المسجد على رأس النبع في جِزّين، ثمّ بعد ذلك بنى الشهيد على رأس النبع قرب المسجد للغرب. بينهما قدر مائتي ذراع وكتب أفقر الورى سنة ١١٨٦ [٦].

ـ الشهيد مطّلبي الأب رأيت بخطّه و خطّ غيره، وأُمّه حسنية [٧].

← الشيخ محمّد رضا شمس الدين في حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٣٥: «تقع جزّين في الجنوب من جبل لبنان، تحدّها شرقاً مشغرة، وشمالاً قضاء الشوف، وغرباً إقليم جزّين، وجنوباً قرية كفرحونة... وكانت منذ عهد قريب كلّ أهلها مسلمين، أمّا اليوم فمن النصارى المارونيين حتّى حدّثني سماحة سيِّدي الوالد العلّامة الشيخ زين العابدين شمس الدين أنّه سافر إليها في صغره مع والده لتسلم نتيجة أوقاف له فيها ولا أثر لها اليوم، وفيها مسجد خراب ينسب للشهيد انقلب إلى كنيسة، ومقام للشهيد حُوِّلَ إلى طريق ووضع محلّه صخرة علامة عليه، ولمّا ذهب أخي الخطيب الشيخ نجيب لأخذ صور لهما قال له خوري مقيم هناك بما يدلّ على تقديس النصارىٰ هناك لمقام الشهيد والتبرّك به».

١. غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥.

٢. لحظ الألحاظ، ص ١٦٨؛ إنباء الغمر، ج ٢، ص ١٨١؛ شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٩٤.

٣. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٧.

٤. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٦.

٥. سفينة شرف الدين محمّد مكّي، الورقة ١٢.

٦. سفينة شرف الدين محمّد مكّي، الورقة ١٨٤، وانظر الورقة ١٨٥.

٧. سفينة شرف الدين محمّد مكّي، الورقة ١٨٥.

الفصل الثالث

مولده ونشأته

الظاهر أنّ الشهيد ولد في جزّين [1]، ورحل لتحصيل العلوم إلى العراق، كما صرّح برحلته إلى العراق معاصره شمس‌الدين الجزري [2].

أمّا تاريخ ولادته فقد قال العلّامة السيّد حسن الصدر: «تولّدﷺ سنة أربع وثلاثين وتسعمائة [كذا، والصواب: سبعمائة] بلاخلاف» [3]. وقال الشيخ محمّد رضا شمس الدين: «وُلِدَ باتّفاق المؤرّخين سنة ٧٣٤ للهجرة النبوية» [4]. ولكن لم يتعرّض لتاريخ ولادته أحدٌ من علماء السنّة [5] المترجمين له، وكثيرٌ من أصحاب التراجم من الخاصّة، منهم: القاضي نورالله التستري والتفرشي والأردبيلي والشيخ الحرّ العاملي والبحراني وصاحب الروضات؛ وكذلك لم يتعرّض أحدٌ منهم ـ أعني المذكورين من الخاصّة والعامّة ـ لمدّة عمره حين استشهاده. ومَن ذكر ولادته في سنة ٧٣٤ إنّما تبع صاحب الرياض. والدليل الوحيد لولادته عام ٧٣٤ هو ما نقله الشهيد الثاني بخطّه الشريف ـ عن أبي طالب محمّد ولد الشهيد ـ في الورقة ١٢٠ ب من نسخة الأصل لكتابه الفوائد المليّة، المحفوظة الآن في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١) برقم ٨١٧٢، ـ ونُقِلَ عنها في بعض نسخ الفوائد المليّة، منها مخطوطة مكتبة المحقّق العلّامة السيّد الروضاتي

---

١. انظر حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٣١.
٢. غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥.
٣. تكملة أمل الآمل، ص ٣٦٥.
٤. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٣٧.
٥. سوى الجزري، ويأتي كلامه، وهو لم يذكر عام ٧٣٤.

في إصفهان، ومنها مخطوطة المدرسة الباقرية في مشهد المقدّسة برقم ٢١٣ ـ فقد جاء فيها:

... وجدت بخطّ الشيخ أبي طالب محمّد، ولد المصنّف الشهيد ﷺ ـ على ظهر نسخة من أصل الذكرى ـ ما صورته: «ولد المصنّفُ ﷺ سنة أربع وثلاثين وسبعمائة، وقتل مظلوماً شهيداً برحبة القلعة في سوق الجمال يوم الخميس تاسع شهر جمادى الأُولى عام ستّة وثمانين وسبعمائة، بعد أنْ سُجِنَ عاماً إلّا أيّاماً يسيرةً في القلعة، ونقل فيها إلى ثلاثة أبرج وكان سجنه في أواخر جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين»[١].

اعتمد على هذا النقل صاحب الرياض وقال:

قيل: وجد بخطّ الشيخ الشهيد الثاني أنّه وُجِدَ بخطّ رضي الدين أبي طالب ولد الشهيد أنّه وجد بخطّ والده [كذا] على ظهر الذكرى: «أنّ والده الشهيد ولد في شهور سنة أربع وثلاثين وسبعمائة، وقتل برحبة القلعة في سوق الجمال بدمشق يوم الخميس سبع عشر [كذا] جمادى الأُولى سنة ستّ وثمانين وسبعمائة بعد أن سجن عاماً إلّا أيّاماً يسيرة ونقل فيها إلى ثلاثة بروج»[٢].

والمصدر الوحيد لتاريخ ولادة الشهيد هو هذا الكلام، والظاهر أنّ المحدّث النوري والعلّامة السيّد الأمين والشيخ آقا بزرگ الطهراني والعلّامة الأميني والمحدّث القمّي وغيرهم اعتمدوا عليه، حيث ذكروا ولادة الشهيد عام ٧٣٤[٣].

واعتماداً على هذا التاريخ ذُكِرَ في الكثير من كتب التراجم أنّ فخرالدين أجاز الشهيد عام ٧٥١، عندما كان الشهيد ابن سبعة عشر ربيعاً؛ أو أنّ الشهيد هاجر إلى العراق عندما كان ابن ستّة عشر ربيعاً عام ٧٥٠. وعلى هذا كرَّرَتْ كتب التراجم أنّ شهادة الشهيد كانت في عام ٧٨٦ عندما كان في الثانية والخمسين من عمره الشريف.

---

١. نسخة الأصل من الفوائد المليّة، الورقة ١٢٠؛ وانظر مجلّة تراثنا، العدد ٢٣، ص١٠٦، «فهرس مخطوطات المدرسة الباقرية». وفي أوّل مخطوطة مكتبة العلّامة الروضاتي الخاصّة في إصفهان: «وجدتُ بخطّ الشارح (أدام الله أيّامه) ما صورته: وجدت بخطّ الشيخ رضي الدين...».

٢. تعليقة أمل الآمل، ص ٨٠؛ رياض العلماء، ج ٥، ص ١٨٩.

٣. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٣، ص٤٣٧؛ أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٥٩؛ الحقائق الراهنة، ص ٢٠٥؛ شهداء الفضيلة، ص ٨٢؛ الفوائد الرضوية، ص ٦٤٥؛ الشهيد الأوّل، ص ٨١ ـ ٨٤.

ولكن لايسعنا التعويل كثيراً على التاريخ المذكور لولادة الشهيد في كتب التراجم ـ أعني عام ٧٣٤ ـ ولايمكننا عدّه تاريخاً صحيحاً، وذلك للأسباب التالية:

١. كتب الشهيد الثاني بعد ما نقل التاريخ المذكور في ولادة الشهيد عن ولده:

قلت: عندي في تاريخ مولده﵀ على الوجه الذي ذكره ولده﵀ نظرٌ بيّن من وجوه كثيرة، يحتاج إلى بيان طويل والله أعلم [١].

٢. إنّ شمس‌الدين الجزري (م ٨٣٣) معاصر الشهيد ـ الذي صحبه الشهيد مدّةً مديدةً وطلب من الشهيد أن يترجِمَ لنفسه ـ يقول في ترجمة الشهيد:

وُلِدَ بعد العشرين و سبعمائة، و رحل إلى العراق و أخذ عن ابن المطهَّر وغيره و... [٢].

٣. إنّ فخر المحقِّقين أجاز الشهيدَ في شوّال عام ٧٥٦ بالحلّة، ووصفه بقوله:

مولانا الإمام العلّامة الأعظم، أفضل علماء العالم، سيّد فضلاء بني آدم، مولانا شمس الحقّ والدين، محمّد بن مكّي بن محمّد بن حامد (أدام الله أيّامه) [٣].

وكذلك شمس الأئمّة الكرماني الشافعي أجاز الشهيد في جمادى الأُولى عام ٧٥٨، ووصفه بقوله:

المولى الأعظم الأعلم، إمام الأئمّة، صاحب الفضلين، مجمع المناقب والكمالات الفاخرة، جامع علوم الدنيا والآخرة، شمس الملّة والدين ... [٤].

فإن كان الشهيد قد وُلِدَ عام ٧٣٤ فقد كان ابن اثنين وعشرين ربيعاً عندما أجازه فخرالدين في عام ٧٥٦، وابن أربع وعشرين ربيعاً عندما أجازه شمس الأئمّة الكرماني. ومع الاعتراف بنبوغ الشهيد وتقدّمه العلمي، من المستبعد أن يطلقَ فخرالدين والكرماني مثل هذه التعابير والنعوتِ في وصف الشهيد جزافاً حينما كان ابن اثنين أو أربع وعشرين عاماً ـ خذ على سبيل المثال: «أفضل علماء العالم» ـ في حين أنّ الفيروزآبادي مؤلّف

---

١. ولعلّ نظره الشريف هذه الوجوه التي نذكرها هنا.
٢. غاية النهاية، ج٢، ص٢٦٥ ويأتي نصّ كلامه بكامله في الفصل العاشر من هذا الباب، فراجع.
٣. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٧٨؛ وانظر الأربعون حديثاً، ص١٢، ح٢١.
٤. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٨٣.

القاموس المحيط وصف ـ في إجازةٍ له ـ فخر المحقّقين في عام ٧٥٧ بقوله:

... شيخي ومولاي، علّامة الدنيا، بحرالعلوم وطود العلى، فخرالدين أبي طالب محمّد ابن الشيخ الإمام الأعظم، برهان علماء الأُمم... [١].

وعلى هذا ـ مع ما نعلم من نبوغه وتقدّمه العلمي حتّى في صغر سنّه ـ فإنّ فخرالدين لم يكن في ذلك التاريخ عالماً صغيراً ليس بذي شأن؛ هذا من جهة، ومن جهة أُخرى فإنّ الألقاب التي أطْلَقَ في مدح الشهيد لم تكن اعتباطاً. ومن المستبعد جدّاً وصفه للشهيد بتلك الأوصاف حينما كان في الثانية والعشرين مِن عمره الشريف.

أضف إلى ذلك أنّه أجاز الشهيد أيضاً ـ قبل ذلك التاريخ ـ في داره بالحلّة آخر نهار العشرين من شعبان عام ٧٥١[٢]، وأجازه السيّد عميدالدين في هذه السنة [٣]، حين كان الشهيد ابن سبعة عشر ربيعاً على فرض ولادته عام ٧٣٤.

٤. أجاز للشهيد قاضي قضاة الديار المصرية عزّالدين عبدالعزيز بن جماعة ـ الذي وصفه الشهيد بـ«مولانا الأعظم» ـ في الثاني والعشرين من ذي الحجّه سنة ٧٥٤ بطَيْبة مدينة الرسول (على ساكنها أفضل الصلاة والسلام) إجازةً عامّةً بجميع معقوله ومنقوله [٤].

ومن المستبعد جدّاً مثل هذه الإجازة من مثل هذا العالم الكبير لشابٍّ ابن عشرين سنة، على فرض ولادته عام ٧٣٤.

٥. أجاز الشهيد لعددٍ كثيرٍ من العلماء عام ٧٥٧ بالحلّة، بعد ما قرؤوا عليه علل الشرائع ـ كما يأتي في البحث عن تلامذة الشهيد ـ وكانت الحلّة في ذلك التاريخ مشحونةً بالعلماء الأكابر والمحقّقين الفطاحل من تلامذة العلّامة الحلّي. ومن المستبعد قراءة عدّة من العلماء على شابّ عمره أربع وعشرون سنة واستجازتهم منه، مع وجود هؤلاء الأعاظم في الحلّة.

٦. كتب الشهيد قسماً من مجموعته بالمدينة المشرّفة سنة خمسين وسبعمائة، كما

---

١. الحقائق الراهنة، ص ١٨٥ ـ ١٨٦.
٢. الأربعون حديثاً، ص ٢٠، ح ١.
٣. الأربعون حديثاً، ص ٢٥، ح ٣٧.
٤. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٧٠ ـ ٧٢، الإجازة الكبيرة لصاحب المعالم. وانظر مايأتي في الفصل السابع من هذا الباب: «ب) أساتذته و مشايخه من علماء السنّة».

حكاه عنه الجباعي في مجموعته [١]؛ أي حين كان ابن ستّة عشر ربيعاً، على فرض ولادته عام ٧٣٤. وهذا مستبعد كما لايخفى؛ فإنّه كما قال السيّد حسن الأمين﵀:

... لم يكن يومذاك من السهل على من هو في مثل سنّه أنْ يمضي من جبل عـامل إلى مختلف البلدان، بل إنّ من هو في تلك السنّ في حاجةٍ إلى الرعاية البيتية [٢].

وقال الشيخ جعفر المهاجر (حفظه الله):

يقول السيّد حسن الصدر...: «هاجَرَ إلى العراق سنة [سبعمائة و] خمسين وهو ابن ستّ عشرة سنة» [٣] ... لكن هجرته وهو ابن ستّ عشرة سنة يبدو أمراً غير مألوف في ذلك الزمان... [٤].

ومن جهة أُخرىٰ نعلم قطعاً أنّ الشهيد هاجر إلى العـراق بـهدف الدراسـة [٥]، ولم يكـن العراق مسقط رأسه، وقد كان مشتغلاً بتحصيل العلوم في العـراق عـام ٧٥١ عـند تـلامذة العلّامة الحلّي.

* * *

هذا، وقال بعض المعاصرين للتدليل على عدم ولادة الشهيد عام ٧٣٤:

وتوفِّيَ والده سنة ٧٢٨، أمّا ما يذكره السيّد حسن الصدر من أنّه «تولّد سنة ٧٣٤ بـلا خلاف» [٦] فهو أمر غير معقول، بالقياس إلى تاريخ وفاة والده [٧].

أقول: تاريخ وفاة والد الشهيد لا يعلم جزماً، والظاهر أنّ هذا القائل اعتمد ـ في قـوله هذا ـ على كلام الشهيد حيث يقول:

... وقد كان والدي جمال‌الدين أبو محمّد مكّي﵀ من تلامذة المجاز له الشيخ العلّامة

١. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٥ ألف.
٢. الشهيد الأوّل، ص ٨٢.
٣. تكملة أمل الآمل، ص ٣٦٥.
٤. الهجرة العاملية إلى إيران، ص ٨٦.
٥. غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥.
٦. تكملة أمل الآمل، ص ٣٦٥.
٧. الهجرة العاملية إلى إيران، ص ٨٦.

الفاضل نجم‌الدين طومان والمتردِّدين إليه إلى حين سفره إلى الحجاز الشريف ووفاته بِـطَيْبَة فـي نـحوسنة ثـمان وعشـرين وسـبعمائة أومـا قـاربها (رحـمة اللـه عـليهم أجمعين) ... [١].

والظاهر أنّ مرجع الضمير في كلام الشهيد: «سفره» و«وفاته بـطَيْبَة» هـو نـجم‌الديـن طومان لا والد الشهيد، كما فهمه العلّامة السيّد محسن الأمين [٢] والشيخ آقا بزرگ الطهراني [٣] والسيّد حسن الأمين [٤]. ولا أقلّ من احتمال ذلك. نعم يستفاد من هذا الكلام أنّ والد الشهيد كان حيّاً حتّى عام ٧٢٨. قال الطهراني (طاب ثراه):

... من تاريخ ولادة الشهيد ٧٣٤، وتاريخ إجازة فخر المحقِّقين له ـ وعمره سبع عشرة سنة ـ ومن عدم روايته من والده مع كثرة مشايخه، يظهر أنّه ما أدرك والده كبيراً، وأنّه تُوُفِّيَ في صغر الشهيد [٥].

* * *

وبناءً على ما مرّ فالظاهر أنّ الشهيد ولد حوالي عام ٧٢٤؛ ولا شكّ أنّ تاريخ ٧٣٤ خطأٌ، و تصحيف ٧٢٤ بـ ٧٣٤ والسهو فيهما ليس ببعيدٍ [٦]. وعلى هذا فإنّ الشـهيد حـين أجـازه فخرالدين وعميدالدين ـ أعني عام ٧٥١ ـ كان ابن حوالي سبع وعشرين سنة، وكان عمره حين شهادته عام ٧٨٦ حوالي اثنتين وستّين سنة.

---

١. بحارالأنوار، ج ١٠٩، ص ٢٠ـ٢١، الإجازة الكبيرة لصاحب المعالم (طاب ثراه).
٢. أعيان الشيعة، ج ٧، ص ٤٠٢.
٣. الحقائق الراهنة، ص ٢١٩.
٤. الشهيد الأوّل، ص ٥٨ ـ ٥٩: «من العلماء العامليّين الشيخ نجم الدين طـومان بـن أحـمد المـناري، والأخـبار الواصلة إلينا عن هذا العالم العاملي ليست كثيرة... فالذين ذكروه قالوا: إنّه توفّي سنة ٧٢٨».
٥. الحقائق الراهنة، ص ٢١٩.
٦. وانظر للمزيد جبل عامل بين الشهيدين، ص ١٠٩ ـ ١١١.

الفصل الرابع

السرد التاريخي لرحلاته وحياته العلمية

ليس هناك مقولة دقيقة بشأن الشهيد وأساتذته المفترضين قبل عام ٧٥١؛ فلا نعلم مستند ما قاله السيّد الصدر والسيّد الأمين حول هجرته إلى العراق سنة ٧٥٠[١]. وكذلك لا نعلم مستند ماقاله بعض المعاصرين من أنّه:

> دَرَسَ على والده الشيخ جمال‌الدين مكّي... وتلقّى عنه مبادئ‌العربية والفقه... وتَلْمَذَ كذلك في جزّين على الشيخ أسدالدين الصائغ الجِزّيني أبو زوجته وعمّ أبيه ... [٢].

نعم، قال السيّد الأمين في ترجمة الشيخ أسدالدين الصائغ العاملي الجزّيني:

> ذكره أحد أحفاده: الشيخ أسدالله الصائغ الحنوي العاملي [(م ١٢٨٥)][٣] في بعض تعليقاته ووصفه بـ«العلّامة المحقّق» وقال: «إنّه شيخ الشهيد الأوّل وعمّ أبيه وأبو زوجته» قال: «ولم يشتهر بين الفقهاء لغلبة العلوم الرياضية عليه» ... [٤].

ولا يمكن من خلال هذا النصّ الوصولُ إلى تاريخ تتلمذ الشهيد لدى الشيخ أسد الدين الصائغ ومحلّ ذلك.

وقال الشيخ جعفر المهاجر:

> ... السيّد الأمين، على عادته، لم يذكر المصدر الذي أخذ عنه. وقوله: «في بعض تعليقاته» لا يُغني. أضف إلى ذلك أن أسد الدين لم يُذكر، حتّى عرضاً، في أيّ مصدر آخَر

---

١. تكملة أمل الآمل، ص ٣٦٥؛ أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٥٩.
٢. الروضة البهيّة، ج ١، ص ٨٤ ـ ٨٥، المقدِّمة.
٣. ذُكِر وفاته في هذا العام في جبل عامل بين الشهيدين، ص ٧٨.
٤. أعيان الشيعة، ج ٣، ص ٢٨١.

نعرفه. وهذه مُلابسات من شأنها أن تُلقي ظلّاً كثيفاً من الشك على النقل، لولا ركوننا إلى صدق الحفيد الناقل. ولعلّه أخذه من تراث عائلي غير منشور. وما أكثر مثله عند البيوتات العامليّة العريقة. وعلى هذا فقد أثبتنا ما وجدناه، مشفوعاً بتحفظاتنا المنهجيّة عليه، لا لشيء إلّا لأنّها المصدر الوحيد [١].

وعلى أيّة حال، فإنّ المعلومات المتوفّرة من المصادر حول نشأة الشهيد ودراسته ورحلاته العلمية هي [٢]:

١. ولد حوالى ٧٢٤ [٣].

٢. كتب قسماً من مجموعته في سنة ٧٥٠ بالمدينة المشرّفة [٤].

٣. أجازه فخرالدين في آخر نهار العشرين من شعبان عام ٧٥١ بداره في الحلّة [٥].

٤. أجازه شمس الدين أبو عبدالله محمّد بن أحمد بن أبي المعالي الموسوي في الرابع والعشرين من شعبان عام ٧٥١ [٦].

٥. أجازه عميدالدين ابن أُخت العلّامة الحلّي وتلميذه في التاسع عشر من شهر رمضان عام ٧٥١ في الحضرة الحائرية المقدّسة [٧].

٦. أجازه عميد الدين أيضاً في سنة ٧٥٢ بعدما قرأ عليه الشهيد الجزء الأوّل من تذكرة الفقهاء بالحلّة [٨].

٧. أجازه جلال الدين أبو محمّد الحسن بن نما الحلّي في ربيع الآخِر عام ٧٥٢ بالحلّة [٩].

٨. أجازه تاج‌الدين ابن مُعَيَّة في الخامس عشر من شوّال عام ٧٥٣ بالحلّة [١٠].

---

١. جبل عامل بين الشهيدين، ص ٧٨.
٢. سنبحث بحثاً مستقلّاً فيما بعد حول أساتذة الشهيد ومشايخه في الرواية.
٣. انظر ما ذكرناه في الفصل الثالث من هذا الباب.
٤. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٥ ألف.
٥. الأربعون حديثاً، ص ٢، ح ٢، وانظر ص ٢٥، ح ٣٧ منه.
٦. أعيان الشيعة، ج ٩، ص ٧١.
٧. الأربعون حديثاً، ص ١، ح ١.
٨. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٤٥٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٤٠٠، ط. الجديدة، نقلاً عن مجموعة الجباعي.
٩. الأربعون حديثاً، ص ٣، ح ٣.
١٠. الأربعون حديثاً، ص ٤ ـ ٥، ح ٥.

٩. أجازه زين‌الدين أبوالحسن عليّ بن أحمد بن طرّاد المطارآباذي في السادس من ربيع الآخر عام ٧٥٤ بالحلّة[١].

١٠. قرأ على تاج‌الدين ابن مُعَيّة في السادس عشر من شعبان عام ٧٥٤ بالحلّة[٢].

١١. أجازه تاج‌الدين ابن مُعَيّة أيضاً في الحادي عشر من شوّال عام ٧٥٤[٣].

١٢. أجازه قاضي القضاة ابن جماعة في يوم السبت الثاني والعشرين من ذي الحجّة عام ٧٥٤ بطَيْبَة مدينة الرسول (على ساكنها أفضل الصلاة والسلام)[٤].

١٣. قرأ على فخرالدين في الثالث من جمادى الأُولى عام ٧٥٦ بداره في الحلّة[٥].

١٤. فرغ من نسخ الجزء الأوّل من إيضاح الفوائد في منتصف ليلة الثلاثاء لخمس مضتْ من شوّال عام ٧٥٦ بالحلّة[٦].

١٥. كتب إنهاء قراءة أنوار الملكوت في شرح الياقوت في ذي الحجّة سنة ٧٥٦[٧].

١٦. كتب إنهاء سماع علل الشرائع لبعض تلاميذه في الثاني و العشرين من رجب عام ٧٥٧ بالحلّة[٨].

١٧. أجازه فخرالدين في السادس من شوّال عام ٧٥٦ بداره في الحلّة[٩].

١٨. أجاز الشهيد في الثاني عشر من شعبان عام ٧٥٧ بالحلّة لجماعة من العلماء الذين قرؤوا عليه علل الشرائع للصدوق رحمه الله[١٠].

---

١. الأربعون حديثاً، ص٤، ح٤، ص٢٣، ح٣٠.

٢. الأربعون حديثاً، ص٨، ح١٠.

٣. مجموعة الجباعي، الورقة ١٩٧ ب؛ بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٨٢.

٤. بحارالأنوار، ج١٠٩، ص٧٠، الإجازة الكبيرة لصاحب المعالم.

٥. الأربعون حديثاً، ص٢٦، ح٣٩.

٦. مخطوطة إيضاح الفوائد ـ بخطّ الشهيد ـ المحفوظة في المكتبة المركزية لجامعة طهران، برقم ٧٠٦.

٧. مخطوطة أنوار الملكوت المحفوظة في المكتبة الرضوية برقم ٣٢، و النسخة المحفوظة في مكتبة الروضة الحسينية في كربلاء، كما في فرسها في مجلّة الذخائر، العدد ١، ص ٢٨٢. وانظر مايأتي في الفصل الرابع من الباب الثالث.

٨. مخطوطة علل الشرائع المحفوظة في مكتبة مدرسة الصدر بإصفهان، برقم ٩٥٢. وانظر مايأتي في الفصل الرابع من الباب الثالث، حول الموضوع.

٩. الأربعون حديثاً، ص١٢، ح٢١؛ بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٧٨.

١٠. الذريعة، ج١، ص٢٤٧؛ الحقائق الراهنة، ص٤. وسيأتي نصّ الإجازة في الفصل الثاني من الباب الثاني.

١٩. فرغ في منتصف ذي القعدة عام ٧٥٧ من تأليف الجزء الثاني من غاية المراد بالحلّة [١].

٢٠. أجازه شمس الأئمّة الكرماني في أوائل جمادى الأُولى عام ٧٥٨ بمنزله في مدينة بغداد [٢].

٢١. كتب مختصر أصل علاء بن رزين في آخر يوم الجمعة ثامن عشرى شهر رمضان سنة ٧٦٣ [٣].

٢٢. فرغ من تأليف المنسك الكبير في شوّال عام ٧٦٥ بالحلّة [٤].

٢٣. اتّفق في أُخريات شعبان عام ٧٦٦ اجتماعه بالقطب الرازي بدمشق [٥].

٢٤. فرغ من تأليف المقالة التكليفيّة هزيع ليلة السبت الحادية عشرة من جمادى الأُولى عام ٧٦٧ [٦].

٢٥. أجاز لتلميذه شمس الدين محمّد بن نجدة في العاشر من شهر رمضان عام ٧٧٠ [٧].

٢٦. فرغ من نسخ الصحيفة المباركة السجّادية من خطّ عليّ بن أحمد السديد في حادي عشر شعبان عام ٧٧٢ [٨].

٢٧. فرغ من تبييض الرسالة النفلية في ٢٣ جمادى الأُولى عام ٧٧٣ [٩].

٢٨. كتب إنهاء خلاصة الأقوال للعلّامة في شهر ربيع الآخر عام ٧٧٤ [١٠].

٢٩. فرغ من نسخ الصحيفة المباركة السجّادية مرّة ثانيةً من خطّ عليّ بن أحمد السديد عام ٧٧٦ [١١].

---

١. انظر مايأتي في الفصل الثاني من الباب الرابع.
٢. بحار الأنوار، ج١٠٧، ص١٨٤.
٣. خاتمة مستدرك الوسائل، ج٣، ص٣٠٧، ط. القديمة؛ وج ١٩، ص ١٠١، ط. الجديدة.
٤. رسائل الشهيد الأوّل، ص٢٣٧.
٥. مجموعة الجباعي، الورقة ٢٠٦ ب؛ بحارالأنوار، ج١٠٧، ص ١٤٠.
٦. رسائل الشهيد الأوّل، ص ٢٥، ١٢٩، وانظر مايأتي في الفصل الأوّل من الباب الثالث، ذيل المقالة التكليفيّة.
٧. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص٢٠١.
٨. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص٢١١؛ الأنوار الساطعة، ص١٠٠.
٩. نسخة الأصل من الفوائد المليّة، الورقة ١١٩ ب.
١٠. مخطوطة المكتبة المركزية لجامعة طهران المرقّمة ٥٣٨٥.
١١. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص٢١١؛ الأنوار الساطعة، ص١٠٠.

٣٠. فرغ من نسخ فهرست منتجب الدين في ٢٥ ربيع الآخِر عام ٧٧٦ بالحلّة [١].

٣١. فرغ من نسخ كتاب الأربعين لمنتجب الدين في الأوّل من جمادى الأُولىٰ عام ٧٧٦ بالحلّة [٢].

٣٢. أجاز لولديه ـ وله ظاهراً ـ السيّد تاج الدين ابن مُعَيّة في ٧٧٦ قبل موته بالحلّة [٣].

٣٣. شرع في تأليف الدروس الشرعيّة عام ٧٨٠ [٤].

٣٤. صَنَّفَ كتاب اللمعة الدمشقيّة عام ٧٨٢ بدمشق [٥].

٣٥. فرغ في يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من صفر عام ٧٨٤ من تأليف الجزء الأوّل من كتابه ذكرى الشيعة [٦].

٣٦. فرغ في آخر نهار الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلتْ من ربيع الآخر عام ٧٨٤ من تأليف الجزء الأوّل في كتابه الدروس الشرعيّة [٧].

٣٧. أجاز في الثاني عشر من شهر رمضان عام ٧٨٤ لتلميذه ابن الخازن الحائري في دمشق [٨].

٣٨. سجن في أواخر جمادى الآخرة عام ٧٨٥ في قلعة دمشق [٩].

٣٩. استشهدَ مظلوماً حريقاً بعده بالناريوم الخميس تاسع جمادى الأُولى عام ٧٨٦ بدمشق، بعد ما حُبسَ سنةً إلّا أيّاماً يسيرة [١٠]. (قدَّس الله نفسه الزكية).

* * *

١. مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي، المرقّمة ٣١١٢، الورقة ٢٥٧ ب.
٢. فهرست نسخه‌های خطی کتابخانهٔ مرکزی، ج ٥، ص ١٠٨١.
٣. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٢٠، ص ٣١٢.
٤. الذريعة، ج ٨، ص ١٤٥.
٥. الروضة البهيّة، ج ١، ص ٢٤.
٦. مخطوطة ذكرى الشيعة المحفوظة في المكتبة المركزية لجامعة طهران، برقم ١٩٠٦.
٧. الذريعة، ج ٨، ص ١٤٥.
٨. بحارالأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٢.
٩. كما صرّح به ولده ابوطالب محمّد، ونقله عنه الشهيد الثاني، كما سيأتي في بحث استشهاده في الفصل العاشر من هذا الباب.
١٠. سيأتي تفصيله في بحث استشهاده في الفصل العاشر من هذا الباب.

٤٠. وَهَبَتْ فاطمة ستّ المشايخ بنت الشهيد جميعَ ما يخصّها من تَرِكة أبيها في جزّين وغيرها أخَويْها أباطالب محمّداً وأباالقاسم عليّاً، في الثالث من شهر رمضان عام ٨٢٣، وقد عَوَّضا عليها كتبَ التهذيب و المصباح، والفقيه، والذكرى، والقرآن المذهّب المعروف بهديّة عليّ بن مؤيَّد [١].

٤١. توفّيتْ ستّ المشايخ بنت الشهيد عام ٨٢٩.

٤٢. توّفي الشيخ أبوطالب محمّد ولد الشهيد ظهر الجمعة سادس عشر شهر صفر عام ٨٥٠ ظاهراً.

٤٣. توفّيتْ روجة الشهيد والدة ضياء الدين عليّ في قرية جبع في رجب عام ٨٣٦، وكان لها من العمر ٩٣ سنة، وبينها وبين وفاة الشهيد مدّة خمسين سنة وثلاثة أشهر.

٤٤. توفّي الشيخ ضياءالدين عليّ ولد شيخنا الشهيد في نهار الأربعاء عشرين من شعبان سنة ٨٥٦ [٢].

* * *

واعلم أنّ السيّد الصدر والسيّد الأمين قالا في ترجمة الشهيد:

> هاجر إلى العراق سنة ٧٥٠، وهو ابن ستّ عشرة سنة... ومدّة بقائه في العراق خمس سنين، فرجع إلى بلاده وهو ابن إحدى وعشرين [٣].

ولاندري ما هو مستنده، وليس في المصادر إشارة إلى سفر الشهيد إلى تاريخ العراق و كذا تاريخ رجوعه إلى بلاده، أضف إلى ذلك أنّه يظهر عدم صحّته ممّا تقدّم آنفاً؛ فإنّه كان في الحلّة في السنوات: ٧٥١ ـ ٧٥٤، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٧٦. نعم، كان الشهيد في أواخر عمره مقيماً بجزّين، كما يظهر ممّا قاله ابن قاضي شهبة [٤].

* * *

١. انظر في الفصل التاسع من هذا الباب وثيقة ستّ المشايخ.
٢. التواريخ الأربعة الأخيرة نقلها الشهيد الثاني في نسخة الأصل لكتابه الفوائد المليّة، وانظر ما يأتي في الفصل التاسع من هذا الباب.
٣. تكملة أمل الآمل، ص ٣٦٥؛ أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٥٩؛ الشهيد الأوّل، ص ٨٢، ٨٦.
٤. تاريخ ابن قاضي شُهْبَة، ج ١، ص ١٣٤.

واعلم أنّ كثيراً من مترجمي الشهيد من المتأخّرين ذكروا أنّ الشهيد سافر إلى مصر. وهذا خطأٌ ولا دليل عليه. ويأتي الكلام حوله في الفصل السابع من هذا الباب فراجع.

* * *

ثمّ اعلم أنّ الشهيد يقول في قصيدته الفزعية عندما حُبس في قلعة دمشق ـ في السنة الأخيرة من عمره الشريف ـ خطاباً لبيدمر:

في كُلّ عامٍ لنا حجٌّ وكان لَنا في خدمة النجل في ذي العام مختصر [1]

وقال في كتاب الحجّ من كتابه الدروس الشرعيّة: «رزقنا الله تعالى العودَ إلى بيته الحرام وتكراره في كلِّ عام بمنّه وكرمه» [2].

وهذا يدلّ على أنّه سافر إلى مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة مرّاتٍ عديدة، منها ما نقطع به وهي في الأعوام: ٧٥٠، ٧٥٤، ٧٨٤، كما ظهر ممّا سبق في هذا الفصل.

---

١. انظر الفصل الثالث من الباب الثالث.

٢. الدروس الشرعيّة، ج ١، ص ٣٨٥ (ضمن الموسوعة، ج ٩).

الفصل الخامس

الثناء عليه

لقد وُصِفَ الشهيد من قبل أساتذته ومشايخه وتلامذته ومن خلفهم من علماء الإسلام بأفضل النعوت والعبارات وأبلغها، وفي هذا دلالة على شخصيته العلمية الراقية. وإليكم جانباً من حديث كبار العلماء في وصف الشهيد:

قال شيخه فخرالدين في إجازته له عام ٧٥٦ في وصفه:

> مولانا الإمام العلّامة الأعظم، أفضل علماء العالم، سيّد فضلاء بني آدم، مولانا شمس الحقّ والدين محمّد بن مكّي بن محمّد بن حامد (أدام الله أيّامه)[١].

وقال شيخه شمس الأئمّة الكرماني القرشي في إجازته له عام ٧٥٨:

> المولى الأعظم الأعلم، إمام الأئمّة، صاحب الفضلين، مجمع المناقب والكمالات الفاخرة، جامع علوم الدنيا والآخرة، شمس الملّة والدين محمّد... (رزقه الله في أُولاه وأُخراه ما هو أولاه وأحراه)[٢].

ووصفه شيخه ابن مُعَيّة في عام ٧٥٤ بقوله:

> ـ مولانا الشيخ الإمام العالم الفاضل، شمس الملّة والحقّ والدين، محمّد بن مكّي (أدام الله فضائله).
>
> ـ المولى الشيخ الإمام الفقيه العالم العلّامة، مفخر العلماء والفضلاء شمس الحقّ والدين[٣].

---

١ و٢. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٧٨.

٣. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٨٢.

وقال شيخه عبدالصمد بن إبراهيم بن الخليل، شيخ دارالحديث ببغداد، في إجازته له:

الشيخ الإمام العلّامة، الفقيه البارع الورع، الفاضل الناسك الزاهد، شمس الدين أبي عبدالله محمّد بن مكّي بن محمّد... (زاده الله تعالى توفيقاً، ونَهَجَ له إلى محجّة الفوز طريقاً)[١].

وقال تلميذ الشهيد ابن الخازن الحائري في إجازته لابن فهد الحلّي:

الشيخ الفقيه، إمام المذهب، خاتمة الكلّ، مقتدى الطائفة المحِقّة ورئيس الفرقة الناجية، السعيد المرحوم والشهيد المظلوم، الفائز بالدرجات العلى والمحلّ الأسنى، الشيخ أبوعبدالله محمّد بن مكّي (أسكنه الله بحبوحة جنّته، وجعله من الفائزين بمحبّته، المعوَّضين بما عَوَّضَ أهل محنته)[٢].

وقال العلّامة البياضي في أوّل الكلمات النافعات:

... علّامة الزمان، المبرِّزِ على جميع الأقران، المترقّي عن حضيض المجاز إلى أوج الحقيقة، المتمسّك من الدين القيّم بأوضح طريقة، الشيخ السعيد أبي عبدالله الشهيد[٣].

وقال الشيخ عليّ بن هلال الجزائري في إجازته للمحقّق الكركي في وصفه للشهيد:

المولى الإمام الأعظم، أفضل العلماء المحقّقين ورئيس الفضلاء المدقِّقين، صاحب النفس القدسية والأخلاق النبوية، جامع الكمالات النفسانية وحاوي الفضائل السنية الإنسانية، مولانا شمس الملّة والحقّ والدنيا والدين، محمّد بن مكّي الشهير بالشهيد (قدّس الله روحه ونوَّر ضريحه)[٤].

وقال المحقّق الكركي في إجازته للشيخ عليّ بن عبد العالي الميسي في وصفه للشهيد:

شيخنا الإمام، شيخ الإسلام، فقيه أهل البيت في زمانه، ملك العلماء، علم الفقهاء، قدوة المحقِّقين والمدقِّقين، أفضل المتقدِّمين والمتأخّرين، شمس الملّة والحق والدين، أبي عبدالله محمّد بن مكّي، مستكمل صنوف السعادة، حائز درجة الشهادة (قدّس الله روحه الطاهرة الزاكية وأفاض على مرقده المراحم الربّانية)[٥].

---

١. بحارالأنوار، ج١٠٩، ص٧٢.
٢. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص٢١٧.
٣. أربع رسائل كلامية، ص٢٣٩.
٤. بحارالأنوار، ج١٠٨، ص٣٢.
٥. بحارالأنوار، ج١٠٨، ص٤٢.

وقال أيضاً في إجازته للشيخ حسين العاملي في وصفه للشهيد:

الشيخ الجليل الرئيس، الفائق بتحقيقاته على جميع المتقدِّمين، المنقطعة على آثار أنفاسه أنفاس العلماء الراسخين، مهذِّب المذهب، فقيه أهل البيت في زمانه، المشهود له بالسعادة والمختوم له بالشهادة، شمس الحقّ والدين، أبي عبدالله محمّد بن مكّي (سَقَى الله ضريحَه صوبَ الغمام وحَفَّه بملائكته الكرام)[١].

وقال أيضاً في إجازته لابن أبي جامع العاملي:

شيخنا الأعظم، شيخ الطائفة المحِقّة في زمانه، علامة المتقدّمين وعلم المتأخّرين، خاتمة المجتهدين، شمس الملّة والحقّ والدين أبي عبدالله محمّد بن مكّي (قدّس الله روحه الطاهرة الزكية وأفاض على تربته المراحم القدسية)[٢].

وقال أيضاً في إجازته للمولى عبدالعلي الأسترآبادي:

شيخنا الشيخ الإمام الأجلّ السعيد، شيخ الإسلام، ملك المحقّقين، علامة المتقدِّمين والمتأخّرين، الفائز بالسعادة والشهادة، شمس الدين أبي عبدالله محمّد بن مكّي (رفع الله درجته في علّيين، وألحقه بالنبيّ والأئمّة المعصومين عليهم السلام)[٣].

وقال أيضاً في إجازته للقاضي صفي الدين:

شيخنا الإمام، شيخ الإسلام، علامة المتقدّمين ورئيس المتأخّرين، حلّال المشكلات وكشّاف المعضِلات، صاحب التحقيقات الفائقة والتدقيقات الرائقة، حِبر العلماء وعلم الفقهاء، شمس الملّة والحقّ والدين أبي عبدالله محمّدبن مكّي، الملقّب بالشهيد (رفع الله درجته في علّيين و حشره في زمرة الأئمّة الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين)[٤].

وقال في إجازته الثانية لإبراهيم الخوانساري:

ـ شيخنا الأعظم، أعلم المتأخِّرين، السعيد الشهيد، شمس الحقّ والدين، أبوعبدالله محمّد بن مكّي (قدّس الله روحه الطاهرة).

---

١. بحارالأنوار، ج١٠٨، ص٥٥.
٢. بحارالأنوار، ج١٠٨، ص٦١.
٣. بحارالأنوار، ج١٠٨، ص٦٥.
٤. بحارالأنوار، ج١٠٨، ص٧٠.

ـ شيخنا وشيخ جميع العلماء و المتأخِّرين، مستخرج حقائق المسائل و نكات الدلائل، شمس الدين أبوعبدالله محمّد بن مكّي، الملقّب بالشهيد (رفع الله قدره العالي في علّيين) [١].

وقال الشهيد الثاني فيما كتبه على تهذيب الأحكام في طريق روايته له:

الشيخ الإمام الأعلم الأكمل، خاتمة المجتهدين و آية الله في العالمين، شمس الدين محمّد بن مكّي (قدّس الله تعالى نفسه و طَهَّرَ رمسَه) [٢].

وقال في إجازته للشيخ حسين بن عبدالصمد والد شيخنا البهائي:

شيخنا الإمام الأعظم، محيي مادَرَسَ من سنن المرسلين و محقِّق حقائق الأوّلين و الآخرين، الإمام السعيد أبي عبدالله الشهيد محمّدبن مكّي بن محمّد بن حامد العاملي (قدَّس الله روحَه و نَوَّرَ ضريحه) [٣].

وقال أيضاً في أوّل شرحه لكتاب اللمعة الدمشقيّة:

شيخنا وإمامنا المحقِّق، البدل النحرير المدقِّق، الجامع بين منقبة العلم و السعادة ومرتبة العمل والشهادة، الإمام السعيد أبي عبدالله الشهيد، محمّدبن مكّي (أعلى الله درجته كما شَرَّفَ خاتمته) [٤].

وقال العلّامة محمّد تقي المجلسي في شرح خطبة الفقيه:

الشيخ الإمام الأعظم، محيي ما درس من سنن المرسلين، محقّق حقائق الأوّلين والآخرين، محمّدبن مكّي العاملي (قدَّس الله روحه) [٥].

وقال السيّد مصطفى التفرشي:

شيخ الطائفة و علامة وقته، صاحب التدقيق والتحقيق، من أجلّاء هذه الطائفة وثقاتها، نقيّ الكلام، جيّد التصانيف [٦].

---

١. حياة المحقّق الكركي، ج ٣، ص ٢٧٨.
٢. بحارالأنوار، ج ١٠٨، ص ١٣٥.
٣. بحارالأنوار، ج ١٠٨، ص ١٤٩.
٤. الروضة البهيّة، ج ١، ص ٥.
٥. روضة المتّقين، ج ١، ص ٢٢.
٦. نقد الرجال، ص ٣٣٥؛ وأورد كلامه بنصّه الأردبيلي في جامع الرواة، ج ٢، ص ٢٠٣.

وقال الشيخ الحرّ العاملي في ترجمة الشهيد:

كان عالماً ماهراً فقيهاً محدِّثاً مدَقِّقاً متبحّراً كاملاً، جامعاً لفنون العقليات والنقليات، زاهداً عابداً وَرِعاً شاعراً أديباً مُنشئاً، فريد دهره، عديم النظير في زمانه [١].

وقال المحقّق الخوانساري في أوّل شرحه لكتاب الدروس:

شيخنا الأجلّ المحقّق و الحبر المسدَّد المدقِّق، أفضل المتأخّرين و أكمل المتبحّرين، عمدة علماء الفرقة الناجية، بل الذي لم يظفرْ بمثله في القرون الماضية الحائز لمرتبة السعادة، الفائز بمنقبة الشهادة، محمّد بن مكّي (أعلى الله تعالى درجته، كما شَرَّفَ خاتمته) [٢].

وقال الشيخ البحراني:

فضله أشهر من أنْ يُذكر، ونُبْله أعظم من أن يُنكر، كان عالماً ماهراً فقيهاً مجتهداً متبحّراً في العقليات و النقليات، زاهداً عابداً ورعاً، فريد دهره [٣].

وقال المحقّق الشيخ أسد الله التستري:

الشيخ الهمام، قدوة الأنام، فريدة الأيّام، علامة العلماء العظام، مفتي طوائف الإسلام، ملاذ الفضلاء الكرام، خِرّيت طريق التحقيق، مالك أزمّة الفضل بالنظر الدقيق، مهذِّب مسائل الدين الوثيق، مقرِّب مقاصد الشريعة من كلّ فَجّ عميق، السارح في مسارح العرفاء و المتألّهين، العارج إلى أعلى مراتب العلماء والفقهاء المتبحِّرين وأقصى منازل الشهداء السعداء المنتجبين، الشيخ شمس الدين أبي عبدالله محمّدبن مكّي العاملي المطّلبي (أعلى الله رتبته في حظائر القدس، وبوّأه مع مواليه في مقاعد الأُنس) [٤].

وقال صاحب الروضات في ترجمته:

كان رحمه الله بعد مولانا المحقّق على الإطلاق أفقه جميع فقهاء الآفاق، و أفضل من انعقد على كمال خبرته و أُستاديته اتّفاق أهل الوفاق. وتوحّده في حدود الفقه وقواعد الأحكام مثل تفرّد شيخنا الصدوق في نقل أحاديث أهل البيت الكرام عليهم السلام، ومثل تسلّم

١. أمل الآمل، ج ١، ص ١٨١.
٢. مشارق الشموس، ص ٥ (ط. الحجرية).
٣. لؤلؤة البحرين، ص ١٤٣ ـ ١٤٤.
٤. مقابس الأنوار، ص ١٣ ـ ١٤.

شيخنا المفيد وسيّدنا المرتضى في الأُصول والكلام وإلزام أهل الجدل والألدّ من الخصام ... [١].

وقال الميرزا أبوالفضل الطهراني صاحب شفاء الصدور:

الشيخ الإمام، برهان علماء الإسلام، أُستاد فقهاء الأنام، حجّة فضلاء الأيّام، بركة الشهور والأعوام، رئيس المذهب والملّة ورأس المحقّقين الأجلّة، منهل الفقه الصافي ودرع التحقيق الضافي، مُسهِّل سبيل الاجتهاد والنظر، أفقه أهل البدو والحضر، شمع جمع اليقين ومشعل طريق المتّقين، سراج الاهتداء، منهاج الاقتداء، درّة تاج أرباب الإيمان، قرّة عين أصحاب الإيمان، المشروح صدره بالعلم والعرفان والمنوّر قلبه بنور التحقيق والإتقان، الجامع في معارج السعادة بين أقصى مدارج العلم ورتبة الشهادة، صاحب الآيات الباهرة والكرامات الظاهرة، شيخنا الأقدم الأفضل، المعروف بالشهيد الأوّل، شمس الدين محمّد بن مكّي (قدّس الله سرّه الزكيّ) [٢].

وقال المحدِّث النوري:

تاج الشريعة وفخر الشيعة، شمس الملّة والدين أبوعبدالله محمّد ابن الشيخ جمال الدين مكّي... أفقه الفقهاء عند جماعة من الأساتيد، جامع فنون الفضائل وحاوي صنوف المعالي وصاحب النفس الزكيّة القدسية القويّة... وقد أكمل الله تعالى له النعمة، وجعل العلم والفضل والتقوى فيه وفي ولده وأهل بيته ... [٣].

وقال المحدِّث القمّي في ترجمته:

الشيخ الأجلّ الأفقه، أبوعبدالله... رئيس المذهب والملّة، ورأس المحقِّقين الجلّة، شيخ الطائفة بغير جاحد، وواحد هذه الفرقة وأيّ واحد، كان رحمه الله بعد مولانا المحقّق على الإطلاق أفقهَ جميع فقهاء الآفاق [٤].

وقال العلّامة السيّد محسن الأمين:

هو إمام من أئمّة علماء الشيعة، وعلم من أعلامهم، وركن من أركانهم، وفقيه عظيم من

---

١. روضات الجنّات، ج٧، ص٣ ـ ٤.
٢. شفاء الصدور، ص ٦ ـ ٧.
٣. خاتمة مستدرك الوسائل، ج٣، ص ٤٣٧ ـ ٤٣٨، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٣٠٢ ـ ٣٠٧، ط. الجديدة.
٤. الكنى والألقاب، ج٢، ص٣٤٦.

أعاظم فقهائهم يضرب المثل بفقاهته، ومفخرة من مفاخر جبل عامل، بل من مفاخر الشيعة، عظيم المنزلة في العلم، جليل القدر، عظيم الشأن، عديم النظير، محقِّق ماهر متفنِّن أديب شاعر، تشهد بجلالة قدره وعظم شأنه تآليفه المشهورة الجليلة العظيمة الفوائد المتنوّعة المقاصد في الفقه والأُصول وغيرهما... كالقواعد التي لم يؤلّف مثلها في موضوعها، وكالألفية والنفلية الوحيدتين في موضوعهما والدروس التي جمعتْ على صغر حجمها ما لم يوجد في المطوّلات، والذكرى التي امتازت على أشباهها، واللمعة التي صنّفها في سبعة أيّام وجمعتْ على اختصارها فأوعتْ، وكفى في الاهتمام بها أنّها نُسِختْ وهي في يد الرسول[1].

وقال العلّامة الأميني:

كهف الشيعة وعلم الشريعة، لم يزلْ فقهه مستقى علماء الإمامية في نظرياتهم، وكتبه مرجع فقهائهم، وأنظاره العلمية مرتكز آرائهم، وشهرته في الفقه والأُصولين ومشاركته في العلوم أظهر من أن تخفىٰ، فلاأُطيل بتنسيق عقود الثناء فأكون «كناقل التمر إلى هجر»[2].

هذه مقاطع ومختارات من أقوال العلماء في وصف الشهيد.

١. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٥٩.
٢. شهداء الفضيلة، ص ٨١.

الفصل السادس

مكانته العلمية والأخلاقية وبعض آرائه

لقد حَظِيَ الشهيد لتبحّره في مختلف العلوم بمكانةٍ ومقامٍ رفيعين، وفي هذا المجال، فإنّ أقوال أساتذته وتلامذته ومعاصريه فيه تُعَدُّ أفضل شاهدٍ على ما نقول، خصوصاً أقوال علماء العامّة، ومنها مقولة شمس الدين الجزري عنه:

> شيخ الشيعة والمجتهد في مذهبهم... إمام في الفقه والنحو والقِراءة، صحبني مدّةً مديدة فلم أسمع منه ما يخالف السنة [1].

وكذلك حديث شيخه شمس الأئمّة الكرماني الشافعي في وصفه:

> إمام الأئمّة، صاحب الفضلين، مجمع المناقب والكمالات الفاخرة، جامع علوم الدنيا والآخرة [2].

وما أمثال هذه النعوت والصفات إلّا خيرمعرِّفٍ ودليلٍ على شخصية الشهيد الأوّل ومكانته المرموقة.

التعلّم في حوزةٍ عريقة ـ كحوزة الحلّة في القرن الثامن ـ والتتلمذ على كبار العلماء والمتخصِّصين في كلّ فنّ من الفنون، وانفتاحه على المذاهب، واستفادته من علماء العامّة [3]، وجدّه وسعيه وهمّته العالية وفضائله الروحية والأخلاقية، كلُّ ذلك قد صنع من الشهيد شخصيةً فريدة قلّ نظيرها.

---

١. غاية النهاية، ج٢، ص٢٦٥.

٢. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٨٣.

٣. قال الشهيد في إجازته لابن الخازن الحائري: «وأمّا مصنَّفات العامّة ومرويّاتهم فإنّي أروي عن نحوٍ من أربعين شيخاً من علمائهم...» (بحارالأنوار، ج١٠٧، ص ١٩٠).

يقول الشهيد:

... معدود من الخسران إنْ صُرِفَ الزمان في المباح وإنْ قلّ؛ لأنّه ينقص من الثواب ويخفض من الدرجات، وناهيك خسراناً بأنْ يتعجّل مايفنى، ويخسر زيادة نعيمٍ يبقىٰ [١].

وقال الشهيد الثاني في أوّل شرحه لكتاب اللمعة:

ونُقِلَ عن المصنِّف رحمه الله أنّ مجلسه بدمشق ذلك الوقت ما كان يخلو غالباً من علماء الجمهور، لخلطته بهم وصحبته لهم، قال: «فلمّا شرعتُ في تصنيف هذا الكتاب كنت أخاف أنْ يدخل عليّ أحدٌ منهم فيراه، فما دخل عليّ أحدٌ منذ شرعتُ في تصنيفه إلى أنْ فرغت منه، وكان ذلك من خفيّ الألطاف.» وهو من جملة كراماته (قدّس الله روحه ونوّر ضريحه) [٢].

قال المحدّث النوري رحمه الله في وصف الشهيد:

صاحب النفس الزكيّة القدسية القويّة، التي يُنْبِئُ عنها ما ذكره السيّد الجليل السيّد حسين القزويني ـ المتقدِّم ذكره في مشايخ بحرالعلوم ـ في مقدّمات شرحه على الشرائع [المخطوط بعد] قال: وجدتُ بخطّ الشيخ السيّد السعيد صاحب حدائق الأبرار، من أحفاد الشارح الفاضل الشهيد الثاني، قال: «وجدتُ بخطّ الشيخ ناصر البويهي، وهو من الفقهاء المتبحّرين والعلماء المتّقين، ما هذا لفظه: إنّه رأى في منامه كأنّه في قرية جزّين، التي هي قرية الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي الشهير بالشهيد الأوّل، في سنة خمس وخمسين وتسعمائة [كذا]، قال: ذهبت إلى باب بيت الشيخ الشهيد فطرقتُه فخرج الشيخ إليّ، فطلبت منه الكتاب الذي صنّفه الشيخ جمال الدين بن المطهّر في الاجتهاد، فدخل بيته وأتاني بالكتاب و معه كتاب آخر ـ وأظنّه في الروايات ـ فناوَلَنيهما واستيقظت وهما معي» [٣].

وأضاف العلّامة السيّد حسن الصدر بعد نقله لهذه الحكاية:

وهذا يدلّ على جلالة الشيخ ناصر وروحانيته وحبّ الشهيد له وعنايته به، وعلى قوّة نفس شيخنا الشهيد في تلك النشأة (قدّس الله أرواحهم جميعاً) ... .

---

١. القواعد والفوائد، ج ١، ص ١١٩، الفائدة ٢٧.
٢. الروضة البهيّة، ج ١، ص ٢٤.
٣. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٢٠، ص ٣٠٢، ط. الجديدة؛ تكملة أمل الآمل، ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧، ٤١٢ ـ ٤١٣.

والظاهر أنّ في التاريخ اشتباهاً، حيث إنّه حكى في الأمل [أي أمل الآمل، ج ١، ص ١٨١ ـ ١٨٧] عن خطّ الشهيد الثاني تاريخ وفاة الشيخ ناصر سنة ٨٥٢، وعن شرح البداية [ص ١٦٨] له أيضاً أنّه توفّي سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة. فتأمّل [١].

وفي مجموعة مخطوطة كتبها الشيخ محمود اللاهجاني الگيلاني تلميذ الشهيد الثاني:

... من رسالة للشيخ الأجلّ الأعظم العالم العامل الزاهد الناسك الورع جمال الدنيا و الدين أحمد بن المتوَّج ـ بتاج الكرامة إن شاءالله ـ البحراني، إلي الشيخ الإمام الأعظم فقيه أهل البيت عليهم السلام مولانا وسيّدنا شمس الملّة، وامام الأئمّة أبي عبدالله محمّد بن مكّي (تغمّده الله برحمته و أسكنه بحبوحة جنّته) كتبها إليه من جزيرة ثاني شوال في أواخر عشر السبعين والسبعمائة، وهي هذه الأبيات:

لئن غِبْتُمُ عَنّي فَنَثْرُ مَدِيحكُمْ　　جَليسي مَدَى الأيّام غَيْرُ مُبارِحيْ
دُعائي لكم في إثْرِكلِّ فَريضةٍ　　وشُكْري لَكُم مع كلَّ غادٍ ورائحيْ
ليَشْهَدْ على اللهِ والخلق إنّني　　وَقَفْتُ عليكم مُهْجتي وجَوارحي
أُواصِلُكُمْ ما عِشْتُ بالمدح والثنا　　وبِالدَعَوات الزاكَياتِ الصوالحي
إذا بَعَثَ المُهْدونَ دُرّاً وعَسْجُداً　　فَمِاليَ ماأُهْدِيه إلّا مَدائحي [٢]

وقال الشيخ سليمان الماحوزي في رسالته جواهر البحرين في علماء البحرين في ترجمة جمال الدين أحمد بن عبدالله بن متوّج البحراني:

سمعت جماعةً من مشايخنا (عطّر الله مراقدَهم)... يحكون أنّه كان يقع بينه وبين شيخنا السعيد أبي عبدالله الشهيد (عطّر الله مرقدَه ونوّر مشهدَه) مناظراتٌ ومشاجراتٌ، وفي غالب الأحوال يكون الغالب الشيخ جمال الدين رحمه الله.

فلمّا عاد إلى جزيرة أوال من البحرين، وتولّى الحكم والقضاء، وتصدّى للأُمور الحسبية والمصالح الدينية اشتغل ذهنه بذلك؛ فلمّا حجّ رحمه الله اجتمع في مكّة (زادها الله تعالى شرفاً) بشيخنا الشهيد (طاب ثراه) فتناظرا في بعض المسائل، فغلبه شيخنا الشهيد (قدّس الله

١. تكملة أمل الآمل، ص ٤١٣.

٢. مجموعة اللاهجاني، الورقة ٤١. وورد الأبيات فقط منسوبةً «لواحدٍ من الأعلام إلى شيخنا الشهيد رحمه الله» في المخطوطة المرقّمة ٨٩١٢، المحفوظة في مكتبة الروضة الرضوية، الورقة ٧٩.

روحه) وأفْحَمَه. فسأله الشيخ جمال الدين عن ذلك. فقال: «سهرنا و أضَعْتُم» [١].

ويستفاد من هذه المطالب أنّ الشهيد لم يترك لحظةً من عمره إلّا استفاد منها. وكما تقدّم فقد نَعَتَه صاحب الروضات بـ«أفقه جميع فقهاء الآفاق بعد المحقّق الحلّي» [٢].

نقل بعض أساتذة الحوزة العلمية بقم المقدّسة عن فقيه الطائفة المرحوم آية الله البروجردي رحمه الله أنّه قال:

لقد امتاز فقه خمسةٍ من الفقهاء؛ لإحاطتهم بأقوال فقهاء العامّة والشيعة، وهم المحقِّق والعلّامة الحلّي وفخر المحقِّقين والشهيدان.

ونقل عنه رحمه الله أيضاً: «أنّ الشهيد الأوّل أفضلهم في الفقه».

وقال آيه الله السيّد الخوئي رحمه الله: «واضحٌ أنّ الشهيد ممتاز في فهم كلمات الفقهاء، بل قيل: إنّه لسان الفقهاء» [٣].

وقال العلّامة الأمين في الموازنة بين الشهيدين:

الشهيد الأوّل أفقه وأدقّ نظراً وأبعد غوراً وأكثر وأمتن تحقيقاً وتدقيقاً، يظهر ذلك لكلّ من تأمّل تصانيفهما، مع الاعتراف بجلالة قدر الشهيد الثاني وعظمة شأنه وعلوّمقامه [٤].

وقال المحدِّث النوري في وصف الشهيد:

اعلم أنّه... أوّل من هَذَّبَ... الفقه عن نقل أقوال المخالفين وذكر آراء المبدعين [٥].

قال بعض الفضلاء المعاصرين ماترجمته:

لقد مَنَحَ الشهيدُ الأوّلُ الفقه الشيعيَ شخصيته وهويّته المستقلّةَ عبر تنقيحه القواعد والأُصول الأساسية للفقه الشيعي ـ في كتاب القواعد والفوائد وباقي مصنَّفاته ـ والاستفادة العملية منها في متون الفقه الشيعي.

---

١. جواهر البحرين، المطبوع مع فهرست آل بابويه، ص٨٩. وحكاها عنه الشيخ آقا بزرگ الطهراني في الذريعة، ج٢٣، ص١٨٠ ـ ١٨١.

٢. روضات الجنّات، ج٧، ص٣. ورد فيه كلام حول وقوف الشهيد على إبطال السحر؛ انظر الشهيد الأوّل محمّد بن مكّي العاملي في المصادر العربية، ص ٥٢.

٣. مصباح الفقاهة، ج ٧، ص ٢٠؛ كما في شناختنامهٔ شهيدين، ص ٢٣٩.

٤. أعيان الشيعة، ج٧، ص١٤٧.

٥. خاتمة مستدرك الوسائل، ج٣، ص٤٣٨، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص٣٠٦ ـ ٣٠٧، ط. الجديدة.

لقد بَسَّطَ الشهيد ـ عبر هذه القواعد والأُصول ـ الفقهَ الشيعيَ للغاية، وفَتَحَ أمامه آفاقاً رحبةً وجديدةً، وقَدَّمَ ابتكاراتٍ كثيرة في التفريعات التحقيقية والفقهية بالشكل الذي بات فيه الفقه الذي صَنَّفَه متميِّزاً عمّا سبقه من الفقهاء. وقد عُدَّتْ مصنّفاته الفقهية ـ التي جَسَّدَتْ خصوصيات مدرسته الفقهية ـ من المصادر القيِّمة للفقه الشيعي.

وقد ظلّ العلماء على مدى قرن ونصفٍ مِن أتباع مدرسته الفقهية، ورغم ما طرحوه من بعض التعديلات والآراء التجديدية آثروا شرح وبيان آرائه وأفكاره، ولم يتعدّوا الإطار الذي رسمه هو [١].

وقال بعض الأساتذة المعاصرين:

وقد استحدث الشهيد الأوّل نظاماً خاصّاً لجباية الخمس وتوزيع العلماء في المناطق، وكان لهذا العمل الفكري والثقافي والتنظيمي الذي نهض به الشهيد ومَن خلفه مِن فقهاء الشيعة دورٌ كبير في حفظ التشيّع في بلاد الشام [٢].

والمعروف أنّ الشهيد الأوّل رحمه الله هو أوّل من أسَّسَ هذا التنظيم الذي يربط الفقيه المتصدِّي بالأُمّة بواسطة شبكة من الوكلاء ... .

ونَمَتْ وتطوّرتْ مدرسة جزّين بعد شهادة الشهيد رحمه الله، واستقطب طلبة العلم من مناطق مختلفة، وأصبح جبل عامل بفضل هذه المدرسة وجهود الشهيد مركزاً للإشعاع الفكري في بلاد الشام خاصّة والعالم الإسلامي عامّةً [٣].

رغم أنّ الفترة الزمنية التي عاشها الشهيد لم تكن ببعيدة عن عصر المحقّق والعلّامة الحلّي، ورغم تأثّر الحوزة العلمية في الحلّة يومها بالآراء التي كان يطرحها الفقيهان، فقد ظلّ الشهيد إلى حدٍّ كبيرٍ بعيداً عن التأثّر بمدرسة هذين الفقيهين؛ بل على العكس، تقدَّم هو في الميدان، وطَرَح ابتكاراته في منهج الاستدلال وعلى صعيد تفصيل المسائل الفقهية تبويب الفقه وتقسيمه. ومن جملة ابتكاراته تأليف كتب القواعد والفوائد، والألفية والنفلية.

ولقد طرح الشهيد آراء تجديديّة في كتاب اللمعة، ورغم أنّ اللمعة كتاب فقهي خالٍ من

١. مقدّمه‌ای بر فقه شیعه، ص ٥٤ ـ ٥٥.

٢. رياض المسائل، ج ١، ص ٦٦، المقدّمة.

٣. رياض المسائل، ج ١، ص ٧٣، المقدّمة؛ وانظر أيضاً الهجرة العاملية إلى إيران، ص ٥٩ ـ ٦٦؛ شناختنامهٔ شهيدين، ص ٢٣٠ ـ ٢٣٨.

الاستدلال فإنّه لم يعتمد بصورةٍ كاملة في تبويبه وتنظيم أبوابه الفقهية على طريقة الشرائع والمختصر النافع للمحقّق والقواعد والإرشاد للعلّامة، وقد تميّز ترتيب الشهيد في اللمعة على ما ورد في الكتب المذكورة، على سبيل المثال وردتْ في اللمعة كتب: الكفّارات، النذر وتوابعه، الوقف والعطية قبل كتاب المتاجر وبعد كتاب الجهاد؛ لكنّ الكتب الفقهية التي تقدّمتْ على الشهيد لم تراعِ مثل هذا الترتيب. ولانريد هنا الورود تفصيلاً في هذا البحث، لكن عبر مقارنة بين اللمعة والمختصر النافع والإرشاد تتّضح أرجحية اللمعة في ترتيب الكتب (الأبواب) الفقهية وطرح المباحث المختلفة.

لقد أضاف الشهيد في كتاب الدروس عناوين جديدة للكتب (الأبواب) الفقهية، الأمر الذي لم يكن قبل ذلك، مثل كتب المزار، الحسبة، المحارب، القسمة، المشتركات، الربا وتزاحم الحقوق.

لقد أورد العلّامة الحلّي في آخر كتاب الصلح فروعاً تبدو غريبةً وليست ذات صلة بكتاب الصلح [١]؛ لكنّ الشهيد قد أورد هذه المباحث تحت عنوان مستقلٍّ أي «كتاب تزاحم الحقوق» [٢]. والشهيد أوّل من تصدّر في وضع هذه الفروع تحت هذه العناوين ولم يَسْبِقه إليه أحد. وأيضاً أوّل من ذكر مسألة حكم الحاكم في رؤية الهلال في فقه الشيعة هو الشهيد [٣].

إنّ ما أوردناه يجسّد بوضوح أنّ الشهيد قدّم اقتراحاتٍ جديدة، ولم يكن متأثّراً بالسلف في مدرسته الفقهية. ومضافاً إلى الآراء التجديدية التي طرحها في العموميات الفقهية نرى أنّ الشهيد كان دقيقاً للغاية في طرح التفريعات والمسائل وصياغة التعابير، فقد فاق في دقّته من تقدّمه من فقهاء الشيعة، على سبيل المثال:

١. قال العلّامة في عدّ الصلوات الواجبات:

فالواجبات تسعٌ: اليومية والجمعة والعيدان والكسوف والزلزلة والآيات والطواف والأموات والمنذور وشبهه [٤].

---

١. إرشاد الأذهان، ج ١، ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦، المطبوع مع غاية المراد، ج ٢، ص ٢٣٤ ـ ٢٤١؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ٢، ص ١٥٥ ـ ١٥٧.

٢. الدروس الشرعيّة، ص ٣٨٠ ـ ٣٨٥، ط. القديمة؛ ج ٣، ص ٣٣٧ ـ ٣٥٢، ط. الجديدة.

٣. انظر رؤيت هلال، ج ٣، ص ١٦٤٧.

٤. إرشاد الأذهان، المطبوع مع غاية المراد، ج ١، ص ٩٣؛ قواعد الأحكام، ج ١، ص ٢٤؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١، ص ٦٥.

وقال الشهيد في تعداد الصلوات الواجبات:

والواجب سبعٌ: اليومية والجمعة والعيدان والآيات والطواف والأموات والملتزم بـنذرٍ وشبهه [١].

وقال المحقّق الثاني ترجيحاً لما صنعه الشهيد وردّاً على العلّامة:

ويرد عليه أنّ الكسوف والزلزلة داخلتان في الآيات، فعدّهما قسمين [كذا، والصواب: قسيمين] لهامن عيوب القسمة... وعَدَّ المنذور قسماً وشبهه قسماً آخر [٢]، ولو أنّه عَدَّهما قسماً واحداً وعبّرعنهما بعبارة واحدةٍ ـ كما صنعه شيخنا الشهيد، حيث عَبَّرَ بـ«الملتزم بنذر وشبهه»ـ لكان أولى؛ إذ لاخصوصية للنذر في عدِّه قسماً دون أخويه [٣].

وقال الشهيد الثاني ردّاً على العلّامة:

وفي عدّ الكسوف والزلزلة والآيات أقساماً ثلاثةً إشكال؛ لأنّ الآيات تشملهما، فجعل بعض أقسام الشيء قسيماً له لايستقيم، فالأولى عدّها قسماً واحداً لتصير الأقسام سبعة، كما صَنَعَه الشهيد رحمه الله [٤].

٢. قال العلّامة (أعلى الله مقامه) في الإرشاد: «المقصد الرابع في صلاة الكسوف» [٥].

واعترض عليه الشهيد الثاني بقوله:

وفي نسبتها إلى الكسوف مع كونه بعض أسبابها تغليبٌ، ولوعنونها بصلاة الآيات ـ كما صنع الشهيد رحمه الله [٦] ـ كان أجودَ [٧].

٣. قال العلّامة في الإرشاد في بحث أصناف المستحِقّين للزكاة:

يَستحِقُّ الزكاة ثمانيةُ أصنافٍ: الفقراء والمساكين... وفي الرقاب... وفي سبيل الله ... [٨].

---

١. اللمعة الدمشقيّة، ص٣٣.
٢. الظاهر عدم ورود هذا الإشكال؛ فإنّ العلّامة عَدَّ المنذور وشبهه قسماً واحداً لا قسمين.
٣. جامع المقاصد، ج٢، ص٧.
٤. روض الجنان، ص١٧٤، ط. القديمة؛ وج٢، ص٤٧٣ ـ ٤٧٤، ط. الجديدة؛ وقاله الشهيد الثاني أيضاً في حاشية الإرشاد، المطبوع مع غاية المراد، ج١، ص٩٣ ـ ٩٤.
٥. إرشاد الأذهان، المطبوع مع غاية المراد، ج١، ص١٧٦؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج١، ص١٢٦.
٦. اللمعة الدمشقيّة، ص٣٣، ٤٢.
٧. روض الجنان، ص٣٠٢، ط. القديمة؛ وج٢، ص٨٠٤، ط. الجديدة.
٨. إرشاد الأذهان، المطبوع مع غاية المراد، ج١، ص٢٥٧ ـ ٢٥٨؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج١، ص١٨٢.

وعَبَّرَ قبله المحقّق الحلّي عن الأصناف بمثل هذه العبارة [١].

ولكنّ الشهيد عَبَّرَ عنهم بهذه العبارة:

الركن الثالث في المستحِقّ، وهو ثمانية أصنافٍ؛ أحدها: الفقراء... وخامسها: الرقاب... وسابعها: سبيل الله ... [٢].

واعترض الشهيد الثاني على عبارة المحقّق ومثلها بقوله:

اعلم أنّ المصنّف وجماعة عنونوا «الرقاب» و«سبيل الله» من جملة الأصناف، مقيِّدين بالجارّ وهو «في»؛ تأسّياً بكتاب الله تعالى. وكان الأولى هنا حذف الجارّ؛ لأنّ الصنف نفس الرقاب ونفس سبيل الله، وإنّما أدخلها عليهما في الآية الشريفة لنكتةٍ لاتدخل في العبارة، و هي أنّ الله تعالى جعل الصدقات للفقراء والثلاثة التي بعدهم وخَصَّهم باللام، وجعلها للباقين وأدخل عليهم «في»؛ إشارةً إلى أنّ الأربعة الأُول يستحقّون نصيبهم على وجه الملك أو الاختصاص المطلق يصنعون به ماشاؤوا، بخلاف «الرقاب» وما بعدهم، فإنّه جعلهم موضعاً للصدقة ومحلّاً لها، فيتعيّن عليهم صرفها في ذلك. وهذا المعنى لايتحقّق في العبارة؛ لأنّه بصدد عدّ الأصناف، حيث قال: «أصناف المستحِقّين سبعة: الفقراء... إلخ» فليس في هذا الأُسلوب إلّا مجرّد عدّ الأصناف من غير بيان الفارق ـ وإنْ ذكره في تضاعيف عبارته ـ بخلاف أُسلوب الآية. ولما أشرنا إليه عبّر الشهيد رحمه الله ... بقوله: «والرقاب وسبيل الله... إلخ». وهو أجود [٣].

٤. قال الشهيد الأوّل في كتاب الإجارة:

ولايعمل الأجير الخاصّ لغير المستأجر، ويجوز للمطلق [٤].

وقال الشهيد الثاني بعد شرحه وتوضيحه:

وتسميته [أي تسمية المطلق] بذلك أولى مِن تسميته مشتركاً، كما صنع غيره؛ لأنّه في مقابلة المقيّد وهو الخاصّ ... [٥].

---

١. المختصر النافع، ص٥٨ ـ ٥٩.
٢. البيان، ص٣١٠ ـ ٣١٥؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج١٢، ص٣٠٥ ـ ٣٠٩.
٣. مسالك الأفهام، ج١، ص٤٧.
٤. اللمعة الدمشقيّة، ص١٥٦.
٥. الروضة البهيّة، ج٤، ص٣٤٨.

٥. قال الشهيد الثاني في كتاب التجارة في خيار ما يفسد ليومه:

... وأجود ما اتّفق هنا عبارة الدروس؛ فإنّه فرض المسألة فيما يفسده المبيت وأثبت الخيار عند انقضاء النهار، ثمّ استقرب تعديته إلى كلّ مايتسارع إليه الفساد عند خوف ذلك، فإنّه لا يتقيّد بالليل ... [١].

٦. قال المحقّق الثاني بمناسبةٍ:

وقال شيخنا في الدروس كلاماً في هذا الباب من أجود كلام المحقّقين... حيث ذكر الجوائز وجعل ترك قبولها أفضل، وبالغ في أحكام الخراج بما سنحكيه مفصّلاً ... [٢].

٧. والجدير بالإشارة هنا نظرية الشهيد في استخراج «النسبة بين الصحيح والمعيب»، وهي نظرية في الحقوق وليست في الفقه، استعرضها الشيخ محمّد تقي الفقيه في كتابه جبل عامل في التاريخ، وبرهن على المستوي الفكري الذي وصل إليه الشهيد من الدقّة والوضوح [٣].

هذه نماذج على دقّة ومهارة الشهيد في طرح القضايا الفقهية، وبالطبع فقد انعكست دقّته ومهارته على طريقة استدلاله واستنباطه للأحكام وتقسيم المسائل وتبويبها.

ثمّ اعلم أنّا سنذكر في الباب الرابع مقتطفات من نظريات وأقوال الشهيد الواردة في غاية المراد، وسنورد هنا ـ بمناسبة البحث ـ بعضاً من نظرياته وآرائه المهمّة:

ـ ويجوز للفقهاء حال الغيبة إقامة الحدود مع الأمن، والحكم بين الناس مع اتّصافهم بصفات المفتي ... ويجب الترافع إليهم، ويأثمّ الرادُّ عليهم [٤].

ـ ويُعَزَّرُ كلُّ من ترك واجباً أو فَعَلَ محرّماً بما يراه الحاكم... وسابّ النبيِّ أو أحد الأئمّة عليهم السلام يُقْتَلُ ولو من غير إذن الإمام، ما لم يَخَفْ على نفسه أو ماله أو على مؤمن [٥].

ـ والحدود والتعزيرات إلى الإمام ونائبه ولو عموماً، فيجوز في حال الغيبة للفقيه

---

١. مسالك الأفهام، ج ١، ص ١٤٣ ـ ١٤٤؛ الروضة البهيّة، ج ٣، ص ٤٥٩ ـ ٤٦١.
٢. قاطعة اللجاج، ضمن رسائل المحقّق الكركي، ج ١، ص ٢٧٨.
٣. انظر مجلّة العرفان، المجلّد ٨٠، العددين ٣ ـ ٤، ص ١٢١؛ الشهيد الأوّل محمّد بن مكّي العاملي في المصادر العربية، ص ١٧٦ ـ ١٨٤؛ جبل عامل في التاريخ ص ١٠٩ ـ ١١٨.
٤. اللمعة الدمشقيّة، ص ٨٤.
٥. اللمعة الدمشقيّة، ص ٢٥٩.

الموصوف بما يأتي في القضاء إقامتُها مع المكنة، ويجب على العامّة تقويته ومنعُ المتغلِّب عليه مع الإمكان، ويجب عليه الإفتاء مع الأمن، وعلى العامّة المصيرُإليه والترافع في الأحكام، فيعصي مُؤثِر المخالف ويفسق [١].

ـ وهو [يعني القضاء] وظيفة الإمام أونائبه، وفي الغيبة ينفذ قضاء الفقيه الجامع لشرائط الإفتاء، فمن عدل عنه إلى قضاة الجور كان عاصياً [٢].

ـ وفي غيبة الإمام ينفذ قضاء الفقيه الجامع للشرائط، ويجب الترافع إليه، وحكمه حكم المنصوب من قبل الإمام خصوصاً. ولو تعدَّد فكتعدّد القضاة، نعم يتعيَّن الترافع إلى الأعلم، فإنْ تساويا فالأورع [٣].

ـ وهل يكفي قول الحاكم وحده في ثبوت الهلال؟ الأقرب نعم [٤].

ـ تجب صلاة الجمعة ركعتين بدلاً عن الظهر، بشرط الإمام أو نائبه. وفي الغيبة تُجَمِّعُ الفقهاء مع الأمن، وتُجْزئ عن الظهر على الأصحّ [٥].

ـ... وأمّا مع غَيْبته ـ كهذا الزمان ـ ففي انعقادها قولان: أصحّهما ـ وبه قال معظم الأصحاب ـ الجواز إذا أمكن الاجتماع والخطبتان...؛ لأنّ الفقهاء حال الغيبة يباشرون ما هو أعظم من ذلك بالإذن كالحكم والإفتاء، فهذا أولى [٦].

ـ ينبغي للإمام الأعظم إذا لم يشهد الموسم نصب إمام عليه في كلّ عام، كما فعل النبيّ ﷺ من تولية عليّ عليه السلام سنة تسع على الموسم وأمره بقراءة براءة....

وعليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخصوصاً في ما يتعلّق بالمناسك والكفّارات، ولو كان الحكم مختلفاً فيه بين علماء الشيعة فليس له أن يأمرهم باتّباع مذهبه إذا لم يكن الإمام الأعظم أو من أخذ عنه، إلّا أن يكون الخطأ ظاهراً فيه لندور القول، فله ردّ معتقده [٧].

---

١. الدروس الشرعيّة، ص ١٦٥، ط. القديمة؛ ج ٢، ص ٤٧ ـ ٤٨، ط. الجديدة.
٢. اللمعة الدمشقيّة، ص ٨٩.
٣. الدروس الشرعيّة، ص ١٧٠ ـ ١٧٩، ط. القديمة؛ وج ٢، ص ٦٧ ط. الجديدة.
٤. الدروس الشرعيّة، ص ٧٧، ط. القديمة؛ وج ١ ص ٢٨٦، ط. الجديدة.
٥. الدروس الشرعيّة، ص ٤١، ط. القديمة؛ وج ١، ص ١٨٦، ط. الجديدة.
٦. ذكرى الشيعة، ص ٢٣١، ط. القديمة؛ وج ٤، ص ١٠٤، ط. الجديدة؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ٨، ص ٢٣.
٧. الدروس الشرعيّة، ج ١، ص ٤٩٥، ٤٩٧.

قال الشهيد الثاني في شرح الألفية للشهيد:

وقد ذكر المصنِّف﵀ في الذكرى أنّ المتقدّمين من العلماء ما كانوا يذكرون النيّة في كُتُبهم الفقهية؛ بل يقولون: «أوّل واجبات الوضوء ـ مثلاً ـ غسل الوجه، وأوّل واجبات الصلاة تكبيرة الإحرام» ونحو ذلك. فلمّا خَلَفَ من بعدهم خلف أضاعوا حدودَ الأحكام الشرعيّة، وأغفلوا وظائف الطرق الفقهية، خاف عليهم علماؤهم فنبَّهوهم على وجوب النيّة، فآل الحال بهم إلى أنْ جهلوا معناها كما ترى[1].

ونختم الكلام في هذا الفصل بما حكاه لنا شيخنا الأُستاذ الأُصولي الفقيه المحقّق سماحة آية الله الشيخ حسين الوحيد الخراساني (دام ظلّه)، قال سماحته (دامت بركاته):

سمعت من بعض الأعاظم أنّه تشرّف عالم بلقاء الحجّة (سلام الله عليه وعجّل الله تعالى فرجه) و سمع منه ﷺ أنّه قال ما حاصله: «نحن بارَكنا مؤلَّفات الشهيدين وآثارَهما؛ لأنّهما بذلا غاية جهدهما في ترويج الشريعة ولم يتمتّعا من مواهب المرجعية ولذائذ الدنيا».

١. المقاصد العليّة، ص١٣٣ ـ ١٣٤، ط. القديمة، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧، ط. الجديدة.

الفصل السابع
أساتذته ومشايخه في الرواية

يستطيع الباحث أنْ يلمس الشخصية الفكرية للشهيد الأوّل من خلال أساطين العلم والفكر الذين اتّصل بهم وأخذ عنهم وحضر مجالسهم. ولم يقتصر اتّصال الشهيد بمشايخ الفكر في عصره على شخصٍ خاصّ أو على قطرٍ خاصّ أو على نمطٍ خاصّ من التفكير؛ فإنّه اتّصل بألوان مختلفة من الفكر و ارتاد مختلفَ مراكز الحركة العقلية في الوطن الإسلامي في وقته، واتّصل بمختلف العلماء والمفكّرين، وعلى طريق هذا التفاعل الفكري والتلاقح قدّر له أنْ يكوِّنَ لنفسه شخصيةً ثقافيةً مرموقة[1].

تتلمذ الشهيد على علماء العامّة إضافةً إلى تَتَلْمذِه على علماء الشيعة، وقال في إجازته لابن الخازن بهذا الشأن:

> وأمّا مصنَّفات العامّة ومرويّاتهم فإنّي أروي عن نحوٍ من أربعين شيخاً من علمائهم بمكّةَ والمدينةِ ودارالسلام بغداد ومصر ودمشق وبيت المقدس ومقام الخليل إبراهيم عليه السلام. فرويت صحيح البخاري عن جماعةٍ كثيرة بسندهم إلى البخاري، وكذا صحيح مسلم ومسند أبي داود وجامع الترمذي ومسند أحمد وموطّأ مالك و مسند الدار قطني و مسند ابن ماجة والمستدرك على الصحيحين للحاكم أبي عبدالله النيسابوري، إلى غير ذلك ممّا لوذكرتُه لطال الخطب[2].

---

١. انظر الروضة البهيّة، ج ١، ص ٨٤، المقدِّمة.
٢. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص ١٩٠ ـ ١٩١، وانظر أيضاً ج١٠٧، ص ٢٠٤ منه.

وقال في إجازته لابن نجدةَ:

وأجزتُ له روايةَ جميع مارويته عن مشايخ أهل السنّة شاماً وحجازاً وعراقاً، وهو كثير[١].

واعلم أنّ قول الشهيد في الإجازة لابن نجدة: مشايخ أهل السنّة «شاماً وحجازاً وعراقاً»، وقوله في الإجازة لابن الخازن: أربعين شيخاً مِنْ علمائهم «بمكّة والمدينة ودارالسلام بغداد ومصر ودمشق وبيت المقدس ومقام الخليل إبراهيم عليه السلام» كما يحتمل أن يكون ظرفَ الإجازة، يحتمل أن يكون ظرفَ المجيز، والقرائن تدلّ على تقوية الاحتمال الثاني بل تعيّنه[٢]. فلا تدلّ هذه العبارة بنفسها على سفر الشهيد إلى هذه البلاد. نعم هناك أدلّة على سفره إلى مكّة والمدينة وبغداد ودمشق وبيت المقدس، كما مضى ـ في الفصل الرابع ـ ويأتي، ومراد الشهيد أنّه روى عن مشايخ أهل السنّة القاطنين في هذه البلاد، لا أنّه سافر إلى هذه البلاد، فمثلاً يقول:

إنّه قد أجازلي في... سنة ٧٥٤ بطَيبْة مدينة الرسول (على ساكنها أفضل الصلاة والسلام)... مولانا الأعظم قاضي قضاة الديار المصرية عزّالدين عبدالعزيز ابن قاضي القضاة بمصر... .

وكذلك في التاريخ المذكور بالمدينة المشرّفة أجازلي المولى المسند العلّامة عفيف الدين عبدالله بن محمّد بن أحمد... المدني المعروف بالمطري نسبةً إلى المطرية من ظاهر قاهرة الديار المصرية، وهي منتزه أهلها و محلّ فواكهها، جميع ما ألّفه ورواه إجازةً تلفّظا بها... .

وأجازا في ذلك التاريخ لمولانا السيّد... تاج الدين أبي عبدالله بن مُعَيّة، ولمولانا السيّد الفقيه العلّامة جمال الدين بن أبي طالب محمّد ابن شيخنا عميدالدين ولثمانية أنفس آخرين.

قال صاحب المعالم:

ووجدتُ بخطّ السيّد تاج الدين بن معيّة تحت خطّ شيخنا الشهيد ماهذه صورته:

«ماذكره مولانا... شمس الملّة والحقّ صحيح، وورد علينا خطّ هذين الشيخين العالمين

---

١. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٩٥.

٢. وقال الجباعي في مجموعته ـ كما في بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢٠٤ ـ: «أجاز الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي جماعة من العلماء والفضلاء من الشيعة وغيرهم من أهل مصر والشام والعراق وأهل فارس».

المذكورين بتاريخ المحرّم سنة ٧٥٥ وقد كتبا بذلك من المدينة (شرَّفها الله تعالى) بالتاريخ المذكور...»[١].

فعلى هذا لا يوجد دليل على سفر الشهيد إلى مصر[٢]، وما قاله كثير من مترجمي الشهيد من المتأخّرين، منهم السيّد الأمين[٣]، والشيخ جعفر المهاجر[٤]، والشيخ الآصفي[٥] والزِركلي[٦] و آخرين[٧].

فمستندهم قول الشهيد في الإجازة لابن الخازن. وهذا لايدّل على هذا المدّعىٰ كما رأيت. ولم يذكر الشهيد نفسه، ولا أحدٌ من أساتذته وتلامذته وولده ومعاصريه، أنّه سافر إلى مصر.

نعم، إنّ الشهيد سافر إلى بيت المقدس وقرأ على بعض علمائها. كما حكاه عنه صاحب المعالم في إجازته الكبيرة، حيث يقول:

ورأيتُ أنا بخطّ الشهيد على ظهر نسخةٍ للمشاطبية إجازةً لولديه محمّد وعليّ، ذكر فيها أنّه رواها لهما عن عدّةٍ من المشايخ قِراءةً وإجازةً.

... و منهم قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة بحقّ قراءتي عليه ببيت المقدس، عن جدّه بدر الدين ... و الولدان (وفّقهما الله تعالى توفيق العارفين) يشاركاني في هذه الرواية عن قاضي القضاة إجازةً لهما ولأخيهما أبي منصور الحسن[٨].

* * *

١. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٧٠ ـ ٧٢؛ الإجازة الكبيرة لصاحب المعالم.
٢. كما صرّح به شمس الدين في حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٣٩.
٣. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٥٩: «... قال في إجازته لابن الخازن: فإنّي أرويها عن نحو من أربعين شيخاً من علمائهم بمكّة و... ويُعلم من ذلك أنّه دخل كلَّ هذه البلاد وقرأ على علمائها واستجاز هم».
٤. جبل عامل بين الشهيدين، ص ١١٢.
٥. مقدّمة الروضة البهية، ج ١، ص ٧٢.
٦. الأعلام، ج ٧، ص ١٠٩.
٧. انظر الشهيد الأوّل محمّد بن مكّي العاملي في المصادر العربية، ص ١٨٨، ٢٨٢، ٣٢٢.
٨. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٥٥ ـ ٥٦.

قال بعض أصحاب التراجم مامعرّبه:

قال القاضي السيّد حسين ابن السيّد حيدر الكركي في رسالته حول صلاة الجمعة: «إنّ الشهيد الأوّل أجازه ألفُ نفرٍ من الفقهاء»[١].

أقول: زعم الدكتور كامل مصطفى الشيبي أنّ مراد هذا القائل أنّ الشهيد درس على هذا العدد من الفقهاء، فقال:

... ودرس الشهيد... على كثيرٍ من الأساتذة من شتّى الفرق والنحل، منهم قطب الدين الشيرازي[٢]، حتّى قيل: «إنّه دَرَسَ على ألف من الفقهاء»[٣].

والأصل في هذا الأمر ما ذكره الشهيد في آخر إجازته لابن الخازن ـ بعد ذكر طرقه إلى مصنّفات الأصحاب ومصنّفات العامّة ـ:

فَلْيَرْوِ مولانا زين الدين عليّ بن الخازن (أدام الله تعالى بركاته) جميعَ ذلك إنْ شاء بهذه الطرق وغيرها ممّا يزيد على الألف[٤].

وليُعلم أنّ المشار إليه في قوله: «بهذه الطرق» الطُرُق إلى مصنَّفات الأصحاب ومصنَّفات العامّة معاً، ولايعني الطرقَ إلى مصنّفات الأصحاب فقط؛ وأيضاً لايدلّ على أنّ الشهيد استجاز مِن أكثر مِن ألف مُجيز، بل طرقه أكثر من ألف، ومن الممكن أنْ يكون له عشرون طريقاً مثلاً إلى المصنَّفات بواسطة شيخ واحد؛ ولكن بعضهم لم يدقِّقْ في هذه العبارة فتوهّم معنًى غير هذا. قال صاحب الروضات:

في بعض إجازات السيّد الفاضل الفقيه حسين ابن السيّد حيدر العاملي... أنّه سمع من شيخه... أعني سيّد المحقِّقين حسين بن الحسن الحسيني الموسوي ابن بنت مولانا المحقِّق الشيخ عليّ أنّه كان يقول: «إنّ شيخنا الشهيد (قدّس الله سرّه) ذكر في بعض كلماته أنّ طرقه إلى الأئمّة المعصومين عليهم السلام مايزيد على ألف طريقٍ»[٥].

❊ ❊ ❊

١. قصص العلماء، ص٣٣٧. الصواب أنّ طرق إجازة الشهيد أكثر من ألف طريق، كما سيأتي التصريح به من الشهيد نفسه في آخر إجازته لابن الخازن، لا أنّه أجازَه ألفُ نفرٍ أو أكثر من الفقهاء.
٢. هذا خطأ، والصحيح «قطب الدين الرازي» كما سيأتي بُعيد هذا.
٣. الصلة بين التصوّف والتشيّع، ج٢، ص١٣٤.
٤. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٩٢.
٥. روضات الجنّات، ج٧، ص٦.

قال العلّامة السيّد حسن الأمين رحمه الله :

لابدّ لنا من التساؤل عن الزمن الذي لقي فيه هؤلاء العلماء في بلدانهم، وفيما عدا بغداد التي نستطيع التأكّد من أنّه لقي علماءها خلال رحلته إلى العراق، فإنّنا نتردّد في الجزم بشيءٍ في هذا الأمر... إذاكان لقي هؤلاء المشايخ قبل سفره إلى العراق، فمعنى ذلك أنّ الدراسة في جبل عامل خلال الاحتلال الصليبي وبعد هذا الاحتلال حتّى نشوء محمّد بن مكّي كانت لاتعدو دراسة «الكتاتيب» التي لا تؤهِّل لأكثر من التخلّص من الأُمّية وأخذ بعض القواعد النحوية الابتدائية ... [1].

أقول: الظاهر أنّ الشهيد لقي هؤلاء المشايخ بعد سفره إلى العراق أعني بعد عام ٧٥٠، كما سيأتي بعض الشواهد عليه.

أ) أساتذته ومشايخه من علماء الشيعة

١. فخر المحقِّقين محمّد بن الحسن بن يوسف ولدُ العلّامة الحلّي.

وُلِدَ في ليلة الإثنين العشرين من جُمادى الأُولى عام ٦٨٢، وتوفِّي ليلة الجمعة الخامس والعشرين من جُمادى الآخرة عام ٧٧١[2]. وهو «أجلّ مشايخه وأعظم أساتيده»[3] وأكثرهم دراسةً عليه. وممّا قرأ عليه كتابه إيضاح الفوائد، وأجاز الشهيدَ عامي ٧٥١ و ٧٥٦، كما تقدَّم في الفصل الرابع من هذا الباب. وإليك نصّ إجازته التي كتبها على ظهر الجزء الأوّل من كتابه إيضاح الفوائد بعد ما قرأه الشهيد عليه:

قرأ عليّ مولانا الإمامُ العلّامةُ الأعظمُ، أفضل علماء العالم، سيّد فضلاء بني آدم، مولانا شمس الحقّ والدين محمّد بن مكّي بن محمّد بن حامد (أدام الله أيّامَه) من هذا الكتاب مشكلاته، وحَقَّقَ وأفادَ كثيراً من المسائل المشكلات بفكره الصائب وذهنه الثاقب. وقد أجزتُ له روايته عنّي، وأجزتُ جميع ما صنّفتُه وألّفتُه

١. الشهيد الأوّل، ص ٨١ ـ ٨٢.
٢. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٤٥٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٤٠١، ط. الجديدة. ونقل الجباعي عن الشهيد أنّه توفِّي أواخر جمادى الآخرة عام ٧٧١. (مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٧ ب). وانظر ترجمة فخرالدين وبعض مصادر ترجمته في مجلّة نورعلم، العدد ٨، ص ٧١ ـ ٨٢.
٣. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٤٥٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٤٠٢، ط. الجديدة.

وقرأتُه ورويتُه. وأجزتُ له روايةَ جميع كتب والدي ﷺ في المعقول والمنقول والفروع والأُصول و جميع ماصنّفه أصحابُنا المتقدّمون عنّي عن والدي عنهم بالطرق المذكورة لها. وقد ذكر والدي ﷺ بعضَ تلك الطرقِ في كتاب خلاصة الأقوال في معرفة الرجال.

وكتب محمّد بن الحسن بن يوسف بن المطهَّر في سادس شوّال سنة ستٍّ وخمسين وسبعمائة بالحلّة. والحمد لِلّه وحدَه، وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وآله [١].

قال الشهيد في إجازته لابن نجدةَ في وصف شيخه فخرالدين:

الشيخ الإمام، سلطان العلماء، منتهى الفضلاء والنُبَلاء، خاتم المجتهدين، فخر الملّة والدين، أبوطالب محمّد ابن الشيخ الإمام السعيد جمال الدين بن المطهّر (مَدَّ الله في عمره مدّاً وجَعَلَ بينه وبين الحادثات سدّاً) [٢].

ووصفه ـ وأُستاذَه الآخَرَ عميدَ الدين ـ في إجازته لا بن الخازن بقوله:

... شيخيّ الإمامَيْنِ الأفضلَيْنِ الأكملَيْنِ المجتهدَيْنِ، مُنْتَهىٰ أفاضل المذهب في زمانهما: السيّد المرتضى عميد الدين، والشيخ الأعظم فخرالدين ابن الإمام الأعظم الحجّة، أفضل المجتهدين جمال الدين أبي منصور... (أفاض الله على ضرائحهم المراحِمَ الربّانيّة، وحَباهم بالنعم الهنيئة)؛ فإنّي أروي جميع مصنَّفاتهما قِراءةً وسماعاً وإجازةً [٣].

وفي ظهر مخطوطة للقواعد ـ محفوظة في مكتبة مدرسة الآخوند في مدينة همدان برقم ٩٢٧ ـ بخطّ جعفر بن محمّد العراقي الذي فرغ من كتابته عام ٧٧٦ وفرغ من مقابلته عام ٧٨٦، ما هذا لفظه:

زار الشهيد قبر فخرالدين (رحمهما الله تعالى) وقال: أنقل عن صاحب هذا القبر، بنقلٍ عن والده، أنّ من زار قبر أخيه المؤمن وقرأ عنده سورة القدر سبعاً وقال: «اللهم جاف الأرض عن جنوبهم، وصاعد إليك أرواحَهم، وزدهم منك رضواناً، وأسكن إليهم من

١. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٧٧ ـ ١٧٨. ووردتْ هذه الإجازة أيضاً في المخطوطة المرقّمة ٢٨٣ في مكتبة آية الله المرعشي ﷺ.
٢. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٩٦.
٣. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٨٨.

رحمتك ما تصل به وحدتهم وتؤنس به وحشتهم، إنّك على كلّ شيءٍ قدير» آمن الله من الفزع الأكبر القارئ والميّتَ [١].

وهذا يدلّ على أنّه كان لفخرالدين قبراً معيّناً في ذلك الزمان زاره تلميذه الشهيد وإن اختفى علينا الآن.

قال العلّامة السيّد الأمين في ترجمة العلّامة الحلّي:

هاجر إليه الشهيد الأوّل من جبل عامل ليقرأ عليه فوجده قد تُوفِّيَ، فقرأ على ولده تيمّناً وتبرّكاً لاحاجة وتعلّماً، ولذلك قال ولده: «استفدتُ منه أكثر ممّا استفاد منّي» [٢].

أقول: سبق في الفصل الثالث من هذا الباب أنّ الجملة الأُولى في هذا الكلام سهوٌ بلا ريب. والظاهر أنّ قوله: «فقرأ على ولده تيمّناً وتبرّكاً...» أيضاً كذلك؛ فإنّي لم أقف عليها في المصادر القديمة والمعتبرة، والدليل على خلافه كلمات الشهيد بشأن فخرالدين في آثاره، وماورد في المصادر المعتبرة، بل هو «أجلّ مشايخه وأعظم أساتيده»، كما صرّح به المحدِّث النوري [٣]. وبالجملة فلاريب في ضعف هذا الكلام بل عدم صحّته.

وردّه العلّامة الأمين نفسُه في ترجمة الشهيد فقال:

... مايقال: «إنّه قصد العراق ليقرأ على العلّامة فوجده قد توفّي فقرأ على ولده تيمّنا من غير حاجة إلى القراءة عليه» غير صحيح؛ لأنّ العلّامة توفّي سنة ٧٢٦ قبل ولادة الشهيد بثمان سنين [٤].

وعلى أيّة حالٍ كان فخرالدين من كبار العلماء والمحقِّقين العظام، وقال شيخنا الأنصاري (أعلى الله مقامه) في وصفه بمناسبةٍ مّا: «لايخفى أنّ الفخر أعرف بنصّ الأصحاب من المحقِّق الثاني» [٥].

---

١. إيضاح الفوائد، ج ١، ص يه، مقدّمة التحقيق؛ فهرست نسخه‌های خطّی کتابخانه‌های رشت و همدان، ص١٣٤٦؛ المخطوطة المرقّمة ٣٠٠ المحفوظة في مكتبة آية الله المرعشيﷺ الورقة ١٢٨ب.

٢. أعيان الشيعة، ج ٥، ص٣٩٧، وانظر ج ١٠، ص ٥٩ والشهيد الأوّل، ص ٨٤. ووردت الجملةُ الأخيرةُ أيضاً في الفوائد الرجالية، ج٢، ص ٢٦١، الهامش، وحياة الإمام الشهيد الأوّل، ص٣٨، والروضة البهيّة، ج ١، ص٨٨، المقدّمة.

٣. خاتمة مستدرك الوسائل، ج٣، ص ٤٥٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٤٠١، ط. الجديدة.

٤. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص٥٩.

٥. المكاسب، ص٦٣.

٢. أبوعبدالله السيّد عميدالدين عبدالمطّلب بن الأعرج الحسيني، ابن أُخت العلّامة الحلّي والمجاز منه.

ولد ليلة النصف من شعبان عام ٦٨١[١]، وتوفّي ببغدادَ عاشر شعبان عام ٧٥٤، ودفن بالنجف الأشرف[٢]. أجاز الشهيدَ عامي ٧٥١[٣] و٧٥٢ بعد ما قرأ عليه الشهيد الجزء الأوّل من تذكرة الفقهاء[٤].

أثنى الشهيد عليه في إجازته لابن نجدة بقوله:

المولى السيّد الإمام المرتضى علم الهدى، شيخ أهل البيت في زمانه، عميد الحقّ والدين أبوعبدالله عبدالمطّلب بن الأعرج الحسيني (طاب ثراه وجُعِلَ الجنّة مأواه)[٥].

وقال في وصفه في أوّل أربعينه:

شيخي الإمام السعيد المرتضى العلّامة المحقّق، فقيه أهل البيت عليهم السلام، عميد الملّة والدين، أبوعبدالله عبدالمطّلب ابن المولى السيّد الفقيه مجد الدين أبي الفوارس محمّد ابن المولى السيّد العلّامة النسّابة فخرالدين عليّ بن الأعرج الحسيني (قدّس الله سرّه)[٦].

ومن تأليفاته القيّمة كنز الفوائد في حلّ مشكلات القواعد، وهو شرحٌ لكتاب قواعد الأحكام للعلّامة الحلّي، وقد طبع أخيراً في قم في ثلاثة مجلّداتٍ لأوّل مرّةٍ.

أكثر الشهيد في غاية المراد ـ ومواطن أُخرى ـ من ذكر عميد الدين، وعبّر عنه بكلمة «شيخنا المرتضى الإمام عميد الدين» وأمثالها، كما سيأتي في الباب الرابع.

٣. السيّد ضياء الدين عبدالله بن الأعرج الحسيني أخو عميد الدين و ابن أُخت العلّامة

---

١. مجموعة الجباعي، الورقة ٩٢ ب؛ بحارالأنوار، ج١٠٧، ص٢٠٤.
٢. خاتمة مستدرك الوسائل، ج٣، ص٤٥٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٤٠٠، ط. الجديدة؛ الحقائق الراهنة، ص١٢٧.
٣. الأربعون حديثاً، ص١، ح١.
٤. خاتمة مستدرك الوسائل، ج٣، ص٤٥٩، ط. القديمة، وج ٢٠، ص ٤٠٠، ط. الجديدة.
٥. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٩٥.
٦. الأربعون حديثاً، ص١، ح١.

الحلّي صاحب منية اللبيب في شرح التهذيب [١].

٤. السيّد تاج الدين أبوعبدالله محمّد بن القاسم المعروف بابن مُعَيّة الديباجي الحسني. تُوُفِّي ثامن ربيع الآخر عام ٧٧٦ بالحلّة، وحمل إلى مشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام [٢]. أجاز الشهيدَ في الخامس عشر مِن شوّال عام ٧٥٣ بالحلّة [٣]، وفي الحادي عشر من شوّال عام ٧٥٤ [٤]، وأجاز لولدي الشهيد سنة ٧٧٦ قبل موته [٥]. وقرأ عليه الشهيد في السادس عشر من شعبان عام ٧٥٤ بالحلّة أيضاً [٦]. وإليك نصّ إحدى إجازاته للشهيد:

> سمع هذه الأحاديث من لفظي مولانا الشيخ الإمام العالم الفاضل، شمس الملّة والحقّ والدين، محمّد بن مكّي (أدام الله فضائله) في يوم السبت حادي عشر شوّال من سنة أربع وخمسين وسبعمائة. وأجزتُ له روايتها عنّي بالسند المتقدّم وغيره من طرقي إلى المشايخ الجلّة الذين رو وها. وكذا أجزتُ له روايةَ جميع ما تصحّ روايته من سماعاتي وقراءاتي ومستجازاتي ومناولاتي ومصنَّفاتي وما قلتُه وجمعتُه ونظمته ونثرته وأُجيز لي وكوتِبْتُ به و جميع ما ثبت عنده أنّه داخل في روايتي.
>
> وكتب محمّد بن مُعَيّة في التاريخ، والحمد لِلّه، والسلام لأهله أجمعين [٧].

وأورد صاحب المعالم في إجازته الكبيرة قسماً كبيراً من إجازة أُخرى منه للشهيد، حيث قال:

> وعن السيّد تاج الدين بن مُعَيَّةَ عن جمٍّ غفيرٍ من علمائنا الذين كانوا في عصره وأسماؤهم مسطورة بخطّه في إجازته لشيخنا الشهيد الأوّل، وهي عندي، فأنا أُورد

---

١. أعيان الشيعة، ج٨، ص٦٩؛ و ج ١٠، ص ٦١؛ رياض العلماء، ج٣، ص ٢٤٠؛ خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٢٠، ص ٤٠١، ط. الجديدة. انظر ترجمة ضياء الدين في فهرست نسخه‌هاى خطى كتابخانهٔ مركزى، ج ٥، ص ١٧٢٧ ـ ١٧٣١، ١٩٨٩ ـ ١٩٩١.

٢. الحقائق الراهنة، ص١٩٧؛خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٤٣٩، ط. القديمة؛ و ج ٢٠، ص ٣١٢ط. الجديدة. وانظر ترجمته في أعيان الشيعة، ج ١٠، ص٣٩ ـ ٤٠؛ ريحانة الأدب، ج ٢، ص ٢١٦ و ٢١٧.

٣. الأربعون حديثاً، ص ٤ ـ ٥، ح ٥.

٤. مجموعة الجباعي، الورقة ١٩٧ ب؛ بحارالأنوار، ج ١٠٧، ص١٨٢.

٥. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٤٣٩، ط. القديمة؛ و ج ٢٠، ص ٣١٢ط. الجديدة.

٦. الأربعون حديثاً، ص٨، ح ١٠.

٧. مجموعة الجباعي، الورقة ١٩٧ ب؛ بحارالأنوار، ج ١٠٧، ص١٨٢.

كلامه فيها بعينه، وهذه صورته:

«... ومن مشايخي الذين استفدتُ منهم مَنْ أراش جناحي وأذكى مصباحي، وحباني نفائسَ العلوم، وأبرأ داءَ نفسي من الكُلُوم، وهو درّةُ الفخر وفريدةُ الدهر، مولانا الإمام الربّاني عميد الملّة والحقّ والدين، أبوعبدالله عبدالمطَّلِب بن الأعرج (أدام الله شرفَه وخَصَّ بالصلاة والسلام سَلَفَه) فهو الذي خَرَّجَني ودَرَّجني، وإلى ما يَسَّرَ الله تعالى من العلوم أرشدني، فالله يُجازيه أحسنَ الجزاء بمنّه وكرمه.

ومنهم مولانا الشيخ الإمام العلّامة، بقيّة الفضلاء أُنموذج العلماء، فخر الملّة والحقّ والدين، محمّد بن المطهّر (حَرَسَ اللهُ نفسه وأَنْمىٰ غرسَه).

ومنهم الشيخ الإمام العلّامة، أوحد عصره، نصير الملّة والحقّ والدين عليّ ابن محمّد بن عليّ القاشي؛ والشيخ العالم الفقيه والفاضل الكامل رضيّ الدين عليّ ابن أحمد بن المزيدي (حرسهما الله)...»[١].

وقال صاحب المعالم في إجازته الكبيرة أيضاً:

وذكر والدي رحمه الله أنّه رأى خطّ السيّد تاج الدين بالإجازة للشهيد رحمه الله ولولديه محمّد وعليّ ولأُختهما أُمّ الحسن فاطمة ولجميع المسلمين ممّن أدْرك جزءاً من حياته[٢].

والذي وقفتُ عليه أنا من خطّ هذا السيّد الإجازة للشهيد ولولده محمّد[٣].

ووصفه الشهيد في إجازته لابن الخازن بقوله:

السيّد العالم السعيد النسّابة، أُعجوبة الزمان في جميع الفضائل والمآثر، تاج الدين أبي عبدالله محمّد بن مُعَيّة الحسني (طاب ثراه)[٤].

قال المحدّث النوري (نوّر الله مرقدَه):

قال الشهيد الأوّل في مجموعته: «مات السيّد المذكور ثامن ربيع الآخر سنة ستٍّ وسبعين وسبعمائة بالحلّة، وحُمِلَ إلى مشهد مولانا أميرالمؤمنين عليه الصلاة والسلام». قال رحمه الله: «قد أجاز لي هذا السيّد مراراً، وأجاز لولديَّ أبي طالب محمّد وأبي

---

١. بحارالأنوار، ج١٠٩، ص٨ـ ١٠.
٢. بحارالأنوار، ج١٠٨، ص١٥٢ ـ ١٥٣، الإجازة الكبيرة للشهيد الثاني.
٣. بحارالأنوار، ج١٠٩، ص٥٠.
٤. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٨٨.

القاسم عليّ في سنة ستٍّ وسبعين وسبعمائة قبل موته، وخطّه عندي شاهداً»[١].

٥. قطب الدين محمّد بن محمّد الرازي البويهي.

وُلِدَ عام ٦٩٤ في ورامين من بلاد إيران، وتوفّي في شهر ذي القعدة عام ٧٦٦ بظاهر دمشق على القول الصحيح، والموافق لكافّة المصادر المعتبرة والقديمة[٢].

قال الشهيد في وصفه ـ كما حكاه الجباعي عن خطّ الشهيد على كتاب قواعد الأحكام ـ:

اتّفق اجتماعي به بدمشق أُخريات شعبان سنة ستٍّ وستّين وسبعمائة، فإذا هو بحرٌ لاينزف، وأجازني جميع مايجوز عنه روايته، ثمّ توفّي في ثاني عشر ذي القعدة[٣] من السنة المذكورة بدمشقَ، ودُفِنَ بالصالحية، ثمّ نُقِلَ إلى موضع آخر. وصُلِّيَ عليه برَحْبَة القلعة، وحَضَرَ الأكثرُ من معتبري دمشقَ للصلاة عليه (رحمه الله وقدّس روحه). وكان إماميَّ المذهب بغير شكٍّ ولاريبةٍ، صرّح بذلك وسمعتُه منه، وانقطاعه إلى فقيه أهل البيت عليهم السلام معلوم.

وقد نقلتُ على هذا الكتاب شيئاً من خطّه من حواشي الكتاب الذي قرأه على المصنِّف، وفيه جُزاز[٤] بخطّه أيّام اشتغاله عليه، علامتها «قط».

وحكاية خطّه في آخره: «فرغ من تحرير هذا الكتاب بعون الملك الوهّاب العبدُ الضعيف المحتاج إلى رحمة الله تعالى محمّدبن محمّد بن أبي جعفر بن بابويه في خامس ذي القعدة سنة ثمان وسبعمائة».

وهذا يُشعر بأنّه من ذرّية الصدوق ابن بابويه رحمه الله[٥].

وقال الشهيد أيضاً في إجازته لابن الخازن في ذكر مشايخه:

ومنهم الإمام العلّامة، سلطان العلماء وملك الفضلاء، الحبر البحر قطب الدين محمّد بن

---

١. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٤٣٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٣١٢، ط. الجديدة..

٢. وقيل: «عام ٧٧٦» وهو سهوٌ بلا ريب.

٣. وفي بعض المصادر ـ منها الوفيات، ج ٢، ص ٢٢٩، حوادث سنة ٧٦٦ ـ: «توفّي في يوم السبت سادس الشهر المذكور».

٤. في تاج العروس، ج ١٥، ص ٦٤، «جزز»: «تقول: عندي بِطاقاتٌ وجُزازاتٌ، وهي الوُرَيْقات التي تُعَلَّقُ فيها الفوائد، وهو مَجازٌ».

٥. مجموعة الجباعي، الورقة ٢٠٦ ب؛ بحارالأنوار، ج ١٠٧، ص ١٣٨ ـ ١٤١.

محمّد الرازي البويهي؛ فإنّي حضرتُ في خدمته (قدّس الله لطيفه) بدمشقَ عام ثمانية وستّين وسبعمائة [١]، واستفدت من أنفاسه، وأجاز لي جميعَ مصنَّفاته ومؤلَّفاته في المعقول والمنقول أنْ أرويَها عنه وجميع مرويّاته. وكان تلميذاً خاصّاً للشيخ الإمام جمال الدين [أي العلّامة الحلّي] المشارإليه [٢].

وقال شيخنا البهائي رحمه الله في حاشية الأربعين ـ عند ذكر اسمه في سنده إلى العلّامة ـ:

هو صاحب المحاكمات وشرح المطالع، وهو من تلامذة شيخنا العلّامة، وقرأ عنده كتاب قواعد الأحكام، وله عليه قيودٌ وحواشٍ نقلها والدي (طاب ثراه) في قواعده من قواعد شيخنا الشهيد (قدّس الله روحه) [٣].

ووصفه الشهيد الثاني في إجازته الكبيرة بقوله:

الشيخ الإمام العلّامة، ملك العلماء، سلطان المحقِّقين وأكمل المدقِّقين، قطب الملّة والدين، محمّد بن محمّد الرازي صاحب شرح المطالع والشمسية وغيرهما [٤].

أقول: وقد درس القطب الرازي القواعدَ عند العلّامة وقد كتب له الأُستاذ العلّامة إجازةً في ظهر القواعد عام ٧١٣ في مدينة ورامين. وهذا هو نصّ الإجازة:

قرأ عليَّ هذا الكتاب الشيخُ العالمُ الكبيرُ الفقيهُ الفاضلُ المحقِّقُ المدَقِّقُ ملكُ العلماء والأفاضلِ، قطبُ الملّة والدين، محمدُ بن محمّدٍ الرازي (أدام اللهُ أيّامه) قِراءةَ بحثٍ وتدقيقٍ وتحريرٍ وتحقيقٍ، وسأل عن مشكلاته، واستَوْضَحَ معظمَ مشتبهاتِه، فبيَّنْتُ له ذلك بياناً شافياً، وقد أجَزْتُ له روايةَ هذا الكتاب بأجمعه، وروايةَ جميع مصنّفاتي ورواياتي وما أُجيز لي روايته وجميع كتب أصحابنا السابقين (رضوان الله عليهم أجمعين) بالطُرُق المتّصلَة منّي إليهم، فليروِ ذلك لمن شاء وأحبَّ على الشروط المعتبرة في الإجازة، فهو أهل لذلك، أحسن اللهُ عاقبتَه.

وكتب العبدُ الفقير إلى الله تعالى حسن بن يوسف بن المطهّر الحلّي مصنّف الكتاب في

---

١. كذا، وهو سهو أو من خطإ النسّاخ بلاريب، لاتّفاق المصادر القديمة المعتبرة ـ منها قول الشهيد نفسه كما تقدّم آنفاً ـ على وفاته عام ٧٦٦.

٢. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٨٨.

٣. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٢٠، ص ٣٥٤، ط. الجديدة.

٤. بحارالأنوار، ج١٠٨، ص١٥٢.

ثالث شعبان المبارك من سنة ثلاثَ عَشْرَةَ وسبعمائة بناحية ورامين.

والحمد للّه وحده، وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ النبيِّ وآله الطاهرين [١].

ووردت ترجمته في مصادر كثيرة [٢]، فلا نطيل الكلام في ترجمته ونكتفي بما أورده بدر الدين حسن بن حبيب الحلبي ـ المعاصر له ـ في حوادث سنة ٧٦٦:

وفيها تُوُفِّيَ العلّامة قطب الدين أبوعبدالله محمّد بن محمّد بن [بياض بمقدار كلمة] الرازي الشهير بالقطب التحتاني الشافعي [٣]. إمامٌ يَمُّ علمه طافِح، وغيث فضله سافح، وميزان عمله راجح، وسعي الطلبة إلى خدمته ناجح. كان لطيف الكلام، ليّن الزمام، حسن التودُّد، مُعْرِضاً عن التشدُّد، بارعاً في الفقه والأُصول، عارفاً بما يتكلّم في التفسير والعربية والمنطق والمنقول. قدم إلى دمشقَ واستوطنها، وأظهر أسرار الفنون للطالبين وأعلنها، وأفاد ونفع، وحَصَّلَ وألَّفَ وجَمَعَ. وله مصنَّفات أُفقُ فوائدها مُنير، شرح الشمسية والمطالع والحاوي الصغير. واعتنىٰ بحواشٍ كتبها على الكشّاف، واستمرّ إلى أنْ نُقِلَ من خزانة جسده جوهرُها الشفّاف.

وكانت وفاته ظاهر دمشق عن نيّف وستّين سنة (تغمّده الله برحمته) [٤].

---

١. مجموعة الجباعي، الورقة ٢٠٦ ب؛ بحارالأنوار، ج١٠٧، ص ١٤٠.

٢. منها:

أ) مجالس المؤمنين، ج٢، ص٢١٢ ـ ٢١٣؛

ب) أمل الآمِل، ج٢، ص ٣٠٠ ـ ٣٠١؛

ج) لؤلؤة البحرين، ص ١٩٤ ـ ١٩٥؛

د) روضات الجنّات، ج٦، ص٣٨ ـ ٤٨؛

هـ) خاتمة مستدرك الوسائل، ج٣، ص٤٤٧ ـ ٤٥٩، ط. القديمة؛ و ج ٢٠، ص ٣٥١ ـ ٣٩٩، ط. الجديدة؛

و) الحقائق الراهنة، ص ٢٠٠ ـ ٢٠٢؛

ز) طبقات المفسِّرين، ج٢، ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤؛

ح) طبقات الشافعية، ج٣، ص ١٨٣ ـ ١٨٤؛

ط) الأعلام، ج٧، ص٢٦٨؛

ى) الوفيات، ج ٢، ص٢٩٩. ذكر محقّق هذا الكتاب قسماً كبيراً من مصادر ترجمة الرازي في تلك الصفحة فلانطيل بذكرها.

٣. قد تقدّم أنّه إمامي بلاريب.

٤. دُرّة الأسلاك، حوادث سنة ٧٦٦.

٦. الشيخ العالم الفاضل المحقّق زين الدين أبوالحسن عليّ بن أحمد بن طرّاد المطار آبادي تلميذ العلّامة [١].

توفّي يوم الجمعة أوّل رجب سنة ٧٦٢، كما حكي عن الشهيد [٢].

٧. العلّامة الأديب رضيّ الدين أبوالحسن عليّ بن جمال الدين أحمد الحلّي المعروف بابن المزيدي [٣].

توفّي غروب عرفة سنة ٧٥٧ ودفن بالغريّ، كما حكي عن الشهيد [٤].

قال الشهيد في وصفه:

الشيخ الإمام، ملك الأُدباء والعلماء رضيّ الدين أبي الحسن عليّ ابن الشيخ السعيد جمال الدين أحمد المزيدي [٥].

الشيخ الإمام العلّامة، ملك الأُدباء، عين الفضلاء، رضيّ الدين أبوالحسن عليّ بن المزيدي (قدّس الله روحه) [٦].

٨. السيّد الجليل أمين الدين أبوطالب أحمد بن أبي إبراهيم محمّد بن زهرة الحلبي الحسيني [٧].

قال الشهيد:

أنشدني مولانا السيّدُ النقيب الحسيب الطاهر الفقيه العلّامة، أمين الدين أبوطالب أحمد

---

١. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٨٨، ١٩٦، إجازة الشهيد لابن الخازن وإجازته لابن نجدة، وص٢٠٧.

٢. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٧ ب؛ بحارالأنوار، ج١٠٧، ص٢٠٥؛ خاتمة مستدرك الوسائل، ج٣، ص٤٤٣، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص٣٢٨، ط. الجديدة. وما ورد في ريحانة الأدب، ج ٨، ص ٨٣، من أنّه تُوُفِّيَ في سادس ربيع الآخر عام ٧٥٤، مخطأٌ بلاريب وشبهة، وهذا تاريخ إخبار المطار آبادى للشهيد الحديث الرابع من أربعين الشهيد.

٣. الأربعون حديثاً، ص ١٩، ح ٢٨؛ بحارالأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٦، إجازة الشهيد لابن نجدة.

٤. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٧ ب؛ بحارالأنوار، ج١٠٧، ص٢٠٥.

٥. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٨٩، إجازة الشهيد لابن الخازن.

٦. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٩٦، إجازة الشهيد لابن نجدة.

٧. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٨٨، إجازة الشهيد لابن الخازن وج١٠٩، ص ٢٠ ـ ٢١، الإجازة الكبيرة لصاحب المعالم؛ خاتمة مستدرك الوسائل، ج٣، ص ٤٤٥، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٣٣٨، ط. الجديدة.

ابن السيّد السعيد بدر الدين محمّد بن زهرة العلوي الحسيني الحلبي...:

يا آل بيت النبيّ من بُذِلَتْ في حبّكم روحُه فما غُبِنا...

وتوفِّي السيّد ابن زهرة المذكور رحمه الله في ذي‌الحجّة سنة تسع وأربعين وسبعمائة بحلب، ودفن في مقابر الصالحين عند مقام الخليل عليه السلام.

ووُلِدَ أمين الدين أبوطالب أحمد سنة ثماني عشرة وسبعمائة بحلب [١].

٩. أبو محمّد الحسن بن نما الحلّي.

قال الشهيد في أربعينه:

الحديث الثالث ما أخبرني به الشيخ العالم الفقيه الصالح، جلال الدين أبو محمّد الحسن بن أحمد ابن الشيخ السعيد شيخ الشيعة ورئيسهم في زمانه، نيب الدين أبي عبدالله محمّد بن محمّد بن نما الحلي الربعي في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة بالحلّة ... [٢].

١٠. السيّد العالم الجليل الكبير العظيم الشأن مهنّا ابن الجليل سنان القاضي بالمدينة وصاحب المسائل عن العلّامة الحلّي، وصفه العلّامة في الأجوبة عنها بقوله:

السيّد الكبير، النقيب الحسيب المرتضى، مفخر السادة و زين السيادة، معدن المجد والفخار والحكم والآثار... نجم الملّة والحقّ والدين، مهنّا بن سنان الحسيني القاطن بمدينة جدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله، الساكن مهبط وحي الله ... [٣].

١١. السيّد الفقيه المحقّق الأديب الأريب الصالح الحافظ المفسِّر شمس‌الدين أبوعبدالله محمّد بن أحمد بن أبي المعالي الموسوي [٤].

---

١. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص٣٥ ـ ٣٦. وردت ترجمة أمين الدين أحمد في الحقائق الراهنة، ص٩ ـ ١٠.
٢. الأربعون حديثاً، ص٣، ح٣.
٣. خاتمة مستدرك الوسائل، ج٣، ص٤٤٥، ط. القديمة، و ج٢٠، ص٣٣٩ ـ ٣٤٦، ط. الجديدة؛ أعيان الشيعة، ج١٠، ص١٦٨ ـ ١٧٠؛ الفوائد الرضوية، ص٦٨٨؛ لؤلؤة البحرين، ص١٨٩؛ بحارالأنوار، ج١٠٨، ص١٥٢، إجازة الشهيد الثاني لوالد الشيخ البهائي، و ج١٠٩، ص٨، الإجازة الكبيرة لصاحب المعالم.
٤. الأربعون حديثاً، ص٥، ح٦؛ أعيان الشيعة، ج ٩، ص ٧١، وفيه: «توفِّي في شهر رمضان سنة ٧٦٩. يروي عنه بالإجازة الشهيد الأوّل، أجازه ٢٤ شعبان ٧٥١».

وصفه شيخه ابنُ مُعَيّة في إجازته له بقوله:

المولى السيدّ الفقيه، العامل الفاضل الكامل الزاهد العابد الورع العلّامة، مفخر السادات ومعدن السعادات، شمس المّلة والحقّ والدين أبوعبدالله محمّد ابن السيدّ الجليل السعيد المرحوم جمال الدين أحمد بن أبي المعالي الحسيني الموسوي (أدام الله شرفه) [١].

١٢. السيّد جمال الدين عبدالله بن محمّد الحسيني العريضي الخراساني.

قال الشهيد في إجازته لابن خازن:

وأمّا المعاني والبيان فإنّي قرأتُ كتاب الفوائد الغياثية وشرحها للسيّد المرتضى العلّامة، ملك العلماء والأُدباء، جمال الدين عبدالله بن محمّد الحسيني العُرَيضي الخراساني، عليه بأسره. ورويت عنه جميعَ مرويّاته ومصنَّفاته. وهو أيضاً يروي عن الإمام جمال الدين ابن المطهّر. وأروي عنه كتاب المفتاح للإمام السكّاكي ... [٢].

وقال الشهيد في مجموعته ـ كما حكاه عنه محمّد بن عليّ الجبعي ـ:

أنشدني السيّد أبومحمّد عبدالله بن محمّد الحسيني (أدام الله إفضاله وفوائده) لابن الجوزي:

أُقسم بالله وآلائه　　أليّةً [٣] ألقىٰ بها ربّي
إنّ عليَّ بن أبي طالبً　　إمامُ أهل الشرق والغربِ
من لم يكنْ مذهبُه مذهبي　　فإنّه أنجس مِنْ كلبِ

فعارضتُه:

لأنّه صِنْوُ نبيّ الهدى　　من سيفه القاطع في الحربِ
وقد وقاه من جميع الرَدى　　بنفسه في الخِصْب والجَدْبِ
والنصّ في القرآن في ﴿إِنَّمَا　　وَلِيُّكُمُ﴾ كافٍ لذي لُبِّ
مَنْ لم يكن مذهبُه هكذا　　فإنّه أنجسُ من كلبِ [٤]

---

١. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٧٦. ووردتْ ترجمته في أمل الآمل، ج٢، ص٢٣٥.
٢. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٩١، ١٩٢؛ وانظر رياض العلماء، ج٥، ص٤٧٧؛ أعيان الشيعة، ج٨، ص٦٩؛ الحقائق الراهنة، ص١٢٣ ـ ١٢٤.
٣. «أليّة: الحلف... والجمع: ألايا، مثل عَطيّة وعطايا» (المغرب، ص٢٠، «ألو»).
٤. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٧ ـ ١٨.

وللوقوف على سائر مشايخ الشهيد من علماء الشيعة راجع بحارالأنوار، ج١٠٩، ص١٤، ١٦، ٢١، ٢٣، ٢٩، ٣٠، الإجازة الكبيرة لصاحب المعالم؛ خاتمة مستدرك الوسائل، ج٣، ص٤٣٧ـ٤٤٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٣٠٢ ـ ٤٠١، ط. الجديدة؛ حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص٤١ ـ ٤٤؛ روضات الجنّات، ج٥، ص٥٩٠.

ب) أساتذته ومشايخه من علماء السنّة

١. القاضي برهان الدين إبراهيم بن جماعة.

قال الشهيد في إجازته لا بن الخازن:

وأمّا مصنَّفات العامّة ومروياتهم فإنّي أروي عن نحوٍ من أربعين شيخاً من علمائهم... وقرأتُ الشاطبية على جماعة، منهم قاضي قضاة مصر برهان الدين إبراهيم بن جماعة، عن جدّه بدرالدين ... [١].

وقال صاحب المعالم في إجازته الكبيرة:

ـ ورأيت أنا بخطّ الشهيد على ظهر نسخةٍ للشاطبية إجازةً لولديه محمّد وعليّ، ذكر فيها أنّه رواها لهما عن عدّةٍ من المشايخ قِراءةً وإجازةً... منهم قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة بحقّ قراءتي عليه ببيت المقدس... قال: «والولدان (وفّقهما الله تعالى توفيقَ العارفين) يشاركاني في هذه الرواية عن قاضي القضاة إجازةً لهما ولأخيهما أبي منصور الحسن» [٢].

وقال الجباعي في مجموعته:

سؤال للشيخ شمس الدين ابن مكّي للقاضي ابن جماعة: «ماقول مولانا وسيّدنا الإمام العلّامة، قاضي القضاة (أجلّه الله تعالى وأسماه) في رجلٍ مات وعليه دَيْنٌ لأحد ورّاثه، هل يسقط من دينه مايلزم أداؤه من ذلك الدين لو كان لأجنبيٍّ أم لا؟ وبتقدير السقوط هل يؤثّر في نقصان مجموع المأخوذ أم لا؟ فقد حكى بعضُ الأفاضل مصيرَ بعضِ العلماء إلى كلّ واحدٍ من أقسام المنفصلة، وتوجيه ذلك ممّا يعسر على غير المولى الإمام برهان الدنيا والدين ... [٣].

---

١. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٩٠ ـ ١٩١.
٢. بحارالأنوار، ج١٠٩، ص٥٥ ـ ٥٦.
٣. مجموعة الجباعي، الورقة ١٧٨ ب.

أقول: الظاهر أنّه هو الذي شارك في محاكمة الشهيد وإراقة دمه[١]، كما سيأتي تفصيله في بحث استشهاد الشهيد. قال الزركلي في ترجمته:

ابن جماعة (٧٢٥ ـ ٧٩٠)

إبراهيم بن عبدالرحيم بن محمّد، ابن جماعة الكناني أبو إسحاق برهان الدين، الحموي الأصل، المقدسي الشافعي. مفسِّر من القضاة... وولي قضاء دمشق والخطابة بها ومشيخة الشيوخ... وتوفِّي شبه الفجأة ودفن بالمزّة ظاهر دمشق[٢].

٢. قاضي القضاة عزّ الدين عبدالعزيز بن جماعة.

قال الشهيد في إجازته لابن الخازن:

ورويت كتاب الكشّاف لجار الله العلّامة أبي القاسم محمود الزمخشري عن جماعة كثيرة، منهم قاضي قضاة مصر عزّالدين عبدالعزيز بن جماعة ...[٣].

وقال صاحب المعالم في إجازته الكبيرة:

... ووجدتُ بخطّه [أي الشهيد] أيضاً ما صورته: «قال العبد الفقير إلى الله محمّد بن مكّي (أعانه الله على طاعته): إنّه قد أجاز لي في يوم السبت الثاني والعشرين من ذي الحجّة سنة أربع وخمسين وسبعمائة بطَيْبَة مدينة الرسول (على ساكنها أفضل الصلاة والسلام) إجازةً عامّة بجميع معقوله ومنقوله تلفّظ بها مولانا الأعظم قاضي قضاة الديار المصرية عزّالدين عبد العزيز ابن قاضي القضاة بمصر بدرالدين محمّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن عليّ بن جماعة بن حازم بن صخر الكناني الشافعي ... .

وكذلك في التاريخ المذكور بالمدينة المشرّفة أجاز لي المولى المسند العلّامة المؤرّخ عفيف الدين عبدالله ... .

وأجازا في ذلك التاريخ لمولانا السيّد العلّامة الحسيب النسيب تاج الدين أبي عبدالله بن مُعَيّة، ولمولانا السيّد الفقيه العلّامة جمال الدين بن أبي طالب محمّد ابن شيخنا عميد الدين ولثمانية أنفس آخرين».

---

١. انظر أيضاً مجالس المؤمنين، ج ١، ص ٥٧٩.
٢. الأعلام، ج ١، ص ٤٦ ـ ٤٧.
٣. بحارالأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩١.

ووجدتُ بخطّ السيّد تاج الدين بن مُعَيّة تحت خطّ شيخنا الشهيد ما هذه صورته: «ما ذكره مولانا المولى الشيخ الإمام العالم الفاضل الكامل المحقّق العلّامة شمس الملّة والحقّ والدين صحيح، وورد علينا خطّ هذين الشيخين العالمين المذكورين بتاريخ المحرّم سنة خمس وخمسين وسبعمائة. وقد كتبا بذلك من المدينة (شَرَّفها الله تعالى) بالتاريخ المذكور، وذكر القاضي الأعظم عزّ الدين بن جماعة في خطّه أنّ مولده في المحرّم أربع وتسعين وستّمائة»[١].

وقال ابن مُعَيّة في إجازته للسيّد شمس الدين محمّد بن أحمد شيخ الشهيد:

وممّا يصحّ له روايته عنّي عن أقضى القضاة بدمشق عزّالدين عبد العزيز ابن القاضي بدر الدين محمّد بن إبراهيم بن سعيد بن جماعة جميع مايصحّ روايته عن حسب ما تلَفَّظَ لي به وأطلق خطّه بمدينة الرسول (على مشرّفها السلام) في ثاني عشرين ذي الحجّة سنة أربع وخمسين وسبعمائة[٢].

وقال الزركلي في ترجمته:

ابن جماعة (٦٩٤ ـ ٧٦٧)

عبدالعزيز بن محمّد بن إبراهيم، ابن جماعة الكناني، الحموي الأصل، الدمشقي المولد، ثمّ المصري، عزّ الدين الحافظ، قاضي القضاة. ولي قضاء الديار المصرية سنة ٧٣٩، وجاور بالحجاز فمات بمكّة ...[٣].

٣. جمال الدين أبو أحمد عبد الصمد بن الخليل البغدادي[٤].

قال صاحب المعالم في إجازته الكبيرة:

وذكر شيخنا الشهيد الأوّل... أنّه يروي مصنّفات العامّة ومروياتهم عن نحوٍ من أربعين شيخاً من علمائهم...[٥]. ومن جملة من يروي عنه منهم الشيخ الجليل العالم الكبير جمال الدين أبو أحمد عبدالصمد بن الخليل البغدادي شيخ دارالحديث بها. وقد رأيت

١. بحارالأنوار، ج ١٠٩، ص ٧٠ ـ ٧٢.
٢. بحارالأنوار، ج ١٠٧، ص ١٧٦.
٣. الأعلام، ج ٤، ص ٢٦.
٤. وردت ترجمته في ريحانة الأدب، ج ٤، ص ٣٩٩.
٥. بحارالأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٠.

إجازته له بخطّ المجيز، وهو من الجودة والحسن في الغاية. وكان هذا الشيخ جليلَ القدر، واسعَ الرواية؛ فأحببتُ إيراد نبذةٍ من كلامه فيها، قال بعد الحمد والصلاة:

«يقول العبد الفقير المحتاج إلى الرحمة، عبد الصمد بن إبراهيم بن الخليل بن إبراهيم بن الخليل، قارئ الحديث النبوي ببغداد: قد أجزتُ للشيخ الإمام العلّامة الفقيه البارع الورع الفاضل الناسك الزاهد شمس الدين أبي عبدالله محمّد بن مكّي بن محمّد، كاتب الاستدعاء بخطّه الشريف (زاده الله تعالى توفيقاً، ونَهَجَ له إلى مَحَجَّة الفوز طريقاً) أنْ يرويَ عنّي جميعَ مايجوز لي وعنّي روايته ممّا قرأتُه أو سمعتُه يُقْرأ أو نُوولته أُجِيزتْ لي روايته أو كُتِبَ به إليّ أو وجدتُه أو صنَّفْتُه من كتاب أو نظمتُه من شعر أو أنشأتُه من خطبة أو رسالة أو فضل وعظي أو مقامة، وكلّ ما صحّ ويصحّ عنده أنّه ممّا يجوز روايته عنّي فله روايته عنّي، وقد تلفّظتُ له بذلك.

وممّا صنّفتُه الإكسير في التفسير ـ وهو مختصر رموز الكنوز ـ وعيون العين في الأربعين، وكمال الآمال في بيان حال المآل، وزين القصص في تفسير أحسن القصص ـ فسّرتُ فيه سورة يوسف باستقصاء ـ وأخفياء الأصفياء، والرعاية بحال الرواية في علوم الحديث... ونظمت في مدح النبيّ ﷺ نحواً من سبعين قصيدة، منها مايزيد على مائة بيت...»[1].

٤. محمّد بن يوسف القرشي الكرماني الشافعي الملقّب بشمس الأئمّة وصاحب شرح صحيح البخاري المعروف والموسوم بـالكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري. ولد عام ٧١٧ وتوفِّيَ عام ٧٨٦[2]. أجاز الشهيدَ عام ٧٥٨ ببغداد، وإليك نصّ إجازته:

بسم الله، والحمد لِلّه، والصلاة على رسوله محمّد وآله.

وبعد، فقد استجاز المولى الأعظمُ الأعلمُ، إمام الأئمّة، صاحب الفضلين، مجمع المناقب والكمالات الفاخرة، جامع علوم الدنيا والآخرة، شمس الملّة والدين محمّد ابن الشيخ العالم جمال الدين مكّي بن شمس الدين محمّد الدمشقي (رزقه الله في أُولاه وأُخراه

١. بحارالأنوار، ج ١٠٩، ص ٧٢ ـ ٧٣.

٢. وردت ترجمة ومصادر ترجمته في الأعلام، ج ٧، ص ١٥٣؛ ونفحات الأزهار، ج ٦، ص ٢١٠ ـ ٢١١؛ وفرهنگ‌نامهٔ رجال علمی ومشاهیر فرهنگی کرمان، ص ٢٦٤ ـ ٢٧٣.

ماهو أولاه وأحراه) روايةَ مالي فيه حقّ الرواية، لاسيّما الكتب الثلاثة التي صنَّفَها أُستاد الكلِّ في الكُلّ عضد الملّة والدين عبدالرحمن ابن المولى السعيد زين الدين أحمد بن عماد الدين عبدالغفّار الإيجي (روّح رَمْسه وقدّس نفسه): المواقف السلطانية والفوائد الغياثية وشرح مختصر المنتهى ... .

فاستخرتُ الله وأجزتُ، على أنّني ماكنتُ أهلاً لذلك، ولكن جرى عهد قديم لذلك لفظاً كتابةً لا كتابةً كتابةً، فله أنْ يروي عنّي ماثبت عنده أنّه من مرويّاتي من صاعه ومُدِّه، أو من نتائج فكر أنا أبوعذره، وإنْ كنتُ فيه مُزْجاةَ البضاعة، على شرائطها المعتبرة عند أهل الصناعة. والمأمول منه أنْ لاينساني في دعواته عند مظانّ إجاباته (بلّغَه الله وإيّانا إلى المطالب ورفع درجته إلى المراتب).

وإنّي أخذتُ العلومَ النقليةَ من والدي وشيخي المولى السعيد بهاء الدين يوسف (أعلى الله مكانه ومكانته) والعلوم العقلية من صاحب الكتب الثلاثة (قدّس الله نفسه) وعلم الأحاديث من مشايخ مصر والشام، كما أنّ أسماء هم وأنسابَهم وأُستاديّتهم مذكورة في مشيختي.

نمّقه العبد المفتقر إلى الله محمّد بن يوسف بن عليّ بن محمّد بن سعيد بن محمّد القرشي أصلاً الشافعي مذهباً الكرماني مولداً الملقّب بشمس الأئمّة (آتاه الله خير الدارين ورفع منزلته في المراتب [كذا، ظ: المرتبتين]) في أوائل جمادى الأُولى لسنة ثمان وخمسين وسبعمائة بمدينة السلام بغداد، بمنزلي المعهود في درب المسعود، حامدين لِلّه مصلِّين على محمّد أفضل الصلاة والسلام[1].

٥. ملك النحاة شهاب الدين أبوالعبّاس أحمد بن الحسن الحنفي النحوي فقيه الصخرة الشريفة ببيت المقدس، روى الشهيد عنه الخلاصةَ المالكية[2].

٦. شرف الدين محمّد بن بكتاش التستري البغدادي الشافعي مدرِّس المدرسة النظامية، روى عنه الشهيد صحيح البخاري وصحيح مسلم[3].

---

١. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٨٣ ـ ١٨٤.
٢. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٩٩، إجازة الشهيد لابن نجدة.
٣ و٤. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص٢٠٠، إجازة الشهيد لابن نجدة.

٧. ملك القراء والحفّاظ شمس الدين محمّد بن عبدالله البغدادي الحنبلي، روى عنه الشهيد صحيح البخاري [١] والشاطبية وقرأها عليه [٢].

٨. فخرالدين محمّد بن الأعزّ الحنفي، روى عنه الشهيدُ صحيحَ البخاري [٣].

٩. شمس الدين أبو عبدالرحمن محمّد بن عبدالرحمن المالكي المدرِّس بالمستنصرية، روى عنه الشهيد صحيح البخاري [٤].

١٠. ابن اللَّبّان الدِمشقي أبو المعالي محمّد بن أحمد بن عليّ بن الحسن بن جامع (٧١٥ـ٧٧٦)، كما ذكره الجزري [٥].

واعلم أنّ الجزري قال في ترجمة الشهيد: «وقرأ القِراءات على أصحاب ابن مؤمن» [٦]. وذكرنا أصحاب ابن مؤمن نقلاً عن الجزري [٧] في الفصل العاشر من هذا الباب ذيل كلام الجزري، فراجع.

وللوقوف على سائر مشايخ الشهيد من علماء العامّة انظر حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص٤٥ ـ ٤٧؛ بحارالأنوار، ج١٠٨، ص١٤٦ ـ ١٧١؛ الإجازة الكبيرة للشهيد الثاني؛ وج١٠٩، ص٣ ـ ٧٩، الإجازة الكبيرة لصاحب المعالم.

* * *

ثمّ اعلم أنّ العلّامة السيّد حسن الأمين رحمه الله قال:

> أمّا أساتذته في غير العراق فقد ذكر [في] بعض إجازاته أنّه يروي عن أربعين شيخاً من غير الشيعة، ولم يصل إلينا مِن أسمائهم غير اسم الشيخ شمس الدين محمّد بن يوسف القرشي الشافعي الكرماني [٨].

---

٢. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص ١٩١، إجازة الشهيد لابن الخازن.

٦ و٤. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص ٢٠٠، إجازة الشهيد لابن نجدة.

٥. غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥، ٧٢ـ٧٣. وانظر ترجمة ابن اللبّان في الفصل العاشر من هذا الباب، ذيل كلام الجزري.

٦. غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥.

٧. وانظر غاية النهاية، ج ١، ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠.

٨. الشهيد الأوّل، ص٨٦.

أقول: وهذا سهو بيّن؛ فقد ذكرنا أسماء تسعة شيوخ من مشايخه من غير الشيعة.

* * *

وقد تحمّل الإمام الشهيد الأوّل خاصّةً، وعلماء السلف عامّةً، في سبيل طلب العلم من المشاقّ الكثيرة التي لاتقدر على حملها طلّاب العلم الديني اليوم. وهي مشاقّ نسخ الكتب وندرة وجودها، ومشاقّ السفر والتنقّل؛ إذ لم‌تكن في ذلك العهد وسائل النقل وأسباب الراحة وآلات الطبع ودور النشر ومكاتب للمطالعة... وغير ذلك ممّا فيه مساعدة لطلب العلم وتسهيل دراسته وتحصيل علومه وكتابة دروسه وتهيئة سفره وإخراج كتبه، كما هو الحال اليوم.

والعالم الديني أمس لم يكن في الغالب محصوراً في مدينةٍ خاصّة كالنجف والأزهر وقم اليوم، وإنّما كانت هيئات علمية متفرّقة في أقطار المسلمين ومدنهم، وبيت كلّ عالمٍ مدرسة تحفّ حولها الطلّابُ وتقصد إليه من أماكن مختلفة وبلدان بعيدة. فكان الطالب الديني الذي يريد زيادة العلم... يقصد كلّ عالم سمع به وعرف بالتحقيق والتدقيق، كما كان يفعل الإمام الشهيد الأوّل ... [1].

١. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص٤٧ ـ ٤٨.

الفصل الثامن

تلامذته والراوون عنه

قرأ على الشهيد الأوّل عدد كبير من العلماء في كثير من البلدان، وتخرّج عليه فقهاء كبار وعلماء عظام. قال المحدِّث النوري (نوّر الله مرقده):

> اعلم أنّ طرق إجازات علمائنا على كثرتها وتشتّتها تنتهي إلى هذا الشيخ العظيم الشأن، ولم أعثر على طريقٍ لا تمرّ عليه إلّا على قليل أشار إليه صاحب المعالم في إجازته [1].

وقال المحدِّث القمّي قدس سره:

> ومن تأمّل إلى طرق إجازات علمائنا على كثرتها وتشتُّتها وجد جُلَّها أو كلّها تنتهي إلى هذا الشيخ المعظّم [2].

وإليك أسماء بعض تلامذته والمجازين منه:

١. جمال الدين المقداد بن عبدالله السُيُوري الحلّي المعروف بالفاضل المقداد (م٨٢٦) [3]. وسيأتي كلام الشهيد بشأنه في البحث عن مؤلّفاته وآثاره العلمية في ذيل أجوبة مسائل الفاضل المقداد. وهو يروي عن الشهيد [4].

٢. شمس الدين أبوجعفر محمّد بن تاج الدين أبي محمّد عبدالعلي بن نجدة الكركي. أجازه الشهيد في عاشر شهر رمضان سنة سبعين وسبعمائة، ونقلت هذه الإجازة في مجلّد

---

١. خاتمة مستدرك الوسائل، ج٣، ص٤٣٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٣١١، ط. الجديدة.
٢. الكنى والألقاب، ج٢، ص٣٤٦.
٣. وردت ترجمته في الضياء اللامع، ص١٣٨ ـ ١٤٠.
٤. بحارالأنوار، ج١٠٨، ص ١٥٠، الإجازة الكبيرة للشهيد الثاني؛ وج١٠٩، ص ٤٩، الإجازة الكبيرة لصاحب المعالم.

إجازات البحار[١]. وسيأتي في الباب الثاني وصف الشهيد له في هذه الإجازة والكتب التي قرأها على الشهيد.

ونقل الجباعي في مجموعته مكاتبة الشهيد له حيث قال:

من مكاتبة الشيخ السعيد الشهيد شمس الدين محمّد بن مكّي تهنئةً لتلميذه شمس الدين محمّد بن عبدالعلي الكركي:

قدمتَ بطالع السعد السعيد ... وحيّاك القريبُ مع البعيدِ
وأحْيَيْتَ القلوب وكان كُلٌّ ... من الأصحاب بعدَك كالفقيدِ ...
وزُرْتَ المصطفى وبنيه حتّى ... وصلتَ إلى المكارم والسعودِ ...
وإنّي مُشفِقٌ والعزمُ منّي ... لقاؤك من قصيرٍ أو مديدِ[٢]

ونقل الجباعي في مجموعته مطالبَ في صفحةٍ وقال في آخرها: «كتبتُ من خطّ الشيخ شمس الدين محمّدبن عبدالعلي بن نجدة الكركي»[٣]. وقال الجباعي أيضاً:

ـ مات محمّد بن عبدالعلي بن نجدة سنة ثمان وثمانمائة، ومات ولده أحمد سنة اثنين وخمسين وثمانمائة[٤].

ـ تُوُفِّيَ الشيخ شمس الدين محمّد بن عبدالعلي (تغمّده الله برحمته وأسْكَنَه بحبوحةَ جنّته بمحمّدٍ وآله وعترته صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين) في شهر شعبان سنة ثمان وثمانمائة هجرية نبوية (على مشرّفها السلام)[٥].

٣. زين الدين أبوالحسن عليّ بن عزّالدين الحسن بن محمّد الخازن الحائري[٦]. أجازه الشهيد في دمشق ثاني عشر شهر رمضان عام ٧٨٤، ونُقِلَتْ هذه الإجازة في مجلّد إجازات البحار[٧].

---

١. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٩٣ ـ ٢٠١، وسيأتي متنها في الفصل الثاني من الباب الثالث.
٢. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٨ ألف؛ بحارالأنوار، ج١٠٧، ص٢٩؛ تكملة أمل الآمل، ص٣٤٨.
٣. مجموعة الجباعي، الورقة ١٨٥ ب.
٤. مجموعة الجباعي، الورقة ١٨٤ ألف؛ بحارالأنوار، ج١٠٧، ص٢٠٩.
٥. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٧ ألف؛ بحارالأنوار، ج١٠٧، ص٢٨؛ تكملة أمل الآمل، ص٣٤٨ ـ ٣٤٩. وانظر ترجمة ابن نجدة في الضياء اللامع، ص ١٢٤ ـ ١٢٥.
٦. وردت ترجمته باختصار في الحقائق الراهنة، ص١٣٧؛ ريحانة الأدب، ج ٧، ص ٤٩٢.
٧. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٨٧ ـ ١٩٢، وسيأتي متنها بتمامها في الفصل الثاني من الباب الثالث.

أجاز ابنُ الخازن لابن فهد الحلّي رحمهما الله، وأورد في إجازته إجازةَ الشهيد له بتمامها، وقال بعد إيرادها:

إلى هنا انتهى صورة ماحرّره وإجازة ما كتبه (عظّم الله أجره، وعَوَّضَه عمّا وصله بمحمّدٍ وعترته)[١].

٤. شمس الدين محمّد بن عليّ بن موسى بن الضحّاك الشامي[٢]. قال الجباعي في مجموعته:

تُوُفِّي إلى رحمة الله الشيخ الإمام العالم، الفقيه الأديب، شمس الدين محمّد بن عليّ بن موسى بن الضحّاك الشامي أحد تلامذه الشيخ الفاضل العالم شمس الدين بن مكّي ثامن عِشْري شعبان سنة إحدى وتسعين وسبعمائة (رحمه الله وحشره مع أئمّته). وكان هذا الشيخ من العلماء العقلاء وأولاد المشايخ الأجلّاء، ورفيق شيخه ابن مكّي أوّل اشتغاله بالحلّة. وكان للشيخ الإمام فخرالدين بن المطهَّر به خصوصية، وكان اشتغاله على شيخه ابن مكّي إلى حين مقتله، وكان يُعظِّمه جدّاً ويشير إليه. وله مباحثات حسنة وأبيات وأشعار رائقة رقيقة مشهورة[٣].

٥. الشيخ زين الدين أبوالحسن عليّ بن بشارة العاملي الشقراوي الحنّاط. قال الطهراني (طاب ثراه) في البحث عن إجازات العلماء:

إجازة شيخنا السعيد الشهيد... كتب هذه الإجازة لجماعةٍ من العلماء الذين قرؤوا عليه علل الشرائع للشيخ الصدوق، وهي بخطّه كانت عند صاحب الرياض... تاريخها ثاني عشر شعبان سنة ٧٥٧. والعلماء المجازون هم: الشيخ جمال الدين أحمد... والشيخ عزّالدين أبو محمّد... والشيخ عزّالدين أبوعبدالله... والفقيه عزّالدين الحسين... والشيخ زين الدين... والسيّد أبوعبدالله ...[٤].

---

١. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص٢١٨.

٢. وردتْ ترجمته باختصار في الحقائق الراهنة، ص١٩٦؛ وأعيان الشيعة، ج ١٠، ص١٨؛ و رياض العلماء، ج ٧، ص ١٤٩ ـ ١٥٠.

٣. مجموعة الجباعي، الورقة ١٨٤ ألف؛ بحارالأنوار، ج١٠٧، ص٢٠٩. وانظر بعض أشعاره في الفصل الثالث من الباب الثالث، قافية القاف.

٤. الذريعة، ج ١، ص٢٤٧. وسيأتي نصّ كلام الطهراني بهذا الشأن في البحث عن إجازات الشهيد.

وقال الشيخ محمّد رضا شمس الدين بعد الإشارة لهذه لإجازة:

... وفيها بعد أنْ عدَّدَ أسماءَ ستّةٍ منهم... قال: «وآخرون كثيرون». فهذا وغيره يدلّ على كثيرة المتلمذين عليه، وأنّهم أضعاف المعروفين من تلامذته [١].

قال الطهراني في ترجمة الشيخ زين الدين الشقراوي:

من تلاميذ محمّد بن مكّي الشهيد... والمجاز منه... مع خمسة آخرين من العلماء الذين قرؤوا عليه عِلَل الشرائع، فكتب لهم الإجازة في ثاني عشر شعبان ٧٥٧. وكان صاحب الترجمة أوّل من ذكرهم، ووصفه بقوله: «الشيخ الأجلّ العالم، العامل الفاضل، الفقيه الكامل، الزاهد العابد، زين الدين أبوالحسن عليّ بن بشارة العاملي الشقراوي الحنّاط» [٢].

٦. جمال الدين أحمد بن إبراهيم بن الحسين الكسرواني [٣]. قال الطهراني في ترجمته:

من تلاميذ الشهيد والمجاز منه مع جمع من العلماء في ثاني عشر شعبان ٧٥٧... ووصفه في الإجازة بـ«الشيخ الفقيه الزاهد العابد جمال الدين أحمد... إلخ». وصورة الإجازة موجودة في الرياض [٤].

٧. الشيخ عزّ الدين أبوعبدالله حسين بن عليّ العاملي. قال الطهراني في ترجمته:

من تلاميذ الشهيد الأوّل وثالث الستّة المجازين منه في إجازة واحدة تاريخها ثاني عشر شعبان ٧٥٧، كتبها على ظهر علل الشرائع ووصفه فيها بـ«الشيخ الفقيه العالم، العامل الكامل، عزّ الدين... إلخ». وصرَّح بأنّه قرأ عليه أكثر العلل [٥].

٨. الفقيه عزّ الدين الحسين بن محمّد بن هلال الكركي. «وهو رابع العلماء المجازين الستّة

---

١. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٥٤، الهامش.

٢. الحقائق الراهنة، ص ١٣٥؛ وانظر رياض العلماء، ج ٣، ص ٣٤٧؛ تكملة أمل الآمل، ص ٢٨٥.

٣. ذكره الطهراني في الحقائق الراهنة، ص ٤ بعنوان «الكرواني». وقال العلّامة السيّد الأمين في أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٤٨٣ ـ ٤٨٤: «هكذا وجدناه... والظاهر أنّه مصحَّفٌ من الكوثراني نسبة إلى الكوثرية قرية من قُرى جبل عامل...». وورد في تكملة أمل الآمل، ص ٩٠: «الكوثراني العاملي». والصواب: «الكسرواني» نسبة إلى كسروان من جبل لبنان؛ انظر جبل عامل بين الشهيدين، ص ١٥٨.

٤. الحقائق الراهنة، ص ٤. أقول: سيأتي نصّ هذه الإجازة في الفصل الثاني من الباب الثالث.

٥. الحقائق الراهنة، ص ٥٧؛ وانظر أعيان الشيعة، ج ٦، ص ١١٩؛ تكملة أمل الآمل، ص ١٨٧.

منه»[١]. قال العلّامة السيّد الأمين في ترجمته:

عالم فاضل فقيه... كتب له الشهيد إجازة ولجماعة غيره من العلماء وهم ستّة مع المترجَم... ووَصفَه فيها بـ«الفقيه»[٢].

٩. السيّد شمس الدين أبوعبدالله محمّد بن محمّد بن زهرة الحسيني الحلبي. قال الطهراني في ترجمته:

أحد العلماء المجازين عن الشهيد في ثاني عشر شعبان ٧٥٧ في إجازةٍ واحدة. وَصَفَ المترجَم له فيها بـ«الفقيه العالم الفاضل المحقّق الورع... إلخ». ورأيتُ بخطّ المترجَم له إجازةً وإنهاءً كتبه لبعض تلاميذه على تحرير القواعد [كذا، والصواب: تحرير الأحكام أو قواعد الأحكام] للعلّامة الحلّي بعد قِراءة التلميذ عليه في مجالس آخرها خامس... من ٧٥٧. وقد تمزّق بعض كلماته، يقرأمنها ماذكرت. والنسخة موجودة عند هبةالدين الشهرستاني ...[٣].

١٠. الشيخ عزّالدين أبو محمّد حسن بن سليمان بن محمّد الحلّي العاملي، مؤلِّف مختصر بصائر الدرجات، المطبوع في النجف الأشرف. أجاز لَه الشهيد ولجماعة غيره ثاني عشر شعبان عام ٧٥٧[٤]. ووصفه الشهيد في إجازته:

الشيخ الصالح الورع الديّن العدل عزّ الدين أبي محمّد الحسن بن سليمان بن محمّد الحلّي المولد، العاملي المحتد[٥].

كان حيّاً سنة ٨٠٢. كتب في إجازته عليّ ظهر نسخةٍ من الخصال للشيخ الصدوق، لبعض تلاميذه وهو الشيخ حسين بن محمّد الجُوَيّاني العاملي:

... وأذنتُ له في روايته عنّي عن شيخي الشيخ الفقيه العالم الشهيد وليّ آل محمّد (صلوات الله عليهم) أبي عبدالله محمّدبن مكّي الشامي، عن شيخه السيّد عميد الدين...

---

١. الحقائق الراهنة، ص ٥٩.
٢. أعيان الشيعة، ج ٦، ص ١٦٨. وانظر مع موسوعات رجال الشيعة الإمامية، ج ٢، ص ٤٧٣.
٣. الحقائق الراهنة، ص ٢٠٢.
٤. الحقائق الراهنة، ص ٤٠ ـ ٤١؛ الذريعة، ج ١، ص ٢٤٧؛ وج ٢٠، ص ١٨٢ ـ ١٨٣.
٥. تكملة أمل الآمل، ص ١٤٩.

وكتب عبدالله حسن بن سليمان بن محمّد في الثالث والعشرين من شهر المحرّم الحرام سنة ٨٠٢ هجرية، والحمد لِلّه وحدَه [١].

١١. أحمد بن الحسن بن محمود. قال الطهراني (طاب ثراه):

الظاهر بل المظنون أنّه كان شيخاً يسكن جبل عامل، وكان تلميذ الشهيد محمّد بن مكّي سنة شهادته ٧٨٦، ويقرأ عليه تصانيفه، وكان يكتب كلّ ما يخرج من كتاب الذكرى ... [٢].

أقول: قال الشهيد الثاني في نسخة الأصل من الفوائد المليّة (الورقة ١٢٠) بشأنه نقلاً عن خطّ ولد الشهيد عليّ:

توفّي الشيخ جمال الدين أحمد بن حسن بن محمود الأطراوي ـ وكان من أكبر تلامذة الوالد ومعلّمنا القرآن والعربية والآداب، وكان عالماً فاضلاً تقيّاً ـ توفّي بمكّة لمّا كان مجاوراً بها في تاسع شهر المحرّم سنة سبع وثمانمائة.

١٢. الشيخ صفيّ بن محمّد بن عليّ بن الحسن الجرجاني العاملي نزيل جِزّين. قال العلّامة السيّد حسن الصدر رحمه الله:

كان من تلامذة الشهيد الأوّل، رأيت كنز الفوائد في شرح مشكلات القواعد للسيّد عميد الدين أُستاد الشهيد بخطّه. قال في آخر الجزء الأوّل: «تمّتْ كتابة هذا النصف ـ من نسخةٍ منقولة من خطّ شيخنا المعظّم و إمامنا الأعظم، قدوة العلماء في العالم، قبلة فضلاء بني آدم، فريد الدهر ووحيد العصر، مولانا شمس الملّة والدين، محمّد بن مكّي (دام ظلّه) وهو نقلها لنفسه من خطّ المصنِّف قدس سره ـ وقت الضحى يوم الأحد خامس ذي الحجّة الحرام سنة أربع وثمانين وسبعمائة في قرية جِزّين، حامداً لربّه ومصلِّياً على

١. أعيان الشيعة، ج ٥، ص ١٠٦؛ مخطوطة كتاب الخصال المحفوظة في مكتبة آية الله المرعشي، المرقّمة ٤٢٧٥، ذكرت في فهرسها، ج ١١، ص ٢٧٦. انظر ترجمته في أعيان الشيعة، ج ٥، ص ١٠٦ ـ ١٠٧، و الضياء اللامع، ص ٣٤، و أمل الآمل، ج ٢، ص ٦٦، ١٤٥، و روضات الجنّات، ج ٢، ص ٢٩٣، و الفوائد الطريفة، ص ٣٧٩، و خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٥، ص ١٩٩ و فهرست نسخه‌های خطی کتابخانهٔ مرکزی، ج ٥، ص ١٥٧٣ ـ ١٥٧٨.

٢. الحقائق الراهنة، ص ٦. وانظر ما سيأتي في البحث عن تأليفات الشهيد وآثاره العلمية في ذيل عنوان «ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة» في الفصل الأوّل من الباب الثالث.

نبيّه وآله. والكاتب المالك صفيّ بن محمّد (غفر الله له ولوالديه)». وكتب في آخر الجزء الثاني: «تمّ كتبه لنفسه من يد العبد الضعيف الراجي إلى الله اللطيف صفي بن محمّد بن عليّ بن الحسن الجرجاني ليلة الثلاثاء الرابع من محرّم الحرام في قرية جزّين من بلاد الشام سنة خمس وثمانين وسبعمائة، نسخةً ثانيةً منقولة عن خطِّ المصنّف»[١].

١٣. الشيخ شمس الدين محمّد بن مجاهد.

ذكره العلّامة السيّد حسن الصدر فقال:

الشيخ شمس الدين بن مجاهد العاملي. عالم فاضل فقيه، من أجلّاء أصحابنا، تلميذ الشهيد الأوّل محمّد بن مكّي، والرواي عنه كتاب الدورس بالخصوص. ويروى عن صاحب الترجمة الشيخ سليمان العيناثي المتقدَّم ذكره[٢].

وقال الطهراني في ترجمة محمّد العيناثي: «يروي عن سليمان العيناثي عن شمس الدين بن مجاهد عن الشهيد[٣]: وفي مكتبة الإمام الحكيم العامّة في النجف الأشرف مخطوطة باسم أجوبة مسائل محمّد بن مجاهد، يأتي البحث عنها في «الباب الثالث: مؤلّفات الشهيد وآثاره العلمية».

١٤. الشيخ إسماعيل الزَراري، نسبة إلى «الزَرارية» بلدة في جبل عامل[٤]. ويقع حصن اليالوشي في قرية المغيريه شرقيّ بلدة الزرارية[٥]. يروي عن الشهيد أربع مسائل فقهية و مسائل تزاحم الحقوق.

واعلم أنّه ذكر في المصادر بأنحاء مختلفة، أعني: «إسماعيل الرازاني»[٦]، «الرزاني»[٧]،

---

١. تكملة أمل الآمل، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥.
٢. تكملة أمل الآمل، ص ٢٣٠، وانظر رياض العلماء، ج ٧، ص ١٥٠.
٣. الضياء اللامع، ص ١٢٦.
٤. انظر تاريخ الزرارية والبلاد العاملية ماضياً وحاضراً وتطّلعات، لخليل شرف الدين، ص ٧٦؛ معجم قرى جبل عامل، ج ١، ص ٣٥٢.
٥. انظر تاريخ الزرارية والبلاد العاملية ماضياً وحاضراً وتطّلعات، لخليل شرف الدين، ص ٧٦.
٦. الضياء اللامع، ص ٧٠، ١١٧؛ طبقات الفقهاء، ج ٩، ص ٢٠٨.
٧. الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٤١؛ رياض العلماء، ج ٧، ص ١٠٣.

«الدارني (خ ل: الوراني)» [١]، «الزرائي» [٢]، «الرازقي» [٣]. وقال العلّامة الأمين نقلاً عن الرياض:

... والظاهر أنّ الرازاني ـ بفتح الراء المهملة ثمّ الألف والزاي والنون نسبة إلى «رازان» من قري جبل عامل. انتهى.

وهو سهو؛ فإنّه ليس في جبل عامل قريه بهذا الاسم، بل هو نسبة إلى «رازان» ـ براء و ألف وزاى و نون ـ قرية من قُرى إصفهان ذكرها ياقوت في معجم البلدان [٤].

وعدّه الشيخ جعفر المهاجر (حفظه الله سبحانه) من تلامذة الشهيد الإيرانيين، فقال:

إسماعيل الرازاني. ورازان قرية من قرى أصفهان، وأيضاً محلّة في بروجرد، مدينة إيرانية، فهو على الحالين إيراني بقدر ما تدلّ نسبته [٥].

أقول: الظاهر أنّ الصواب «الزراري» نسبة إلى «الزَرارية» بلدة في جبل عامل كما سبق، وكيفما كان، قال صاحب الرياض في وصفه:

كان من مجتهدي الأصحاب وأرباب الفتاوى. وكان معاصراً لابن سليمان كما يظهر من بعض التعليقات على الدروس [٦].

وقال في ترجمة الشيخ أبوالقاسم ابن طيّ:

... وقد يروي عن الشيخ إسماعيل الرازاني تلميذ الشهيد أيضاً، ولكن بواسطة الشيخ أبي جامع المذكور [٧].

وقال السيّد الصدر في ترجمة الشيخ حسين بن عليّ [بن زين العابدين] بن حسام الدين العاملي العيناثي:

... رأيت له إجازةً كتبها للسيّد الأجل السيّد حسين ابن السيّد مرتضى الحسين رضي الله عنه سنة ٨٧٣، يروي فيها عن الشيخ أبي طالب الدراني [كذا]، عن أبيه [إسماعيل] عن الشيخ الشهيد... مصنِّف البيان الذي كتب الإجازة في ظهره... . ويروي أيضاً الدروس

---

١. الضياء اللامع، ص ٧٠؛ تكملة أمل الآمل، ص ١٨٧.
٢. طرائف المقال، ج ١، ص ٩٥.
٣. فهرس مخطوطات المكتبة المركزية لجامعة طهران، ج ١٠، ص ١٥٩.
٤. أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٣٦٤.
٥. جبل عامل بين الشهيدين، ص ١٥٩.
٦. رياض العلماء، ج ٧، ص ١٠٣.
٧. رياض العلماء، ج ٤، ص ١٥٨ ـ ١٥٩.

بالخصوص عن أخيه المذكور عن الشيخ سليمان العيناثي عن الشيخ شمس الدين [ابن] مجاهد عن المصنِّف... .

ويروي الشيخ حسين أيضاً عن الشيخ أبي طالب الدراني عن الشيخ الشهيد بلا واسطة أبيه [١].

١٥. السيّد حسن بن أيّوب الشهير بابن نجم الدين الأطراوي العاملي [٢].

١٦. السيّد أبوطالب أحمد بن القاسم بن زهرة الحسيني، عالم فاضل جليل، يروي عن الشهيد [٣].

١٧. حسين بن محمّد الوحيدي البتدّيني نسبةً إلى قرية «بتدّين اللقش» المجاورة لجزّين. يروى عنه واقعة حصلتْ للشهيد في مدرسته، بينما هو يكتب ويؤلّف كتاب الدورس، أي قبيل شهادته بسنواتٍ قليلة [٤].

١٨. السيّد محمّد بن أحمد الموسوي البعلبكي، يروي كرامةً حصلت للشهيد في بعض أسفاره [٥].

١٩. محمّد بن على بن الوحيد البتدّيني. صاحب نسيم السحر ظاهراً، أي مصنّف أصل مختصر نسيم السحر الذي بأيدينا [٦].

٢٠. أحمد بن نجّار الذي تنسب إليه حاشية قواعد الأحكام المعروفة بـ الحاشية النجارية، يأتي ما وقفنا عليه من ترجمته في الفصل الأوّل من الباب الثالث، ذيل حاشية القواعد.

٢١. الشيخ رضيّ الدين أبوطالب محمّد أكبر أبناء الشهيد [٧].

---

١. تكملة أمل الآمل، ص ١٨٧ ـ ١٨٨.

٢. بحارالأنوار، ج ١٠٨، ص ١٥٠، الإجازة الكبيرة للشهيد الثاني؛ رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ١١١٦؛ تكملة أمل الآمل، ص ١١٩. وردت ترجمة ابن نجم الدين في الحقائق الراهنة، ص ٣٧ ـ ٣٨؛ وأعيان الشيعة، ج ٥، ص ٢٤ ـ ٢٦. وانظر ما سيأتي في البحث عن تأليفات الشهيد وآثاره العلمية في ذيل عنوان «أجوبة مسائل ابن نجم الدين الأطراوي».

٣. أمل الآمل، ج ٢، ص ٢١؛ رياض العلماء، ج ١، ص ٥٥؛ ريحانة الأدب، ج ٧، ص ٥٤٩.

٤. انظر مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق الكتاب.

٥. انظر مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق الكتاب.

٦. انظر مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق الكتاب.

٧. بحارالأنوار، ج ١٠٩، ص ٢٠، ٥٥، الإجازة الكبيرة لصاحب المعالم؛ الذريعة، ج ١، ص ٢٤٨.

٢٢. الشيخ ضياء الدين أبوالقاسم عليّ [١].

٢٣. الشيخ جمال الدين أبومنصور حسن [٢]. وهو أصغر من أخويه.

٢٤. العالمة أُمّ الحسن فاطمة الملقّبة بـ«سِتّ المشايخ» بنت الشهيد [٣].

وهناك بعض الأفاضل الذين كاتبوا الشهيد وكان بينهم مراودة ولعلّهم كانوا من تلاميذه، ومنهم حسين بن أحمد المدني؛ فإنّه كما قال الجباعي في مجموعته:

كتب من مدينة الرسولﷺ إلى الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي في حاجةٍ رسالةً صورتها من صدرها:

إلى الشيخ شمس الدين أُهدي تحيّةً ... تُضارع ضَوْع المسك والمِسْك عاطرُ

إلى مَعْدِن التقوى إلى مَعْدِن النهى ... إلى الروض طابَتْ مِنْ جناه الأزاهرُ

أسْبَغَ الله لديه العوارفَ، وصرف عن جَنابه الصوارفَ، وأبقاه شمساً للدين كما يُدْعى، وكمالاً للمؤمنين يُشَيّدُ أصلاً ويستنتج فرعاً.

العبد الداعي حسين بن أحمد [٤]

وهناك بعض العلماء يحتمل أن يكونوا من تلامذة الشيهد، منهم: حسين بن محمّد الجُوَيّاني [٥] العاملي، قال في آخر مخطوطة لشرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ـ المحفوظه في مكتبة آية الله المرعشي في قم، برقم ٩٣٨٨، المذكورة في فهرسها، ج ٢٤، ص ١٦٩ ـ:

ووافق الفراغ من كتابته على يد العبد الضعيف عملاً، الجسيم أملاً، الكثير زللاً: حسين بن محمّد بن الحسن الجُوَيّاني العاملي (عفا الله عنه وعن والديه وعن المؤمنين والمؤمنات)

---

١. بحارالأنوار، ج ١٠٩، ص ٢٠، ٥٥، الإجازة الكبيرة لصاحب المعالم؛ الذريعة، ج ١، ص ٢٤٨.
٢. بحارالأنوار، ج ١٠٩، ص ٢٠، الإجازة الكبيرة لصاحب المعالم؛ الذريعة، ج ١، ص ٢٤٨.
٣. أمل الآمل، ج ١، ص ١٩٣.
٤. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٤.
٥. جوَيّا: قرية من قرى جبل عامل، انظر معجم قرى جبل عامل، ج ١، ص ٢١٢ ـ ٢١٥ والجُوَيّاني هذا من تلاميذ الشيخ حسن بن سليمان الحلّي، وأجازه بخطّه الشريف في سنة ٨٠٢ على ظهر نسخةٍ من الخصال المحفوظة في مكتبة آية الله المرعشي برقم ٤٢٧٥.

وذلك بالمدرسة المعروفة بمدرسة السيّد مرتضى (رحم الله مُنشِئَها) المجاورة لحرم مولانا وسيّدنا الإمام المفترض الطاعة على الخلق أجميعن، أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه من الصلوات أتمّها وأكملها، ومن التحيّات ألزمها وأفضلها) وذلك يوم السبت قبيل العصر الحادى عشر من شهر جمادى الأُولى من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، والحمد للّه وحده، وصلّى الله على من لا نبّي بعده محمّد وآله وسلّم.

والجدير بالذكر أنّه كتب نسخةً من الدروس للشهيد أيضاً وفرغ من كتابتها في الحادي عشر من ذي الحجّة عام ٧٩٨. وهذه النسخة محفوظة في مكتبة الإلهيات والمعارف الإسلاميّة بطهران برقم ١٦٣ ج، ذكرت في فهرسها (ج ١، ص ٥٤٩) وكتب أيضاً نسخةً من مهج الدعوات، للسيّد ابن طاوس وفرغ من كتابها عام ٧٨٩، وهذه النسخة محفوظة في مكتبة آية الله المرعشي، برقم ١٣٩١١/١.

ثمّ اعلم أنّ العلّامة السيّد حسن الأمين قال في وصف تلاميذ الشهيد:

وهؤلاء هم ما بين حلّيٍّ وكربلائيٍّ ونجفيٍ من المشاهير في فقههم وتآليفهم، تلقّوا العلم على الطالب العاملي الذاهب لطلب العلم في سنٍّ هي دون العشرين [1].

أقول: هذا سهوٌ بيّن؛ فإنّه كما سبق في الفصل الثالث ولد حوالى عام ٧٢٤، لا في ٧٣٤ كما هو المشهور؛ و ثانياً فإنّ عدداً من هؤلاء كانوا من تلاميذه في أواخر عمره الشريف، كما علم ممّا سبق في هذا الفصل.

وللوقوف على سائر تلامذته راجع مصادر ترجمته [2].

* * *

اعلم أنّ الشيخ آقا بزرگ الطهراني (طاب ثراه) قال في ذكر شروح ألفية الشهيد:

شرح ألفية الشهيد، للشيخ جمال الدين أبي العبّاس أحمد ابن الشيخ شمس الدين محمّد بن فهد الحلّي تلميذ المؤلِّف والمتوفّىٰ ٨٤١ [3].

---

١. الشهيد الأوّل، ص ٨٦.

٢. منها حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٥٠ ـ ٥٦؛ الضياء اللامع، ص ١٤، ٧٠ وغير هذه الصفحات؛ روضات الجنّات، ج ٧، ص ٦ ـ ٩؛ تكملة أمل الآمل، ص ١٨٧ ـ ١٨٨، ٢٣٠؛ أعيان الشيعة، ج ٨، ص ١٧٧.

٣. الذريعة، ج ١٣، ص ١٠٨.

أقول: هذا سهوٌ بلا ريب؛ فلم يكن ابن فهد (م٨٤١) تلميذ الشهيد، ولم أجد هذا القول لأحدٍ من العلماء قبلَ الطهراني، وإنّما يروي ابن فهد ﷺ عن بعض تلامذة الشهيد مثل ابن الخازن الحائري[١] وضياء الدين عليّ ولد الشهيد[٢].

ثمّ اعلم أنّ العلّامة السيّد حسن الصدر قال في ترجمة ابن العشرة:

> ويظهر من عوالي اللآلي [ج١، ص٧، ٩] أنّ له الرواية عن شيخنا الشهيد، والمعروف أنّه يروي عن الشيخ... أحمد بن فهد الحلّي[٣].

أقول: ما ذكره في العوالي سهوٌ بلاريب، فإنّ ابن العشرة يروي عن الشهيد بواسطة ابن نجدة وضياء الدين عليّ أبي القاسم ولد الشهيد[٤].

---

١. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص٢١٧ ـ ٢١٨.
٢. انظر كشكول البحراني، ج١، ص٣٠٤؛ أعيان الشيعة، ج٣، ص١٤٧ ـ ١٤٨.
٣. تكملة أمل الآمل، ص١٥٣.
٤. انظر تفصيل ذلك في الضياء اللامع، ص٣٦ ـ ٣٧.

الفصل التاسع
أولاده وزوجته

تفيد المصادر أنّ الشهيد خلَّف أربعة أولاد: ثلاثة ذكور صاروا من العلماء الأجلّاء، وبنتاً واحدةً صارتْ عالمةً فاضلةً اسمها فاطمة لُقِّبَتْ بـ«ستّ المشايخ [1]» وكُنِّيَتْ بـ«أُمّ الحسن». أمّا زوجته فكنيتها «أُمّ عليّ» وكانت بدورها عالمةً أيضاً. قال الشيخ الحرّ العاملي قدس سره في ترجمتها:

> أُمّ عليّ زوجة الشهيد كانت فاضلةً تقيّةً عابدةً، وكان الشهيد يثني عليها ويأمر النساء بالرجوع إليها [2].

امّا أبناؤه فهم على الترتيب:

١. الشيخ رضي الدين أبو طالب محمّد [3].

٢. الشيخ ضياء الدين أبوالقاسم عليّ، وهو أفضلهم [4].

٣. الشيخ جمال الدين أبو منصور حسن [5].

---

١. في رياض العلماء، ج ٥، ص ٤٠٤: «الستّ: مخفّف «سيّدة» مع إدغام الدال في التاء، وهذا كما يقال: «ستّي» و «ستّي فاطمة»، والحال فيهما كذلك، وأصلهما: سيّدتي».

٢. أمل الآمل، ج ١، ص ١٩٣.

٣. انظر أعيان الشيعة، ج ٩، ص ٤١٠ وماسيأتي في البحث عن مؤلّفات الشهيد وآثاره العلمية في ذيل «المسائل الفقهية».

٤. كتب شيخنا البهائي رحمه الله بظهر نسخةٍ من الرعاية للشهيد الثاني رحمه الله: «توفي ولده [أي ولد الشهيد] ضياء الدين علي رحمه الله في شعبان سنة ستٍّ وخمسين وثمانمائة» (الرسائل الرجالية، ج ٢، ص ٥٢٨).

٥. وردت تراجِمَهم باختصار في أمل الآمل، ج ١، ص ٦٧، ١٣٤، ١٧٩ ـ ١٨٠؛ والضياء اللامع، ص ٤٣، ٩٩ ـ ١٠٠، ١٢١؛ الحقائق الراهنة، ص ٥٠؛ تكملة أمل الآمل، ص ٣١٣؛ طبقات الفقهاء، ج ٩، ص ١٧١ ـ ١٧٢.

اعلم أنّه كتب الشهيد الثاني في نسخة الأصل من الفوائد المليّة، الورقة ١٢٠:

توفّي الشيخ ضياءالدين عليّ ولد شيخنا ومولانا السعيد الشهيد محمّد بن مكّي في نهار الأربعاء عشرين من شعبان سنة ستّ وخمسين وثمانمائة.

وبخطّ الشيخ ضياءالدين عليّ: «توفّيت الوالدة أُمّ الفضل [ظ] بنت... السوراوي من أهل مدينة الحلّة بقرية جبع ـ لمّا ارتحلنا مِن جِزّين إليها ـ [في] العشرين من رجب سنة ستّ وثلاثين وثمانمائة، وكان لها من العمر ثلاث وتسعون سنة، وبينها وبين وفاة الوالد الشهيد مدّة خمسين سنة وثلاثة أشهر.

وتُوفِّيت الأُخت ستّ المشايخ بنت الشهيد سنة تسع وعشرين وثلاثمائة».

وبخطّ ولده على: «تُوفّي الأخ الشيخ رضيّ الدين أبوطالب محمّد ولد المرحوم الشهيد ظهر الجمعة سادس عشر شهر صفر سنة خمسين [1] [ظ] وثمانمائة».

قال صديقي الدكتور يوسف طباجة (حفظه الله تعالى):

والملاحظ أنّ كنية أُمّ عليّ زوجة الشهيد تعود له [أي لعليّ نجله الأوسط وأفضل أولاده]، وباعتباره الابن الأوسط ممّا يرجّح أنّ الشهيد تزوّج من أكثر مِنْ واحدة، وأنّ أولاده ليسوا من أُمٍّ واحدة... [2].

قال الشهيد في مقدّمة كتابه الدروس الشرعيّة:

... فكتبنا في ذلك ماتَيَسَّرَ من الذكرى والبيان، وعزّزنا هما بهذا المختصر للتبيان؛ لاقتضاء الولدين الموفّقينِ ـ إنْ شاء الله ـ أبي طالب محمّد وأبي القاسم عليّ (دفع الله عنهما الضير و وفّقهما والمؤمنين للخير) [3].

وكتب الشهيد على الصحيفة السجّادية التي نسخها بخطّه «للولد الأعزّ المعتضد قرّة العين أبي القاسم عليّ بن محمّد بن مكّي (نفعه الله بها ورزقني بما فيها دعاه) [4].

---

١. يستفاد من وثيقة بنت الشهيد أنّ أباطالب محمّد كان حيّاً في سنة ٨٢٣ وما نقلناه من خطّ الشهيد الثاني يحتمل أن يكون «خمسين» ويمكن أن يقرأ «خمس» ورجّحنا الأوّل لئلّا يتنافى معَ وثيقة بنت الشهيد.

٢. مجلّة العرفان، ج ٨٠، العددين ٣ ـ ٤، ص ١٠٠، الهامش.

٣. الدروس الشرعيّة، ص ١، ط. القديمة؛ وج ١، ص ٨٤، ط. الجديدة.

٤. انظر الفصل الرابع من الباب الثالث.

قال الشهيد الثاني رحمه الله:

وقد رأيت خطوطَ جماعة من فضلائنا بالإجازة لأبنائهم عند ولادتهم، مع تاريخ ولادتهم... وشيخنا الشهيد استجاز من أكثر مشايخه بالعراق لأولاده الذين وُلِدوا بالشام قريباً من ولادتهم، وعندي الآن خطوطهم له بالإجازة [١].

وقال أيضاً:

ـ وأروي جميع مصنّفات ومرويّات السيّد تاج الدين بن مُعَيّة... أيضاً عن ولدَي شيخنا الشهيد أبي طالب محمّد وأبي القاسم ضياء الدين عليّ عن السيّد تاج الدين المذكور بغير واسطة. ورأيت خطّ هذا السيّد المعظّم بالإجازة لشيخنا السعيد شمس الدين محمّد بن مكّي ولولديه محمّد وعليّ ولأُختهما أُمّ الحسن فاطمة المدعوّة ستّ المشايخ ولجميع المؤمنين ... .

وبالإسناد إلى الشيخ أبي طالب محمّد ولد شيخنا الشهيد جميع مصنَّفات ومرويّات والده والشيخ فخرالدين بن المطهَّر عنه بغير واسطة بإجازة سبقتْ منه إليه رحمه الله [٢].

ـ ... أخبرنا شيخنا السعيد نورالدين عليّ بن عبدالعالي إجازةً عن الشيخ شمس الدين محمّد بن داود، عن الشيخ ضياء الدين عليّ، عن والده السعيد محمّد بن مكّي ... [٣].

وقال صاحب المعالم ولد الشهيد الثاني في إجازته الكبيرة:

ـ وذكر والدي رحمه الله أنّه رأى خطّ السيّد تاج الدين بالإجازة للشهيد رحمه الله ولولديه محمّد وعليّ ولأُختهما... والذي وقفتُ عليه أنا من خطّ هذا السيّد الإجازة للشهيد ولولده محمّد [٤].

ـ ورأيت أنا بخطّ الشهيد على ظهر نسخةٍ للشاطبية إجازةً لولديه محمّد وعليّ، ذكر فيها أنّه رواها لهما عن عدّةٍ من المشايخ قِراءةً وإجازةً... منهم قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة بحقّ قراءتي عليه ببيت المقدس... قال: «والولدان (وفّقهما الله تعالى توفيقَ العارفين) يشاركاني في هذه الرواية عن قاضي القضاة إجازةً لهما ولأخيهما أبي منصور الحسن» [٥].

---

١. شرح البداية، ص ٢٧١.
٢. بحارالأنوار، ج ١٠٨، ص ١٥٢ ـ ١٥٣؛ رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ١١١٩؛ الإجازة الكبيرة للشهيد الثاني.
٣. بحارالأنوار، ج ١٠٨، ص ١٦٩؛ رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ١١٣٨؛ الإجازة الكبيرة للشهيد الثاني.
٤. بحارالأنوار، ج ١٠٩، ص ٥٠.
٥. بحارالأنوار، ج ١٠٩، ص ٥٥ ـ ٥٦.

ـ ... ووجدتُ بخطّ شيخنا الشهيد الأوّل في آخر الإجازة السابقة تحت خطّ الشيخ محمّدبن صالح كاتبها ماهذا لفظه: «... وقد أجزتُ روايتَها وروايةَ جميع ماصنَّفتُه وألَّفتُه ورويتُه لأولادي الثلاثة: رضيّ الدين أبي طالب محمّد، وضياء الدين أبي القاسم عليّ، وجمال الدين أبي منصور الحسن. أسأل اللهَ (جلّ جلاله) أنْ يُصلِّيَ على محمّدٍ وآل محمّدٍ، وأنْ يُبَلِّغَني فيهم أملي من كلِّ خير، وأنْ يجعلهم أولياء لِلّه مُطيعين له، وأنْ يجعل لهم ذرّية صالحةً عالمين عاملين؛ إنّه أرحم الراحمين»[١].

وقال الشيخ شمس الدين محمّد بن المؤذِّن الجِزّيني الشهيد في إجازته للشيخ عليّ بن عبدالعالي الميسي قدس سره:

... وأجزتُ له روايةَ تذكرة الفقهاء عنّي، عن ابن عمّي ضياء الدين، عن والده السعيد أبي عبدالله محمّد بن مكّي، عن شيخه عميد الدين، عن المصنّف ... .

وأجزتُ له روايةَ جميع ما تضمّنتْه الإجازة التي أجازها بحرالعلوم جمال الدين ابن المطهَّر... عنّي، عن ضياء الدين، عن والده، عن السيّد المذكور، عن بحر العلوم جمال الملّة والدين ...[٢].

وقال العالم الجليل عليّ بن طيّ في إجازته للشيخ محمّد بن عليّ بن بدرالدين حسن الشهير بالجبعي في رابع شهر رمضانَ سنة ٨٥١:

... ورويتُها أيضاً له بحقّ الإجازة عن الشيخ الجليل بهاءالدين أبي القاسم عليّ ولد الشيخ الإمام العالم المحقّق خاتم المجتهدين أبي عبدالله شمس الدين محمّد بن مكّي عن والده المذكور (قدّس اللهُ سرّه) ...[٣].

وقال العالم البارع الشيخ يوسف البحراني في ترجمة ابن فهد الحلّي رحمه الله:

يروي عن تلامذة الشيخ الشهيد. وقد رأيتُ على آخر بعض نسخ الأربعين للشهيد منقولاً عن خطّ ابن فهد المذكور ما صورته هكذا:

«حدّثني بهذه الأحاديث الشيخ الفقيه ضياء الدين أبوالحسن [كذا، والصواب:

---

١. بحارالأنوار، ج ١٠٩، ص ٢٠. وقد أُجيبتْ هذه الدعوة، وسلسلته خلفاً عن سلف كانوا أهل الخير والبركة.
٢. بحارالأنوار، ج١٠٨، ص٣٥ ـ ٣٨. وانظر خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٢٠، ص١٨، ط. الجديدة. ومن الجدير بالذكر أنّ المجيز في هذه الإجازة أطلق على الشهيد أيضاً «ابن عمّي» مراراً.
٣. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص٢١٣ ـ ٢١٤.

أبوالقاسم] عليّ ابن الشيخ الإمام الشهيد أبي عبدالله شمس الدين محمّد بن مكّـي ـ جامع هذه الأحاديث (قدّس الله سرّه) ـ بقرية جِزّين (حرسها الله تعالى من النوائب) في اليوم الحادي عشر من شهر محرّم الحرام افتتاح سنة أربع وعشرين وثمانمائة. وأجاز لي روايتَها بالأسانيد المذكورة وروايةَ غيرها من مصنّفات والده.

وكتب أحمد بن محمّد بن فهد (عفا الله عنه)

والحمدلِلّه ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين وصحبه الأكرمين»[١].

واعلم أنّه قال صاحب الرياض:

يظهر من رسائل ابن [أبي] جمهور اللحساوي أو غيره في تحقيق مسألة الاجـتهاد أنّ للشيخ ضياءالدين هذا شرح القواعد. ولعلّه قواعد الفقه للعلّامة، أو قواعد والده في أُصول الفقه[٢].

وعنه أخذ بعضهم فنسب إليه جازماً شرح قوائد الأحكام[٣]. والظـاهر أنّ هـذا سـهو فلم ينسب إلى ولد الشهيد أحدٌ ـ سوى ابن ابى جمهور على ماذكـره صـاحب الريـاض ـ شرح القواعد. فلاحظ.

وسيأتي في الفصل الثالث من الباب الثالث تسميط ضياء الدين على لبعض أبيات والده الشهيد فراجع.

وأمّا بنت الشهيد فاطمة (رضوان الله عليهما) فقال الشيخ الحرّ العاملي في ترجمتها:

أُمّ الحسن فاطمة المدعوّة بستِّ المشايخ بنت الشهيد محمّد بن مكّي العاملي الجِزّيني، كانتْ عالمةً فاضلةً فقيهةً صالحةً عابدةً، سمعت من المشايخ مدحَها والثـناءَ عـليها. تروي عن أبيها وعن ابن مُعَيّة شيخه إجازةً، كما تقدّم في أخيها محمّد، وكان أبوها يثني عليها ويأمر النساء بالاقتداء بها والرجوع إليها في أحكام الحيض والصلاة نحوها[٤].

ومن التُحَف الأثرية المتعلِّقة بهذه الأُسرة وثيقة هذه العالمة الفاضلة لأخويها أبي طالب

---

١. كشكول البحراني، ج ١، ص ٣٠٤؛ ووردتْ هـذه الإجـازة أيـضاً فـي أعـيان الشـيعة، ج٣، ص١٤٧ ـ ١٤٨؛ ورياض العلماء، ج١، ص ٦٤.

٢. رياض العلماء، ج ٤، ص ٢٥١.

٣. طبقات الفقهاء، ج ٩، ص ١٧٢.

٤. أمل الآمل، ج ١، ص١٩٣؛ رياض العلماء، ج ٥، ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤؛ أعيان الشيعة، ج ٨، ص ٣٨٨ ـ ٣٨٩. وانظر ريحانة الأدب، ج ٧، ص ٢٩٧.

محمّد وأبي القاسم عليّ، وقد عثر الشيخ محمّد رضا شمس الدين على نسخةٍ قديمةٍ منها مكتوبةٍ بماء الذهب وقال: «لايبعد أنْ تكون بخطّ يدها»[١]. وإليك نصّ الوثيقة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لِلّه الذي وَهَبَ لعباده ماشاء، وأنْعَمَ على أهل العلم والعمل بما شاء، وجَعَلَ لهم شرفاً وقدراً وكرامة، وفَضَّلهم على الخلق بأعمالهم العالية، وأعلىٰ مراتِبَهم في داري الدنيا والآخرة، وشَهِدَ بفضلهم الإنسُ والجانُّ.

والصلاةُ والسلامُ الأتمّانِ الأكملانِ على سيّدنا محمّد وُلْد عدنان[٢]، المخصوص بجوامع الكَلِمِ الحِسان، وعلى آله وأصحابه أهلِ اللَسَنِ واللِسان، والساحبينَ ذُيول الفَصاحة على سَحْبان، وعلى تابعيهم ومن تابعهم، ما اخْتَلَفَ الجديدان وأضاءَ القَمَران.

أمّا بعدُ، فقد وَهَبَتِ السِتُّ فاطمة أُمُّ الحسنِ أخَوَيْها: أبا طالب محمّداً وأبا القاسم عليّاً ـ سلالة السعيدِ الأكرم والفقيه الأعظم، عمدةِ الفخر و فريدِ الدَهْر، عينِ الزمان ووحيدِه، مُحْيي مراسِمِ الأئمّة الطاهرين (سلام الله عليهم أجمعين) مولانا شمس الملّة والحقّ والدين محمّد بن أحمد بن حامد ابن مكّي ﷺ، المنتسِب لسَعْدِ بن مُعاذٍ سيِّدِ الأوْس أُمّاً (قَدَّس اللهُ أرواحَهم) ـ جميعَ مايَخُصُّها مِنْ تَرِكة أبيها في جِزّين وغيرها هِبَةً شرعيةً؛ ابتغاءً لوَجْهِ الله تعالى ورَجاءً لثوابِهِ الجَزيلِ.

وقد عَوَّضا عليها كتابَ التهذيب للشيخ ﷺ، وكتابَ المصباح له، وكتابَ من لا يحضره الفقيه، وكتابَ الذكرى لأبيهم ﷺ، والقرآنَ المُذَهَّبَ المعروف بهديّة عليّ بن مؤيَّد.

وقد تَصَرَّفَ كلٌّ منهم، واللهُ الشاهدُ عليهم. وذلك في اليوم الثالث من شهر رمضانَ المعظَّم قدرُه الذي هو من شهور [عام] ثلاثة وعشرين وثمانمائة. والله على ما نقول وكيل.

شَهِدَ بذلك الشيخ فاضل البعلبكي[٣] [خاتمه]	شَهِدَ بذلك خالهم المقدّم علوان بن أحمد بن ياسر [خاتمه]	شَهِدَ الشيخ عُليّ بن مصطفى بن حسين الصائغ [خاتمه]

١. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص٨.
٢. كذا في الأصل، ولعلّ الصواب: «على سيّدنا محمّد سيّد ولد عدنان».
٣. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص٨؛ الفوائد الرضوية، ص٦٤٩؛ أعيان الشيعة، ج٨، ص٣٨٨ ـ ٣٨٩؛ تكملة أمل الآمل، ص٤٤٦ ـ ٤٤٧.

وعلى رأس الورقة توقيع الشيخ حسن بن عليّ التوليني وختمه بماء الذهب، وهذا صورة ماكتبه: «قد اتّصل بي ثبوت هذه الوثيقة بين الأماجد الطاهرين، وعلمتُ ماحرّر ورقم فيها بعلم اليقين، أجريتُ عليها بقلم الإثبات بالمشروع والمعقول. وأنا أحقر الوَرى حسن بن على التوليني» [١].

قال صديقي الفاضل الدكتور يوسف طباجة (حفظه الله):

إنّني لم أقدر على الحصول على ترجمة خاصّة لمن وقّعوا على ذيل الوثيقة سوى أنّ أُسرة الصائغ هي أُسرة جِزّينية.

إنّ توقيع «خالهم المقدّم» يدلّ على أنّ الشهيد كان متزوّجاً من ابنة مقدّم جِزّين أو من شقيقة المقدّم، إذا ما اعتبرنا أنّ المقدّمية هي لقب للعشائر الحاكمة والتي تتولّى السلطة بالتوارث. وهذان القرابة والنسب ربما كان لهما مغزا هما السياسي في خطّة الشهيد الذي ربما أراد الحماية لنفسه من السلطة بواسطة هذه القرابة خصوصاً عند ما نعرف أنّ أولاد الشهيد ليسوا من أُمٍّ واحدة، وبالتالي فإنّ الواهبة لم تهب سوى أخوين وليس الثلاثة [٢].

... وكانت جِزّين مقدّمية يتولّاها المقدّمون الخزرجيون، يملكونها ويملكون ما يجاورها من القرى.

والمقدّم هو لقب يطلق على الحاكم ويأتي في المرتبة الثالثة بعد الأمير والشيخ في النظام الإقطاعي ... [٣].

قال العلّامة السيّد حسن الصدر﵀ بعد نقلها: «فانظر إلى إيثارها وكمال تعلُّقها بكتب الفقه والحديث» [٤].

---

١. أعيان الشيعة، ج٨، ص٣٨٨ ـ ٣٨٩؛ تكملة أمل الآمل، ص ١٥٠ ـ ١٥١، قال العلّامة السيّد حسن الصدر﵀ في ترجمة التوليني: «رأيتُ صورة صكّه على صدر الوثيقة التي كتبتها ستّ المشايخ فاطمة بنت الشهيد الأوّل لأخويها بهبة جميع ما يخصُّها... وهذه الوثيقة موجودة بعينها عند آل شمس الدين إلى اليوم، وكتبوا لي صورتها للاطّلاع على ذلك العهد والوقوف على جلالة الستّ فاطمة».

٢. مجلّة العرفان، ج ٨٠، العددين ٣ ـ ٤، ص١٠٢.

٣. مجلّة العرفان، ج ٨٠، العددين ١ ـ ٢، ص ٥٥.

٤. تكملة أمل الآمل، ص٤٤٧؛ الفوائد الرضوية، ص ٦٤٩.

أقول: كانت منطقة جبل عامل منهلاً لِلعلم والخير والبركة، بحيث قال الشيخ الحرّ العاملي (طاب مثواه):

قد سمعتُ من بعض مشايخنا أنّه اجتمع في جنازةٍ في قريةٍ من قُرى جبل عامل سبعون مجتهداً في عصر الشهيد وماقاربه ... [١].

ضمّت سُلالةُ الشهيد الأوّل وخَلَفُه علماءَ ورجالاً كباراً، وقد امتدّ هذا الفخر لهم طوال سنواتٍ متوالية. قال مؤلِّفُ ماضي النجف وحاضرها في ذيل عنوان «آل الشهيد الأوّل»:

... من الأُسرة العريقة في العلم والسابقة بالفضل، تَسَلْسَلَتْ رجالاتُ العلم فيها، ولايزال العلم باقياً فيمن يَمُتُّ بصلة النسب إلى جدِّهم الشهيد ... [٢].

وتجنّباً للإطالة لم نورد ترجمةً لأحفاد الشهيد وأُسرته، فإنْ شئتَ فانظر مصادر تراجمهم [٣].

---

١. أمل الآمل، ج ١، ص ١٥.
٢. ماضي النجف وحاضرها، ج ٢، ص٤٠٧.
٣. منها:
أ) أمل الآمل، في مختلف صفحاته؛
ب) تكملة أمل الآمل، في مختلف صفحاته، منها: ص ٢٠٠، ٢٢٩، ٣٩١، ٤٠٠، ٤٠٩؛
ج) تعليقة أمل الآمل، في مختلف صفحاته؛
د) كشكول البحراني، ج ٢، ص١٤٩ ـ ١٥٠؛
هـ) خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٤٣٨، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٩، ط. الجديدة؛
و) ماضي النجف وحاضرها، ج ٢، ص ٤٠٧ ـ ٤١٣؛
ز) شهداء الفضيلة، ص ٩١ ـ ٩٧؛
ح) مع موسوعات رجال الشيعة، ج ١، ص ٦٦١ ـ ٦٦٢.
ط) موسوعة مؤلّفي الإمامية، ج ٥، ص ١٧٥ ـ ١٧٦.
ي) مرآة الشرق، ج ١، ص ٧٣٣ ـ ٧٣٤.

الفصل العاشر*

استشهاده

استشهد الشهيد في التاسع من جمادى الأُولى عام ٧٨٦ في دمشق بعد حبسٍ دام سنة. وقال بعضهم: تاريخ استشهاده بالأبجد «ذبيح الله»[١] (الله = ٦٦؛ ذبيح = ٧٢٠).

وأرّخ السيّد حسين البروجردي رحمه الله في نخبة المقال وفاته بكلمة «المرثية» (= ٧٨٦) وعمره بكلمة «مدح» (= ٥٢) حيث قال:

ثــمّ ابــن مكّــيٍّ شــهيدنا الأجــلْ عــنه عــميد الديــن عــن فــخرٍ نــقلْ
وهــو إمــام الفــقه عــند التسـميهْ وبعد «مدح» العمر قلت: «المرثيهْ»[٢]

وجدير بالذكر أنّ الشهداء من علماء الشيعة كثيرون[٣]؛ لكنّ أحداً منهم لم يـلقَّبْ قـبل شيخنا الشهيد بـ«الشهيد»، ولم يشتهر بهذا اللقب، وعليه فإنّ لقب «الشهيد» بشكله المطلق، وكذلك «الشهيد الأوّل»، هو لقب عُرِّفَتْ به شخصيتنا التي نَرِد غمار حياتها الحافلة.

وقد تداخلتْ ظروف عدّة عـلى شـهادة الشـهيد: فـمن جـهة كـان ارتـباط الشـهيد بـ«سربداران» ورئيسهم عليّ بن مؤيَّد، ونشره للعقيدة الشيعية في جبل عامل والشام ـ من جهة أُخرى ـ وسعيه لإقامة مركز ثقلٍ وقوّة للشيعة في الشام كان له كبير الأثر في شهادته؛ لكنّ الأعداء والمخالفين افتروا عليه التُهَمَ واختلقوا الأكاذيب الكبيرة التي لاأساس لها من الصحّة بالمرّة، فتسبَّبوا في سجن الشهيد ومحاكمته ومن ثمَّ استشهاده.

---

* ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾.

١. بهجة الآمال، ج٦، ص٦٦٧؛ فهرست كتابخانهٔ دولتى تربيت تبريز، ص٥٣.

٢. بهجة الآمال، ج٦، ص ٦٦١.

٣. راجع شهداء الفضيلة.

إنّ الورود في الأسباب والعوامل التي أدّتْ إلى شهادة الشهيد تحتاج إلى بحثٍ مفصّلٍ، وبما أنّ بعض الكتب الصادرة مؤخَّراً التفتت إلى هذا الجانب[١]، آثرنا نحن في هذا الفصل عدم الورود طويلاً في هذا المبحث، بل سنكتفي بذكر أُمور راجعةٍ إلى استشهاده من مصادر قديمة تجشّمنا عناءً كبيراً للوصول إليها:

أ) ما قاله أصحابُنا الإمامية

قال العلّامة المجلسي قدس سره:

قد وجد بخطّ ولد الشيخ الشهيد على إجازة والده الشهيد للشيخ ابن الخازن الحائري التي كانت بخطّ أبيه الشهيد المجيز المذكور ماهذه صورته:

«استشهد والدي الإمام العلّامة كاتب الخطّ الشريف شمس الدين أبوعبدالله محمّد بن محمّد بن حامد، شهيداً حريقاً بعده بالنار، يوَم الخميس تاسع جمادى الأُولى سنة ستّ وثمانين وسبعمائة. وكلّ ذلك فُعِلَ برَحبَة قلعة دمشق»[٢].

وكتب الشهيد الثاني على نسخة الأصل من الفوائد المليّة:

وجدتُ بخطّ الشيخ أبي طالب محمّد ولد المصنَّف الشهيد رحمه الله ـ على ظهر نسخة من أصل الذكرى ـ ما صورته:

«... وقتل مظلوماً شهيداً برَحبَة القلعة في سوق الجمال [كذا، ظ: الخيل] يوم الخميس تاسع شهر جمادى الأُولى عام ستّة وثمانين وسبعمائة، بعد أن سجن عاماً إلّا أيّاماً يسيرة في القلعة، ونُقِلَ فيها إلى ثلاثةَ أبرجٍ، وكان سجنه في أواخر جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين»[٣].

---

١. الهجرة العاملية إلى إيران، ص٦٩ ـ ٨٥؛ الصلة بين التصوّف والتشيّع، ج٢، ص١٣٧ ـ ١٤١؛ الروضة البهيّة، ج١، ص١١٩ ـ ١٤٨، المقدّمة. ويأتي البحث عن استشهاد الشهيد في الباب الثاني أيضاً، و في مختصر نسيم السحر ضمن ملاحق الكتاب، فراجع.

٢. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص١٨٦.

٣. وكذا في مخطوطة من الفوائد المليّة محفوظة في المدرسة الباقرية في مشهد المقدسة، انظر مجلّة تراثنا، العدد ٢٣، ص١٠٦. وكذا في مخطوطةٍ من الفوائد المليّة محفوظة في مكتبة العلّامة الروضاتي الخاصّة في إصفهان، وفي أوّله: «وجدتُ بخطّ الشارح (أدام الله أيّامه) ماصورته: «وجدت بخطّ الشيخ رضي الدين...»».

وقال صاحب الرياض (طاب ثراه):

رأيتُ بخطّ الشيخ محمّد بن عليّ بن الحسن الجباعي تلميذ ابن فهد... في مجموعةٍ بخطّه في بلدة أردبيل هكذا: وجد بخطّ ابن راشد الحلّي رحمه الله ماصورته: وجدت بخطّ الشيخ الصالح العابد الزاهد عزّالدين حسن بن سليمان الحلّي [تلميذ الشهيد] رحمه الله:

«استشهد الشيخ الفقيه العالم الصالح أبوعبدالله محمّد بن مكّي في محبّة أئمّته عليهم السلام بعدَ أنْ حُبِسَ بقلعة دمشق قريباً من سنةٍ ثمّ قُتِلَ ثمّ أُحْرِقَ (رضوان الله عليه وعلى أمثاله) وذلك في يوم الخميس التاسع من جمادى الأُولى من سنة ستٍّ وثمانين وسبعمائة»[١].

وكتب الشيخ البهائي رحمه الله بظهر نسخةٍ من الرعاية للشهيد الثاني رحمه الله:

شمس الدين محمّد بن مكّي (قدّس الله روحه) كما شرّفتْ خاتمته قتيلاً برحبة قلعة الشام في سوق الجمال [كذا، ظ: الخيل] يوم الخميس تاسع عشر [كذا، والصواب: تاسع] جمادى الأُولى سنة ستٍّ وثمانين وسبعمائة بعد أنْ كان مسجوناً في القلعة المذكورة قرب سَنَةٍ، ونقل فيها إلى ثلاثة أبراجٍ، وكانت ولادته سنة أربعٍ وثلاثين وسبعمائة. وتوفِّيَ ولده ضياءالدين عليّ رحمه الله في شعبان سنة ستٍّ وخمسين وثمانمائة[٢].

وقال العلّامة المجلسي قدس سره:

وجدتُ في بعض المواضع ماهذه صورته: قال السيّد عزّالدين حمزة بن محسن الحسيني: وجدتُ بخطّ شيخنا المرحوم المغفور العالم العامل أبي عبدالله المقداد السُيُوري ما هذه صورته:[٣]

---

١. تعليقة أمل الآمل، ص ٨٠.

٢. الرسائل الرجالية، ج ٢، ص ٥٢٧ ـ ٥٢٨. وما حكي عن البهائي في كشف الحجب، ص ٣٥ من أنّه توفّي في شهر رمضان فهو سهو بيّن ومن أخطاء كشف الحجب.

٣. حكاه أيضاً المحدِّث البحراني في لؤلؤة البحرين، ص ١٤٦ ـ ١٤٨ عن خطّ أبي الحسن سليمان بن عبدالله البحراني نقلاً عمّن يوثق به عن خطّ الشيخ جعفر بن كمال الدين البحراني عن خطّ الفاضل المقداد.
وقال الطهراني في الذريعة، ج ٧، ص ٢١٤ في ذيل خلاصة الأقوال: «رأيت نسخةً صحيحةً منه في الخزانة الغروية... وتاريخ كتابتها ٧٦٦، وعلى ظهر النسخة كتب تملّكها بخطّه الشيخ الفقيه زين الدين عليّ بن الشوّاء في ٨/ع ٨٣٩/٢، وكتب قصّة شهادة الشيخ أبي عبدالله بن مكّي الشهيد... نقلاً عن خطّ أستاده الفاضل المقداد... ←

كانت وفاة شيخنا الأعظم الأكرم، أعني شمس الدين محمّد بن مكّي (قَدَّسَ [اللهُ] سِرَّه وفي حظيرة القدس سَرَّه) تاسعَ جمادى الأُولى سنة ستٍّ وثمانين وسبعمائة، قُتِلَ بالسَيفِ ثمَّ صُلِبَ ثمَّ رُجِمَ ثمَّ أُحرقَ ببلدة دِمشْقَ (لَعَنَ اللهُ الفاعلين لذلك والراضين به) في دولة بَيْدُمَر [1] وسلطنة برقوق [2]، بفتوى المالكي يُسَمّىٰ برهان الدين وعبّاد بن

← وقد وجده في أوراقٍ بخطّه، معبّراً عنه بشيخنا المغفور له خاتمة المجتهدين أبي عبدالله المقداد...». وأورد الطهراني هذا المطلبَ أيضاً في الضياء اللامع، ص٩٣.

وأشار إليه السيّد الصدر في تكملة أمل الآمل، ص٣٧١، حيث قال: «وممّن حكاها عن خطّ المقداد تلميذه الشيخ عليّ بن الشوّاء، وقد كتب الشيخ عليّ القصّة بخطّه عن خطّ شيخه المقداد على ظهر خلاصة العلّامة في سنة ٨٣٩، ثامن ربيع الآخِر».

١. قال السيّد حسن الأمين رحمه الله في الشهيد الأوّل، ص٧٥ ـ ٧٨: «كان بين قتلى الهجوم التيموري على دمشق [ابن جماعة] برهان الدين...، وهو الذي أفتى بقتل الشهيد محمّد بن مكّي و... بيدمر الخوارزمي هو الذي كان نائب برقوق في دمشق حين قبض على الشهيد واقتيد إلى دمشق وصدر الأمر بقتله، وإذا كان الحكم المملوكي بإمرة برقوق هو المسؤول الفعلي عن تلك الفظائع، فإنّ المسؤول المباشر هو بيدمر الذي كان بيده الحلّ والعقد في دمشق، وهو الآمر بالمحاكمة والآمر بالتنفيذ، لذلك رأينا الشهيد يرسل إليه، وهو في سجن قلعة دمشق، قصيدة يقول فيها:

يا أيها الملكُ المنصورُ بيدمرُ بكم خوارزم والأقطار تفتخرُ

ليس لدينا الكثير من أخبار بيدمر هذا، وقد برز اسمه بأنّه حين كان نائب حلب توجه إلى سيس وحاصر أهلها فطلبوا الأمان فتسلّمها وكذلك المصيصة، وفتح عدّة قلاع ثمّ رجع إلى حلب وأنّه، وهو نائب دمشق، أظهر العصيان وملك قلعة دمشق وقتل نائب القلعة، وقد وافقه على ذلك جماعة من النواب فاضطرب السلطان بمصر لهذه الأخبار وخرج قاصداً الشام، ولمّا بلغ دمشق أرسل أماناً فقبض عليه وقيده.

وآخر ظهور لاسمه كان أنّه عصا على السلطان واجتمع إليه مقدّمو البلدان، فأرسل إليه السلطان جيشاً، وبعد حصار شهرين تسلّم دمشق وقبض عليه وقتله.

وهكذا فإنّ الذي أفتى في دمشق بقتل محمّد بن مكّي قُتِلَ في دمشق، والذي أمر بسجنه بقلعة دمشق وقضى بقتله في دمشق، قتل هو أيضاً في دمشق.

ويلفت النظر هنا تلقيب «بيدمر» بالخوارزمي... فمن أين جاءته هذه النسبة؟ وما صلته بخوارزم؟ نرجح أنّه من بقايا أُولئك الخوارزميين الذين انفصلوا عن بلادهم بعد مقتل جلال الدين منكبرتي وتفرّقوا في آسيا الصغرى وبلاد الشام، وما زالوا في التنقّل حتّى بلغوا سنة ٦٣٤ هـ/ ١٢٣٦ م إلى مناطق الأيوبيين، فاستخدمهم الصالح أيّوب بن الكامل».

٢. قال الزِرِكْلي في الأعلام، ج٢، ص٤٨: «الظاهر بَرْقُوق (٧٣٨ ـ ٨٠١)... العثماني، أبوسعيد سيف الدين الملك الظاهر، أوّل من ملك مصر من الشراكسة... انتزع السلطنة من آخر بني قلاوون... سنة ٧٨٤، وتلقّب بالملك «الظاهر» وانقادتْ إليه مصر والشام... وخلع سنة ٧٩١... . قيل: اشتهر ببرقوق لجحوظ عينيه. واستمرّت دولة الشراكسة من عهده إلى سنة ٩٢٢، وعدّة ملوكها ٢٣ ملكاً، وكانت لهم مصر والشام». وقال السيّد حسن الأمين رحمه الله في الشهيد الأوّل، ص٤٥: «الدولة المملوكية الثانية بدأت سنة ٧٨٤ بالسلطان الظاهر برقوق... عرفت هذه الدولة بالبرجية وبالشركسية؛ تمييزاً لها من الدولة الأُولى التي عرفت بالبحرية...».

جماعة الشافعي [١]. وتَعَصَّبَ عليه في ذلك جماعةٌ كثيرة بعد أنْ حُبِسَ في القلعة الدِمشقيّة سنةً كاملةً.

وكان سبب حبسه أنْ وَشىٰ به تقيّ الدين [الجبلي] [٢] الخيامي [٣] ـ بعد جنونه وظهور أمارة الارتداد منه ـ أنّه كان عاملاً [٤]، ثمَّ بعد وفاة هذا الواشي قام على طريقته شخصٌ اسمه يوسف بن يحيى، وارتدَّ عن مذهب الإماميّة، وكَتَبَ محْضَراً شَنَّعَ فيه على الشيخ

---

١. قال الشيخ الآصفي (حفظه الله): «... أظنّ أنّ برهان الدين وابن جماعة شخص واحد وليسا باثنين، واسمه الصحيح برهان الدين بن إبراهيم بن جماعة الكناني، فلم أعثر فيما بين يديّ من المصادر على قاضيين في هذا العهد بدِمَشْقَ بهذا الاسم، والموجود في كتاب قضاة دِمَشق لشمس الدين ابن طولون هو «برهان الدين إبراهيم بن جماعة»، وكان قاضي دِمَشْقَ سنة شهادة الشهيد...» (الروضة البهيّة، ج ١، ص ١٤٢ ـ ١٤٣، المقدّمة).
أقول: برهان الدين إبراهيم بن جماعة الشافعي قاضي دِمشقَ (٧٢٥ ـ ٧٩٠) هو الذي قرأ عليه الشهيد الشاطبيةَ، وتقدَّمتْ ترجمته في البحث عن أساتذة الشهيد ومشايخه من علماء السنّة، ولم أقِفْ في كتب التراجم على قاض باسم «عبّادبن جماعة» في ذلك العصر. وانظرما سننقله عن ابن قاضي شهبة والجزري حول هذه القصّة؛ فإنّهما صرّحا بتدخّل القاضي المالكي والقاضي الشافعي في قضيّة استشهاده ﷺ.

٢. مابين المعقوفين أضفناه من لؤلؤة البحرين، ص ١٤٦.

٣. قال السيّد حسن الأمين ﷺ في الشهيد الأوّل، ص ٩٠: «إذا كان صاحب أمل الآمل لم يصرّح بأنّ الرجل العدوّ هو مواطن عاملي من الجبل ولم يسمِّه... فإنّ المقداد السُيُوري قدسمّاه ونسبه إلى جبل عامل بقوله: «الجبلي»، ثمّ خصّص النسبة فقال: «الخيامي»، و«الخيام» التي جاءت نسبته إليها بلدة معروفة في جبل عامل. وقد ذكر المقداد السُيوري بعد كلمة «الخيامي» جملةً وردتْ فيها كلمة «عاملاً» مصحّفة عن عامليّاً، كما استظهر ذلك أعيان الشيعة [ج ١٠، ص ٦٠، الهامش]، وهو استظهار صحيح أكيد، فكلمة «عاملاً» لامعنى لها هنا. وإنّما أراد المقداد أنْ يؤكِّد أنّ الواشي كان عامليّاً. وتقي الدين الجبلي الخيامي كان هو المناوئ الأوّل لمحمّد بن مكّي الواشي به، ومات قبل أن ينال من محمّدٍ منالاً، وخلفه... من يسمّيه المقدادُ: يوسف بن يحيى».
أقول: الظاهر أنّ «عاملاً» هوالصواب. وذكرنا معناه في التعليق الآتي.

٤. «العامل» في اصطلاح تلك الدروة هوالمأمور لتنظيم الحسابات للحكومة. قال القلقشندي في صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٦٦: «العامل هو الذي ينظّم الحسابات ويكتبها، وقد كان هذا اللقب في الأصل إنّما يقع على الأمير المتولّي للعمل، ثمّ نقله العرف إلى هذا الكاتب وخصّه به دون غيره».
قال الشيخ جعفر المهاجر في ستّة فقهاء أبطال، ص ٩٣: بعد نقله لقول القلقشندي: «ما يهمّنا منه تحديداً هو قوله: العامل هو الذي ينظّم الحسابات وهو الاستعمال المعمول به في عصر النصّ. لقد عرفنا أنّ الشهيد حكم بلزوم دفع الأخماس إلى الفقيه الجامع لشرائط الفتوى (نائب الإمام). وسنعرف أنّه كان قد نشر وكلاءه في المنطقة الشيعية من لبنان. ومن المفهوم أنّ هؤلاء الوكلاء كانوا يجبون الأخماس بحكم وكالتهم. ولابدّ أنّ عملاً كهذا قد استلزم تنظيماً حسابياً مركزياً للجباية تحت إشراف الشهيد نفسه. وعلى هذا فالمقصود من كلمة «عامل» الإشارة إلى نظام ضريبي في مقابل نظام الدولة. وهي تهمة تاريخية ضدّ الشيعة الذين كانوا يؤثرون دائماً دفع حقّ الله في أموالهم إلى أئمّتهم».

شمس الدين بن مكّي ماقالتْه الشيعة ومعتقداتِهم وأنّه كان أفتى بها الشيخُ ابنُ مكّي. وكتبَ في ذلك المحْضَر سبعونَ نفساً من أهل الجبل ممّن يقول بالإمامة والتشيُّع وارتدُّوا عن ذلك، وكتبوا خطوطَهم تعصّباً مع يوسف بن يحيى في هذا الشأن، وكتب في هذا مايزيد على الألف من أهل السواحل من المُتَسَنِّنين، وأثْبَتوا ذلك عند قاضي بيروت ـ وقيل: قاضي صيدا ـ وأتَوْا بالمَحْضَر إلى القاضي ابن جماعة (لعنه الله) بِدِمشْقَ، فنَفَّذه إلى القاضي المالكي وقال له: تحكم فيه بمذهبك، وإلّا عَزَلْتُك.

فجَمَعَ ملكُ الأُمراء بَيْدُمَر (لعنه الله) القُضاةَ والشيوخ (لعنهم الله جميعاً) وأحْضَروا الشيخ رحمه الله، وأحْضَروا المختصر [كذا، ظ: المَحْضر] وقُرِئَ عليه. فأنْكَرَ ذلك وذَكَرَ أنّه غيرُ معتقِدٍ له مُراعياً للتقيّة الواجبة؛ فلم يُقْبَلْ ذلك منه، وقيل له: قد ثَبَتَ ذلك شرعاً ولا ينتقِضُ حكمُ القاضي.

فقال الشيخ للقاضي ابنِ جماعة: إنّي شافعي المذهب وأنت إمام المذهب وقاضيه، فاحكم فيَّ بمذهبك. وإنّما قال الشيخ ذلك لأنَّ الشافعي تجوز توبة المرتدِّ عنده. فقال ابنُ جماعةَ: حينئذ على مذهبي يجب حبسك سَنَةً كاملة، ثمَّ استتابتك؛ أمّا الحبسُ فقد حُبِسْتَ ولكن أنت استَغْفِرِ اللهَ حتّى أحْكُمَ بإسلامك. فقال الشيخ: مافعلت مايوجبُ الاستغفارَ؛ خوفاً من أنْ يستغفرَ فيُثْبِتُوا عليه الذنبَ، فاسْتَغْلَطَه ابنُ جماعةَ (لعنه الله) وقال: استغفرتَ فثبت الذنب، ثمّ قال: الآن ما عاد الحكم إليّ؛ غَدْراً منه وعناداً منه لأهل البيت عليهم السلام. ثمّ قال عبّاد: الحكمُ إلى المالكي. فقام المالكيُ وتوضّأ وصلّى ركعتين، ثمّ قال: حَكَمْتُ بإهراقِ دمك[1]. فألْبَسوه اللباسَ وفُعِلَ به ما قلناه من القتل والصَلْب والرَجْم والإحراق، وساعَدَ في إحراقه شخصٌ يقال له محمّد بن الترمذي، وكان تاجراً فاجراً (لعنة الله عليهم أجمعين منافقين [كذا]، وحسبهم الله ونعم الوكيل)»[2].

---

١. «بهذه الأساليب كانت الأحكام تصدر عمّن تلبّسوا بلباس الدين، وعمّن عهد إليهم تطبيق أحكام الإسلام. أمّا القاضي المالكي المستعدّ لسفك دماء العلماء الأتقياء الورعين المجاهدين، فقد مهّد لحكمه بأنْ توضّأ وصلّى ركعتين، ثمّ قال: قد حكمت بإهراق دمه. إلى هذا الحدّ هان الوضوء وهانت الصلاة عند هؤلاء الجلّادين...» (الشهيد الأوّل، ص ١١٠).

٢. بحارالأنوار، ج١٠٧، ص ١٨٤ ـ ١٨٦.

وقال القاضي نور الله التستري الشهيد ﷺ ما مُعَرّبه:

قُتِلَ حضرة الشيخ ضُحى الخميس التاسع عشر [كذا، والصواب: التاسع] من شهر جمادى الأُولى سنة ستٍّ وثمانين وسبعمائة في ميدان القلعة بدِمَشْقَ المجاور لسوق الخيل، ثمّ صُلِبَ وأُنزِلَ جُثْمانُه عند العصر وأُحْرِقَ [١].

وقال الشيخ الحرّ العاملي (طاب ثراه):

وكانت وفاته سنة ٧٨٦، اليوم التاسع من جُمادى الأُولى. قُتِلَ بالسيف ثمّ صُلِبَ ثمّ رُجِمَ ثمّ أُحْرِقَ بدِمَشْقَ في دولة بيدر [كذا، والصواب: بيدمر] وسلطنة برقوق بفتوى القاضي برهان الدين المالكي وعبّادبن جماعة الشافعي، بعد ما حُبِسَ سنةً كاملةً في قلعة الشام، وفي مدّة الحبس أَلَّفَ اللمعةَ الدِمَشْقيةَ في سبعة أيّامٍ، وما كان يَحْضُرُه من كتب الفقه غيرُ المختصر النافع [٢].

وكان سبب حبسه وقتله أنّه وَشىٰ به رجلٌ من أعدائه، وكتب مَحْضَراً يشتملُ على مقالاتٍ شنيعة عند العامّة من مقالاتِ الشيعة وغيرهم، وشَهِدَ بذلك جماعةٌ كثيرةٌ، وكَتَبوا عليه شهاداتِهم، وثبت ذلك عند قاضي صيدا، ثمّ أتَوْا به إلى قاضي الشام. فحُبِسَ سنةً ثمّ أفتى الشافعيُ بتوبته والمالكيُ بقتله. فتوقّف عن التوبة خوفاً من أنْ يَثْبُتَ عليه الذنبُ وأنْكَرَ مانَسَبوه إليه للتقيّة. فقالوا: «قد ثبت ذلك عليك وحكم القاضي لايُنْقَضُ والإنكارُ لايُفيد». فَغَلَب رأيُ المالكي لكثرة المتعصِّبين عليه، فقُتِلَ ثمّ صُلِبَ ورُجِمَ ثمّ أُحْرِقَ (قدَّس اللهُ روحه). سمعنا ذلك من بعض المشايخ ورأينا بخطٍّ بعضهم، وذَكَرَ أنّه وَجَدَه بخطّ المقداد تلميذِ الشهيد [٣].

وحكى المحدّث البحراني عن الفاضل المقداد مثل مانقله العلّامة المجلسي عن الفاضل المقداد ﷺ، وفي حكايته هذه الزيادة:

... قيل له: «قد ثبت ذلك عليك شرعاً ولاينتقض حكم القاضي» فقال: «الغائب على حجّته، فإن أتى بما يناقض الحكم جاز نقضه وإلّا فلا، وها أنا أُبطل شهاداتِ من شهد بالجرح،

---

١. مجالس المؤمنين، ج ١، ص ٥٧٩.

٢. انظر ماسيأتي في البحث عن مؤلَّفات الشهيد وآثاره العلمية في ذيل اللمعة الدِمشقيّة في الفصل الأوّل من الباب الثالث، وكذلك ماسيأتي في أواخر هذا المبحث.

٣. أمل الآمل، ج ١، ص ١٨٢ ـ ١٨٣.

ولي على كلِّ واحدٍ حجّة بيّنة» فلم يسمع ذلك منه ولم يقبل... فاستغلطه ابنُ جماعة وأكّد عليه فأبى الاستغفار، فسارّه ثمّ قال: «قد استغفرت فثبت عليك الحقّ»... [١].

وقال شرف الدين محمّد مكّي حفيد الشهيد:

... وكان في ميدان قلعة دمشق خلق عظيم بجنب سوق الدواب. وقيل: لمّا أهمّ بضربه الجلّاد بكى ابن جماعة رياءً وكذباً، فرآه الشهيد فقال له:«ما كذبت أُمّك إذ سَمَّتْكَ بابن جماعة».

... ورأيتُ بخطِّ ثقةٍ قصيدةً طويلةً في مدح الشهيد بعد قتله بعد ما قتل اليالوشي الذي ادّعي النبوّةَ في جبل عاملة. وقد رأيت القصيدة في بلاد دكن مِن بلاد الهند في كتابٍ عتيقٍ رثٍّ... ولم يمكن نقل القصيدة في هذه \السفينة لضيق المكان، ومنها:

بدر الزمان وشمسه ابن مكّي — علم الورى علم الهدى علم الورى
مَنْ أُمّهُ مِنْ نسل مَنْ — في الحشر يَومَ النَشْر يسقي كوثرا
..... — .....
فلقد حَوىَ المجد الذي ...العلا — «فالصَيدُ كُلُّ الصيدِ في جوف الفرا»

وهذه القصيدة قد كتبتُها في سفينةٍ أُخرى [٢].

وقال العلّامة السيّد الأمين رحمه الله:

... كان ذلك في عهد برقوق إذ كان هو السلطان بمصر، ونائبه بالشام بيدمر... ورأيتُ في آخر نسخةٍ مخطوطةٍ من كتاب \البيان للشهيد ما صورته:

«قتل المصنِّف بدمَشْقَ في رحبة القلعة ممّا يلي سوقَ الخيل ضحى يوم الخميس تاسع شهر جُمادى الأُولى سنة ٧٨٦، وصُلِبَ وبقي معلَّقاً هناك إلى قرب العصر، ثمّ أُنزِلَ وأُحرِقَ» [٣].

وقال العالِم المتتبّع الفاضل السيّد حسن الأمين رحمه الله:

أجمع الذين تعرّضوا لترجمة الشهيد الأوّل، محمّد بن مكيّ، على ذكر قصّة اليالوشي وذكرها أكثرهم من دون أن يشير إلى أنّ لها علاقة باستشهاد الشهيد، بل ذُكرت مرسلة ككلّ حادث من أحداث حياة الشهيد.

---

١. لؤلؤة البحرين، ص١٤٦ ـ ١٤٨؛ وانظر أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٠ ـ ٦١.
٢. سفينة شرف الدين محمّد مكّي، الورقة ١٦٣ ب، ١٤ ب.
٣. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٠.

ونحن نأخذ هنا النصّ الذي وردت به في موسوعة أعيان الشيعة:

«وممَّا عرف عن الشهيدﷺ، أنّ رجلاً مشعوذاً ظهر في جبل عامل وادّعى النبوّة واسمه محمّد اليالوشي من قرية تسمّى برج يالوش[١]، فحاربه الشهيد وقضى عليه في سلطنة برقوق، ويقال: إنّه كان من تلامذة الشهيد فوقع بيد الشهيد كتاب شعوذة فسلمه إليه لينقله، فأخذه وغاب ثمّ رجع وأخبره بإتلافه كاذباً وأخفاه عنده وتعلّم منه الشعوذة وعمل به حتىّ ادّعى النبوَّة».

ورد ذلك في أعيان الشيعة من دون تعليق وتفصيل، وكلّ ما أراده أعيان الشيعة هو أن يكون أميناً في الحديث عن حياة الشهيد فينقل كلّ ماورد عنها.

وهذه القصَّة، كماترى، غامضة كلّ الغموض لا يمكن أن نستنتج منها ـ كما وردت ـ أيّة حقيقة، فربّما كان لها أصل ثمّ زاد فيه المزيدون.

هل الرجل مشعوذ أم مدّعي نبوّة؟ وما هو كتاب الشعوذة الذي اقتبس منه شعوذته؟ وما هو الخطر الذي كان يخشاه الشهيد على الناس من هذه الشعوذة؟

ثمّ القول: إنّ الشهيد حاربه، ولم يكن القول: إنّه قاومه أو قاوم دعوته... فكلمة حاربه تعني أنّ جَمْعَين التقيا بالسلاح في قتال، وهل هانت عقائد العامليين إلى حدّ يستطيع مدّعٍ للنبوّة أن يجمع منهم جموعاً تحمل السلاح وتقاتل بين يديه مؤمنة بنبوته المُدّعاة؟ وهل الشعوذة تستطيع أن تقنع أُناساً مؤمنين بدينهم بأن يتركوا هذا الدين، وينضمّوا إلى صاحبها، وأن يحملوا السلاح ويستهينوا بالموت حمية لها؟

ثمّ ما هو موقع الشهيد التنفيذي في تلك الآونة، وما هي قدرته على حشد الحشد المسلّح وقيادته للقتال، وأين هي السلطة القائمة من ذلك كلّه؟

جميع هذه الأسئلة، وكثير مثلها، تحتاج إلى أجوبة، ولكن لامجيب؛ لأنّه لا مصادر ولا تفاصيل يرجع إليها من يحاول الإجابة.

لذلك ستظل قصّة اليالوشي قصّة يمتزج فيها الخيال بالحقيقة، وحين يتسع الخيال فيها تضيع معه الحقيقة! على أنّه لا بدَّ لنا من التساؤل: هل لقصّة اليالوشي ارتباط بقضايا

---

١. في كتاب تاريخ الزرارية والبلاد العاملية ماضياً وحاضراً، ص ٧٦ في وصف «حصن اليالوشي»: «يقع هذا الحصن في قرية المغيرية شَرقيّ بلدة الزرارية. وقد أكدّ وجود هذا الحصن شبيب باث الأسعد في كتابه: العِقْد المنضَّد، كما أكدَّ احتماء أحد تلاميذ الشهيد الأوّل به ويُدْعى اليالوشي حين ارتدّ عن الإسلام...».

التمرّد على برقوق؟ ثمّ غلب على هذا الارتباط موقعها المحلّي، فعادت محلّية بحتة؟ نستطيع أن نجزم بأن لا علاقة لها بالأحداث التمرّدية التي أشرنا إليها من قبل، وأنّها أمر عاملي بحت، غابت عنا حقائقه، وضاعت في طيات الزمن تفاصيله ... .

هذا النصّ الذي حفظه صاحب اللؤلؤة، مأخوذاً عن المقداد السيوري، يـرينا حـقيقة مأساوية عاشها أبناء جبل عامل. فهؤلاء العامليون الذين استطاعوا التغلّب على الضغط الصليبي فحفظوا كيانهم واستمسكوا بعقائدهم، واجهوا بعد الجلاء الصليبي ضغطاً من نوع آخر مارسه عليهم المماليك، فكان عليهم أن يعودوا من جديد للصبر على الشدائد ومقاومة الاضطهاد بقواهم المعنوية، لتظل عقائدهم التي ارتضوها لأنفسهم سليمة.

يصف المقداد، في مادوَّنه، الواشي الأوّل بمحمّد بن مكّي بأنّ وشايته جاءت بعد ظهور أمارة الارتداد منه. ثمّ يصف الواشي الآخر بأنّه ارتدّ عن مذهب الإمامية. ثـمّ يـصف الذين كتبوا محضر التشنيع على محمّد بن مكّي بأنّهم كانوا ممّن يقول بالإمامة والتشيّع ثمّ ارتدّوا عن ذلك، ويقول إن عددهم كان سبعين ... .

ولنا أن نقول: إنّ حركة الارتداد هذه لم تكن بنت ساعتها، وإنّ ارتداد هؤلاء المرتدّين كان نتيجة محاولات طويلة امتدّت حوالى سبعين سنة، أي منذ جلاء الصليبيين وحلول المماليك محلّهم.

فالذي يبدو جلياً هنا أنّ عملية اضطهاد واسعة للعامليين قام بها المماليك لتحويل أبناء جبل عامل عن عقيدتهم استعملت فيها مختلف أساليب الوعـد والوعـيد والتـرهيب والترغيب، وإنّ ثمرة هذه العملية التي طال أمدها سبعين سنة كان ارتداد سبعين عاملياً عن مذهبهم، فاستُغلّوا للشهادة على محمّد بن مكّي.

ولو أنّ الذين أرادوا هلاك محمّد بن مكّي وجدوا في جبل عامل أكثر من هذا العدد من الشهود لسجلوا أسماءهم مع السبعين. ولكنّهم لم يجدوا فلجأوا إلى الساحليّين الذين لم يكونوا على مذهب الجبليّين فسهل عليهم أن يشهد من هؤلاء على محمّد بن مكّي ألفُ شاهد. إذن فالوعد والوعيد والترهيب والترغيب، والاضطهاد بجميع أنواع الاضطهاد، ووسائل الترويع التي لجأ إليها المماليك طوال سبعين سنة لم تنجح إلّا بتحويل سبعين رجلاً!

ويبدو جليّاً أنَّ محمّد بن مكّي، منذ عودته من العراق، قد وقف بصلابة أمـام اضـطهاد

المماليك للعامليين وأمام ما يبذلونه من جهد في تحويلهم من حال إلى حال. وأنّه عانى منهم ما عانى ... .

وهكذا نرى أنّ معركة محمّد بن مكّي كانت متعدِّدة الجبهات، وأنّه كان يقاتل من أجل تحقيق عدّة أُمور: كان يقاتل لنشر العلم في قومه العامليين. ويقاتل لحفظ عقائدهم. ويقاتل جور الحكام الظالمين وأتباعهم. ويحارب «ممخرقات» فريق من المتصوفة وشعوذاتهم وروحهم الانهزامية.

وبذلك كثر أعداؤه والساعون لهلاكه والقضاء عليه،وقد ورد في ما نقل عمّا ذكره المقداد السيوري «أنّ ممّن تعصَّب عليه وساعد في إحراقه رجل يقال له: محمّد ابن الترمذي مع أنّه ليس من أهل العلم وإنّما كان تاجراً فاجراً».

فمن هو ابن الترمذي هذا؟ وما شأنه في التعصّب على العالم العامل وهو مجرّد تاجر لا شأن له في العلم؟! ولماذا بلغ به التعصّب على أن يساعد في إحراقه؟! ثمّ ما هو نوع هذه المساعدة؟ هل سعى مع الساعين في أن لايكتفي بقتله، بل أن يحرق جثمانه بعد القتل زيادة في التشفّي؟ أم أنّ مساعدته كانت بالاشتراك في إحراق الجثمان الطاهر؟!

ثمّ أين كان مجال تجارة هذا التاجر الفاجر؟ هل كانت في دمشق؟ أم كانت في الجبل؟ أم كانت في الساحل؟

ثمّ ماهي حقيقة هذا الأصل الذي ينمى إليه: الترمذي؟

الذين سجلوا هذا الخبر لم يوضّحوا شيئاً من هذا الذي نتساءل عنه. لذلك فكلّ دلالته تنحصر في مقدار ما بلغ إليه الحكم المملوكي من فساد وشرٍّ ساعد عليه فقهاء السوء!. هؤلاء الفقهاء الذين كانوا أعلم الناس بما انطوى عليه محمّد بن مكّي من علم غزير وسيرة نقيّة وتقوى وصلاح. ولكن ذلك كلّه لا شأن له عندهم مادام لا يرى بعض ما يرون! ...

بعد أن تجهَّز محمّد بن مكّي، بما تجهَّز به من العلم في العراق وغير العراق، عاد إلى جبل عامل لينهض به ممَّا عراه من جرَّاء الاحتلال الصليبي الطويل. وانقضاء سبعين سنة على رحيل الصليبيين، عن جبل عامل، لم تكن كافية للنهوص به، لأنّ من شروط النهوض أن تتولَّى الدعوة إليه قيادة تتوافر فيها شروط الإنهاض، من علم غزير وعقل كبير وإدارة

حازمة وإخلاص. وهذا ما يبدو أنّ الأقدار لم تُعدّه لجبل عامل طوال السنين السبعين الماضية، حتّى نشأ محمّد بن مكّي وشبَّ ودرس وتعلّم، وعاد ليقود البلاد في مسيرتها التعليمية، هذه المسيرة التي وجدت فيه من يمضي بها قُدماً في معارج النهوض.

وكنّا قد أشرنا، فيما تقدَّم من القول، إلى أنّ المماليك، بما هم فيه من جهل وتعصّب، كانوا قد عملوا على محاربة عقائد العامليين وصرفهم عما هم عليه من تعلّق بآل البيت عليهم السلام، وظلوا طوال السنين التي أعقبت جلاء الصليبيين وحلولهم في البلاد يعملون جاهدين في هذا الميدان، وبذلك حالوا دون قيام المدارس العاملية، ونتيجة لهذا حالوا دون بروز العلماء في الجبل، فرأيناه يكاد يخلو طوال تلك الحقبة ممّن يصحّ أن ننسبه إلى العلم أوالفكر أو الأدب.

وفي المناطق التي أُتيحت لهم فيها الفرصة لأن يبيدوا أهلها بالسيف أو يشرِّدوهم، أقدموا على ذلك، كما حدث في كسروان. أمَّا في جبل عامل فإنّه لم يكن من السهل عليهم أن يقتحموه بالسلاح الحربي، لذلك لجأوا إلى التجهيل والإفقار والإغواء والإضلال، ولكن لم يكتب لهم النجاح لصلابة العامليين في عقائدهم وتمسّكهم بمناهجهم. وحين أرادوا الاستعانة على محمّد بن مكّي بشهادة الشهود عليه، لم يجدوا، بعد جهود سبعين سنة، سوى سبعين رجلاً يلبّونهم. لذلك رأيناهم يلجؤون للإشهاد عليه، إلى سكّان السواحل من غير العامليين.

والدليل على أنّهم بذلوا جهدهم للإكثار من الشهود العامليين، وأنّهم فشلوا في ذلك، عدم اكتفائهم من السواحليين بعشرات الشهود، بل جمعوا منهم المئات.

لقد رأى المماليك، بتحريض من فقهاء السوء، في نبوغ محمّد بن مكّي وما بدأ يؤسِّسه من معاهد ويقيم من مدارس حائلاً دون استرسالهم في الإغواء، ولاحت لهم، من خلال ما لمحوه وراء سعيه، طلائع نهضة علمية فكرية أدبية، فلم يصبروا على ذلك وقرّروا القضاء عليه فدبَّروا ما دبَّروا ... [١].

---

١. الشهيد الأوّل، ص ٥١ ـ ٥٣، ٩١ ـ ٩٣، ٩٥ ـ ٩٩. وتصدّى لتحليل قصّة استشهاد الشهيد وعواملها وفتنة اليالوشي ومعركة الشهداء ومقبرتهم صديقي الفاضلُ الدكتورُ يوسف طباجة (حفظه الله سبحانه) في مقالته المنشورة في مجلّة العرفان، المجلّد ٨٠، العددين ٧ ـ ٨، ص ٥٩ ـ ٧٩. وانظر ما يأتي في مختصر نسيم السحر في ملاحق الكتاب.

ب) ما قاله علماءُ العامّة

وفيما قاله علماء العامّة حول استشهاد الشهيد الكثير من الأكاذيب والافتراءات، ولعمري إنّ شهيدنا المظلوم بريءٌ منها.

قال طاهر بن حبيب (م٨٠٨) في حوادث سنة ٧٨٦:

وفيها قُتِلَ محمَّدُبن مكّي وعرفةُ كبيرا الرافضة بدِمشقَ وطرابلس، حين تجاهَرا بالمعاصي والعناد، وتظاهَرا بالزَنْدَقَةِ في مخالفة الله ورسوله وموافَقَةِ الْمَرَدَةِ من العباد، ونَأَيا عن الحقّ في استماع الأمر، ورَأَيا رَأْيَ النُصَيْرية [١] في تحليل الخمر، وقالا بتعظيمها كالمَجوس وأهل الفجور، واعْتَقَدا مُعْتَقَدَهم في أنّها من النور، وخرجا بما عند هما من الرفْض، ونَصَبا أنفسَهما اللعينةَ لرَفْع مقالة أُولي الخفض، ودَعَوا إلى إجابة دعوةِ نُصيرٍ والركون إليها، وتغاليا في محبّة [مقتول؟] ابن مُلْجم [!؟] وجمع قلوب غير الناس [كذا، ولعلّ الصواب: غيرهما من الناس] عليها، وتمادَيا في الضَلال والإضلال، ونادَيا على نفوسهما بقُبْح الخِلال والإخلال، ولا بَرِحا كذلك إلى أنْ وَصَلَ كلٌّ منهما أسبابَ غَيِّه بأسباب حَتْفِه، وكان كما قيل: «كالباحِثِ عن حَتْفِهِ بِظلْفِه» [٢]. وكان قتلُ محمّد بن مكّي المذكور تحت قلعة دِمَشْقَ، وقتلُ عرفةَ بطرابلس (عليهما من الله مايستحقّانه) [٣].

وقال شمس الدين الجزري (م٨٣٣) في ترجمة الشهيد:

محمّد بن مكّي بن محمّد بن حامد أبوعبدالله الجِزّيني الشافعي. كذا كَتَبَ بخطّه لي في استدعاء؛ ولكنّه شيخ الشيعة والمجتهد في مذهبهم. وُلِدَ بعد العشرين وسبعمائة، ورَحَلَ إلى العراق، وأخذ عن ابنِ المطهَّر وغيرِه، وقرأ القراءات على أصحاب ابن مؤمن [٤]، وذَكَرَ

---

١. للوقوف على مذهب النُصَيْرية انظر صبح الأعشى، ج١٣، ص٢٥٣ ـ ٢٥٤.

٢. مَثَلٌ، انظر معناه في تاج العروس، ج٥، ص١٦٣، «بحث».

٣. تكملة درّة الأسلاك، حوادث سنة ٧٨٦.

٤. الظاهر أنّه «عبدالله بن عبدالمؤمن بن الوجيه، هبة الله نجم الدين أبو محمّد الواسطي (٦٧١ ـ ٧٤٠) كان شيخ العراق في زمانه وقرأ عليه... بدمشق شيخنا الأُستاذ أبو المعالي ابن اللبّان و... بالعراق صاحبه الشيخ عليّ بن أحمد الدوري، وهو أكبر اصحابه بالعراق، وأبو العباس أحمد بن رجب الحنبلي للسبع خاصّة... ومحمّد شاه التستري وعبدالعزيز بن يوسف السرّاج ومحيى الدين أبو المفضّل محمّد بن عبدالله بن عليّ العاقولي والعزّ حسن إمام المستنصرية... والشيخ أحمد بن عليّ الملقّن وجماعة بالعراق...» كما قاله الجزري في غاية النهاية، ج١، ص٤٢٩ ـ ٤٣٠.

لي ابنُ اللَبّانِ [١] أنّه قَرَأ عليه. وهو إمام في الفقه والنحو والقِراءة، صَحِبَني مـدّةً مـديدةً فلم أسمَعْ منه ما يُخالف السنّةَ؛ ولكن قامتْ عليه البيّنة بآرائه، فعُقِدَ له مجلسٌ بدِمشقَ، واضْطُرّ فاعْتَرَفَ ليحكم بإسلامه الشافعيُ، فما حَكَمَ وجَعَلَ أمرَه إلى المالكي، فـحكم بإراقة دمه، فضُرِبَتْ عُنُقُه تحت القلعة بدِمَشْقَ. وكنتُ إذ ذاك بمصرَ، وأمْرُه إلى الله تعالى [٢].

وقال تقي الدين أحمد المَقْريزي (م ٨٤٥) في حوادث سنة ٧٨١:

وفيه قتل محمّد بن مكّي داعية الرافضة تحت قلعة دمشق [٣].

وقال أيضاً في حوادث سنة ٧٨٥:

وفيها قُتِلَ محمّد بن مكّي كبير الرافضة بدمشق، لتظاهره بزى النصيرية، ضُرِبَتْ عـنقُه تحت القلعة [٤].

وقال ابنُ قاضي شُهْبة (م ٨٥١) في حوادث شهر جمادى الأُولى من سنة ٧٨٦:

وفي عاشره عُقِدَ مجلسٌ للشمس محمّدبن مكّي العِراقي الأصل [كذا] المـقيم بـقرية جزّين، وكان له في السجن مدّةٌ، وأُثبِتَ في حقّه مَحْضَرٌ عند قـاضي بـيروت يَـتَضَمَّنُ رَفْضَه وإطلاقَه في عائشة وأبيها وعمر عباراتٍ مُنْكَرَة، بل مُكَفِّرة عـلى مـا أفـتى بـه جماعةٌ من الشافعية والحنفية وغيرُهم، فاجتمع القُضاةُ والعلماءُ بدار السَعادة وادُّعِـيَ عليه عند القاضي المالكي. فأنْكَرَ أنْ يكونَ قال شيئاً من ذلك، فتوقّف المالكي تـوقّفاً زائداً فَقُدِّرَ أنّهم استدرجوا ابنَ مكّي حتّى اعترفَ وأقَرَّ ظنّاً منه أنّ ذلك ينفعه، ثمّ أتـى

١. هو أُستاذ الجزري «أبو المعالي ابن اللبّان» كما ذكره في غاية النهاية، ج ١، ص ٤٢٩، وقال أيضاً في غاية النهاية ج ٢، ص ٧٢ ـ ٧٣: «محمّد بن أحمد بن على بن الحسن بن جامع شيخنا أبو المعالي ابنُ اللبّان الدمشقي أُستاذ محرّر ضابط ولد فيها أخبرني سنة ٧١٥ و طلب القراءات سنة ٧٢٧ وما بعدها... ثمّ عاد إلى دمشق فقرأ العشـر على ابن مؤمن الواسطي... سنة ٧٣٣... وأقبل على الإقراء فلم يكن في زمانه أحسن استحضاراً منه للقراءات، وولي مشيخة الإقراء بالدار الأشرفية و بجامع التوبة والجامع الأموي، ثمّ لمّا توفّي الشـهاب أحـمد بـن بـلبان البعلبكى سنة أربع وستّين، ولي مكانه مشيخة مشايخ الإقراء بتربة أُمّ الصالح بدمشق؛ لأنّ من شرطها أن يكون شيخنا أعلم أهل البلد بالقراءات، ولقد كان أحقّ بها منه في حياته وأقرأ الناس زماناً، وانتفع به خـلق، ورحـل الناس إليه من الأقطار وبعد صيته واشتهر اسمه... وقرأ عليه ولده عمرو... ومحمّد بن محمّد بن حامد... هـؤلاء الذين كملوا عليه وقرأ عليه خلق سواهم لم يكملوا عليه... توفّي سنة ٧٧٦... ولم أكن حاضراً بدمشق...».

٢. غاية النهاية في طبقات القرّاء، ج ٢، ص ٢٦٥.

٣. السلوك، ج ٥، ص ٧٦.

٤. السلوك، ج ٥، ص ١٦١.

بكلمتي الشهادتين، فَسُئِلَ المالكيُ حينئذٍ الحكمَ بكفره وإراقة دمه، فقال: حتّى تُفْتوا بزَنْدقَته بما وقع منه، فأفتىٰ بـذلك المـالكية وبـعضُ الشـافعية، فـلمّا رأى ابنُ مكّي الجدَّ رجع وقال كلاماً لم يُسْمَعْ منه ولم يُلْتَفَتْ إليه. ثمّ حكم القاضيُ المالكيُ بكُفره وإراقةِ دمه وإنْ تاب، بعد أن استخارَ الله تعالى، وجَعَلَ حكمَه مقيَّداً بشـرطينِ: أحدهما أنْ لايكون سَبَقَه حكمٌ بإسلامه، الثاني: أنْ يُنَفِّذَ القضاة حكمَه ويوافِقه الحنبليُ أيضاً، فحكم الحنبليُ أيضاً بزَنْدَقَتِه وإراقَةِ دمه، وَنَفَّذَه القـاضيانِ، فأُخْـرِجَ إلى تـحت القلعة فضُرِبَتْ عُنُقُه، بعد أنْ صلّىٰ رَكعتينِ وأتىٰ بكلمتي الشهادة وأظهر التَرَضِّيَ عـن الشيخين والصحابة. قال ابن حِجّي: «ولم يظهر منه جَزَعٌ ولاخوف، نسأل الله العافية» قال: «وهو مشهور بالرفض لكنّه عالم في الأُصول والقراءات وغير ذلك»[١].

وقال ابن حجر العسقلاني (م٨٥٢) في حوادث سنة ٧٨١:

وفيها قُتِلَ محمّد بن مكّي الرافضي بدِمشقَ بسبب ماشُهِدَ به عليه من الانحلال واعتقاد مذهب النُصيْرية واستحلال الخمر الصِرْف وغير ذلك من القبائح، وذلك فـي جُـمادى الأُولى. وأرَّخَه بعض أصحابنا في سنة ستّ وثمانين. فالله أعلم. وضربتْ عُنُقُ رفيقه عرفة بطرابلس، وكان على مُعْتَقَده[٢].

وقال أيضاً في وفيات سنة ٧٨٦:

محمّد بن مكّي العراقي [كذا]، كان عارفاً بالأُصول والعربية فقُتِلَ على الرفْضِ ومذهب النصيرية في جمادى الأُولى، وقد تقدَّم ذكره في حوادث سنة إحدى وثمانين. والله أعلم[٣].

وقال ابن فهد المكّي (م ٨٧١) في وفيات سنة ٧٨٦:

وبدِمشق الشمس محمّد بن مكّي العراقي المقيم بحُويزة [كذا، ظ: بِجزِّين] الرافـضي مقتولاً على الرَفْض[٤].

---

١. تاريخ ابن قاضي شهْبة، ج ١، ص ١٣٤ ـ ١٣٥، وانظر ص ١٥١ منه، حيث نقل كلام شمس الدين الجزري الذي نـقلناه آنفاً، فقال: «محمّد بن مكّي بن محمّد بن حامد بن عبدالله الجُرَيني [كذا]. ذكره الشيخ شمس الدين بن الجزري في كتابه طبقات القرّاء، وقال فيه: الشافعي كذا كتب بخطّه لي في استدعاء [ولكنّه] شيخ الشيعة و المجتهد في مذهبهم، ولد بعد العشرين وسبعمائة ودخل إلى العراق وأخذ عن المطهَّر [كذا] وغيره، وقرأ القراءات على أصحاب ابن مؤمن، وذكرلي ابن اللبّان أنّه قرأ عليه، وهو إمام في الفقه والنحو والقِراءات، صحبني مدّة مديدة فلم أسمع منه ما يخالف السنة...».
٢. إنباء الغُمْر، ج ١، ص ٣١١.
٣. إنباء الغُمْر، ج ٢، ص ١٨١.
٤. لَحْظ الألحاظ، ص ١٦٨.

وقال زين الدين عبدالباسط بن خليل بن شاهين الظاهري الحنفي (م ٩٢٠) في حوادث سنة ٧٨٦: «وفيها قتل محمّد بن مكّي على الرفض وغيره، وكان عارفاً بالأُصول والعربية»[١].

وقال ابن العماد الحنبلي (م١٠٨٩) في وفيات سنة ٧٨٦:

وفيها محمّد بن مكّي العراقي الرافضي، كان عارفاً بالأُصول والعربية، فشُهِدَ عليه بدِمَشْقَ بانحلال العقيدة واعتقاد مذهب النُصيرية واستحلال الخمر الصِرْفِ، وغير ذلك من القبائح؛ فضُرِبَتْ عُنُقُه بدِمَشْقَ في جمادى الأُولى، وضُرِبَتْ عُنُقُ رفيقه بطرابلس، وكان على معْتَقَدِه[٢].

وكانت هذه نماذج من أقوال علماء العامّة في مقتل الشهيد، وهي نسج من الافتراءات والأباطيل، ولقد أجاد العلّامة الأميني (طاب ثراه) حيث قال ـ بشأن ماقاله ابن العماد في هذه القصّة ـ:

وللمؤرّخ أبي الفلاح عبد الحيّ بن العماد الحنبلي... مايَقْضي منه العجب ممّا ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَ تَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ ويشهد الله والحقيقة وكتُبُ الفقيد الشهيد أنّه بَراءٌ من تلكم النِسَب، وفي مُنْتَأىً عنها، غير أنّ المؤرِّخ يتحرّى تبرير عمل من ارتكب تلكم الجريرة بِنحْتِ أعذار مفتعلة. هذه خلاصة ما ارتكبوه من الفظائع في هذه الفاجعة وماتشبّثوا به ممّا يبرِّر أعمالهم... [٣].

وقال العلّامة السيّد الأمين (طاب مثواه) بعد نقله لكلام ابن فهد المكّي الذي مرّ آنفاً:

وهذا تحريف من النسّاخ فصُحِّفَ «العاملي» بـ«العراقي» والمقيم بجزّين «بحويزة». وانظر إلى ماتفعله العداوة والنصب، فيُنْسَب رجلٌ من أجلّاء علماء المسلمين إلى انحلال العقيدة واعتقاد مذهب النُصيرية واستحلال الخمر الصرف، وغير ذلك من الفضائح، لأجل ستر القبائح ممّن لقي الله بدمه؛ ولا عجب فقد قال شاميٌ لأصحاب عليّ عليه السلام في صِفِّين: «نقاتلكم لأنّكم لا تُصلّون وصاحبكم لا يُصلّي»[٤].

---

١. نيل الأمل في ذيل الدول، ج ١، ق ٢، ص ٢٢٣.
٢. شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٩٤.
٣. شهداء الفضيلة، ص ٨٤.
٤. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦١.

وقال المرحوم السيّد حسن الأمين رحمه الله:

هذه هي التهمة التي وُجِّهت إلى العالم العظيم محمّد بن مكّي، هذا العالم الذي رفض إغراءات الملوك بالالتحاق ببلاطاتهم، وآثر العيش في القرية مع الفلّاحين والفقراء، لينهض بمجتمعهم الذي أقعده الاحتلال الصليبي طوال عشرات السنين.

هذا العالم الذي هاجر في صباه وشبابه إلى البلاد العربية طلباً للعلم، ليعود فيزوِّد به شعبه فينقذه من الأُمّيّة والجهل.

هذا العالم الذي كان أساتذته علماء من مكّة والمدينة وبغداد والقدس ودمشق والحلَّة، رحل إليهم ودرس عليهم فأجازوه وروى عنهم.

هذا العالم يوجِّه إليه أُولئك الطغاة هذه التهم ليستحلُّوا دمه![1]

نعم، لم يكن ذنب الشهيد سِوى الترويج والدعوة لعقيدته الشيعية الحقّة والسعي لنشرها، وما آثار الشهيد ومصنّفاته ـ خاصّةً رسالة «العقيدة الكافية» الآتية في ضمن البحث عن مؤلّفات الشهيد وآثاره العلمية ـ إلّا خير دليل على بَراء ساحته المقدّسة من الاتّهامات التي ساقها له المخالفون.

وقد أنشد الشهيد أثناء حبسه في قلعة دِمَشْقَ أشعاراً يخاطِبُ فيها بيدمر حاكم دِمَشقَ يُبَرِّئُ ساحته من الاتّهامات التي نُسِبَتْ إليه، ومِن جملة هذه الأبيات:

يـا أيّـها المـلِكُ المـنصورُ بـيدمَرُ ... بكـم خـوارزم والأقـطار تـفتخرُ

إنّـي لداعٍ لكـم فـي كُـلِّ آونَـةٍ ... وما جَـنَيْتُ لَـعَمْري كـيفَ أعـتَذِرُ؟

لاتَسْمَعَنْ فِـيَّ أقْـوالَ الوُشـاةِ فـقد ... بـاؤوا بِـزُورٍ وإفْكٍ ليس يَـنْحَصِرُ

واللـهِ واللـهِ أيـماناً مـؤكَّدةً ... إنّي بـريءٌ مـن الإفك الذي ذكـروا

الفـقهُ والنـحوُ والتـفسير يـعرفُني ... ثـمّ الأُصـولانِ والقـرآن والأثَـرُ

....

خدمة المملوك المظلوم والله: محمّد بن مكّي الشامي[2]

---

١. الشهيد الأوّل، ص ١٠٤ ـ ١٠٥.

٢. روضات الجنّات، ج ٧، ص ١٩، ٢٠؛ أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦١. ونُقِلَ بعض أبيات الشهيد إلى بيدمر في مخطوطةٍ في مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة، برقم ٨٩١٢، وأدرجنا ما وقفنا عليه من أشعاره خطاباً لبيدمر في قافية الراء من الفصل الثالث من الباب الثالث لهذا الكتاب. وانظر ما يأتي في مختصر نسيم السحر في ملاحق الكتاب.

قال العلّامة السيّد محسن الأمين رحمه الله :

ويُعلم مِن هذه القصيدة عدّة أُمور تاريخية وهي : أنّه كان قد وشي بالشهيد قدس سره إلى الأمير منجك قبل هذا فلم يقبل الوشاية، وأنّ الأمير حاجب وأُستاذ الدار كانا يعلمان ذلك، وأنّه كان يحجّ في كلّ سنة، وأنّه كان في السنة التي استشهد فيها قد حجّ، وكان أمير الحجّ محمّد بن بيدمر، وأنّه كان له خلطة مع أرباب السلطنة وأركان الدولة [١].

وقال بعضُ المعاصرين في ردّ هذه الاتّهامات :

أمّا لجهة السَبّ فإنّي أميل إلى تبرئة الرجل منه. لقد حَقَّقَ الشهيد خلالَ سنينَ عديدة صلاتٍ طيّبة بالمراكز العلمية السُنّية في المنطقة، وقرأ على كثيرٍ من شيوخها، وظلّ حتّى أواخر عمره يُقِيمُ مدداً غير قصيرة في دِمَشقَ، حيث كسب لنفسه مركزاً علمياً ممتازاً وتقديراً. ونُسجِّل هنا شهادة الجزري التي يقول فيها : «صحبني مدّةً مديدةً فلم أسمع منه ما يخالف السنّة» [٢]. وهذا يدلّنا على دقّة الرجل، حتّى لقد كان يحرص وهو يخطّ اللمعةَ الدِمَشقية أنْ لا يطّلع عليه أحد. رجل كهذا في دقّته ومرونته وسعة أُفقه لا يمكن أنْ يلجأ إلى النيل والسَبِّ، وعلى كلّ حالٍ فَلماذا يفعل؟! في تقديرنا إنّ هذا السبب ليس أكثر من ترديدٍ لتهمة تاريخية ضدّ الشيعة كانت دائماً أرخص وأيسر وسيلةٍ للاستثارة عليهم [٣].

نعم، كان الشهيد يراعي التقيّةَ، ودعا في آخر إجازته لابن الخازن ـ التي كتبها في دِمشقَ قبل شهادته بسنتين تقريباً أي ثاني عشر شهر رمضان عام ٧٨٤ ـ للصحابة، حيث قال :

والحمد للّه أبد الآبدين، وصلّى الله على أفضل الخلائق أجمعين... وعترته الطيّبين الطاهرين وصحبه الأخيار المُنتجبين [٤].

وقال صاحب الرياض :

نقل عنه رحمه الله أنّه كان في الأيّام يشتغل بتدريس كتب المخالفين ويُقْرئهم ولم تحصل له فرصة لتدريس كتب الشيعة لشدّة التقيّة إلّا في الليل بقدر مابين المغرب والعشاء، فكان

١. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦١.
٢. غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥.
٣. الهجرة العاملية إلى إيران، ص ٨٣.
٤. بحارالأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٢.

يدرِّس في ذلك الوقت الشيعةَ حين الخلوة في بيتٍ معيَّنٍ عمله تحت الأرض [١].

وكان بينه وبين علماء السنّة مخالطة كما يبدو ممّا مرّ وصرَّح به الشهيد الثاني [٢]. وقال بعض المعاصرين:

ومن حرص الشهيد على توحيد الكلمة... كان يُخفي ما كان بيده من كتابه حين كان يزوره أعلام السنّة في مجلسه، حتّى أنّه عُدّ من كراماته أنّه حينما ابتدأ بكتابه «اللمعة الدمشقيّة» لم يمرّ عليه زائر من علماء السنّة ووُجَهاء دِمشق إلى أنْ تمّت كتابة هذه الرسالة في سبعة أيّام [٣].

وهذه الرواية تدلّ على حرص الشهيد أوّلاً على عدم إثارة المسائل الخلافية، والمحافظة على وحدة الكلمة بين المسلمين في ظروفٍ اجتماعية مضطربة... وتدلّ ثانياً على أنّ بيت الشهيد كان آهلاً بمختلف الطبقات من علماء ووُجَهاء وشيعة وسنّة من دِمشق وخارجها.

ولم يبق الشهيد... في دمشق عاطلاً عن العمل والنشاط، ولم ينتقل من جزّين إلى دمشق لغير سبب... فقد حاول أوّلاً أنْ يكوِّنَ لنفسه مكانةً مرموقةً في الأوساط الاجتماعية والفكرية، وهو عمل جبّارٌ إذا لاحظنا الظروف التي عاشها الشهيد والفجوات الكبيرة التي كانت بين السنّة والشيعة في ذلك الوقت... وقد كان الخلاف في وقته قائماً على قدم وساقٍ بين السنّة والشيعة، ومن ورائها كانت الصليبية تُغَذِّيها وتُلْهِمُها بمختلف الوسائل، وكانت الحكومات تجد في ذلك كلّه إلهاءً لذهنية المسلمين وتخديراً لنفوسهم [٤].

وعليه فإنّ الاتّهامات التي ساقها له علماء العامّة جاءت صرفاً لتبرير عملية قتله الفجيعة ﷺ، والذي يبدو أنّ خطوات الشهيد السياسية ونشاطاته هي التي أدّتْ إلى قتله من قبل الحكام، كما قال بعض المعاصرين:

... مسألة أخيرة تتّصل بقتل محمّد بن مكّي ربما كانت هي السبب الأوّل والأخير في قتله، وهي صلته بحليفٍ شيعي علوي لتيمور هو السلطان عليّ بن مؤيَّد ملك خراسان...

---

١. تعليقة أمل الآمل، ص ٨٠.
٢. الروضة البهيّة، ج ١، ص ٢٤.
٣. الروضة البهيّة، ج ١، ص ٢٤.
٤. الروضة البهيّة، ج ١، ص ١٣٠ ـ ١٣١، المقدِّمة.

الذي كانت بينه وبين الشهيد «مودّة ومكاتبة على البعد إلى العراق ثمّ إلى الشام» [١]. ... وممّا يكمل هذا الاتّجاه أنّ السلطان المذكور أرسل رسولاً إلى الشهيد... يستقدمه إليه... ولكنّ الشهيد آثَرَ أنْ يبقى حيث هو، وأرسل إليه رسالة «اللمعة» بقصد تفقيهه في المذهب الإمامي ومساعدته في تنظيم دولته على أساسٍ منه... وبهذا يبدو أنّ قتل الشهيد الأوّل كان أدخل في السياسة منه في العقيدة ... [٢].

وممّا يدلّ على نشاطات الشيعة في عصر الشهيد نصّ التوقيع المُسْهِبِ الذي أورده القلقشندي في صبح «الأعشى» ـ وفيه الكثير من الافتراءات على الشيعة ـ نورد لكم خلاصته:

قال القلقشندي:

وهذه نسخة توقيعٍ كريم ـ بمنْع أهل صَيْدا وبَيْروتَ وأعمالهما من اعتقاد الرافِضة والشيعة ورَدْعِهم، والرجوع إلى السنَّة والجماعة، واعتقادِ مَذْهَب أهل الحقّ، ومنْع أكابرهم من العُقُود الفاسدة والأنكحة الباطلة، والتعرّضِ إلى أحدٍ من الصحابة (رضوان الله عليهم أجمعين) وأنْ لايَدَعُوا سلوك طريق أهل السنّة الواضحة، ويَمْشُوا في شَرَك أهل الشكّ والضلال، وأنَّ كلّ مَن تظاهر بشيءٍ من بِدَعهم قُوبِل بأشدِّ عذاب وأتَمِّ نكال؛ ولْيُخْمِدْ نِيران بِدَعهم المُدْلَهِمَّة، ولْيُبادِرْ إلى حسم فَسادِهم بكلِّ هِمَّة، وتصريفهم عن التهوّك في مهالك أهوائهم إلى مانَصَّ عليه الشرعُ واعتبره، وتطهير بواطنهم من رُذالة اعتقادهم الباطل إلى أنْ يُعْلِنُوا جميعُهم بالترضّي عن العَشَرة، ولْيحفَظْ أنسابَهم بالعقود الصحيحة، ولْيُداوِمُوا على اعتقاد الحقِّ والعمل بالسنَّة الصريحة ـ في خامس عِشْرَينِ جُمادَى الآخرة سنة أربع وستّين وسبعمائة [٣]؛ وهي:

«... وقد بَلَغَنا أنّ جماعةً من أهل بَيْروتَ وضواحيها، وصَيْدا ونواحيها، وأعمالها المضافة إليها، وجهاتِها المحسوبة عليها، ومَزارعِ كلٍّ من الجهتين وضِياعها، وأصقاعها وبِقاعها، قد انتحلوا هذا المذهَب الباطل وأظهَرُوه، وعمِلوا به وقرّرُوه، وبَثُّوه في العامَّة ونشَرُوه، واتّخذوه دِيناً يعتقدونه، وشرْعاً يعتمِدُونه، وسلَكُوا مِنهاجَه، وخاضُوا لجاجَه، وأضَلُّوه وفرَّعوه، وتديَّنوا به وشَرَعوه، وحصَّلوه وفصَّلوه، وبلَّغوه إلى نفوس أتباعهم

١. كما قاله الشهيد الثاني في الروضة البهيّة، ج ١، ص ٢٤.
٢. الصلة بين التصوّف والتشيّع، ج ٢، ص ١٣٩ ـ ١٤٠.
٣. ولعلّ الصواب: «أربع وثمانين وسبعمائة»، راجع الهجرة العاملية إلى إيران، ص ٧٤ ـ ٧٥.

و وصَّلوه، وعظَّموا أحكامَه، وقدَّمُوا حُكَّامه، وتمَّموا تبجيلَه وإعظامَه؛ فهم بباطله عاملون، وبمقتضاه يتعامَلُون، ولأعلام عِلْمه حاملُون، وللفساد قابِلون، وبغير السداد قائِلون، وبحَرَم حرامه عائِذون، وبحمىٰ حمايته لائِذُون، وبكَعْبة ضلالِه طائِفُون، وبسُدّةِ شِدّته عاكفون؛ وإنّهم يسُبُّون خيرَ الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، ويستحِلُّون دمَ أهل السنَّةِ من المسلمين، ويستبِيحُون نكاح المُتعة ويرتكبُونَه، ويأكلون مالَ مخالفيهم وينتهِبونه، ويجمعُون بين الأُختين في النكاح، ويتديّنون بالكفر الصُراح، إلى غير ذلك من فروع هذا الأصل الخبيث، والمذهب الذي ساوىٰ في البُطلان مذهبَ التثليث. فأنكرْنا ذلك غايَةَ الإنكار، وأكبَرْنا وقوعَه أشدَّ إكبار، وغضِبْنا للّه تعالى أنْ يكون في هذه الدولة للكُفْر إذاعة، وللمعصية إشادةٌ وإشاعة، وللطاعة إخافةٌ وإضاعة، وللإيمان أرْجى بِضاعة، وأردنا أنْ نجَهِّز طائفةً من عسكر الإسلام، وفِرقةً من جُنْد الإمام، تستأصل شأْفَةَ هذه العُصْبة المُلْحِدة، وتطهِّرُ الأرضَ من رِجْس هذه المَفْسَدة؛ ثمّ رأينا أنْ نقَدِّم الإنذار، ونسبِقَ إليهم بالإعذار، فكتَبْنا هذا الكتاب، ووجَّهْنا هذا الخِطاب، ليُقْرأَ علىٰ كافَّتهم ويُبلَّغَ إلىٰ خاصَّتهم وعامَّتهم، يُعْلِمهم أنّ هذه الأُمور التي فعلُوها، والمذاهبَ التي انتَحلوها، تُبِيح دماءَهم وأموالَهم، وتَقتضِي تعميمَهم بالعذابِ واستِئْصالَهم؛ فإنَّ من استحَلَّ ما حَرَّم الله تعالىٰ وعرف كونه من الدين ضرورةً فقد كَفر، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿**وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ**﴾ عطْفاً علىٰ ما حَكَم بتحريمه، وأطلق النصّ فتعيَّن حملُه علىٰ تعمِيمه؛ وقد انعقد علىٰ ذلك الإجماع، وانقطعت عن مخالفته الأطماع، ومخالفةُ الإجماع حرام بقول من لم يزَلْ سميعاً بصيراً: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا**﴾. ونكاح المُتعة منْسوخ، وعَقْده في نفس الأمر مَفْسُوخ، ومن ارتكبه بعد علمه بتحريمِه واشتهارِه، فقد خرج عن الدين بردّه الحقَّ وإنكاره، وفاعلُه إن لم يتُب فهو مقتول، وعُذْره فيما يأتيه من ذلك غيرُ مقْبُول، وسَبُّ الصحابة (رضوانُ الله عليهم) مخالِفٌ لما أمر به رسولُ الله ﷺ من تعظيمِهم، ومنابِذٌ لتصريحه باحترامهم وتبجيلِهم، ومخالفتُه عليه السلام فيما شَرَعه من الأحكام، موجبةٌ للكفر عند كلّ قائِل وإمام، ومُرتكبُ ذلك على العقوبة سائر، وإلى

الجحيم صائر. ومَنْ قَذَفَ عائشةَ أُمَّ المؤمنين (رضي الله عنها) بعدما بَرَّأها الله تعالىٰ فقد خالف كتابَه العظِيم، واستحَقَّ من الله النَكالَ البليغَ والعـذابَ الأليـم، وعـلى ذلك قامتْ واضحاتُ الدلائل، وبه أخذ الأواخِرُ والأوائِل، وهو المَـنْهَج القَـوِيم، والصـراطُ المستقيم، وما عدا ذلك فهو مرْدُود، ومن المِلَّة غيرُ معْدُود، وحادثٌ في الدين، وباعثٌ من المُلْحِدين، وقد قال الصادق في كلّ مَقالَة، والمُوضِّح في كلّ دِلالة: «كُـلُّ مُـحْدَثة بِدْعةٌ وكلُّ بِدْعةٍ ضَلالة»؛ فتوبُوا إلى الله جميعاً، وعودُوا إلى الجماعة سريعاً، وفارِقُوا مذهبَ أهل الضلالة، وجانِبُوا عُصْبةَ الجَهالة، واسمَعُوا مقالَةَ الناصح لكم فـي ديـنكم وَعُوا، وعنِ الغيِّ ارجعُوا، وإلى الرَشادِ راجِعُوا، وإلى مغفرةٍ مـن ربّكـم وجـنّةٍ عـرضُها السمواتُ والأرضُ بِاتّباع السنة بادِرُوا وسارِعُوا؛ ومن كان عنده امرأة بـنكاح مـتعة فلايَقْرَبْها، ولْيحذَرْ من غشْيانها ولْيتجَنَّبْها، ومَنْ نكح أُختين في عقْدَيْن فليُفارِق الثانيةَ منهما؛ فإنَّ عقدَها هو الباطل، وإنْ كانَتا في عقدٍ واحدٍ فليُخْرِجْهما مـعاً عـن حِـبالِته ولا يُمَاطِلْ؛ فإنَّ عذاب الله شديد، ونكالَ المجرم في الحميم كلَّ يوم يَزِيد، ودارَ غضب الله تُنادِي بأعدائه: **هل من مَزِيد**؛ فلا طاقَةَ لكم بعَذابِه ولا قُدرةَ على أليم عقابه، ولا مَفَرَّ للظالم منه ولاخَلاص، ولا ملجَأ ولا مَنَاص؛ فرحِم اللهُ تعالى امْـرأً نـظر لنـفْسه، واستعدَّ لرَمْسه، ومَهَّد لمَضْرَعه، ووطَّألمَضْجَعه، قبلَ فَوات الفَـوْت، وهُـجوم المـوْت، وانقطاع الصَوْت، واعتقالِ اللسان، وانتقال الإنسان، قـبل أنْ تُـبْذَلَ التـوبةُ ولا تُـقْبل، وتُذْرى الدمُوعُ وتُسْبَل، وتنقضِي الآجالُ، وينقطع الأمل ويمتنِعَ العمَل، وتزهَقَ من العبد نَفْسُه، ويضُمَّه رَمْسُه، ويَرِدَ على ربّه وهو عليه غَضْبانُ، وإنَّ سُخْطه عليه بمخالفة أمره قد بان، ولا ينفَعُه حينئذٍ الندَم، ولا تُقال عثرتُه إذا زَلَّت به القدَم؛ وقد أعْذَر من أنْذَر، وأنصَفَ من حَذَّر؛ فإنّ حزب الله هم الغالبون، والذين كَفَرُوا سيُغْلَبُون ﴿**وَ سَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَـلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾ (ألهمنا الله وإيّاكم رُشْدَنا، ووفّق إلىٰ مَراضِيه قـصْدَنا، وجَـمَعَنا وإيّاكم على الطاعة، وأعاننا جميعاً على السُنَّة والجماعة، بمنِّه وكرمه)»[١].

كما تلاحظون فقد ساق التوقيع مختلف التُهَم للشيعة، ومهما تكن فهي ترشدنا وتقودنا

١. صبح الأعشى، ج ١٣، ص ١٤ ـ ٢١.

إلى نشاطات الشيعة المتأثِّرة بفعّاليات الشهيد الأوّل آنذاك[١].

نُضيف إلى ذلك أنّ الحكّام أعدموا في عصر الشهيد في مدينة دمشقَ بالتحديد ثلاثة من الشيعة في الأعوام ٧٤٤، ٧٥٥ و ٧٦٦، حيث كانت سوق قتل الشيعة بتهمة كونهم «رافضة» دائرة. يقول كبير علماء السنّة ابن كثير الدِمَشْقي في حوادث شهر جُمادى الأُولى من سنة ٧٤٤:

وفي صبيحة يوم الإثنين الحادي والعشرين منه قتل بسوق الخيل حسن ابن الشيخ السكاكيني على ماظهر منه من الرفض الدالِّ على الكفر المحض، شُهِدَ عليه عند القاضي شرف الدين المالكي بشهادات كثيرة تدلّ على كفره، وأنّه رافضي جلد، فمن ذلك تكفير الشيخين (رضي الله عنهما) وقذفه أُمّي المؤمنين عائشة وحفصة (رضي الله عنهما)، وزعم أنّ جبريل غلط فأوحى إلى محمّد، وإنّما كان مرسلاً إلى عليّ، وغير ذلك من الأقوال الباطلة القبيحة (قبَّحَه الله) وقد فعل. وكان والده الشيخ محمّد السكاكيني يَعْرِف مذهبَ الرافضة والشيعة جيّداً، وكانت له أسئلة على مذهب أهل الخير، ونظم في ذلك قصيدةً أجابه فيها شيخنا الإمامُ العلّامة شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ. وذكر غيرُ واحدٍ من أصحاب الشيخ أنّ السكاكيني ما مات حتّى رجع عن مذهبه، وصار إلى قول أهل السنّة، فالله أعلم. وأُخْبِرْتُ أنّ ولده حسناً هذا القبيح كان قد أراد قتل أبيه لمّا أظهَرَ السنّةَ[٢].

ويقول أيضاً في حوادث سنة ٧٥٥:

نادرة من الغرائب

في يوم الإثنين السادس عشر من جُمادى الأُولى اجتازَ رجل من الروافض من أهل الحلّة بجامع دمشقَ وهو يَسُبُّ أوّلَ من ظَلَمَ آل محمّدٍ، ويُكَرِّرُ ذلك لايَفْتر، ولم يُصلِّ مع الناس ولا صلّى على الجنازة الحاضرة، على أنّ الناس في الصلاة، وهو يُكَرِّرُ ذلك ويرفَعُ صَوتَه به. فلمّا فرغنا من الصلاة نَبَّهْتُ عليه الناسَ فأخذوه وإذا قاضي القضاة

١. الهجرة العاملية إلى إيران، ص ٥٩ ـ ٨١.

٢. البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٢٤٤؛ وانظر الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٣٤، الرقم ١٥٥١؛ شهداء الفضيلة، ص ٧٣ ـ ٧٤؛ أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٦٢٨؛ خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٢٠، ص ٢٦٦، ط. الجديدة؛ الحقائق الراهنة، ص ١٤٥.

الشافعي في تلك الجنازة حاضر مع الناس. فجئت إليه واستنطقتُه مَـن الذي ظـلم آلَ محمّد؟ فقال «أبوبكر الصديق»، ثمّ قال جهرةً والناس يسمعون: «لعن الله أبابكر وعمر وعثمانَ ومعاويةَ ويزيدَ»، فأعاد ذلك مرّتين، فأمر به الحاكمُ إلى السجن، ثمّ استحضره المالكي وجَلَدَه بالسِياط، وهو مع ذلك يصرخ بالسبّ واللعن والكلام الذي لايصدر إلّا عن شقيّ. واسم هذا اللعين عليّ بن أبي الفضل بن محمّد بن حسين بن كثير (قبَّحَه الله وأخزاه) ثمّ لمّا كان يوم الخميس سابع [كذا، والصواب: تاسع] عشره عُقِدَ له مـجلس بدار السعادة وحضر القضاة الأربعة وطُلِبَ إلى هنالك، فقدَّر الله أنْ حَكَمَ نائب المالكي بقتله، فأُخِذَ سريعاً فضربَتْ عنقه تحت القلعة، وحرَقَه العامّة وطافوا برأسه البلدَ ونادَوْا عليه: «هذا جزاء من سبَّ أصحابَ رسول الله ﷺ». وقد ناظرتُ هـذا الجـاهلَ بـدار القاضي المالكي وإذا عنده شيء ممّا يقوله الرافضةُ الغلاةُ، وقد تلقّى عن أصحاب ابن مطهَّر [1] أشياءَ في الكفر والزندقة (قَبَّحَه الله وإيّاهم) [2].

ويقول أيضاً في حوادث شهر جمادى الآخرة من سنة ٧٦٦:

قتل الرافض الخبيث

وفي يوم الخميس سابع عشره أوّلَ النهار وُجِدَ رجل بالجامع الأمويّ اسمه محمودبن إبراهيم الشيرازي، وهو يَسُبّ الشيخين ويُصَرِّحُ بلعنتهما، فَرُفِعَ إلى القـاضي المـالكي قاضي القضاة جمال الدين المسلاتي فاستتابه عن ذلك وأحضر الضرّاب فأوّل ضـربةٍ قال: «لا إله إلّا الله، عليّ وليّ الله».ولمّا ضرب الثانية لعن أبابكر وعمر، فالتهمه العامّةُ فأوسعوه ضرباً مُبَرِّحاً بحيث كاد يَهْلِك، فجَعَلَ القاضي يَسْتَكِفُّهم عنه فلم يستطِعْ ذلك، فَجَعَلَ الرافضيُ يَسُبُّ ويَلْعَن الصحابةَ، وقال: «كانوا على الضلال». فعند ذلك حُمِلَ إلى نائب السلطنة وشُهِدَ عليه قوله بأنّهم كانوا على الضلالة، فعند ذلك حكم عليه القاضي بإراقة دمه، فأُخِذَ إلى ظاهر البلد فضربت عنقه وأحرقتْه العـامّة (قَـبَّحَه اللـه). وكـان ممّن يقرأ بمدرسة أبي عمر، ثمّ ظهر عليه الرفضُ فسَجَنَه الحنبليُ أربعين يوماً، فلم ينفع ذلك، وما زال يُصَرِّحُ في كلِّ موطِن يأمر فيه بالسَبِّ حتّى كان يومه هذا أظـهرَ مـذهبه

١. يعني العلّامة الحلّي (طاب ثراه).
٢. البدايه والنهاية، ج ١٤، ص ٢٨٧؛ وانظر الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٤ ـ ٣٥، الرقم ٩٣، وص ٨٣ـ ٨٤، الرقم ٢١٣؛ الصواعق المحرقة، ج ١، ص ١٢٨ ـ ١٢٩؛ الحقائق الراهنة، ص ١٤٦؛ شهداء الفضيلة، ص ٩٧ ـ ٩٨.

في الجامع. وكان سببَ قتله (قبّحه الله كما قَبَّحَ من كان قبله وقُتِلَ بقتله في سنة خمسٍ وخمسينٍ) [١].

❊ ❊ ❊

قال البغدادي في ترجمة الشهيد:

محمّدبن جمال الدين مكّي... العاملي الجزّيني (الجزّين على وزن السِكّين: موضوع [كذا، ظ: موضع] في البحرين) هو من غلاة الشيعة، مات مقتولاً بدِمَشقَ سنة ٧٨٢ اثنتين وثمانين وسبعمائة [٢].

وفي كلامه هذا عدّة أخطاء:

أ) استشهاد الشهيد في عام ٧٨٢ خطأ قطعاً، والصحيح هو عام ٧٨٦.

ب) قوله: «الجزّين... موضع في البحرين» أيضاً خطأ فاحش، بل هو موضع في لبنان.

ج) قوله: «هو من غلاة الشيعة» أيضاً باطلٌ، وبطلانه واضح لمن له أدنىٰ دراية.

❊ ❊ ❊

قال الشيخ محمّد رضا شمس الدين رحمه الله:

الذي أراه أنّ الشهيد سُجِنَ مرّتين: أوّلاً قبل أنْ يقتلَ بأربع أو خمس سنين، وفيه ألّف اللمعة...؛ وثانياً قبل أنْ يقتلَ بسنةٍ، وهو الذي استُشْهِدَ بعده [٣].

أقول: هذا الكلام لايوجَد من يؤيِّده في المصادر التاريخية، ولم يقل أحد أنّ الشهيد سُجِنَ مرّتين، وسنبحث حولَ أنّ الشهيد لم يؤلِّف اللمعة في السجن عند التطرّق إلى مؤلّفات الشهيد في ذيل عنوان اللمعة الدِمَشقية. والذي يبدو أنّ ما حَدا بالشيخ شمس الدين إلى هذه المقالة هو قول الشيخ الحرّ العاملي: «وفي مدّة الحبس ألّف اللمعة الدِمشقيةَ في سبعة أيّام» [٤]، ولكنّنا أشرنا فيما تقدّم إلى عدم صحّة هذه المقولة، هذا أوّلاً؛ وثانياً فإنّ

١. البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣٥٤؛ وانظر الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٣٢١، الرقم ٨٧٨؛ شهداء الفضيلة، ص ٨٠.
٢. هديّة العارفين، ج ٢، ص ١٧١، وذكر في عدّة مواضع أُخرى أيضاً قتل الشهيد في سنة ٧٨٢، منها في إيضاح المكنون، ج ١، ص ٣٥٥.
٣. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٧٣.
٤. أمل الآمل، ج ١، ص ١٨٣.

الشيخ الحرّ العاملي اعتبر تأليف الشهيد للّمعة الدِمشقيّة في نفس السجن الذي أدّى إلى شهادته وكان في السنة الأخيرة من حياته؛ لأنّ الشيخ الحرّ قال:

وكانت وفاته سنة ٧٨٦... بعدما حُبِسَ سنةً كاملةً في قلعة الشام، وفي مدّة الحبس أَلَّف اللمعة الدمشقيّة [١].

وعلى هذا ـ ولو أذعنّا للفرض المحال بأنّ الشهيد ألّف اللمعة في السجن اعتماداً على قول العاملي (طاب مثواه) ـ فإنّ هذا الأمر لايقودنا إلى أنّ الشهيد سجن مرّتين.

* * *

وكما تقدّم ـ نقلاً عن تلميذ الشهيد الفاضل المقداد ـ فإنّ الشهيد قُتِلَ بالسيف، ثمّ صُلِبَ ثمّ رُجِمَ ثمّ أُحْرِقَ ببلدة دِمشقَ، وعلى هذا فليس له قبرٌ يُزار، وهو كما يقول الشاعر الفارسي:

بعد از وفات تربت ما در زمين مجوى در سينه‌هاى مردم عارف مزار ماست [٢]

ولكن قال الشيخ محمّد رضا شمس الدين رحمه الله:

إنّه لم يعرفْ وجود قبر للشهيد؛ لأنّه أُحْرِقَ جسدهُ وذُرِّيَ في الهواء. وقيل: «إنّه جُمِعَ رفاتُه بعد الإحراق ودُفِن بالشام». وقد أخبرني بعض أُدباء النجف المعروفين أنّه شاهد قبره وعليه اسمه في الشام. ولبعدنا عنها الآن لم يَتَيَسَّرْ لنا البحث عن ذلك [٣].

ومهما يكن فقد مضى الشهيد بمآثرَ كبيرةٍ وأعمالٍ جليلة وأيادٍ بيضاءَ على الفقه والشريعة، خلَّدتْه ودرجَتْ اسمه في سِجِلِّ الخالدين من المجاهدين والعاملين في سبيل الإسلام... (فرحمه الله يوم وُلِدَ، ورحمه الله يوم استُشْهِدَ في سبيل الله، ورحمه يوم يُحْشَر) [٤].

---

١. أمل الآمل، ج ١، ص ١٨٢ ـ ١٨٣.
٢. يعني: لاتبحث عن قبر لنا بعد الممات؛ فإنّ مزارنا يكمن في صدور العارفين.
٣. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٦.
٤. الروضة البهيّة، ج ١، ص ١٤٨، المقدّمة.

الباب الثاني

الشهيد الأوّل

عصره، سيرته، أعماله وما مكث منها

المقدّمة
الفصل الأوّل: أرضية تاريخية
الفصل الثالث: جزّين ماضي الأيّام الآتية
الفصل الرابع في السيرة
الفصل الخامس في خِضمّ المعترك
الفصل السادس: عالَم الشهيد وسيرته من هذا المنظور
الفصل السابع: ماذا مكث من أعمال الشهيد؟
الخاتمة

تأليف
الشيخ د. جعفر المهاجر

المقدّمة*

(١)

عِمارة السيرة من أهمّ فنون الكتابة التاريخيّة، بل هي عندي أهمّها على الإطلاق، بالنظر لأنّها أبعدها عن التأثير المُدمّر للمؤرّخ السلطوي، ذلك أنّ كتابة السيرة هي ثمرة علاقة إنسانيّة طبيعيّة بين الكاتب وموضوع عمله، حتّى وإنْ كانت غير مباشرة. أما الكتابة التاريخيّة الحدَثيّة فهي غالباً جداً خاضعة لافكارٍ مُسبَقة، تكيّف الأحداث بما يتناسب مع أغراض وحوافز وأفكار وعلاقات كاتبها.

سبب آخر لاهميّة عِمارة السيرة، ينبع من أهميّة صاحبها، هاهنا علاقة طرديّة بين الإثنين، كلّما كان صاحب السيرة أكبر حضوراً وأعمق تأثيراً، كان الداعي إلى عِمارة سيرته أقوي وأعود، ذلك لأننا من خلال السيرة قد نستشرف ما نعجز عن رؤيته في التاريخ الرسمي الحدَثي. إذن، فنحن هنا أمام مطلبين: كتابة السيرة ذاتها، وعَبْرها كتابة تاريخ أصدق وأكثر إنسانيّة.

عِمارة سيرة الشهيد الأوّل محمّد بن مكّي الجزيني أُنموذج كبيرعلى ما قلناه، على الرغم من أنّها تحدٍّ كبير لمن يُحاولها، وليس هذا بالأمر الغريب، فدائماً كانت سيَر الكبار أكبر منهم، على الأقلّ لأنّ إنجازاتهم تعيش وتنمو من بعد أن يموتوا، إنّهم يبدأون تفاعلاً يمضي مُتسلسلاً من بعدهم، يُنتج ويُغيّر ويُبدّل في مقاديرالبشر، دون أنْ يُلقي بالاً لموت من أنجبه، ولكن سيرة الشهيد، بالإضافة إلى ذلك، تواجهنا بتحدّيات من صنف مُختلف، إنّه كبير

* كما قلنا فيما سبق في مقدّمة الكتاب هذا الباب ألّفه الصديق العزيز الشيخ جعفر المهاجر (حفظه الله سبحانه ورعاه) بطلبٍ من مركز إحياء التراث الإسلامي.

نبت في الغمار، أكثر الكبار نبتوا في الغُمار، ولكن هذا الكبير نبت في غُمار تام مُطبق ليس فيه بصيص نور، ولم يلتفت حتّى تلاميذه إلى الحاجة إلى تسجيل ما عرفوه من سيرته إلّا بعد أن نال الشهادة، وحتّى أكثر ماسجّلوه ضاع في الغُمار نفسه، ولم ينجُ منه إلّا ما خرج من حالة بلده مع خروج أحد أبرز تلاميذه، المقداد بن عبدالله السيوري، الذي سجّل لنفسه فيما يبدو، ما عرفه من قصّة شهادته فقط دون مابقى من سيرته وهو الأهمّ، وحملها معه إلى العراق، ومن هناك انتشرت وتناقلتها المصادر.

نعم، كتب أكثر من تلميذ سيرة له يبدو أنّها شاملة، ولكن هذه كلها بقيت في جبل عامل، فكان نصيبها الضياع، ولم ينجُ منها ويصِل إلينا إلّا مُختصَر عن أحدها، وأصله سيرة يبدو أنها شاملة للشهيد. علّقها أحد تلاميذه غير المعروفين، هو محمّد بن على بن الوحيد البتدّينى سمّاها نسيم السحَر، ثمّ تناولها حفيد بعيد للشهيد هو محمّد مكّي بن محمّد بن شمس الدين بن الحسن بن زين الدين (ح ١١٧٨)، الذي كان يعيش في إيران، ـ فاختصرها على نحو لا نعرف حظه من الدقة، والذي وصلنا منها تسع أوراق مكتوبة بخطّ اليد، قدّم لى صورة عن أصلها المحفوظ في مكتبة السيّد البروجردي في قم، برقم ٨ / ٣٩٩، أثناء إحدي زياراتى لقم المُقدّسة، الصديق العزيز البحّاثة الشيخ رضا المختاري، على عادته الحميدة في إتحاف زملائه بما يقع تحت يده من نفائس، والحقيقة أنّني لم ألتفت لأوّل وهلة إلى قيمتها، ولكننى عندما انفردتُ بها وبدأت قراءتها تكشفت أمامي أهميّتها ونقائصها معاً، ويجدها القارئ في ملحقات هذا الكتاب.

هو ذا كلّ ما لدينا في المصادر الشيعيّة عن الشهيد، ولا ننسَ أنّنا نسوق كلّ هذا الكلام في سبيل بيان التحدّي الذي يواجهه الباحث الذي يُحاول كتابة سيرته.

أمّا ما في المصادر غير الشيعيّة فهو الأكثر، سواءٌ من حيث عدد المصادر، أم من حيث سعة المادّة، وهذه ظاهرة غير عاديّة نظنّ أنّ سببها أمران:

الأوّل: سعة شبكة علاقات الشهيد، التي شرع ينسجها منذ أنْ غادر الحلة، وذلك بدأً من رحلته العلميّة الواسعة، التي زار أثناءها كافة مراكز العلم المعروفة في المنطقة، وأخذ وسمع من شيوخها وفقهائها، ثمّ تابعها بدقّة ودأب بعد أن استقرّ به المقام في جزّين، ممّا جعل منه

شخصيّة ذات حضور قوي، وغنى عن البيان، إنّ أرباب المعاجم يترجمون لمَـن يـعرفون، ويصدفون عمّن يجهلون.

الثاني: قتلته الفاجعة، بوصفها حدَثاً غير عادي بكلّ المقاييس، لِما للشهيد من مكـانة عالية بوصفه فقيهاً كبيراً، ولذلك فإنها أثارت رنّة من الحزن لدى عارفي فضله حتّى خارج مذهبه، ممّا ترك آثاره المكتومة والصريحة فيما كتبه أكثرهم، ناهيك بالفجيعة الكبيرة لدى قومه ومُقدّري أعماله ومراميه، الأمر الذي أوجب تـخطيط وحشـد السُـلطة لامـتصاص مشاعر النقمة، وانعكس ذلك حضوراً في تلك المصادر.

من هنا، فإنّ كلّ ما كتب فيها هو حصراً من وجهة نظر السُلطة، إما لالتزام الكـاتب بـها وبمصلحتها التزاماً شخصيّاً ومُباشراً، وإما لأنّه مُلتزم بفكرها ونـمطها. وعـلى كـلّ حـال فالغرض دائماً واحد ليس غير هو تبرير جريمة قتله، ومن هنا فـهي عبء عـلى البـحث والباحث ليس له أنْ يستفيد منها، لأنّها لا تعكس الحقيقة، وإنّما هـي مُـجرّد وُجـهة نـظر تبريريّة، بل له أن يكتشف خبيئها في سياق معالجة بعض الاشكاليّات التي تطرحها السيرة.

(٢)

بُغيتي في هذا الباب أنْ أكتب سيرة وافيةً للشهيد، وإنْ كنتُ أعرف سلفاً أنّني لن أصل إلى بُغيتي بأكملها، ذلك لأنّ سيرته الحافلة تطرح إشكاليّات أكثر بكثير ممّا بـين أيـدينا مـن معلومات تصلح موادّ لعِمارتها، وقد أمضيتُ السطور السابقة من المقدّمة في بـيان المأزق الذي يقع فيه الكاتب بمُجرّد أنْ يحاول ما أُحاوله هنا، كي لا يعتبر القارئ عنوان الكـتاب وعداً مُلزِماً يُطالبني بكلّ ما يقتضيه، يكفى أنْ نتقدّم خطوة إلى الإمام، بالقياس إلى تطوّر البحث في موضوع الكتاب، وأن نطرح الأسئلة التي تنبت من ثنايا التأمّل المنهجي طرْحاً دقيقاً، ومعلوم أنّ طرْح الأسئلة المنهجيّة هو نصف الطريق إلى الجواب، بالنظر لأنها تُحدّد منظور الباحث وهو يُنقب ويتأمّل، تاركين للمعالجات الآتية الأمل بأن تُكمل الطريق، وهذا أمل له ما يُسوّغه، ممّا سنقِفُ عليه بعد قليل.

يتضمّن هذا الباب سبعة فصول، كلّ فصل يُعالج إشكاليّة من الإشكاليّات التي يطرحها

موضوعه، وقد قدّمنا لكلّ فصل بتمهيد. كما ذيّلناه بمُلخّص لمادته، ابتغاء أنْ نُساعد القارئ على أن ينتقل انتقالاً مُريحاً من طورٍ من البحث إلى الطور التالي.

سنُخصّص الفصل الأوّل لأرضيّة تاريخيّة عامّة، لأنّ كلّ سيرة شخصيّة هي ثمرة تفاعل بين الظرف العام بكامل عناصره، وبين الذات / الشخص، ولن يكون في الوسع فهم أعماله إلّا بالنظر لموقعها، فلنقل أنّ الظرف العام هو الفعل، وأنّ السلوك هو الاستجابة أو الارتكاس عليه، وعليه فقد رسمنا في هذا الفصل خريطة بشريّة للتحوّلات السُكانّيّة للشيعة النازلين غرب البحر المتوسّط، أي ما يُعرف اليوم بلبنان السياسي، بادئين بانتشارهم في المنطقة، وصولاً إلى البلاء الصليبي، الذي كان بمثابة البادئ لسلسلة من الحركات السُكانيّة القسريّة، الأخذ البعض منها برقاب بعض، أهمّها على الإطلاق إخراج الشيعة من مواطنهم التاريخيّة في جبل لبنان، فإسكان جماعات من التركمان فيها، فهبوط هؤلاء إلى السواحل واجتياحها سُكانياً، اجتياحاً مدعوماً من قِبَل السُلطة، الأمر الذي انتهى إلى خريطة بشريّة جديدة للمنطقة، مع ما ترتب على ذلك من آثار سياسيّة. كان الشيعة ضحيّتها الوحيدة، وهذه هي القاعدة التي تستقرّ عليها سيرة الشهيد وأعماله.

في الفصل الثاني «جزّين ماضي الأيّام الآتية»، سنقترب خطوة كبيرة من غايتنا، وذلك بالتعرّف على البيئة الثقافية التي نبت فيها بطل هذه السيرة ومكوّناتها من ناحية تاريخها العام، ومن ناحية تاريخها الثقافي الخاصّ، والعلاقة بين الشخص ومنبته ليس في حاجة إلى تذكير بأكثر من هذه الإشارة.

في الفصل الثالث «في السيرة»، سندخل مباشرة في سيرة الشهيد، حيث سنستعرض استعراضاً نقديّاً ما في مختلف المصادرمراحل حياته الستّ التي عنونّا بها أقسامه الستّة. بدءً من المولد حتّى الشهادة.

في الفصل الرابع «في خضمّ المُعترَك»، سنقوم بما أستحسن أنْ نسمّيه توأمَة، نضرب فيها النتائج التي وصلنا إليها في الفصول الثلاثة السابقة بعضها ببعض، خصوصاً بين الفصلين الأوّل والثالث لنقف على الجانب العملاني من سيرة الشهيد، حيث سنتحدّث في بواعثه على العمل والنهج أو الخِطة التي عمل عليها، وصولاً إلى الثمار التي أُوتيت من أعماله، مع

إشارة ضروريّة إلى أن الحديث في البواعث سيستوجب العودة إلى الظرف التاريخي الذي عمل فيه، هذا أشبه بضبط العدسة قبل أخذ الصورة.

في الفصل الخامس «عالم الشهيد»، سنبقى في نطاق السّيرة، لكنّنا هذه المرّة سنُرجع البصر فيها من خلال شبكة العلاقات الواسعة التي بناها في سياق عمله، إعداداً أو تنفيذاً، وهو بحث غير مسبوق، أملاه علينا ضرورة أن جزءً كبيراً وأساسيّاً من سيرته لا سبيل للإحاطة به إلّا من هذا المنظور.

في الفصل السادس سنطرح السؤال الكبير: «لماذا قتل الشهيد؟». إنّ حجم السؤال يتأتّى من حجم الجريمة وغرابتها أوّلاً، ثمّ من حجم حضورها في المصادر الكثيرة، وكلا الأمرين له معناه ومغزاه، الذي من وظيفة الباحث أن يكتشفه.

في الفصل السابع سنصِل إلى ذروة البحث، فنطرح سؤالاً ثانياً: «ماذا مكث من أعمال الشهيد؟»، السؤال في غنى عن التبرير، لكن هاهنا ما يجب الإشارة إليه، فمع أنّ هذا البحث غير مسبوق أيضاً، فإنّنا فيما نعالجه في السؤال غير سابقين، أُريد أنْ أقول: إنّنا نلحق بالجمهور، نطلب تفسيراً للحضور الكبير والمُميّز للشهيد في وجدانه، ذلك الحضورالذي لم يكن ليحصل لولا ما مكث من أعماله، إذن الحضور الكبير في الوجدان الشعبي هو وجه آخر للباقيات الصالحات وسيكون علينا في هذا الفصل أنْ نكتشفها، على المستوى المحلي في وطن الشهيد، وعلى المستوى الأوسع في عالم التشيّع.

وأخيراً، سنختم الباب بالخاتمة التقليديّة التي تقضي بها الكتابة الفنيّة فنُلخّص أهمّ النتائج التي وصل إليها البحث في فصوله السبعة.

(٣)

بالنسبة لمصادر البحث الأساسيّة، فإنّ علينا أنْ نُكرّر ما سبق أنْ أشرنا إليه من نُدرة المصادر الشيعيّة في هذا النطاق، للسبب الذي ذكرناه في مطلع المقدّمة، والحقيقة أنْ ليس في اليد من هذه إلّا مصدرين اثنين:

أوّلهما: رواية المقداد بن عبد الله السيوري، وهو فقيه عراقي بارز تتلمذ للشهيد في الحلّة ثمّ التحق به بعد أنْ استقرّ به المقام في جزّين حيث غدا من معاونيه، ثمّ تركها عائداً

إلى وطنه بعد مقتل شيخه، حيث قضى ما بقى له من العمر مع أحزانه، وقد سجّلها تلميذه عزّ الدين حمزة بن مُحسن الحسيني كما وجدها بخطّ شيخه، ثمّ وجدها محمّد باقر المجلسى «في بعض المواضع» فأنزلها في كتابه بحار الأنوار وعنه نقلت في مصادر كثيرة [١].

الرواية من هذه الوجهة موثوقة، ولكنّها من وجهة أُخرى محصورة في قصّة الشهادة كما وعاها صاحبها وكما وصلت أصداؤها، نُشير بهذا إلى أنّها من مستويين: هي رواية شاهد عيان فيما يتّصل بما اضطرب فيه الشهيد من أحداث جرت في جبل عامل، ومهّدت أو كانت السبب المُعلن للمحاكمة التي انتهت بقتله ولكنّها أصداء بعيدة عمّا وصل إلى جزّين من دمشق من أحداث المحاكمة والقتل.

ثانيهما: رسالة مُختصر نسيم السحَر لمحمّد مكّي بن محمّد بن شمس الدين بن الحسن بن زين الدين، من سُلالة الشهيد الأوّل، الذي كان يعيش في إيران، وكان حيّاً سنة١١٧٨، ولدينا نسخة مُصوّرة عن أصلها المخطوط المحفوظ في مكتبة آية الله البروجردي رحمه الله في قم، برقم ٨ / ٣٩٩، قدّمها لي الصديق العزيزالبحّاثة الشيخ رضا المختاري.

لهذه الرسالة قصّة تستحقّ أن تروى أصلها، (نسيم السحَر)، لا ذكر له في كافّة المصادر، بقدر ما بحثنا ونقبنا. حتّى أنّ آقا بُزُرك لم يذكره في كتابه الذريعة إلى تصانيف الشيعة، وهو الذي قضى شطراً كبيراً من عمره يبحث ويُنقب في المكتبات العامّة والخاصّة في إيران و العراق، بحثاً عن مادّة كتابه، ممّا يتركنا على شبه اليقين بأنّه من كنوزنا الضائعة، ولكن ما من ريب في أنّ نسخة منه كانت لدى محمّد مكّي، هي التي اختصر مادّتها، ثمّ إنّ عمله هذا يدلّ دلالة ظنيّة على أنّ الأصل كان من حجم كبير، وبالتالي غنياً بالتفصيلات، وإلّا لماذا صرف جهده إلى اختصاره، ممّا يزيد من حسرتنا على ضياعه.

الوحيد الذي ذكره هو صديقنا ونسيبنا المرحوم الشيخ محمّد رضا شمس الدين في كتابه الرائد حياة الإمام الشهيد الأوّل، الذي صنّفه سنة ١٣٧٦ حيث قال:

> نسيم السحر في حياة الشهيد الأوّل، من حين مولده حتّى قتل، للفاضل المحقّق ـ هكذا رأيت ـ الشيخ أحمد بن الوجيه (أو الوحيد) العاملى، من قرية زبدين [٢].

---

١. انظر: «الفصل العاشر: أ) ما قاله أصحابنا الإمامية»، من الباب الأوّل من هذا الكتاب.
٢. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ١٣.

ولكنّه لم يقل لنا أين رأى. كما أنّه لم يُسنِد أقواله. وإن يكن لا ريب في أنّه أخذها من مصدر ما. وعلى كلّ حال، فإنّ كلّ ما قاله في هذا السياق يبدو أنّه مُستند إلى سماعيّات، ليس منها ما هو ثابت، ومع ذلك فإنّ مُجرّد ذكره لنسيم السحَر أمر يستحقّ التنويه.

نقول كلّ هذا على نسيم السحَر على سبيل الإلفات إلى قيمته الاستثنائيّة، وضمناً على سبيل التعلّق بالأمل في أن تكون نسخة منه في إحدى المكتبات.

هذا فيما يرجع للمصدريْن الشيعييْن.

بالنسبة لغيرها، فإنّنا سنذكرها مُرتبةً بالتسلسل حسب تاريخها[1]:

الأوّل: غاية النهاية في طبقات القرّاء، لشمس الدين محمّد بن محمّد الجزري (م ٨٣٣). وهو فقيه دمشقي مولداً ونشأةً، عرف الشهيد معرفةً وثيقة لمدّة طويلة، والظاهر أنّه كان من رُوّاد مجلسه في المدينة، وقد علّق له في كتابه هذا ترجمة من تسعة أسطر، ومع ذلك فهي غنيّة بالمعلومات. أكثر مادتها مُستفاد من الشهيد فيما يبدو، ولكنّه أثناء المُحاكمة كان في مصر، ولو أنّه كان في دمشق لربما كان من جملة العلماء الذين حشدتهم السُلطة في مجلس الحكم ليكونوا شهداء على ما يجري فيها ولترك لنا معلومات شاهد عيان غير مُتحيّز على الأقلّ.

الثاني: صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، لأحمد بن عليّ القلقشندي (م ٨٢١). وهو كاتب مُتقدّم في ديوان الانشاء بالقاهرة الذي من عمله تدبيج الرسائل والتوقيعات وما إليها للسلطان. وقد صنّف كتابه هذا ليكون مُرشداً لمَن يبتغي العمل في هذه الوظيفة، وهو لم يعرف الشهيد، كما أنّه لم يكن معنيّاً بشأن أمثاله من الرجال، ومع ذلك فإنّه، ويا لحُسن حظّنا، أنزل في كتابه نصّاً أميناً للتوقيع[2] الذي نشرته السُلطة في غرب الشام، على أثر حركة الشيعة الاعتراضيّة على ما أدّت إليه سياستها في المنطقة دون أن يقصد مضمونه، وإنّما فقط ليكون أُنموذجاً يُحتذى من قِبَل كُتاب الدووايين في هذا النمط من التوقيعات، وبذلك ـ ودون أن يقصد ـ ترك لنا أهمّ وثيقة، بيّنت لنا ما سكتت عنه كلّ المصادر، على أعمال

١. ورد نصوص جميع هذه المصادر في الفصل العاشر من الباب الأوّل من هذا الكتاب.
٢. نقل النصّ بكامله في الفصل العاشر من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

الشهيد وثمارها في النطاق السياسي الاجتماعي.

على أنّنا في هذا التقديم للتوقيع أرى أنّه ينبغي لنا الوقوف عند أمر:

ذلك أنّ نصّ التوقيع، كما ورد في مصدره، يؤرخ لصدوره «في خامس عشرين جمادى الآخرة سنة أربع وستّين وسبعمائة». لكنّني شككتُ في صحّة هذا التاريخ لافتقاره إلى التناسب مع السياق التاريخي الذي يصِفه أو يُشير إليه. خصوصاً وأنّ النشرة الوحيدة للكتاب غير مُحقّقة تحقيقاً علميّاً، وبالتنقيب وقفتُ على نصّ في تاريخ بيروت لصالح بن يحيى، يقول فيه:

> إنّ والده الأمير يحيى بن زين الدين صالح، أمير الغرب الدرزي، جرَت عليه «حركة رديّة» من والي الشام بيدمر الخوارزمي. وذلك لمّا تحرّكت الشيعة في بيروت وأظهروا القيام بالسنّة [١].

وهي المناسبة التي أصدر فيها الوالي نفسه التوقيع، والأمير يحيى المذكور صدر منشور إقطاعه، أي صار أميراً مسؤولاً تجاه السُلطة الإقليميّة في دمشق، في السنة ٧٧٤، ومن هنا قوي عندنا الظن بأنّ التاريخ المذكورلصدور التوقيع قد ناله تصحيف. ونُرجّح أن يكون التاريخ الصحيح سنة أربع وثمانين وسبعمائة، ومع ذلك فإنّنا لن نُرتّب أثراً على هذه النتيجة وإن تكن قويّة، وذلك لأسباب منهجيّة واضحة، وإنّما أردنا تسجيل شكّنا استناداً لحسّ تاريخي، ولعلّ صدور نسخة مُحققة من الكتاب يحسم الأمر.

الثالث: تاريخ ابن قاضي شهبة، لأبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة الأسدي (م ٨٥١). وهو ما ذيّل به على مُصنّفات مَن سبقوه من مؤرّخي الشام، من المؤكّد أنّ هذا المصدر ليس أصيلاً بالنسبة لموضوع الكتاب، أعني أنّ مؤلفه لم يقل ما قاله عن خُبْر وعيان، ومع ذلك فإنّ نصه في الترجمة التي علّقها للشهيد غنيّ جدّاً بالتفصيلات الدقيقة، والسرّ في ذلك أنّه اقتبس من الحافظ المؤرّخ أحمد بن حجي الدمشقي (م ٨١٦)، في كتابه المفقود الذيل على تاريخ ابن كثير، المعروف عند المؤرّخين بتاريخ ابن حِجي، والظاهر أنّ ما كتبه ابن حِجّي على واقعة محاكمة الشهيد وقتله وما سبقهما غنيّ وهامّ، ولكنّه ـ من أسف ـ ضاع مع ضياع

---

١. تاريخ بيروت، ص ١٩٥.

تاريخه، إذن فقيمة نصّ ابن قاضي شهبة أنّه سدّ جزءً من النقص الذي حصل بضياع نصّ ابن حِجى.

الرابع: إنباء الغمر بأنباء العُمر، لأحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني (م ٨٥٢). وهو وُلد ونشأ وعاش في مصر، فهو إذن أبعد من سابقه عن بيئة البحث، وربما يُفسراضطراب نصّه، ذلك أنّه ترجم للشهيد مرّتين: الأُولى في وفيات سنة ٧٨١. والثانية سنة ٧٨٦، وهذا اضطراب بعيد عن الفهم، ومع ذلك فإنّ نصّه على قدر من الاهميّة، للأسباب نفسها التي قلناها على نصّ ابن قاضي شهبة.

الخامس: شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، لعبد الحي بن العماد الحنبلي (م ١٠٨٩). وهو أقلّ الخمسة أهميّة، خصوصاً وأنّه يكاد أن يكون منسوخاً عن كتاب سابقه، مع بعض الإضافات التوضيحيّة.

في هذا السياق علينا أنْ نقِف وقفة خاصّة عند نصوص الإجازات التي مُنحِت للشهيد أو صدرت عنه، فهذه النصوص هي دائماً مصادر مُمتازة، إنّها شيء مُختلف تماماً عمّا نقرأه في نصوص المؤرّخين ومَن إليهم، هاهنا أناس من النُخبة عرفوا وخبروا بعضهم بعضاً، غالباً لمدّة طويلة، يكتبون عن فعلهم هم أو سيرتهم الذاتيّة، ثمّ يُحلّون ما يكتبون بذكر المكان والزمان، إنّها وثائق لا تُضاهى بكل المعاني، وغنيّ عن البيان أنّ قيمتها الكبرى والأساسيّة هي في التاريخ الشخصي ـ خصوصاً العلمي ـ للشهيد، ومن هنا اكتسبت أهميتها الفائقة في بحثنا.

والحمد للّه

بعلبك يوم السبت ٩ جمادى الأُولى ١٤٢٨

٢٦ أيّار (مايو) ٢٠٠٧

الفصل الأوّل

أرضيّة تاريخيّة

من الضروري قبل أيّ كلام على سيرة الشهيد الأوّل محمّد بن مكّـي الجـزّيني، أن يكـون القارئ على اطّلاع كافٍ على المعطيات التي تعامل معها الشهيد وعمل عليها، بدون ذلك لن يكون بوسعه أن يفهم وأن يُقيّم إنجازاته، وبالتالي لن يكون قادراً على فهم الموقع العريض الذي احتلّه في الذاكرة الشيعيّة عموماً وفي وطنه خصوصاً حتّى اليوم، إنّ الذاكرة ـ خلافاً للتاريخ الرسمي ـ لا يمكن تزويرها أو العبث بها، ولذلك فهي حينما تُمجّد أو تتجاهل فإنّها تُعبّر تعبيراً أميناً صادقاً عن تفاعل تاريخي ناجح أو فاشل ربما أصبح نسياً مَنسياً، ولكن آثاره ما تزال حيّة في الوجدان، هنا تأتي وظيفة الباحث الذي عليه أن يُعيد تـركيب ذلك التفاعل وأن يبيّن مُكوّناته على مستوى البحث، بشكل أقرب ما يكون إلى عناصره الفعليّة يوم حصل.

نرمي في هذه التهيئة إلى وصف تحوّلات الحركة السكانيّة في وطـن الشـهيد تـحوّلاً داخلياً على مستوى الفكر والثقافة، ومادياً على مستوى التركيبة السكـانيّة، وصـولاً إلى الظروف التي تعامل معها.

بكلمات أُخرى: إننا في هذا نرمي إلى تتبّع الانسان في عـلاقته مـع الأرض والثـقافة علاقةً محكومة لمنطق ما لسنا نعرفه على نحو اليقين ولكنّنا نعلم أنّه مـوجود كـما نـعلم أنّ البحث فيه ليس دائماً من وظيفة المؤرّخ وإنّما هو قـضيّة أقـرب إلى فـلسفة الأشـياء وليس وصفها.

١. انتشار التشيّع في المنطقة الشاميّة والبلاء الصليبي

إنّ بحث انتشار التشيّع نحو المنطقة الشاميّة ينبغي أن يبدأ دائماً من خارجها، تحديداً من الكوفة، وذلك لسببين متكاملين:

ـ ما هو معلوم وثابت، من أنّ هذه المنطقة كانت عاجزة بما فيها من طاقة ذاتيّة عن إنجاز كهذا، ذلك أنّها منذ معاوية قد بُنيت وجدانياً لتكون بقعة غير قابلة لكلّ ما يتّصل بأهل البيت عليهم السلام. وقد تابع أخلافه هذا النهج بأمانة حتّى نهاية حكم الأُسرة الاموية في السنة ١٣٠ تقريباً.

ـ أثناء تلك المدّة كانت الكوفة مركزالتجمّع الصافي الوحيد للشيعة في العالَم، أي أنّه من غير المتصوّر حصول أيّ حركة سكانيّة ذات أثر في نشر التشيّع إلّا أنْ تكون صادرة عنها.

إنّ تاريخنا الرسمي البليد والمُتحيّز لا يُشير ـ حتّى ولا من طرف ـ إلى هجرة خرجت من الكوفة باتجاه الشام، ولكن كتب البلدان ورجال الحديث تتحدّث، بطريقة أو بأخرى، عن جاليات كبيرة تُقيم في بلاد الشام ترجع بأصولها المعروفة إلى الكوفة، ليس على الباحث إلّا أن يلمّ شتاتها ليخرج بتصوّر في غاية الوضوح يُفسّر انتشار التشيّع المتنامي في تلك المنطقة، بحيث أنّه ابتداءً من أوائل القرن الثالث للهجرة، كان المذهب الغالب على أهله من ذلك الهجرة الهمدانيّة الكبرى التي نزلت حمص و بعض قرى الغوطة المُطيفة بدمشق و جبال الظنبين في شمال لبنان وأطراف بعلبك و اللاذقية وبعض قراها وهي الهجرة التي يبدو أنّها حصلت بعد ما يُسمّى بعام الجماعة سنة ٤١[١]، والهجرة الاشعريّة التي نزلت طبريّة وكانوا على حدّ قول اليعقوبي (ح ١٩٢) «هم الغالبون على أهلها»[٢] وما من شكّ في أنّ هؤلاء هم أساس وجود التشيّع الكثيف في وادي الأردن وجواره بحيث قال البلداني المقدسي (ح ٣٧٥): «وأهل طبريّة ونصف نابلس وقدس وعمّان شيعة»[٣]، وهجرة بني ربيعة التي

١. للتفصيل والتوثيق نرجو الرجوع إلى كتابنا التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية، ص ٩٥ وما بعدها.
٢. البلدان، ص ٨٨.
٣. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٦١.

نزلت أنحاء مختلفة من الشام [١] وكان لهم وجود مذكور في عرقة شمال لبنان [٢].

ومعلوم أن قبيلتي همدان وربيعة كانتا عماد عسكر عليّ عليه السلام في صفين.

هذا إلى جانب هجرات كثيرة أصغر حجماً لابدّ أنّها حصلت في ظل التدفق على الشام، خصوصاً في ظلّ الوضع المضطرب الذي ساد العراق طوال مدّة الحكم الأموي [٣]، ممّا قدّم حوافز أُخرى للهجرة، تُضاف إلى الحافز التاريخي المعروف.

هكذا يمكننا أنْ نخرج بتصوّر على الأقلّ لسبب امتلاء الساحل الغربي للبحر بسكان من الشيعة، من طرابلس في الشمال حتّى صور في الجنوب: فضلاً عن جيوب كبيرة في الداخل، أهمّها عرقة [٤] و جبال الظنين في الشمال، التي تُعرف اليوم باسم مُحرّف هو الضنّيّة، وفي أطراف بعلبك سهلاً وجبلاً، وفي طرابلس قامت إمارة بني عمّار الثريّة، التي قدّمت أُنموذجاً نهضوياً فريداً بغناها الفكري ونظامها السياسي المتطوّر بالقياس إلى كلّ ما عرفه تطوّر أنظمة الحكم في الإسلام حتّى ذلك التاريخ، وبتجربتها التنمويّة الرائدة والمُتقدّمة، التي قامت على استغلال زراعة قصب السكّر في صناعة الورق والسكّر [٥] بموازاة تجربة رصيفتها الكبرى حلب، التي قامت على زراعة القطن.

حتّى السنوات الأخيرة من القرن الخامس للهجرة عاش الشيعة فيما يُعرف اليوم بلبنان السياسي حياةً آمنة مطمئنة، لا يُكدّر صفوها خوف ولا ألم، ثمّ نزل بهم البلاء الصليبي، الذي كان بذاته ضربة قاصمة، ثمّ إنّه كان بمثابة البادئ لسلسلة من النكبات المتتالية.

بتاريخ ١١ ذي الحجّة ٥٠٣ سقطت طرابلس بيد الغزاة الصليبيين، ثمّ بتاريخ ٢٣ جمادى الأُولى ٥١٨ سقطت صور، بعد أن صمدتا للأعداء ربع قرن، وقبلهما سقطت طبريّة عاصمة التشيّع في جنوب الشام، وطبعاً كان سقوط كلٍ من هذه سقوطاً لأرباضها وما يُطيف بها من أرياف، وهكذا أصيب التشيّع الشامي في ثلاثة من مقاتله دفعةً واحدة، وغدت المدن

١. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والألقاب، ج ٤، ص ١٥٠.
٢. امتداد العرب في صدر الإسلام، ص ٩٦.
٣. أشرنا إلى بعضها في كتابنا التأسيس، ص ١٩٥. ولا شكّ أنّ دراسة منهجية لكتب الفتوحات يمكن أنْ تصل بالباحث إلى نتائج كبيرة في هذا النطاق.
٤. هي اليوم قرية صغيرة في قضاء عكّار، غير بعيدة عن ساحل البحر.
٥. للتفصيل والإسناد نرجو الرجوع إلى كتابنا التأسيس لتاريخ الشيعة، ص ١٢٣ ـ ١٤٨.

الثلاثة العظيمة إمارات صليبيّة، يقطنها غرباء الوجه واللسان[١].

من النتائج المباشرة لتلك الأحداث المُروّعة، البعثرة السكانيّة الهائلة التي نالت سكّان ثلاث مدن كبيرة، فضلاً عن سكّان المئات من القرى والمزارع الصغيرة الذين لجأوا إلى أقرب الجبال، منهم أهل طبرية و صور وما والاهما الذين اتجهوا إلى جبل عامل، وأهل طرابلس ومنطقتها الذين لجأوا إلى جبل لبنان، وبالتحديد إلى كسروان و جُبيل و المتن، ولم ينجُ من آثارها من مناطق السكن الشيعيّة إلّا سكّان بعلبك ومنطقتها.

هكذا فإنّنا ـ استناداً إلى مسلسل الأحداث الذي وصفناه حتّى الآن ـ يمكننا أنْ نرسم صورة واضحة للتوزيع السكاني للشيعة، فيما يُعرف اليوم بلبنان السياسي، على النحو التالي:

جبل عامل، من قَدَس في الجنوب حتّى جزّين في الشمال، ومن البحر حتّى ممرّ نهر الليطاني الفاصل بين سلسلتي جبل لبنان الشرقيّة والغربيّة.

جبل لبنان من الطريق الرئيسيّة المعروفة حتّى اليوم باسم طريق الشام جنوباً حتّى الاعالي الشماليّة، حيث قامت منطقة تماسّ شيعيّة مارونيّة، ومن الساحل حتّى الأعالي الشرقيّة المُشرفة على «سهل البقاع».

شرق سهل البقاع المعروف بالبقاع البعلبكي الذي يفصله عن الشطر الغربي من السهل المعروف بالبقاع العزيزي، الطريق الرئيسيّة التي هي استمرار لطريق الشام.

هذا فضلاً عن جيوب مُتعدّدة في الساحل والجبل (منطقة الشوف)، وقد استمرّت هذه الصورة السكّانيّة قائمة زهاء قرنين، أي حتّى أوائل القرن الثامن للهجرة، أي ما دمنا قد رسمناها تمهيداً لفهم الظروف السياسيّة والاجتماعيّة التي عاش وعمل فيها الشهيد إلى أوائل القرن الذي عاش فيه.

٢. تحت وطأة السياسة المملوكيّة

في السنة ٦٨٨، حرّر السلطان المملوكي قلاوون الالفي مدينة طرابلس من الاحتلال الصليبي بعد أسر طال مئة وخمس وثمانين سنة، لكنّه على الأثر اتّخذ أغرب قرار يمكن

١. لمن يرغب في تفصيل هذا الموجز الرجوع إلى كتابنا جبل عامل تحت الاحتلال الصليبي.

تصوّره في هذه المناسبة البهيجة، قضى بهدم المدينة العظيمة. فهُدمت وسويّت أسوارها وأبنيتها بالأرض[١]، وفي السنة ٦٩٠ حُرِّرتْ صور وكان مصيرها مصير طرابلس، والحُجّة التي تُقال في تسويغ هذا العمل المُستهجَن، أنّهما هُدمتا خشية عودة الصليبيين إلى الاستيلاء عليهما والتحصّن بهما[٢]، لكن هذه الحُجّة الباردة تطرح سؤالاً كبيراً هو: لماذا لم يُتّخذ قرار كهذا بالنسبة لبيروت و عكا، وهما مُدينتان على الساحل نفسه، حررتا في زمنين متقاربين جدّاً من تحرير طرابلس و صور؟ أضف إلى ذلك أنّه لو أنّ السلطة المملوكيّة كانت حقاً قلقة من احتمال عودة الصليبيين إلى محاولة استعادة المدينة، لكان عليها أن تعمد إلى تحصينها وتزويدها بالسلاح والمقاتلين والأقوات، كما تقضي أبسط تكتيكات الدفاع في ذلك الأوان، إنّ النتيجة المباشرة من وجهة نظر تكتيكيّة لهدمها هو حرمان المنطقة كلّها من مركز دفاعي أثبت فاعليته منذ ما قبل الفتح الإسلامي[٣]، وإلّا فلماذا يبني المدافعون الحصون والقلاع ويرفعون الأسوار!

أغلب الظن أنّ السبب الحقيقي لهدم المدينتين لم يكن الخشية من عودة الصليبيين إلى احتلالها، فالحقيقة التي يعرفها المؤرّخون أن الحركة الصليبيّة كانت في ذلك الأوان قد أصبحت جزءً من الماضي، ولم يعُد من المتوقع أن تكون قادرة على أخذ مبادرات بحجم انتزاع مدينتين بأهميّة طرابلس و صور من القوّة المملوكيّة التي كانت آنذاك في عزّ سطوتها، من هنا فإنّنا نُرجّح أنّ الغرض الحقيقي كان منع عودة سكانهما الأصليين إليهما. وهم الذين عرفنا ممّا فات قبل قليل أنّهم بعد أن هُجّروا منها لجأوا إلى الجبال المجاورة، وكانوا لا يزالون حتّى تاريخ تحريرها يُقيمون فيها، وسيكون من المتوقَّع جدّاً أنّ هؤلاء عندما يرون مدينتهما السليبتين قد تحرّرتا وفرغتا من سكانها الغرباء أنْ يسارعوا إلى العودة إليهما، وحتّى مع فرض أنّ ذاكرة هؤلاء لم تعد متعلّقة بوطنهم القديم فإن مجرّد الفراغ السكاني للمدينتين سيكون بنفسه حافزاً كافياً لهم للانتقال إليها، خصوصاً إذا أخذنا بعين

١. السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٢، ص ٢١٢؛ الحركة الصليبية، ج ٢، ص ١١٧٥.
٢. انظر: صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، حيث يقول واصفاً صور: «وكانت من أحصن الحصون التي على ساحل البحر. فلمّا فتحها المسلمون في سنة تسعين وتسعمائة مع عكا خرّبوها خوفاً من أن يتحصّن بها العدو».
٣. أُنظر المصدر السابق حيث يقول: «وكان عرض سورها يمرّ عليه ثلاثة فرسان بالخيل».

الاعتبار أنّهم كانوا أكبر التجمّعات السكانيّة بجوارهما، وأنّ منازلهم الحاليّة كانت مناطق جبليّة وعرة شحيحة، لا تُقاس بطرابلس و صور بريفهما المعروف بخصوبته. لكلّ ذلك فإنّنا نذهب إلى القول إنّ هدم المدينتين يندرج في سياسة معمول بها لدى السلطة المملوكيّة تقضي بالحيلولة بين الشيعة وبين أن يعودوا إلى ما كانوا عليه من انتشار فاعل في المنطقة قبل الغزوات الصليبيّة، خصوصاً في الأماكن ذات القيمة الاستراتيجيّة ومنها مدينة طرابلس و صور وسنرى توّاً أنّها قد تابعت هذه السياسة بأمانة وسيكون ملعبها التالي منطقة غير بعيدة.

٣. نكبة كسروان وأعمال ابن تيميّة

في السنة ٦٩١، أي بعد أربع سنوات من تحرير طرابلس وسنة واحدة من تحرير صور وهدمهما، حصل أوّل تحرّش من السلطة المملوكيّة بأهل كسروان.

> فخرج الأمير بدر الدين بيدرا، نائب السلطنة بديار مصر، ومعه معظم العسكر إلى جبال كسروان، من جهة الساحل. فلقيهم أهل الجبال. وعاد بيدرا شبه المهزوم.
>
> واضطرب العسكر اضطراباً عظيماً[١].

والمصادر لا تقول شيئاً على علّة وسبب هذا العمل العسكري الكبير، ممّا سنري صنائع السلطة وألسنتها تتفنّن فيه بعد قليل أعني بعد سقوط كسروان في الحملة التالية، ابتغاء تبرير ما ارتكبوه فيها من فظائع، مع أنّه ينطوي على تحوّل أساسي في العقيدة العسكريّة، فالمماليك منذ مؤسّس دولتهم بيبرس البندقداري (حكم: ٦٥٨ ـ ٦٧٦) قدّموا أنفسهم عمليّاً بوصفهم مدافعين عن حوبة الإسلام في وجه الغزو المغولي بانتصارهم الباهر في معركة «عين جالوت»، وفي وجه الاحتلال الصليبي بما حرّروه من أراضٍ ومدُن. حيث لم يفعل غيرهم غير الفشل والخذلان والهوان، وبذلك نجحوا في الارتقاء بأنفسهم من مماليك أرقاء إلى سلاطين وأمراء، وغدوا طبقة عسكريّة تقبض على كلّ مفاصل السلطة والثروة، أمّا الآن فهاهم يوجّهون «معظم العسكر» إلى بقعة من دار الإسلام عُمارها مُسلمون، ومع

١. السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٢، ص ٢٣٤.

ذلك فإنّه ما من أحد كلّف نفسه عناء تقديم أي تبرير لهذا. ليس لدينا أي أوهام حول طبائع الحكم المملوكي، بحيث نطالبه بالشفافيّة وتقديم الحساب للناس عمّا يفعل وما لا يفعل، فنحن نعرف جيّداً أنّه حكم عسكريين مُحترفين قام على السيف والسطوة والغلَبَة، لكنّنا نُجري ضمناً مقارنة ذهنيّة بالضجيج الكبير الذي سنسمعه بعد قليل ابتغاء تقديم التبريرات التي لا دليل عليها إلّا من فم قائلها للاجتياح الوحشي للمنطقة، ومن المقارنة نخرج بسؤال خلاصته: لماذا سكتوا عن تبرير المحاولة الأُولى الفاشلة في حين حشدوا كلّ ما عندهم من حُجج في المحاولة التالية التي انتهت بالاجتياح، مع أنّ موضوعهما في الحالتين واحد؟

نعتقد أنّ السرّ يكمن في الأعمال البالغة الوحشيّة التي ارتكبها التحالف العسكري الذي تولّى (فتح) كسروان. وبعضها ممّا لا يحلّ حتّى في دار الحرب ممّا أدّى إلى استنكار رأس السلطة في القاهرة، أي السلطان، وسنقف على ذلك فيما سيأتي إن شاء الله، وعلينا الآن أن نصِف الاعمال العسكريّة التي جرت بين التحالف الغازي وبين أهل الجبل.

تألّف التحالف الغازي من ثلاث مجموعات:

الأُولى: جيش السلطة، أي العسكر المملوكي بقيادة والي الشام بنفسه جمال الدين أقوش الافرم الجركسي، الذي «كتب إلى نوّاب طرابلس وصفد وغيرهما فجمعوا العساكر وأحاطوا بالجبل من كلّ ناحية إلى أن كسرهم»[١].

الثانية: جمع بني بُحتُر، أُمراء الغرب، أي غرب بيروت. يقودهم الأمير ناصر الدين الحسين وفي أيّام ناصر الدين في أوائل المحرم سنة خمس وسبعمائة كان فتوح كسروان فقصد الجبل ومعه أقاربه وجمعه فقُتل منهم الأمير نجم الدين محمّد وأخوه شهاب الدين أحمد، ولدا الأمير جمال الدين حجّي في نهار الخميس خامس شهر محرم بقرية نيبيّة من كسروان، وقُتل معهم من أهل الغرب ثلاثة وعشرون نفراً[٢].

---

١. الدرر الكامنة، ج ١، ص ٤٢٥.

٢. تاريخ بيروت، ص ٥٧ ـ ٥٨. وقد تجاهل صديقنا الأُستاذ نايل أبو شقرا، وهو يكافح من أجل إثبات أنّ سكان كسروان كانوا آنذاك من قومه الدروز، كلّ ما يتّصل بهذا السياق من كتاب ابن يحيى، لأنّه، فيما يبدو، يعني، بالنسبة إلى ما ذهب إليه، أنّ الدروز قاتلوا أبناء جِلدتهم. انظر كتابه: تاريخ لبنان أزمة نصّ ومصطلَح وهوية، ص١١٣ ـ ١٩٩.

الثالثة: جموع غير معروفة العدد من الناس، الذين نجح ابن تيميّة في حشدهم تحت مختلف الذرائع، وسنُحلّل رسالته إلى السلطان المملوكي إن شاء الله، ولكنّنا نُشير الآن إلى أنّه كانت له راية خاصّة به حملها أحد أصحابه ممّا يُفهم منه أنّ تلك الجموع لم تكن قليلة العدد وأنّها كانت طليعة مَن توجهوا إلى القتال[١].

من هذا نعرف أنّ الحشد الهائل الذي اتّجه إلى المعركة كان حشداً غير مسبوق في نزاع داخلي، أي ضدّ فريق من السكّان المحليين، ولنُضِف إلى هذه الملاحظة أنّ تلك الجموع تُمثّل مجموعة إرادات وحوافز، التقت وتقاطعت عند نقطة واحدة، هي القضاء نهائياً على الوجود الشيعي في كسروان وما والاها، وهي:

السلطة، التي أشرنا قبل قليل إلى سياستها القاضية بمنع الشيعة من الاستفادة من إنهاء الامارات الصليبيّة والعودة إلى ما كانوا عليه قبل الغزوات الصليبيّ، وبقاؤهم في تلك المنطقة المُشرفة على قطاع واسع من الساحل يؤهلهم لانتشار واسع يصعب إيقافه، هذا فضلاً عن رغبتها في الثأر لهزيمتها السابقة في كسروان قبل خمس عشرة سنة.

بنو بُحتُر، أمراء غرب بيروت، الذين كانوا بوصفهم إقطاعيين، يتناولون إقطاعاتهم من السلطة، مُلزمين بتقديم خدمات قتاليّة إليها عند الحاجة، ولكن من المصادر ما يُشير إلى أنّهم كانوا أيضاً لديهم حافز ذاتي هو نزاعهم السياسي مع الكسروانيين[٢].

ابن تيميّة وهو الفقيه الذي عُرف بعنفه البالغ بحيث صرف أكثر جهده إلى إغاظة الشيعة خصوصاً، إلى حدّ تكفير الإمام عليّ عليه السلام إذ قال: «أبو بكر أسلم شيخاً يدري ما يقول، وعليّ أسلم صبيّاً، والصبيّ لا يصحّ إسلامه»[٣] دون أنْ يلتفت إلى أنّه بكلامه هذا كان يخطّئ النبي (صلوات الله عليه وآله) إذ قبل إسلامه، وفي هذا ومثله ما دعا المؤرّخ وكاتب السيرة المُعاصر له صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي إلى القول: «ضيّع الزمان في ردّه على

---

١. قال: محمّد بن أحمد بن عبد الهادي في العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيميّة، ص ١٨١ ـ ٨٢: «وكان توجّه الشيخ تقى الدين رحمه الله إلى الكسروانيين في مستهل ذي الحجّة من سنة أربع وسبعمائة وصحبه الأمير قراقوش. وتوجّه نائب السلطنة الأمير جمال الدين الافرم [...] في ثاني شهر المحرم من سنة خمس وسبعمائة».
٢. تاريخ لبنان أزمة نصّ ومصطلح وهويّة، ص ١٦٢.
٣. الدرر الكامنة، ج ١، ص ١٩٥.

الرافضة»[١]. وإذا نحن اتّخذنا من رسالته إلى السلطان أُنموذجاً في «ردّه على الرافضة» فإنّنا سنرى أنّ الرجل كان يردّ على أوهامه واختلاقاته هو المهم الآن أنّه وجد في مُجمل أحداث وقعت ابتداءً من محاولة السلطة الأُولى الفاشلة اجتياح «كسروان» فرصته التاريخيّة للتعبير عملياً تعبيراً موازياً فسار فيه حتّى النهاية.

مهما يكن، فإنّ تلك الجموع الكبيرة أحاطت بالجبل من كلّ ناحية، وبدأت الصعود إليه من جهة الساحل الذي سمّي فيما بعد «الفتوح»، قرب بلدة طبرجا اليوم، في حين أن عسكر نائب طرابلس بدأ الصعود من محل آخر لم تُعيّنه المصادر، ولكن الخطّة كانت ـ فيما يبدو ـ وضْع المدافعين عن الجبل بين فكّي كمّاشة.

لسنا نملك معلومات عن سير القتال، ولكن المؤرّخ أحمد بن على المقريزي يقول: إنّ عدد المقاتلين من أهل الجبل في الحملة الأُولى بلغ «نحو اثني عشر ألف رامٍ»[٢]. ونفهم من ذلك أنّ المُدافعين اعتمدوا سلاح السهام، وهو سلاح يناسب الطبيعة الجبليّة، بما فيها من مكامن طبيعيّة، والكثرة الطاغية للمهاجمين، ومن المُرجّح والمفهوم أن يتّبعوا التكتيك الدفاعي نفسه في هذه الحملة مادام قد أثبت فاعليّته في تلك، وقد دارت المعارك لمدّة خمسة عشر يوماً، بين ٢ و ١٧ المُحرّم[٣]، كان المُدافعون يتراجعون أثناءها من موقع إلى موقع، وكانت المعركة الاخيرة في قرية نيبيّة[٤]، وهي قرية في المتن الشمالي ماتزال معروفة بالاسم نفسه[٥]، حيث لجأ المُدافعون المُنهَكون إلى مغارة كبيرة[٦]، والنقولات الشفويّة المُتداولة حتّى اليوم تقول: إنّ المهاجمين لجأوا، بمن معهم من النساء والأطفال، إلى مغارة، فما كان من المهاجمين، الذين كانوا يتهيّبون دخولها خشية التعرّض لسهام المدافعين وكمائنهم، إلّا أن عمدوا إلى تقطيع كميّة كبيرة من الزروع والأشجار، أشعلوها عند فم

١. أعيان العصر وأعوان النصر، ج ١، ص ٢٣٦.
٢. السلوك، ج ٢، ص ٣٣١.
٣. العقود الدريّة، ص ١٨٢.
٤. تاريخ بيروت، ص ٥٨. هنا: «نبيه».
٥. انظر قرى ومدن لبنان، ضمن الموسوعة اللبنانيّة، ج ٣٨، ص ١٨٢ ـ ١٨٣.
٦. يصِف المصدر أعلاه مغارة كبيرة جداً بجوار القرية، ربما كانت هي التي ذكرها ابن يحيى بقوله: «وكانت هناك مغارة اجتمعوا فيها بعد القتال». تاريخ بيروت، ص ٥٨.

المغارة. فقضى كلّ مَن فيها اختناقاً بالدخان، والظاهر أنّه بسبب هذا العمل الهمجي وصف ابن يحيى هذه الوقعة بأنها كانت وقعة رديئة [١].

وسنرى بعد قليل ابن تيميّة يُدافع عن مشروعيّة تقطيع الزروع والأشجار في الحرب، دون أن يُشير إلى ما كان الغرض الحقيقي منه. والظاهر أنّ المُهاجمين اتّبعوا هذا الأسلوب حيثما لجأ السكان إلى المغاور والكهوف، وهي كثيرة في تلك الجبال. وقبل نحو الثماني عشرة سنة عثر أحد هُواة اكتشاف المغاور من أعضاء «الجمعيّة اللبنانيّة للأبحاث الجوفيّة»، في إحدي المغاور القريبة من المنطقة، على عدّة جثث، ما تزال هي وما عليها من ملابس محفوظة بشكل جيّد يدعو إلى الدهشة، وقد عرفتُ بمجرّد سماعي الخبر أنّ هؤلاء من ضحايا معركة «كسروان»، وذلك أوّلاً لأنّ وضع الجثث بهيئتها وما عليها من ملابس ليس وضع دفن شعائري. ممّا يدلّ على أنّها بقيت حيث ماتت وثانياً لأنّ تعرّضها لدخان كثيف يُفسر حفظها لمدّة قرون على هذا النحو المُدهش. فالمعروف أنّ الدخان هو من أفضل أساليب الحفظ. وقد أعلن وزير السياحة آنذاك الخبر على الملا في مؤتمر صحفي [٢].

وإدراكاً منّي لأهمّيّة هذا الكشف ـ خصوصاً وأنّ عدّة كتب وُجدت إلى جانب الجثث قد تكون الآثار الفكريّة الوحيدة الباقية من ماضي كسروان ما قبل النكبة ـ قابلتُ الوزير ومدير المتحف الوطني حيث حُفظتْ اللقى طالباً الاطّلاع على الكتب، ولو من بعيد، ولكن كلّ مساعيّ في هذا السبيل لم تصِل إلى نتيجة، وبعد الإلحاح ومراجعة عدد من كبار المسؤولين، صارحني الوزير بأنّ هذه اللقى هي مسألة سياسيّة بامتياز، ليس له أن يقضي فيها من عنده، ولسنا نعرف شيئاً عن مصير هذه الكتب بالخصوص.

بعد هذا الخروج على عمود البحث ـ الذي ألجأنا إليه اعتقادنا بضرورة تسجيل هذه المعلومة، كي لا تضيع وتُنسى ـ نعود إلى ما كنا فيه.

في نهاية هذا المطاف الدامي استُبيحت المنطقة الجبليّة المتدّة بموازاة الساحل اللبناني، من مصب نهر الكلب جنوباً حتّى البترون شمالاً، أي ما يُعرف اليوم بكسروان وجبيل والمتن، فقتل مَن قتلوا، وهم كثيرون من الرجال والنساء والأطفال، والسالم منهم

١. تاريخ بيروت، ص ٥٨.
٢. صحيفة السفير اللبنانيّة عدد ٢٥ أيلول ١٩٨٨.

تفرّقوا في جزّين وبلادها و البقاع وبلاد بعلبك، و «منحت الدولة لبعضهم الأمان» أي سمح لهم بالبقاء في بلادهم، مقابل إعلان الطاعة للسلطة حيث ما يزال أخلافهم حتّى اليوم.

لكنّنا لن نغادر هذا العرض التاريخي لنكبة كسروان دون أن نقف على أعمال ابن تيميّة في هذا النطاق بمراجعة رسالته إلى السلطان المملوكي الناصر ناصر الدين محمّد بن قلاوون مراجعة نقديّة تحليليّة، وذلك لسببين:

الأوّل: إنّ هذه الرسالة هي الوثيقة الوحيدة المُتعلّقة مباشرةً بذلك الحدث المهول، دون أنْ يعني هذا أنّنا سنأخذ بما فيها، بل إنّنا سنرى أنّها مليئة بصنوف الكذب والبهتان والتضليل، إنّ للكلام الكاذب دلالته أيضاً، وخصوصاً أنّها، على أهميتها الفائقة، لم تكن حتّى تاريخه، فيما نعلم موضع دراسة دقيقة [١].

الثاني: إنّ ابن تيميّة هو الفقيه الذي قدّم للسلطة الغطاء الشرعي، فأباح لها، بل ـ إذا أخذنا بعين الاعتبار خطابه ـ ألزمها بما فعلت، ومن دون ذلك لكان من المشكوك فيه كثيراً أن تُقدم على حشد كلّ القوّة العسكريّة المتوفّرة في المنطقة الشاميّة، في سبيل عمل قتالي واسع ضد مسلمين يسكنون دار الإسلام، لأنّها بذلك ستضرب في الصميم عقيدتها العسكريّة، بوصفها قوّة تحرير ودفاع، التي نالت على أساسها السلطة.

لكن علينا قبل معالجة نصّ الرسالة أن نُجيب على سؤالين: يتعلّق أوّلهما بتاريخها، ويتعلّق الثاني بالغرض منها.

أ) **في تاريخ رسالته إلى السلطان**: الرسالة كما رواها ابن عبد الهادي غير مؤرّخة والظاهر أنّها كانت كذلك في الأصل ولكنّه قال في العنوان الذي وضعه لها: «ثمّ إنّ الشيخ ﷺ بعد وقعة جبل كسروان أرسل رسالة إلى السلطان»، دون تحديد بعد بكم؟ ولكنّنا نفهم من

١. نشر قسماً منها د. عمر عبد السلام التدمري في مجلة الفكر الإسلامي التي كانت تصدر عن دار الإفتاء في بيروت، العدد السادس من السنة السابعة حزيران ١٩٧٨. بما فُهم منه أنّه يأخذ بما فيها بوصفه مؤرّخاً، الأمر الذي أثار ردود فعل عنيفة في حينه. وقد ردّ عليه المرحوم الدكتور محمّد عليّ مكّي بمقالة حملت عنوان «تاريخ لبنان الإسلامي، نظرة تصويب»، نشرها في المجلة نفسها العدد الثامن من السنة السابعة. وأو في نصّ لها في كتاب تلميذ كاتبها محمّد بن أحمد بن عبد الهادي: العقود الدريّة من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيميّة، ص ١٨٢ ـ ١٩٤. مع الاشارة إلى أن نشرة بيروت من الكتاب نفسه قد تصرّف صاحبها بالنص، فحذف منه ما يُثير النعرات المذهبيّة.

بعض نصها أنّ هذا البعد كان مدّة غير قصيرة، فهو يذكر في خواتيمها التركمان، الذين أُسكنوا في كسروان، ابتغاء ملء الفراغ السكاني، بعد إجلاء مَن نجا من المذبحة، قائلاً: «وقد صارت لهم الآن مرعى»[١]، فنحن نعرف من مصدر آخَر أنّ تأمير عدد من الأمراء وإقطاعهم جبال الجرديين والكسروانيين قد حصل بتاريخ ١٨ جمادى الأُولى[٢]، أي بعد أربعة أشهر من انتهاء العمليّات في الجبل، من تقتيل وتهجير، لا بدّ من أن نُضيف عليها عدّة أشهر أُخرى، بحيث يستقرّون ويصحّ فيهم قول ابن تيميّة «صارت لهم الآن مرعى»، نخلص من هذا التدقيق إلى أنّ الرسالة كُتبت بعد ما لا يقلّ عن الستّة أو السبعة أشهر من الوقعة، هذه النتيجة تُعزّز أهميّة، بل ضرورة، السؤال الثاني.

ب) **غرضه منها. مراجعة نقديّة:** يفتتح الرسالة كاتبُها بمقدّمة طويلة، وكأنّه أراد منها بُشري السلطان بفتح عظيم «صدق الله وعده، ونصر عبده، وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده»، هذا تدليس مكشوف، لا يمكن قبوله إلّا إذا قبلنا أنّ هذا السلطان كان بحاجة، بعد عدّة أشهر، لمن يُبشره وكأنّه لم يعرف ما جرى. ولكنّنا إذ نتمعّن فيما بقي من تلك المقدّمة نكتشف بسرعة أنّ المقصود الحقيقي كان تقديم ما يُشبه رشوة:

> أنعم الله على السلطان وعلى المؤمنين في دولته نعماً لم تُعهد في القرون الخالية، وجُدّد الإسلام في أيامه تجديداً بانت فضيلته على الدول الماضية. وحصل للأُمّة بيُمن ولايته وبركة إيمانه ومعرفته [...] ما هو شبيه بما كان يجري في أيّام الخلفاء الراشدين[٣].

إلى غير ذلك من الأوصاف العريضة، التي كانت، ولا ريب، مبعث رضى السلطان، ولكنّنا نراها تطرح سؤالاً كبيراً عن علّة هذا النفاق، إذا نحن أخذنا بعين الاعتبار أنّ ما بقي من الرسالة هو بمثابة مطالعة دافع فيها دفاع المُستميت عن كلّ ما ذكره ممّا جرى، سيكون من السهل أن نصل إلى جواب هو أنّ الغرض الأوّل من هذه الرسالة هو في الحقيقة علاج الآثار

---

١. العقود الدريّة، ص ١٩١.

٢. موسى بن محمّد اليونيني (م ٧٢٦: ذيل مرآة الزمان، مخطوطتنا (وهي نسخة عن مخطوطة سوهاج المحفوظ أصلها في معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربيّة)، حوادث السنة ٧٠٥ قال: «وفيها يوم الإثنين ثامن عشر جمادى الأُولى أمّروا جماعة بدمشق وأُقطعوا جبال الجرديين والكسروانيين. [...] ثمّ بعد ذلك توجهوا لأجل عمارة الجبل وحفظ مينا البحر من جهة بيروت وتلك النواحي».

٣. العقود الدريّة، ص ١٨٣.

المتمادية التي تركها ما ارتُكب في كسروان من صنوف العدوان، وخصوصاً تقتيل المدنيين، بمَن فيهم من نساء وأطفال، ولو أنّ الأمر كان مُجرّد تهنئة السلطان أو حثّه على متابعة هذا النهج التطهيري ضدّ الشيعة في المنطقة الشاميّة كما نقرأه في خواتيم الرسالة لَما تلبّث مدّة ستّة أو سبعة أشهر ـ هي المدّة الفاصلة بين انتهاء العمليّات العسكريّة وبين تاريخ تحرير الرسالة كما عرفنا ممّا فات ـ بل إنّ مبادرته إلى ذلك بعد تلك المدّة لدليل قوي على أنّ تداعيات كسروان كانت ما تزال تتفاعل، وأنّ الاتّهام كان موجّهاً إلى ابن تيميّة بالذات، وإلى العسكر الذي حرّضه وجمعه، وكتب إلى أطراف الشام في الحثّ على قتال المذكورين [يعني أهل كسروان] وهم الذين بغوا وخرجوا على الإمام[1]، ثمّ كان وكانوا أوّل مَن جمع الجموع على أطراف الجبل ومداخله، وربما، بل الظاهر، أنّهم هم الذين ارتكبوا ما ذكرناه من أفعال شنيعة.

من بعدُ تمضي الرسالة في تعداد المُبرّرات والمُسوّغات التي أباحت له ما فعل، بل جعلت منه بزعمه أمراً لازماً وواجباً شرعياً ولكنّنا قبل الدخول في تبيان تلك المُبرّرات، علينا أن نُشير إلى أنّه تجاهل أمرين:

الأوّل: أنّ السلطة وعسكرها هم الذين بدأوا التحرّش بأهل كسروان دونما أيّ سبب مُعلَن، وذلك في الحملة الفاشلة التي قادها بيدرا سنة ٦٩١، كما ذكرنا فيما سبق.

الثاني: أنّه لم يُشر إطلاقاً إلى قتل المئات، وربما الأُلوف، من النساء والأطفال الذين لجأوا في نهاية المعارك إلى مغارة نيبيّه وغيرها من المغاور والكهوف الكثيرة في الجبل فقُتلوا بالدخان، ونحن نفهم جيّداً سبب هذا التجاهل، هي جريمة جماعية رهيبة، لا يمكن لأحد مهما بلغ من البراعة أن يجد لها مُبرّراً.

بنظرة عامّة فإنّ ابن تيميّة هنا ينصب نفسه مدافعاً وحيداً عن الإسلام كما يفهمه هو.

وعن المسلمين كما يقبلهم ويُعرّفهم، ويحصر الحقّ والصواب فيما يراه دون أن يعرض إطلاقاً لوجهة نظر الآخَر، بحيث ينتهي إلى أنّ مُجرّد الاختلاف معه هو بنفسه سبب كافٍ للحكم على مُخالفه بالكفر واستحلال الدم، وسنرى ذلك بكامل الجلاء فيما يلي.

---

١. العقود الدريّة، ص ١٧٩.

يمكن قسمة الذرائع التي يعرضها لاستباحة الجبل وتقتيل أهله وتهجيرهم إلى قسمين: دينيّة ـ اعتقادية وشرعيّة، وسياسيّة ـ سلوكيّة:

القسم الأوّل: قال:

لأنّ عندهم أنّ كلّ مَن لم يوافقهم على ضلالهم فهو كافر مُرتدّ، ومَن استحلّ الفُقاع فهو كافر، ومَن مسح على الخُفين فهو عندهم كافر. ومَن حرّم المُتعة فهو عندهم كافر، ومَن أحبّ أبا بكر أو عمر أو عثمان، أو ترضّى عنهم أو عن جماهير الصحابة فهو عندهم كافر، ومَن لم يؤمن بمُنتظَرهم فهو عندهم كافر، وعندهم مَن قال: إنّ الله يُرى في الآخرة فهو كافر، ومَن قال. إنّ الله تكلّم بالقرآن حقيقة فهو كافر، ومَن قال: إنّ الله فوق السماوات فهو كافر، ومَن آمن بالقضاء والقدَر وقال: إنّ الله يهدي مَن يشاء ويُضلّ مَن يشاء، وأنّ الله يُقلّب قلوب عباده، وأنّ الله خالق كلّ شيءٍ [يعني حتّى أفعال العباد] فهو عندهم كافر، وعندهم أن مَن آمن بحقيقة أسماء الله وصفاته التي أخبر بها في كتابه وعلى لسان رسوله فهو عندهم كافر [1].

هذه كلّها مسائل كلاميّة وفقهيّة موضع خلاف معروف بين مذاهب المسلمين. ومنهم ـ وهم أقليّة نسبياً بالنسبة لأكثر تلك المسائل ـ مَن يوافق ابن تيميّة ومنهج أهل الحديث عموماً ومنهم مَن يختلف معه، وهؤلاء تجدهم في غير فرقة ومذهب، ومن المؤكّد أنّ الرجل يعرف ذلك جيّداً، كما أنّ من المؤكّد أنّ ليس بين الشيعة إطلاقاً مَن يُفتي بأنّ القائل بما يذهب إليه ابن تيميّة فيها هو كافر خارج عن ملّة الإسلام، وما من ريب في أنّه كان يعرف ذلك أيضاً، ولكنّنا نراه يندفع بالقول، غير مُراقب ذمّة العالِم والعلم ليُبرّئ نفسه ممّا جنته يداه. والمعروف أنّه هو الذي فتح باب تكفير من يختلف معه من أهل القبلة على أوسع نطاق، وما تزال أفكاره هذه مُنتشرة معمولاً بها في بعض المذاهب.

القسم الثاني:

هذه الطائفة التي كانت من أعظم الأسباب في خروج جَنكسخان إلى بلاد الإسلام، وفي استيلاء هولاكو على بغداد، وفي قدومه إلى حلب، وفي نهب الصالحيّة، وفي غير ذلك من أنواع العداوة للإسلام [2].

---

١. العقود الدريّة، ص ١٨٥ ـ ٨٦.

٢. العقود الدريّة، ص ١٨٥.

من الصعب أن يقع المرء على نصّ صدر عن شخص يُفترض أنّه من أهل العلم، ومع ذلك يكون مُحتوياً على هذا القدر من الجهل والبهتان والتعصّب وسوء التفكير.

لقد خرج المُغول، وهم سكان منغوليا، بعد أن بعثهم ونظّمهم جنكيزخان (٦٠٣ ـ ٦٢٥)، فاجتاحوا «آسيا» شرقاً وغرباً، وأسّسوا إمبراطوريّة واسعة، هذه معلومات نعذر ابن تيميّة في عدم معرفته لها. ولكنّنا لا نجد أدنى عذر له في هذا التفسير البالغ السخف لاجتياحهم القسم الأكبر من العالم الإسلامي فيما اجتاحوه، اللهم إلّا في غرامه المكشوف الذي لامثيل له بأهل السلطة، بحيث إنّنا لا نجد له في كلِّ ما كتبه ـ وهو كثير ـ أي مأخذ عليهم، وهم الذين كانت أشكال النزاع والصراعات الداخليّة فيما بينهم، وتهاونهم في الإعداد للدفاع عن دار الإسلام، رغم النُذُر الواضحة، في رأس أسباب عجزهم عن التصدّي، فسقطوا الواحد تلو الآخر دون أن يجدوا مَن يبكي عليهم.

وجدير بالذكر، أنّ تلميذ ابن تيميّة وكاتب سيرته، ابن عبد الهادي، قد تابع منهج شيخه هذا، إذ كتب في السياق نفسه يقول:

> لأنّ جبل الصالحيّة، لمّا استولت الرافضة عليه، في حال استيلاء الطاغية قازان [سنة ٦٩٩] أشار بعض كُبرائهم بنهب الجبل، وسبى أهله وقتلهم [...] فكوفئ الرافضة بمثل ذلك [يعني في كسروان] بإشارة كبير من كُبراء أهل السنّة وزناً بوزن [١].

والحقيقة أنّنا لم نفهم ماذا أراد بقوله «لمّا استولت الرافضة عليه»، ومَن هم هؤلاء الرافضة. ولم نقع فيما كتبه المؤرّخون عن وقعة قازان على شيءٍ من هذا القبيل، وعلى كلّ حال، فكاتب هذا الكلام هو إنسان في حاجة ماسة إلى جُرعة من حسّ العدالة علّها تُحرّره من أفكار شيخه المريضة، وتساعده في التمييز بين المُذنب وغيره، فلا يُبرّر إيقاع عقاب على برئ بجريرة غيره، بمجرّد أنّه من مذهبه.

وتمضي الرسالة على هذا النحو، ولن نُضيّع جهداً أكبر في مناقشة وكشف ما بقي من خبيئها.

خلاصة القول إنّ رسالة ابن تيميّة كانت مُطالعة سقيمة، حشوها الجهل والتجاهل

---

١. العقود الدريّة، ص ١٨٠.

والمخادعة والبهتان، مُحرّكها الوحيد هوالتعصّب الأعمى، رمى منها إلى تبرئة نفسه من جريمة مهولة، ما تزال تداعياتها تتفاعل حتّى اليوم، وأظن أنّها ستبقى كذلك إلى أمد غير قصير.

لكنّنا قبل أنْ نغادر ابن تيميّة ودوره في هذا المُعتَرَك الدامي، يحسن بنا أنْ نُشير إلى النقطة الإيجابيّة الوحيدة في كلّ ما عرضه في رسالته ـ أعني ذكره أئمة الشيعة وفقهائهم في الجبل ـ. ممّن ضاع ذكرهم نهائياً بعد ما جرى عليهم وعلى قومهم. ولولا هذه الإشارة منه، لَما عرفنا وجودهم أصلاً، إذ قال:

> هذا هو المذهب الذي تُلقنه لهم أئمّتهم، مثل بني العَوْد. فإنّهم شيوخ أهل هذا الجبل، وهم الذين يأمرونهم بقتال المسلمين، ويُفتونهم بهذه الأُمور، وقد حصل بيَد المسلمين طائفة من كُتبهم تصنيف ابن العَوْد وغيره، وفيها هذا وأعظم منه، وهم اعترفوا لنا بأنّهم الذين علّموهم وأمروهم [١].

ويؤخذ من قوله «أئمّتهم مثل بني العَوْد» أنّه كان ثمّة أكثر من بيت من بيوت العلم، ومن قوله «حصل بيد المسلمين طائفة من كُتبهم» أنّهم كانوا من أصحاب التصانيف ممّا يدلّ على أنّه كانت في كسروان قبل النكبة حياة عقليّة، بدرجة أو غيرها، وما ندري ما كان مصير أُولئك جميعاً بعد أن ساقهم ابن تيميّة إلى دمشق. ولعلّهم أو بعضهم استقرّ في جِزّين، فقد كان فيها حتّى أواسط القرن العاشر للهجرة أُسرة تحمل اسم «العوْدي»، منهم تلميذ الشهيد الثاني ـ زين الدين بن عليّ الجباعي ـ وكاتب سيرته محمّد بن عليّ بن الحسن العَوْدي الجزّيني (ح ٩٧٥) [٢]. وحتّى اليوم ما يزال في «جزّين» أُسرة تحمل الاسم نفسه.

وإكمالاً لتلك النتائج نذكر أنّ ابن تيميّة حكى أنّه تجادل مع كبير من كُبراء أهل جبل كسروان [...] وكان الجدل والبحث في عصمة الإمام وعدم عصمته وفي أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام معصوم من الصغائر والكبائر في كلّ قول وفعل [٣]، والظاهر أنّ هذا الكبير أحد أُولئك الفقهاء.

---

١. العقود الدريّة، ص ١٨٦.

٢. جبل عامل بين الشهيدين، ص ٢١٦ وغيرها.

٣. العقود الدريّة، ص ١٨١.

٤. تداعيات النكبة

إنّ حدثاً هائلاً، من حجم ما جرى في كسروان لا يمكن أنْ ينتهي حيث أرادت السلطة له أنْ ينتهي، إذ قتلتْ مَن قتلتْ، وهجّرتْ مَن هجّرتْ. ثمّ أسكنت محلّهم مَن ترضى عنه وتتوقّع أن يُرضيها.

لقد عملت هذه السلطة على اجتثاث أهل كسروان من التاريخ، باجتثاثهم من الجغرافيا وهذا أشبه ما يكون بضربة استباقيّة تقطع الطريق على إمكانيّة أن يكون القضاء على الإمارتين الصليبيتيَن في طرابلس و صور وما ينشأ عنه من فراغ سكّاني بمثابة هدية تُقدّم مجاناً إلى الشيعة في المنطقة، إذ يملاون الفراغ الحاصل في المدينتين وما حولهما، لأنّهم وحدهم القادرون على ذلك، بفضل سيطرتهم سكانياً على البقعتين المجاورتين لهما بعد تحريرهما، وبذلك يرجعون إلى سابق عهدهم قبل الاجتياحات الصليبيّة، ذلك أمر لا يمكن أن تتقبّله السلطة المملوكيّة، للسبب الذي سنُدلي به بعد قليل، ولذلك أقدمت على هدم المدينتين، بذريعة أنّها تريد أن تمنع الصليبيين من العودة إليهما، وتابعت هذه السياسة بإخراجهم من كسروان وما والاه، أما بيروت فلم يكن هناك أدنى خشية من سيطرة السكان الشيعة عليها، لأنّ الدروز يملأون التلال الغربيّة المُشرفة عليها، وسيتولون حتماً ملء الفراغ السكاني الحاصل فيها بعد التحرير، كما حصل بالفعل، ولذلك فقد أُبقي عليها ولم تُهدَم.

تولّى ابن تيميّة، كما عرفنا، تعديل العقيدة العسكريّة للسلطة بحيث تتسع لعمل في معنى وحجم ما جرى تحت شعار رافضة، خارجون على الإمام[١]، مع مكمّلاته التي استعرضناها فيما فات، والحقيقة أنّ الأمر لم يكن أمر رافضة ولا مَن يرفضون الرافضة، بل كان سياسيّاً من بداياته النظريّة، حتّى نهايته العسكريّة.

لقد قامت السلطة المملوكيّة، كما نظّر لها مؤسّس دولتهم الظاهر بيبرس الأوّل البندقداري (حكم:٦٥٧ ـ ٦٧٦)، على مبدأ التفويض: «خليفة» يُبايَع مُبايعة شكليّة، ثمّ يُفوّض السلطة بأكملها فوراً إلى أقوى أمراء العسكر المملوكي، أحياناً قبل أن يجفّ دم سلفه على سيفه وبذلك يغدو حاكماً «شرعياً» أي الإمام حسب ابن تيميّة ومَن يوافقه،

١. يتكرّر ورود هذا الشعار في نصّ ابن تيميّة والآخَر المتأثّر به. انظر، مثلاً: العقود الدريّة، ص ١٨٠ و ١٩٠.

الدروز ليس عندهم أي مُشكلة في كلّ هذا النطاق، ذلك لأنّ عقيدتهم تأمرهم بأن يكونوا مع الأقوى، وما دام المماليك يقبضون على السلطة فسيكونون معهم حتماً، بصرف النظر عن أي اعتبار مفهومي، أمّا السنة، بمختلف مذاهبهم، فهم جاهزون أيضاً للقبول بالصيغة المملوكيّة، وهم سيجدون حتماً في جعبتهم السياسيّة ـ كما في تجاربهم التاريخيّة ـ وَصْفة تناسب أي وضع ينشأ من لعبة تبدّل السلطة على الطريقة المملوكيّة، وحدهم الشيعة الإماميّة لا يمكن أن يقبلوا بمنح الشرعيّة للسلطة المملوكيّة لأسباب معروفة لا نرى ضرورة لبسط الكلام عليها. وبالمقابل فإنّ السلطة لا يمكن أن تسمح لجماعة، لا تُخفي أنّها لا تعترف بها سلطة شرعيّة، بأن تُسيطر على منطقة ذات قيمة استراتيجيّة ذات امتياز مثل كسروان وما والاها.

من وجهة نظر عملانيّة فهم أي الشيعة كانوا وحدهم المؤهّلين بالنظر إلى عديدهم وموقعهم الجغرافي لملء الفراغ السكانى الكبير الذي نشأ مع وبتحرير صور و طرابلس، ولو أنّ السنّة أوالدروز كانوا من هذه الناحية قادرين على ملء الفراغ السكانى الكبير لحلّت المعضلة حلّاً سلميّاً، ولما استوجب الأمر إهراق الدماء وتهجير العباد، ولما تجشّم ابن تيميّة كلّ هذا العناء في تدبيج الفتاوى والرسائل لتغطية الأسباب والمقاصد الحقيقيّة، تحت شعار حماية الإسلام من شرّ الروافض، وكأنّ جيوشهم تستعدّ للانقضاض على دار الإسلام والاقتصاص منهم لذنوب لم توجد إلّا في خياله.

هو ذا المأزق السياسي الذي شكّل الأساس والقاعدة للتحرّك العسكري الكبير، الذي أداره عقيدياً ابن تيميّة، وقتالياً التحالف الذي بينا عناصره فيما فات.

في ظلّ هذه الشروط لم يبقَ إلّا الحلّ الأكثر إيلاماً وهو إجراء عمليّة جراحيّة سكانيّة كبرى بحيث تنتهى بتبديل الهُويّة المذهبيّة للمنطقة، وربّما المنطقتين الإشكاليتين، الأمر الذي حاولته السلطة بعد تحرير طرابلس مباشرةً ففشلت كما ذكرنا فيما فات، لانّها استهانت بعزيمة أُولئك الجرديين الأشدّاء، ثمّ نجحت في المحاولة الثانية التي حصلت بعد إعداد طويل ومُعقد إعلامياً وعسكرياً وانتهت بتقتيل مَن قتلتهم وتهجير الناجين إلى مناطق داخليّة، حيث سيكونون تحت المراقبة الدقيقة والمُحكمَة للسلطة وأجهزتها، وعلى الأثر

عمدت إلى الخطوة المنطقيّة التالية والأخيرة وهي جلب التركمان وإسكانهم المنطقة وبذلك يكون هذا السيناريو المتعدّد الحلقات قد تمّ، وارتاح أصحابه إلى النتيجة التي حققت لهم كل ماهو مطلوب.

جدير بنا قبل أن ننقل الكلام إلى أُولئك التركمان ـ عُمّار كسروان الجدُد وما جرى منهم وعليهم ـ أنْ نُشير إلى أنّ ابن تيميّة وهو في نشوة «النصر» الزائف لم ينسَ الشطر التالي من الخطّة، فرأيناه يذكر «أهل جِزّين وما حواليها وجبل عامل ونواحيه، مُطالباً السلطان بحسم مادة أهل الفساد»[١]، وما ندري وأنّى لنا لماذا لم يفعل، ولكنّنا نظنّ ظناً أنّ أعمال الإبادة الوحشيّة التي حصلت في كسروان قد أنهت وربما عكست الأثر التسويغي الذي نشره ابن تيميّة، الأمر الذي ترك ما بقي من الخطّة المفترضَة مكشوفاً دون غطاء، ممّا أدّى إلى صرف النظر عنها نهائياً، وربّما كانت هناك أسباب أُخرى لا نعرفها، وعلى كلّ حال فإنّ علينا أن لا ننسى أنّنا في هذا التساؤل نحاول تفسير عدم حدوث ما لم يحدث وهو من أصعب ما يحاوله المؤرّخ، ويُشبه، من بعض النواحى، محاولة إصابة هدف في الظلام.

ملاحظة أخيرة، يحسن بنا الوقوف عندها، قبل أن نُغادر هذه النقطة من البحث نهائياً هي التبدّل الجذري الذي حصل لخطاب ابن تيميّة، فبعد أنْ كان متجهاً فكرياً وعملياً نحو منحىً تطهيري مُطلَق كانت ترجمته الفعليّة أعماله في كسروان نراه في خواتيم رسالته إلى السلطان ينحو منحى إصلاحياً، أقرب بكثير إلى وظيفة الفقيه ذلك أنّه بعد أن نادى بضرورة إمساك «رؤوسهم الذين يُضلّونهم، مثل بني العَوْد»، قال:

> ويُتقدّم إلى قراهم، وهي قرى متعدّدة بأعمال دمشق وصفد وطرابلس وحماة وحمص وحلب، بأن يُقام فيهم شرائع الإسلام والجمعة والجماعة وقراءة القرآن. ويكون لهم خطباء ومؤذنون كسائر قرى المسلمين[٢].

هذا في المبدأ جيّد، مالم يكن وسيلة أُخرى من وسائل القمع خصوصاً إذا اتّجه نحو التأسيس للتعارف والحوار، الذي نعلم جيّداً أنّ صاحبه كان أبعد ما يكون عنه، ولكنّنا نتكلّم في المبدأ.

---

١. العقود الدرية، ص ١٨٥ ـ ١٩٢.
٢. العقود الدرّية، ص ١٩٢.

السؤال الذي يطرح نفسه هنا: أين كان هذا المنحى من قبل؟ ولماذا لم يلجأ إليه قبل أن يرتكب ما ارتكب من عظائم تقشعرّ لها الأبدان، ما تزال بعض آثارها الشريرة تتفاعل حتّى اليوم؟ وعلى كلّ حال، هل هذا يعكس تبدّلاً في طريقة التفكير عنده؟ كلا بالتأكيد، فالرجل لم يغادر نزوعه المشهور نحو أعنف الوسائل، بشهادة أنّه قبل أسطر معدودات عاد إلى طبيعته، فطالب صراحة بـ«حسم مادة أهل الفساد»، وغنيّ عن البيان أنّ حسم مادتهم أمر مختلف جدّاً عن أن «يُقام فيهم شرائع الإسلام»، الحقيقة أنّ التبدّل قد حصل بالفعل، ولكن ليس في طريقة تفكيره، بل بانسداد الأفق السياسي بوجه الحلّ العنفي الأثير عنده. الأمر الذي يُعيدنا إلى انعكاس الأثر التسويغي الذي نشره إعداداً لكسروان، كما ذكرنا قبل قليل.

بقي علينا أن نعالج سؤالين ممّا تطرحه تلك الأحداث، هما:

الأوّل: من هم أُولئك التركمان عُمّار كسروان الجُدُد، ولماذا وقع الاختيار عليهم؟

الثاني: أين انتهى أُولئك المُهجّرون، سكان كسروان الأصليين؟

بالنسبة للسؤال الأوّل نقول: التركمان هم من الشعوب التي تتكلّم إحدى اللهجات التركيّة. مساكنها الأصليّة ما يُعرف اليوم بآسية الوسطى. وهي سهوب واسعة، تسكنها قبائل رعويّة شديدة المراس، ترتزق من تربية الأغنام. ومنذ أن انتشر الإسلام في نواحي إيران كانوا في نزاع دائم مع المسلمين، طال مدّة ثلاث قرون تقريباً. وهم المعروفون في المصادر الإسلاميّة المعاصرة باسم «التُرك». ولكنّهم وجدوا فرصتهم التاريخيّة عند ضعف شأن الخلافة، فدخلوا في الإسلام أفواجاً، وتغلغلوا في الجيوش الإسلاميّة، ثمّ قبضوا على زمام السلطة. وكان لهم شأن سياسي عظيم. وهؤلاء يُعرفون في المصادر الاسلاميّة باسم «السلاجقة»، نسبةً إلى زعيمهم «سلجوق». ولكن شأن هؤلاء ضعُف كثيراً في التطورات السياسيّة المتلاحقة. وفي عصر البحث كانوا قد رجعوا إلى حجمهم الأصلي، أي رُعاة أغنام[1]، تنتشر قبائلهم في أنحاء الإمبراطوريّة المملوكيّة. وغدت السلطة للماليك، الذين

١. نقول هذا حتّى بعد اطلاعنا على نصّ اليونيني في ذيل مرآة الزمان، مخطوطتنا، حيث يقول: «وفي يوم الإثنين ١٨ جمادى الأُولى أمّروا جماعة بدمشق وأقطعوهم جبال الجرديين والكسروانيين. وهم الأمير علاء الدين بن معبد البعلبكي، وسيف الدين بُكتمر مملوك بدر الدين بكتاش، استدار الملك المنصور حسام الدين لاجين، وعزّ ←

ترجع أُصول عامّة قادتهم من سلاطين وأمراء إلى بلاد القبجاق.

إذن، لماذا أقطعتهم السلطة المملوكيّة كسروان، والمعروف أنّ أمراء المماليك كانوا يتنافسون في الحصول على الإقطاعات؟

الجواب واضح. وهو أنّ هذا الإقطاع كان منطقة جبليّة خشنة، صعبة المسالك، ليس يُرجى منها كبير نفع. بل ستكون كلّاً على صاحبها. وسنرى تصديق ذلك فيما سيأتي. حيث سنرى هؤلاء يغادرون محل إقطاعهم. ليبدأوا تغييراً سكانياً آخر. سيكون ذا علاقة أساسيّة بما نعالجه في بحثنا.

بالنسبة للسؤال الثاني: يُجمل ابن يحيى في تاريخ بيروت الكلام في هذا الشأن فيقول: «فراح تحت السيف منهم [أهل كسروان] خلق كثير، والسالم منهم تفرّقوا في جزّين وبلادها والبقاع وبلاد بعلبك»[١].

والظاهر أنّ الدولة تركت هامشاً من الحريّة لهؤلاء في الذهاب إلى حيث يشاؤون، فأعطت أماناً لكل مَن استقرّ في غير كسروان، ممّا يؤكد أيضاً أنّ غرضها لم يكن متعلقاً بهم بوصفهم شيعة، وإن يكن ابن تيميّة قد نظّر للعمل العسكري ضدهم بهذا الاعتبار، بل بهم بوصفهم يسكنون في هذه البقعة بالذات، حيث يمكن أن ينتشروا باتجاه الساحل، المُهيأ لذلك بعد التحرير، ومن هنا قلنا أعلاه إنّه تُرك لهم «هامش من الحريّة» وليس الحرية التامّة، وعلى هذا فقد كان من الطبيعي جداً أن يتحوّلوا إلى المناطق التي يقطنها أبناء مذهبهم، ومنها جزّين وبلادها والبقاع وبلاد بعلبك، لكن سؤالنا يطلب تحديداً، أي إلى أين من تلك البلاد؟

من غير المُتوقع أن نجد في كتب التاريخ الرسمي أو في الأُخرى المُتشبّهة بها جواباً شافياً على سؤالنا، فهذه إنّما تولى عنايتها فقط للأعمال التي تصدر عن السلطة، وتستنكف عن ذكر أعمال عامّة العباد، ولكنّنا نعثر على ما قد يُنير هذه الإشكاليّة إنارةً ما، حيث يتقاطع

← الدين خطاب العراقي. ثمّ بعد ذلك توجهوا لأجل عمارة الجبال وحفظ مينا البحر من جهة بيروت وتلك النواحي». ذلك أنّ هؤلاء لم يكن لهم من الإمارة إلّا اسمها. ولم نعثر على ذكر لأي منهم في مصادر الفترة، مع عنايتها الخاصّة بالترجمة للأُمراء. وحتّى اليوم ما يزال رؤساء العشائر التركمانيّة يحملون لقب «الأمير»، الذي قد يكون مجرّد راعي أغنام.

١. تاريخ بيروت، ص ٩٦.

التاريخ السلطوي مع التاريخ الحقيقي.

ومن ذلك كتاب وقف السلطان حسن بن محمّد بن قلاوون (حكم: ٧٤٨ـ ٧٥٢ ثمّ ٧٥٥ـ ٧٦٢) المؤرّخ سنة ٧٦٠. أي بعد خمسٍ وخمسين سنة من نكبة كسروان. ومن هذه الوقفيّة جميع القرية المعروفة بكرك نوح، ومعلوم أنّ هذه القرية الشيعيّة العريقة تقع على فم الطريق المسلوك بين سهل البقاع وكسروان، أي أنّها أقرب قرية من قرى السهل إلى الجبل، إذن فمن المفهوم أن يحطّ بعض أُولئك الذين نالهم التهجير القسري رحالهم فيها.

يذكر كتاب الوقفيّة هذا أسماء عدد من المالكين في الكرك، منها «كَرْم الحاج على الكسرواني»، وأملاك «أحمد بن الكسرواني» و «محمّد على الكسرواني» و «الحاج أحمد بن الكسرواني»، فضلاً عن «جميع القطعة الكَرْم الخراجيّة المعروفة بمزرعة الدوير في أرض قرية زحلة»، ويذكر من المالكين في هذه الأرض «محمّد بن عليّ الكسرواني»[١] ونحن نستفيد من هذا النصّ الفائق الأهمّيّة أنّه بتاريخ الوقفيّة كانت في الكرك وفي قرية زحلة المجاورة ـ المدينة اليوم ـ جالية كسروانيّة كبيرة، وإذا كان النصّ قد ذكر خمسة أشخاص فقط، فهؤلاء هم الذين صادف أنّهم من أصحاب العقارات التي شملتها الوقفيّة نُضيف إلى هؤلاء الفقيه الجليل الحسن بن يوسف، الشهير بابن العشرة الكسرواني (٨٦٢) الذي عاش أيضاً في الكرك، بل كان الباعث والمؤسّس للنهضة العلميّة التي دخلت به هذه القرية التاريخ من أوسع الأبواب[٢]، وما من شكّ ـ نظراً لنصّ ابن يحيى ـ أنّه كان في أنحاء سهل البقاع و بلاد بعلبك من مهجّري كسروان مَن ضاع ذكرهم وذكر منازلهم، لأنّهم ولأنّ أخبارهم لم يحظوا بتقاطع مماثل مع أخبار أهل السلطة.

أمّا الذين نزلوا «جزّين وبلاده» فإنّنا نقف على آثارهم حيث تركوها هم بأنفسهم، وذلك حيث لا يُتوقع عادةً، أعني في أسماء عدد من القرى في نطاق جزّين و النبطية و صور، تعدادها أحد عشر قرية، هي داريا، صليما، الهلاليّة، القطين، قتالة، كفر حتّى، القرية، القصيبة، صربا، يانوح، زغرين ومعلوم إجمالاً أنّ أسماء القرى والبلدان والمعالم الجغرافيّة هي وثائق تاريخيّة لمن يُحسن قراءتها، يبقى أن نقول: أين هي الدلالة على مانعالجه في

١. كتاب وقف السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون على مدرسته بالرميلة، ص ٦٦، ٧٤، ٨١.
٢. للتفصيل، كتابنا: جبل عامل بين الشهيدين، ص ١٨٠ ـ ١٩٠.

أسماء هذه القرى الأحد عشر؟

الدلالة هي في أنّ هذه الأسماء نفسها نجدها أيضاً في مسرح العمليّات لأحداث الجبل، أي في كسروان و المتن [١]، ومعلوم أنّ النازحين يُعبّرون عن الحنين لأوطانهم بمثل هذا، وإلّا كيف نفسر تلك المزاوجة الكبيرة، ومن هنا يمكننا أنْ نتصوّر أنّ قسماً غير قليل من النازحين قد استقروا في مختلف أنحاء جبل عامل، وأنّهم اختطوا لأنفسهم قرى جديدة منحوها أسماء قراهم في وطنهم المفقود، أضف إلى ذلك أنّنا نجد في جزّين ـ كما سبق أن وجدنا في الكرك ـ فقيهاً كسرواني الأصل هو أحمد بن إبراهيم الكسرواني [٢]، الذي لا نعرف موطنه الثاني، ولكنّه عاش في جزّين بالتأكيد، حيث درس على الشهيد [٣]، وربما كان من أبناء إحدى تلك القرى التي أُسسها الكسروانيون النازحون في نطاق جزّين أو غيرها، تعبيراً عن الحنين إلى وطنهم المفقود.

خلاصة الفصل

نخلص من هذا السرد التاريخي المتصل الحلقات، الذي وضعناه تحت عنوان «أرضيّة تاريخيّة»، إلى أنّ الشيعة كانوا الغالبيّة في هذه البقعة من شرق المتوسط، التي غدت من بعدُ ما يُعرف اليوم بلبنان السياسي، وأنّهم عاشوا فيها زهاء الأربعة قرون، حيث قاموا بإنجازات باهرة على الصعيدين السياسي والتنموي، مثالها الأبرز مدينة طرابلس، إلى أن نزل بهم البلاء الصليبي الذي كان من آثاره المباشرة البعثرة السكانيّة الهائلة التي أصابتهم في الصميم باحتلال مدينتي طرابلس و صور فضلاً عن طبريّة التي وإن تكن جغرافياً خارج محطّ اهتمامنا لكنّها تدخل فيه باعتبار أنّ سكانها وسكان القرى والمزارع المُطيفة بها قد لجأوا إلى جبل عامل، ومذ ذاك بدأ هذا الجبل المبارك يصبح شيئاً مذكوراً.

---

١. راجع، مثلاً، أسماء كلٍّ من تلك القري في قري ومدن لبنان، في المكان المناسب لاسم كل قرية وفق الترتيب الابتثي للكتاب.

٢. أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٤٨٢. والاسم في المصادر السابقة عليه الكرواني وهو تصحيف واضح.

٣. جبل عامل بين الشهيدين، ص ١٢٦ و ١٥٨.

هكذا نشأت صورة سكانيّة جديدة بمقتضاها غدا الشيعة أكثريّة في ثلاث مناطق، هي جبل لبنان و جبل عامل و البقاع البعلبكي، استمرّت زهاء قرنين آخَرَين.

التطوّر السلبي التالي حصل في بداية القرن الثامن للهجرة حيث ما إن أتـمّت السـلطة المملوكيّة القضاء على آخر الجيوب الصليبيّة، حتّى انقلبت على الشيعة في جـبل لبـنان، فنظّمت حملة انتهت بإجلائهم منه، وأحلّت محلّهم أقواماً من التركمان.

هؤلاء التركمان أصبحوا مذ ذاك عاملاً سكانياً وسياسياً وثـقافياً جـديداً، سـيكون له تأثيره بالتأكيد، ومن آثاره ما له علاقة صميمة بموضوع بحثنا، ممّا يقتضي أنْ نتابع الكلام عليه تحت عنوان القسم الأخير من هذا الفصل «تداعيات النكبة»، ولكنّنا آثرنا التوقّف عند هذا الحدّ من «أرضيّة تاريخيّة»، لأنّ تأثـير العـامل التـركماني يـتّصل مـباشرةً بـالظرف السياسي ـ الاجتماعي الذي عمل فيه الشهيد، وليس صرف أرضيّة. من مـصلحة البـحث وقارئه أنْ يكون الكـلام عـليه مـتّصلاً مـباشرةً بـقلب الدراسـة، أي ليس مـن التـهيئات والتمهيدات البعيدة.

في الفصل التالي سنتعرّف على البيئة التي نبت وعمل فيها بطل هذه الدراسـة، أعـني جزّين.

الفصل الثاني
جزّين ماضي الأيّام الآتية

١. في التاريخ العام

جزّين بلدة في تخوم جبل عامل من شماليّه تستقرّ على موقع حصين، هو جرف يقع على سفوح جبل «التومات»، وتُشرف من الجهة الشماليّة على مُنحدَر عنيف يرتفع ستّة وثمانين متراً، يشقها نهر يتغذى من نبع في سفح «تومات نيحا»، والظاهر أنّ هذا الوضع الطوبوغرافي هو ما أعطى البلدة اسمها، بإدغام كلمة «جزأين»؛ لأنّ النهر يشطرها إلى شطرين، وعلى هذا فالاسم عربي، والبلدة حديثة التمصير نسبياً، وهناك اجتهادات أُخرى حول منشأ اسمها[١].

إنّ أقدم ذكر لها عثرنا عليه لدى البلداني الشريف الإدريسي (٤٩٣ ـ ٥٦٠). ذكرها في معرض حديثه على مدينة صيدا، فقال: «وهي [يعني صيدا] متصلة بجبل لبنان بإقليم يُعرف بإقليم جزّين»[٢]. وهذه ملاحظة جغرافيّة صحيحة، وإطلاق اسمها على الإقليم المحيط بها دليل على أنّها أبرز تجمّع سكاني فيه، وفيما خلا ذلك فإنّنا لا نجد لها ذكراً في أعمال البلدانيين، الذين اعتنوا بأسماء ومواقع وأوصاف البلدان.

والظاهر أنّ جزّين اكتسبت شيئاً من الأهمّيّة بفضل موقعها الجغرافي على الطريق الموصل بين دمشق و صيدا، فابن فضل الله العُمَري (٧٠٠ ـ ٧٤٩) يقول: إنّ مَن يريد صيدا فإن عليه سلوك طريق دمشق ـ خان ميسلون ـ جزّين ـ صيدا[٣]، ولكن أقوى دليل على ما

---

١. قري ومدن لبنان، ص ٢٣١ ـ ٣٢ وما بعدها و معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية، ص ٤٩.

٢. نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ج ١، ص ٣٧٠.

٣. التعريف بالمُصطَلَح الشريف، ص ٢٥٠. والعُمَري كان مهمنداراً في الإدارة المملوكيّة، أي مسؤولاً عن العلاقات مع القبائل العربية في الدولة ممّا كان يقتضي أن يكون على اطّلاع وافر على المناطق وأوضاعها من كافة النواحي، وقد سجّل الكثير ممّا استفاده من عمله في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار.

تمتّعت به البلدة من قوّة حضور، قبل أن تغدو حاضرة علميّة، نجده في رسالة ابن تيميّة إلى السلطان المملوكي، حيث نراه يذكرها وحدها بالاسم بوصفها من مواطن الشيعة، الذين ينبغي ـ عنده ـ أن تتابع السلطة ما بدأته في كسروان[١]. وغني عن البيان أنّ لهذا التخصيص مغزاه وإن نكن عاجزّين عن التحديد لعول المعلومات.

ولقد كان من حُسن حظ جزّين أنّها من البلدان القليلة التي لم يضربها الاحتلال الصليبي، يوم لحق الصليبيون بنُزّال جبل عامل النازحين من أنحاء الاردن و فلسطين هرباً من الهول الزاحف بعد مذبحة القدس المهولة مع أنّها مُحاطة من ثلاث جهاتها بأرض مُحتلّة، وتقع على خط شمالي ـ جنوبي بين حصني «تيرون» و «أرنون» الصليبيَين، وهما من الحصون التي شادوها على حدود المنطقة المُحتلّة، وما ذاك ـ فيما نحسب ـ إلّا لأنّها منطقة وعرة جدباء، صعبة المسالك، لا خير فيها ولا مطمع، بل ونُرجّح أنّ أهليها أنفسهم لم ينزلوها بدواً، للسبب نفسه، بل عاشوا في غيرها أولاً ثمّ تحوّلوا إليها، والدليل على ذلك نجده في اسم أُطلق على أهلها ـ ويا للأسماء أحياناً من وثائق تاريخيّة ثمينة ـ هو «الميادنة»[٢]، نسبةً إلى «سهل المأذنة» بجوار مدينة النبطيّة، المعروف بخصوبته، وغني عن البيان أنّهم لم يكتسبوا هذا الاسم إلّا بسبب أنّهم استوطنوا هذا السهل مدّة غير قصيرة، قبل أن يتحوّلوا عنه إلى جزّين ومنطقتها، ابتغاء التحرّر من ضغوط الاحتلال على الأرجح، وفي هذا تأييد لِما ذهبنا إليه أنّها حديثة التمصير.

نختم هذا القسم بالوقوف على ماكان من أهل جزّين في جهاد المُحتلّين الصليبيين، وهو دور منكور في كتابات المؤرّخين، وهم الذين أنكروا ـ بالسكوت ـ تاريخاً طويلاً مجيداً من الجهاد، ضرب فيه أهل جبل عامل بسهم وافر، ممّا بيّنا ما وصل بنا البحث منه في كتابنا حسام الدين بشارة أمير جبل عامل.

النصّ الوحيد الذي يُشير ـ وإن من طَرْف ـ إلى ماكان من أهل جزّين من سهم في أعمال الجهاد والتحرير عثرنا عليه في مصدرين معاصرين، هما مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (م ٦٥٤)

١. العقود الدريّة، ص ١٨٥.

٢. نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص ٢٦٧ يُسمّي منطقة جزّين شوف الميادنة ويصِف أهله بالرافضة، والذيل على الروضتين، ص ١٠٣ يُسمّي أهلها بـ«الميادنة».

وذيل كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة الدمشقي (م ٦٦٥). والنصّ في كلا المصدرين مُشوّه بسبب سوء التحقيق، وسنقتبس الثاني لانّ صاحبه، ابن دمشق، أكثر خبرة بأحوال منطقته. قال:

ولمّا انفصل الفرنج عن الطور، قصد ابن أُخت الهنكري جبل صيدا وقال: لا بدّ لي من أهل هذا الجبل. فنهاه صاحب صيدا وقال: هؤلاء رُماة [في مرآة الزمان: رُعاة. وهو الصحيح] وبلدهم وعر، فلم يقبل، وصعد في خمسمائة من أبطال الفرنج إلى جزيرة [اقرأ: جزّين] ضيعة الميادنة، قريباً من مشغرة، فأخلاها أهلها، وجاء الفرنج فنزلوا بها وترجلوا عن خيولهم ليستريحوا، فتحدّرت عليهم الميادنة من الجبال، فأخذوا خيولهم، وقتلوا عامتهم، وأسروا ابن أخت الهنكري، فهرب مَن بقي منهم نحو صيدا، وكان معهم رجل يقال له الجاموس من المسلمين، قد أسروه، فقال لهم: أنا أعرف إلى صيدا طريقاً سهلاً أوصلكم إليه، فقالوا: إن فعلتَ أغنيناك، فسلك بهم أودية وعرة، والمسلمون خلفهم يقتلون ويأسرون، ففهموا أن الجاموس غرّهم فقتلوه، ولم يفلت إلى صيدا سوى ثلاثة أنفس بعد أن كانوا خمسمائة، وجاء إلى دمشق بالأسارى وكان يوماً عظيما[١].

إنّ فهم هذا النصّ الثمين يقتضي شرح كلمتين أساسيتين فيه، مع التذكير بأنّنا قد بيّنّا قبل قليل معنى كلمة «الميادنة».

الأُولى: «الهنْكري» وهي الاسم الذي عرف به محليّاً الملك أندرو الثاني، ملك «هنغاريا» وأحد زعيمي الحملة الصليبيّة المعروفة بالخامسة، وقد اتّخذ من مدينة صيدا قاعدة له مدّة إقامته القصيرة بالمنطقة، ومن هنا سمّاه أبو شامة «صاحب صيدا».

الثانية: «الطور» وهي اسم القلعة التي بناها الملك العادل الأيوبي على جبل الطور المواجه لمدينة عكّا للتضييق عليها حين كانت آخر ما بقي من مملكة بيت المقدس الصليبيّة، وكان بناؤها ذريعة لضجيج كبير أثاره البابا أنوسنت الثالث في الغرب بحجة أنّ هذا الجبل «شهد عظمة المسيح ومجده» داعياً إلى تجهيز حملة جديدة لإنقاذه.

بالنتيجة جرى تجهيز حملة جُلّها من الهنغاريين والالمان بزعامة ليوبولد الثاني دوق «النمسا» وأندرو الثاني ملك «هنغاريا»، شرعت بمجرّد وصولها بالهجوم على القلعة، دون

١. ذيل كتاب الروضتين، ج ٥، ص ١٥٦ ـ ٥٧، والنصّ الموازي في مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج ٨، ص ٥٨٥.

أن تُفلح في الاستيلاء عليها، والنصّ الذي اقتبسناه أعلاه يبدأ من نقطة عودة الصليبيين خائبين، يملأ صدورهم الحنق لما آلتْ إليه حملتهم من فشل ذريع.

والآن نعود إلى نصّ ابن شامة، ابتغاء تحليله وكشف خبيئه.

إنّ سياق الكلام يربط بوضوح ما بعده وضوح بين خيبة الصليبيين في الاستيلاء على قلعة الطور وبين قصد ابن أُخت الهنكري جزّين، وذلك ربط يدلّ على علاقة سببيّة بين الأمرين، يفهم منه المتأمّل أنّه كان لأهلها دور في الدفاع عن القلعة، الأمر الذي أغاظ ابن الاخت، وجعله يُصمّم على الانتقام منهم، والنصّ صريح في أن مقصوده كان أهل الجبل، وليس الجبل نفسه «لا بدّ لي من أهل هذا الجبل»، ولذلك نهاه خاله الملك بقوله: «هؤلاء رُعاة وبلادهم وعر» إلفاتاً إلى فقر المنطقة وجدبها وصعوبة مسالكهاوقبلُ إلى صلابة أهلها، ممّا يجعل العمليّات العسكريّة فيها محفوفة بالمخاطر، فضلاً عن أنّه لا فائدة تُرجى منها.

إذن فالنصّ يحتوي على إشارة مُزدوجة ونادرة جدّاً ـ بل فريدة ـ إلى ما كان لأهل بلد الشهيد من دور في مقارعة الاحتلال. أُولاهما صريحة ومباشرة، هي موضوع النصّ الذي نُعقب عليه، وفيها وصف هذه الواقعة الجليلة التي انتصر فيها أهل جزّين بالشجاعة والتصميم والذكاء وحُسن التخطيط، على الرغم من التباين الكبير في ميزان القوى لصالح عدوهم، والثانية ضمنيّة، هي بالتأكيد لم تكن من همّ المؤرّخ ولا هو رمى إلى بيانها وإنّما فهمناها من تتابع الأحداث كما سجّله أعني: فشل الصليبيين في الاستيلاء على القلعة، عزم الأمير على الصعود إلى جزّين والانتقام من أهلها، ممّا نفهم منه دون ارتياب أنّهم كانوا ذوي دور بارز في الدفاع عنها.

وجدير بالذكر هنا، أنّ سبط ابن الجوزي، بعد أن وصف استبسال المقاتلين في الدفاع عن القلعة، ختم كلامه بالقول: «وكان في الطور أبطال المسلمين وخيار عسكرالشام»[١]. ممّا نفهم منه أنّ وجود أهل «جزّين» في جملة مَن أوكل إليهم الدفاع عن القلعة لم يكن عفواً ولا صدفة، بل لِما كانوا يتمتّعون به من سُمعة طيّبة كمقاتلين، فهذه شهادة لأُولئك «الرعاة»، على حدّ ما قاله الملك أندرو الثاني في وصفهم، بأنهم كانوا، على فقرهم وجشوبة عيشهم، ممن

١. مرآة الزمان، ج ٨، ص ٥٨٤ ـ ٥٨٥.

يُعتمد عليهم في المُلمّات وحين البأس، وهي شهادة زكّوها هم بأنفسهم، بما أظهروه من براعة وشجاعة وحُسن تخطيط.

نقطة أخيرة نقف عندها في ختام هذا التحليل، هي ما ختم به ابن شامة نصّه حيث قال: ««وجاء إلى دمشق بالأُسارى، وكان يوماً عظيما». نسأل: مَن هو ذاك الذي «جاء بالأُسارى»؟ هذا السؤال يطرح تساؤلاً: هل رمى ابن شامة من هذه الصيغة المُلتبسة إلى تجهيل الفاعل، كي لا ينسب الفضل إلى أهل جزّين؟ أم أنّ الأمر بكلّ بساطة يرجع إلى سوء تحقيق المصدر الذي اقتبسنا عنه النصّ، السؤال سيبقى الآن دون جواب، بانتظار أنْ نطرحه استناداً إلى نسخة مُحققة تحقيقاً وافياً من الكتاب.

كلّ ذلك كان كلاماً في التاريخ العام لِجزين وأهلها، وسيكون علينا أن ننتقل توّاً إلى تاريخها الثقافي ممّا يدخل في باب المُهيّئات والمُرهصات لسيرة الشهيد وأعماله.

٢. في التاريخ الثقافي

ما من ريب في أنّ ذلك الهامش من الحريّة، الذي تمتّعت به جزّين، بالقياس إلى غيرها من بلدان جبل عامل، كان شرطاً ومقدّمة ضروريين لِما آل إليه أمرها على يد ابنها الشهيد الأوّل، ويُفسر لنا ـ وإن جزئياً ـ لماذا انبعثت دون سواها لتكون الفاتحة والعنوان لنهضته، فنحن نعرف أنّ الاحتلال الصليبي كان استيطانياً، بمعنى أنّ المُحتلّ يتصرّف على أساس أنّه أصبح بالاحتلال المالك للأرض، وأنّ مَن عليها من البشر عبيد أرض (أقنان)، يُصرّفهم مالكها الفعلي في منافعه كيف يشاء، وغنيّ عن البيان، أنّ قوماً على هذه الحال المزرية ومثلها، لا يُعقل أنْ يكونوا بُناة نهضة، ويستحيل أنْ يصرفوا قسطاً من جهدهم إلى الفكر وشؤونه.

من هنا رأينا أحد أبنائها يجترح أوّل مبادرة في جبل عامل باتجاه المعرفة، فيشدّ الرحال إلى الحلّة القصيّة في طلب العلم التي كانت يومذاك أهمّ مركز علمي شيعي، ليعود منها إلى وطنه، وليكون أوّل فقيه عاملي نعرفه، ذلك هو إسماعيل بن الحسين العَوْدي الجزّيني (م ٥٨٠)[١]. ذلك الرائد الذي يدين جبل عامل لمبادرته بالكثير. بل إننا ـ إذا أخذنا

١. راجع الترجمة له في كتابنا: جبل عامل بين الشهيدين، ص ٦٧ ـ ٦٨.

بالاعتبار تأثير النهضة العامليّة ـ الذي انداح نحو مُختلَف الاقطار فيما بعد ـ بوسعنا أن نقول: إنّ عالم التشيّع كله مدين له ولمبادرته تلك.

وإنّه لمن المُثير للعجب حقّاً أن نرى شخصاً يجترح هذه المبادرة دون سابقة من مثلها في وطنه، ولكن فلنتذكّر ما قصصناه في الفصل السابق عن بنى العَوْد، فقهاء كسروان، وتهجيرهم مع مَن هُجّروا من أهليها إلى جزّين، وعن آل العودي في هذه، واحتمال أن يكون هؤلاء من بقايا أُولئك. فلعلّ ـ بل الأرجح ـ أنّ هذا الرائد لم يصدر في مبادرته الفذة عن غير أساس، بل درج على الدرب الذي عبّدته من قبل أُسرته العريقة، وإذا صحّ هذا فهو من العبر التي تُرينا أنّ غطرسة القوّة والقهر لا يمكن أن تضع نقطة الختام، وأنّ هناك دائماً برسم ضحاياها سبيل مفتوح نحو بداية جديدة.

وتوالت على بلد الشهيد حظوظُه السعيدة، وذلك إذ نزلها آخر فقيه شيعي إمامي كبير أنجبته منارة الشام حلب، هو نجيب الدين أبو القاسم بن الحسين بن العَوْد الحلبي (٦١٨ ـ ٦٧٦) الذي وصفه الذهبي فقال: الفقيه المتكلّم، رأس الرافضة، وشيخ الشيعة[١]. وغنيّ عن البيان، بالنسبة لمن يعرف ما كان عليه أمر جبل عامل عموماً وأمر جزّين خصوصاً في ذلك الأوان، أنّه سيكون لنزول فقيه من مثله فيها أحمد الأثر ممّا ليس في الوسع تفصيله، لبُعد الشقّة في الزمان وعَوْل المعلومات، ولكنّنا نعرف، على الأقلّ أنّه أسّس فيها حركة دراسة وتدريس، نعرف من ثمارها الفقيه الرائد جمال الدين إبراهيم بن أبي الغيث البخاري (ح ٧٣٦). الذي حاول ما أفلح فيه الشهيد فيما بعد، ولكنّه قمع فضاع ذكر أعماله، بل ضاع ذكره هو، ولولا شيء من حُسن الحظّ لَما عرفنا عنه حتّى الاسم[٢].

حقّ أنّ هذا الامتياز الذي حظيت به البلدة قد حصل في سياق مأساة، هي انهيار أمر التشيّع في منارة «الشام» «حلب»، بسبب دخول العناصر العسكريّة القادمة من الأطراف

١. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، (حوادث ووفيات ٦٧١ ـ ٦٨٠). وله ترجمة مُميّزة في ذيل مرآة الزمان لليونيني، ج ٣، ص ٤٣٤ ـ ٣٩.

٢. لتفصيل هذا الاجمال راجع الترجمة المفصلة التي علّقناها له في كتابنا: جبل عامل بين الشهيدين، ص ٧٨ ـ ٨٩.

البعيدة في الصورة السياسيّة للمنطقة، تُحرّكها شهوة السلطة والثروة، وكان خروج ـ بل إخراج ـ أبو القاسم العودي منها[١] من إماراته وعقابيله، لكن العِبرة من هذا السياق أنّ الانهيار هناك قد ساهم في التأسيس والترهيص للترقي هنا، فكأنك تشهد سباقاً بالرايات لا تسقط الراية من يد حتّى تتلقفها يد.

وحقّ أيضاً أنّ هذه النعمة قد نالت جزّين بعد عقود كثيرة من وفاة رائدها الأوّل إسماعيل العَودي، ممّا قد يودع في النفس أنّ التوالي المؤثر مفقود، لكن علينا أن نعتبر أنّنا في هذا نتحدّث عن تغييرات بطيئة عميقة، تحدث عفواً ودون تخطيط على مستوى المُحرّكات الثقافيّة المأزومة، بسبب الانقطاع المُزمن عن مصادرها المعرفيّة، لذلك فإنّ أي مدَد يأتيها سينغرس عميقاً في وعي الناس، ويُهيّئ للخطوة التالية عندما تحصل، وقد عبّر الذهبي تعبيراً بديعاً جدّاً عمّا نحاول فذلكته هنا فقال، وهو يتحدّث عن الموقع العالي الذي اكتسبه أبو القاسم في جزّين: «ثمّ إنّه أقام بقرية جزّين مأوى الرافضة، فأقبلوا عليه وملكوه بالاحسان»[٢]. يعني: جزاء ما أحسن إليهم، ويا لبراعة هذه العبارة! نقول هذا على الرغم من أنّنا نراها قاصرة عن بيان كلّ ما ينبغي بيانه، ذلك أنّها لا تقف على ما نراه أهمّ إنجازات أبو القاسم في وطنه الثاني. أعني تأسيسه لأوّل حركة دراسة وتدريس في جبل عامل نظن أنّها لم تقتصر على تلميذه ابن أبي الغيث بل ضمّت تلاميذ آخرين ضاع ذكرهم ربّما إلى الأبد مثلما كاد يضيع ذكر هذا لولا حُسن حظّه وحُسن حظّنا منه، على أنّنا نعذر الذهبي في تقديره المجزوء، لأنّه يقتضي خبرةً أكبر ممّا كان لديه بالتاريخ الثقافي لجبل عامل. وعلى أنّ الإنصاف يقتضي منّا أنْ نقول: إنّ قوله «فأقبلوا عليه» ربما يعني فيما يعنى ـ وأبو القاسم ذلك الفقيه والعالم الكبير ـ الأخذ عنه والدراسة عليه، ممّا يصلح أن يكون إشارة مُجمَلة إلى تلاميذه المُفترضين.

---

١. وصف الذهبي تمثيليّة إخراج أبو القاسم من حلب فقال: «تردّد إلى الشريف عزّ الدين مرتضى نقيب الأشراف، فاسترسل معه يوماً، ونال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فزبره النقيب، وأمر بجرّه بين يديه، وأركب حماراً مقلوباً، وصُفع في الأسواق، فحدّثني أبو الفضل بن النحّاس الأسدي أنّ فاميّاً [أي بائع بقول] نزل من حانوته وجاء إلى مزبلة، فاغترف غائطاً ولطّخ به ابن العود».

٢. تاريخ الإسلام، حوادث ٦٧١ ـ ٦٨٠.

من التلاميذ المُحتملين لأبو القاسم، جمال الدين أبو محمّد مكّي بن محمّد بن حامد الجِزّيني والد الشهيد، وما من نصّ على ذلك، ولكن خطّ حياة ابن حامد يتناسب مع الفترة التي عاش فيها أبو القاسم في بلده جزّين، فلقد عرفنا أنّ أبو القاسم توفّي فيها سنة ٦٧٦. ونقول الآن إنّ والد الشهيد كان حيّاً سنة ٧٢٨. ويا ليتنا نعرف تاريخ مولده، لكي نكون أقرب إلى القطع في هذا التفصيل من سيرة الإثنين، استناداً إلى تقاطع عمريهما. الذي يُكمل التقاطع المكاني، أعني حياتهما كلاهما في جزّين.

مهما يكن، فإنّ ممّا لا شكّ فيه أنّ اختيار أبو القاسم جزّين ـ البعيدة عن وطنه الأصلي حلب ـ ليُمضي فيها ما بقي له من العمر، بعد أن نزل به ما نزل، لا يخلو إجمالاً من دلالة على ما اكتسبته من موقع مُتميّز يعود الفضل فيه أوّل ما يعود إلى الرائد إسماعيل العَوْدي الجِزيّني.

في الأوان الذي كانت فيه تلك الحركة الداخليّة عالقة في جزّين، كانت هناك غير بعيد عنها نبضات قد بدأت تعمل، وكأنّ هناك إيقاعاً غير مسموع يُنسق حركات جسم المنطقة التي عاشت زهاء قرنين من الزمان في حالة من الاستلاب الثقافي بسبب وقوعها تحت الاحتلال، وهاهي الآن تتهيأ للخروج منها، تلك النبضات تشهد بأنّه قد بدأت فيه حياة جديدة بالفعل مثلما يحصل للحَمل في رحِم أمه، قبل أن يخرج إلى الحياة الدنيا، فتبدأ أعضاؤه بالعمل بالتوالي عضواً إثر عضو في ترتيب ربانى مُعجز.

في مشغرة إلى الشرق من جزّين يوسف بن حاتم (ح ٦٦٤). وفي «طلّوسة» جنوبها صالح بن مُشرف الطلّوسي (ح أوائل القرن٨). وفي المنارة أقصى جنوبها، طومان بن أحمد المناري (ح ٧٢٨). وفي «مجدل سلِم»، جنوبها أيضاً إبراهيم بن أبي الغيث البخاري (ح ٧٣٦)، وكلّ هؤلاء ساروا على الدرب الذي سار عليه من قبل الرائد إسماعيل الجزيني، فنفروا إلى الحلّة ورجعوا إلى قومهم، وكان لكلٍّ منهم دوره التاريخى[١].

١. لتفصيل هذا الاجمال، والاطّلاع على الترجمة لكلٍّ من هؤلاء الروّاد، نرجو الرجوع إلى كتابنا جبل عامل بين الشهيدين، ص ٦٧ وما بعدها.

ولا يذهبنّ بقارئ الظنّ إلى أنّنا بتعريجنا على ذكر هؤلاء الروّاد، قد خرجنا من إطار جزّين وبالتالي على عمود البحث كلّا فهذه البلدان متقاربة جدّاً جسداً وروحاً أي أنّ كلّ ما يجري في إحداها يظهر أثره على الأُخرى، ومن ذلك أنّ مكّي بن محمّد الجزيني والد الشهيد قد درس على البخاري. وأنّ البخاري ابن «مجدل سلِم» أخذ عن ابن العَوْد في جزّين، كما قلنا فيما فات.

هؤلاء الرجال الروّاد الذين نراهم الآن من موقعنا العالي في الزمان مُصطفين في أعماق صورة جبل عامل في تلك المرحلة الانقلابيّة من تاريخه، هم الذين بنى الشهيد على الاساس الذي مكّنوا له وكان من فضله أنّه بنى فأعلى.

ملمح أخير وغريب في هذا التتبّع للحركة الداخليّة في جزّين تمهيداً للدخول المهيمن للشهيد نقرأه في ما نعرفه من سيرة أحد أبنائها أسد الدين الصائغ الجزيني (ح النصف الأوّل من القرن ٨). الذي قيل فيه إنّه «شيخ الشهيد، وعمّ أبيه، وأبو زوجته» وإنّه «لم يشتهر بين الفقهاء لغلبة العلوم الرياضيّة عليه»[١]. فإذا صحّ ما قالته المعلومة الأخيرة، من أنّه كان مُتمكنّاً من العلوم الرياضيّة، فهذا يطرح سؤالاً كبيراً: من أين استقى معرفته هذه في تلك المرحلة المُبكّرة من نشأة الحياة العقليّة في وطنه؟ ترى هل كانت إمكانات جزّين العلميّة في ذلك الأوان أغنى ممّا نعرف بحيث تُنتج عارفاً في هذا العلم؟ من الواضح أنّ هذا السؤال يتجاوز إشكاليّات السيرة الشخصيّة لأسد الدين، ويصل إلى ما هو أكبر بكثير، أي إلى مستوى الحالة المعرفيّة التي كانت عليها جزّين عشيّة بروز ابنها الكبير محمّد بن مكّي.

لكنّنا لا نملك على هذا السؤال جواباً.

مهما يكن فممّا لاريب فيه أنّ جزّين كانت في ذلك الأوان في وضع مُتقدّم بالقياس إلى كلّ رصيفاتها ممّا ذكرناه من قرى وبلدان جبل عامل التي أنجبت روّاداً، أعني: المنارة وطلّوسة ومجدل سلِم و مشغرة، وبالتالي فلن يكون من الغريب ولا المفاجئ أن تُنجب البطل المُنتظر.

---

١. أعيان الشيعة، ج ٣، ص ٢٨٥.

خلاصة الفصل

جزّين بلدة شمال جبل عامل في منطقة وعرة، يبدو أنّها حديثة التمصير نسبياً بشهادة اسمها العربي، وأن لاذكر لها في المصادر البلدانيّة القديمة مصّرها قوم نزحوا إليها من «سهل المأذنة» بجوار مدينة النبطيّة حيث عاشوا فيها حياةً فقيرة اعتماداً على رعي المواشي.

لكنّهم، في المقابل، كانوا يتمتّعون بالحريّة التامة، التي كان يفتقر إليها عامّة إخوانهم في جبل عامل، الذي كان آنذاك يرزح تحت الاحتلال الصليبي.

إنّ مفتاح تاريخ جزّين الذي جعل منها في المستقبل غير البعيد على يد ابنها محمّد بن مكّي، رائدة النهضة، هو في هذا القسط من الحريّة الذي تمتّع به أهلها ولولاه لما كان لها أن تأخذ المبادرات المتوالية في الطريق الطويل نحوها.

أُولى تلك المبادرات ـ وربّما أكثرها أهميّة ـ رحلة ابنها إسماعيل العَوْدي، التي وصلت بلده بالينبوع الوحيد آنذاك لاستيراد العنصر المعرفي الضروري لإعادة البناء بعد أن انقطع بسبب الاحتلال، وذلك حين شدّ الرحال إلى الحلّة وحضر على علمائها، وبذلك كان أوّل عالم أنجبه بلده.

ثانيها هجرة أكبر عالم شيعي في الشام في زمانه إليها هو أبو القاسم بن العَوْد بعد أنْ نُكِّلَ به في وطنه حلب، كان من بركتها وحميد أثرها أنْ أسّس فيها أوّل حركة تدريس عرفها جبل عامل، نعرف من ثمارها أحد كبار روّاد النهضة إبراهيم بن أبي الغيث البخاري. ونظن أنّ بركتها أكبر بكثير ممّا نعرف.

وخلال مدّة قرن تقريباً من الريادة سار على الدرب روّاد آخرون: يوسف بن حاتم المشغري، وطومان بن أحمد المناري، وصالح بن مُشرف الطلّوسي، ومكّي بن محمّد الجِزّيني والدالشهيد، وأسد الدين الصائغ الجزيني. ولكلٍّ من هؤلاء دوره المُميّز في هذا التأسيس. الأمر الذي جعل المسرح مُهيّئاً لمن يُحوّل هذه الحركة البطيئة إلى نهضة حقيقيّة فاعلة، وما كان ذلك المؤمل المُرتجى غير الشهيد الأوّل محمّد بن مكّي الجِزّيني.

الفصل الثالث
في السـيرة

إشكاليّات البحث

تكلّمنا في مقدّمة هذا الباب على ما ينبغي الكلام عليه في المقدمات من مصادر البـحث، ونقول الآن:

يمكن قسمة سيرة الشهيد إجمالاً ـ من حيث توفروعدم توفرالمصادر الموثوقة عنها ـ إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل: المولد والنشأة. وهذه لانجد عنها أيّ معلومات أساسيّة، وهو أمر طبيعي بالنسبة للكبار الذين ينبتون في الغُمار، إذ لايبدأ الاهـتمام بـتسجيل سـيرتهم إلّا بـعد أن يصبحوا ملء الأعين، وإذ ذاك تكون معالم سيرتهم الأُولى قد ضاعت وغدت نِسياً منسياً، وما نجده في المصادر عنها فيما يخصّ سيرة الشهيد إنّما هو حدسيّات وتخمينات، استقاها كاتبها ممّا لديه من معرفة ـ أو ما يعتقد أنّه معرفة ـ بالظرف الذي اضطرب فـيه صـاحب السيرة في نشأته الاولى، وهذا أمر مقبول من حيث المنهج في غياب النصوص المـباشرة شرط أن تُسجّل النتائج بوصفها ظنوناً من درجة أو غيرها، ولا ترقى إلى مرتبة العلم أو ما يُشبهه، والشأن كلّ الشأن بعدُ في مدى صدق التصوّرالذي يملكه الكاتب، أو طِبقاً لِما عبّرنا عنه أعلاه، في معرفة الظرف، وكلّما كانت تلك المعرفة دقيقة وغنيّة بالتفصيلات كلّما أتت نتيجتها أقرب إلى الحقيقة، ومن هنا يلمس القارئ الحصيف أهميّة ما أمضينا فيه الصفحات السابقة التـي سـنراهـا ـ أعـنى تـلك الأهـمّيّة ـ فـي كـافة مـراحـل البـحث، وهـنا أي فيما يخصّ هذا القسم ما علّقناه في خواتيم الفصل الثاني على الحياة العقليّة فـي جـزّين عشيّة مولده.

القسم الثاني: فترة الإعداد أي إعداد الشهيد نفسه بالطلب ولقاء أهل العلم في الحلّة وغيرها، وهذه تتوفّر عنها المعلومات بفضل التقاليد الأكاديميّة التي كانت مُتبعة في ذلك الاوان من إجازات وإنهاءات فضلاً عن تاريخات لِما صنفه أو نسخه.

القسم الثالث: فترة العمل والنشاط في وطنه جبل عامل وفيما والاه وخصوصاً في دمشق مركز السلطة الإقليمي، وهذه تتفاوت مصادر البحث فيها من حيث ما تمنحه للبحث وللباحث تفاوتاً كبيراً، فبالنسبة لأعماله العلميّة فهي كسابقتها غنيّة بالوثائق بما فيها من إجازات وإنهاءات.

أما نشاطه السياسي والاجتماعي وعلاقاته العامة فإنّ الاشارة إليها وردتنا في عبارات مجزوءة، مقطوعة عن سياقها والسبب في ذلك، فيما يبدو لنا، ليس أنّ مَن سجّلها قد تعمّد ذلك وإنّما لأنّها كانت في أوانها أُموراً معروفة مشهورة، وبصفتها هذه فهي في غنى عن التفصيل والبيان، ولكنّها مع كرّ الأعوام وتوالي القرون وتناسي ملابساتها تغدو ضئيلة الفائدة، أو فلنقل أنّ الفائدة منها متوقفة على نجاح الباحث وتوفيقه في إعادة تركيب تلك الملابسات استناداً إلى ما تحت يده من مصادر موازية، وهذا أمر ليس باليسير دائماً فضلاً عن أنّ نتائجها تبقى، هي الأُخرى، ظنيّة.

١. النسب والمولد والنشأة

أ) في النسب: هو «محمّد بن مكّي بن محمّد بن حامد الجزيني»، هكذا كتب اسمه رجلان عالمان عرفاه عن قرب مدّة مديدة. أحدهما شيخه محمّد بن الحسن الحلّي، الشهير بفخر المحقّقين (م ٧٧١) وذلك في الإجازة التي كتبها له [١]، والآخر محمّد بن محمّد الجزَري (م ٨٣٣) في الترجمة التي علّقها له في كتابه غاية النهاية في طبقات القرّاء مُستنداً إلى «ماكتب بخطّه لي في استدعاء» [٢] أي أنّ الكتب مصدره الشهيد نفسه، وهذا كافٍ في إيصال البحث في هذه المسألة إلى ما يحسن السكوت عليه، ومع ذلك فإنّه لابدّ من الاشارة إلى تركيبات إسميّة مختلفة يبدو أنّها إمّا من تصحيفات النساخ، أو من باب التساهل بإغماض

١ و٢. ونصّها في الفصل السابع من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

اسم بعض الاجداد، من ذلك: «محمّد بن محمّد بن حامد بن مكّي» [١] و «محمّد بن أحمد بن حامد بن مكّي» [٢] إلى غير ذلك، والأمر هيّن.

لكن هاهنا ملحوظة لابدّ من إيرادها على سبيل استقراء كلّ ما في مختلف المصادر في هذا الشأن هي أنّ الحر العاملي يترجم «لطه بن محمّد بن فخر الدين»، واصفاً إيّاه بأنّه «جدّ الشيخ الشهيد محمّد بن مكّي» وبأنّه «عالم ثقة زاهد» [٣]. والاسم نفسه نجده في مختصر نسيم السحَر، هكذا: «محمّد بن شرف الدين مكّي بن حامد بن طاها بن على». أي أنّه والد جدّ الشهيد، وليس جدّه، ويؤخذ من هذين المصدرين إجمالاً أنّ في سلسلة نسب الشهيد مَن اسمه طه [٤]، وتحقيق القول في طه هذا وفي موقعه من سلسلة نسب الشهيد عسير جدّاً، إن لم يكن مستحيلاً، وعلى كلٍّ حال فالأمر كما قلنا آنفاً هيّن.

كلّ هذا فيما يعود إلى نسبه القريب.

فيما يرجع إلى نسبه البعيد. فإنّنا نشهد خليطاً متهافتاً من الأنساب:

ـ **المطّلبي** الذي يبدو أنّه نسبةً إلى عبد المطلب بن هاشم، جدّ النبيّ ﷺ، وقد نسب الشهيد نفسه هكذا كثيراً، وربّما لهذا دأب حفيده البعيد محمّد مكّي، الذي اختصر نسيم السحَر، على نعته بـ «الشريف».

ـ **الخزرجي** نسبة إلى القبيلة المعروفة، نسبه إليها حفيده نفسه.

ـ **الحارثي** نسبةً إلى الحارث الهمْداني [٥].

ـ **المُنتسب لسعد بن معاذ سيّد الأوس**. قالت ذلك ابنته فاطمة في وثيقة الهبة [٦].

---

١. ورد في ختام إجازته لابن الخازن الحائري التي ستأتي في الفصل الثامن من الباب الثالث من هذا الكتاب.

٢. وذلك في نصّ هبة فاطمة ابنة الشهيد أخويها ما يخصها من تركة أبيها. التي وردت في الفصل التاسع من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

٣. أمل الامل، ج ١، ص ١٠٥. مع ضروة الاشارة إلى أنّ هذه الترجمة وردت فقط في إحدي النسخ الثلاث التي اعتمدها المحقّق. وهي نسخة محفوظ أصلها في مكتبة آية الله الحكيم العامّة في النجف برقم ٤٥٧ مخطوطات. وقد وصفها المحقّق في المقدّمة بأنّها كثيرة الأخطاء والتصحيفات والسقطات جداً.

٤. انظر الفصل الثاني من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

٥. راجع الفصل الثاني من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

٦. ورد نصّها في الفصل التاسع من الباب الأوّل من هذ الكتاب.

وغنيّ عن البيان أنّ الأقوى سنداً من هذه الأنساب هو المُطّلبي، لمكان نسبة الشهيد نفسه هكذا، وأنّه لا يمكن قبولها دفعةً واحدة لِما بينها من تهافت بيّن. وإنّما بسطنا الكلام عليها للتنبيه إلى ذلك، ويُستفاد من نسبته إلى عبد المطلب أنّ أصل أُسرته من مكة.

ب) **في المولد:** وسنتناول هذه المرحلة من السيرة من جانبي المكان والزمان.

أوّلاً في مكان المولد: ما من نصّ صريح مباشر في المصادرعلى ذلك. ولكن الحرّ العاملي ينعت والد الشهيد بـ«الجزّيني»[١] ممّا يُفهم منه أنّه على الأقلّ قطنها ثمّ إنّ محمّد مكّي يقول في مختصر نسيم السحَر: «ذكر تاريخ ولادته [يعني الشهيد]، وكيفيّة حاله بعد أبيه ببلدة [ببلده؟] جزّين»[٢]. الأوّل دليل ظرفي على أنّ مولده كان في جزّين، أما الثاني فهو أقرب إلى التنصيص على أنّ مولده كان فيها، خصوصاً إنْ فهمْنا أنّ العائد في قوله «ببلدة [ببلده] جزّين» هو تاريخ ولادته، وليس حاله بعد أبيه.

لكن حفيده ينعته بـ«الحانيني الجزيني». و حانين بلدة في جبل عامل قريبة من بنت جبيل، غير بعيدة عن الحدود الدوليّة الفاصلة بين لبنان السياسي والارض المُحتلّة، والعادة أنّ هذا الترتيب في النسبة يعني أنّ المعنيّ بالكلام كان في المنسوب إليه أوّلُ، فهل يمكن أنْ نفهم من ذلك أنّ الشهيد وُلد في حانين ثمّ تحوّل أو تحوّل به والده إلى جزّين؟ احتمال مقبول، خصوصاً وأن قائله، الذي نُرجّح أنّه مؤلف نسيم السحَر محمّد بن على بن الوحيد البتدّيني، عارف بما خفي عنّا من سيرة أُستاذه، أضِف إلى ذلك أنّه ما من سبب للزعم بأنّ هذا القول منه هو اجتهاد لا يستند إلى معلومات مؤكّدة.

ثانياً في تاريخ مولده: يقول الشهيد الثاني زين الدين بن على الجُباعى (م ٩٦٥) مانصّه:

> وجدتُ بخطّ الشيخ رضي الدين أبي طالب ـ وَلَد شيخنا السعيد محمّد بن مكّي ـ على ظهر كتاب الذكرى بخطّ مصنفه السعيد ما مُلخّصه:
>
> وُلد المصنّف في شهور سنة أربع وثلاثين وسبعمائة[٣].

وقد نقل هذا النصّ عبد الله أفندي في كتابه رياض العلماء ببعض تصرّف ثمّ المُحدّث

---

١. أمل الآمل، ج ١، ص ١٨٥.

٢. مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق هذا الكتاب.

٣. راجع الفصل الثالث من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

النوري في مستدرك الوسائل. وكان هذا سبب ذيوع هذا التاريخ، خصوصاً أنّه صدر عمّن لا يرقى الشك إلى وثاقته ومعرفته، بحيث إنّ السيّد حسن الصدر قال في كتابه تكملة أمل الآمل: «تولّد سنة أربع وثلاثين وتسعمائة [كذا. وهو خطأ طباعي] بلا خلاف»، وبُنيَت عليه أُمور وأُمور ممّا هو من سيرة الشهيد [١]، في حين أنّ ما بُنى كان الأحرى به عند الناقد أن يكون سبباً للتأمل في صحّة النصّ.

إنّ ما يستفيده الباحث من مجموعة من الوثائق الأساسيّة ذات العلاقة بسيرة الشهيد أيّام الشباب أنّه بين السنتين ٧٥٠ و ٧٥٨، قام بنشاط واسع جداً، فيه أسفار وتحصيل واستجازات وإجازة وتصنيف، أتمّها ـ بناءً على أنّه وُلد في تلك السنة ـ وله من العمر أربع وعشرون سنة، هذا إجمالاً أمر غير معقول [٢].

نعتقد ـ ونظراً لغياب النصّ الموثّق الدقيق المباشر أنّ أفضل ما لدينا على هذا التفصيل ـ من سيرة الشهيد هو ما في الترجمة التي علّقها له صاحبه شمس الدين الجزَري. وفيه:

وُلد بعد العشرين وسبعمائة. ورحل إلى العراق. وأخذ عن ابن المُطهّر وغيره [٣].

والكلام هنا للجزَري وليس للشهيد. مع أنّه أتى بعد قوله: «كذا كتب إليَّ في استدعاء». التي نُرجّح أن مرجعها قوله «محمّد بن مكّي بن محمّد بن حامد أبو عبد الله الجزّيني الشافعي». خصوصاً الشافعي. بشهادة قوله بعدُ «ولكنّه شيخ الشيعة والمجتهد في مذهبهم». وهذا تلميح يُشبه التصريح بأنّه غير مقتنع بزعم الشهيد أنّه شافعي المذهب، وقوله بعد هذا مباشرةً: «وُلد... .الخ». هو استئناف لكلام جديد لاعلاقة له بما كتبه الشهيد إليه «في استدعاء». يؤيّد ذلك أنّ في نهاية العبارة خطأ كبير لا يمكن نسبته إلى الشهيد، هو قوله: «وأخذ عن ابن المُطهّر» أي العلّامة الحلّي الذي توفّي عام ٧٢٦، أي قبل ورود الشهيد الحلّة بالتأكيد. إلّا أن يكون المقصود بابن المُطهّر فخر المحقّقين، ابن العلّامة وشيخ الشهيد، وهو

---

١. من ذلك: أنّ الشهيد هاجر إلى «الحلّة» عندما كان له ستّ عشرة سنة. وأنّه نال إجازة شيخه فخر المحقّقين وهو في السابعة عشرة. وأنّه عندما نال درجة الشهادة كان له من العمر اثنتان وخمسون سنة.

٢. راجع الفصل الرابع من الباب الأوّل، أعني فصل «السرد التاريخي لرحلاته وحياته العلميّة» في هذا الكتاب ففيه بحث متين، اقتضى من المؤلف جهداً كبيراً مشكوراً. بيّن بالتفصيل ما أشرنا إليه من أعمال الشهيد أثناء تلك السنوات الثمان.

٣. غاية النهاية، ص ٢٦٥.

أمر بعيد جدّاً، خصوصاً على ألسنة فقهاء السنّة في الشام، أضف إلى ذلك أنّ إسناد العبارة إلى الشهيد، فيما كتبه، يعني أنّه لم يكن يعرف تاريخ مولده إلّا على نحو الإجمال «بعد العشرين وسبعمائة»، وهو أمر لا يقلّ بُعداً عن سابقه.

ومع ذلك كلّه فإنّنا نرى أنّ هذا التاريخ هو الأقرب وأنّه يحلّ كافة الإشكالات التي كانت سبب اعتراضنا على النصّ المنسوب للشيخ رضي الدين. ولعلّ «وثلاثين» تصحيف، صوابها: «وعشرين». وهو تاريخ نقبله على مضض، في غياب ما هو أدقّ وأوثق.

ج) في نشأته. إلى هنا نكون قد حقّقنا بقدر الوسع أنّ الشهيد وُلد في جزّين سنة ٧٢٤ على نحو التقريب، والسؤال التالي بحسب التطوّر الطبيعي لعمارة السيرة يتناول نشأته الأُولى فأين وعمّن تلقى في مُقتبَل العمر؟

النصّ الوحيد الذي يلتفت ـ ولا نقول يُعالج ـ إلى هذه النقطة من سيرته وردت عرَضاً فيما ذكره حفيد بعيد للصائغ في «بعض تعليقاته»، حيث ترجم للشيخ أسد الدين الصائغ الجزّيني واصفاً إيّاه بأنّه «شيخ الشهيد الأوّل وعمّ أبيه وأبو زوجته»[١]. والنصّ غير مُسنَد، والمترجَم له غير معروف، ولم يُذكَر في أيّ مصدر آخر، وما من حُجّة للبناء عليه سوى ثقتنا بالناقل والمنقول عنه، وعليه فها نحن نُسجّله دون تعليق.

ومع ذلك، فإنّنا على ثقة تامّة من أنّه تلقى تأهيلاً علمياً جيّداً في وطنه. أو، على الأقلّ، قبل أن يشرع في رحلاته العلميّة الطويلة.

والدليل على ذلك:

أنّه بدأ رحلاته تلك بالحجاز، فأدّى فريضة الحجّ فيما يبدو، ثمّ أقام زمناً ما في المدينة حيث كتب قسماً من مجموعته الشهيرة في المدينة المُنوّرة سنة ٧٥٠[٢] والمجموعة هذه كتاب كبير أدخل فيه عدداً من الكتب والرسائل النادرة، وأخباراً متفرقة انتخبها من كتب وأُصول القدماء[٣] ما نبتغي الإلفات إليه الآن هو أنّ مجرد اهتمام الشهيد بهذه التسجيلات هو بنفسه دليل على أنّه كان في مرحلة متقدّمة من النضج العلمي.

---

١. أعيان الشيعة، ج ٣، ص ٢٨١. والحفيد البعيد هو أسد الله الصائغ الحنويهي العاملي.
٢. مجموعة الجُباعي، الورقة ١٣٥/أ.
٣. راجع الفصل الخامس من الباب الثالث من هذا الكتاب: «فوائده المتفرقة وأعماله العلمية».

تلقى أُولى إجازتيه من شيخه فخر المحقّقين في الحلّة بتاريخ العشرين من شعبان عام ٧٥١[١].

أجازه شيخه عميد الدين عبد المطلب بن محمّد ابن الأعرج الحسيني (م ٧٥٤) في كربلاء بتاريخ ١٩ رمضان ٧٥١[٢].

أجازه شيخه نفسه سنة ٧٥٢ في الحلّة بعد أن قرأ عليه الجزء الأوّل من تذكرة الفقهاء[٣].

إنّ امرءً يصرف جهده إلى ما انصرف إليه وهو يخطّ المجموعة، ويتلقى ثلاث إجازات من شيخين من أبرز الشيوخ في الحلّة آنذاك، أولاها بعد أن طرقها بسنة، لابدّ أن يكون قد تلقّى من قبل تأهيلاً علمياً لائقاً بما يهتم وبما نال.

ولكن: أين؟

الاحتمال الوحيد الوارد هو في بلده جزّين، ولقد سجّلنا قبل قليل ما نقله السيّد الأمين عن أسد الدين الصائغ الجزّيني، ووصفه بشيخ الشهيد ونُضيف الآن احتمال أن يكون قد حضر على والده الذي نعرف أنّه كان حياً سنة ٧٢٨، وهي سنة وفاة شيخه طومان بن أحمد المناري. فإذا صحّ ماانتهينا إليه في القسم السابق، من ترجيح أن يكون التاريخ الصحيح لمولد الشهيد هو العام ٧٢٤، فهذا يعني أنّه كان في الرابعة أو الخامسة بذلك التاريخ، ويا ليتنا نعرف تاريخ وفاة الوالد على الأقلّ لنكون أقدر على الظنّ ـ لا أكثر من الظنّ ـ في هذه الإشكاليّة العسيرة، فنقول ـ مثلاً ـ: إنّ والده هو الذي بدأ تعليمه، جرياً على عادة كثير من العلماء في الاعتناء بأبنائهم، خصوصاً في الظرف التأسيسي الذي كانت عليه جزّين في ذلك الأوان، حيث كان الأساتذة المؤهّلون لمثل هذه المُهمّة نادرون، وربّما معدومون، كما نُذكر هنا بما قلناه في خواتيم الفصل السابق عن جزّين، وإمكانياتها العلميّة عشيّة النهضة، واحتمال أن تكون أكبر بكثير ممّا نعرف، الأمر الذي ـ إن صحّ ـ يوسع من دائرة الاحتمالات في هذا الشأن، فهذه احتمالات ثلاث على هذه الإشكاليّة لابدّ أن يكون واحد منها على الأقلّ صحيحاً، ولكنّنا عاجزون عن الترجيح بينها لعَوْل المعلومات.

---

١. راجع الفصل الرابع من الباب الأوّل من هذا الكتاب.
٢ و٢. راجع الفصل الرابع من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

٢. في الحلّة

مهما يكن، فإنّه بتاريخ ٢٠ شعبان ٧٥١ كان في الحلّة بدار فخر المحقّقين محمّد بن الحسن الحلّي[١]، أوّل أشياخه فيها وأعلاهم مكانةً وأوسعهم شهرةً ولقد عرفنا ممّا فات قبل قليل أنّه في السنة الفائتة كان في المدينة، حيث كتب قسماً من مجموعته، واستناداً إلى هذين التاريخيَن المُحقّقيَن بوسعنا أن نقول أنّه وصل إليها، بعد أن حجّ وزار قبر النبيّ ﷺ، في إحدي تيك السنتين لا يعدوهما، ولنلاحظ أنّ هذه هي أوّل مرّة يصِل بنا البحث في هذه السيرة إلى تاريخ مؤكّد، وعلى درجة مقبولة من التحديد، والفضل في هذا للتقاليد الآكاديميّة الراسخة التي درج عليها سلفنا الصالح.

كانت الحلّة يوم دخلها ابن مكّي أهمّ حاضرة شيعيّة إماميّة وأكثرها حيويّة، ما تزال تنعُم بالحضور البهي لابنها العظيم الحسن بن يوسف بن المُطهّر الحلّي الأكثر شهرة بالعلّامة الحلّي (٦٤٨ ـ ٧٢٦). الذي ملأ الدنيا وشغل الناس بعلمه وتصانيفه ونشاطه في غير ميدان، وكان عامّة الأساتذة والشيوخ فيها آنذاك من تلاميذه، كما كانت أمينة على النهج الأصولي العقلي الاجتهادي الذي أسّس له وشاده فأحسن التأسيس والإشادة ابنها العظيم الآخر محمّد بن إدريس الحلّي (م ٥٩٨)، وليحتفظ القارئ بهذه المعلومة في ذهنه لحاجتنا إليها فيما يأتي، خصوصاً حيث سنستعرض العالم الفكري لبطل هذه السيرة وتكوينه العقلي المنهجي.

غاص الشهيد عميقاً في المجتمع العلمي لالحلة إلى حدّ الاندماج، كأنّما التقى الشاب الطلعَة ابن جبل عامل المأزوم الباحث عن هويته، بما يحمل من أشواق علميّة مشبوبة بالنبع الثرّ فكرع منه حتّى الثمالة، وكأنّه يبتغي أن يستنفد إمكاناته العلميّة، يشهد لذلك عديد أساتذته وشيوخه فيها، وهم نُخبة تلاميذ العلّامة.

فهؤلاء هم عُمدة أساتذة وشيوخ الشهيد في الحلّة على اختلاف أقدارهم وتفاوت أعمالهم، ولن يكون من العسير على القارئ الحصيف الذي وعى ما سجّله هو من انطباعات عن بعضهم وما ذكره ممّا قرأ عليهم أن يرسم خطاً بيانياً يضع فيه كلّاً منهم في الموضع

١. راجع الفصل الرابع من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

المناسب لدرجة فضله في بناء هذا الشاب، القادم من بقعة لم تكن حتّى ذلك الأوان شيئاً مذكوراً، اسمها جبل عامل ولكنّها ستتربّع بعد قليل بفضله على إحدى القِمم في التاريخ الثقافي للتشيّع الإمامي.

٣. بدء صلته بعليّ بن المؤيّد الخراساني

لن نغادر الحلّة مع الشهيد، قبل أن نقِف وقفةً مّا على بداية صلته بابن المؤيّد لِما لهذه الصلة من دلالات خطيرة ستكون موضع اهتمامنا فيا يأتي، وأيضاً لأنّ هناك من الادلّة ما يكفى على أنّها بدأت عندما كان ما يزال في الحلّة.

أعلى تلك الادلّة سنداً هو ما ورد في مختصر نسيم السّحَر، حيث قال:

> فبينما هو في الحلّة إذ قد ورد عليه مكاتيب من عليّ بن مؤيّد، سلطان العجم، وفيها الحثّ والالتماس منه على الحضور لديه للتشرّف بقدومه والانتفاع بعلومهوأكثر في التلطّف والتودّد له فيها، فأجابه واعتذر له بما يناسب الحال والمقال[١].

وعليّ بن المؤيّد العلوي، نسبةً إلى الإمام عليّ عليه السلام، لانّ مؤسّس الأُسرة عبد الرزاق بن فضل الله باشتيني (حكم: ٧٣٧ ـ ٧٣٨) زعم أنّه ينتسب إليه، وهي أُسرة من الثوّار من سبزوار عُرفت بـ«سربداران»: (جدير بالشنق، على المشنقة) قاد مؤسّسها عصياناً على والي خراسان المغولي، وهو نفسه كان جابي ضرائب بخدمته.

وبالنتيجة استولى على مدينة سبزوار وما والاها، ثمّ على نيسابور و إستراباد وغيرهما، وخلال نصف قرن توالى على السلطة منهم اثنى عشر (سلطاناً). آخرهم عليّ بن المؤيّد (حكم: ٧٦٦ ـ ٧٨٣). وهو أطول أفراد الأُسرة حكماً، وهذا يصلح دليلاً على حنكته ودهائه، ولكن كان من سوء حظّه أن انقرضت الدولة في عهده، باستيلاء تيمور على البلاد.

من المؤكّد أنّ مصدر ما نجده في مختلف المصادر عن رسالة ابن المؤيّد الأُولى إلى الشهيد مصدرها كتاب نسيم السحَر المفقود، فذكرها في مختصره دليل على أنّها مذكورة

---

١. مختصر نسيم السحر ضمن ملاحق هذا الكتاب. وقد أورد الشهيد الثاني كلاماً مشابهاً جدّاً لعبارة المختصر، ممّا يدلّ على أنّ أصله كان عنده أو اطلع عليه. انظر: الروضة البهيّة، ج ١، ص ٢٤.

أيضاً في الأصل، وبما أنّ مؤلف هذا الكتاب هو من تلاميذ الشهيد، فيمكن القول أنّ مصدره هو الشهيد نفسه، وهذه نتيجة منطقيّة، ما دام موضوعها رسالة شخصيّة.

لكنّنا نعرف أنّه عندما تسلّم ابن المؤيّد السلطة لم يكن الشهيد في الحلّة بالتأكيد، على أنّ هذه الملاحظة لاتتجه إلى نفي الخبر أصلاً خصوصاً وأنّ سنده قوي(من الشهيد، إلى تلميذه البتدينى، إلى نسيم السحَر، إلى مختصره)، بل نستظهر منها أنّ الرجل عندما كان يُهيئ نفسه لاستلام السلطة، بينما كان أسلافه يتساقطون الواحد تلو الآخَر، كان هو يُعدّ لأمر كبير شبيه بما نجح فيه الشاه إسماعيل الصفوي الأوّل بعد قرن ونصف.

هذا التصوّر يناسب رجلاً على ما أشرنا إليه من دهاء وحنكة، ويناسب ثورةً قامت على قاعدة مطلبيّة جماهيريّة، هي مقارعة الظلم والظالمين، ونحن نعرف أنّ التشيّع كان في إيران في ذلك الأوان وبعده شعار الطبقات المسحوقة تحت أقدام دول الطوائف والإقطاعيين والمغامرين العسكريين، ولذلك فقد رفع مؤسّس الدولة نسبه إلى الإمام عليّ عليه السلام، وعندما تسلّم ابن المؤيّد السلطة أعلن التشيّع الإمامي في دولته، وكان «يضرب السكّة باسم الأئمّة الاثني عشر ويخطب بأسمائهم»[1]، من هنا نرى في الفترة التي حكم فيها السربداريون وخصوصاً آخرهم ابن المؤيّد إحدي تعبيرات شعوب الهضبة الإيرانيّة عن التحفز العميق الذي يعتمل داخلهم باتجاه التشيّع، ذلك التحفز الذي وجد التعبير النهائي في الدولة الصفويّة وحتّى اليوم.

الآن نسأل: لماذا أبي الشهيد أن يُلبّي الدعوة الكريمة الموجّهة إليه ولم يتحرّك فوراً باتجاه إيران، كما فعل والد شيخه فخر المحقّقين العلّامة الحلّي الحسن بن يوسف بن المُطهّر حين لبى دعوة أُولجايتو محمّد خدابنده (حكم: ٧٠٣ ـ ٧١٦)؟

نطرح السؤال لا لأنّنا نملك الجواب فهذا الأمر ومثله علمه عند المُطّلع على السرائر سبحانه وتعالى، وإنّما ليودعه القارئ ذهنه فلعلّ الجواب عليه خبيء في بعض ما سيأتي من سيرة الشهيد الحافلة، وسنقِف فيما يأتي على دعوة ابن المؤيّد الثانية له، وهو في خِضمّ صراعه المكتوم المُتعدّد الجوانب مع الظروف المُستحيلة المُحيطة به.

---

١. عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص ٢٠.

٤. ما بعد الحلّة، رحلاته العلميّة

بتاريخ «يوم الأربعاء لاثنتي عشر ليلة خلت من شعبان سنة سبع وخمسين وسبعمائة» كتب الشهيد في «الحلّة» إجازة لجمع غفير من تلاميذه، قرأوا عليه كتاب علل الشرائع للشيخ الصدوق[١]، وهي أوّل إجازة صدرت عنه، ممّا يدلّ على أنّه بعد أن أقام فيها سبع أو ثماني سنوات مُتفرّغاً للتحصيل قد غدا من أساتذتها البارزين وصاحب حلقة وبتاريخ منتصف ذي القعدة من السنة نفسها أتمّ تصنيف الجزء الثاني من كتابه الهامّ غاية المراد في شرح نُكت الإرشاد بـ«الحلّة»، وهذه آخر وثيقة تتعلّق بأيام إقامته لغرض الدراسة في تلك المدينة التي بنَته علميّاً وعقليّاً بما امتازت به من نهج عقلي اجتهادي، والظاهر أنّه على الأثر غادرها نهائياً ولم يرها إلّا بعد ثماني سنوات حيث فرغ من تصنيف المنسك الكبير فيها سنة ٧٦٥[٢]. ثمّ، زارها بعد زهاء العشرين سنة حيث لقي للمرّة الأخيرة أُستاذه ابن مُعيّة واستجازه لنفسه ولولديه محمّد وعلي[٣].

من الحلّة انطلق في رحلة واسعة أقام مدّة في بغداد. ويقول صاحبه وصديقه الجَزَري أنّه فيها:

> قرأ القراءات على أصحاب ابن مؤمن وذكر لي ابن اللبّان أنّه قرأ عليه، وهو إمام في الفقه والنحو والقراءة[٤].

ولكنّنا نلاحظ خلوّ الإجازات الكثيرة التي صدرت عن الشهيد من الإشارة إلى شيء من ذلك، مع أنّه حرِص فيها كما تقضي التقاليد في هذا النطاق على استيفاء تاريخه العلمي[٥]، كما استجاز شمس الأئمّة الكرماني، الفقيه الشافعي البارز وإجازته له صدرت «في أوائل

---

١. راجع الباب الثالث من هذا الكتاب: الفصل الثاني: «إجازاته».
٢. انظر الفصل الأوّل من الباب الثالث من هذا الكتاب.
٣. انظر الفصل السابع من الباب الأوّل من هذا الكتاب.
٤. غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥.
٥. على أنّ الأمانة تقتضي الإشارة أيضاً إلى قوله في إجازته لابن الخازن أنّه قرأ على أربعين شيخاً من علماء السنّة لم يذكرهم جميعاً بأسمائهم. ومع ذلك يبقى في النفس من هذه شيء. لاأقل لأنّها قراءة وليست مجرد إجازة.

جُمادى الأُولى لسنة ثمان وخمسين وسبعمائة»[١].

من بغداد انطلق في رحلة علميّة واسعة زار أثناءها دمشق و مقام الخليل إبراهيم و مكّة و المدينة، والظاهر أنّه أقام في كلّ بلد من هذه مدّة ما، لأنّه يقول: أنّه قرأ في رحلته هذه على أربعين شيخاً من علماء السنّة، كما قلنا قبل قليل، والقراءة تقتضي مكثاً ما وهذا واضح.

بالاضافة إلى أُولئك الثلاثة، فإنّ الشهيد يورد في إجازتيه لابن الخازن الحائري وتلميذه ابن نجدة أسماء ثمانية من علماء السنّة استجازهم أو قرأ عليهم أثناء رحلاته.

بهذه المبادرة غير المُتوقعة سنّ الشهيد سنّة حسنة سار عليها فقهاء جبل عامل من بعده مدّة قرنين، وما انكسرت إلّا بعد وبسبب قتل العثمانيين الشيخَ زين الدين بن عليّ الجُباعي، الشهير بالشهيد الثاني سنة ٩٦٥.

وحريّ بنا، في هذه المرحلة من البحث، أن نتساءل عمّا تُخبّئه هذه الرحلة الواسعة، لأنها تبدو لنا ابتداعاً خارجاً عمّا هو متوقع من مثله. خصوصاً وأنّ ذاكرته تعي ـ ولا ريب ـ الفظائع المهولة التي ارتُكبت في كسروان تحت شعار مذهبي، على أنّ العمل بذاته يستحق منّا كلّ تنويه، لأنّه يُشير إلى الأشواق العلميّة المشبوبة التي غمرت نفس صاحبه، ويدلّ على ما تمتّع به من انفتاح ذهني مُدهش على المعرفة بحيث تجاوز في طلبها حواجز وأسواراً نعرف كم هي عالية متينة، مزروعة بالاشواك المسمومة.

فلنلاحظ، أوّلاً، أنّها إحياء لتقليد علمي عريق درجت عليه أجيال بعد أجيال من أهل العلم من فقهاء ومُحدّثين، لكنّه غدا مهجوراً في زمانه، والتقليد يرجع إلى ما قبل القرن الرابع الهجري أي إلى ماقبل استواء المذاهب على مواقعها، واكتسابها بُنى نهائيّة مُغلَقة. ومذ ذاك وبسبب البُنى المنهجيّة المُحكمَة ذات الطابع الجغرافي، أخذت الحركة الفكريّة خصوصاً في إطار الحديث والفقه تدور في محاور مُنفصلة. لكلّ منها قوانينه المختلفة الخاصّة، وكانت من النتائج التي ترتبت على هذا التطوّر المعكوس أن أصبح التواصل بين أرباب المذاهب جزءً من الماضي الذي لن يعود، وهي التي كانت من قبل عنصراً من مستوى رفيع في تقاليد التحمّل والطلب بحيث إنّ لقب (الرُحَلة) إذ يُقرن باسم مُحدّث أو فقيه كان يدلّ على تنويه خاص.

---

١. انظر الفصل السابع من الباب الأوّل.

من البيّن أنّ الشهيد كان يتطلّع من رحلته هذه إلى أمر جلل، وإلّا لماذا يخوض تلك المغامرة غير المأمونة، خصوصاً أنّه أوّل فقيه شيعي يركبها بعد أن وصلت الحالة المذهبيّة إلى مُستقرّها، وخصوصاً أكثر أنّه ـ على ما نُرجّح ـ كان يتظاهر أثناءها أنّه شافعي[١].

أي أنّه كان يُحاذر من أن تُعرف شخصيّته على حقيقتها.

ترى هل كان يصدر في هذا عن توق شخصي، ونحن نعرف أيَّ طُلعة كان؟ أو عن منهج آمنَ به، كما فعل خلفه الشهيد الثاني بعده بما يقلّ عن قرنين؟[٢] أو أنّ الأمر كان، بكل بساطة، جزءاً من خطّة يعمل عليها؟

أسئلة نطرحها مع علمنا بأنّنا لن نحصل على جواب شافٍ عليها، لأنّها سرّ إنسان عظيم عاش قبل ما يزيد على الستّة قرون منح عمره لمطالب ومقاصد كبيرة جدّاً، ولكنّنا نظنّ أنّ الجواب الصحيح ضائع بين تلك الاحتمالات الثلاثة.

مهما يكن فإنّه بما اجترح قد عبّد لبلده طريقاً سار عليه من بعده مدّة قرنين من الزمان أثناءها كان جبل عامل مُنفتحاً على المراكز العلميّة من حوله، بحيث إنّ رحلات فقهائه الكبار إليها كانت تقليداً متصلاً، لكنّه ـ من أسف ـ كان انفتاحاً من جانب واحد فما سمعنا أبداً برحلة سلكت الطريق المعاكس.

٥. في جزّين

لسنا نعرف على نحو اليقين متى آب إلى بلده، فنحن بمغادرتنا الحلّة معه قد غادرنا نهائياً نعيم الوثائق المؤكّدة المُتسلسلة لتحركاته وأعماله، والتوثيق الوحيد توثيقاً كاملاً الذي حصلنا عليه من رحلته هو لقاؤه شمس الأئمّة الكرماني بعد خروجه من الحلّة[٣].

عام ٧٦٠ تخميناً عاد الشهيد إلى بلده مُتوّج الهام بمجد العلم حتّى أنّ كاتب السيرة المُبدع محمّد باقر الخوانساري (م ١٣١٣) وصف فضله فقال: «وكان بعد مولانا المحقّق

١. ما من نصّ على ذلك، ولكن هكذا نسب نفسه في استدعاء كتبه إلى صاحبه وصديقه الجزري (غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥). وفي أثناء محاكمته قال لقاضي دمشق الشافعي: «إني شافعي المذهب، وأنت إمام هذا المذهب، فاحكم عليّ بمذهبك» (راجع الفصل العاشر من الباب الأوّل).

٢. اقرأ من الترجمة التي علّقناها له الصفحات ١٤٨ ـ ١٥١ في ستّة فقهاء أبطال.

٣. لسان الميزان، ج ٥، ص ٣٩٠.

على الإطلاق أفقه جميع فقهاء الآفاق»[١]، وتلك رُتبة كانت معروفة له في زمانه حتّى خارج حدود مذهبه، يشهد لذلك قول الجَزَري فيه: «شيخ الشيعة والمُجتهد في مذهبهم»[٢]، وبالنسبة لحجم مُشاركته بوصفه مُحدّثاً فقد أُتيح لي أن أقف في مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام العامّة في النجف الأشرف على سلسلة شاملة لطُرُق الحديث عند الشيعة الإماميّة، وضعها اثنان من معارف فقهائها، وفيها يظهر بوضوح أنّ أغلب الطرُق تلتقي عنده، وهذا دليل ـ ولا أبين ـ على قوّة حضوره مُتحمّلاً ومحدّثاً.

والقارئ العارف بأزمة جبل عامل في ذلك الأوان ـ بتأثير الاحتلال الذي ران عليه قرابة قرنين كان أثناءها مقطوع الصلة بمصادر ثقافته[٣] ـ لن يجد أدنى صعوبة في تصوّر وقع ذلك الحدَث الساطع على أهله، فلأوّل مرّة يكون لجبل عامل مَن يكون له حضور القطب بما ينطوي عليه معنى القطب من قوّة جذب نحو المركز، حيث تكمن الثقافة المأزومة، فلنتمعّن الآن في أن قسطاً أساسياً من أزمة الجبل يعود إلى القطع مع تاريخه الخاصّ ومع ثقافته الخاصّة بسبب الاحتلال، وها قد جاء الآن الرجل الرمز بما يحمله من ثقل علمي، هو خلاصة نقيّة للثقافة إياها، فلا عجب في أن تنعقد عليه الآمال في تحريره من أزمته وفي تحريك الطاقة المخزونة في ثقافته إلى موقع فاعل.

ورُبّ قارئ حصيف يتساءل بعد أن قرأ الفقرة السابقة: من أين استفدنا هذا التحليل الدقيق؟ خصوصاً وأنّنا نشكو من نُدرة الوثائق في هذه المرحلة من سيرة ابن مكّي.

حقّ أنّه ما من وثيقة تقول ذلك ـ ولا شيئاً منه ـ على نحو صريح ومباشر، بل إنّنا لانتوقع ولانطمع بما هو أقلّ، ذلك لأنّنا نعرف جيداً بؤس جبل عامل وانقطاعه وخموله آنذاك، وإنّما نقرأ التاريخ بطريقة ارتجاعيّة ـ أعنى من المستقبل إلى ماضيه الحاضر ـ بحيث نفهم الحاضر من صيرورته المستقبلة، تماماً مثل أن ترى صورة طفل صغير رقيق الجسم ثمّ أُخرى له وقد غداً شاباً فارع الطول متين البنيان فتقول: إنّه بين هاتين قد تلقى عناية صحيّة

١. روضات الجنّات، ج ٧، ص ٣ ـ ٤. والمحقّق على الإطلاق هو جعفر بن الحسن الحلّي (م ٦٧٦).
٢. غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥.
٣. للتفصيل فيما يخص هذه الملاحظة المُجملة، نرجو الرجوع إلى القسم الثامن من الفصل الثالث في كتابنا جبل عامل بين الشهيدين، ص ٨٩ ـ ١٠٤.

جيّدة، وإنّه تقبّل هذه العناية قبولاً حسناً. وهذه نتيجة صحيحة مع أنّك لا تملك الدليل المباشر عليها، وإنّما تتوسل طبيعة الأشياء كما تقضي بها قوانينها، وسنقِف فيما يلي من هذا البحث على مختلف معالم وأمارات العلاقة المُميّزة التي قامت بين الشهيد وأهل جبل عامل. وعلى إنجازاته التاريخيّة في غير ميدان.

كلّ شيءٍ يدلّ على أنّه مع عودته واستقراره في وطنه قد انصرف بكليته إلى العمل، وما عتمت تلك القرية الهادئة أن غدت خليّة عمل دائب تعجّ بالطلاب الطامحين القادمين من البقاع القريبة والبعيدة.

كانت تلك أوّل مرّة يكون فيها جبل عامل مركزاً لعمل كبير، ومن أسف فإنّ الكثير جدّاً من تفصيلات تلك الحركة الرائعة ـ التي يعود إليها الفضل في بعثٍ هائل لم يتوقّف ولم تزل آثاره ماثلة حتّى اليوم خصوصاً بعد أن انداح بعيداً عن حدوده الجغرافيّة قد ضاعت ربّما إلى الأبد، ولولا القليل الذي حفظته لنا تقاليد إجازات القراءة والرواية لما تمكنا اليوم من أن نتخيّل أو حتّى أن نتساءل عما جرى في تلك الأيّام المجيدة، لأنّنا لن نملك سبباً للتساؤل، وحتّى كتاب أمل الآمل في علماء جبل عامل للحرّ العاملي ـ الذي وضعه مُصنّفه لغرض إحيائي هو الحِفاظ على الذاكرة النهضويّة حيّة بعد أن تشتّت رجالها في الآفاق ـ فإنّه لا يُسعفنا بالكثير في هذا النطاق، وذلك أوّلاً بسبب الفترة الزمنيّة الطويلة التي تفصل بين عصر الشهيد وعصر الحرّ وهي تناهز الأربعة قرون، وثانياً بسبب الإيجاز المُخلّ أحياناً بل غالباً والفقر في التفاصيل الذي طبع أسلوب الحرّ في هذا الكتاب، وإننا نشكر الله تعالى على أنّه التزم ـ على الأقلّ ـ وإلى حدّ لا نعرفه بالقول أن هذا المُترجَم له أو ذاك «من تلاميذ الشهيد» أو «يروي عن الشهيد»، وهما عبارتان تؤدّيان معنى واحداً عادةً، أو حين لا يقوم دليل على العكس.

لا بدّ لنا من القول إنّ هذا الالتزام ـ إن كان الحرّ قد التزم بالفعل ـ له دلالته غير المباشرة أيضاً من حيث أنّه يُشير إلى أن القراءة على الشهيد أو الرواية عنه كانت امتيازاً يستحقّ التنويه، وما من ريب في أنّ الحرّ فيما أتاه هنا يُعبّر عن موقف عام وضعَ الشهيدَ وحركته ومَن اتصل به في مكانة مرموقة حتّى بعد أن نُسيَت الأحداث وضاعت الأسماء، هكذا تُعبّر

الثقافة المُنحدرة من السلف عن صلابة عودها وجبروتها، حتّى بعد أن يسقط التاريخ وتنهار الذاكرة الحدَثيّة الواعية وتتلاشى تحت وطأة الزمان والأحداث.

حفظت لنا نصوص الإجازات و أمل الآمل أسماء كثيرة وُصف كلّ من أصحابها بأنّه «من تلاميذ الشهيد» أو «يروي عن الشهيد». منهم العامليّون، والكركيّون، نسبةً إلى بلدة كرَك نوح المعروفة في لبنان، والحلبيون والحليّون، نسبة إلى مدينة الحلّة في العراق. وإلى أحد هؤلاء التلاميذ الحلّيين المقداد بن عبد الله السيوري (م ٨٢٦)، يعود الفضل في تسجيل التفصيلات المُروّعة لمقتل الشهيد في دمشق ولكن من جهة أُخرى هناك بالتأكيد أسماء كثيرة قد ضاعت، ربّما إلى الأبد، وما نزال كلّما تابعنا البحث والتنقيب أو عثرنا على مصدر مفقود نقع على أسماء جديدة.

من غرائب الحرّ العاملي ـ وما أكثرها ـ أنّنا لا نجد في الجزء الأوّل من كتابه المُخصّص لعلماء جبل عامل أي ترجمة مستقلّة لأحدٍ من تلاميذ الشهيد أو الراوين عنه، مع أنّه ذكر السيّد حسن بن أيّوب بن نجم الدين الحُسيني وهو من أبرز هؤلاء التلاميذ عرَضاً[1]، ولكنّه في الجزء الثاني، وهو لعلماء الشيعة من كافة الأقطار يورد أحد عشر اسماً وصفهم بأنهم من تلاميذ الشهيد أو يروي عن الشهيد، هذه المُفارقة أمر غير معقول إذا نحن اتّخذنا من مضمونها دليلاً على الحقيقة أو أنّها تعكس صورة أمينة عن الواقع، كما أنّه لا يمكن إرجاعها إلى عوْل المعلومات لديه بعد أن ذكر ابن أيّوب ولا إلى مزاجيّاته المعروفة، إذن فهي بكل بساطة، خطأ منهجي على الأقلّ فيما يتعلّق بابن أيّوب خصوصاً وأنّه قال في مقدّمة كتابه:

> وقد سمعتُ من بعض مشايخنا أنّه اجتمع في جنازة في قرية من قرى جبل عامل سبعون مجتهداً، في عصر الشهيد وما قاربه[2].

في المجلّد الخامس والعشرون من بحار الأنوار للعلّامة المجلسي نقع على أسماء كثيرة، منهم مَن تلقى إجازة من الشهيد. وبعضهم وُصِف بما يُشعر بأنهم من تلاميذه، وكثير منهم مُجرّد أسماء نعرف أو نُخمّن أنّهم عامليّون، وتدلّ القرائن على أن أصحابها من معاصري الشهيد.

---

١. أمل الآمل، ج ١، ص ٤٥ و ١٣٨. مع ملاحظة أنّه في المرّتين يقول ما مضمونه أنّه يروي عن الشهيد.
٢. أمل الآمل، ج ١، ص ١٥.

نفهم من هذه الوقائع، أنّه في الفترة القلقة التي تلت مقتل الشهيد اندثر تـراث بأكـمله: أعلام وأعمال علميّة لا بدّ أنّهم أنتجوها، أما الذين عاشوا خارج جبل عامل فقد نجوا ممّا حاق بإخوانهم فعاشوا في مختلف التسجيلات التي حفظها المجلسي وغيره فيما صنّفوه، هكذا فعندما كتب الحرّ العاملي الآمـل في السنوات الأخيرة من القرن الحادي عشر للـهجرة سجّل ما وجده، فجاء كتابه صورة للواقع كما أُتيح له أن يراه، ثمّ إنّه أجهز على الواقع الجريح بتجاهله ابن أيّوب.

أسهبنا في هذا الكلام النقدي، بعد أن شرعنا بالحديث على أعمال الشهيد في وطنه، لغرضين:

الأوّل: بيان صعوبات البحث.

الثاني: القول ضمناً أنّ كلّ نتيجة سنصِل إليها على تفصيل أعمال الشهيد النهضويّة في وطنه، ستكون نتيجة جُزئيّة، لا تصلح أن تكون صورة عن الحقيقة بكاملها.

ولقد كنّا أوردنا في كتابنا جبل عامل بين الشهيدين أسماء مَن وصل إليهم البحث مـن تلاميذ الشهيد، وعِدّتهم أربعة وعشرون [1] من مُختلف بلدان جبل عامل ومن الكرك و حلب و العراق و إيران، وربّما من كسروان أيضاً، وإن كنّا نُرجح أنّ المنسوب إلى هذه، هـو مـمن هاجر منها في من هاجر، أولاً إلى الكرك ثمّ تحوّل إلى جزّين حيث قرأ على الشهيد كما قلنا فيما فات، نُضيف إليهم الآن أربعة أسماء استفدناها من مُختصَر نسيم السحَر [2]، هي:

الأوّل: محمّد بن الخازن الحائري. «أجازه شيخه الفاضل المحقّق، شمس الملّة والحقّ والدين محمّد بن مكّي بالأحاديث المَرويّة عن النبيّ ﷺ في فضيلة العلم وحامليه»، وربما يُتوهّم أنّ هذا هو نفسه عليّ بن الخازن الحائري، الذي أجازه الشهيد بالإجازة المعروفة [3]، وأنّ محمّد هو من أخطاء النساخ كما خطر لنا بدواً، ولكن مقارنة مضمون الإجازتين تُظهر أنّهما مختلفتان تماماً، الأمر الذي يُبعِد هذا الاحتمال ويُصحّح النصّ.

الثاني: حسين بن محمّد الوحيدي البتدّيني، نسبةً إلى قرية «بتدّين اللقش» المـجاورة

---

١. الصفحات، ص ١٥٦ ـ ١٥٩.
٢. مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق هذا الكتاب.
٣. يأتي متنها في الفصل الثاني من الباب الثالث.

لجزّين يروي عنه واقعة حصلت للشهيد في مدرسته «بينما هو يكتب ويؤلّف كتاب الدروس»، أي قبيل شهادته بسنوات قليلة.

الثالث: محمّد بن أحمد الموسوي البعلبكي، يروي كرامة حصلت للشهيد «في بعض أسفارنا في بلاد العرب مع شيخنا العلّامة النجيب الاصيل الشريف أبي عبد الله الشهيد شمس الدين محمّد بن مكّي المُطّلبي».

الرابع: محمّد بن عليّ بن الوحيد البتدّيني وهو الذي رجّحنا أنّه مُصنّف نسيم السحر الذي «ذكر في مجموع له قد كتبه بخطّه جميع أحوال الشريف الشهيد شمس‌الدين محمّد بن مكّي، من حين مولده إلى حين قتله».

وممّا يُكمل هذا الاتّجاه النهضوي لدي بطل هذه السيرة الإشارة الواردة في مُختصَر نسيم السحَر، التي ذكر فيها «مدرسته [يعني الشهيد برأس النبع]» وتكرّر ذكرها مرّتين [1]، وصفها في المرّة الأُولى منهما بأنّها «مدرسة عظيمة جداً»، والظاهر أنّ المقصود بـ«رأس النبع» المكان الذي ينبع منه النهر الذي يشقّ جزّين [2] ويُشكّل في شمالها شلّالها الشهير، الذي ما يزال حتّى اليوم، وهذه إشارة فريدة في كلّ المصادر.

فأنت ترى من هذا الاستقراء لتلاميذ الشهيد والمُتحلّقين من حوله ـ الذي نعرف أنّه ناقص ولكنّه يتنامى باستمرار كلّما تقدّم بنا البحث أو كلّما اكتشفنا مصادر جديدة بالإضافة إلى الوضع المؤسّسي الذي يعنيه إنشاء مدرسة، أنّهم قدموا من مختلف الأقطار التي كان يعمرها الشيعة في ذلك الأوان، عدا الهند، فهذه أمارة في غاية الوضوح والبيان على أنّ جزّين قد انتقلت بفضل الشهيد في بُرهة عقدين من الزمان تقريباً من قرية لا شأن لها ـ بلد الرُعاة كما قيل ـ إلى مركز علمي مؤسسي يجذب إليه الطامحين من مُختلف الأقطار والبلدان فيجدون فيها شبعاً ورياً، وذلك إنجاز خارق لا نعرف له نظيراً.

ثمّ إنّها أمارة أيضاً على أن جبل عامل قد خطا الخطوة التي طال انتظارها، ها هو قد بنى لنفسه وضعاً أكاديمياً مستقلّاً سرعان ما بدأ يُنتج المؤهّلين للعمل الإرشادي والقيادي

---

١. مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق الكتاب.

٢. راجع الفصل الثاني من هذا الباب.

والتبليغي الموكول إلى الفقيه، خصوصاً وأنّهم يسترشدون بالفكر الذي حمله شيخهم معه من الحلّة، وخطا به خطوة كبيرة إلى الإمام، وسنقِف الوقفة المناسبة عند مضمون هذه الملاحظة العَجلى فيما سيأتي من هذا البحث.

ملمح آخر في هذا الباب، نقرأه فيما صنّفه الشهيد فنحن نعرف أنّه كتب ثلاثة كُتب مبسوطة في الفقه: أوّلَها غاية المراد في شرح نُكت الإرشاد، وقد عرفنا ممّا فات أنّه أتمّه في الحلّة، والآخَران الدروس الشرعيّة في فقه الإماميّة شرع فيه سنة ٧٨٠[1]. وفرغ من جزئه الأوّل «آخِر نهار الأربعاء لاثنتي عشر ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وسبعمائة»، و ذكري الشيعة في أحكام الشريعة فرغ من جزئه الأوّل في الحادي عشر من صفر عام ٧٨٤. وقد كتبهما في جزّين.

والحقيقة أنّ المُتأمّل بعد أن وقف على العدد الكبير من طُلّاب مدرسته الذين يعتني بهم ليعجب كيف كان يجد الوقت للتصنيف خصوصاً وأنّ الكتاب الأوّل منهما من أدقّ كُتُبه الفقهيّة، والثاني كتاب استدلالي[2]، أي أنّه يجمع بين الفتوى ودليلها الاجتهادي، وما من ريب في أنّه عندما صرف جهده إلى تحريرهما في وقت واحد معاً، كان لديه سبب وجيه وجدّي ممّا يستدعى السؤال عنه.

فلنلاحظ أوّلاً، ونحن نتأمّل فيما يُريح البال من ثقل السؤال أن اسمي الكتابين غير مألوفين، أعني أنّهما ليسا من تلك الأسماء الإنشائيّة التفخيميّة التي درج عليها المصنفون في هذا الباب. (ومنها غاية المراد مثلاً)، أعتقد أنّ هاهنا ما هو مقصود يُشير إلى ما كان يدور في ذهن المُصنّف وهو يخطّ كتابيه.

ليس من الصدفة أبداً أنّ اسمَي الكتابين تضمّنا كلمتي «الإماميّة» و «الشيعة»، هاتان كلمتان تُصوّبان مباشرةً نحو الآخر ابتغاء تحديد الذات، وليس نفي الآخر بالضرورة، ولنتذكر أنّنا نتكلّم على فقيه في جبل عامل الذي كان ما يزال يكافح في سبيل الخروج من أزمته المُستحكمة بسبب الانفصال القسري الطويل عن ثقافته الخاصّة وينابيعها، من هنا

١. الذريعة، ج ٨، ص ١٤٥.

٢. للتعريف بالكتابين، مع بيان ما فيهما من تجديد في المنهج والمضمون: راجع الفصل الأوّل من الباب الثالث من هذا الكتاب.

نرى وظيفة هاتين الكلمتين إنهما تُشيران إلى تلك الينابيع بعينها، ولعلّ كلمة ذكرى في اسم أحدهما غير بعيدة عن هذا المرمى.

أمّا الدروس، فهو اسم يُنبئ تصريحاً عن مضمونه، حقّ أنّ مصنفه قال في مقدّمة الكتاب إنّه إنّما صنّفه «لاقتضاء الولدين الموفّقين ـ إن شاء الله ـ أبي طالب محمّد وأبي القاسم عليّ» ومع ذلك فإنّني لا أستطيع أن أكبح نفسي عن القول إنّ هذه الكلمات قد خرجت من قلب الأب المُحبّ، وليس من عقل الرائد الكبير الذي كان يقود شعبه عبر النخبة التي تتلمذت عليه باتجاه النهضة المنشودة، وفي هذا السبيل صنّف الدروس ليكون اسماً على مُسمّى، الكتاب ليس إلّا مجموع الدروس التي كان مُصنّفه يُلقيها على تلاميذه في مدرسته بجزين، وعلى كلّ حال فهذه تأملات نعرف أنّها تغوص عميقاً في سريرة الشهيد، ولكنّنا لم نملك إلّا [أن] نرتكبها، ذلك أن من شأن الكبار أن يطرحوا الأسئلة في كلّ تفصيل تفصيل من سيرتهم، ثمّ لا يكون على الباحث من بعدهم إلّا أن يعالجها بما يملك، خصوصاً إذ يكون لبطل السيرة من قوّة الحضور ما يمنح الجواب على أي سؤال يخصّه صفة الحاجة المُلحّة.

٦. شهادته

سنقصر الكلام في هذا القسم على الوقائع المتصلة بشهادته الفاجعة، أي أنّ عملنا هنا وصفيّ سردي بحت، على أنْ نتكلم على ظرفها ومغازيها في الفصل المخصّص للجانب السياسي العملاني من سيرته.

مضت حياة الشهيد على هذا النحو زُهاء خمس وعشرين سنة إلى أن قبض عليه وحُبس في القلعة بدمشق وكان ذلك بداية سلسلة من الأحداث انتهت بقتله.

بين يدي الباحث اليوم روايتان رئيستان، كلتاهما عمّن يُفترَض أنّه كان في موقع قريب من مصادر المعلومات عن تلك السلسلة من الأحداث. وقادراً بالتالي على أن يُزوّدنا بصورة صادقة، وعلى قدْر كافٍ من الدقة، أولاهما [1] للمقداد بن عبد الله السيّوري (م ٨٢٦)، الذي عرفناه بوصفه أحد أبرز تلاميذ الشهيد، وثانيتهما لمحمّد بن مكّي بن محمّد (كان حيّاً ١١٧٨)،

١. وردت هذه الرواية في الفصل العاشر من الباب الأوّل، والرواية الثانية في مختصر نسيم السحر ضمن ملاحق هذا الكتاب.

وقد عرفناه أيضاً بوصفه مَن اختصر كتاب نسيم السحَر لمحمّد بن عليّ بن الوحيد البتدّيني، وهذا أيضاً من تلاميذ الشهيد و أحد كاتبي سيرته. ومع ذلك فإنّ الروايتين تختلفان اختلافاً بيّناً على أكثر من واقعة، وسنعمد توّاً إلى اقتباس ما نراه موضع الأهمّيّة منهما.

المُقارنة بين الروايتين ونقدهما

١. في سبب حبسه

السيّوري: وشاية تقي الدين الخيامي أن كان عاملاً، ثمّ قيام يوسف بن يحيى على طريقته.

البتدّيني: أنّ عبّاد بن جماعة الشافعي الذي كان رفيق درس للشهيد قد عمل كلّ ما في وسعه للتخلّص من الشهيد بسبب غيظه من تقدّمه عليه عند الناس والسلطة.

٢. مكان الحبس وزمانه

تتفق الروايتان على القول بأنّه حُبس في قلعة دمشق سنة، وتختلفان في السيوري: أنّ حبسه مُتصل بمحاكمته، التي انتهت إلى الحكم عليه فقتله.

البتدّيني: أنّه حُبس ثمّ أُطلق، وحصلت واقعة القتل بعد مدّة غير مُحدّدة، دون أن تكون لها علاقة موضوعيّة بالمحاكمة السابقة.

٣. الآليّة التي انتهت بقتله

السيوري: محاكمة نتيجة وشايتين، الثانية منهما مدعومة بشهادات ضافية مرّت بالتسلسل من السلطة القضائيّة المحلّيّة إلى السلطة القضائيّة المركزيّة في دمشق. وأنّ الوالي بيدمر هو الذي نظّم المحاكمة.

البتدّيني: أنّه حوكم ولكنّ المحاكمة لم تنتهِ إلى حكم عليه، بل وخرج منها الشهيد منتصراً وأنّ قتله تولّاه جمهور هائج، خُدع بمؤامرة مُدبّرة، ودون علم السلطة المحلّيّة، بل إنّ هذه عمدت إلى معاقبة مُنظّمي المؤامرة.

٤. واقعة القتل

تتفق الروايتان على أنّه قُتل بالسيف، ثمّ صُلب، ثمّ أُحرق. وتنفرد رواية السيوري بالقول أنّه رُجم قبل الإحراق.

ما من ريب عندنا في أنّ الاختلاف بين الروايتين مع أنّه كبير وعلى أُمور أساسيّة فإنّه لا يعكس اختلافاً في الموقف من الواقعة عند الراويَين، أي أنّه غير مقصود كما هو الشأن عادةً في الاختلاف بين رواية موضوعة وأُخرى صحيحة، فالأمر الجامع بين الراويين أنّهما كلاهما من تلاميذ الشهيد والمتعاطفين معه، وأنّهما لم يكونا شاهدَي عيان، يقولان ما قالاه عن خُبر [١].

إذن، ما هو سبب الاختلاف بينهما؟

الجواب: إنّه في مستوى المقدرة النقديّة لدى كلٍّ منهما، ذلك أنّه فيما نحسَب فإنّ كـلا الروايتيَن انتشرتا بين الجمهور المفجوع في وطن الشهيد وكان أن اختار كلّ منهما ما وصل إلى سمعه، أو بدا له مُقنعاً، أو لأيِّ سبب آخَر.

ويلوح لنا أنّ رواية البتدّيني هي من تدبيج السلطة بعد أن لمست حالة الغضب الواسعة التي أثارتها جريمتها النكراء والغبيّة لدى جمهور الشهيد، بل ولدى عارفي فضله من غيره، ومنهم صديقه محمّد بن محمّد الجزري، الذي لم يُخفِ اقتناعه ببراءته فقال:

> صحبني مدّة مديدة فلم أسمع منه ما يُخالف السنّة، ولكن قامت عليه البيّنة بآرائه، فعُقد له مجلس بدمشق. واضطرّ فاعترف ليحكم بإسلامه الشافعي فما حكم، وجعل أمره إلى المالكي، فحكم بإراقة دمه. فضُربت عنقه تحت القلعة بدمشق، وكـنتُ إذ ذاك بـمصر. وأمره على الله [٢].

إنّ اللمسات السلطويّة واضحة جدّاً في رواية البتدّيني وإن لم يُدركها، فهي تلحّ مرّة بعد مرّة على العلاقة الطيّبة بين الشهيد والسلطان برقوق، وبينه وبين واليه على الشام بـيدمر، (وهي ـ بالمناسبة ـ ليست زعماً باطلاً كما سنعرف فيما سيأتي إن شاء الله)، وتؤكّد على مناصرته له في غير ما موقف، وتُخفي تماماً أدنى علاقة بين المحاكمة فالقتل، ثمّ إنّها تضع وزر الجريمة على عاتق جمهور غاضب ومُحرّضين مجهولين، كما أنّها تـزعم أنّ بـيدمر غضب أشدّ الغضب عندما علم بما جرى، وأنزل العقاب بأُولئك المُحرّضين، وأخيراً أنّه أمر

---

١. نصّ على ذلك البتدّيني، حيث قال: «واشتبه على قوم كثيرة صفة قتله؛ لأنّ المُحبّ الصادق لم يرضَ فلم يحضر ذلك» انظر: مختصر نسيم السحر ضمن ملاحق هذا الكتاب.

٢. غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥.

ببناء قبّة عظيمة على قبره، والغريب الطريف معاً أنّ هذه الخطّة ستتكرّر بأمانة مدهشة بعد زهاء القرنين من الزمان، وذلك في واقعة قتل الشهيد الثاني، زين الدين بن عليّ الجُباعي (م ٩٦٥) على يد العثمانيين، حيث أذاعت أجهزة السلطة أنّ قاتله هو المُكلّف بسوقه إلى إستامبول خشية أن يُخبر السلطان بأنّه قد قصّر في خدمته أو آذاه فقتله وأخذ رأسه إلى السلطان فأنكر عليه ما فعل وقتله، ولكي يتم التشابه العجيب بين الحُبكتين، قالت الرواية إنّ قبره هو أيضاً بُنيت عليه قبّة[١].

نخلص من هذه المقارنة وما تلاها من مراجعة نقديّة إلى أنّ رواية السيوري هي أقرب بكثير إلى الصحّة على أنّ الرواية الأُخرى غنيّة بالمعلومات والمغازي ممّا لم تقف عليه الأُولى، وسنستفيد منها إن شاء الله في الفصل التالي.

أمّا تاريخ شهادته فهناك إجماع على أنّه في التاسع من جمادى الأُولى سنة ٧٨٦[٢].

خلاصة الفصل

وُلد الشهيد في جزّين، ومن المُحتمَل أنّ ولادته في حانين، وهي قرية في أقصى جنوب جبل عامل، وكانت حوالي سنة ٧٢٤ على الأرجح، وما من شكّ في أنّه تلقّى تعليماً جيّداً قبل رحلته خارج وطنه.

قبيل السنة ٧٥٠ خرج من جزّين قاصداً الحجاز فحجّ وأقام مدّة في المدينة اتجه بعدها إلى الحلّة ليُقيم بها سبع أو ثماني سنوات، وفيها قرأ على أبرز علمائها آنذاك، وبدأت صلته بعليّ بن المؤيّد الخراساني.

من الحلّة انطلق في رحلة واسعة زار أثناءها بغداد و دمشق و الخليل إبراهيم و مكة والمدينة قرأ فيها واستجاز عدداً كبيراً من علماء السنّة عاد بعدها إلى وطنه واستقرّ

١. انظر مراجعتنا النقديّة لرواية السلطة العثمانيّة هذه في كتابنا: ستّة فقهاء أبطال، ص ١٦٧.
٢. مع ملاحظة أنّه ورد في مخطوطة مختصر نسيم السحر: «عصريّة يوم الخميس تاسع جمادى الأُولى ١١٨٦»، وهو خطأ بلاريب.

في جزّين. وذلك عام ٧٦٠ تخميناً.

في جزّين انصرف إلى العمل، فجعل من قريته خليّة تعجّ بالطلاب القادمين من مُختلف الانحاء، ونعرف أسماء زهاء الثلاثين منهم، ولا شكّ في أنّ هذا العدد أقلّ من الحقيقي بكثير، وبنى مدرسة وُصفت بأنّها عظيمة، هي أُمّ المدارس في جبل عامل، وفي السياق نفسه وضع كتابيه الدروس الشرعيّة في فقه الإماميّة و ذكرى الشيعة في أحكـام الشـريعة، وخـلال خمس وعشرين سنة من العمل الدائب وضع الأساس لنهضة جبل عامل الوشيكة.

سنة ٧٨٥ قُبض عليه في دمشق على الأرجح، وحُبس في قلعتها سنة إلّا أيّاماً يسيرة، ثمّ عُقد له مجلس ترأّسَه قضاة المذاهب حيث جرت له محاكمة مُدبّرة انتهت بالحكم بقتله.

الفصل الرابع
في خِضمّ المعترَك

تمهيد

أمضينا الفصل السابق في عمارة ـ ما يبدو لنا ـ أو في سيرة للشهيد، مع الاستفادة من مُختصر نسيم السحر، التي، على الرغم ممّا فيها من هنات، قدّمت لنا معلومات طريفة عن مواضع لم تلامسها كافة المصادر الأُخرى على كثرتها، من ذلك: أنّه أنشأ مدرسة في جِزّين، وأسماءُ لعددٍ من تلاميذه ممّن لم نقف على ذكر لهم في غيرها، وعملُ السلطة على التعفية على جريمتها النكراء بقتله بإذاعة رواية تضع وِزر الجريمة على عاتق جمهورهائج، غير مُدرك أنّه مخدوع بمؤامرة مُدبّرة، وهذه كلّها تنضوي لأوّل مرّة في أيّ سيرة مكتوبة له.

ومن قبلُ سردنا تاريخاً تأسيسياً للشيعة في غرب وجنوب الشام ممّا كان تهيئةً لا غنىً عنها لوصف الظرف السياسي ـ الاجتماعي الذي عمل فيه، ابتغاء بعث وإحياء الامكانات الخبيئة في شعبه، ليتولّى بنفسه عمليّة الصمود للمُتغيّرات الأساسيّة، سكانيّة وسياسيّة، التي نشأت بفعل سلسلة من الاعمال العسكريّة العدوانيّة، بدأت بالغزوات الصليبيّة وانتهت بمقتلة أهل كسروان وما والاها وتهجير مَن بقي منهم إلى حيث يعتقد مَن خطّط لهذا العمل الهمجي أنّه لن يكون لهم فعل سياسي يُذكَر ومنها بلد الشهيد جزّين الأمر الذي ما تزال تداعياته السياسيّة السيئة ناشطة حتّى اليوم، وغني عن البيان أن ممّا سهل على السلطة ارتكاب جريمتها هذه بتغطية ضئيلة غياب القيادة الكارزميّة ذات الجاذبيّة الشعبيّة عند ضحاياها، وهي وحدها المؤهّلة في مثل هذا الظرف العصيب للمّ الشمل وتجميع الجهود لعمل ما يلزم في المقابل، أمّا الآن فقد جاء الأهل للقيادة. الذي حمل مُهمّة النهوض بشعبه، نهوضاً ثقافيّاً بالدرجة الأُولى، لأنّ الجامع الثقافي هو الوحيد الذي يمنحه أن يكون كتلة

صلبة قادرةً على الاستيعاب والمقاومة، وقد وصفنا في الفصل السابق بقدْر ما أتاحته لنا المعلومات المتوفّرة، أعمال الشهيد في هذا النطاق.

يحلو لي أن أعتقد هنا ـ مثل أيِّ كاتب يبذل كلَّ ما عنده من وسع في سبيل نقل أفكاره إلى ما يصوغه على الورق ويُحبّ أن يشاركه قارؤه هذا الهمّ ـ أنّ القارئ الحصيف يتوقّع أن تكون الخطوة التالية وصف ما اضطرب فيه بطلُ هذه السيرة وهو يكافح في سبيل هدفه المنشود وهذا صحيح، ولكن عليّ قبلُ أن أُبرّر نقطة منهجيّة بدون ذلك أخشى أن يحصل خلل في الرِفقة بحيث يذهب ذهن الكاتب في غير الطريق الذي يتجه إليه ذهن القارئ، هذه النقطة هي فصل سيرة الشهيد إلى قسمين: الأُولى وصفيّة، في الفصل السابق، والثانية تركيبيّة وهي ما نتهيأ للدخول إليه.

والحقيقة إنّني بعد عدّة تجارب وصلتُ إلى قناعة خلاصتها أنّ ضمّ تانك الجانبين من السيرة سيكون أمراً مُتعباً للكاتب والقارئ على حدّ سواء، فالكاتب سيشقى في الانتقال بين هذه وتلك مع ضرورة الحِرص على ربط عناصر كلٍّ منهما، والقارئ لن يكون أفضل حالاً وهو يركض خلف الأفكار، مع ضرورة المُحافظة على تسلسلها المنطقي، وكلّ ذلك ناشئ من غنى السيرة وتعقيدها، هذا كما أنّني استعرضتُ إيرادَ هذه الفذلكة في المقدّمة، وليس هنا حيث يُبرّر الكاتب خطته، ولكنّني صرفتُ النظر أيضاً عن ذلك لأنّني هنا سأخاطب قارئاً أكثر تهيؤاً لاستيعاب الإشكاليّة بعد أن قرأ الفصول السابقة.

بعد هذا التمهيد نعود إلى عمود البحث، وسنشرع على التوّ بوصف المُتغيّر السكاني السياسي، الذي تتابعت فصوله ابتداءً ممّا يُسمّى في مُختلف المصادر «فتوح كسروان».

ولقد كنّا قد أشرنا فيما فات، إلى أنّ المماليك عمدوا، بعد تهجير مَن بقي من أهل كسروان وما والاه إلى استقدام جماعات من التركمان أسكنتهم هناك ابتغاء ملء الفراغ السكاني، وربّما أيضاً لقطع أمل المُهجّرين من احتمال العودة مع تغيّر الأحوال، وهذا أوان تفصيل القول في هذا تفصيلاً، وهو يستدعي بيان عدّة أُمور:

١. من هم أُولئك التركمان؟

إنّهم قبائل كثيرة العدد، تتكلّم إحدى لهجات اللغة التركيّة الكثيرة، كانت تستوطن

تُركمانستان، في آسية الوسطى، يعيشون في سهوبهم الواسعة على الرعى، وكانوا قبل أن يدخلوا في الإسلام يُعرفون بالغزّ، ولكن فرعاً منهم برُز قوّةً عسكريّة بقيادة سلجوق بن دقاق خرجت من وطنها التاريخي واستقرّت على شواطئ نهر سيحون، ثمّ إنّهم بعد أن تكاملت هجرتهم انساحوا في مختلف الأقطار، وسيطروا على إيران والعراق والشام، حاملين اسم مؤسّس دولتهم فعُرفوا بالسلاجقة، وفي عصر البحث كانوا قد تلاشوا واضمحلّ أمرهم، ولم يبقَ منهم إلّا إمارات صغيرة ضعيفة في كيليكة و آذربايجان، وصارت الدولة الآن لجماعات عسكريّة هي الأُخرى ـ دون ما رابطة بين أفرادها من عسكر وأمراء وسلاطين ـ كانوا خليطاً غير مُتجانس، منهم الشركس والمغول والروس، وربّما أوروبيون آخَرون من غيرهم، جمعتهم رابطة المصلحة المُشترَكة، فشكلوا طبقة عسكريّة سيطرت على البلاد والعباد، أولئك هم المماليك، وفي عهدهم جرت كافة الوقائع التي نتحدّث عنها في هذا الكتاب، وعاد التركمان الكثيرون المنتشرون في كافة أنحاء الرقعة التي تحكمها الدولة المملوكيّة ـ عدا مصر ـ من عباد الله العاديين عامّتهم رُعاة أغنام، وقد ظلّوا على هذه الحال حتّى وقت قريب، ومن بقاياهم اليوم مَن يتعاطون الكدْية والاستعطاء، إلّا مَن استقرّت به الحال منهم ونسي أصله البعيد.

٢. فرصتهم التاريخيّة الأخيرة

كانت واقعة كسروان النعمة غير المتوقّعة بالنسبة لهؤلاء الذين ذلّوا بعد طول عزّ وكأنّها بل إنّها أتت تصديقاً لقول الشاعر: «**مصائب قوم عند قوم فوائد**».

ذلك أنّهم، كما قلنا فيما فات، أُقطِعوا كافة المناطق الجبليّة التي أُجلي عنها أهلها[١]، بل إنّهم ـ مع الوقت ـ أُوكل إليهم «تدرّك [حراسة] ميناء البحر [في بيروت] ودروب البرّ من ظاهر بيروت إلى حدود عمل طرابلس»[٢] ومع مَزيد وقت غدوا أُمراء حقيقيين يبسطون سلطانهم على منطقة واسعة تشمل مدينة طرابلس والمناطق الجبليّة الموالية لها بالإضافة إلى كسروان وساحلها، وقسماً على الأقلّ من الشوف شرق بيروت، ففي القرن العاشر

١. راجع الفصل الأوّل من هذا الباب.
٢. تاريخ بيروت، ص ٢١٤.

للهجرة وما بعده كانت كلّ تلك المناطق محكومة من قِبل ثلاث أُسر تركمانيّة هي:

١. بنو سيفا في مدينة طرابلس، يصِف المُحبّي أحد أُمرائهم ـ المدعو يوسف سيفا ـ بأنّه «هو الذي أسس لهم الدولة»[١]، وقد استمرّ حكمهم لها ثلاثاً وستّين سنة[٢].

٢. بنو الأعمى أوّل مَن ولي إمارة كسروان من التركمان[٣]، والظاهر أنّ إمارتهم فيها لم تطل وأنّهم نزحوا عنها بنزوح بني جلدتهم، كما سنذكر بعد قليل.

٣. بنو عساف أُمراء كسروان حسب المؤرّخ الصفدي[٤]، وتركمان كسروان وأمارة وأشراف بكسروان حسب مُصنّف قواعد الآداب المجهول[٥]، وهؤلاء خلفوا بني الأعمى على الإمارة، وأخلاف هذه الأُسرة اليوم منتشرون في أكثر المناطق اللبنانيّة، ولكنهم طبقاً للوتيرة اللبنانيّة لبسوا صِبغة المنطقة التي انتهوا فيها، فالذين استقرّ بهم الحال في منطقة معمورة بالشيعة ـ وهم الأكثر ـ غدوا شيعة، وهم ينزلون اليوم في مدينة بعلبك وقراها، ومنهم سنّة وموارنة.

هذا بإيجاز فيما يعود إلى تطوّر الأحوال بهؤلاء التركمان من وجهة نظر سياسيّة ـ سلطويّة، والتي حملت إليهم ما وصفناه بحق بأنّه كان فرصتهم الأخيرة.

٣. التطوّرات السكانيّة وآثارها

لكن ما خُضنا فيه لا يُغني عن الوقوف على ما انتهى إليه تطوّر الحال بهم من وجهة نظر سكانيّة، بل ربما يكون هذا أشدّ خطراً وأكثر أهميّة بالنسبة لبحثنا.

فمن المعلوم ممّا قلناه أعلاه أنّ أُولئك التركمان كانوا رُعاة، رُعاة أغنام على نحو التحديد، يكسبون لُقمة عيشهم من تتبّع موارد الماء والعشب، ولذلك فإنّهم لم ينجحوا في التكيّف مع منازلهم الجديدة، بما فيها من مناخ قاسٍ بارد، وطبيعة جبَليّة صخريّة حيث تنعدم المراعي أو تكاد، ولذلك سارعوا إلى تركها وأخذوا يهجرونها باتجاه السواحل، حيث المناخ أكثر دفئاً مع توفر المراعي لمواشيهم.

---

١. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج ٤، ص ٥٠٣.

٢. بنو سيفا ولاة طرابلس، وللمزيد عن هذه الأُسرة. انظر تراجم الأعيان من أبناء الزمان، ج ١، ص ٢١٣؛ تاريخ الأزمنة، ص ٤٤٥.

٣. تاريخ بيروت، ص ٢٩.

٤. لبنان في عهد الأمير فخر الدين، ص ٩٨.

٥. قواعد الآداب حفظ الأنساب، ص ٤٩.

والحقيقة أنّ هذه الحركة السكانيّة، التي قد تبدو للقارئ أمراً هيناً قليل الخطر، هي من أهمّ الأحداث في تاريخ لبنان السياسي. بل هي فيما أري مفتاح تاريخه كما لا يزال مُستمراً حتّى اليوم، وأفرزت ما يعسر إحصاؤه من الأحداث الآخذ بعضها برقاب بعض ومنها ـ من أسف ـ مُسلسل الحروب الأهليّة، الذي مازال تاريخ هذا البلد وما يزال يتوالى فيما يُشبه الإيقاع الآلي الثابت، الذي يبدو وكأن ما من سبيل لتفاديه.

والعلّة في ذلك فيما نحسب هي في الاختلال السكاني المُتمادي الذي بدأ بإجلاء أهل كسروان بعد تقتيل مَن قتل منهم، فتوطين التركمان في أرضهم فنزوح هؤلاء منها، وهذا المسلسل أدّى بدوره إلى المزيد والمزيد: فالموارنة الذين كانوا في مواطنهم التاريخيّة في الأعالي الشماليّة أي في منطقة بشرّي وما والاها انتهزوا فرصة الفراغ السكّاني بعد نزوح التركمان من كسروان فانطلقوا هابطين باتجاه الجنوب حتّى وصلوا بعد قرون إلى حدود فلسطين تاركين حيثما عبروا بقايا منهم ممّا تتركه أي حركة سكّانيّة مُماثلة وخصوصاً في منطقة الشوف الدرزيّة حيث غدوا في زماننا أي إلى ماقبل الحرب الأهليّة الأخيرة سنة ١٣٩٥ أكثريّة، في حين أنّ التركمان تابعوا انتشارهم في السواحل من مدينة طرابلس في الشمال حتّى صيدا في الجنوب، وما عتموا أن غدوا ظاهرة سكانيّة بارزة في طرابلس و بيروت و صيدا وأرياف كلٍّ منها.

في هذا الإطار يجب أن نضع ما يذكره مؤرّخون محدَثون من أنّ ظهور المسلمين السنّة في مدُن الساحل يعود إلى الفترة المملوكيّة، لا سيّما منذ القرن الثامن للهجرة [١]، وإن لم يقِفوا على ما وقفنا عليه من سياق تاريخي مُتصل، والمؤرّخ الذي يُحسن قراءة التاريخ في وثائقه الموضوعيّة (التقاليد، العادات، أُسلوب العيش، اللهجات المحليّة، أسماء الأُسرا، المذاهب الدينيّة، أنواع الأطعمة المُفضّلة... إلخ.) يستطيع أن يرى الآثار الباقية من هذا الأصل البعيد، مثلما يقرأ عالِم الآثار تاريخ الأُمم السالفة فيما خلّفته من آثار ماديّة، ولكن هذا بحث لن نخوض فيه الآن بأكثر من هذه الإشارة السريعة، وهو يستحقّ دراسة مستقلّة وفق منهجنا التاريخي الإنساني، ولعلّنا نفرُغ له في يوم من الأيّام إن شاء الله.

---

١. منهم كمال صليبا في تاريخ لبنان الحديث، ص ١٤، و وجيه كوثراني في الاتجاهات الاجتماعيّة السياسيّة في جبل لبنان والمشرق العربي، ص ٣٢.

ما وصفناه من مُتغيّرات سكانيّة مُتلاحقة حملتْ إلى المسلمين الشيعة ما رأوا فيه بحق تهديداً جدّياً لوجودهم التاريخي، والضغط السكاني على المدُن الساحليّه الذي كان مدعوماً من السلطة (ولا ننسَ هنا الإمارات التركمانيّة ذات السطوة) اتّخذ شكل ضغط معنوي بالغ الشدّة، وأخذوا مذ ذاك يختفون من أكثر مدُن الساحل اللبناني. لتحلّ محلّهم جاليات سنّيّة، جاء بها المماليك[1].

في هذا الإطار من الأحداث ونتائجها، يجب أن نضع نصّاً ورد لدي المجلسي (م ١١١٠) في بحارالأنوار، ونقله يوسف البحراني (م ١١٨٦) في لؤلؤة البحرين ومحمّد باقر الخوانساري (م١٣١٣) في روضات الجنّات، يتحدّث أُولئك جميعاً عن «أهل السواحل من المُتسنّنين»[2]، أي الذين تحوّلوا عن قريب إلى أحد المذاهب السنيّة، وهو نصّ هام جدّاً لمن يرصد التحوّلات العميقة التي نشأت على قاعدة الأحداث البالغة العُنف التي حملتها تلك الأيّام الانقلابيّة من حيث إنّه يُشير إلى عدد مُعتدّ به من المسلمين الشيعة في «السواحل» تأثر بالاجتياح السكاني العالق والمدعوم من قبَل سلطة قاهرة فأنتج ظاهرة نجدها دائماً في مثل هذه الحال وما يُشبهها هي الذرائعيون الذين يُقدّمون مصالحهم على أي اعتبار آخر، فيحلّون ما ينالهم من الأزمّة عن طريق إعلان انضمامهم إلى الغالِب الأقوى، وبما أن العنوان الأبرز والذي يمكن استخدامه في مثل هذا الإعلان هو المذهب فإنهم يتخلون عن مذهبهم إلى مذهب الغالب.

من وجهة نظر نقديّة فإنّه ما من ريب إطلاقاً في براءة النصّ، لانّه لا يأتي في سياق حديثٍ عن حجم الوجود الشيعي في المنطقة مثلاً، أو أي سياق مُشابه يمكن أن يكون دافعاً عند صاحبه للاختلاق أو الوضع، لا شكّ في أنّ المجلسي الإيراني، والبحراني الذي يدلّ اسمه على موطنه، والخوانساري الإيراني أيضاً لم يكونوا يعرفون شيئاً عن تاريخ المنطقة، أي أنّهم كانوا خاليي الذهن تماماً عن التفكير أو معالجة ما نُعنى به الآن، وأصل النصّ عن المقداد السيوري، تلميذ الشهيد المقرّب الذي كان ولا ريب عارفاً بالظرف السياسي ـ الاجتماعي الذي اضطرب فيه شيخه.

---

١. تاريخ لبنان الحديث، ص ١٥.

٢. ورد النصّ في الفصل العاشر من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

ثمّ إنّ هناك ما يدلّ على أنّ هذا السلوك الانتهازي لم يكن الارتكاس الوحيد ولا الغالب على «أهل السواحل»، يُشير إلى ذلك نصّ ورد لدى ابن يحيى تحدّث فيه عن حركة للمسلمين الشيعة في بيروت، وأنّهم «أظهروا القيام بالسنّة»[1]، ونحن لا نتهم هذا النصّ من حيث المبدأ، بل يبدو أنّه من هذه الوجهة صحيح، ولكنّنا نرى ضرورة إجراء تعديل أساسي عليه يُمليه علينا فهمنا المُختلف لحوافز وطبيعة هذه الحركة بعد أن وضعناها في إطارها التاريخي الصحيح المُناسب لِكلّ ما وصفناه من مسارٍ حدَثي، يأتي هذا القيام الآن على رأسها.

فهذا القيام الذي رآه ابن يحيى مذهبياً مُوجّهاً إلى السنّة بما هم سنّة، نراه نحن سياسياً مُوجّهاً ضدّ السلطة المملوكيّة المركزيّة بوصفها التي قادت منذ البداية كلّ ما رأي فيه الشيعة بحقّ سبباً كافياً للخوف على وجودهم، ابتداءً من اجتياح كسروان فتداعياته وقد وصفناها، وتركمانيّة محلّيّة عسكراً وجمهوراً بوصفهما مادّة هذا الانقلاب السكاني وحاميته، وعلى كلّ حال فإنّ لابن يحيى عُذره الواضح في عدم إدراك ما وراء الحدَث، لأنّه وقومه لم يكونوا مُكتوين بناره، بل ربّما كانوا مُستفيدين منه، ويمكن للذين يؤرّخون للنظام الطائفي في لبنان أن ينظروا إلى هذا التزييف ـ الذي ربما كان مُتعمّداً ـ بوصفه أوّل بادرة من نوعها رمتْ إلى تغطية حالة سياسيّة ـ مطلبيّة بغطاء طائفي، ابتغاء تحريض قسم من المجتمع السياسي عليها، ومثل هذا في تاريخ لبنان يفوق الإحصاء.

بعد هذا التمهيد نبدأ الدخول إلى عمود البحث.

٤. بواعث الشهيد على العمل

تلك هي الصورة القاتمة، المُنذِرة بما هو أدهى، التي يستخرجها الباحث ممّا تحت يديه من مصادر، وهي أعني الصورة ـ وإن تكن كافيةً لبناء تصوّر في العام لكنها ولا ريب قاصرة عن قول كلّ شيء، وخصوصاً عن قول ما جرى على الضحايا، وما ذاك إلّا لأنّنا إنّما أخذنا أكثر عناصرها عن غيرهم، وهذه ـ من أسف ـ مُشكلتنا المُزمنة مع التاريخ السُلطوي، إنّه لا يُفيدنا فيما يتعلّق بالعباد إلّا حيث تتقاطع أخبارهم مع أخبار السلطة، لأنّ دأب المؤرّخ أن

١. تاريخ بيروت لابن يحيى، ص ١٩٥.

يلهث خلفها وهو يتتبّع ما يسطره من أخبارها، في حين يُوجّه عينه العوراء نحو شؤون الناس مع أنّهم هم صانعوا التاريخ وأسياده، ولكن أكثر المؤرّخين لا يعلمون.

وذلك هو ـ فيما نرى ـ الظهير السياسي ـ الاجتماعي الذي تعامل معه الشهيد بعد أوبته من رحلته العلميّة الواسعة، ونظن بالسرائر ـ أنّه الحافز الذي بعثه إلى الفكر وإلى العمل، وِفق منهج مُتكامل، سيكون علينا أن نصِفه وأن نُبيّن عناصره فيما بقي من هذا الفصل.

حقٌ أنّ جبل عامل، لم يُصَب إصابةً مباشرة في ذلك المُسلسل ذي الحلقات، الآخذ بعضها رقاب بعض، لكنّنا رأينا ـ وكأنّما رأي العين ـ أنّ الشيعة كانوا الخاسرى الأكبر بل الوحيد في كلّ ما جرى منذ نكبة كسروان، وغنيّ عن البيان أنّ أعضاء الجسد تتداعى، وأنّ ما أصاب جزءاً منه نذيرٌ للجزء الآخَر، خصوصاً وأنّنا قد عرفنا أن قسماً بل القسم الأكبر ممّن هُجّروا منه قد لجأ إلى جزّين بلد الشهيد ومنطقتها، ثمّ إنّ القارئ لرسالة ابن تيميّة إلى السلطان، الحافلة بضروب التضليل والبهتان، ليرتاع لِما فيها من إغراء صريح بسفك المزيد والمزيد من دماء الشيعة، مع تحريض خاص بأهل جزّين و جبل عامل هم وسائر هذا المذهب الملعون، مثل أهل جزّين وما حواليها، وجبل عامل ونواحيه٪»[1] ليعود في خاتمتها إلى تأكيد التحريض، مع إضافة مناطق أُخرى «تمام هذا الفتح وبركته تقدّم مراسم السلطان بحسم مادّة أهل الفساد [...] وهي قرى متعدّدة بأعمال دمشق وصفد وحمص وحلب»[2]. وكان جبل عامل آنذاك من أعمال صفد.

فنحن نرى من مجموع هاتيك الوقائع الثابتة والنصوص الواضحة والتحليلات المقبولة، أنّه كان هناك بالفعل في وطن الشهيد بواعث كافية للعمل تجعل كلّ الذين يرون في أنفسهم هدفاً فعليّاً أو مُحتمَلاً لأعمال مَن يملكون مقاليد السلطة أو يُصغون إلى مثل ما سمعناه من تحريض يبحثون عن مخرَج يقيهم الشرور العظيمة التي تلوح تباشيرها، وما مثل هذه الأزمّة مَحَكاً لمعادن الأُمم والرجال، وما مثلها هذا الظرف ظرفاً لبروز الأبطال.

---

١. العقود الدريّة، ص ١٨٥.

٢. العقود الدريّة، ص ١٩٢.

٥. في سوح العمل، الإعداد الفكروي

لسنا نملك صورة واضحة عمّا كان يجري داخل جزّين بعد عَوْد الشهيد إليها واستقراره فيها، كلّ ما عندنا أصداءٌ تتجاوب عاكسةً بتجاوبها صورةً مُجتزَأةً ممّا يجري. وهذا من نتائج ضياع ما سجّله تلاميذه، وأشار إليه أو إلى بعضه مُختصِر نسيم السحَر، ومن المُرجّح أنّ عثورنا على أصل هذا الكتاب الهامّ، سيُضيف الكثير إلى معلوماتنا عن أعمال الشهيد في هذا النطاق، وهو أمر ما نزال نأمل حصوله إن شاء الله تعالى.

ليس في أعمال الشهيد الأُولى بقدر ما تعطينا إياه الكتُب التي سجّلت سيرته ما يدلّ على أنّه كان يرمي إلى أمر كبير، وهذا أمر مُتوقع بالنسبة لامرئ كان عليه أن يبدأ من لا شيء تقريباً، ولو أنّه أُتيح لتلك الأيّام ذات الخطر أن يُراقب ما يجري فيها آنذاك بعين يقِظة ويُسجّل أحداثها لما وجد الكثير ممّا يستحقّ التسجيل. فها هو أحد أبناء هذه القرية الهادئة الفقيرة يعود إليها بعد غياب طال زهاء التسع سنوات أو أكثر قضاها في طلب العلم ولقاء الشيوخ ولكن مثل هذا حدث من قبلُ في المنارة و طلّوسة و مشغرة، بل حتّى في جزّين نفسها [١] دون أن يؤدّي إلى كبير أمر.

ثمّ إذا به يُنشئ فيها مدرسة [٢] اختار لها مكاناً في أعلى القرية، حيث يوجد نبع الماء الذي يُغذّي النهر الصغير الذي يشقّها، ولكن مثل هذه المدرسة ـ أو أصغر منها حجماً ـ قد أُنشئت قبل نصف قرن تقريباً في قرية مَجدَل سلم غير البعيدة، ثمّ قمعتِ السلطةُ مُنشئها، وهو نفسه مُدرّس طلابها [٣]، وبذلك انتهت أوّل أحلام جبل عامل باليقظة على الواقع المَرير، الذي يسلبه حقه الطبيعي في العمل باتجاه التقدّم، كما كان المُحتلون الصليبيون من قبل يفعلون.

لكن هذا القادم يأتيه الآن بمجد غير مسبوق، وهو الذي لم يخرج من الحلّة إلّا بعد أن غداً من شيوخها وصاحب حلقة، وذلك بالنسبة لقومه العطشى خصب وريّ، وهم أولاء الذين عرفناهم مُستَفزّيَن إلى ما يعلو بذاتيّتهم المأزومة بالاحتلال الطويل إلى المعارج التي

١. جبل عامل بين الشهيدين، ص ٦٧ ـ ٧٨.
٢. مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق هذا الكتاب.
٣. جبل عامل بين الشهيدين، ص ٧٨ ـ ٨٩.

تهفو إليها أنفسهم بعد أن انقضت عهود الضّيم والهضم والاستلاب والريادة البطيئة، وها الآن مَن جاء يقودهم على الصراط المُستقيم.

من هنا، فيما نحسب، انطلق الشهيد، رافعته الأولى مكانته العلميّة التي تتوفّر الأدلّة والملاحظات على أنّها أكسبته بسرعة موقعاً عالياً في بلده جزّين أوّلاً، كما تقتضي طبائع الأشياء، وهو هو ذلك البلد ذو التاريخ الأكثر عراقة بالنسبة لكلّ ما حوله في إنتاج العلماء ثمّ بالتأكيد في جبل عامل وعَبْره في عالم التشيّع القريب والبعيد الأمر الذي جعل منه قطب الرّحى بين قوم هم بالفعل في مسيس الحاجة إلى قطب يُدبر أمورهم ويلمّ ما تشعث منها في القرون الثلاثة الماضيات ويُحرّرهم من أزمتهم التي طال استحكامها.

لكن المُشكلة أنّ ذلك القطب كان وحيداً والمُهمّات ثِقال، نقول هذا مع علمنا بأنّ من تلاميذه في الحلّة ثلاثة من أبناء جبل عامل هم:

الأوّل: عليّ بن بشارة العاملي الشقراوي الحناط، نسبةً إلى بلدة شقرا المعروفة حتّى اليوم بالإسم نفسه في جبل عامل.

الثاني: عزّ الدين أبو عبد الله الحسين بن عليّ العاملي.

الثالث: حسين بن محمّد بن هلال الكركي، نسبة إلى بلدة الكرك في سهل البقاع شرق لبنان اليوم.

كما أنّه استحضر أو تبعه إلى جزّين ثلاثة من تلاميذه العراقيين، هم:

الأوّل: محمّد بن الخازن الحائري.

الثاني: محمّد بن عبد العلى بن نجدة.

الثالث: المقداد بن عبد الله السيوري.

لكنّنا لا نعرف ما يُذكر عن أعمال أُولئك العامليين الثلاثة، بل لا نعثر على أيّ إشارة يُفهم منها أنّهم رجعوا إلى وطنهم، وقد يكون ذلك راجعاً إلى ضياع كثير من المعلومات عن تلك الفترة، في حين أنّنا على يقين من أنّ التلاميذ العراقيين الثلاثة قد تركوا وطنهم وتبعوا شيخهم وعاشوا معه في جزّين حتّى شهادته، ولا ريب في أنّهم عاضدوه في أعماله، كما أنّهم أغنوا معلوماتنا عنه[1]، كما أنّه لا ريب في أنّ السيوري كان أبرزهم، كان (بيّض الله

١. مختصر نسيم السّحر، ضمن ملاحق هذا الكتاب.

غرّته) رجلاً جميلاً من الرجال جهوري الصوت ذرِب اللسان مُفوّهاً في المقال، مُتقناً في علوم كثيرة فقيهاً مُتكلماً أُصولياً نحوياً منطقياً، صنّف وأجاد، كما شهد تلميذه الحسن بن راشد الحلّي [١]. ويقول تلميذه هذا:

ورتّبَ [يعني السيوري] القواعد للشيخ الشهيد محمّد بن مكّي ترتيباً اختاره. وبحثتُ معه شيئاً منها، فقطع المُباحثة لأمر لم يُطلعني عليه وعن إتمام كتابتها، وقال: إنّي كتبتها لنفسي، وإنّي لا أكتبها أبداً... [٢].

وأعتقد أنّ القارئ العارف يُشاركني التأثّر العميق بما تشي به هذه الكلمات، من حزن السيوري المُقيم للنهاية الفاجعة لشيخه، وهو الذي غادر جزّين نهائياً بعد ذلك ليموت في النجف بتاريخ ٢٦ جمادى الآخرة ٨٢٦.

نبتغي من إيراد هذه المعلومات عن تلاميذ الشهيد الأوائل، الإلماحَ إلى أمر نحسّه وهو أنّه كان منذ أيّامه الأخيرة في الحلّة على الأقلّ، يضع الخِطط لما سينهمك فيه بعد عوده إلى وطنه، وأنّه في هذا السبيل استحضر معه أو بعد أن أتمّ رحلته العلميّة عدداً من خِيار تلاميذه فيها، لكي يعاضدوه فيما ينتظره من مهام، وعلى رأسها إعداد النخبة التي سيكون عليها بانتشارها المدروس أن تتولّى زمام قيادة شعبه وتوجيهه وتنظيمه وهذه آلية في العمل راكم التشيّع ورجاله خبرات طويلة عليها، منذ أيّام الأئمّة عليهم السلام.

ولقد كنّا قد استفرغنا الوسع في الفصل الفائت، في تعداد أسماء مَن نعرفهم من تلاميذ الشهيد، وانتهينا إلى أنّ مَن نعرفهم ـ على كثرتهم ـ هم أقلّ ممّا نعتقد، وأتى الآن أوان تركيب هذه المعلومة في سياق، فمن المعلوم أنّ البحث إنّما هو تقميش فتركيب، وأكبر السرّ كامن في التركيب.

إنّ أوّل ما يلاحظه المُتأمّل في سيرة الشهيد ذلك الحشد من الفقهاء الذي ربّاه، وهو حشد غير مسبوق في تاريخ جبل عامل، الذي ندُر أن اجتمع فيه من قبلُ فقيهان في عصر واحد، وفي هذا السبيل هيأ أسباب النجاح، فاستحضر من تلاميذه معه مَن يعاضدوه فيما خطّط له، كما سبق منّا القول قبل قليل، ثمّ إنّه أنشأ مدرسة وُصفت بأنّها «عظيمة» هي أوّل المدارس

١ و٢. الضياء اللامع، ص ١٣٩.

في جبل عامل، وربّما كانت المدرسة الوحيدة في تاريخه الحافل، بل إنّه عمد إلى تصنيف كتاب في الفقه الاستدلالي سمّاه «الدروس ليتدرّب به تلاميذه الناضجين على فنّ الاستنباط، وجماع هذه عملٌ إعدادي بكامل الأدوات.

هذه الملاحظة ذات وجهين فهي من جهة، تدلّ على اهتمام الشهيد البالغ بهذا الشأن الإحيائي، كما أنّها تدلّ من جهة أُخرى على أنّه كان يزرع غرسه في أرض خصبة أي أنّ الفضل أيضاً في المحل القابل، فما من مُشعلٍ ناراً في رماد بارد مهما يكن حطبه جَزْلاً ومهما نفخ فيه.

هكذا دفع الشهيدُ التوقَ المُزمن الكامن في وطنه إلى حيّز الفعل، ونذكر هنا بقول أوّل مَن أرّخ لـ«جبل عامل» الثقافي، الحرّ العاملي:

> قد سمعتُ من بعض مشايخنا أنّه اجتمع في جنازة في قرية من قرى جبل عامل سبعون مُجتهداً في عصر الشهيد أو ما قاربه[1].

ومهما يكن في هذا العديد أو الوصف من مبالغة فإنّه يدلّ دلالة مُؤكدة على حجم النقلة التي تمّت على يده وما أُولئك الرجال الذين تحلقوا حول قطب الأوان إلّا الطليعة التي ستُنْبتُ أمثالها، وستمتدّ في الزمان وتنداح في المكان، مؤسّسة لواحدة من أعظم ملاحم الفكر وأشدّها إثارةً للعجب، لأنّها نبتت من خارج القوانين المعروفة لنبات أمثالها، فمن المعروف أنّ الناس إنّما يصرفون جهدهم إلى شؤون الفكر أو الأدب أو الفنّ بعد أن يُحقّقوا لأنفسهم حدّاً مقبولاً من الكفاية في حاجاتهم الأساسيّة، ولكن هذه نمَت وازدهرت وأثمرت في العوْز والتطويق والحذر، بل واستمرّت حتّى بعد القتلة الشنيعة لرائدها، وكأنّ شيئاً لم يكن، وفي هذا ما هو أشدّ إثارة للعجب، ودليل لا يُدحَض على قوّة التصميم التي عمرت نفوس أُولئك الرجال.

هناك من الأدلّة ما يكفي على أنّ تلاميذ الشهيد وأبناء مدرسته قد انتشروا من بعد في مُختلف الأنحاء. وكان لهم من الأثر في الميادين الفكريّة والاجتماعيّة والسياسيّة بين قومهم ما يستحقّ أن يُفرَد بالحديث. وسنقِف عليه إن شاء الله تعالى.

---

١. أمل الآمل، ج ١، ص ١٥.

بيدَ أنّنا قبل أن ندخل في هذا البحث المُعقد علينا أن نُبيّن أمراً نراه ضرورياً جدّاً هو في وجه من وجوهه مُكمل لِما فرغنا منه، حيث بيّنّا أعمال الشهيد في إعداد النُخبة، لكن طغى عليه هناك الاهتمام بالجانب الإعدادي العملي، وسيكون علينا الآن أن نهتمّ ببيان الجانب الإعدادي الفكري وهو مُتمّم لذاك العملي، و بدون الوقوف عليه لن يكون في وسعنا أن نفهم بعض ما سيكون محلّ اهتمامنا فيما يأتي من سيرته.

هذا الجانب يتعلّق بالفقيه وموقعه من مُجتمعه، فلقد علمنا ممّا سبق بيانه أنّ خطة الشهيد تعلقت بإعداد أكبر عدد ممكن من الفقهاء المؤهّلين لكى يكونوا النخبة التي ستوجّه قومها في الطريق الطويل المؤدّي إلى بناء مجتمع مُتراصّ، يملك أدوات الصمود لتُنجيه ممّا هو مُتوقع من حلقات ذلك المُسلسل المُهلِك الذي حاق به، ومن الغني عن البيان أنّ أمراً كهذا لن يتأتّى من دون رَسم حدود واضحة لموقع الفقيه تكون معلومة عنده وعند الناس.

إنّ القارئ لمؤلّفات الشهيد الفقهيّة ـ إن كان يبحث عمّا نبحث عنه ـ يُلاحظ أنّه أتى بلغة فقهيّة جديدة تدور على مفهوم جديد هو أيضاً، ذلك هو مفهوم «النائب العام» للإمام، مؤدّاه أنّ كلّ فقيه اجتمعت فيه أوصاف معلومة يكون نائباً عاماً عن الإمام، والوصف بـ«عام» هنا هو للنائب الفقيه، وليس للنيابة، وهو آتٍ من أنّ التنصيص عليه قد ورد في مصادره على أوصاف وشروط، وكلّ مَن اجتمعت فيه اكتسب صلاحيّات قضائيّة وحِسبيّة وتنفيذيّة، وذلك في مقابل النائب الخاصّ الذي كان أحد الأئمّة ينصّ عليه بالذات ابتغاء تقديم الخدمات والرعاية للمؤمنين في البلاد البعيدة حيث لا يتيسر الاتصال بالامام. نصوص هذه اللغة الفقهيّة الجديدة كثيرة [1].

هذه نصوص حافلة بالمعاني والمغازي تتركنا نعتقد بأنّ صاحبها يُدير في ذهنه مشروع سلطة موازية للسلطة الفعليّة، بل تتقدّم عليها: قضاء مُستقلّ عن النظام القضائي القائم: يفصل الخصومات، ويُنفذ الحدود والتعزيرات، ويجب الرجوع إليه حصراً عند الاقتضاء، جهاز إفتاء مُماثل، نظام جباية وصَرْف، هذه بمجملها خطوة هائلة إلى الإمام بالتركيبة الثقافيّة التي خاطبها الشهيد بفتاواه تلك، نقول هذا مع علمنا بأنّ رُبّ قارئ قد لا يرى فيها

١. انظر الفصل السادس من الباب الأوّل: «مكانته العلمية والأخلاقية وبعض آرائه».

كبير أمر، لأنّه يعرف أنّ نظاماً كهذا كان قائماً عاملاً في عصر الأئمّة عليهم السلام، وخصوصاً منذ الإمام الكاظم (١٤٨ ـ ١٨٣)، هذا صحيح، ولكن هذا النظام توقف تدريجياً بعد انقضاء فترة الحضور العلني للأئمّة، وبادرة الشهيد الآن هي أوّل محاولة لإحياء هذه الصيغة بكامل عناصرها في الإطار السياسي الاجتماعي الذي أصبح القارئ على خُبر منه.

نلاحظ أيضاً أنّ الهمّ الأمني حاضر بقوّة في لغة تلك الفتاوي: «مع المُكنة» و «يجب مع الامكان» و «يجب مع الأمن» و «يجوز مع الأمن»، وفي هذا دليل على حالة القلق التي كانت تعمر نفس الشهيد وهو يخطّ فتاواه، ونخال أنّه وصيّة ضمنيّة لشعبه بضرورة الحذر وهم يعملون بما أفتى لهم، والعلاقة بين مضمون هذه الملاحظة وبين الظرف السياسي الذي صدرت فيه غنيّة عن البيان.

ممّا لا ريب فيه أنّ جذور هذه الأفكار قد استحضرها الشهيد من الحلّة، حيث ساد المنهج الأُصولي العقلي الاجتهادي، وحيث شهدنا البدايات المُتواضعة الأولى للتفكير السياسي الإمامي في عصر الغيبة على يد الرائد الكبير محمّد بن إدريس الحلّي (م ٥٩٨). ثمّ طوّرها من بعده المحقّق الحلّي جعفر بن الحسن بن سعيد (م ٦٧٦)[١].

هكذا يبدو لنا الآن بكامل الوضوح أنّ الشهيد كان يعمل على نقل شعبه إلى موقع سياسي، ويُحرّك الكتلة الشيعيّة الكبيرة والخامدة أيضاً في وطنه إلى حيث تغدو مالكة لزمام أمرها وقادرة بالتالي على استعادة ما أخذته منها كوارث القرون الثلاثة الماضية، أو ـ على الأقلّ ـ الصمود لعوادي الأيّام في ظلّ السياسة المملوكيّة ومُمثليها المحليين. يبقى أن نقِف الآن على التطوّرات العمليّة في هذا السياق.

٦. أعمال الشهيد تؤتي ثمارها

ليس في يدنا نصوص مباشرة تؤرّخ للفترة التي نتوقّع أن تكون الأعمال الإعداديّة للشهيد قد بدأت تؤتي ثمارها، وذلك بسبب غياب التسجيلات التاريخيّة الخاصّة أي التي كتبها مؤرّخون معنيّون مباشرةً بمراقبة وتسجيل أحداث تلك الأيّام ذات الخطر، جبل عامل

١. للتوسع على مضمون هذه الملاحظة، مقالتنا: «عالِم الدين الإيراني ودوره في مجتمعه». منشورة في فصليّة شؤون الاوسط، العدد ١٠٣، صيف ٢٠٠١ م.

الذي كان آنذاك يحبو باتجاه نهضته الآتية لم يكن قد أنجب مؤرّخاً واحداً والتسجيلات الوحيدة التي كتبها مُراقبون محلّيّون هي تلك التي يُشير إليها مُختصِر نسيم السحَر على سيرة الشهيد ممّا كتبه تلاميذه، وذلك الغياب مفهوم جدّاً، فالناس إنّما يكتبون تاريخهم شعوراً منهم بذاتيّتهم وأهمّيتهم، الأمر الذي لم يتحقّق لجبل عامل إلّا بعد أن اكتسب كيانيّته الثقافيّة، وهنا كتب الحرّ العاملي كتابه الشهير (أمل الآمل)، الذي أرّخ فيه لفترة النهضة من تاريخ بلده بالترجمة لأعلامها.

من هنا فإنّ كلّ ما عندنا عن تاريخ تلك الفترة هو ما سجّله مؤرّخون راقبوا الأحداث من خارجها، وهم عموماً مؤرّخون سلطويون إنّما يولون تاريخنا شيئاً من الاهتمام فقط حيث تتقاطع الأحداث مع تاريخ السلطة.

في هذا النطاق فإنّنا نجد ثلاثة نصوص أساسيّة تتفاوت من حيث أهميّتها، كما أنّها تنظر إلى الحدَث من زوايا مختلفة ولكنّها بمجموعها تُقدّم لنا ملامح تكفي لأن نتصوّر بعض ما كان يجري في تلك الأيّام الانقلابيّة.

الأوّل: ما يذكره أكثر من مصدر عن «أعوانه» و «رفيق له» اسمه عرفة[1]، والضمير في الكلمتين يعود للشهيد، وهو نصّ غامض وغريب، ما من ريب في أنّه يكتم أكثر ممّا يُظهر، فمن هو «عرفة» هذا؟ وما كانت علاقته بالشهيد؟ وما هي دلالة أنّه كان للشهيد أعوان في مدينة طرابلس البعيدة عن جبل عامل؟ وما معنى «مُعتقده» في قول المصدرين معاً: «وضربت عنق رفيقه عرفة بطرابلس وكان على مُعتقده»؟ ومُعتقده عند العسقلاني والحنبلي هو «مذهب النصيريّة»[2]، فهل نفهم من ذلك أنّ الشهيد مدّ نشاطه إلى منطقة طرابلس، حيث توجد عدّة قرى معمورة بالعلويين الشيعة، وأنّ السلطة ردّت بأن قتلت رفيقه عرفة في الفترة نفسها التي قتلت فيها الشهيد، بل وأنّها حرصت على قتل عرفة في طرابلس كيما تكون قتلته بمثابة رسالة إلى قومه بضرورة الاستكانة؟ أسئلة لا نجد سبيلاً للجواب عليها.

مهما يكن فإنّ من المفهوم أنّ كلمة «أعوانه» تُشير إلى فريق عمل ـ على شيء من

١ و٢. انظر الفصل العاشر من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

التنظيم على الأقلّ ـ يتلقي الأوامر من الشهيد كما أنّها قد تعني ـ فيما تعنيه ـ الفقهاء الجدد من تلاميذ الشهيد، الذين انتشروا في مختلف القرى والبلدان وخصوصاً في المنطقة الساحليّة ومنها طرابلس مُسلّحين بأفكار شيخهم، ممّا سنعالجه في قراءتنا الآتية لنصّ التوقيع الذي نشرته السلطة في دمشق بعد قليل.

أما «رفيق له» فهي تدلّ على معنى عام يصعب تحديده بدقة، ولكن السياق الذي وردت فيه الكلمة بالإضافة إلى حرص السُّلطة على قتل ذلك «الرفيق» في بلده طرابلس، للغرض الذي ذكرناه، يتركنا نعتقد أنّ السلطة كانت في وضع مُلاحقة جماعة أشبه بتنظيم واسع الانتشار.

الثاني: يقول المقداد بن عبد الله السيوري، تلميذ الشهيد المُقرّب: إنّه كان ممّا أُخذ على شيخه وأدّي إلى المحاكمة التي انتهت بقتله أنّه «كان عاملاً»[1] وهي عبارة ذات مغزى عميق جاءت بكلمة من خارج الكلام الدائر على الألسن «عامل»، هي، ولا ريب، قادمة من اللغة الديوانيّة الرسميّة، ممّا يُشير إلى المصدر الذي أتت منه، أعني السلطة المملوكيّة بالذات، وإننا نعلم ـ استناداً إلى المقداد ـ أنّها كانت من ضمن المحضر الذي تولّى تنظيمه الخائن تقي الدين الخيامي بحقّ الشهيد ورفعه إلى القاضي المحلي في «صيدا» أو في «بيروت»[2]، ممّا يُشير إلى أنّه ـ أي المحضر ـ كان نتيجه تفاهم أو تنسيق بين الخيامي وبين السلطة.

في سبيل فهم معنى الكلمة رجعنا إلى المصادر المعنيّة بتحديد معاني الكلمات المُستعملة في اللغة الديوانيّة الرسميّة وعلى رأسها طبعاً صُبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلشندي (م ٨٢١)، حيث عثرنا على التعريف التالي:

> العامل: وهو الذي يُنظّم الحُسبانات ويكتبها، وقد كان هذا اللقب في الأصل إنّما يقع على الأمير المُتولّي لِلعمل. ثمّ نقله العُرف إلى هذا الكاتب، وخصّه به دون غيره[3].

إذن، فنحن هنا أمام معنيين للكلمة:

تاريخي مهجور، ذو مضمون سياسي «يقع على الأمير المُتولّي للعمل» أي الوُلاة على

---

١ و٢. راجع الفصل العاشر من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

٣. صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج ٥، ص ٤٦٦.

الأقطار، والتفسير الوحيد المُتصوّر لإتهام الشهيد بتهمة كهذه هو الصّلة التي قامت بينه وبين عليّ بن المُؤيّد الخراساني اعتبرها الوُشاة ـ على سبيل تحريض السلطة على الشهيد ـ نمطاً من تولّي العمل له، وما من ريب في أن تُهمة كهذه، ستكون كافيةً لتذكير السلطة بدور ابن المؤيّد في فتح أبواب خراسان أمام تيمور [1] عدوّها اللدود، خاصّةً وأنّه منذ السنة ٧٨٣كان ابن المُؤيّد قد غدا مُجرّد ظلّ لتيمور في خراسان، بحيث إنّه لن يكون من الصعب تداعي تصوّر السلطة للصلة بين الشهيد وابن المؤيّد حتّى تصِل إلى تيمور نفسه، ولاننسَ أن تيمور كان يتظاهر ـ لأسباب سياسيّة ـ بالميل إلى التشيّع، حتّى أنّه عندما فتح دمشق بعدُ أعلن أنّه يأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام من أهلها [2].

لكن ما يُهوّن من شأن هذه الفذلكة إجمالاً، أنّ القلقشندي يُصرّح بأنّ هذا المعنى التاريخي للكلمة كان مهجوراً في زمانه.

المعنى الثاني للكلمة «الذي يُنظّم الحُسبانات ويكتبها» هو الذي كان معمولاً به في عصر القلقشندي الذي هو عصر الشهيد أيضاً، ومن الغنيّ عن الذكر أنّه لهذا السبب أدعى للاهتمام، بالإضافة إلى أنّه يبدو لنا مفهوماً جدّاً.

ذلك أنّنا عرفنا ممّا فات قبل قليل، أنّ الشهيد حكم بدفع خمس المكاسب إلى الفقيه الجامع لشرائط الفتوى (نائب الإمام)، وهذا يعني إحياء العمل بخُمس المكاسب، وهو تشريع يمنح الفقيه الحق في جباية ثلاثة سهام من أصل ستّة من خُمس فاضل نفقة كلّ مُكلّف، أي عشر فاضل النفقة [3].

---

١. عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص ١٩.

٢. حبيب السّيَر في أخبار أفراد بشر، ج ٣، ص ٤٩٧ ـ ٤٩٨.

٣. من المفيد أن تكون لدى القارئ فكرة عن تاريخ هذا التشريع، لانّه سيُقرّبه من فهم أبعاد خطوة الشهيد في هذا النطاق، وعليه نقول: إنّ موضوع التشريع في أصل الشرع مغانم الحرب، والنصّ عليه في قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (الأنفال (٨): ٤١). ومنذ الإمام السابع، موسى الكاظم عليه السلام (١٤٨ ـ ١٨٣)، على الأقلّ، بدأ العمل بخُمس المكاسب، والظاهر أنّ التدبير اعتمد لتمويل التوجهات الجديدة للأئمّة، بعد انجلاء سنوات المحنة، التي بدأت بيوم كربلاء، تلك التوجّهات التي بدأت معرفيّة ـ إعداديّة على يدي الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام (٩٥ ـ ١٤٨). ثمّ تطوّرت بإضافة تدبيرات ذات طابع تنظيمي اجتماعي عملت على تنظيم ورعاية شؤون الشيعة المتكاثرين في العراق وإيران و ←

وعليه هل يمكن القول أنّ الشهيد قد أنشأ نظاماً خاصّاً به للجباية؟ الجواب على السؤال يقتضى أن نقِف على النصّ الثالث والأخير، من بين النصوص التي نعالجها في هذا القسم.

الثالث: نصّ التوقيع الذي أصدرته السلطة المملوكيّة بتاريخ ٢٥ جمادى الآخرة ٧٦٤ «بمنع أهل صيدا وبيروت وأعمالهما من اعتقاد الرافضة والشيعة وردْعهم»[١] وهو من أهمّ وثائق هذه الدراسة إن لم يكن أهمّها على الإطلاق، وقد أورده القلقشندي في كتابه بوصفه ـ ويا لحُسن حظنا ـ مثالاً وأُنموذجاً يُحتذى لِما «يُكتب في الأوامر والنواهي الدينيّة»، في سياق عمله الرامي إلى تدريب كُتّاب الدواوين الرسميّة على مُختلف صنوف التوقيعات والرسائل، ولا شكّ في أنّه حين اختاره دون سواه لم يكن معنيّاً أبداً بمضمونه التاريخي الذي يحظى عندنا اليوم بالأهمّيّة الكُبرى، وسنعمل على تحليله وكشف خبيئه، وسنبدأ بتحديد مَن مِن رجال السلطة الذي أمر بكتْبه وإذاعته على المُوجّه إليهم.

من المعلوم أنّ هذا التوقيع ومثله إنّما يصدر عن أعلى مراكز الأمر في الدولة، أي إمّا عن السلطان نفسه، وإمّا عن أحد نوّابه، وبما أنّ التوقيع مُوجّه خِصّيصاً إلى «أهل صيدا وبيروت وأعمالهما»، وقد عنونه القلقشندي بـ«ما يُكتب عن نُوّاب السلطنة بالممالك»، فهذا ينفي أنْ يكون قد صدر عن السلطان، إذن فالاحتمال الوحيد الباقي هو أنّه صدر عن نائبه في الشام وقد كان بتاريخ التوقيع الأمير الكبير سيف الدين بَيْدَمر الخوارزمي في ولايته الثانية[٢] وهو نفسه الذي تكاد المصادر تتّفق على أنّه الآمر بقتل الشهيد في ولايته الثالثة من بين ولاياته الستّ عليها، وهذه هي النتيجة الأُولى التي نخرج بها من دراسة نصّ التوقيع، وهي نتيجة هامّة من حيث إنّها تُطلّ بنا على الأفكار المُحرّكة لهذا النائب، ومن هنا ربّما تُعيننا على معالجة الإشكاليّات المُحيطة بنصوص واقعة الجريمة.

← آسية الوسطى، لكنّها لم تشمل مَن كان منهم في المنطقة الشاميّة والحقيقة أنّ هذا التدبير كان من أنجح وأبرع تعميمات الاحكام وأعودها خصوصاً وأنّ الحكم الأصلي أعني خُمس مغانم الحرب غدا غير ذي موضوع بعد انحسار حركة الفتوح فإذا صحّ قولنا: إنّ الشهيد قد أحيا العمل بهذا التدبير، فهذا يعني أنّ المنطقة الشامية التي لم يكن لها منه نصيب على عهد الأئمّة كان من حظّها أن يكون لها قصب السبق لإحيائه من بعدهم على يد الفقيه. الأمر الذي أصبح معمولاً به من بعدُ على أوسع نطاق.

١. صُبح الأعشى، ج ١٣، ص ١٣ ـ ٢٠. ورد النصّ الكامل في الفصل العاشر من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

٢. إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الكُبرى، ص ٢٦.

من الغنيّ عن البيان أنّ التوقيع هو من صياغة كاتب مُحترِف لابدّ أنّه أحد الموظّفين في دار النيابة، ومع ذلك فإنّ مضمونه ـ ولا ريب ـ يحمل بصمات رأس السلطة المحلّي، أي نائب السلطان، وهذا إجمالاً واضح.

يُمكن قسمة نصّ التوقيع الطويل إلى ثلاثة عناصر:

الأوّل: المقدّمة التقليديّة، وهي استعراض لمسيرة الإسلام ابتداءً من البعثة النبويّة إلى أن «ظهرت البدَع والضلالات وضلّ كثيرٌ في كثيرٍ من الحالات» ليَصِل إلى عَرْض رأيه في الشيعة ومذهبهم، فيقول:

> وكان من أسخفهم عقلاً، وأضعفهم نقلاً، وأوهنهم حُجّةً، وأبعدهم من الرشد مَحَجّةً، طائفة الرافضة الشيعة [...] فأدّاهم ذلك إلى القول بأشياء، منها ما يُوجب الكفر الصراح، ويُبيح القتل الذي لا حَرَج على فاعله ولا جُناح.

إذن، هذه هي النتيجة التي يرمي إعلان التوقيع إلى الوصول إليها «يُبيح القتل». أو بالأحرى التهويل به، بشهادة أنّه سيقول:

> وأردنا أنْ نُجهز طائفة من عسكرالإسلام، وفِرقة من جُند الإمام، تستأصل شأفة هذه العُصبة المُلحدة، وتُطهّر الأرض من رِجس هذه المفسدة، ثمّ رأينا أن نقدّم الإنذار، ونسبق إليهم بالإعذار، فكتبنا هذا الكتاب.

ولو أنّ السلطة كانت عازمة أو قادرة على الاستئصال لما لجأت إلى الإعذار والإنذار، هذا خِلاف كلّ ما نعرفه عن الأُسلوب المملوكي العسكري في معالجة الأُمور، الذي لجأ دائماً إلى أقسى وأعنف الحلول، والظاهر أنّ سبب عجزها عن معالجة المُشكلة بأُسلوبها الأثير يعود إلى اتساع رقعة انتشار الشيعة آنذاك كما سيصفها نصّ التوقيع.

ولكن، ما هي تلك «الأشياء» التي أدّاهم القول بها إلى «ما يُوجب الكفر الصراح»؟

يُسارع نصّ التوقيع إلى بيانها واحدةً واحدةً، وهي:

> أنّهم يسبّون خير الخلق بعد الأنبياء والمرسلين؛
>
> يستحلّون دم أهل السنّة من المسلمين؛
>
> يستبيحون نكاح المُتعة ويرتكبونه؛
>
> يأكلون مال مُخالفيهم وينتهبونه؛

يجمعون بين الأُختين في النكاح؛

يتديّنون بالكُفرالصّراح.

هذه استعادة كاملة لخطاب ابن تيميّة في رسالته للسلطان التي كتبها تبريراً للأعمال الوحشيّة التي ارتكبها جماعته في كسروان[1]، وكأنّ الزمان قد دار دورته بعد ستّين سنة من تلك الأيّام السوداء، ليرجع إلى النقطة نفسها التي بدأ منها هذا المُسلسل، حيث يتآزر البهتان والعُنف الهمجي، وغنيّ عن البيان لقارئ عارف وعى قلبه ما قدّمنا به من مراجعةٍ نقديّةٍ لرسالة ابن تيميّة أنّه باستثناء استحلال نكاح المُتعة فإنّ كلّ ما أتى به التوقيع من أشياء توجب الكفر هي بهتان واختلاق.

الثاني: وصفٌ فريدٌ لمعالم حركة شيعيّة واسعة الانتشار، وهو أكثر عناصر التوقيع أهميّة لبحثنا، وسنقتبس ما نرى أنّه موضع الحاجة منه:

وقد بلغنا أنّ جماعة من أهل بيروت وضواحيها، وصيدا ونواحيها، وأعمالها المُضافة إليها، وجهاتها المحسوبة عليها، ومزارع كلّ من الجهتين وضِياعها، وأصقاعها وبقاعها، قد انتحلوا هذا المذهب الباطل وأظهروه، وعملوا به وقرّروه، وبثوه في العامّة ونشروه، واتخذوه ديناً يعتقدونه، وشرعاً يعتمدونه. وسلكوا منهاجه، وخاضوا لُجاجه، وأصّلوه وفرّعوه، وتديّنوا به وشرعوه، وحصّلوه وفصّلوه، وبلّغوه إلى نفوس أتباعهم ووصّلوه، وعظّموا أحكامه، وقدّموا حُكّامه، وتمّموا تبجيله وإعظامه، فهم بباطله عاملون، وبمُقتضاه بتعاملون، ولاعلام علمه حاملون، وللفساد قابلون، وبغير السّداد قائلون، وبحرَم حرامه عائذون، وبحمى حمايته لائذون، وبكعبة ضلاله طائفون، وبسُدّة شدته عاكفون.

من البيّن أنّنا في هذا النصّ أمام كلام يُضمِر وجهين:

فعلٌ. هو ما يصِفه من حركة شيعيّة واسعة الانتشار جغرافياً، كما أنّها متميّزة في أكثر من وصف.

ارتكاس على الفعل من قبَل السلطة هو التوقيع نفسه، مع الأخذ بعين الإعتبار أنّه يستعيد لغة وذكريات تاريخيّة قاسية.

---

١. انظر الفصل الأوّل من هذا الباب.

وسنُعلق على الوجهين بادئين بالجانب الجغرافي من النصّ.

وأوّل ما نلاحظه هنا سعة الرقعة التي انتشرت وعملت فيها الحركة الجديدة «بيروت وضواحيها، وصيدا ونواحيها، وأعمالها المُضافة إليها، وجهاتها المحسوبة عليها، ومزارع كلّ من الجهتين وضياعها، وأصقاعها وبقاعها».

والمَعنيّ بـ«بيروت وضواحيها» ثمّ بمزارعها واضح إجمالاً، فالضواحي الجنوبيّة للمدينة كانت وما تزال معمورة بالشيعة، والإضافة إلى معلوماتنا هي في إشارة النصّ الواضحة إلى ثقل سكاني شيعي في المدينة نفسها، يوحي النصّ خصوصاً بأنّه بدأ بذكرها أنّه كان ثقلاً مُعتبراً يُحسب له حساب، هذا مع ضرورة القول كي لا يقع بعض القرّاء في الوهم على حجم بيروت آنذاك أنّها كانت في زمن النصّ بلدةً متوسطة على الأرجح تقتصر على منطقة المرفأ وما يُحيط بها حيث كلّ المساجد القديمة، وهذه إشارة إلى مساحة اتساعها سُكانياً.

ثمّ إنّ علينا أن نُلاحظ أن النصّ يُميّز بوضوح بين هذه، أعني «بيروت وضواحيها»، وبين «مزارع كلّ من الجهتين»، حيث يعني بإحدي الجهتين بيروت نفسها، والتمييز يُشير بالضرورة إلى آخر في ذهن الكاتب وطبعاً في الواقع، ونحن نظنّ أنّه يعني بمزارع جهة بيروت قريتي كيفون و القماطيّة على الأقلّ، وهما كانتا أيضاً منذ زمن غير معلوم منطقتى سكن شيعيّتيَن، خلافاً لرأي الدكتور كمال صليبا الذي حار في لُغز هُويّتهما المذهبيّة في مُحيط غير مُجانس، فانتهى إلى القول أنّهما نشأتا سكّانيّاً بتحوّل جماعات شيعيّة إليهما بقصد العمل ثمّ استقرّوا فيهما[1]، وهو رأي ارتجالى لا سبيل إلى قبوله على الأقلّ بسبب العلاقات المتوترة بين سكان المنطقة الدروز الذي عرفنا ممّا فات اشتراكهم بقوة باجتياح كسروان، ثمّ هاهو نصّ التوقيع يتحدّث عن مزارع مسكونة بالشيعة في جهة بيروت ممّا يُشير إلى وجودٍ مُستقرٍ وثابتٍ وفاعلٍ لهم في تلك المنطقة.

أمّا صيدا ونواحيها وأعمالها المُضافة إليها وجهاتها المحسوبة عليها ثمّ مزارعها وضياعها وأصقاعها وبقاعها فهي تعني امتداد الخط الساحلي جنوباً، ومثلما لاحظنا قبل قليل وسجّلناه بوصفه إضافة إلى معلوماتنا عن وجود للشيعة في بيروت، فإنّ هذا النصّ

١. تاريخ لبنان الحديث، ص ٣٤.

يُضيف إضافة مماثلة عن وجود للشيعة مذكور في صيدا، ثمّ إنّه ولا ريب يعني فيما يعني، بلدان جبل عامل التي كانت آنذاك تابعةً إدارياً وقضائياً لهذه المدينة.

والظاهر أنّ مُنشئ التوقيع قد صَدَفَ عن الاسم التاريخي ومال إلى هذه الصيغة التي يبيّن فيها قصْد الاستيفاء، لأنّ جبل عامل كان قد أصبح بتاريخ النصِّ بُقعة صغيرة نسبياً على إثر القسمة الاداريّة الجديدة التي نظّمتها السُلطة، ابتغاء ضبط جباية الضرائب المفروضة على الأراضي[١]، وعلى كلّ حال فإنّ من الجلي أنّ كاتب التوقيع تذاكى في صياغة هذه الفِقرة، وأراد أن يُظهر لمن يطّلع عليه الطّامّة الدهماء التي نزلت بالأُمّة بهذه الجماعة، ولذلك رأيناه لم يترك مُفرَدة ممّا تُسمّى به البقاع إلّا وزجّها نواحي أعمال، جهات، مزارع، ضياع، أصقاع، بقاع.

ولنلاحظ أيضاً أن لا ذكر لمدينة صور في هذا الحشد، ذلك لأنّها كانت ما تزال خراباً، منذ أن عمدت السُلطة إلى هدمها إثر تحريرها، كما قلنا فيما فات[٢].

خلاصة القول، إنّنا نفهم من مُجمَل الكلام أنّ الحركة التي سيصِف معالمها قد غطّت الساحل من بيروت إلى آخر ما تعنيه نواحي صيدا، ومنه طبعاً جبل عامل.

وما بقي من التوقيع حافل بالالغام التي ترمي إلى خِداع القارئ له أو مَن يصِل إلى سمعه إنّه يتركه يعتقد أنّه أمام أمر حادث لم يكن ثمّ كان، ونحن نقبل هذا الوصف على عِلّاته مؤقتاً لأسباب تتّصل بمصلحة البحث، وسنقولها للقارئ بعد قليل، لا أقلّ من تفسير انبعاث السلطة إلى نشر التوقيع والذي هو تعبير عن قلقها ممّا يحدث والذي لو لم ترَفيه تهديداً جِدّياً لحكمها لما خرجت على الناس بهذا التوقيع الرنان.

لكنّنا نتحفّظ على قولها: «قد انتحلوا هذا المذهب». لأنّه يعني أنّ التمذهب به أمر حادث جديد، لم يكن ثمّ كان، غير بعيد عن تاريخ إصدار ونشر التوقيع، وكأنّها تريد منّا أن نفهم أنّ انتحال «هذا المذهب» هو من جملة ذلك الحادث الجديد، وذلك أمر غير صحيح دون أدنى ريب، إذ ما من شكّ في أنّ المعنيين بالكلام كانوا شيعة هم وآباؤهم من قبلهم، وما كان هناك من انتحال ولا من مُنتحلين، نعم هم «أظهروه وعملوا به وقرّروه وبثّوه في العامّة ونشروه» وذلك عند العارف ما هزّ السُلطة وأقلقها، أو فلنقل إنّ ما أقلقها في الحقيقة ليس ما

١. لمن يبتغي معرفة تطوّر جبل عامل اسماً ومُسمّى، نرجو الرجوع إلى: جبل عامل بين الشهيدين.
٢. انظر الفصل الأوّل من هذا الباب.

أفصحت عنه الكلمات صراحةً، بل النتائج السياسيّة المُتوقعة من هذه الروح الجديدة، التي تُفصّل الفِقرة الأُولى من التوقيع وجوهها ومظاهرها.

وأوّل ما نقِفُ عليه من ذلك قوله: «أظهروه» يعني «هذا المذهب الباطل»، وغنيّ عن البيان أنّ الإظهار لا يكون إلّا بعد استخفاء، إذن فهذا نصّ لا لبس فيه على أنّ المعنيين بالكلام كانوا من قبلُ لا يُعالنون بشعائرهم ومعتقداتهم، يتّقون بذلك تُقاةً، ثمّ إذا بهم لم يعودوا يبالون بغضب مَن يغضب، ورضى مَن يرضى، بل يعملون على أن يكونوا هم أنفسهم، فيما يفعلون، وفيما انطوت عليه ضمائرهم على حدّ سواء، وما من ريب في أن هذا التبدّل إمارة على حالة جديدة دخلت فيها الجماعة، إعلاناً عن تخلّصها من الإحباط والخوف والإستكانة إلى حالة الإعتداد بالنفس والطمأنينة، وربّما أيضاً توطين النفس على الصدام إذا لزم الأمر، ووصف هذه الحال هو الأكثر أهميّة ممّا نخرج به من تحليل ودراسة نصّ التوقيع، وما الباقي إلّا مَزيد بيان له، وتعليل لأسباب حدوثه.

من القسم الأوّل أي ما فيه مَزيد بيان لِما وصفناه قوله:

وبثّوه في العامّة ونشروه، واتّخذوه ديناً يعتقدونه، وسلكوا منهاجه، وخاضوا لجاجه، وأصّلوه وفرّعوه وتديّنوا به وشرّعوه، وحصّلوه وفصّلوه.

وإنّنا لنفهم من هذا الكلام أنّه يدلّ على حركة عارمة نالت عقائد القوم، أو وفقاً للتصحيح الضروري الذي أدلينا به قبل قليل ما يُعلنونه ويُجاهرون به من عقائدهم كما نالت نظام حياتهم المَبني على أحكام الشرع الذي يؤمنون بصحته، بالإضافة إلى كيف ينظرون إلى أنفسهم وموقعهم من المجتمع الذي يعيشون فيه.

هنا أيضاً علينا أن نُلاحظ أنّ كاتب التوقيع قصد إلى استيفاء كامل الجوانب والأشكال المُتصوّرة للسلوك المَبني على التوجّهات الجديدة: عملوا، قرّروا، بثّوا، نشروا، اتّخذوا، سلكوا، خاضوا، أصّلوا، فرّعوا، وهذا التفريع مُتأثر بأساليب الكتابة في ذلك الأوان، ولكنّه أيضاً ينمّ عن أنّه أراد التهويل بذكرالأنشطة الكثيرة التي توسّلوا بها إلى الخروج عن المسلك المقبول من قِبَل السُلطة ومَن يشدّ على يدها مثلما فعل من قبل، حيث حشد كلّ ما خطر له من مُفردات جغرافيّة ولم يترك مُفردة ممّا تسمى به البقاع إلّا زجّها.

ومن القسم الثاني أي تعليل ما قد حصل قوله: «بلّغوه إلى نفوس أتباعهم ووصّلوه»،

باعتبار أنّ كلّ ما وصفه الكاتب في الأوّل هو نتيجة لاعمال أُولئك الذين سمّاهم «حُكّامه». وسنقول بعدُ من هم هؤلاء الحُكّام.

الثالث: من عناصر التوقيع إنذار مُوجّه إلى مَن يقصدهم بالخطاب، من الواضح أنّه غرض السُلطة وبُغيتها:

> وأردنا أن نُوجّه طائفة من عسكر الإسلام، وفرقة من جُند الإمام، نستأصل شأفة هذه العُصبة المُلحدة، ونُطهّر الأرض من رجس هذه المفسدة، ثمّ رأينا أن نُقدّم هذا الإنذار،أو نسبق إليهم بالأعذار، فكتبنا هذا الكتاب، ووجّهنا هذا الخطاب، ليُقرأ على كافّتهم، ويُبلغ إلى خاصّتهم وعامّتهم، يُعلمهم أنّ هذه الأُمور التي فعلوها، والمذاهب التي انتحلوها تُبيح دماءهم وأموالهم، وتقتضي تعميمهم بالعذاب واستئصالهم.

الإنذار لوضوحه مُستغنٍ عن التعليق، لكن السؤال هنا: لماذا «تسبق إليهم بالأعذار» وهي الدولة التي آثرت دائماً الحسم بحدّ السيف بحكم ذهنيّة رجالها العسكريين؟

يصعُب القول على نحو الجزم، لكنّنا نذكر احتمالات:

الأوّل: حصانة جبل عامل الطبيعيّة وخصوصاً قلبه الفكري آنذاك جزّين، وهي التي استعصَت في الماضي على الصليبيين.

الثاني: سعَة انتشار الحركة، وقد عرفنا ممّا فات قبل قليل أنّها غطّت رُقعة واسعة جدّاً، تمتدّ من بيروت حتّى أعالي جبل عامل. بحيث إنّ استئصال «شأفة هذه العُصبة المُلحدة» بالقوّة يستدعي عملاً عسكرياً كبيراً، وقول التوقيع «أردنا أن نُوجّه طائفة من عسكر الإسلام، وفرقة من جُند الإمام» هو للتهوين من شأن المُخاطَبين، وجزء من حمْلة التهويل التي رمى إليها.

الثالث: غياب شخصيّة تحريضيّة بامتياز، تؤدّي مثلَ الدوْر الذي تولّاه ابن تيميّة يوم كسروان، قبل ستّين سنة، بل ربما كان الصدى السيّء، الذي تداعى من الأفاعيل الشنيعة التي ارتكبها المُعتدون يوم ذاك قد وقف اليوم حائلاً دون الإقدام على عمل مُماثل بل أكبر بكثير.

الرابع: الافتقار إلى قرار سياسي يصدر عن السُلطة العليا في القاهرة، ولنتذكر أنّ التوقيع صدر عن السُلطة المحليّة في دمشق (نائب السلطان) هذا، وقد لاحظنا أنّ الكتابات

التاريخيّة الصادرة في مصر في ذلك الأوان على تنوّعها لم تُشر إطلاقاً إلى شيء ممّا حرّك السلطة في دمشق ممّا يدلّ على أنّ الاهتمام به كان محلّيّاً فقط.

تلك الأسباب أو بعضها وربما غيرها جعلت السُلطة تكتفي بإصدار ذلك التوقيع بدلاً عن أُسلوبها القمعى المُعتاد والأثير، آملة أن ينفع التهويل والتلويح حيث عجزت عن الفعل الأمر الذي كان له أثره فيما يبدو وسنعود إليه بعد قليل.

والآن... ها نحن قد انتهينا من دراسة نصّ هذا التوقيع، وكشف الكثير من خبيئه، ولكنّنا نري أنّ ما بذلناه من جُهد على ما فيه من فوائد جمة قد أبعد ذهن القارئ عن عمود البحث، ولذلك فإنّنا نطرح السؤال التالي:

ما هي علاقة ما انتهينا منه بسيرة الشهيد؟ ولا ننسَ أنّنا قد أوردناه من ضمن ثلاثة نصوص أساسيّة نقرأ فيها ملامح الفترة التي نتوقع أنّ أعمال الشهيد الإعداديّة قد بدأت تؤتي ثمارها، وعليه فإنّنا نقول في الجواب:

أوّلاً: من الجليّ أنّ تاريخ صدور التوقيع يتناسب تماماً مع الفترة التي كان فيها الشهيد في جزّين، بالتحديد بعد زهاء الخمس سنوات من استقراره فيها.

ثانياً: لقد وقفنا قبل قليل على ما يصفِه التوقيع من حالة جديدة شملَت جمهور الشيعة ونذكر الآن أهمّ معالمها على سبيل التذكير، من ذلك أنّهم غدوا يُعالنون بعقائدهم وشعائرهم بعد أن كانوا يكتمونها، وما من ريب في أن هذا التغيير الجذري لم يحدث عفواً بنفسه ودونما عمل منهجي تولّاه أكفاء مؤهّلون، وأُولئك هم الذين أشار إليهم بقوله: حُكامه، يعني به حُكّام الدين والشرْع اتّخذوه [أي مذهبهم] ديناً يعتقدونه وشرْعاً يعتمدونه [...] وعظّموا أحكامه وقدّموا حُكامه «وهو نصّ صريح على صفة هؤلاء الذين ارتادوا وقادوا تلك الحالة الانقلابيّة والذين غدوا قادة مُجتمعهم جزاءً وفاقاً للعمل الإحيائي الذين أنجزوه».

ثالثاً: من أين أتى هؤلاء الحُكّام الفقهاء؟

نحن نعرف جيّداً أنّه منذ الغزوات الصليبيّة وتداعياتها، فإنّ المنطقة الشاميّة بأكملها عقمَت عن أن تنتج فقيهاً شيعياً واحداً. اللهم إلّا أُولئك السبعة الفقهاء الذين كانوا رُوّاد نهضة

جبل عامل قبل الشهيد[١]، بالإضافة إلى فقيه من «حلب»، هو السيّد علاء الدين ابن زُهرَة، الذي درس في المنارة من قرى جبل عامل على الرائد الكبير طومان بن أحمد المناري (م: ٧٢٨)[٢]، وعلى كلّ حال فإنّ العمل الذي وصفه التوقيع يدلّ على مجموعة غير صغيرة من الفقهاء غطّوا بنشاطهم منطقة عمليّات واسعة جداً تنزِع من مَنزَع واحد، وليس في البَيْن إلّا الشهيد وطُلّاب مدرسته.

ونحن إن لم نجد في نصّ التوقيع ذكراً صريحاً للشهيد لكنّنا لا نجد مندوحة دون نسبة نَفخ هذه الروح إليه دون سواه، وذلك لِما ذكرناه أعلاه، بالإضافة لِما تشهد به وتُشير إليه من منزع فكري ومن حالة تنظيميّة، وإن شئتَ قلتَ تحريضيّة أو مطلبيّة لا يمكن أن يكونا قد نشأا عند الناس عفواً، ومن دون مُنظّر وباعث، وليس في الميدان إلّا الشهيد وفكره وعمله، هذا فضلاً عن التطابق التامّ بين ما نراه من منزع فكري وحالة تنظيميّة سبق أن عالجناها وبيّنّا أبعادها في هذا الفصل، وبين مظاهر سلوكيّة وصفها التوقيع ببسط ودقة لا مَزيد عليهما، هذه النتيجة التي وصلنا إليها بالتدقيق والتمحيص والمقارنة، في نصّ هذا التوقيع الفائق الأهمّيّة، تقصُر عن مثلها كافّة النصوص التي تتحدّث بلسان أو بغيره عن أعمال الشهيد والفضل للّه سبحانه وإنّني آمل أنْ تُفيدنا في معالجة ما بقي من إشكاليّات سيرته.

خلاصة الفصل

إنّ بواعث الشهيد إلى العمل أتت على قاعدة التحوّلات السُكانيّة الأساسيّة لدخول العناصر التركمانيّة في الصورة السُكانيّة لمناطق الشيعة في لبنان، وما ترتَّب عليها من آثار سياسيّة واجتماعيّة بالغة حملت إلى الشيعة ما رأوا فيه، بحقّ تهديداً بالغاً لوجودهم، ونقرأها اليوم، بوصفنا مؤرّخين بشكلين:

الأوّل: تحوّل بعض الشيعة إلى مذهب الحاكمين التركمان.

---

١. ذكرناهم واحداً واحداً وترجمنا لهم في الفصل الثالث من كتابنا جبل عامل بين الشهيدين، ٦١ ـ ١٠٤.
٢. أمل الآمل، ج ١، ص ١٠٣.

الثاني: حركة احتجاجيّة مُوجّهة ضدّ السُلطتين المملوكيّة والتركمانيّة.

ذلك هو الظهير الذي تعامل معه الشهيد بعد أن استقرّ به المقام في جزّين، مُستفيداً من المكانة العلميّة التي اكتسبها من رحلاته، والظاهر، بل الثابت، أنّه كان يُـعِدّ لأعـماله مـنذ أن كان في الحلّة بدليل أنّه استحضر منها عدداً من تلاميذه فيها لكي يُعاضدوه فيما كـان يُخطّط له.

بدأ عمله بأن بنى مدرسة في جزّين هي الوحيدة في تاريخ جبل عامل وسـرعان مـا شرعت بتخريج الفقهاء الذين انتشروا في مُختلف أنحاء وطنهم، حاملين أفكار شـيخهم، وعلى رأسها مفهوم النائب العام للإمام أي الفقيه الجامع للشرائط، وما له من صلاحيّات في الفتوى وفضّ الخصومات والحدود والتعزيرات، فضلاً عن التصرّف في الأموال العامّة، هذه الأفكار بمجموعها تُشكّل سابقة منذ انتهاء الحضور العلنيّ للأئمّة، وأسّست لسُلطة موازية للسُلطة الفعليّة ردّت عليه بإصدار توقيع حافل بالتهويل والتهديد خلافاً لِما هو مـعروف عنها من ميل إلى حَسم الأُمور بالعُنف، وتلك أمارة على عجزها عن التصدّي المباشر بسبب اتساع رُقعة انتشار الحركة الاحتجاجيّة.

الفصل الخامس

عالَم الشهيد وسيرته من هذا المنظور

تمهيد

في هذا الفصل نتعرّف على العالَم الذي خاض فيه الشهيد، وهو بحث طريف ولا غنى عنه لاستيعاب خفايا سيرته الحافلة، بداهة أنّ سيرة كلّ إنسان هي ثمرة شخصيّته وهي في حالة تفاعل مع الظروف والعالم الذي تفاعل معه وعمل فيه.

وربّما يخطر لقارئ أنّ هذا الفصل ينبغي أن يسبق الفصلين السابقَين اللـذيَنِ عـالجنا فيهما سيرته وأعماله، لأنّ العالم أو الظرف هو الأمـر الثـابت، فـي حـين أن السـيرة هـي المتحرّك، وذاك أسبق رُتبةً من هذه، أو فلنقل إنّ هذه مُترتّبة على ذاك، وهو أمر قـد يـبدو صحيحاً من حيث المبدأ، والحقيقة أنّنا جرّبنا هذا المـنهج وبـالنتيجة وصـلنا إلى أنّ مـن مصلحة القارئ أن نؤخّر هذا الفصل، ذلك أنّه سيكون من العسير عليه أن يفهم كيف عمل، ما لم يكن قد سبق له أن عرف ماذا عمل، وسيجد القارئ الشواهد الكثيرة على ذلك بعد قليل، ثمّ إنّ السؤال: كيف عمل؟ ينبغى أن يؤخذ فيه بالاعتبار ذلك العالم أو الظرف الذي خاض فيه بل هو من ضمنه. أمّا السؤال: ماذا عمل؟ فهو مُتحرّر من هذا القيد. وعليه فقد أخّرنا هذا الفصل إلى ها هنا.

هذا من حيث صورة البحث ومنهجه.

أمّا من حيث مادّته وأساسه فنقول:

ممّا هو غنيّ عن البيان أنّ امرئً يرمي إلى أهداف خطيرة من مثل ما رمى إليه الشهيد، ويتعامل بقضايا تمسّ حياة ومستقبل جمهور عريض، لا يُؤمَن أن تـتعارض مـع مـقاصد غيره، وبالتحديد مع سُلطة مُتمكنة سترى في أعماله وأفكاره خطراً مباشراً عليها، لا غنىً

له عن استيعاب ذكي لمُعطيات الظروف البالغة التعقيد التي عليه أن يعمل فيها، ومقدّمة لنسج شبكة من العلاقات من حوله تُعينه على ما يروم وتحميه ومراميَه من أخطار مُختلفة.

من تلك الأخطار ما يتّصل ببُنية شعبه المُخترَقة، خصوصاً في المناطق الساحليّة، حيث حضور السُلطة أقوى ما يكون. وهو الذي كان في ماضيه القريب والبعيد قد خَبر صنوف الاضطهاد والقمع ممّا سيترك أثره المُتوقع على مثله، فإذا به يميل إلى الدعة والسكون، ويتهيّب الدخول في كلّ ما يُعرّضه لكيدها وانتقامها هذا فضلاً عن أنّ الصيغة الجديدة للعلاقات التي أتى بها الشهيد، ومنحت الفقيه الموقع المُتميّز الذي عرفناه، سيفتح عليه باباً آخر من الشرور، من أُولئك الذين كانوا مُستفيدين من الوضع القديم، وهذا من طبيعة الأُمور.

ومنها ـ بل وعلى رأسها ـ السُلطة نفسها، ما كان منها سُلطة مركزيّة أي الحكم المملوكي وما كان منها سُلطة محلّيّة أي الأُمراء التركمان ذووالسطوة، وكلاهما سيجد في نهج الشهيد وفكره ما يتعارض مع مصلحته، وهذا أيضاً من طبيعة الأُمور.

أعتقد أنّ هذه الفذلكة تكفي ليتصوّر القارئ الموقع البالغ الدقة للشهيد، وهو يخوض غمرات مُعترَكه، أي أنّنا لم نخرج من إشكاليّات الفصل السابق، ولكنّنا هنا سنكون أقرب إلى السياسي من سيرة الشهيد أما هناك فقد كُنّا أقرب إلى الفكري، على أنّ في كلا الموقعيَن شيء من هذا وشيءٌ من ذاك.

مهما يكن فإنّ من الواضح لقارئ استوعب عناصر هذه الفذلكة وما قد غادرناه فيما فات من وصف لِما اضطرب فيه الشهيد من إرث تاريخي وواقع سياسي، أنّ أكثر ما سنعالجه من علاقاته هو ممّا فرض عليه فرضاً، فرضه عليه ذلك المزيج الحَرِج من الإرث والواقع، وهذا أيضاً وأيضاً من طبيعة الأُمور، وعلى كلّ حال فإنّ الوقوف على ما يمكن الوقوف عليه من هذه العلاقات بقدر ما تعطينا إيّاه النصوص المُتاحة هو عنصر أساسي جدّاً من سيرته وبدونها لن نستطيع أن ندّعي أنّنا استوفينا كلّ ما ينبغي أن يُقال عليها.

سنبدأ بوصف علاقاته مع الجمهور الذي كان موضع عمله في جبل عامل وفي غيره، تحت عنوان «علاقاته الداخليّة»، ثمّ نُثنّي بوصف علاقاته مع السلطة خصوصاً في العاصمة الإقليميّة دمشق مع عناية خاصّة بعلاقته بعليّ بن المُؤيّد الخراساني، كلّها تحت عنوان «علاقاته الخارجيّة».

١. علاقاته الداخليّة

من الواضح الجليّ أنّنا حينما نتحدّث على ما هو داخلي من علاقات الشهيد فإنّنا نعني بالدرجة الأُولى الجمهورالعريض الذي كان موضع اهتمامه وعنايته، أعني الشيعة فيما يُعرف اليوم سياسيّاً بلبنان بكامل أطيافهم وتوجّهاتهم، وهو جمهور عانى في تاريخه القريب والبعيد صنوف النوازل، وقد استفرغنا الوسع في الكلام على ذلك في الفصل الأوّل، ونُضيف الآن أنّ مُعاناته قد تركت آثارها المُتوقعة عليه ممّا ذكرناه بعد قليل.

واستناداً إلى ما نعرفه، وبعضه ممّا قد ألمحنا إليه فيما فات، فإنّ ذلك الجمهور كان من أطياف ثلاثة:

الطيف الأوّل: الأكثريّة، والتي توصَف عادةً في الادبيات السياسيّة بـ«الصامتة»، والحقيقة إنّها ليست صامتة بالمعنى المُباشر والتامّ للكلمة لا في ما نحن فيه وليس في أيّ حال، وإنّما يصحّ عليها هذا الوصف لأنّها لا تفصح عن مكنونها وما تتطلع إليه إفصاحاً منهجيّاً على نحو المشروع المُعلن بأفكار مُحدّدة وإنّما تقِفُ ساكنة طاوية الضلوع على ما تنهدُ إليه، ثمّ لا تتحرّك سياسيّاً إلّا وِفق شروط معلومة في رأسها وجود القيادة الكارزميّة التي تتوفّر فيها الصفات التي تجعل الجمهور يتحرّك على هدْي المشروع الذي تدعو إليه وتعمل عليه، وطبعاً إنّ من الشروط الأساسيّة لنجاح هذه القيادة بل لاكتسابها صفة الكارزميّة أن تعرف جيداً المفاتيح السلوكيّة لجمهورها (ثقافته، آماله، أسباب قلقه)، وأن تُحسن الضغط عليها في الوقت المُناسب.

رُبّ قارئ حصيف يتساءل الآن: ولكن من أين لنا أن نعرف كيف جرى التفاعل بين مشروع الشهيد وأعماله وبين جمهوره (الصامت)؟ وبيننا وبينه أمد بعيد، فضلاً عن أنّنا نعمل على موضوع يطرح إشكاليّات جمة لا تنفكّ تلاحقنا بالأسئلة تِلو الأسئلة مع ندرَة مُجحفة بالمعلومات.

وفي الجواب نقول:

حقٌّ أنّه ليس في يدنا نصوص مباشرة على هذه الإشكاليّة الهامّة ولكن هذا لن يُعجزنا عن أن نقرأ ما بين السطور، حيث تضِنّ علينا السطوربذاتها.

ولقد كنّا وقفنا فيما فات على ما نتصوّره من وَقْع عودة الشهيد إلى وطنه على النـاس، ووعدنا هناك بتبيان ما نهض من علاقة بين الإثنين [١]، وهذا أوان الوفاء بالوعد.

في هذا السبيل أدعو القارئ إلى العودة بالذاكرة ـ أو بالقراءة إن خانته الذاكرة ـ إلى عدّة أُمور ممّا غادرناها آنفاً، نحتاج الآن إلى قراءة مغزاها، لِما لها من علاقة بما نعالجه الآن، هي:

الأمر الأوّل: إنّ عديد تلاميذ الشهيد قد سجّل رقماً غير مسبوق في تاريخ بلده، نعرف منهم ثمانية وعشرين تلميذاً بأسمائهم [٢]، ونحن على شبه اليقين من أنّ هذا الرقم هو أقلّ من الحقيقي، ربّما بكثير، وما نزال نكتشف في هذا الباب جديداً كلّما أوغلنا فـي البـحث، أو وقعنا على مصادر جديدة، أو لم نكن قد التفتنا إليها.

على أنّ المسألة هنا ليست في مُجرّد العديد على ما فيه من أهـميّة، بـداهـة أنّ أُولئك التلاميذ يُمثّلون نُخبة مُنتقاة التحقت بالشهيد قادمةً من مجتمعاتهارامية من وراء عملها إلى إعداد أنفسهم ليكونوا فقهاء عاملين، هذا بالتأكيد ليس نزوعاً شخصياً فقط وإنّما هو أيضاً وربّما أوّلاً تعبيرجماعي لا ينقصه الوضوح عن حاجة المُجتمع إلى مَن يتولى علاج أزمته المُستحكمة وهو هو ذلك المُجتمع الذي عانى من احتلال أجنبي طـويل قـطعه عـن كـلّ مصادر ثقافته الخاصّة التي يُمثلها الفقيه العارف بوصفه الحامل للثقافة المُنتمية.

بالقياس إلى ما نتصوّره من عديد السكان في كامل الرُقعة التي كانت معمورة بـالشيعة آنذاك من لبنان، الذين كانوا لا يتجاوزون يومذاك عشرات الآلاف، فإنّ نسبة هؤلاء التلاميذ إلى مجموع السكان كانت نسبةً عالية جداً، يُشبه أن يتدفق اليوم مئات التلاميذ على شيخ للدراسة عليه.

إذن فعندما انتهج الشهيد هذا النهج، وصبّ جهوده على تخريج أكبر عدد مـمكن مـن الفقهاء المؤهلين، وأعدّ للأمر عدّته، فاستحضر ثلاثة من أفاضل تلاميذه من الحلّة لمعاونته فيما خطّط له، وبنى مدرسة كما عرفنا ممّا فات [٣]، كان يُعبّر تعبيراً قوياً عـن إدراك عـميق لأزمة شعبه وسبُل معالجتها.

ومن الجهة الأُخرى فعندما أفرز شعبه من أبنائه ذلك العديد غير المسبوق من التلاميذ،

---

١ ـ ٣. انظر الفصل الثالث من هذا الباب.

كان يُعبّر هو أيضاً عن إدراك مُماثل، وعن التوق الكامل لديه لاستعادة التواصل المفقود مع ثقافته الخاصّة.

هنا نجح الشهيد نجاحاً باهراً في قيادة شعبه على الطريق الذي اختاره، وما النهضة العامليّة إلّا أحد الثمار المُباركة بعمله.

الأمر الثاني: كلّ شيء يدلّ على أنّه ما إن تهيّأ للشهيد إعداد عدد من تلاميذه حتّى دفعهم أو اندفعوا إلى سوح العمل المُباشر فانتشروا في مختلف البلدان من وطنهم ساحلاً وجبلاً، حاملين أفكار شيخهم بين شعبه المُتوجس خيفةً ممّا تحمله المُعطيات السياسيّة ـ الاجتماعيّة القائمة، وسرعان ما أعطى عملهم ثماره، فرفعت الناس صوتها عالياً في حركة احتجاجيّة ضدّ السُلطة المحليّة التي لم تجد حولاً في المقابل إلّا أن تخرج على الناس بذلك التوقيع الرنّان ـ الفارغ أيضاً ـ مُنذِرةً بالويل والثبور وعظائم الأُمور، وقد استفرغنا الوسع في التعريف بهذه الحركة في خاتمة الفصل السابق، ونحن إنّما نقِف عندها الآن لتبيان مغزاها بقدر مايتعلق الأمر بإشكاليّة هذا الفصل.

كانت تلك أوّل مرّة، منذ انهيار إمارة بني عمّار العظيمة في طرابلس، أي منذ زهاء القرنين ونصف القرن، يحظى فيها الشيعة في لبنان بقيادة حقيقيّة تلمّ شعثهم بعد أن عبثت به النكبات المتوالية عليهم. وترصّ صفوفهم، وتبُثّ فيهم نمطاً من أنماط الوعي السياسي ـ الاجتماعي المفقود، وتوجّههم مَطلبيّاً، ونقلتهم من موقع الانفعال حيث يكونون موضوعاً خاضعاً لفعل وخِطط الآخرين إلى موقع الفعل أو محاولته على الأقلّ، نقول هذا لأنّنا لا نعرف بالضبط ماذا كان تأثير تلك الحركة على وضعهم إجمالاً، وذلك بسبب الغياب التام للتسجيلات التاريخيّة المُستقلة، بل إنّنا لولا ذلك التوقيع الذي كتبته السُلطة ونشرته لما عرفنا شيئاً عنها، ولكن ما تضمّنه نصّ التوقيع من وصف عريض مُهيب لها يتركنا على شبه اليقين من أنّها لم تضِع كُليّاً، ولكنّنا عاجزون عن التفصيل.

مهما يكن فإنّ ممّا لا ريب فيه أنّ أمراً كهذا لم يكن ممكناً أن يحدث لولا القيادة الجديدة التي حظي بها جمهور الشيعة بفضل أعمال الشهيد وخطّته المُتقنة ذات الحلقات، ابتداءً من إعداد الفقهاء وتزويدهم بأفكاره ونشرهم أو انتشارهم بين إخوانهم المأزومين ليتولوا قيادهم وتوجيههم.

وأيضاً ممّا لا ريب فيه أنّه عندما استجابت للشهيد ولتلاميذه أوسع الجماهير ممّن هم موضوع عمله وعملهم وهمّه وهمّهم، فإنّ هذا يعني أنّها قد تماهت معهم تماماً واستوعبت مقاصدهم، ونذكر هنا بأنّ مُجمَل العمل ابتداءً من تاريخ عوده إلى بلده، في السنة ٧٦٠، إلى تاريخ الحركة في السنة ٧٦٤ ـ قد تمّ في بُرهة خمس سنوات، ممّا يدلّ على أن آليّة العمل في مُختلف مراحله كانت تتحرّك بسرعة قياسيّة.

هنا أيضاً نجح الشهيد نجاحاً يمكن أن نصِفه منذ الآن بأنّه تاريخي.

الطيف الثاني: المُتسنّنون وقد ذكرناهم في الفصل الرابع، وللتذكير نقول: إنّهم فريق من الشيعة تأثّروا بالضغط السُكاني والهيمنة السياسيّة للتركمان، فأعلنوا تحوّلهم إلى مذهب الغالب، وهذه ظاهرة مُتوقعَة في هذا الظرف.

ونضيف الآن أنّ التمعّن في عبارة «أهل السواحل من المُتسنّنين»[1] ـ وهي للمقداد السيوري تلميذ الشهيد المُقرّب والذي رافقه منذ رجوعه إلى جِزّين، أو بُعيدها بقليل إلى أن حُبس في دمشق وعرف معرفةً مُباشرة الظروف التي اضطرب فيها شيخه ـ يدلّ على ثلاثة أُمور:

الأوّل: أنّ هذه الظاهرة كانت محصورة في المناطق الساحليّة فقط، أي في مدينتي بيروت و صيدا وما والى الأُولى منهما خصوصاً، وهذا أمر مفهوم جدّاً؛ لأنّ الاكتساح السكّاني التركماني كان محصوراً في تلك المناطق، كما أنّ حضورالسلطة كان أقوى ما يكون فيها، وضئيلاً وربّما معدوماً في جبل عامل.

الثاني: إنّ تلك الظاهرة قد نشأت حديثاً بالقياس إلى تاريخ صدور النصّ أو تاريخ شهادة الشهيد، ذلك أنّه لو لم يكن تحوّلهم كان ما يزال حاضراً وماثلاً في الأذهان لَما سمّاهم المقداد بما سمّاهم به: «المُتسنّنون»، وهي صيغة يُفهم منها أنّ الجيل الذي تحوّل كان ما يزال على قيد الحياة.

وهذا أمر مفهوم أيضاً؛ لأنّ استيعاب السُكّان الأصليين الشيعة للمُتغيّر السياسي والاجتماعي الجديد الذي نشأ بالحضور السكاني ـ السياسي للتركمان من قِبل أُولئك المُتحولين، ومن ثمّ

١. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٥، وانظر الفصل العاشر من الباب الأوّل.

التماهي معه والتصرّف بما يناسبه أو تقتضيه المصلحة الآنيّة يحتاج إلى زمن غير قصير، ولا يُعقل أن يحصل مثل متغيّر وانفعال آلي صرف يحصل فوراً ومباشرةً بعد نشوء سببه.

الثالث: إنّ ظاهرة التسنّن في السواحل كانت بارزة أي من أعداد كبيرة، والدليل على ذلك في العبارة نفسها «أهل السواحل من المُتسنّنين» التي تصف «أهل السواحل» وصفاً فيه معنى العموم، ولو أنّه قال مثلاً: المُتسننّون من أهل السواحل لاختلف المعنى، ولما حمل الدلالة نفسها، ولذلك فإنّنا وبناءً على قاعدة أصالة صحّة النصّ ما لم يُقم دليل على العكس فقد فهمنا من العبارة ما ذكرناه، ويُؤيد ذلك العديد الكبير للذين كتبوا خطوطهم تعصّباً مع يوسف بن يحيى، الذي يزيد على الألف من أهل السواحل. وهو من ضمن النصّ الموثوق نفسه الذي كتبه السيوري[1]. وهو عديد غيرعادي بالقياس إلى ما نتصوّره من عدد السكّان الإجمالي في ذلك الأوان، يدلّ على ما يُشبه الرأي العام.

هنا أيضاً نقول: هذا أمر مفهوم لأنّ مَن يفعل ما فعله أُولئك المتحوّلون يكون أكثر اهتماماً بكلّ ما يدلّ على صدق تحوّله، ولذلك فإنّه يندفع إلى المُزايدة على غيره، ويتخذ مواقف أكثر حدّة في المواطن المفصليّة المُتصلة بوضعه الجديد، وهذا واضح.

كلّ شيء يدلّ على أنّ هؤلاء «المُتسنّنين» كانوا المُشكلة الأكبر التي عانى منها الشهيد في مشروعه النهضوي، والظاهر أنّه وقف عاجزاً تماماً تجاهها، ذلك أنّهم كانوا من أعداد كبيرة واختراقاً واسعاً للجسم الشيعي المحلّي الكبير، كما أنّهم كانوا في المدى الذي تكون فيه السُلطة أقوى ما يكون ومَحميّين من قِبلها، وبحاجة إلى تقديم الدليل تِلو الدليل كلّما اقتضى الأمر، على صدقهم، ومن ذلك أنّهم لم يستجيبوا لأعمال الفقهاء الجدُد الذين عرفنا أنّهم انتشروا في مناطقهم، بدليل أنّ ذلك الموقف البالغ العداء الذي اتّخذوه من الشهيد إذ «كتبوا خطوطهم» ضدّه أتى بعد أعوام كثيرة من انفجار حركة الشيعة الاحتجاجيّة الكبرى التي وصفها التوقيع الذي درسناه وكشفنا خبيئه في خواتيم الفصل السابق، بل إنّنا نظن أن تنظيم ذلك المحضَر، بما احتوى عليه من تواقيع كثيرة كان بمبادرة وإغراء من قِبَل السُلطة المحليّة أو الإقليميّة، وإلّا فمن ذا الذي في وسعه أن يجمع هذا العدد من التوقيعات غيرها،

---

١. وانظر مُختصر نسيم السحَر، حيث يقول: «وكتب [في المحضَر] ألف رجل من السواحل ممّن كان ظاهرهم التسنّن».

وهو دليل إضافي على أن الخطوات الأُولى التي اتّخذت لبَدء مُحاكمة الشهيد كان بالتنسيق الكامل معها، يُثنّي على ما وصلنا إليه من تحليل كلمة عامل فيما فات [١].

الطيف الثالث: المُرتدّون، والكلمة توحي بمعنى لا يخلو من التباس، لذلك فإنّها تحتاج إلى شرح وبيان يرمي إلى كشف معناها استناداً إلى ما نعرفه عن الظروف التي عمل فيها الشهيد والتي أصبح القارئ على خُبْر منها.

ومصدر الكلمة هو أيضاً المقداد السيوري، فيما علّقه على مقتل شيخه و وصف بها الخائنيْن: تقي الدين الخِيامي بقوله: «وظهور أمارة الارتداد منه»، ويوسف بن يحيى بقوله: «وارتدّ عن مذهب الإماميّة»، ونحن نفهم سبب وصفهما منه بهذا الوصف القاسي، وهو التلميذ المُخلص المفجوع بشيخه، العارف بأنّهما هما اللذان فتحا باب الشرّ عليه، ولكنّنا نجدها أيضاً في مُختصر نسيم السحَر، حيث يصِف الخائنين نفسيهما بقوله: «ارتدّ عن مذهب الإماميّة» [٢]، بل إنّ هذا ينسب الوصف إلى الشهيد نفسه، حيث قال في ابن يحيى: «إنّ هذا الضالّ قد ارتدّ عن شريعة سيّد المُرسلين» [٣]، الأمر الذي إن صحّ يدلّنا على مصدرها الأساسي، كما يمنحها بُعداً مُختلفاً.

فمن المعلوم أنّ الوصف بـ«مُرتد» فيه معنى الحقيقة الشرعيّة، وهذا يعني في اللُغة الفقهيّة أنّها ممّا أضافه القرآن إلى اللغة حاملاً معنى جديداً وهو الكفر بعد الإسلام.

لا نظنّ أنّ هذا المعنى هو المقصود في النصوص الأربعة، وحتّى عبارة الشهيد التي ينبغي أن نقرأها بكامل الجدية لا تدلّ على ذلك، لأنّها تقول: إنّ المَعنيّ بالكلام قد ارتكب ما يُخالف الشريعة «ارتدّ عن شريعة سيّد المُرسلين»، وهذا أمر مُختلف، لذلك فإنّنا نقترح قراءة أُخرى لها تستوعب المعنى الأصلي للكلمة والذي يتضمّن حركة الارتداد إلى الخلف والرجوع، أي أنّ الكلمة تُرادف أو تُشبه معنى كلمة (رجعي) في لغة الصحافة اليوم، وهو معنى يأوّل إلى اتجاه يرفض كلّ فكر أو سلوك يدفع إلى الإمام، ومقابله: (تقدّمي).

---

١. انظر الفصل الرابع من هذا الباب.

٢. مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق هذا الكتاب.

٣. وردت الكلمة بهذا المعنى في القرآن مرّتين. البقرة (٢): ٢١٧ و المائدة (٥): ٥٤. ويُحتمَل أنّ الآية ٢٥ من سورة محمّدﷺ تدلّ على المعنى نفسه.

لماذا نصرّ على هذا الفهم؟

الجواب: لأنّه ينسجم مع كلّ ما نعرفه عن نهج الشهيد والظروف التي عمل فيها، وأيضاً مع طبيعة الأُمور، ذلك أنّه بنى نظام علاقات جديداً داخل الجماعة التي صبّ جهده عليها وعلى شؤونها عماده الفقيه، بعد أن سلّحه بأفكاره عن صلاحيّاته في الأُمور القضائيّة والحِسبيّة وما إليها، وطبعاً لا يمكننا أن نتصوّر أنْ المواقع التي ملاها بفكره هذا كانت فارغة تماماً، بل لابُدّ من أن نفرض أنّه كان هناك شكلٌ ما من نظامٍ للعلاقات له رجاله، ضرورة أنّ كلّ مجتمع لابدّ من أن يُفرز من داخله المادّي والمعنوي ما يُسيّر به شؤونه، وكما في كلّ حالةٍ انقلابيّة فإنّ أعمال الشهيد في هذا النطاق لا بُدّ أنّها قد أدّت إلى حرمان بعض المُستفيدين من وضْع التخلّف السابق كما هو الأمر في كلّ ما هو مُماثل.

من هؤلاء تقي الدين الخِيامى، نسبةً إلى بلدة «الخِيام»، المعروفة بالاسم نفسه حتّى اليوم في أعالى جبل عامل الشرقيّة والذي يُسمّيه صاحب مُختصر نسيم السحَر محمّد بن تقي الدين الخِيامى البابلي، ويبدو أنّ البابلى منسوب إلى قرية البابليّة المعروفة أيضاً بالاسم نفسه اليوم، وهي من قرى الساحل بين صيدا و صور، وإذا كان ترتيب النسب يلتزم القواعد المعروفة في هذا النطاق فقوله «الخِيامي البابلي» يُفيد أنّ أصله أو مولده في الخِيام ثمّ قطن البابليّة، أي أنّه حين فعل ما فعل فوشى بالشهيد ـ على رواية السيوري، أو «ادّعى النبوّة وارتدّ عن مذهب الإماميّة وخرج عن الدين» على رواية محمّد مكّي في مختصر نسيم السحر ـ كان من «أهل السواحل» الذين عرفنا من الفقرة الماضية خصوصيّة علاقتهم بالسُلطة التركمانيّة المحلّيّة ودورهم في مُحاربة الشهيد، وعليه يبدو أنّ هذا كان المُتقدّمين البارزين في هذا الميدان، ويؤيّد ذلك قول محمّد مكّي واصفاً تأثيره في الناس: «وأكثر القرى مالت إليه وجميع الناس الهمج انكرّت عليه».

ومحمّد مكّي يُغرِب في وصف أعمال هذا الرجل، ومن ذلك أنّه كلّم الناس الذين في جبل عرفات وقت الحجّ فسمعوا صوته، وأنّه أظهر البساتين وفيها الأشجار والأزهار، فتصدّى له الشهيد وأبطل سحره، وهذا كلّه طبعاً غير صحيح، ولكنّه يعكس الصورة التي نجح هذا الرجل في بنائها حول نفسه، كما أنّه بنى عدة حصون ممّا يدلّ على أنّه كان يُعدّ لحرب طويلة، وأنّ الشهيد أرسل ابنه الشيخ ضياء الدين عليّ على رأس وفد للتفاوض معه،

والتقى به في وادي زِبدين، ولكنّ المفاوضات انهارت، وقتل الخِيامي عـدداً مـن أعـضاء الوفد، فكتب الشهيد إلى بيدمُر الخوارزمي والي الشام طالباً منه قمع هذا الرجـل بـوصفه مُدّعياً للنبوّة، وبالفعل حضر بيدمُر بعسكره وتلقّاه الشهيد في الزريريّة، وهي قرية غير بعيدة عن ساحل صور، ولكن الشهيد خشي فيما يبدو مغبّة القتال، فطلب من الوالي التروّي ومنْح فرصةً أخيرةً للمفاوضة، وكتب إلى الخِيامي طالباً لقاءً شخصياً به، وبالفعل حصل اللـقاء، وفي النهاية قتل على يد أحد أنصاره السابقين، بعد أن اكتشف كذبه ومخادعته للناس.

وإنّي، وإن عبّرتُ دائماً عن شكيّ بأقوال محمّد مكّي كوصفٍ للحقيقة، ومع ذلك فـإنّ هذه التفصيلات الدقيقة الفائقة الأهمّيّة لا يُعقل أن تكون كلّها من نسج الخيال، حتّى مع أنّنا لا نجد أدنى إشارة إليها في نصّ السيوري البالغ الإيجاز. بل إنّه يقول على نهاية الخِيامي: «بعد وفاة هذا الواشي»، وإذا فهمنا من كلمة وفاة أنّه مات حَتْف أنفه كما يقتضي معناها، فهنا يتعارض النصّان تعارضاً لا نملك إزاءه إلّا أن نقول: الله أعلم بحقيقة ما جرى.

هذا فيما يعود إلى أوّل المُرتدّين.

وثانيهم يوسف بن يحيى الذي يبدو أنّه كان أشدّ دهاءً ومَكراً من سلفه، فلم يـعمَد إلى مواجهة الشهيد مُباشرةً، والظاهر أنّه استفاد من تجربة سلفه، حيث وقفت السلطة في جانب الشهيد، على قول محمّد مكّي، فاختطّ لعمله خِطةً تقضي بتحريض الدولة لتتولي هي قمْعه، أو لتقِف على الحياد على الأقلّ.

يقول محمّد مكّي:

> وشرَع في التشنيع عليهم [يعني: الإماميّة] وعلى الشيخ شمس الدين خصوصاً، وأظهر بعض مُصنّفاته، ممّا يُظهر تشـيّعه، كـرسالة القُـدسيّة، ورسـالة الدُرّة المـضيّة فـي الأحاديث المَرويّة، وكتاب جامع البَيْن، وغاية العالِمين وغير ذلك [1].

هذا نصّ في الغاية من الأهمّيّة لأسباب ثلاثة:

السبب الأوّل: أنّه يُبيّن بما يكفي من التفصيل خِطّة ابن يحيى في مُقارعة الشهيد، المَبنيّة على إظهار تشيّعه.

---

١. مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق هذا الكتاب.

السبب الثاني: أنّه يقول ضمناً إنّ الشهيد في كافّة أعماله كان يتّقي، فلا يُـظهر تشـيّعه حيث يمكن للسُلطة أن تطلّع عليه، وهذا مَلمَح جديد في كلّ ما يُذكر من سيرته، ويبدو أنّه صحيح لِما سنُدلي به بعد قليل، وهو يطرح سؤالاً كبيراً: كيف نجمع بين هذه المعلومة وبين ما هو ثابت ومؤكّد من نشاطه الواسع في تربية عشرات التلاميذ وإنشـائه مـدرسة وتـصنيفاته المُتعدّدة؟

الجواب المُفصّل عند علّام الغيوب. ولكن ها نحن قد أصبحنا نعرف أنّه نجح في إخفاء أعماله ومقاصده مدّة طويلة، وهذا يدلّ على مقدرة باهرة، وتنظيم وضبط في الغـاية مـن الدقة، والنصّ التالي يُلقي ضوءاً على ما اختطه لنفسه من طريقة في العمل، وهـو لمـحمّد مكّي أيضاً.

قال:

> وكان قدّس سرّه إذا حضر في مكان من الشام [يعني: دمشق] أو بعلبك أو صيدا يُدرّس ليلاً في مذهب الشيعة للخواصّ من الشيعة تقيّةً. وبقي على ذلك مدة ٪» [1].

والمفهوم من هذا الكلام أنّه كان في جِزّين يتمتّع بهامش واسع من الحريّة، وأنّ الناس فيها بل في كلّ جبل عامل، من حيث أتى أكثر تلاميذه كانوا في أقصى التضامن معه، ولنُضف هذا إلى ما قلناه في الطيف الأوّل من هذه الأطياف الثلاثة عن العلاقة الحميمة التي قامت بينه وبين الأكثريّة، ولم يشذّ عنها إلّا مَن ذكرناه في مطاوي هذا البحث.

ويقول الشهيد الثاني في شرحه على «اللمعة الدمشقيّة»:

> ونُقل عن المصنّف﵀ أنّ مجلسه في دمشق ما كان يخلو غالباً مـن عـلماء الجـمهور، لخُلطته بهم وصُحبته لهم، قال، فلما شرعتُ في تصنيف هذا الكتاب كـنتُ أخـاف أن يدخل عليّ أحدٌ منهم فيراه، فما دخل عليّ أحدٌ منذ شرعتُ في تصنيفه، إلى أن فرغتُ منه. وكان ذلك من خفيّ الألطاف [2].

والحكاية نفسها ـ وإن في سياق مُختلف ـ في مختصر نسيم «السـحَر، ودلالة ذلك فـي غيرحاجةٍ إلى مَزيد بيان.

---

١. مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق هذا الكتاب.

٢. الروضة البهيّة، ج ١، ص ٢٤.

السبب الثالث: إنّ النصّ يأتي على ذكر أربعة كتب للشهيد بأسمائها، واحد منها معروف، يُسمّيه جامع البين، وتمام اسمه جامع البَيْن من فوائد الشرحين [١]، ولكن الثلاثة الأُخريات غير معروفة إطلاقاً، ولم يذكرها الشهيد في الإجازات المُتعدّدة التي صدرت عنه، وهذا أمر مُحيّر حقّاً، فلا نحن نجد سبباً للقول أنّ الجميع قد تجاهلوها بما فيهم مُصنّفها ولا سبباً لاتّهام محمّد مكّي وضمناً البتدّينى مؤلف نسيم السحَر بالإختلاق أو الإشتباه، وسنكتفي الآن بإيراد هذه الملاحظة تاركين الأمر لمن يتناول الأمر بعدنا من الباحثين عسى أن يقعوا على ما لم نقع عليه، أو يلتفتوا إلى ما لم نلتفت إليه.

إلى جنْب ذينك المُعارضيْن شخصٌ ثالث لا يُذكر من قِبَل كلّ الذين ترجموا للشهيد، وإنّما تنفرد بذكره المأثورات الشفويّة المُتناقلة في جبل عامل وهو الشيخ محمّد اليالوشي، نسبةً إلى قرية من قراه في إقليم التفاح، على ميل من قرية الزريريّة وهي الآن خراب وفيها بُرج لا يزال قسم منه حتّى اليوم قائماً اسمها بُرج يالوش والظاهر أنّها اكتسبت اسمها من ذلك البُرج، وأوّل ذكر مُحرّر لليالوشى بالإشارة دون الاسم هو في أنيس المسافر وجليس الخاطر المنشور بعنوان كشكول البحراني للشيخ يوسف البحراني (١١١٧ ـ ١١٨٦)، حيث قال: «بُرج يالوش الذي ادّعى النبوّة وقتله الشهيد الأوّل، وقتل بسببه قدّس الله روحه» [٢]، إذن فهو يرجع إلى أواسط القرن الثاني عشر للهجرة، وهذا يدلّ على أنّ هذه الرواية كانت حيّة مُتداولة حتّى ذلك التاريخ.

ذلك الرجل هو الوحيد من بين أُولئك الثلاثة الذي يحمل لقب الشيخ، والرواية الشفويّة لا تضنّ علينا بالتفسير لهذا الامتياز فتقول أنّه كان من تلاميذ الشهيد أي أنّه كان فقيهاً وهو تفسير كافٍ ومُقنِع، وتتابع قائلةً سبب خروجه على أُستاذه أنّه وقع بيد الشهيد كتاب شعوذة فأعطاه لليالوشي ليُتلفه فأخفاه وتعلّم منه الشعوذة، فصار مُشعوذاً وادّعى النُبوّة، وأنّ الشهيد حاربه وقتله، ويُقال: إنّ قبور شهداء تلك الوقعة ما تزال معروفة في جبل عامل قرب مدينة النبطيّة [٣].

---

١. انظر تعريفاً مفصّلاً بالكتاب في الفصل الأوّل من الباب الثالث، ذيل جامع البين.
٢. كشكول البحراني، ج ١، ص ٤٢٩.
٣. خطط جبل عامل، ص ٢٠٠.

أمّا السبب فهو سخيف وتافه، ولا يستحقّ الوقوف عنده، والقضيّة في سببها المزعوم وفي نتائجها أكبر من ذلك بكثير، والرواية تحمل سمات التفسيرالشعبى الساذج، ولا غرابة في ذلك بعد أن عرفنا أنّها من المنقولات الشفويّة.

لكن النتيجة مُختلفة جدّاً في دلالتها، فهي تدلّ على أنّ اليالوشي أثار عاصفة هوجاء في وجه أُستاذه، ممّا اقتضى حرباً سقط فيها الكثيرون من الذين لا تزال قبورهم بالفعل حتّى اليوم حيث ذكر النصّ، كما يُقيم النص نفسه علاقة سببيّة بين شكوى هذا اليالوشي وبين قتلة الشهيد.

وسنعالج هذه النقطة في الفصل المُخصّص لأسباب قتله فيما يأتي إن شاء الله.

فهذا ما يتّصل بأُولئك الثلاثة المُرتدّون. ومنه نُرجّح أنّ وصف مُرتدّ لهم لا يُراد منه المعنى القرآني الذي يأوّل إلى الكفر بعد الإسلام، بل معنى آخر يعود إلى مُجمَل الوضع الثقافي ـ الاجتماعي الذي نجح الشهيد في بنائه وغدا صِبغة المجتمع الشيعي ثمّ جاء أُولئك الثلاثة ليهدموا ما بناه، لا لشيء إلّا لأنّه حرمهم أو لم يمنهم لسبب أو لغيره المواقع أو الإمتيازات أو المنافع التي يطمعون بها، الأمرالذي رأى فيه الناس ارتداداً أو نكوصاً إلى الوراء نحو مرحلة من تاريخهم القريب والبعيد لا يمكن وصفها بأقلّ من أنّها أزمة بكلّ المعاني، فكأنّها في قوّة تعبيرها ردّة.

٢. علاقاته الخارجية

نعني بـ«الخارجيّة» كلّ ما هو غير داخلي، حيث الداخلي يعني، كما عرفنا، شبكة علاقاته في لبنان سواءٌ منها ما هو من خِطته أو ما فرض عليه فرضاً بحكم الأحوال القائمة سياسيّة واجتماعيّة، أما الخارجيّة فتعني، عمليّاً شبكة علاقاته في دمشق وبعليّ بن المُؤيّد الخراساني.

أ) علاقته بالسُلطة في دمشق

كانت دمشق في أيّام الشهيد العاصمة الثانية للدولة التي يحكمها المماليك، والتي تتألّف من

قطرين رئيسين مصر و الشام، وكان عاملها يُلقَب بـ «الكافل» و «النائب»، أي نائب السلطنة، تمييزاً له عن غيره من الوُلاة الكُثر، وإشارةً إلى أنّه يأتي بعد السلطان مباشرةً بدرجة.

وكانت الشام تشمل ما هو اليوم سوريّة و لبنان و فلسطين و الاردن وأجزاء من تركيّة، كما كانت مُقسمة إلى ستّ ولايات تُسمّى كلٌ منها مملكةأوسعها رُقعةً مملكة دمشق، أمّا الإدارة فكانت مركزيّة بمعنى أنّ القرارات في إدارة كامل شؤون النيابة ينبغي الرجوع بشأنها إلى النائب في «دمشق».

أمّا جهاز الإدارة فيها فكان يتولّاه ثلاثة أنواع من المسؤولين أو كبار الموظفين بإشراف النائب طبعاً، أعلاهم رُتبةً أصحاب السيوف. وهم جميعاً من العسكر المملوكي، يليهم الموظفون المدنيّون الذين عليهم تنظيم وضبط وحفظ القيود والسجلّات، ثمّ أصحاب الوظائف الدينيّة الذين يتولّون شؤون الأوقاف والقضاء ومُختلف الأُمور الحِسبيّة.

جزّين بلد الشهيد كان من ضمن مملكة صَفد، ولكنّه في شؤونه الإداريّة والقضائيّة اليوميّة كان مثل كلّ جبل عامل تابعاً لمدينة صيدا حيث مقرّ الوالي المحلّي والقاضي.

نقول كلّ هذا ـ وإن كان قد يبدو للقارئ إطالة في غير محلها ـ لنساعده على أن يتصوّر صعوبة وتعقيد بناء علاقة طيّبة وهادفة مع هذا الجهاز البالغ التعقيد بما فيه من منازع مُتباينة في مقاصدها وتوجّهاتها وسلوكيّاتها، وفي الوقت نفسه ضرورة بناء علاقة كهذه لرجل غدا زعيم قومه ومُوجّههم من ضمن خِطّة تعمل على إعادة بناء مُجتمعه المُنهَك المأزوم بناءً فكرياً واجتماعيّاً وسياسيّاً، هذا مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ أفكار الشهيد وبعض أعماله تسير في اتّجاه مُعاكس تماماً للسياسة المملوكيّة المبنيّة على مبدأ التفويض، حيث يُبايَع عبّاسي النسب بالخلافة ليفوّض مَن وقع عليه الاختيار أو فرض نفسه بالقوّة من الأُمراء المماليك بالحكم، وبهذه الاليّة يغدو سُلطة شرعيّة، وممّا هو غنيّ عن البيان أنّ الشهيد حين منح الفقيه ما ذكرناه فيما فات من سُلطات واسعة تشمل فضّ الخصومات وتنفيذ الأحكام مع المُكنة وجباية الأخماس كان ضمناً يؤسس لسُلطة موازية، ومن هنا قلنا إنّ من أعماله ما يسير في اتجاه مُعاكس لسياسة الدول، والأمر نفسه يصحّ بالنسبة لفقهاء السُلطة الذين لا ريب في أنّهم لم يكونوا مُرتاحين لبروز هذا الفقيه الشيعي بما يحمل من أفكار وبما عمل عليه من خِطة نهضويّة للشيعة.

ومع ذلك ويا للعجب فقد نجح في بناء علاقة وديّة مع الإثنين، نجح في بناء علاقة مع رجال الدولة، ونجح في بناء مثلها مع الفقهاء في دمشق، وسنقول ما عندنا على هذا وذاك.

بالنسبة لعلاقته مع رجال الدولة في دمشق فإن أوسع مادّة على هذا نجدها في مختصر نسيم السحَر، فهو يُصوّر نائب السّلطنة بيدمر عند أمر الشهيد، وحامياً له في وجه فقهاء المدينة، الذين ما انفكوا عن تدبير صنوف المهالك له، ولكن النائب كان دائماً لهم بالمرصاد ليتدخل في الوقت المُناسب ويُنقذه ممّا يحيكونه له أو ينتقم له منهم، فهو يستجيب لطلب الشيخ فيأتي بعسكره إلى جبل عامل لحرب خصمه الخيامي، ثمّ إنّه يُخرجه من السجن بعد أن حُبس فيه مُدّة بسعيهم ويُخيّره في الإقامة أينما شاء، كما يهرع مُسرعاً من القدس إلى دمشق بعد أن علم بطريقة إعجازيّة بقتله بتدبيرهم ويأمر بمعاقبتهم وببناء قبة عظيمة على قبره[١]، وهذا كلّه يدلّ على علاقة من أحسن ما يكون، تصِل إلى حدّ الرعاية الشخصيّة.

لكنّنا نشكّ في صحّة تلك المادّة وأكثر، لِما فيها من أُمور غير معقولة، كسقوط ورقة بدويّ عظيم في مجلس بيدمُر تُخطره بقتل الشهيد، أو تُجافي ما نعرفه عن علاقة الفقهاء بالسُلطة المحليّة العُليا وآليّات عمل كلٍّ منهما بوصفهما سُلطتين مُتوازيتين، ونظنّ أنّ أساسها من تدبيج السُلطة، ابتغاء علاج حالة الغضب العامّ بسبب قتل الشهيد، بتصوير الجريمة من فعل مجهول ودون رضى منها، ثمّ تناولها الخيال الشعبي في أوساط مُحبّيه، لأنّها مَبعث رضى له، فأضاف وزيّن. ثمّ جاء مُصنّف نسيم السحَر فأثبتها ببراءة فيما علّقه على سيرة شيخه، ومثل هذه الفذلكة المفضوحة حصلت أيضاً على أثر قتل العثمانيين الشهيد الثاني[٢]، ولذلك فإنّنا سنكتفي من هذه المادّة بما قلناه إثباتاً ونقداً دون ترتيب أيِّ أثر عليها.

المادّة التي تستحقّ منّا أقصى العناية فيما يخصّ الإشكاليّة التي نعالجها الآن نجدها في القصيدة التي كتبها الشهيد من سجنه في قلعة دمشق يُخاطب فيها بيدمُر[٣]، ولنتكلم أوّلاً في سند القصيدة، لانّ الإفادة ممّا فيها مُتوقف على صحّة نسبتها له.

---

١. مختصر نسيم السحر ضمن ملاحق هذا الكتاب.

٢. ستّة فقهاء أبطال، ص ١٦٧ ـ ١٦٩.

٣. نصّها في الفصل الثالث من الباب الثالث من هذا الكتاب.

أعلى مَن رواها، بقدر ما بحثنا، الخوانساري في روضات الجنّات. قدّم لها بقوله:

ليُعلم أني رأيتُ بخطّ شيخنا الشهيد الثاني على ظهر مجموعة من الرسائل النفيسة كانت جميعها بخطّه الشريف يقيناً، رواية منظومة أُخرى للشيخ الشهيد شمس الدين بن مكّي﵀ في بيدمُر لمّا حبسه في قلعة دمشق [١].

ثمّ يورد القصيدة، إذن فالسند وجادة عن الشهيد الثاني «يقيناً» على حدّ قول الخوانساري، وهو سند جيّد يؤيّده ما في متن القصيدة من خصوصيّات خفيّة من سيرة ناظمها، بمعنى أنّنا لا نجد لها ذكراً في كلّ ما كُتب عنه ولا يطّلع عليها إلّا صاحبها، الأمر الذي يجعل احتمال نحلها وادّعاءها عليه ضعيف جدّاً، خصوصاً وأنّه لا مصلحة لأحد في عمل كهذا.

ولكن ومن جهة أُخرى وما دمنا نستخدم منهج النقد الداخلي للنصّ، فإنّنا نلاحظ أنّ القصيدة ركيكة ضعيفة التراكيب، بالقياس إلى ما نعرفه من شعرالشهيد، وتفسير ذلك غير عسير، ذلك أنّه كتبها في ظرف صعب، وهو قيد السجن، عبّر عن ذلك الخوانساري تعبيراً طريفاً. حيث سمّاها بـ«القصيدة الفزعيّة»، كما أنّه ضمّنها أُموراً اقتضاها المقام وطبيعة الخطاب، ومعلوم أنّ من أسباب قوّة الشعر صدقه، وأنّ المُستأجرة ليست كالثكلى، وعليه نقول: إنّ عناصر صحّة نسبة القصيدة إليه قويّة إلى حدّ كافٍ، فلننتقل إلى قراءة نصّها باحثين عن إشارات إلى علاقة صاحبها برجال الدولة في دمشق.

أوّلها: في قوله في البيت الثاني، والخطاب لبيدمُر: «إنّى أُراعي لكم في كلّ آونة» التي تشير إلى سوابق حصلت بينه وبين النائب راعاه فيها الشهيد. أي عمل فيها بما يُسرّه ويُرضيه وها هو يُدِلّ عليه بها، وهو معنى عام، ولكنّه يدلّ إجمالاً على ما قلناه، وإنّما لم يذكرها صراحةً لأنّه يفترض أنّ المُخاطب يعرفها حقّ المعرفة.

ثانيها: في قوله في البيتين الحادي والثاني عشر:

فكن كمنجك بَلَّ الله أعظمه ... وزادك الله عزّاً ليس ينحصر
أتى إليه رُواة السوء إذ أفكوا ... فحين حقّق أرداهم بما ذكروا

١. روضات الجنّات، ج ٧، ص ١٩.

وفيهما أنّ النائب السابق الأمير الكبير العادل سيف الدين منجك (ولي: في ٢٥ جمادى الآخرة ٧٥٤ـ يوم عرفة من السنة نفسها، ثمّ في شهور سنة ٧٧٠ـإلى شوال ٧٧٥)[1] سعى لديه «رُواة السوء» بالشهيد. فناصره وأردى (قتل؟) الساعين، وهي تدلّ على علاقة متينة جدّاً بين الإثنين. والواقعة المُشار إليها غير مذكورة في كلّ ما كتب على سيرة الشهيد، وهي صحيحة دون أدنى ريب.

ثالثها: في البيت الثالث عشر وفيه يستشهد على صحّة ما قاله في البيتين السابقيَن بأحد الأُمراء يُشير إليه بـ«نجل العسكري» وكان يشغل منصب الحِجابة وهي من الوظائف الهامّة في الإدارة المملوكيّة ولم نعثر بعد البحث في مصادر الفترة على ما يزيدنا معرفة بهذا الأمير، ولكن استشهاد الشهيد به يدلّ على أنّه كان يأمن جانبه على الأقلّ.

رابعها: في البيتيَن ما قبل الأخير وفيهما يذكر أنّه كان من دأبه الحجّ كلّ عام، وأنّه في حِجّته الأخيرة كان في معيّة «محمّد شاه» ابن النائب بيدمر، وهذا يدلّ أيضاً على علاقة متينة بهذا الابن، وضمناً على علاقة مُماثلة بأبيه، ذلك أنّه لو لم يكن مقبولاً عند الأب لما أقدم ابنه وربما أبوه على ضمّه إلى حاشيته في هذا الطريق، الذي كان تشكيل وفد كهذا فيه يخضع لاعتبارات سياسيّة معروفة.

نخرج من هذه القراءة بمعلومات طريفة عن الشهيد وهي من الجانب غير المرئي من سيرته كما تعرّضها مختلف المصادر، وهي أنّه ما بين السنتين ٧٧٠ و ٧٨٥، أي على مدى خمس عشرة سنة على الأقلّ كانت له علاقات واسعة بأعلى رجال الدولة في دمشق وذلك أمر يجب أن يكون مفهوماً جدّاً، فالذي يطلب ما طلبه ويعمل على ما عمل عليه لا يُعقل أن يفترض أنّه في جزيرة معزولة وأنّه يستطيع أن يتجاهل السلطة التي تبسط سلطانها على كامل منطقة نشاطه.

ومن ذلك أيضاً وأيضاً أنّه كان كثير التردّد على العاصمة الإقليميّة دمشق حيث التقى القطب الرازي سنة ٧٦٦، وابن الخازن الحائري سنة ٧٨٤ وحيث صنّف أشهر كتُبه «اللُمعة الدمشقيّة»، ثمّ كان من تصاريف المقدور أن نال فيها درجة الشهادة.

---

١. إعلام الورى، ص ٢٢ و ٢٦.

ب) علاقته بفقهاء دمشق

فأوّل ما ينبغي علينا أن نُلاحظه مع تحفظنا عليه ما قاله في مختصَر نسيم السحَر بعد أن ذكرَ مَن يُسمّيه «عباد بن جماعة» أنّه يعني عبّاد هذا:

كان شريكاً له [يعني الشهيد] في أوائل التحصيل والدرس في المعقول والمنقول، كالنحو والمنطق والأُصول، على بعض الشيوخ في الشام والقدس ومصر والغرب [١].

والكلام يأتي في سياق بيان سبب قتل الشهيد بزعمه، وما كان من دَوْر وسعى لعبّاد فيه، وهو إن صحّ يضع تاريخاً لبدء علاقته بفقهاء «الشام» على الأقلّ يرجع إلى أيّام بدء الطلب والتحصيل، وهي مرحلة غامضة من سيرة الشهيد كما عرفنا ممّا علقناه على سيرته في القسم الأوّل من الفصل الثالث.

لكن ما يدعونا إلى التحفّظ الشديد على النصّ هو ضعفه الشديد من عدّة جوانب:

الأوّل: أنّ الشهيد لم يذكر أبداً أنّه بدأ التحصيل في تلك البلدان وهو الذي لم يُخفِ ذكرمَن أخذ أو سمع منهم من علماء ومُحدّثي السنّة، بل إنّه أسّس في هذا نهجاً سار عليه من بعده كبارعلماء المنطقة: الشهيد الثاني وبهاء الدين العاملي والمُحقّق الكركي.

الثاني: أنّ «عبّاد» ذاك هو فيما يبدو شخصيّة خياليّة لم توجد ولم نعثر له على ذكر في كافة كُتب الطبقات والتراجم التي بين يدينا وهي كثيرة.

الثالث: ليس من المفهوم ماذا يعني بـ«الغرب» وقد احتملنا أن تكون قد أصابها التصحيف فعرضناها على كافة الاحتمالات الممكنة ولكنّنا لم نخرج من ذلك بطائل.

خلاصة التدقيق في هذا النصّ أنّه لا دليل على الإطلاق على أنّ الشهيد بدأ صلته بفقهاء دمشق في مرحلة مُبكرة من حياته، وحتّى أثناء رحلته العلميّة الواسعة بعد خروجه من الحلة، فإنّنا لا نجد بين من استجازهم أو قرأ عليهم أيّ ذكر لفقيه أو مُحدّث أخذ عنه أو سمع منه في دمشق، والفقيهان المنسوبان إلى بنى جماعة وهي أُسرة حمويّة، نسبةً إلى مدينة

---

١. مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق هذا الكتاب.

حماة في شمال سوريّة لقيهما في غير دمشق، استناداً إلى ما ذكره عنهما في إجازتيَه لابن الخازن الحائري ومحمّد بن نجدة.

ولكن من المؤكّد أنّه كانت له علاقات واسعة وطيّبة بفقهاء المدينة، وذلك استناداً إلى شهادة أحد أكثر العارفين بسيرته ألا وهو الشهيد الثاني، حيث قال في مقدّمة شرحه الشهير على اللمعة الدمشقيّة:

> ونُقِل عن المُصنفﷺ أنّ مجلسه بدمشق ذلك الوقت ما كان يخلو غالباً من عُلماء الجمهور، لخلطته بهم وصُحبته لهم، قال: «فلمّا شرعتُ في تصنيف هذا الكتابكنتُ أخاف أن يدخلَ عليّ أحدٌ منهم فيراه، فما دخل عليّ أحدٌ منذ شرعتُ في تصنيفه إلى أن فرغتُ منه»[١].

وهو نصّ صريح وغنيّ على:

١. أنّه كان له «مجلس» أي دار أو مكان منه، مُعدّ للزائرين، يُفتَح لهم عند حضوره في المدينة.

٢. أنّ رُوّاد «المجلس» كانوا من كثرة العدد بحيث إنّه «ما كان يخلو غالباً من علماء الجمهور» وناهيك بهذه العبارة دليلاً على سعة صلاته بهم، وعلى أنّ صاحبه كان مقبولاً منهم، مكيناً لديهم، ومنهم ـ ولا ريب ـ صاحبه محمّد بن محمّد الجَزَري الدمشقي (٧٥١ ـ ٨٣٣)[٢] الذي أودع كتابه غاية النهاية تلك الشهادة الطيّبة في حقّ الشهيد[٣]. وهي أُنموذج للانطباع الطيّب الذي تركه الشهيد لدى فقهاء دمشق عدا فقهاء السلطة طبعاً.

نخلص من كلّ هذا إلى أنّ الشهيد بنى علاقته بفقهاء دمشق بعد أن استقرّ به المقام في جِزّين، وأنّه كان من الدقة والتحفظ بحيث إنّه كان يُحاذر أن يطّلعوا على تصنيفه لكتابٍ في فقه الشيعة، هذا مع علمهم أنّه «شيخ الشيعة والمجتهد في مذهبهم» على حدّ قول الجزري، والمُهمّ ـ كما يُقال ـ أن تبتعد العين عن المِخرَز قليلاً.

---

١. الروضة البهيّة، ج ١، ص ٢٤.

٢. انظر الترجمة له في معجم المؤلفين، ج ١١، ص ٢٩١ ـ ٩٢. ومنها نعرف أنّ الجزري عاش الشطر الأوّل من عمره في دمشق، حيث عرف الشهيد، وصحبه مُدّة مديدة على حدّ ما قال.

٣. غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥.

ج) علاقته بابن المؤيّد

عرضنا فيما فات لبداية علاقة الشهيد بابن المُؤيّد [١] حيث أشرنا إشارةً سريعة إلى الرسالة الأُولى التي أرسلها إليه وقد ضاع نصّها من أسف، ووعدنا بالعودة إلى الموضوع في محله المُناسب وهو هاهنا تحت عنوان «علاقاته الخارجيّة»، خصوصاً وأنّنا هنا نملك أُطروحة واضحة تُبيّن دافع ابن المؤيّد لمبادرته غير العاديّة التي تضمّنتها رسالته إليه والتي ما يزال نصّها الدقيق، فيما يبدو، بين أيدينا، كما أنّنا الآن نملك من المعلومات عن أعمال الشهيد ما يُساعدنا على تصوّر سببٍ لرفضه العَرْض والدعوة مع أنّه عَرْض مُغرٍ ووجيه.

الرسالة بما فيها من فذلكة و توجيه وعرْض تطرح عدّة أسئلة، لا بدّ لنا في سبيل استيفاء كافّة عناصر الموضوع من فصلها تحليلياً مقدّمةً لمعالجة كلّ منها على حدة، وقد أثبتنا نصّها في عِداد الوثائق التي ألحقناها بمتن الكتاب، وسنبدأ بدراسةٍ على سندها، لأنّ الاستفادة من المتن تتوقف إلى حدّ بعيد على قوّة سنده، أي إثبات أصل صحّة الرسالة، وهذا واضح.

١. **في سند الرسالة:** بين أيدينا من نصّها عدّة نُسخ خطيّة، أعلاها وأوثقها سنداً ـ وربّما أُمّها جميعها ـ مخطوطة مكتبة مجلس الشوري الإسلامي في طهران ذات الرقم ٤٨٨٦، وهي نُسخة من الروضة البهيّة بخطّ السيّد عليّ بن الحسين الصائغ الجِزّيني (م ٩٨٠). وهو أحد أجلّ تلاميذ المُصنّف. نسخها سنة ٩٥٨، أي في حياة شيخه وعن نسخة بخطّه، وعليها إجازة بخطّ الشهيد الثاني لتلميذه الناسخ، وقد أورد في أوّل النسخة نصّ الرسالة [٢].

إذن فالنسخة تتمتّع بقدر كافٍ من الوثاقة، بالنسبة لمقاييس الوثائق التاريخيّة، تطمئنّ إليه النفس.

٢. **في تاريخها:** الرسالة كما وصلتنا غير مُؤرّخة، ولكنّنا نعرف من مُقدّمة كتاب اللُمعَة الدمشقيّة أنّه كتبه «إجابةً لالتماس بعض الديّانين»، وما هو إلّا حامل الرسالة نفسها شمس الدين محمّد الآوي، هذا وقد أشار الشهيد الثاني في مُقدّمة شرحه إلى أنّ تاريخ تأليف الأصل عام ٧٨٢. إذن فهذا هو تاريخ كتْب الرسالة يقيناً.

---

١. انظر القسم الثالث من الفصل الثالث من هذا الباب.
٢. انظر ما يأتي في الفصل الأوّل من الباب الثالث، ذيل اللمعة الدمشقيّة.

٣. في مُلابساتها: نعني بهذا العنوان أمرين: لماذا كتب ابن المؤيّد الرسالة؟ ولماذا إلى الشهيد دون غيره؟

والتساؤلان يتّجهان مُباشرةً إلى سريرة كاتبها، وهذا ومثله أمر يتجنبه المؤرّخ الحكيم عادةً، لأنّ السرائر علمها عند صاحبها، وعند المُطّلع على السرائر سبحانه، لكن ما يُهوّن الأمر علينا أنّ هاهنا سابقة يُمكن البناء عليها، وما من ريب في أن ابن المُؤيّد قد بنى عليها أيضاً.

نشير بهذا إلى إعلان أُولجايتو خدابنده محمّد (حكم ٧٠٣ـ٧١٦)، وهو ثامن إيلخانات فارس تشيّعَه وضْرَبَه النقود باسم الأئمّة الاثني عشر عام ٧٠٨[١]، وتبعه جَمْع من العلماء والأُمراء، ويُقال: إنّ تشيّعه كان على يد العلّامة الحلّي الحسن بن يوسف بن المُطهّر، وعلى كلّ حال فإنّ من الثابت أنّ العلّامة انتقل إلى إيران حيث أسّس وأشرف على عمل ما عُرف باسم «المدرسة السيّارة» لتجوب البلاد ناشرةً المعارف الشيعيّة[٢]، وبذلك مهد لسلسلة من التحفزات باتجاه التشيّع كان آخرها الدولة الصفويّة التي أعادت توحيد إيران على قاعدة التشيّع الإمامي.

إذن فهذه هي السابقة التي بنى عليها ابن المُؤيّد، وإذن فلا عجب أن يتطلّع هو أيضاً صوب الحلة كما فعل سلفه قبل زهاء السبعة عقود، وهو يتأمّل بحكمة ظاهرة في سبل إعمال القرار السياسي الذي اتّخذه، والهبوط به إلى مُستواه الطبيعي، أي إلى عامّة الناس عبْر التبليغ، وهو وظيفة العالم.

هذا فيما يعود إلى أوّل التساؤلين.

أمّا لماذا إلى الشهيد بالذات مع وجود غيره من أجلّة العلماء الذين كانت تحفل بهم الحلّة في ذلك الأوان، ومنهم أساتذة الشهيد وشيوخه ممّن أتينا على ذكرهم في الفصل الثالث، فهذا من الجانب غير المَرئي من سيرة الإثنين ترجع إلى فترةٍ مُبكرة منهما يوم كان ابن المُؤيّد يبني دولته العتيدة في إيران الطوائفيّة عبْر سلسة من المغامرّات الصعبة وكان الشهيد، القادم من بلده الفقير المأزوم يبني نفسه استعداداً للمهام الكبرى التي تنتظره ولكنّها إجمالاً شهادة للاثنين: شهادة لابن المُؤيد بالتصميم والتخطيط الدقيق، من موقع العارف بأسرار

١. حبيب السِيَر، ج ٣، ص ١٩١ـ١٩٢.
٢. للتفصيل: أعيان الشيعة، ج ٥، ص ٣٩٦ـ٤٠٨.

أزمة بلده، وشهادة للشهيد بأنّه بما لديه من شخصيّة صِداميّة مُبادرة أهلٌ للمهامّ الكبرى، كان ذلك ما جمع بين الإثنين، ولكن في الوقت نفسه كان ما فرّق بينهما فاختلف طريقاهما كما سنعرف بعد قليل.

٤. **في متن الرسالة**: كتبت الرسالة بلغة عربيّة سليمة، زيّنتها أبيات شعر، ممّا يدلّ على مُستوى جيّد من الاحتراف، ولكن روحها فارسيّة تُذكرنا بأسلوب المُنشئين بالفارسيّة في ذلك العصر الذين دأبوا على تلميع نثرهم بالشعر بما يؤكد ويتناسب مع معنى النثر، ولا غرْو في ذلك[١].

بعد السلام بثلاثة أبيات أصليّة، أي أنّها نُظمت خصيصاً للرسالة، تخلص الصياغة إلى الثناء الطويل على المُرسل إليه: «العالِم العامل، الفاضل الكامل... الخ.» وتنتهي بتلميح كأنه يدقّ على الوتر الحساس للشهيد: «مدّ الله أطناب ظِلاله بمحمّد وآله في دولة راسية الأوتاد»، وكأن بل إنّ مُمليها يعرف الظروف الصعبة التي يضطرب فيها في ظلّ دولة أقرب إلى العداء، هو ذا إغراء صريح يستفيد من المُقارنة بين هُوية الدولة التي يعيش الآن في ظلها، والدولة التي بانتظاره، وكأنه يقول هنا الحذر والترقب والمخاطر الكامنة، أمّا هناك فإنّه سيمُدّ ظِلاله في دولة راسية الأوتاد.

تنتقل الرسالة بعدُ إلى وصف أحوال «شيعة خراسان» وأنّهم «مُتعطشون إلى زُلال وصاله» و«قد مزّق شملهم أيدي الأدوار»، و«فرّق جُلّهم بل كلّهم صُروف الليل والنهار»، و«أنّهم يسألون الله تعالى شرف حضوره»، ويخلُص إلى القول: «نحن نخاف غضب الله على هذه البلاد لفقدان المُرشد وعدم الإرشاد».

وفي الختام التأكيد على «أن يتفضل علينا ويتوجه إلينا، مُتوكّلاً على الله القدير، غير مُتعلّل بنوع من المعاذير، فإنّا بحمد الله نعرف قدره ونستعظم أمره».

من الواضح أنّ الرسالة صيغت بذكاء، وأنّ مُمليها كان يعرف جيّداً كيف يُخاطب الشهيد، سواءٌ من حيث إشارته إلى الظروف الصعبة المُحيطة به في بلاده، أم من حيث المكانة العالية التي بانتظاره والواجب الذي يناديه في خراسان.

---

١. يقول زين العابدين مُحبّي في مشاهير شعراء إيران الناطقين بلغة الضاد، ج ٢، ص ٩: إنّ الرسالة من إنشاء الشاعر والمُنشئ محود بن يمين (م: ١٣٦٧/٧٦٩م). ولكنّه لم يُسند قوله إلى مصدر يُعتمَد.

ومع ذلك فقد كان للشهيد وجهة نظر مُختلفة، فاعتذرعن عدم تلبية الدعـوة السـخيّة، واكتفى بتصنيف كتابه الطائر الصيت «اللُمعة الدمشقيّة» وسلّمه للـرسول المُـنتظر ليـوصله للسلطان، وربما ليُعوّض عن حضوره الشخصي، ولكنّنا ما نشكّ أنّه كان يعرف جيّداً أن لا شيء يُغني عن حضوره أو حضورمثله ليقود ويُوجّه ما بدأه ابن المُؤيّد.

٥. **في سبب رفض الشهيد:** والسؤال المُفتَرَض هنا يتوجّه أيضاً إلى سـريرة صـاحبه، وهوالأمرالذي عبّرنا فيما فات بوضوح عن حذرنا وتحذيرنا من الخوض فيه، ولكـن مـا يُهوّن الأمرهنا أيضاً أنّنا نفترض أنّ شخصاً كالشهيد الذي لم نرَمنه إلّا كلّ دقة في العـمل، وتبصّر في الإحاطة بالظروف المُحيطة به، وحساب تحرّكاته على ضوئها، لابدّ أنّه كانت له أسبابه الموضوعيّة الكامنة وراء الرفض.

ما سنحاوله هنا هو اكتشاف تلك الأسباب الموضوعيّة، أو على الأقلّ احتمالات منها، وذلك استناداً إلى ما قد أصبحنا نعرفه ويعرفه القارئ من سيرة الشهيد وأعماله في وطنه، وأيضاً استناداً إلى بعض ما نعرفه من مجاري الأُمور في خراسان، ذلك أنّـه إن كـان ثـمّة أسباب موضوعيّة ـ كما نُرجّح ـ لرفضه فيجب أن تكون في أحد هذين المكانين.

بالنسبة لوطنه فإنّ القارئ الحصيف قد غدا الآن عارفاً بالعمل الكبير الذي قاده الشهيد، بحيث إنّنا نستطيع أن نقول بكامل الثقة ـ ودون أي مُبالغة ـ إنّه قاد ثورة حقيقيّة بـالمعنى الثقافي للكلمة، لقد نجح في نقل وطنه وشعبه من حالة الأزمّة المُسـتحكمة التـي كـانت تُطوّقه وتأخذ بخناقه إلى فضاء استعادة الذات والذاتيّة، والحقيقة التي ينبغي أن نُؤكد عليها ونحن نتأمّل في هذه الإشكاليّة أنّ الرجل قد أصبح الآن في قلب عمل أكبرمنه بكثير، مع أنّه هو الذي خلقه، هكذا الأعمال التغييرية الكبرى لا بدّ أن تصِل إلى تلك اللـحظة التـي تتجاوز فيها أصحابها وقادتها، دون أن يعني ذلك أبداً أنّها قد أصبحت في غنى عنهم، كلّا، بل إنّ العكس هو الصحيح، إنّها في حجمها الكبير، ومُقتضيات ضبط مُختلف الاتـجاهات التي ستنمو حتماً في داخلها، يجعلها بحاجة إلى رعاية أكبر، وقديماً قيل: إنّ المُحافظة على القلاع أكثر صعوبةً من الاستيلاء عليها.

امرؤ في مثل هذا الموقع الدقيق كيف يمكن أن يُدير ظهره لكلّ شيء ويمضي! خصوصاً وأنّ خطوته في هذا الاتجاه ستكون ـ على الأرجح ـ خطوة لا رجوع فيها. هذا احتمال.

أما الثاني فهو كامن في الأحوال السياسيّة التي كانت قائمةً في بلاد خراسان وماوراء النهر.

لقد نجح السربداريون في بناء دولة في خراسان و دامغان، ولكن كان غير بعيدٍ عنهم تيمور لنك، القابع في عاصمته سمرقند، يتحفز لبدء سلسة فتوحاته الواسعة التي أدخلته التاريخ بوصفه أحد أعظم الفاتحين، وبالفعل لم تمضِ أشهُر قليلة بعد تاريخ الرسالة حتّى خرج على رأس جيوشه الجرّارة واجتاح إيران و آسية الصغرى إلى أن وصل إلى دمشق. وكانت الدولة السربداريّة وسلطانها ابن المُؤيد من أُولى ضحاياه.

لكن هاهنا سؤال يطرح نفسه: هل كان الشهيد على اطّلاع على هذه التي كانت عندما تلقّى دعوة ابن المُؤيّد مُجرّد تهيؤات كي نقول: إنهّ رفض تلبية دعوته بسببها؟

السؤال وجيه، والحقيقة إنّنا حاولنا تكوين فكرة عن الظروف التي كانت سائدة آنذاك في المنطقة، وخصوصاً ما يتعلّق منها بتيمور ونشاطاته بقراءات واسعة في مصادر تاريخها في ذلك الأوان، لعلّها تعيننا على الإجابة على هذا السؤال، فلم نخرج بطائل تطمئنّ إليه النفس، على أنّنا نعرف إجمالاً أنّ ما من حدَث كبير بحجم أعمال تيمور العسكريّة الكبرى التالية إلّا وتسبقه إرهاصات وإنذارات وإرجافات، ولكن يبدو أنّ كلّ هذه لم تلفِت أنظار المؤرّخين، أو بالأحرى لم تكن محلّ عنايتهم.

وعلى هذا فإنّ الاحتمال الأوّل يبقى الأقوى، والله العالم.

خلاصة الفصل

بالنظر لمُقتضيات مشروعه وعمله فقد وجد الشهيد نفسه داخل شبكة مُعقدة من العلاقات، بعضها ممّا عمل عليه، والآخر ممّا فرض نفسه عليه فرضاً، قسمناها تسهيلاً لدراستها إلى قسمين:

القسم الأوّل: شبكة علاقات داخليّة، أي بالشيعة فيما يُعرَف اليوم بلبنان. وهم كانوا من أطياف ثلاثة:

أ) الأكثريّة التي وجّه جهوده إليها، ونشر الفقهاء من تلاميذه في أوساطها، وعمل على تنظيمها وتوجيه نشاطها.

ب) المُتسنّنون، وهم فريق من الشيعة تأثّروا بالضغط السكاني والهيمنة السياسيّة للتركمان، فتحوّلوا إلى مذهب الغالب، وهم من أهل السواحل، ولقد كان هؤلاء المُشكلة الأكبر التي عانى منها دائماً في مشروعه النهضوي.

ج) المُرتدّون، وقد ارتضينا لهم هذا الاسم انسياقاً مع مُفردات لغة العصر، وهو لا يعني الكفر بعد الإسلام، وإنّما «المُرتدّون» إلى ما تجاوزه الشهيد بالشيعة بأعماله، أي ما يُشبه ما تعنيه اليوم كلمة «الرجعيّون»، وقد كان لهؤلاء قيادات عملت كلّ ما في وسعها لمُضادّة الشهيد، وقد وصفنا أعمالهم.

القسم الثاني: شبكة علاقات خارجيّة. أي بمَن هم خارج وطنه. وهي أيضاً من ثلاثة جهات:

أ) السُلطة في دمشق التي يبدو أنّه بنى معها علاقة طيّبة استمرّت زمناً.

ب) الفقهاء في دمشق أيضاً الذين كان معهم في أطيب حال عدا فقهاء السلطة.

ج) عليّ بن المُؤيّد الخراساني الذي أرسل رسولاً يستدعيه إلى خراسان. وقد درسنا رسالته دراسة دقيقة.

الفصل السادس

لماذا قتل الشهيد؟

تمهيد

عرفنا في الفصل السابق أنّ الشهيد بنى من حوله شبكةً من العلاقات الخارجيّة الطيّبة، نخصّ بالذكر بالسلطة في العاصمة الإقليميّة دمشق، وأيضاً بعددٍ جمّ على الأقلّ من فقهائها، وكان له فيها مجلس مقصود منهم، وأنّه كان يُقيم فيها مدداً متفاوتة، وهذا يَدُلّ على أنّه لم يكن يخشى منها بأساً، بل على أنّه كان يأمَن جانبها أي جانب السُلطة السياسيّة وجانب السُلطة الدينيّة معاً.

ثمّ إذا بدمشق كلّها بساستها وفقهائها ـ وكأنما فجأةً ـ تقلِب له ظهر المِجنّ، وتدبِّر له مُحاكمة مُهلِكة تؤدّي به إلى القتل، بل إلى ما هو أشدّ فظاعةً، فقتل بالسيف ثمّ صُلِب ثم أُحرِق، كما عرفنا من ختام الفصل المُخصّص لسيرته.

والسؤال: لماذا؟ ماالذي جري فحوّل الأُمور من حوله على هذا النحو الدرامي؟ فكأنّنا نقرأ فصول مسرحيّة مأساتيّة قدأحسن كاتبها حبكها فجاءت مُحرّكةً لاعمق مشاعر الحزن والألم.

هو ذا نحن الآن بما نطرحه نعود إلى الغوص في سرائر البشر، فكأنّما كُتب على الباحث في سيرة الشهيد أن يخوض دائماً المياه العميقة حيث تكثر المخاطر والمزالق، وهذا دليل ساطع لا ريب فيه على عظمة الرجل، فالذي يُحرّك الأعماق يركب المخاطر وقد تنال منه. ثمّ إنّ مَن يُحاول قراءته من بعده لا يجد مفرّاً من الخوض حيث خاض، ولو أنّه قنع بالضحل واليسير لاستراح وأراح.

وإذا كانت النفوس كباراً تَعِبَتْ في مُرادها الاجسامُ

لكن ما يُهوّن علينا الأمر هنا أيضاً أنّ الجُناة ومَن تكلّم بلسانهم قد سجّلوا كلاماً كثيراً وهم يُحاولون جاهدين تبرير جريمتهم النكراء، ونحن سنؤدّي عمل قاضي التحقيق، فنقرأ الوقائع التي كانت السبب في انتقاض الأمور وبدأ الآليّة التي انتهت بقتله، ونزاوج ونقارن بين أقوال الجُناة ومن شاركهم بجريمتهم بالرضى عنها، لا لندينهم فهم مُدانوْن على كلّ حال، وإنّما لنكتشف الدوافع الحقيقيّة للجريمة الخبيئة وراء الوقائع الظاهرة.

١. في الوقائع

في اليد ثلاث رواياتٍ أساسيّة:

الأُولى: رواية محمّد مكّي في مختصر نسيم السحر:

وهي أوسع رواية عنيت ببيان الوقائع، وهي رواية طويلة جدّاً تبلغ ما يزيد على الألفي كلمة، وبدأها بقوله: «ولقتله أسباب»، ثمّ شرع في بيان تلك الأسباب سبباً سبباً، ولذلك فإنّنا لن نقتبس نصّه كي لا نطيل دون طائل، ولكنّنا سنكتفي بالوقوف على أهمّ ما فيها، ويبدو من طريقة إيرادها، وخصوصاً من ترتيبها زمنياً، أنّه يُريد أنّها كانت ذات صفة تراكميّة، أي أنّها بتراكمها قد أدّت إلى القتل. وعليه فإنّنا سنوردها وفقاً للترتيب الذي جاءت به تسهيلاً لدراستها فيما يأتي.

١. أنّ فقيهاً شافعياً اسمه عبّاد بن جماعة، كان شريكاً للشهيد في أوائل التحصيل، فدفعه الحسد إلى أن اتّهمه بالرّفض، وأخذ يُشنّع عليه عند عُلماء السُنة وعند الملك بيدمر.

٢. أدّت مساعي عبّاد إلى حبس الشهيد في القلعة سنةً كاملة خرج في نهايتها بأمرٍ من السلطان برقوق مُكرّماً مُعظّماً بعد أن كتب رسالة إلى نائبه في الشام بيدمر ضمّنها قصيدة مدحه واستنصره فيها، وهي غير التي أوردناها في الوثائق المُلحقة بمتن الكتاب، وبعد أن نظم مجلس مُناظرة بينه وبين فقهاء دمشق. ظهر منها براءته ممّا أُلصق به، وخيّره في الإقامة أنّى شاء.

٣. انصرف الشهيد بعد ذلك إلى العمل مُطمئناً، وخصوصاً إلى التدريس، مُوزّعاً وقته بين دمشق وصيدا وبعلبك، إلى أن خرج عليه تقيُّ الدين الخِيامي البابلي الذي «فعل أشياء بالسحر والشعبذة... وأكثر القرى مالت إليه، خصوصاً في السواحل، وقد انتهت أعماله بقتله.

٤. على الأثر خرج عليه يوسف بن يحيى الذي عمد إلى خطة أكثر دهاءً، ابتغاء تحريض السُلطة عليه، فـ«أظهر بعض مُصنفاته ممّا يظهر منه تشيّعه» و «كتب محضراً شنّع فيه عليه بأنّه شيعيّ وعُمدة الشيعة ومرجعها، وكتب معه ووافقه على الارتداد عن مذهب الإماميّة والخروج عن طريق الحقّ سبعون رجلاً من الجبل وألف رجل من السواحل، ممّن كان ظاهرهم التسنّن»، وعرضوا ما كتبوه على عدد من القضاة، وعقد له مجلس في القدس. وبالنتيجة أعلن السلطان برقوق براءته، «وأمر بردّه إلى الشام [أي دمشق] وإلى حيث شاء. فرُدّ إلى دمشق وأقام بها مدّة من الزمان.

٥. في دمشق حيكت ضدّه مؤامرة (نلاحظ هنا أنّ الفاعل مجهول)، فترقّب حضوره إلى المسجد لصلاة الجمعة، وعمد إلى وضع أوراق في حذائه، كُتب فيها أسماء العشرة المُبشّرة، الأمر الذي أدّي إلى ثورة العوام، فقتلوه ثمّ صلبوه ثمّ أحرقوه، ثمّ «وضعوه في مكان ودفنوه في عصريّة يوم الخميس تاسع جُمادى الأُولى سنة ٧٨٦».

الثانية: رواية المقداد بن عبد الله السيوري التي وردت بتمامها في الفصل العاشر من الباب الأوّل من هذا الكتاب[١].

الثالثة: رواية ابن قاضي شهبة (م ٨٥١) التي وردت بتمامها في الفصل العاشر من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

الجمع بين الروايات

أوّل ما نلاحظه أنّ روايتي ابن مكّي والسيوري أغنى فيما يتعلق بالأسباب الأُولى، التي أدّت إلى وضع السُلطة يدها على القضيّة وبدء إجراءات المحاكمة، في حين أنّ رواية ابن قاضي شهبة أغنى وأدقّ فيما يتعلق بإجراءات المُحاكمة نفسها، وليس في هذا ما يفاجئنا، فهذا القبيل من النصوص خاضع لخبرات صاحبه حيث يدخل عامل المكان، فأنّى لفقيه في جزّين أن يطّلع على ما يجري في دمشق، وأنّى لمؤرّخ دمشقي أن يعرف تفصيلات ما اضطرب فيه الشهيد في وطنه.

---

١. مع الإشارة إلى أنّ هذه الرواية هي أُمّ كلّ الروايات الشيعيّة في هذا النطاق. وقد اقتبسها الحر العاملي في أمل الآمل، ج ١، ص ١٨٣؛ والبحراني في لؤلؤة البحرين، ص ١٤٦ ـ ١٤٧ وغيرهما.

يتّفق المصدران الشيعيّان على وضع القسط الأكبر من المسؤوليّة في عنق قاضٍ شافعي يُسمّيانه «عبّاد بن جماعة»، فهو الذي بدأ الحملة على الشهيد، وهو الذي رتب ما جريات المحاكمة بحيث صدر الحكم بقتله.

فمن هو عبّاد بن جماعة هذا؟

الحقيقة أنّه لا وجود لشخص بهذا الاسم، وقد تتبّعنا كلّ المُنتمين إلى أُسرة بني جماعة الحمويّة الأصل، نسبةً إلى مدينة حماة في شمال سورية، فلم نقع على شخص منها بهذا الاسم، واتّفاق المصدريْن المذكوريْن على الاسم الغلط، يدلّ على أنّه كان ذائعاً على ألسنة الناس المفجوعين في جبل عامل، وانسياق البتدّيني، مُصنّف نسيم السحَر، والمقداد السيوري، وكلاهما من تلاميذ الشهيد، مع هذا الغلط يدلّ على ضعْف صِلتهم بما جرى على الشهيد في دمشق، وأنّهما استفادا معلوماتهما من الأصداء التي كانت تصِل إليهما من بعيد، وهذا يُفسِّر لنا سبب الاختلافات الكبيرة بين روايتيهما، مع أنّه ما من شكّ أبداً في سلامة قصدهما وبراءة نواياهما، الأمر يرجع بكل بساطة إلى مَن صادف أن أدار كلّ من الإثنين أذُنه، وأيضاً إلى شخصيّة كلّ منهما وليعتبر القارئ العبارة الأخيرة إشارةً ـ أقرب إلى الصّراحة ـ إلى بساطة تفكير البتدّيني، ونقداً ضمنياً لكلّ الخيالات غير المعقولة في نصّه.

مهما يكن، فإنّنا بالتنقيب في المصادر المُعاصِرة وخصوصاً في كتاب الثغر البسّام في ذكر مَن ولي قضاء الشام لابن طولون الصالحي (م ٩٥٣) عرفنا أنّ الهيئة القضائيّة التي نظرت في قضيّة الشهيد وأصدرت الحكم عليه، تألّفت من:

القاضي الشافعي: برهان الدين، إبراهيم بن جماعة الكناني. الذي ولي قضاء الشافعيّة في دمشق من السنة ٧٨٥، حتّى السنة ٧٨٩[١].

القاضي المالكي: علم الدين محمّد بن محمّد بن محمّد الدمشقي، وقد ولي القضاء فيها بين السنتين ٧٧٩، حتّى السنة ٧٨٩[٢].

---

١. الثغر البسام في من ولي قضاء الشام، ط. باسم: قضاة دمشق، ص ١١٢ ـ ١١٤.
٢. الثغر البسام في من ولي قضاء الشام، ط. باسم: قضاة دمشق، ص ٢٤٩.

القاضي الحنبلي: محمّد بن حسن بن قاضي الجبل، ولي القضاء فيها من السنة ٧٦٧ ومات وهو قاضٍ سنة ٧٩٤[١].

هذا ولم نعرف سبباً لغياب أو تغييب القاضي الحنفي عن هذه الهيئة، وقد كان في ذلك الأوان أحمد بن إسماعيل ابن الكِشك، ولي القضاء فيها بين السنتين ٧٧٧ ـ ٧٩٠[٢].

وإنّنا بعد التأكيد على التساؤل عن سبب غياب أو تغييب القاضي الحنفي عن الهيئة نقول:

أوّلاً: من الثابت والمعلوم أنّ النظام القضائي كان في ذلك الأوان خاضعاً خضوعاً كاملاً للسُلطة، أي أنّ القاضي لم يكن مُمتعاً بأيّ حصانة ممّا نعرفه في أيامنا، وكان تعيينه وعزله يتمّان بناء على أمر مباشر من السلطان، والويل كلّ الويل للقاضي الذي لا يُحسن إثبات ولائه المُطلق له.

ثانياً: من المعلوم أيضاً أنّه منذ زمن الظاهر بيبرس (٦٥٨ ـ ٦٧٦) ذلك الداهية الذي وضع الأُسس النظريّة لدولة المماليك انفصل القضاء بحسب المذاهب المُعترَف بها، وكان كلّ قاضٍ يختصّ بالنظر في شؤون وخصومات أبناء مذهبه لا يعدوها، ولم يكن القضاة يتشكّلون ـ أو بالأحرى يُشكّلون ـ بهيئة إلّا بأمر من السُلطة، ولأمر جلل تحتاج السُلطة فيه إلى غطاء شرعي قوي مبني على إجماع ذوي الشأن، ولنتدبّر هنا في نصّ ابن قاضي شهبة قوله: «فاجتمع العلماء والقضاة»، أي أنّ الهيئة لم تقتصِر على الفقهاء الرسميين، بل أُضيف إليهم آخرون من غيرهم، ممّا يدلّ على أنّ السُلطة كانت تسعى إلى الحصول على أقوى قرار مُمكن، وهذا أمر نادر جدّاً، والحقيقة إنّني بعد طول البحث، لم أعثر على واقعة مماثلة.

ثالثاً: إنّ اجتماع الهيئة تمّ في «دار السعادة» ـ كما صرّح ابن قاضي شهبة ـ المقرّ الرسمي لنائب السلطان في الشام، وهي بمثابة القصر الرئاسي في أي عاصمة، ومن هنا نعرف أنّ الاجتماع كان بمبادرة من النائب نفسه الذي يملك وحده الحق في الدعوة إلى قصره وهذا واضح.

إذن، نحن هنا أمام قضيّة سياسيّة كبرى تعاملت معها السُلطة على أعلى مُستوى وأكاد أقول على مُستوى السلطان نفسه لولا أنّ النصوص تعول عن هذا، لأنّ المخابرات بينه وبين

١. الثغر البسام في من ولي قضاء الشام، ط. باسم: قضاة دمشق، ص ٢٨٤.
٢. الثغر البسام في من ولي قضاء الشام، ط. باسم: قضاة دمشق، ص ٢٠٢.

نائبه تبقى شخصيّة، وبالتالي طيّ الكتمان، ولكن من الجهة الأُخرى فإنّنا نعرف جـيّداً أنّ عملاً يُعدّ له هذا الإعداد الدقيق ليس من المعقول أن يجرؤ نائبه على التفرّد به.

على أنّ هذا الاستنتاج لا ينفي إطلاقاً ما تنسبه المصادر الشيعيّة من دوركبير للقاضي الشافعي في تدبير نتيجة مُهلكة للشهيد. ها هنا اختلاف في المُستوي، القرار اتّخذ من قبَل السُلطة السياسيّة، أمّا الآليّة فقد تولّاها الشافعي، وربّما في هـذا السـياق جـرى اسـتبعاد القاضي الحنفي، وعلى كلّ حال فإنّ المصادر تُزوّدنا بمادّة إضافيّة، في الغاية من الأهـمّيّة عن القضاة الثلاثة الذين أصدروا الحكم.

القاضي الشافعي ـ الذي تقول المصادر الشيعيّة عنه بلسان أو بآخر وبحقّ فيما يبدو أنّه كان لا يكتم عداءه للشهيد ـ كان رجلاً جبّاراً بطّاشاً، قال فيه مُعاصِره ابن حجر العسقلاني:

> وكان بلغه أنّ بعض فقهاء البلد غضّ منه بأنّه قليل العلم، ولا سيّما بالنسبة للذي عزِل به، وهو أبو البقاء، فأحضر بعض مَن قال ذلك ونكل به. ثمّ أوقع بآخر، ثمّ بآخر [١].

إلى غير ذلك، ومما تجدُر بنا ملاحظته هنا أنّ هذا القاضي الذي وُلد ودرس وولي القضاء وغيره من الوظائف في مصر قد وُلّي على قضاء الشام قبل أشهر قليلة من بـدء إجـراءات المحاكمة [٢]، ولم يلبث في منصبه هذا إلّا نحو سنة [٣]، ممّا يبعث على الريب في أنّه إنّما جيء به لغرض مُحدّد، وبينما كان الشهيد قيد السجن تدبّر له التدابير، فلمّا قضاه أُعيد إلى حيث كان، وليس ذاك الغرض إلّا إدارة مُحاكمة الشهيد بحيث تؤدّي إلى ما أدّت إليه.

أمّا القاضي المالكي الذي يقول ابن قاضي شهبة أنّه ادُعي على الشهيد عنده، فقد وُصف بأنّه «كانت له عناية بالعلم مع قصور فهم ونقص عقل» [٤].

وأمّا الحنبلي الذي حكم بزندقة الشهيد وإراقة دمه، وعلى حكمه هذا استند المالكي في حكمه النهائي فقد وُصف بأنّه «عنده مداراة وحبّ للمنصب» [٥].

هـذه هيئـة أُنموذجيّة للغرض الذي يراد منها، وقد جرى تشكيلها بدهاء كبير بـحيث

---

١. الدُرر الكامنة، ج ١، ص ٣٩.
٢. قضاة دمشق، ص ١١٣.
٣. قضاة دمشق، ص ٢٤٩.
٤. قضاة دمشق، ص ٢٨٦.
٥. قضاة دمشق، ص ٢٨٤.

جاء على رأسها قاضٍ لا يتورّع عن البطش والتنكيل كما عُرِف بعدائه الشديد للشهيد، وإلى جنبه اثنان أحدهما قاصر الفهم ناقص العقل، والثاني عنده مُداراة وحبّ للمنصب، إذن فما من عجب في أن يُسيّرهما الشافعي كيف يشاء، أولهما عن طريق صفاته الشخصيّة والثاني عن طريق «مُداراته» للسُلطة طبعاً وحبّه للمنصب، كما أنّ علينا أن نُلاحظ هنا أمراً يبدو لأوّل وهلة أنّه غير ذي بال، هو أنّ إجراءات المُحاكمة بدأت بالادّعاء على الشهيد عند القاضي المالكي، مع أنّ الشافعي هو أعلى القضاة رُتبةً كما هو معلوم، والمقصود من هذا فيما يبدو لنا أحد أمرين أو كلاهما:

إمّا إظهارحياده وسلامة طويّته، والحقيقة التي ينبغي مُلاحظتها هنا أنّ دوره لم يظهر إلّا بعد أن قطعت الإجراءات شوطاً باتجاه الإدانة «فاستغلطه ابن جماعة (لعنه الله) وقال: استغفرتَ فثبت الذنب»، على حدّ رواية السيوري. الأمر الذي أشار إليه ابن قاضي شُهبة أيضاً، مع إغفال الفاعل، فقال: «فقدّر أنّهم استدرجوا ابن مكّي حتّى اعترف».

وإمّا لأنّ المالكي لا يقبل توبة المُرتدّ خلافاً للشافعي.

هذا كلّه فيما يرجع للوقائع.

٢. الأقوال والمزاوجة بينها

ونعني بالأقوال ما سجّلته مُختلف المصادر ممّا أُخذ على الشهيد أثناء المُحاكمة ثمّ بُني الحكم عليها.

باستعراض المصادر التي بين يدينا سجّلنا الأقوال التالية:

١. محمّد بن محمّد الجزري (م ٨٣٣): «أنّه قامت عليه البيّنة بآرائه»[١].

٢. ابن قاضي شهبة (م ٨٥١): «كان له في السجن مدّة، وأُثبت في حقّه محضَر عند قاضي بيروت يتضمّن رفضه وإطلاقه في عائشة وأبيها وعمر عبارات مُنكرَة بل مُكفِّرة»[٢].

٣. ابن حجر العسقلاني (م ٨٥٢): «قتل محمّد بن مكّي الرافضي بدمشق، بسبب ما شهد عليه من الانحلال واعتقاد مذهب النصيريّة واستحلال الخمر الصرف، وغير ذلك من القبائح»[٣].

---

١. غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٦٥.
٢. تاريخ ابن قاضي شهبة، ج ١، ص ١٣٤.
٣. إنباء الغمر، ج ١، ص ٢٠٠.

٤. ابن العماد الحنبلى (م ١٠٨٩): «فشهِد عليه بدمشق بانحلال العقيدة، واعتقاد مذهب النصيريّة، واستحلال الخمر الصرف وغير ذلك من القبائح»[١].

من الواضح أنّ نصّ ابن العماد منسوخ نسخاً عن العسقلاني، وإنّما أثبتناه لأنّه بيّن أن معنى «الانحلال» بأنّه «انحلال العقيدة».

من الممكن طبعاً أن تتداخل هذه الأسباب. فتكون، كلها أو بعضها وجوهاً لمقصود واحد، ولكنّها حتّى في وضعها هذا تعكس لنا الزاوية التي أُتيح أو اختار المؤرّخ أن ينظر منها إلى الواقعة، الرفض كسبب للحكم ذكره ابن قاضي شُهبة والعسقلاني، لكن الأوّل أضاف إليه: «إطلاقه في عائشة وأبيها وعمر عبارات مُنكرَة»، في حين أضاف العسقلانى: «الانحلال واعتقاد مذهب النصيريّة واستحلال الخمر الصرف وغير ذلك من القبائح».

ومن المعلوم أنّ الشهيد قد وُصف بالرفض في غير مصدر من المصادر غير الشيعيّة، في غير معرض الكلام على سبب قتله. وعلى كلّ حال فإنّ تشيّعه لم يكُن خفيّاً في دمشق على أحد، مع أنّه كان يصِف نفسه بـ«الشافعي»، وقد أشار صاحبه الجزري إلى ذلك إشارةً في غاية الوضوح.

ونُرجّح أنّ «إطلاقه في عائشة وأبيها وعمر» أي بالسبّ هي إضافة من عند ابن قاضي شُهبة، بشهادة أنّنا لا نعثر على أدنى إشارة إلى شيء من ذلك لدى العسقلاني، كما تابعه عليه ابن العماد الحنبلي، وما من شكّ في أنّ رجلاً كالشهيد لا يمكن أن يهبط إلى هذا المستوى، وهو الذي عمل بجدّ على بناء صلاتٍ طيّبة بالمراكز العلميّة السُنيّة في المنطقة، وقرأ وحمل عن كثير من علمائها ومحدّثيها، وظلّ حتّى أواخر عمره يُقيم مُدداً في دمشق حيث كسب لنفسه مقاماً علميّاً ممتازاً وتقديراً عامّاً، ونُذكّر هنا بشهادة الجزري التي قال فيها: «صحبنى مدّة مديدة، فلم أسمع منه ما يُخالف السُنّة»، وهذا يدلّنا على دقته وانبساطيّته وتحاشيه الاستفزاز، وهو العارف الخبير بما هو كامن في النفوس، حتّى أنّه وهو يخطّ كتابه «اللمعة الدمشقيّة» كان يحرص كلّ الحرص على أن لا يطّلع عليه أحد.

رجل كهذا لا يمكن أن يلجأ إلى النيل والسبّ، وعلى كلّ حال فلماذا يفعل؟! وهو الذي

١. شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٩٤.

سخّر كلّ ما لديه لقضيّة شعبه المأزوم، وكان في أمسّ الحاجة للعمل بسلام في سبيل بنائه من جديد.

نصِل في نهاية هذا المطاف إلى ما نراه أصدق قيلاً من حيث إنّه يُعبّر بدقة عن الاتـهام الذي وُجِّه إليه بالفعل في بداية إجراءات المحاكمة وهو انحلال العقيدة واعـتقاد مـذهب النصيريّة واستحلال الخمر الصرف.

من الواضح أنّ انحلال العقيدة هو معنى عام غير مُحدّد، لا يُمكن أن يُفهَم إلّا من «اعتقاد مذهب النصيريّة واستحلال الخمر الصرف»، وسنُقدّم بعد قليل نظريّة لمغزى هذه التهم.

لكن ما يُلفت نظرنا هنا هو تناسق هذه الاتّهامات وتلازمها: انحلال العقيدة = اعـتقاد مذهب النصيريّة واستحلال الخمر الصرف، وليس ـ مثلاً ـ شرب... باعتبار أنّ الاستحلال مخالفة لضروريّة من ضروريات الإسلام موجب للكفر، هذا أمر لايمكن أن يحدث عفواً، بل إنّه ليس من عمل هواة، لهذا فإنّني أميل بقوّة إلى القول بأنّ ما سجّله العسقلاني ثمّ أخذه الحنبلي أخذَ قابلٍ به، صدىً أمين لِما بدأت به المحاكمة، نظمه تحالف السُلطة وفـقهائها، يؤيّد ذلك ما تذكره بعض المصادرالشيعيّة، من أنّه أُخذت عليه «مقالات شنيعة عند العامّة من مقالات الشيعة وغيرهم»[1]، يُضاف إليه قول الجزري أنّه «قامت عليه البـيّنة بآرائـه»، وهذه إشارة لا ينقصها الوضوح على أنّ المحاكمة كانت على مواقف فكريّة، ولسنا ندري لماذا سكت عن هذه «الآراء»، ولعلّه آثر هذه الإشارة السريعة مُحافظةً على ذكرى صديقه، فلا يذكر الاتّهامات الوقحة التي وُجّهت إليه، وهو الذي لم يُخفِ مرارته لقتله واعتقاده الضـمني ببراءته.

لكن هذا يطرح سؤالاً:

ترى لماذا اختار تحالف السُلطة وفقهائها هذه الاتّهامات بالذات؟

أميل إلى الاعتقاد بأنّ الجواب يكمن في مدى حركة الشهيد، لقد سبقت منّا الإشارة إلى أنّ السُلطة حرصت في الوقت نفسه الذي قتلت فيه الشهيد على أن تقتل في طرابلس رجـلاً سمّته «عرفة» ووُصِف بأنّه «رفيقه [...] وكان على مُعتقده»[2] يعني مُعتقد الشـهيد ومُـعتقد

١. أمل الآمل، ج ١، ص ١٨٢.
٢. انظر الفصل العاشر من الباب الأوّل.

الشهيد في سياق النصّ هو النصيريّة إذن، فكل شيء يوحي بأنّ «عرفة» هذا هو ممّن تُسمّيهم السُلطة وفقهائها نُصيريّة، وأنّ الشهيد قد مدّ نشاطه لينظم العلويين الذين كانوا وما يزالون منتشرين في نواحي طرابلس، مُستفيداً من الصلة التاريخيّة بينهم وبين الشيعة الإماميّة، بل من أنّهم منهم دون أدنى ريب، ومن حاجة الطرفين لتجميع قواهم في مقابل السلطة المملوكيّة، وكلّ شيء يدلّ على أنّها قد عمدت إلى أن تقتل «عرفة» هذا في بلده طرابلس ليكون قتله بمثابة رسالة مُعمدة بالدم إلى قومه بأن يخلدوا إلى السكينة ويلزموا الهدوء.

لكنّني بالنسبة إلى هذه النقطة بالذات أشعر بأنها تخفى أكثر بكثير ممّا استظهرنا منها وأنّنا مع هذا التحليل الدقيق لم نفتح أسرارها.

من هو «عرفة» هذا؟ من المؤكّد أنّ اسمه ليس مقطوعاً هكذا، فهو حتماً من أب وعائلة وينتسب إلى بلد شأن كلّ الناس، فلماذا اقتصر ذكره على مُجرّد اسمه؟ ما كان دوره حقّاً؟ لا مراء في أنّه كان ذا حضور وأثر مُميّزَين ليُقتل مع قتلة شيخه، أو على حدّ تعبير العسقلاني: «رفيقه».

أسئلة لا نملك عليها جواباً، وإنّما نطرحها لكي تبقى حيّة برسم مَن بعدنا عسى أن يُتاح لهم من المعلومات وأدوات البحث ما لم يقع تحت يدنا.

هكذا نصِل إلى واحدة من أهمّ مفاتيح قضيّة الشهيد الفقيه والعالم الكبير ومالئ الدنيا وشاغل الناس في زمانه وإلى يومنا هذا، الذي حمل بكامل الجدارة عبْء أزمة شعبه التاريخيّة، ونجح رغم كلّ الصعاب في بناء نهضته، ومع ذلك ـ ويا للمفارقة المَهولة ـ فإنّه قتل بتهمة الارتداد، تحت شعار «اعتقاد مذهب النصيريّة واستحلال الخمر الصرف».

لقد أرادت السلطة بجريمتها الغبيّة أن تُسكت الشهيد وأن تُعيد عقارب الساعة إلى الوراء، ولكن هيهات، لقد خطا ببلده وقومه الخطوة التي لا عودة عنها: أسّس لحركة علميّة مستقلّة، مُتصلة بأعماق الثقافة الخاصّة، بدأت فوراً تعيد إنتاج نفسها، بإنتاج مُثقفين مُنتمين عضويين اتّجهوا فوراً إلى العمل في مُختلف الميادين الفكريّة والاجتماعيّة والسياسيّة، ومنحَ البُنية الثقافيّة المحليّة، التي كانت في حالة تحفز لاستعادة الذاتيّة، فكرها السياسي الخاصّ بها، فزوّدها برؤية ووضع أمامها هدفاً وإن يكن بعيداً، وبذلك أغلق إلى الأبد الهوّة التي ظلت فاغرة زهاء الخمسة قرون من الاستلاب والعجز عن الانطلاق، ولم يعد في طوْق أحد أن ينتزع منها هذا المكسب التاريخي.

سيُسجّل التاريخ أنّ جبل عامل اجتاز مأزقه التاريخي بفضل بطل فرد من أبنائه بالإعداد الدقيق والتخطيط الذكي والعمل الدائب في أكثر من ميدان دفعةً واحدة مع المُداراة وبناء العلاقات الايجابيّة تحت أصعب الظروف وأقساها، وما عتمت هذه البقعة التي لم تكن من قبلُ شيئاً مذكورا أن غدت بفضله وبفضل تلاميذه من بعده وطناً لصفحة جديدة تماماً من التاريخ الثقافي لوطنه، وباباً مُشرَعاً نحو النهضة التي، في بعض وجوهها استمرار لمرحلة سابقة ويتجلى هذا الاستمرار في وحدة كيان شدّت عراه الوحدة التاريخيّة الثقافيّة والمأزومة بالاحتلال الأجنبي وكل مانتج عنه، وكان من فضل الشهيد وتلاميذه من بعده أن أغنى ذلك الشعور العميق بالوحدة، فغدا على يده ويدهم مشروعاً بعد أن كان تراثاً.

وممّا يجدُر بنا التنويه به دائماً أن الصيت البعيد الذي يتمتّع به الشهيد حتّى اليوم بين الناس في جبل عامل ما هو إلّا صدىً يخترق القرون عن الوشيجة المتينة بين البطل وبين شعبه المُطوّق بفضله، وهو بذلك يعكس فهم الناس الصادق والعميق لإنجازاته بأفضل ممّا تعكسه التسجيلات الهزيلة التي كتبها مثقفون ومنهم بعض تلاميذه.

خلاصة الفصل

لا مراء في أنّ واقعة قتل الشهيد في رحبة أو تحت القلعة بدمشق بوصفها حدَثاً حصل في زمان ومكان معلومين هي أشبه بجبل ثلج غارقٍ في الماء، لايظهر منه للناظر إلّا جزء ضئيل، في حين يحجب الماء القسم الأكبرمنه عن الأنظار، وما رآه الراؤون منها هو الإجراءات العلنيّة للمحاكمة وكما جرت في مقرّ نائب السلطان ثمّ واقعة القتل والتمثيل بالجثمان الطاهر.

ما من ريب في أنّ هذا الجزء المَرئيّ هو نتيجة لِما جرى تحضيره سبقاً وسلفاً على يد تفاهم السُلطة وفقهائها، وتولى إدارته القاضي الشافعي برهان الدين إبراهيم بن جماعة الكناني الذي جري نقله من مصر إلى دمشق لهذا الغرض، حينما كان الشهيد في الحبس. بينما شكّلت هيئة المحاكمة من قاضيين آخرين هما الحنفي والمالكي اللذان عُرفا

بضعفهما، بالإضافة إلى جَمْع غير معروف العدد والأسماء من فقهاء المدينة، واستُبعد عنها القاضي الحنفي خلافاً للأُصول لأسباب غير معروفة وإن كنا لا نشكّ في أنّها لمصلحة استصدار الحكم المُهيّأ على الشهيد والذي لم يكن بحاجة إلى أكثر من تظهير، ومن هنا نُسجّل للمصادر الشيعيّة مراقبتها الدقيقة لِما يجري، رغم بُعدها عن مُضطرب الأحداث، وذلك إذ أجمعت على وضع القسط الأساسي من مسؤوليّة الجريمة على عاتق ابن جماعة دون سواه، مع أنّ مَن سجّلوا لنا ذلك لم يكونوا يعرفون اسمه، ونحن نرى في هذا ـ خلافاً لِما يبدو للوهلة الأُولى ـ نقطة إيجابيّة، لأنّها تدلّ على أنّهم كانوا أكثر اهتماماً بما يفعل وليس بمَن هو.

يبدو أنّ تفاهم وتحالف السُلطة وفقهائها ـ بعد أن تمّ له ما أراد ـ قد انهمك في الإعفاء على آثار ما ارتكبه، وهذا أمر طبيعي ومُتوقع، فمن ارتكب ماارتكبوه سيكون أكبر همه أن ينجو من مغبة ما فعل، وقرأنا ذلك في أمرين:

الأوّل: فيما سجّله محمّد مكّي ـ ببراءة تامة ودون أن يقصد طبعاً ـ من وقائع خياليّة من سيرة الشهيد وكيفيّة قتله، حيث يؤكّد على أنّ السُلطة كانت دائماً في جانبه تُناصره وتُعاضده وتحميه، وأنّ المسؤول عن قتله هي جماعة مُضلّلة هائجة مجهولة، وأنّ رأس السُلطة غضب أشدّ الغضب لِما جرى، وأوقع العقاب بالفاعلين، وهذا يعني ضمناً أنّه لم يكن هناك مُحاكمة ولا من يُحاكمون، وما من ريب في أنّ هذا المشهَد (السيناريو) العجيب لم يكن من بُنات أفكار محمّد مكّي الذي اختصر نسيم السحَر أو البتدّيني مُصنّفه، وإنّما التقطه هذا من الأفواه وسجّله، بعد أن نشرته أجهزة السُلطة، دون أن يلتفت إلى مغزاه الحقيقي.

الثاني: أنّ السُلطة حرصت على أن تقتل علناً في طرابلس في الوقت نفسه رجلاً اسمه «عرفة»، كلّ شيء يدلّ على أنّه من الشيعة العلويين وذلك بذريعة أنّه من أعوان الشهيد، فإذا نحن جمعنا بين هذا وبين ما هو ثابت من أنّ محاكمته قد جرت على قاعدة اتهامه بالارتداد ـ أي عمليّاً بحسب قولها «اعتقاد مذهب النصيريّة واستحلال الخمر الصرف» ـ نكتشف أنّ الإعداد لِما بعد الجريمة كان يجري أثناء المحاكمة وبعد ارتكابها فوراً.

الفصل السابع
ماذا مكث من أعمال الشهيد؟

تمهيد

نرمي في هذا الفصل إلى مُعالجة أمرنراه ذروة البحث وأحد أهمّ إشكاليّاته إن لم يكن أهمّها على الإطلاق، وهو على كلّ حال ثمرة ما وصلنا إليه في فصوله الستّة السابقة، وهو : ما الذي بقي حتّى الآن من أعمال الشهيد ؟ وقد اقتبسنا كلمة «مكث» في عنوانه من قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ﴾[1].

قتِل ابن مكّي، وعلى الأثر أطلق الناس عليه في جبل عامل، بمبادرةٍ حرّة منهم لقب الشهيد على الإطلاق، وهذا أمر قد يبدو طبيعياً جدّاً إزاء ميتته النضاليّة، وهو كذلك بالتأكيد، ومع ذلك فإنّنا نري أن في الأمر ما يستحقّ التأمل، خصوصاً وأنّه وشعبه ينتمون إلى مذهب لا يشكو أبداً من ندرة الشهداء.

وأوّل ما يخطرلنا على بال ـ ونحن نتأمّل في هذه البادرة الشعبيّة الذكيّة والبديعة ـ أنّها أتت جزاءً وفاقاً من شعبه ـ الذي طوّق عنقه ـ إذ نقله من وضع الأزمّة المُستحكمة إلى وضع النهضة المفتوحة على المُستقبَل، وقد صنّفنا كتابنا جبل عامل بين الشهيدين لوصف هذه الحركة من الماضي وأثقاله نحو المستقبل وإنجازاته.

لكن علينا هنا أن نُلاحظ أمراً وهو أنّ الشهيد ومعاصريه لم يروا النهضة كما أزهرت وأثمرت من بعده، والحقيقة أنّه زرع النهضة وأطلق تفاعلاً مُتسلسلاً أدّى إليها، وكان من حُسن التوفيق أن وُجد من تلاميذه مَن رعى زرْعه، وعلى يد هؤلاء أصبحت شجرة مُثمرة،

---

١. الرعد (١٣): ١٩.

ما نزال نتفيّأ ظلالها ونجني طيّب ثمارها.

إذن فعندما توّجه الجمهور بذلك اللقب، كانوا يُعبّرون عن شكل من أشكال الإدراك الأُولى، أي الذي يرى ما تأُول إليه الأمور، وهذا ليس غريباً على العقل الجَمْعي الذي قد نراه أدنى من مُستوى التحليل ومُفتقراً للقدرة التي يملكها الباحث المُتمرّس على تركيب المعلومات وعاجزاً عن التعبير عنها بكلمات مُنمّقة مدروسة بعناية، ولكنّه مع ذلك يتجه مُباشرةً إلى غرضه فيُعبّر بموقف أو حتّى بكلمة كما هنا عمّا يقتضي من الباحث صفحات وصفحات من الكلام المُستند إلى البحث والتنقيب والتركيب والصياغة. «ألسنة الخلق أقلام الحق» على أنّ هذا لا يعني أبداً أنّ العقل الجَمْعي معصوم في هذا النطاق، كلّا بل ربما وقع في الخطإ، وأبرز مِثال على ذلك حيث يجري التلاعب بوُجدانه، إذ ذاك ربما منح ولاءه وضميره لغيرمن يستحقه، ولهذا في تاريخنا وتاريخ غيرنا أمثال وأمثال.

غايتنا في هذا الفصل أنْ نلتحق بتلك المُبادرة الجَمْعيّة ابتغاء نقلها من مُستوي الفعل العفوي المُستند إلى إدراك آني نفتقر إليه الآن لبُعدنا عن ظرفه الزماني إلى مُستوى المنهج الذي يعمل عليه المؤرّخ، وهذا يُشبه، على مُستوى درجة الادراك ـ الانتقال من التصوّر إلى التصديق كما يقول المنطق الأرسطي، حيث الفارق شاسع سعته بين العلم والجهل.

هذا يقتضي أنْ نسعى إلى معرفة ما كان قبل الشهيد خصوصاً في وطنه لنُقيم على ذلك ما قد عرفناه من أعماله، وبالمقارنة بين ما كان وما هو كائن يُمكننا أن نكتشف الحركة، بل وأن نُتابع تداعيات إنجازه الكبير والاساسي، أعني إطلاق النهضة في جبل عامل على نطاق العالم الشيعي، وبهذانكتشف أيضاً علّة جانب ممّا للشهيد من حضور مُميّز في التاريخ الثقافي الشيعي.

إذن فإن أمامنا في هذا الفصلان مُهمّتان رئيستان:

الأُولى: تأثيره الباقي في وطنه.

الثانية: وعبر ذلك تأثيره الباقي في عالم التشيّع الإمامي إجمالاً.

١. المشهد في جبل عامل قبل الشهيد

عرفنا ممّا فات أنّ جبل عامل قد رزح تحت الاحتلال الأجنبي زهاء القرنين. بل إنّ

الاحتلال قد رافقه منذ أن تشكل سكانيّاً في أوائل القرن السابع للهجرة، من مزَق الجماعات التي كانت تنزل الأردنّ وبعض أجزاء فلسطين، وأثناء ليل الاحتلال الطويل كان أبناؤه مقطوعين انقطاعاً تاماً عن كلِّ مصادر المعرفة التي لاغنى لشعب عنها لكي يُتابع آليّة النقل الثقافي الطبيعيّة من جيل إلى جيل.

هذا الوصف يطرح سؤالين:

الأوّل: ما كانت هُوية أُولئك النازحين المذهبيّة ؟ هل كانوا من الشيعة ؟

الثاني: ماذا حصل لثقافتهم الذاتيّة، أيّاً كانت، أثناء سنوات الاحتلال الطوال ؟

وإنّنا إنّما نطرح السؤالين لا لأنّنا نملك الجواب عليهما، على نحو مؤكّد منصوص عليه. بل لأنّه لابدّ لنا من طرحهما لحاجة البحث إليهما، فضلاً عن أنّنا نملك مُؤشرات وإيماءات نرجو أن تُساعدنا في طريق الوصول إلى ما نروم.

بالنسبة للسؤال الأوّل نقول:

ما من ريب في أنّ أكثر أُولئك النازحين، على الأقلّ، من نُزّال جبل عامل كانوا من الشيعة بدليل:

١. أنّنا نعلم علم اليقين أنّ أوسع المناطق عُمراناً وأكثرها سُكّاناً في وادي الأردنّ الخصيب، أعني مدينة طبريّة فضلاً عن عشرات القرى والمزارع المُطيفة ببحيرتها العذبة كانوا جميعاً من الشيعة [١]، ويبدو أنّ هؤلاء كانوا مادّة النازحين الأساسيّة، لأنّهم الأقرب من جبل عامل.

٢. أنّنا نعلم أيضاً أنّه ما إن بدأ انجلاء ليل الاحتلال حتّى رأينا نُخبةً مُختارة من أبناء الجبل تنفر إلى الحلّة. ليتفقهوا في الدين. ثمّ ليرجعوا إلى قومهم [٢]، ولم نشهد أحداً من غير الشيعة، في ذلك الزمان والمكان قد فعل ذلك أو ما يُشبهه، فهذا دليل على أنّ عامّة جبل عامل في ذلك الأوان كانوا من الشيعة، ثمّ إنّه ما من ريب في أنّهم لم يكتسبوا التشيّع اكتساباً بينما كانوا تحت الاحتلال، بداهة أنّ أمراً كهذا لا يمكن أنْ يحدث بنفسه، أعني دون دعوة

١. للتوسّع والتوثيق انظر الفصل الأوّل من هذا الباب.

٢. هؤلاء هم رُوّاد النهضة قبل الشهيد. وقد أحصيناهم، وذكرنا ما نعرف عن كلّ واحد منهم في كتابنا جبل عامل بين الشهيدين، ص ٦٨ ـ ١٠٤.

ودُعاة، وأنّى لأُولئك المساكين فيما كان لهم من حياة رزية أنْ يفرغوا أو يُتفرّغ لهم.

فهذا دليل على أن أُولئك كانوا أصلاً من الشيعة الإماميّة.

أمّا بالنسبة للسؤال الثاني فنحن نعرف من قواعد التاريخ والاجتماع البشري أنّ قوماً يقعون ضحيّة انقطاع باتٍ مُفاجئ لايمكن أن يبقوا على الحال التي كانوا عليها في أوقات الأمن والسلامة، والقطع مع الوطن هو أقسى أشكال القطع وأكثرها مـضاءً، فـالوطن ليس مُجرّد الأرض التي صادف أن عاش الناس عليها بل إنّه خزّان الذاكرة ومزرعة المستقبل، وعندما ينقطع أهله عنه فكأنّهم بل إنّهم ينقطعون بالفعل عن كلّ ما يتّصل بماضيهم، ومنه ثقافتهم الخاصّة وعناصر هُويّتهم أمام أنفسهم.

عندما اضطرّ أُولئك الناس إلى ترك أوطانهم في الأُردن و فلسطين واللجوء إلى جـبل عامل لم يكونوا يُفكّرون بغيرالنجاء بحياتهم من سيوف الغزاة الصليبيين، أما الغزاة أنفسهم الذين لحقوا بهم إلى موطنهم الجديد فقد كانوا يسعون للحصول على مَن يعمل لهم ويُنتج لهم حاجات مُجتمعهم الجديد، بعد أن تخلوا عن التفكير التطهيري الذي كان سمة أعمالهم العسكريّة الأُولى، فجعلوا من البشر الذين يعيشون في القرى والمزارع مُجرّد عـبيد أرض (أقنان) يملكهم عمليّاً مالك الأرض بحق الفتح، وعلى هذا النحو عاشت أجيال بعد أجيال من أهل جبل عامل، تحيا وتموت لغير ما هدف إلّا منفعة المُحتلّ.

هكذا تأسّس على القطْع الأوّل مع الوطن، قطع آخر مُتمادٍ أكثر عُمقاً، هوذا مُجتمع يعيش دون أن يملك الحدّ الأدنى من مُقوّمات وأدوات النقل الثقافي بين الاجيال المُتعاقبة الذي يتولّاه ويقوده المُثقف المُنتمي والمؤسسات الثقافيّة في المجتمعات المُتقدّمة.

مثل هذا بل أقلّ منه بكثير حصل من قبل ومن بعد لمُجتمعات شيعيّة في آذربايجان و كيليكية و الأناضول وشرق أوروبة وجنوب العراق وسواحل سوريّة والتلال المُتاخمة لها. الجماعات الصفويّة الأُولى في أردبيل وامتداداتها الكبيرة في كيليكية و الأناضول و ألبانيا، وسكان منطقة البطائح في أهواز جنوب العراق، والجماعات التي تُعرَف بالعلويين اليوم في سوريّة وهؤلاء كلّهم في الأساس شيعة إماميّة أدّى انقطاعهم عن الاتّصال بالمراكز العلميّة إلى حصول اختراقات عميقة في البُنية الثقافيّة قادت إلى خروجهم بدرجات مُتفاوتة عن الخط الكلامي ـ الفقهي للتشيّع الإمامى وشيوع عقائد وسلوكيّات غريبة بينهم.

إنّنا وإن كنا نفتقر إلى أدنى تصوّر لِما حصل لأهل جبل عامل أثناء فترة الانقطاع الطويلة، أي ما بين نزوحهم عن أوطانهم الأصليّة في وادي الأُردن و فلسطين في أوائل القرن السادس للهجرة، إلى بدء أعمال الشهيد بينهم في أواسط القرن الثامن، إلّا أنّنا ما نشكّ أبداً أنّ هذا الوضع قد ترك أثره المُتوقع، ذلك أنّه من غير المعقول أن تُحافظ هذه الجماعات المأزومة على كامل نقائها الفكري السلوكي في غياب المُثقّف المُنتمي (هنا: الفقيه، المُبلّغ، المُرشد).

من هنا فإنّنا ننظر بكامل الجدّية إلى ما تقوله مُختلف المصادر عن التأثير البالغ لمن عارضوا الشهيد على البسطاء من الناس لمهارتهم في بعض الأعمال السحريّة [١]، وأنّ الشهيد اضطر لدفع سحرهم بسحر مُقابل [٢]، وعلى هذا بنى مصطفى كامل الشيبي فقال:

ويبدو أنّ الشهيد الأوّل كان من تنوّع الثقافة بحيث اشتملت الموضوعات التي درسها حتّى على السحر، والذي ذُكر لمناسبة إبطاله سحر مُدّعي النبوّة في جبل عامل [٣].

مهما يكن فإنّ ما نودّ التأكيد عليه هنا هو أنّ شيوع الأعمال الموصوفة بالسحر في جبل عامل في ذلك الأوان ووجود مَن يتعاطونها وتأثيرهم البالغ على الناس كلّ ذلك أمارة على اختراق كبير وأساسي لمفهوم الناس عن دينهم ووظيفته، بل وأمارة على انحدار مفهوم الدين عند فريق واسع جدّاً منهم إلى مُستوى الأديان البدائيّة وهذا أمر طبيعي جدّاً بالنظر إلى ما عاناه الناس من انقطاع أجيال عدّة مُتتابعة منهم انقطاعاً تاماً عن كلّ مصادر المعرفة،

---

١. يقول محمّد مكّي: «... إلى أن خرج [خارج] وادّعى النبوّة، وارتدّ عن مذهب الإماميّة، وخرج عن الدين، وكان اسمه محمّد بن تقي الدين الخيامي البابلي، وفعل أشياء بالسحر والشعبذة ممّا يُتعجّب منه غاية العجب، وأكثر القرى مالت إليه، ... لِما رأوا منه من إظهار العجائب، ومن ذلك أنّه كلّم الناس وهم على جبل عرفات وسمعوا صوته، وأوهم ببساتين غير موجودة فيها الأزهار والثمار». مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق هذا الكتاب.

٢. ويقول الخوانساري: «وفي بعض الحواشي المُعتبرة على شرح اللمعة، عند بلوغ الكلام في باب المُحرّمات من المكاسب إلى قول المصنّف﵀: وتعلّم السحر. ثمّ إتباعه من الشارح المرحوم بقوله: ولا بأس بتعلّمه ليتوقّى به أو يدفع سحر المُتنبّي به ما صورته: كما دفع المصنّف﵀ نبوّة محمّد الجالوشي لمّا ادعى النبوّة في جبل عاملة، وبلغ أمره ما بلغ، فقتله المصنّف﵀». روضات الجنّات، ج ٧، ص ٤.

٣. الفكر الشيعي والنزعات الصوفيّة حتّى القرن الثاني عشر الهجري، ص ١٥٦، وانظر ص ٣٢٢. ولكنّه حمّل هذه المعلومة أكثر ممّا تحمل حتّى على فرض صحّتها، فقال: «ولا بد أنّه كان ـ وحاله هذه ـ عارفاً بالتصوّف وممارساً له». دون أن يلتفت إلى أنّ التصوّف ليس صِرف معرفة وإنّما هو بالإضافة إلى ذلك اتجاه فكري ـ سلوكي، أمّا أنّه كان عارفاً بالتصوّف فليس بالأمر الغريب على الشهيد، ولكن الإشكال في لا بُدّية أنّه كان ممارساً له.

وغياب الفقيه العارف المُرشد، ونحن نعرف جيّداً تأثيرهذا الانقطاع من أمثالٍ عـدّة مـمّا أشرنا إليه قبل قليل، والحقيقة أنّ ما ذكرناه من أمثال يقول لنا ضمناً أن تأثير هذا الانقطاع لم يكن ينقصه لكي يُصبح نموذجاً كامل العناصر إلّا مَسحة من الغلوّ قد تتفاوت في عمقها وحجمها من حالةٍ إلى حالة ولكنّها موجودة على كلّ حال.

هذا فيما يعود إلى المشهد في جبل عامل قبل الشهيد، وغنيّ عن البيان أنّه مشهد لم يكن يُنبئ بخير.

٢. المشهَد نفسه بعد الشهيد

من كلّ ما سبق نعرف أنّ جبل عامل كان يتّجه بخطى مُتسارعة في الطريق نفسه الذي سار فيه أكثر ما يُعرف بالتشيّع الشامي، وهو إطلاق فيه شيء من التجوّز في التعبير، لأنّـه فـي الحقيقة يشمل أيضاً التشيّع في الأناضول و كيليكية وشرق أُوروبة، ومـا ذلك الاتّـجاه إلّا خضوعاً للعوامل نفسها، وما هي إلّا فقدان الاتصال بالمراكز العلميّة في العراق بالإضافة إلى تأثير مُرجّح للشلمغاني محمّد بن عليّ، المعروف بابن أبي العزاقر (م ٣٢٢) فـيما يـخصّ المناطق الثلاث المذكورة[١].

كلّ أعمال الشهيد تدلّ دلالةً أكيدة على أنّه بنى حراكه في كافّة الميادين عـلى إدراكٍ مُفصّل وواضح للوضع الداخلي في وطنه، وأيضاً لِما يُـحيط بـه مـن صـعوبات عـملانيّة وسياسيّة، وقد قلنا ما عندنا على هذا كله في الفصلين الرابع والخامس، حيث وصفنا نهجه في العمل وشبكتي علاقاته الداخليّة والخارجيّة، وأُسلوبه في تفادي ومُعالجة المُشكلات المنظورة والفعليّة.

---

١. من المسائل التي وجّهها أهل «ميّافارقين»، حاضرة «ديـار بكـر» إلى السـيّد المـرتضى (م ٤٣٦) مسألة: «مـا يشكّل علينا من الفقه نأخذه من رسالة عليّ بن موسى بن بابويه، أو من كتاب الشلمغاني، أو من كتاب عُبيد الله الحلبي؟». انظر رسائل الشريف المرتضى، ج ١، ص ٢٧٩. ومن المعلوم أنّ الشلمغاني عاش مدّة فـي المـنطقة حيث يبدو أنّه ترك تأثيراً غير قليل. بدليل أنّ كتبه (والظاهر أنّ المقصود في السؤال كتابه «التكليف») كـانت، بشهادة المسألة، ما تزال مُتداولة بعد زهاء قرنين من مقتله، أضِف إلى ذلك أنّ ميّافارقين هي من مواطن الغـلاة الأُولى. أُنظر الترجمة له في معجم الأُدباء، ج ١، ص ٢٣٦ ـ ٢٥٣؛ و نوابغ الرواة، ص ٢٨٩.

وعندما استحضر عدداً من أفاضل تلاميذه من الحلّة لمعاونته فيما قد صمّم العزم عليه، وبنى في بلده جِزّين مدرسة وُصفت بأنّها «عظيمة»، ووضع كتاباً دراسيّاً على الأقلّ هو كتابه الدروس المُخصّص للمتقدّمين من طلّاب مدرسته [١]، وعندما فعل كلّ ذلك فهذا يعني أنّه قد سبق له وأن شخّص الداء، وأعدّ للعلاج عدّة مُتكاملة، فكأننا بل نحن بالفعل أمام مربّ خبير مُتمرّس لم يترك أدنى تفصيل من العلاج الناجع للصُدفة.

والحقيقة التي آن أوان الإدلاء بها ـ بالنظر إلى ما اجتازه البحث من إشكاليّات مرحليّة ـ هي أنّ الشهيد قد نجح نجاحاً نادر المِثال في التأسيس لثورة حقيقيّة على الصعيد الثقافي، وبالنتيجة نقل بلده جبل عامل من موقع المأزوم في أخصّ شؤونه ـ أعني ثقافته الخاصّة ـ إلى موقع المُبادِرالفاعل الذي يُشعّ من حوله إلى مسافات بعيدة، ومذ ذاك أصبحت هذه البقعة ـ التي كانت من قبله غير ذات شأن بكلّ المعاني ـ اسماً بارزاً في الفكر والمكتبة والأعلام الشيعيّة، وما تزال بحمد الله حتّى اليوم.

هذا فيما يعود إلى أوّل ما نراه قد مكث من أعمال الشهيد.

الأمر الثاني: التأسيس العملي لسلطة الفقيه، وبيانه يستدعى التقديم له بما يلي:

منذ العام ٢٦٠، عام وفاة آخر السفراء الأربعة للإمام المهديّ (عجّل الله فرجه) كان الفكر السياسي للتشيّع الإمامي مُحاصَراً في المسافة المُستحيلة بين سُلطة الإمام والسُلطة الغصبيّة، أي أنّ أي سُلطة شرعيّة حتّى في أهون الأُمور في ظلّ غياب إمام العصر كانت في حال عطالة كاملة، بحيث إنّ كلّ مَن يتصدّى أو يتولّى سلطة فهو غاصب لحقّ شخصي للإمام، وعلى ذلك بُنيَت مجموعة من الاحكام، منها مثلاً ماعن الشيخ الطوسي (م ٤٦٠) ـ وهو رائد الاتّجاه الفقهي الاجتهادي ـ حيث رجّحَ الحكم بحفظ أخماس المغانم والمكاسب إلى حين ظهور الإمام الغائب بوصاية المُكلف بها إلى مَن يثِق به من إخوانه المؤمنين أو دفنها في الأرض، وحصَرَ إقامة الحدود والتعزيرات بالإمام أو الوالي من قِبَله [٢].

وما تلك الفتاوي وأمثالها إلّا أمارة من أمارات ثقافة الترقب والانتظار التي بسطت

١. انظر الفصل الرابع من هذا الباب.
٢. النهاية في مُجرّد الفقه والفتاوي، ص ٢٠٠ و ٦٩١.

سُلطانها على كامل الفكر السياسي والاجتماعي الإمامي في ذلك الأوان، بل ولعدّة قرون من بعد.

أوّل مُحاولة لاختراق تلك المسافة التي وصفناها بأنها «مُستحيلة» والتأسيس لسُلطة ليس على رأسها الإمام المعصوم هي ما نجده لدى رائد الاتّجاه العقلي في التفكير الفقهي وأوّل فقيه كبير أنجبته الحلّة، حيث تلقى الشهيد فيما بعد، ذلك هو محمّد بن إدريس الحلّي (م ٥٩٨).

والحقيقة التي يكتشفها المُتمعّن في الفكر الفقهي لابن إدريس أنّ مُوجه تفكيره في هذا النطاق هو قضيّة تأسيس شكلٍ ونمطٍ من سُلطة فعليّة تؤدّي غاية الشريعة، أي تحول دون استمرار التعطيل ودون أن تتضارب مع المبدأ الرئيس الذي هو سلطة الإمام الغائب، وفي هذا السبيل وضع بدايات فكرة ما عُرف فيما بعد بـ «النائب العام» للإمام[1] في مُقابل النائب الخاصّ المنصوب منه شخصياً.

هكذا شقّ ابن إدريس ـ المؤسّس الأكبر لمدرسة الحلّة ومنهجها الأُصولي العقلي ـ الطريق اللاحب أمام سلطة الفقيه بحيث أصبحت سالكةً أمام أخلافه من فقهاء الحلّة، وهو تطوّر ظلّ ثابتاً من بعده، بحيث يمكن أن نعتبره إحدى السمات البارزة لمدرستها ومنهجها الأُصولي العقلي.

من ذلك أنّنا نجد في كتاب شرائع الإسلام لأبي القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد الهُذلي الحلّي (م ٦٧٦) إشارة تدلّ على نُضج مُصطلح جديد نقرأها في عبارة ذات وقع غير مسبوق هي «إمام الأصل»[2]، التي تسمح لنا بأن نتصوّر أنّ في ذهن الكاتب مُصطلح ثان اقتضى التقييد في العبارة هو «إمام الفرع»، أي الفقيه الذي منحه الحقّ في أن يتولّى صرْف سهم الإمام من الأخماس[3]، وهي المسألة التي رأينا فيها ابن إدريس ومَن قبله يتوقّف فيها عند قول السلف.

---

١. يُسمّيه «القائم بإذنه في ذلك» يعني في إقامة الحدود. انظر كتابه: السرائر، باب «في إقامة الحدود» موسوعة ابن ادريس الحلي، ج ١٣، ص ٢٩٢، ودراستنا عليه في مقالتنا «عالِم الدين الإيراني ودوره في مُجتمعه» المنشورة في فصليّة شؤون الأوسط الصادرة في بيروت، العدد ١٠٣، صيف ...٢ م.

٢. شرائع الإسلام في معرفة الحلال والحرام، ج ٣، ص ٢٧٨.

٣. شرائع الإسلام في معرفة الحلال والحرام، ج ١، ص ٥١٥.

المغزى الأساسي الذي نخرج به من هذا التتبّع الذي لم يقف إلّا على المحطات الرئيسة هو أنّ التأمل والاجتهاد في الموضوع لم يتوقّف منذ ابن إدريس، وإن يكن يدلّ أيضاً على أنّ التطوّر بطيء جداً وذلك بحكم حاجة المؤسّسة الفقهيّة إلى هضْم وتمثّل ما أدخله من تجديد جذري على موقعها الاجتماعي.

أفضنا في الحديث على هذا مع أنّه خارج من عمود البحث لنتيح للقارئ الحصيف أن يُقارن بين المستوى الذي كان عليه العمل الاجتهادي في هذا الشأن في الحلّة وبين البَوْن الذي دفعه إليه الشهيد في جبل عامل.

ولقد قلنا ما رأينا أنّه يجب أن يُقال على نهج الشهيد في العمل ـ ومن ضمنه الإعداد الفكروي ـ في القسمين الخامس والسادس من الفصل الرابع تحت عنوان «في سوح العمل، الإعداد الفكروي» و «أعمال الشهيد تؤتي ثمارها»، وها نحن نُلخّص النتائج التي وصلنا إليها هناك، مع إضافة بعض المُلاحظات التي تبدو لنا ضروريّة، معونةً للقارئ على ربط الأشياء بمآلها:

تربية وإعداد العشرات من الفقهاء.

إعدادهم فكرياً بمنحهم صلاحيّات واسعة غير مسبوقة تحت عنوان «النائب العام» للإمام.

نشرهم في مختلف المناطق بوصفهم وكلاء أو أعوان للشهيد.

إنشاء نظام للجباية ـ وضمناً للصرْف والإنفاق ـ يتولّاه أُولئك الوكلاء بإشراف شيخهم.

هذا بمُجمله يعني أمرين:

الأوّل: إنشاء سلطة مُوازية للسلطة السياسيّة الفعليّة.

الثاني: استعادة وتأصيل التجارب السياسيّة التي عمل عليها الأئمّة عليهم السلام منذ الإمام الكاظم (١٤٨ ـ ١٨٣). وتابعها من بعدهم السفراء الاربعة للإمام الغائب.

هذا النهج أدّي لأول مرّة منذ انتهاء فترة الحضور العلني للأئمّة عليهم السلام إلى تحريك الكتلة الشيعيّة المحليّة الكبيرة ـ ولكن أيضاً الخامدة ـ إلى موقع سياسي فاعل قامت بعمل اعتراضي واسع على سياسة السلطة التركمانيّة المحليّة المدعومة من السلطة الإقليميّة في دمشق، وكان حراكها السياسي من القوّة والاتّساع بحيث أنّ تلك السلطة بشقّيها لم تملك

إزاءه أكثر من إذاعة توقيع مملوء بالتهديد والوعيد دونما ذكرٍ لأيّ إجراء عملي في المقابل

أعتقد أنّ القارئ الذي وعى قلبه ما قلناه منذ أن بدأنا ما نحن فيه ليس بكبير حاجة الآن إلى دليل على حجم الخطوة العمليّة الواسعة التي خطاها الشهيد باتجاه فقه سياسي فاعل، حقٌ أنّه استقى الفكرة ولا ريب من منبعها أي من الحلّة حيث أقام زهاء السبع سنوات يدرس ويُدرّس ويُصنِّف، ومن المُرجّح أنّ فكرة أو مبدأ سلطة الفقيه أو حلّ مُشكلة مفهوم الشرعيّة في غياب الإمام ظلّ يتقدّم ويزداد نضجاً بالقياس إلى ما عرفناه عنه أيّام ابن إدريس والمحقّق الحلي، أي قبل زُهاء القرن من الزمان (والمسألة على كلّ حال تحتاج إلى مزيد بحث وتنقيب) نقول كلّ هذا ليعرف القارئ السبيل الذي سلكته الأفكار الجديدة، وأن نفسِّر جهوزها للتنفيذ والأعمال على يد الشهيد.

مهما يكن فإنّ من المُؤكّد أنّ الشهيد بما فعل قد دفع سلطة الفقيه عمليّاً إلى أعلى مُستوى بلغته حتّى ذلك الأوان، وبعد أن اجتازت مراحل تطوّرها النظري البحت على شيء من الاستحياء في الحلة، وهذه نقلة نوعية ذات معنى خطير تابعها التشيّع الإمامي فيما بعد بكامل الاهتمام في جبل عامل وفي إيران، إلى أن وصل بها إلى ما عرف فيما بعد بـ«ولاية الفقيه»، وندعو القارئ الراغب في متابعة البحث إلى قراءة كتابنا الهجرة العامليّة إلى إيران في العصر الصفوي، أسبابها التاريخيّة ونتائجها الثقافيّة والسياسيّة.

الآن نسأل:

ما الذي كان يمكن أن يحدث على مستوى التشيّع كلّه ـ وليس فقط على مُستوى وطن الشهيد فقط ـ لولاه ولولا أعماله؟ (السؤال الثاني قد أجبنا عليه ضمناً، فيما سبق من هذا الفصل).

هذا سؤال كبير فضلاً عن أنّه خطير منهجيّاً إن أخطر سؤال يمكن أن يوجّهه أو يواجهه المؤرّخ هو: ماذا كان يمكن أن يحدث لو لم...؟ هو ذا الرجم بالغيب، ذلك أنّ كلّ ما لم يحدُث سيحلّ محلّه حادث ما، لأنّ السلوك الإنساني لا يتوقّف عند نقطة غياب البطل، بل سيتابع سعيه، أما بأيّ اتجاه وعلى يد مَن وماذا سيفعل؟ فهذه هي نقطة الغيب، خصوصاً وأنّنا نعرف

أنّ مُحاولة الشهيد الناجحة في إطلاق النهضة في بلده مسبوقة بمحاولة مُعاصِرة كانت تشقّ طريقها بنجاح لو لم تقمع السلطة المملوكيّة بطلها جمال الدين إبراهيم بن أبي الغيث البخاري(ح ٧٣٦)[١]، الأمر الذي يجب أن نفهم منه أنّ الأمر لم يكن مرهوناً فقط بالبطل، وإنّما أيضاً بالمحل القابل والدواعي القائمة.

لذلك فإنّنا سنقصُر كلامنا في الجواب على الدور والمسرح، بعد أن استوفينا الكلام على الشخص البطل، أي أنّ السؤال سينتقل إلى جبل عامل وما كان له من دور تاريخي، وبذلك سنؤدّي البطل الشهيد حقه أيضاً، ولا ننسَ أنّنا نرمي من ذلك إلى الإجابة على السؤال الثاني الذي أنهينا به التمهيد لهذا الفصل:

ما كان التأثير الباقي للشهيد وأعماله في عالم التشيّع إجمالاً؟ وإن كنّا قد طرحنا السؤال نفسه قبل قليل من الجهة الأُخرى، والمؤدّى واحد، وعليه نقول:

الحقيقة التي ينبغي أن نبدأ منها مُعالجة موضوع السؤال هي أنّ التشيّع في القرن الثامن للهجرة كان شبه مُحاصر في مراكز أساسيّة معدودة لا يعدوها: ثلاثة منها في العراق هي النجف و كربلاء و الحلّة، واثنتان في إيران هما قم و كاشان، إلى قرى أقلّ أهميّة تطيف بكلٍّ منها، أمّا في المنطقة الشاميّة وما والاها فقد كان في حالٍ مُتقدّمة من الإنهاك نتيجة الكوارث المتوالية التي نزلت به، وقد وقفنا على ذلك فيما فات من هذا الكتاب.

الحقيقة الثانية هي أنّ نهضة جبل عامل كانت مُنعطفاً تاريخياً يستحيل وصف تأثيره في حركة التشيّع في العالم لسعته أولاً، وثانياً لأنّ ربط التفاعلات الثقافيّة المُتداعية المُتمادية بأسبابها المُباشرة أمرٌ غير سهل، ولكنّنا على الأقلّ نطرح سؤالاً هو: كيف يمكن أن نتصوّر انتشاره الكبير في إيران و الهند لولا الدور الذي أدّاه علماء جبل عامل في هذا النطاق؟ ولنعتبر هذا السؤال دعوة ثانية لقراءة كتابنا الهجرة العامليّة، دون أن ننسى تأثيره غير المكتوب حتّى الآن في سواحل الخليج الفارسي وجنوب العراق.

إن تكن حركة الشهيد قد فشلت في أوانها فشلاً شخصياً بالنظر لأنّها انتهت بقتل بَطَلها، فإنّها نجحتْ تاريخياً نجاح الدعوات الكبرى، التي تنتهي غالباً بمأساة، لكن الزمن وحده

١. انظر الترجمة له في كتابنا: جبل عامل بين الشهيدين، ص ٧٨ ـ ٨٩.

يكشف أنّ قتل البطل كان أشبه بتفتّق البذرة في جوف الأرض: موتاً آنيّاً شخصيّاً، وحياةً مُستقبلة جماعيّة، في الآن نفسه.

خلاصة الفصل

رمينا في هذا الفصل إلى بيان ما مكث من أعمال الشهيد، الأمر الذي اقتضى بيان ما كان عليه جبل عامل من قبل، وهو الذي رزح تحت احتلال أجنبي طويل بعد أن نزح سكّانه من مواطنهم الأصليّة ممّا شكّل قطعاً مُزدوجاً أدّى إلى انحلال ثقافي عميق رصدناه في شيوع أنماط من التديّن البدائي، أي أنّ جبل عامل كان يسير في الاتجاه نفسه الذي سار عليه من قبل أكثر التشيّع في المنطقة الشاميّة وما والاها.

اعتمد الشهيد خطّة مُحكمة أحسن الإعداد لها رمتْ إلى تصحيح المسار الذي كان ينحدر إليه بلده، وبالنتيجة نجح نجاحاً نادر المثال في التأسيس لثورة حقيقيّة على الصعيد الثقافي، وجعل من بلده اسماً بارزاً في الفكر والمكتبة والأعلام الشيعيّة، وفي سياق عمله هذا أنجز أوّل اختراق عملي للمُعضِلة التاريخيّة للتشيّع، المُتمثلة بغياب أيِّ فكر سياسي منذ انتهاء فترة الحضور العلني للأئمّة عليهم السلام، وبذلك بدأ مساراً جديداً تماماً ما زال يتطوّر حتّى اليوم.

الخـاتمة

ها نحن قد وصلنا إلى نهاية المطاف في سيرة رجل عظيم أعتقد أنّ البحث والكتابة عليه هي من إحدي أمتع التجارب التي يمكن أن يخبرها الباحث، وكثيراً ما سيطر عليّ شعور أثناء عملي أنّ جزءاً من جاذبيّته الشخصيّة الفريدة ما يزال حيّاً في القليل القليل الذي تركه لنا السلف عنه.

لقد سعيتُ في الفصول السبعة إلى كتابة سيرة مُفصّلة للشهيد الأوّل محمّد بن مكّي الجزّيني (رضوان الله عليه)، وهو مطلب سعتْ إليه من قبلُ أجيالٌ من الباحثين، ومن تسجيل الفضل لأهله أنْ نقول: إنّ رائدهم هوالمرحوم الشيخ محمّد رضا شمس الدين. الذي توفي في النجف الأشرف سنة ١٣٧٧ رديماً بعد أن سقط عليه سرداب بيته، وإنْ أنسَ فلا أنسى لحظة استخرجتُ مع بعض الرفاق جثمانه النحيل من تحت الركام والرمال حيث بدا لي مثل طفل صغير نائم مُرتاحٍ إلى نومته الأبديّة. (رحمه الله، وجمعنا به في دار كرامته).

إنّ سيرة كلّ إنسان هو تفاعلٌ حيّ بين الظرف الذي عاش فيه بكامل عناصره وبين ارتكاسه عليه، والإبداع كلّ الإبداع هو في الارتكاس الناجح الذي يأخذ في الاعتبار كامل المُعطيات القائمة، بالإضافة إلى الإمكانيّات الكامنة في موضوع عمله التي عليه أنْ ينقلها من القوّة إلى الفعل ومن الكمون إلى العمل، وهذا أشبه بعمل الطبيب النطاسي حين يُشخّص الداء بمعرفة وذكاء ثمّ يصِف الدواء الناجع الذي يدعم الجسم المريض وهو يكافح في سبيل الشفاء، وهذا يُلخّص لنا عمل الشهيد حين عمل على إطلاق النهضة في بلده المأزوم المُثخن بالجراح، وبذلك نقله من حال إلى حال ما نزال حتّى اليوم ننعم ببركته.

إنّ التحدّي الكبير الذي واجهتُه دائماً في عملي على إشكاليّات الموضوع الجمّة هو

اللحاق بوجدان الجمهور المعاصر للشهيد في جبل عامل، حيث اتّخذ بمبادرةٍ حـرّةٍ مـنه أعجب وأجمل مُبادرةٍ يمكن تصوّرها، فمنح بـطله المـقتول بكـلّ صـدق وبسـاطة لقب «الشهيد»، هكذا على الإطلاق، وكأنّه أوّل شهيد له يسقط وهو يناضل، كـان ذلك بـمثابة وسام فريد منه، وتنويه بالفضل الذي طوّق به عنقه، وفي النهاية دفع حياته على مذبحه.

إنّنا نعرف جيّداً أنّ إطلاق النهضة عمل مُعقد يقتضي جهود هيئات مُتمكنة خطّةً وعملاً، كما أنّنا صرفنا أكبر الجُهد هنا على وصف أعمال الشهيد في هذا النطاق وفي كافّة الميادين، ووصفناه وهو يعدّ نفسه ويُخطّط ويعمل ويُحرّض ويُداري ويُدافع، وأعتقد أنّني استنفدتُ في سياق عملي كلّ النصوص تقميشاً وتركيباً وتحليلاً، وهو أمر يحصل لأوّل مرّة. ومع ذلك فإنّني لا أجد أدنى غضاضةً في أنْ أُعلن أنّني لست راضياً تماماً عـن عـملي، ذلك أنّـني أُحسّ أنّ النتيجة ـ أي النهضة ـ أكبر بكثير من كلّ تلك المُقدّمات، أي أنّ هناك عنصر مفقود في البين لا بدّ أنّه ساهم فيها ولكن كلّ الاليّات التي وظفناها لم تكن كافية لقراءته.

هل ذلك العنصر المفقود هو حضور البطل الشخصي وجاذبيّته، أو كما نـقول فـي لغـة الصحافة اليوم: كارزميّته؟ وهذه أُمور يصعب أنْ نقرأها في النصوص.

هل هو تفصيلات من أعماله لم تُفلح النصوص المحليّة في حفظها لنا وهي التي على كلّ حال لم ترَ في بطلها إلّا الشهيد المظلوم ضحيّة المؤمرّات المحبوكة؟

أم هل هو كلّ ذلك بالإضافة إلى حوافز الناس المشبوبة والكامنة أيضاً التي نجح الشهيد في تحريرها وقد رأيناها بمختلف أشكالها: إقبالاً على مدرسته وانضباطاً وطاعةً لوكلائه وأعوانه وثورة شاملةً على السُلطة وسياستها؟

أسئلة ستبقى برسم البحث والباحثين.

في هذا السياق من التساؤلات أقول:

إنّني أعلق أهميّة كبرى على العثور على نسخة من كتاب نسيم السـحَر الذي تكـرّرت الإشارة إليه فيما فات، عسى أنْ تُعيننا على كتابة سيرة أكمل لأحد أعظم أبطال تـاريخنا الثقافي، وعلى الرغم من كلّ الأسباب التي تبعث على اليأس من هذا الأمل فإنّني أُحبّ أن أعتقد أنّ هناك في مكان ما من العراق أو إيران أو البحرين أو في إستامبول نسخة منه، راقدةً

في الظلام، أو لا يعرف مالكها قيمتها الفائقة، وإذا صحّ ظني وساهم هذا النداء في اكتشاف النسخة العتيدة فسأكون أسعد الناس بذلك.

في الفصل الأخير من الباب «ماذا مكث من أعمال الشهيد؟»، ركّزتُ الكلام على ملمحين اثنين: أُولاهما إطلاق النهضة العامليّة وتداعياتها، وثانيهما أوّل فقه عملي مبني على إعمال سلطة الفقيه الذي فتح باباً لتطوير ما زال ناشطاً، وطبعاً كان من الممكن أن نمضي في التفريع على هذين الملمحين، فالنهضة العامليّة ما تزال تتفاعل حتّى اليوم، مُنجبة ما لا يحصى من النتائج على مختلف الصعد، ثقافيّاً و سياسيّاً واجتماعيّاً، ممّا يصلح أنْ يكون تتبّعه موضوعاً للبحث برأسه، والأمر نفسه يصحّ بالنسبة للملمَح الثاني، وعليه فقد اكتفيتُ بوضع ما هو أشبه بعناوين للبحث، تاركاً الأعماق لمن يحبّ أنْ يخوضها من أهل البحث والنظر.

الباب الثالث

مؤلّفات الشهيد وآثاره العلميّة

الفصل الأوّل: كتبه و رسائله

الفصل الثاني: إجازاته

الفصل الثالث: أشعاره

الفصل الرابع: فوائده المتفرّقة وأعماله العلميّة

الفصل الخامس: الآثار المنسوبة إلى الشهيد

المقدّمة

غلبت صفة الفقه على آثار الشهيد ومصنّفاته، وهي في العموم قيّمة و موضعٌ للاستفادة، تجد فيها سلامة التعبير وجمال البيان، تخلو من التعقيد والإسهاب والإطناب، وربما أدّى التزامه بمنهج الإيجاز والابتعاد عن الحشو والزوائد إلى عدم وضوح العبارة أحياناً. وتحتلّ آثار الشهيد ومصنّفاته مقاماً عالياً، رغم كونها غير مسهبة وقليلة كمّاً، فهي على سبيل المثال أقلّ حجماً من مصنّفات الشهيد الثاني رحمه الله ولقد قال العلّامة الأمين في الموازنة بين الشهيدين رحمهما الله :

الشهيد الأوّل أفقه و أدقّ نظراً وأبعد غوراً وأكثر وأمتن تحقيقاً وتدقيقاً، يظهر ذلك لكلّ من تأمّل تصانيفهما، مع الاعتراف بجلالة قدر الشهيد الثاني وعظمة شأنه وعلوّ مقامه [1].

ولقد قسّمنا هذا الباب إلى خمسة فصول :

الفصل الأوّل : كتبه ورسائله ؛

الفصل الثاني : إجازاته ؛

الفصل الثالث : أشعاره ؛

الفصل الرابع : فوائده المتفرّقة وأعماله العلمية؛

الفصل الخامس : الآثار المنسوبة إلى الشهيد.

---

١. أعيان الشيعة، ج ٧، ص ١٤٧.

الفصل الأوّل
كتبه ورسائله

هنا نبدأ أوّلاً بعناوين مصنَّفات الشهيد مرتَّبةً على الترتيب الأبجدي، وبعدها نـدخل فـي التفاصيل. وقد وضعنا نجمةً بعد أسماء الكتب التي لم نقف على نسخة لها حتّى الآن تمييزاً عمّا وقفنا عليها:

١. أجوبة مسائل الفاضل ابن نجم الدين الأطراوي*

٢. أجوبة مسائل الفاضل المقداد

٣. أحكام الميّت من الوصية إلى الزيارة

٤. الأربعون حديثاً(١)

٥. الأربعون حديثاً(٢)

٦. الأربعون حديثاً(٣)

٧. الأربعينية في المسائل الكلامية

٨. البيان

٩. تفسير الباقيات الصالحات

١٠. جامع البين من فوائد الشرحين

١١. جواز السفر في شهر رمضان اعتباطاً

١٢. حاشية القواعد

١٣. الدروس الشرعيّة في فقه الإمامية

١٤. ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة

١٥. الرسالة الألفية

١٦. الرسالة النفلية

١٧. شرح قصيدة الشهفيني*

١٨. الطلائعية

١٩. العقيدة الكافية

٢٠. غاية المراد في شرح نكت الإرشاد

٢١. القواعد والفوائد

٢٢. اللمعة الدمشقيّة في فقه الإمامية

٢٣. المزار

٢٤. المسائل الفقهية*

٢٥. المقالة التكليفيّة

٢٦. المنسك الصغير (خلاصة الاعتبار في الحجّ والاعتمار)

٢٧. المنسك الكبير

٢٨. الوصية (١)

٢٩. الوصية (٢)

٣٠. الوصية (٣)

لقد ذكر الشهيد صريحاً في إجازته لابن نجدة في العاشر من شهر رمضان عام ٧٧٠ أربعة من مصنّفاته، حيث قال:

... فممّا سمعه عليّ من مصنّفاتي كتاب غاية المراد في شرح الإرشاد، والرسالة الألفية في فقه الصلاة، وخلاصة الاعتبار في الحجّ والاعتمار، ورسالة التكليف وغيرها[1].

وذكر صريحاً في إجازته لابن الخازن في الثاني عشر من شهر رمضان عام ٧٨٤ تسعةً من مصنّفاته، حيث قال:

... فممّا صنَّفْته كتاب القواعد والفوائد في الفقه، مختصر يشتمل على ضوابط كلّية أُصولية وفرعية تُستنبطُ منها أحكام شرعية، لم يُعمل للأصحاب مثله؛

١. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٥.

ومن ذلك كتاب الدروس الشرعيّة في فقه الإمامية، خرج منه نصفه في مجلّد؛

ومن ذلك كتاب غاية المراد في شرح الإرشاد في الفقه؛

ومن ذلك شرح التهذيب الجمالي في أُصول الفقه؛

ومن ذلك كتاب اللمعة الدمشقيّة مختصر لطيف في الفقه؛

ومن ذلك رسالتان في الصلاة تشتملان على حصر فرضها ونفلها في أربعة آلاف مسألة محاذاةً لقولهم عليهم السلام: «للصلاة أربعة آلاف باب»؛

ومن ذلك رسالة في التكليف وفروعه؛

ومن ذلك رسالة تشتمل على مناسك الحجّ مختصرة جامعة؛

وغير ذلك من الرسائل والكتب شرع فيها يُرجىٰ إتمامها ـ في الفقه والكلام والعربية ـ إن شاء الله تعالى[1].

وهنا نبحث تفصيلاً عن ذكر كتب الشهيد ورسائله طبقاً للترتيب الأبجدي.

١. أجوبة مسائل ابن نجم الدين الأطراوي

قال صاحب الرياض في ترجمة السيّد حسن بن أيّوب الشهير بابن نجم الدين الأطراوي:

كان من أجلّة العلماء وأكابر الفقهاء، من تلامذة الشهيد... وقد سأل الشهيدَ قدس سره في قرية الأطراء مسائل وأجاب الشهيد عنها، وعندنا من ذلك نسخة[2].

وقال الشيخ آقا بزرگ الطهراني (طاب ثراه):

ـ ٣٢٦٢: مسائل ابن نجم، للسيّد الشريف... الحسن بن أيّوب الشهير بابن نجم الدين الأطراوي العاملي، تلميذ السيّد عميد الدين... ابن أُخت العلّامة... فهو معاصر للشهيد الأوّل...وينقل عن هذه المسائل الشيخ أبوالقاسم بن طيّ في مسائله المعروف بمسائل ابن طيّ (الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٣١). ونسخة منه عند السيّد رضا ابن الحاج السيّد محمّد الزنجاني عتيقة جدّاً، كتب عليها...: «هذه مسائل بخطّ السيّد المعظّم ابن نجم الدين وأجوبتها بخطّ شيخنا ابن مكّي (أدام الله أيّامهما). مسألة: نكاح المريض مشروط بالدخول، فلومات الزوج وادّعتِ الزوجة أنّه دخل...إلخ». وفيه خمس

١. بحارالأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٧ـ١٨٨.

٢. رياض العلماء، ج ١، ص ١٦٢ـ١٦٣؛ وانظر تعليقة أمل الآمل، ص ٧٩.

وستّون مسألة فقهية من أبواب متفرّقة، يقرب الكلّ من خمسة آلافِ بيتٍ [١].

ـ ٣٢٨٢: المسائل الأطرائية، للشيخ السعيد شمس الدين محمّد بن مكّي ...قال في الرياض: «عندنا منه نسخة». وهي جوابات مسائل سأل عنها الشهيدَ، فأجاب في قرية الأطراء من قرى جبل عامل [٢].

أقول: لم أعثر على مخطوطة له في المكتبات وفهارس المخطوطات.

٢. أجوبة مسائل الفاضل المقداد

أورد الشيخ آقا بزرگ الطهراني هذه الرسالة بتعبيرات مختلفة، حيث قال:

ـ ٩٩٢: جوابات الفاضل المقداد بن عبدالله السُيُوري، للشيخ السعيد محمّد بن مكّي... وهي سبع وعشرون مسألة ... [٣].

ـ ١١٢٩: جوابات المسائل المقدادية، سبع وعشرون مسألة، سألها الفاضل المقداد بن عبدالله السُيُوري من أُستاده الشهيد، فكتب هو جواباتها... [٤].

ـ ... ومرّ جوابات المسائل المقدادية... ويقال لها: المسائل المقداديات [٥].

ـ المسائل المقدادية، للشيخ شرف الدين أبي عبدالله المقداد ... وهي سبعة [كذا] وعشرون مسألة، كما ذكرها في كشف الحجب [٦]، وجواباتها للشيخ السعيد أبي عبدالله الشهيد، كما مرّتْ بعنوان جوابات المسائل ... [٧].

ولا يخفى أنّ الطهرانيﷺ عبّر عن كتاب آخر للفاضل المقداد، أعني تحرير قواعد الشهيد ـ الذي سنتحدّث عنه ـ باسم المسائل المقدادية في قوله:

المسائل المقدادية، للشيخ السعيد... المستشهد سنة ٧٨٦، وهي تحرير لكتاب قواعده، رتّبها الفاضل المقداد على ترتيب أبواب الفقه، وحرّرها وهذّبها، ولذا نسب إليه

---

١. الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٣٣ـ٣٣٤.
٢. الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٣٦؛ وانظر أعيان الشيعة، ج ٥، ص ٢٤ ـ ٢٥؛ و ج ٨، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥.
٣. الذريعة، ج ٥، ص ٢١٢.
٤. الذريعة، ج ٥، ص ٢٣٤ـ٢٣٥.
٥. الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٦٨؛ وذكرها السيّد الأمين أيضاً باسم المسائل المقداديات في أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٢.
٦. كشف الحجب والأستار، ص ٥١٣.
٧. الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٦٩.

لا أنّه سأله عنها، ويقال لها: تحرير القواعد على ما ذكره سيّدنا أبومحمّد الحسن صدرالدين [١].

أقول: عبّر السيّد صدر الدين عن تحرير قواعد الشهيد للفاضل المقداد بـتحرير القواعد الشهيدية، وعن أجوبة مسائل الفاضل المقداد بـالمسائل المقداديات، حيث قال:

و... وكتاب المسائل المقداديات، ذكرها السيّد المعاصر في الروضات [٢]، وهي غير كتاب تحرير القواعد الشهيدية التي حرّرها الفاضل المقداد...؛ لأنّها المسائل التي سألها المقداد، وهي ستّ [كذا، والصواب: سبع] وعشرون مسألة [٣].

وعلى أيّة حالٍ، فهذه الرسالة عبارة عن سبع وعشرين مسألة للفاضل المقداد وأجوبتها للشهيد في مواضيع مختلفة «منها ما يطلب فيها السائل بيان الدليل بعد السؤال عن حكم المسألة، أو يبيّن فيها السائل آراءَ بعض العلماء وأدلّتها، فيكون الجواب هو بيان الحكم مقروناً بالدليل» [٤]. وإليك فهرس مسائلها:

المسألة الأُولى في تعلّق الخمس بما يتملّك بعقد الهبة.
المسألة الثانية في النفقة على أموال المضاربة من بعضها.
المسألة الثالثة فيمن أخّر بالطهارة حتّى بقي مقدار الصلاة.
المسألة الرابعة في حكم الماء الساقط فيه دمٌ يعفىٰ عنه.
المسألة الخامسة في الجلد المأخوذ من المخالف.
المسألة السادسة فيما لو أخذ الظالم رهناً على أموال المضاربة.
المسألة السابعة في شخص بيده عين وذكر أنّها وديعة.
المسألة الثامنة في المصبوغ أو الطعام المأخوذ من الكافر.
المسألة التاسعة في الفقّاع.
المسألة العاشرة في طهارة الخفِّ بالأرض لو كانت رطبة.
المسألة الحادية عشرة في الحوض الصغير في غير الحمّام له مادّة.
المسألة الثانية عشرة في اتّخاذ الميل للكحل وغيره من الفضّة.

---

١. الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٦٨.
٢. روضات الجنّات، ج ٧، ص ١٥.
٣. تكملة أمل الآمل، ص ٣٦٩.
٤. مجلّة تراثنا، العددين ٧ ـ ٨، ص ٣٦٣.

المسألة الثالثة عشرة في التاجر الكافر غير الكتابي.
المسألة الرابعة عشرة في بيع الوكيل المفوَّض نسيئةً.
المسألة الخامسة عشرة في الاستخارة.
المسألة السادسة عشرة في الشراء ممّن في ماله خمس أو زكاة.
المسألة السابعة عشرة في القبلة وقبلة البصرة.
المسألة الثامنة عشرة في الصلاة قبل دخول الوقت تقيّة.
المسألة التاسعة عشرة في أخذ الأُجرة على الأذان.
المسألة العشرون في تطهير الأرض الصقيلة.
المسألة الحادية والعشرون في حكم ولد الزنىٰ.
المسألة الثانية والعشرون في طهارة آنية الخمر المنقلب خلّاً.
المسألة الثالثة والعشرون فيمن ملك في وقت لايتمكّن من قطع الطريق إلى الحجّ.
المسألة الرابعة والعشرون في ردّ الوصيّ للوصيّة لو لم يعلم بها.
المسألة الخامسة والعشرون في إيراد المضارب المال عند الصرّاف.
المسألة السادسة والعشرون في الوديعة.
المسألة السابعة والعشرون فيما يخرجه الودعيّ والمضارب على العروض [١].

طبعت هذه الرسالة لأوّل مرّة في مجلّة تراثنا (العددين ٧ ـ ٨، ربيع الآخر ـ شهر رمضان عام ١٤٠٧، ص ٣٦٥ ـ ٣٨٥) بإعداد الشيخ عبّاس الحسّون. ثمّ حقِّقتْ وطبعتْ ثانيةً ضمن رسائل الشهيد الأوّل (ص ٢٦٢ ـ ٢٨٥) في قم المقدّسة، عام ١٤٢٣، ثمّ نشرت عام ١٤٣٠ في قم، ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨.

وتوجد منها عدّة مخطوطات منها:

أ) مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة، المرقّمة ٤٢٤ فقه [٢].
ب) مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة، المرقّمة ٧٢١٠ [٣].
ج) مخطوطة مكتبة ملك الوطنية في طهران، المرقّمة ١٧٢٢/٥ [٤].

---

١. مجلّة تراثنا، العددين ٧ ـ ٨، ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤.
٢. ذكرت في فهرسها، ج ٢، ص ١٢٩ ـ ١٣٠.
٣. ذكرت في فهرسها، ج ٥، ص ٣٥٥.
٤. ذكرت في فهرسها، ج ٥، ص ٣٤٧.

د) مخطوطة مكتبة ملك الوطنية في طهران، المرقّمة ٢١٤٧/١٨ [١].

هـ) مخطوطة مكتبة المدرسة الباقرية في مشهد المقدّسة، المرقّمة ٣١١/٤ [٢].

و) مخطوطة مكتبة مركز إحياء التراث الإسلامي، المرقّمة ١٨٦/٦.

ز) مخطوطة مكتبة الفاضل الخوانساري في خوانسار، المرقّمة ٢٣٩/٥ [٣].

ذكر فيها اسم شيخه عميد الدين (المتوفّىٰ عام ٧٥٤) ويظهر من تعبيره أنّه كان بعد وفاته؛ لأنّه قال: «وسمعنا من شيخنا عميد الدين (رفع الله مكانه ومكانته)» [٤]، وأيضاً لا يعلم تاريخ تأليف هذه الرسالة، ولكنّ الشهيد ذكر فيها اسم كتابه الذكرى، حيث قال: «وقد بسطت المسألة في الذكرى»؛ «وقد أوردتُ خبرين في... وأنّه جائز في كتاب الذكرى» [٥]. ونستبين من ذلك أنّ الشهيد ألّفها في أواخر عمره، حيث شرع في تأليف كتابه الذكرى. وعبّر الشهيد في آخر الرسالة عن الفاضل المقداد بتعبيرات تدلّ على مكانته العليا، حيث قال:

> ومولانا (أدام الله تعالى إفادته) هو صاحب الفضل والفضائل، وعزّ العلماء الأماثل (أطلع الله شمس علومه في الآفاق، وحال بينه وبين ما يمنع من استكمال النفس على الإطلاق، ونَفَعَنا ببركات دعواته وأنفاسه... بحقّ الحقّ وأهله) وصلّى الله على محمّد وآله [٦].

٣. أحكام الميّت

قال الطهراني رحمه الله:

> أحكام الأموات من الوصيّة إلى الزيارة، لشيخنا الشهيد الأوّل... أوّله: «الحمد لِلّه على ما أجزل من عطاياه [كذا، ط: عطائه]، وأسْبلَ من غطائه» وهو مرتّب على ثلاثة

---

١. ذكرت في فهرسها، ج ٥، ص ٤٣٧.
٢. مجلّة تراثنا، العدد ٢٥، ص ٩٣.
٣. ذكرت في فهرسها، ج ١، ص ٢٠١.
٤. رسائل الشهيد الأوّل، ص ٢٧٣.
٥. رسائل الشهيد الأوّل، ص ٢٧٠، ٢٧٤.
٦. رسائل الشهيد الأوّل، ص ٢٨٥.

فصول، يقرب من سبعمائة بيت، رأيته عند العلّامة ميرزا محمّد الطهراني بسامرّاء والشيخ عبدالحسين الحلّي النجفي، وفي آخره: «هذا ما سطرناه في هذه الجُزازة [١]، وفيه الكفاية لمن له هداية» [٢].

ولم أعثر على من نسب هذه الرسالة للشهيد غير الشيخ الطهراني ومن تبعه كالشيخ محمّد رضا شمس الدين [٣]. ووقفتُ على مخطوطتين ـ فقط ـ لهذه الرسالة. إحداهما: هي المحفوظة في مكتبة آية الله المرعشيﷺ، المرقّمة ...، وليس فيها اسم المؤلّف؛ والثانية: هي المحفوظة في مكتبة الإمام أميرالمؤمنين (عليه أفضل صلوات المصلّين) في النجف الأشرف، برقم ٩٧٨/٤، كما ذكره العلّامة السيّد عبدالعزيز الطباطبائيﷺ، في فهرسها، وقال:

نسخة كتابة القرن الثالث عشر، بأوّل مجموعة جمعها العلّامة الشيخ عبدالحسين الحلّي، وكتب عليها تملّكه سنة ١٣٢٢ [٤].

فظهر أنّها هي النسخة التي رآها الطهراني عند الحلّي النجفي. وجاء في أوّلها:

هذه رسالة فيما يتعلّق بأحكام الميِّت بعد موت تصنيف الشيخ السعيد الشهيد محمّد ....

الحمدللّه على ما أجزل... امّا بعد فهذه رسالة تشتمل على ذكر أحكام الميّت الخمسة على الترتيب الذي يفعله المغتسل أوّلاً فأوّلاً... إجابةً لالتماس بعض إخواني المؤمنين العارفين (وفّقه الله لخير الدنيا والدين ونفعه الله بها، ونفع طلّاب اليقين؛ إنّه خير...)... .

ونشرتْ هذه الرسالة لأوّل مرّةٍ عام ١٤٣٠ في قم، ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨.

٤. الأربعون حديثاً (١)

هو كتاب صغير يشتمل على أربعين حديثاً أكثرها في العبادات العامّة البلوى، وأورد الشهيد أكثرها مجرّداً عن الشرح والتوضيح، واكتفى بذكر سنده تفصيلاً إلى المعصوم عليه السلام.

---

١. جُزازات... هي الوُرَيقات التي تُعَلَّقُ فيها الفوائد، وهو مجاز. تاج العروس، ج ١٥، ص ٦٤، «جزز».
٢. الذريعة، ج ١، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥.
٣. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٦٧.
٤. مجلّة تراثنا، ع ٥٣ ـ ٥٤، ص ٣١٨.

قال الشهيد في أوّله:

... **لمّا** كثرت عناية العلماء السالفين والفضلاء المتقدّمين بجمع أربعين حديثاً من الأحاديث النبوية والألفاظ الإمامية بما اشتهر في النقل الصحيح [١] عنه بألفاظ مختلفة بهذا العدد المخصوص، فمنها ما أخبرني به شيخي الإمام السعيد المرتضى العلّامة المحقّق... عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «من حفظ على أُمّتي أربعين حديثاً ينتفعون بها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً» إلى غير ذلك من الأحاديث، **فرأيت** أنّ أكثر الأشياء نفعاً وأهمّها العبادات الشرعيّة؛ لعموم البلوى إليها، وشدّة الحثّ عليها، فخرّجت أكثرها فيها وباقيها في مسائل غيرها [٢].

وجاء في آخر بعض مخطوطاته ـ وفي آخر نسخته المطبوعة أيضاً ـ:

قد تمّ [كتاب] الأربعين في يوم الأحد ثمانية عشر [كذا] من شهر ذي الحجّة الحرام من سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة من الهجرة النبوية المصطفوية؛ وعلى آله وأولاده وعلى أصحابه ألف ألف من التحيّة [٣].

وظاهرٌ أنّ هذه العبارة ليست من إنشاء الشهيد، وأنّ هذا التاريخ أعني ٧٨٢ تاريخ كتابة نسخةٍ من هذا الكتاب، وليس تاريخ الفراغ من تأليفه؛ لأنّ الشهيد قال في سند الحديث ٣٩:

قرأت على شيخنا الشيخ الإمام فخرالدين بن المطهّر (دام فضله) بداره بالحلّة [٤].

وظاهر هذه العبارة أنّ الشهيد حرّرها في زمن حياة شيخه فخرالدين ﷺ، ومن المعلوم أنّ فخرالدين توفّي في أواخر جمادى الآخرة عام ٧٧١، كما صرّح به الشهيد [٥].

وقد طبع هذا الكتاب مراراً، منها:

أ) في طهران عام ١٣١٨، مع غَيبة النعماني؛

ب) في قم، بالأُوفست عن تلك الطبعة، مجرّداً دون غَيبة النعماني؛

---

١. ليس النقل بطريق صحيح على ما بيّنه الشهيد الثاني. انظر رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ١٢٧٧ ـ ١٢٧٨.
٢. رسائل الشهيد الأوّل، ص ٣٥ـ٣٦.
٣. رسائل الشهيد الأوّل، ص ٧٤.
٤. رسائل الشهيد الأوّل، ص ٦٩.
٥. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٧ ب؛ بحارالأنوار، ج ١٠٧، ص ٢٠٥ـ٢٠٦.

ج) في قم عام ١٤٠٧، بإعداد ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام؛

د) في قم، عام ١٤٣٠ ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٩.

وترجمه إلى الفارسية عليّ بن حسن الزواري في القرن العاشر وتوجد مخطوطة هذه الترجمة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، برقم ١٥٢٥٤. وتوجد مخطوطة ترجمة أُخرى فيها أيضاً برقم ٩٣٨٤[١].

وتَرْجمه إلى الفارسية الفاضل المحترم محمّد عليّ كوشا ونُشِرَتْ ترجمته في ٩٦ صفحةً في قم، عام ١٣٧٤ش.

ونسخه المخطوطة كثيرة تبلغ حوالي أربعين، منها:

أ) مخطوطة بالقاهرة عليها إنهاء ابن فهد في السابع من صفر المظفّر عام ٨٣٩[٢].

ب) مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة في مشهد، المرقّمة ١٩٠٠، نُسخت عام ١٠٠٣[٣].

ج) مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة في مشهد، المرقّمة ٢٥٤٢، نسخت عام ٩٤٤[٤].

د) مخطوطة مكتبة الفاضل الخوانساري في خوانسار، المرقّمة ١٢٥/١[٥].

هـ) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، المرقّمة ٩٠٠٦.

و) مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، ضمن المجموعة المرقّمة ٨٥٥٧٣.

ز) مخطوطة المكتبة الخاصّة للأُستاذ العلّامة المحقّق الحاجّ السيّد محمّد عليّ الروضاتي (دام عزّه) بإصفهان. وهي نسخة نفيسة، كتبها سلطان حسين محمّدي في المشهد المقدّس الرضوى سنة ٩٦٠، وعليها إجازة سيف الدين محمّد الخادم بن مخدوم الحسيني ـ المجاز من الشهيد الثاني في شهر رمضان سنة ٩٦١ بالمشهد المقدّس الرضوي، لجعفر بن إمام الدين الطهراني.

---

١. وانظر فهرس المكتبة، ج ١١، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

٢. الأعلام، ج ١، ص ٢٢٧: «أنهاها (أيّده الله تعالى) في عدّة مجالس آخرها سابع صفر ختم بالظفر من سنة تسع وثلاثين وثمانمائة هلالية، وكتب أحمد بن فهد حامداً مصلّياً مستغفراً، ربِّ اختم بالخير».

٣. فهرست ألفبائى كتب خطى، ص ٣٥.

٤. فهرست ألفبائى كتب خطى، ص ٣٥. وانظر الذريعة، ج ١، ص ٤٢٨.

٥. ذكرت في فهرسها، ج ١، ص ٩٠.

قال العلّامة الأمين بعد ذكره لهذا الكتاب: «ولا يبعد أنّه أوّل من صنّف في ذلك من أصحابنا»[١].

وهذا سهو بيّن؛ فإنّ علماءنا قبل الشهيد ألّفوا في ذلك ـ كما صرّح به الشهيد في أوّله ـ منهم ابن زهرة الحلبي، وكتابه الأربعون حديثاً مطبوع.

هذا، وقد ذكره الشهيد في الذكرى فقال:

ولابن أبي قرّة رحمه الله في كتابه رواية بمقدار ...لكلّ ليلة، ذكرناه في الأربعين حديثاً[٢].

٥. الأربعون حديثاً (٢)

هو حديث واحد بسند واحد، رواه الشهيد بسنده، وطبع في إيران عام ١٣١٤ في ستّ صفحات بالقطع الجيبي الصغير جدّاً مع رسائل أُخرى. وهذا الحديث هو الذي رواه الشيخ الصدوق في الخصال بإسناده إلى الإمام الحسين عليه السلام.

واكتفى الشهيد بذكر الحديث مع سنده إلى الصدوق، وإليك نصّ كلامه:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الفقير إلى الله الغنيّ محمّد بن مكّي (أعانه الله على طاعته): أخبرنا الإمام عميد [الدين] بن عبدِالمطّلب الحسيني (قدّس الله روحه) قال: أخبرنا الشيخ [كذا، والصواب شيخ] الإسلام جمال الدين [ابن] المطهّر (طيّب الله ضريحه) قال: أخبرنا الإمام العامل رضي الدين عليّ بن طاوس الحسني رضي الله عنه قال: أخبرنا السيّد محيي الدين أبوحامد بن محمّد بن زهرةالحسيني[٣]، أخبرنا الشيخ شاذان بن جبرئيل القمّي، أخبرنا الشيخ أبوجعفر محمّد بن أبي القاسم الطبري، أخبرنا الشيخ أبوعبدالله المفيد، أخبرنا الشيخ أبوجعفر محمّد بن بابويه بإسنادِه إلى مولانا الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عن جدّه عن أبيه الحسين عليه السلام قال:

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى إلى عليّ عليه السلام وكان فيما أوصى إليه قال له: يا عليّ مَنْ حَفظ من أُمّتي أربعين حديثاً يطلب بذلك وجه الله والدار الآخرة حشره الله تعالى مع النبيّين

١. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٥٩.
٢. ذكرى الشيعة، ج ٤، ص ٢٧٧؛ موسوعة الشهيد الأوّل، ج ٨، ص ١٦٥.
٣. وردت ترجمتُه في الشيعة في كتاب بغية الطلب، ص ١٣٥.

والصدّيقين والشهداء والصالحين وَحَسُنَ أُولئكَ رَفيقاً. فقال عليّ عليه السلام : أخبرني يا رسول الله ما هذه الأحاديث؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، وتعبده ولا تعبد غيره. وأن تقيم الصلاة بوضوءٍ سابغٍ في مواقيتها ولاتُؤخّرها من غير علّةٍ، فمَنْ أخّرها فعليه غضبُ الله (عزّوجلّ)، وأن تؤدّي الزكاة، وأن تصومَ شهر رمضان، وتحجّ البيت إذا كان لك مال وكنت مستطيعاً، ولا تعقّ والِدَيك، ولا تأكل مال اليتيم ظلماً، ولا تأكل الربا، ولا تشرب الخمر ولا شيئاً من الأشربة المسكرة، ولا تزني، ولا تلوط، ولا تمشي بالنميمة، ولا تحلف بالله كاذباً، ولا تسرق، ولاتشهد شهادة الزور لأحدٍ قريباً كان أو بعيداً، وأن تقبل الحقّ ممّن جاء به صغيراً أو كبيراً، وأن لا تركن إلى الظالم وإن كان قريباً حميماً [وأن لا تعمل بالهوى، ولا تقذف المحصنة، ولا ترائي فإنّ أيسر الرياء شرك باللّه (عزّ وجلّ)، وأن لا تقول لقصيرٍ : يا قصير، ولا لطويلٍ : يا طويل] تريد بذلك عيبه، وأن لا تسخر بأحدٍ من خلق الله، وأن تصبر على البلاء والمصيبة، وأن تشكر نعم الله التي أنعم الله بها عليك، وأن لا تأمن من عقاب الله على ذنب تصيبه، وأن لا تقنط من رحمة الله، وأن تتوب إلى الله تعالى من ذنوبك ؛ فإنّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له. و أن لا تصرّ على الذنب مع الاستغفار فتكون كالمستهزئ بالله تعالى وآياته و رُسله، وأن تعلم ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن لا تطلب سخط الخالق برضى المخلوق، ولا تؤثِر الدنيا الفانية على الآخرة الباقية، وأن لاتبخل على إخوانك بما تَقدِر عليه وأن تكون سريرتك كعلانيتك، ولاتكون علانيتك حَسَنةً وسريرتك قبيحةً، فإن فعلت ذلك كنت من المنافقين، و أن لا تكذِب ولاتخالط الكذّابين، وأن لا تغضب إذا سمعت حقّاً، وأن تُؤدِّبَ نفسك و أهلك و وُلدك على حسب الطاقة، وأن تعمل ما علمت، ولا تعامل أحداً من خلق الله إلّا بالحقّ، وأن تكون سهلاً للقريب والبعيد، وأن لا تكون جبّاراً عنيداً. وأن تكثر من التكبير والتهليل والدعاء وذكر الموت وما بعده من القيامة والجنّةِ والنار، وأن تكثر من قراءة القرآن و تعمل بما فيه، وأن تستغنم البرّ والكرامة بالمؤمنين والمؤمنات، وأن تنظر إلى مايضرّ فعله بنفسك فلا تفعله بأحدٍ من المؤمنين، ولا تملّ من فعل الخير، ولا تستطل على أحدٍ، وأن لا تمنّ على أحدٍ إذا أنعمت عليه، وأن تكون الدنيا عندك سجناً حتّى يجعل الله لك جنّةً.

فهذه أربعون حديثاً مَن استقام عليها وحفظها عنّي من أُمّتي أُدخل الجنّة برحمته وكان أفضلَ الناس وأحبَّهم إلى الله عزّوجلّ»[١].

والحمد للّه أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً[٢].

قال الطهراني:

واستظهر العلّامة المجلسي منه جواز الاكتفاء عن حفظ الأربعين حديثاً بحفظ الحديث الواحد المشتمل على أربعين حكماً؛ إذ يصدق الحديث على رواية كلٍّ منها مفردةً، فلذا عددناه أربعيناً ثانياً للشيخ الشهيد[٣].

أقول: وإنّما ذكرته باسم «الأربعون حديثاً» تبعاً للطهراني ولما جاء في أوّل نسخته المطبوعة من تسميته بهذا الاسم، ومن المحتمل أنّه جزء من مجموعة الشهيد ولايُعدّ تأليفاً مستقلّاً له.

قال الشيخ آقا بزرگ الطهراني:

وروى الشهيد هذا الحديث ـ كما صرّح في أوّله ـ عن شيخه السيّد عميدالدين الأعرجي... بإسناده إلى الشيخ أبي جعفر محمّد بن أبي القاسم الطبري، صاحب بشارة «المصطفى لشيعة «المرتضى الذي يروي عن مشايخ كثيرين، منهم الشيخ أبوعليّ الحسن ابن الشيخ أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي الراوي عن والده الطوسي، وهو عن الشيخ السعيد أبي عبدالله المفيد رحمه الله. فما في النسخة المطبوعة من هذا «الأربعين» سنة ١٣١٤ من رواية الطبري عن الشيخ المفيد بلا قيد فالمراد به هو المفيد الثاني، وهو الشيخ أبو عليّ الحسن ابن الشيخ الطوسي والملقّب به، وإلّا فيكون ترك الواسطة من إسقاط الناسخ[٤].

أقول: القول بسقوط الواسطة بين الطبري والشيخ المفيد على الإطلاق هو المتعيّن؛ لأنّه جاء في سنده هكذا ـ كما حكيناه آنفاً ـ:

أخبرنا الشيخ أبوجعفر محمّد بن أبي القاسم الطبري، أخبرنا الشيخ أبوعبدالله المفيد، أخبرنا الشيخ أبوجعفر محمّد بن بابويه.

---

١. الخصال، ج ٢، ص ٦٤٤ ـ ٦٤٦، ح ١٩، باب في مَنْ حفظ أربعين حديثاً من أبواب الأربعين ومافوقه. وما بين المعقوفين من المصدر.

٢. رسائل الشهيد الاوّل، ص ٧٧ ـ ٧٨.

٣ و ٤. الذريعة، ج ١، ص ٤٢٩.

ومن المعلوم أنّ أبا عبدالله المفيد الراوي عن الصدوق هو الشيخ المفيد على الإطلاق شيخ والد المفيد الثاني، فلا مجال للقول بأنّ المراد منه هو المفيد الثاني ولد شيخ الطائفة الطوسي.

٦. الأربعون حديثاً (٣)

قال شرف الدين محمّد مكّي حفيد الشهيد:

وقد روى شيخنا السعيد الشريف أبي عبدالله الشهيد شمس الدين محمّد بن مكّي المطّلبي ثمّ الحسني أربعين حديثاً غريباً في فضل العلم وطالبيه، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [١] والحمد للّه وحده [٢].

وقال أيضاً ضمن تعداد بعض مصنّفات الشهيد: «الدرّة المضيئة في الأحاديث المرويّة» [٣] وفي بعض نسخ أمل الآمل، في سرد مؤلّفات الشهيد: «والدرّة المضيئة» [٤]. ولا أدري ما المراد من الدرّة المضيئة، هل هي هذه الرسالة أعني الأربعون حديثاً (٣) أم غيرها. وفي مختصر نسيم السحر:

وذكر الشيخ الجليل محمّد بن الخازن الحائري أنّه قد أجازه شيخه الفاضل المحقّق، شمس الملّة والحق والدين محمّد مكّي بالأحاديث الأربعين المرويّة عن النبيّ ﷺ في فضيلة العلم وحامليه، وهي من الأحاديث الغريبة التي تفرّد بروايتها الشهيد ﷺ وهي عندي بخطّ الشهيد.

وكيفما كان، فقد ذكرها حفيد الشهيد مرّةً أُخرى ونقل منها أربعة عشر حديثاً، حيث قال:

بسم الله الرحمن الرحيم

قد وجدت بخطّ جدّي الشريف أبي عبدالله الشهيد شمس الدين محمّد بن مكّي المطّلبي ثمّ الحسني العاملي، أربعين حديثاً في مدح العلم وأهله، والحثّ على تعلّم العلم وثواب من أعان عليها في قضاء حاجة، وقد كتبتها بحذف السند اختصاراً؛ لِلوثوق بخطّه ورواتها.

---

١. المائدة (٥): ٥٤.
٢. سفينة شرف الدين محمّد مكّي، الورقة ١٤ ب.
٣. مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق الكتاب.
٤. أمل الآمل، ج ١، ص ١٨١.

١. قال رسول اللهﷺ: «من حفظ من أُمتي حديثاً واحداً كان له أجرُ سبعين نبيّاً صديقاً».

٢. وقال عليه السلام: «مَنْ تعلّم حديثين لينفع بهما نفسه ويعلِّمهما غيرَه ينتفع بهما للّه، كان خيراً له من عبادة سبعين عاماً بغير علم».

٣. وقال عليه السلام: «من خرج في طلب العلم حُفَّتْ به الملائكة وصَلَّتْ عليه الطيورُ في الهوى، والحيتان في البحر، ونَزَّلَه الله منازلَ سبعين شهيداً غيرَ علماء».

٤. وقال عليه السلام: «لو كان بينك وبين العلم بحار مِن نار (خ ل: نيران) نيران فَخُضْها إليه؛ فإنّ لكلّ شيء طريق وطريق الجنّة العلم».

٥. وقال عليه السلام: «إنّ الله ليفتح أبوابَ السماء بدعاء العالم العامل، وبابٌ مِن العلم خير له من عبادة سنة، عمل بعلمه أو لم يعمل به». أقول: هذا إن لم يكن في الواجبات من الأُصول والفروع.

٦. وقال عليه السلام: «مَنْ تعلّم مسألةً من العلم قَلَّدَه الله يوم القيامة بألف قِلادة مِنْ نور، وغفر الله له ذنوبه، وبنى له مدينةً في الجنةِ من ذهب، وكتب الله له بكلّ شعرة ثواب حجّة وعمرة».

٧. وقال عليه السلام: «من جاء أجله وهو في طلب العلم لقيني ولم يكن بيني وبينه وبين الله (عزّوجلّ) وبين الأنبياء إلّا درجة النبوّة».

٨. وقال عليه السلام: «إنّ فضل العالم على العابد كفضلي على الناس كلّهم».

٩. وقال عليه السلام: «إنّ في الدنيا حقوقاً وديوناً لا يقضيها ولا يغفرها صلاة ولا صيام ولا حجّ ولا جهاد إلّا مَنْ يقوم (ظ) في طلب العلم وقضاء حاجة العالم العامل».

١٠. وقال عليه السلام: «من زار عالماً عاملاً فكأنّما زار بيت الله (سبحانه وتعالى) ومن قضى حاجة لعامل عالم [كذا] قضاه الله [كذا] سبعين ألفَ حاجة في الدنيا والآخرة، وغفر الله له ما تقدّم من ذنوبه وما تأخّر».

١١. وقال عليه السلام: «مَنْ أكرم عالماً أكرمه الله، ومَنْ أذلّ عالماً بغير حقٍّ أذلّه الله تعالى».

١٢. وقال عليه السلام: «من كتب حديثاً لرجل مسلم لينتفع به، فكأنّما تصدّق به مِنْ نار، وتَصَدَّقَ برقبةٍ، وكتب الله له بكلِّ حرفٍ حسنةً، ومَحا الله عنه بكلّ حرف سيّئةً».

١٣. وقال عليه السلام: «من نظر في وجه العالم كان له عند الله خير من عبادة ستّين سنة صائماً نهارُه وقائماً ليلُه».

١٤. وقال عليه السلام: «من خدم عالماً عاملاً يوماً فكأنّما خدم الله سبعين ألف يوم، وأعطاه الله ثواب سبعين ألفَ شهيد بغير علم».

١٥. وقال عليه السلام: ... .

قال شرف الدين محمّد مكّي:

ولم يتيسّر كتابة تمام الأربعين حديثاً في هذا المكان؛ لأنّ تتمّةَ الأحاديث لم تكن حاضرةً، وكانت في أجزاءٍ مفرّقةٍ، وقد كتبت هذه الأحاديث المكتوبة في مرشد آباد من بلاد بنگاله من بلاد الهند، وبقيّة الأحاديث في كراريس في النجف الأشرف، وإن شاء الله لابدَّ أنْ نَجْمَعَها في السفينة الكبيرة، مع ما جمعناه واستفدناه مِن آثار السابقين[1].

وفي المجموعة المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١) برقم ٨٩٥٦، الورقة ٢١٥:

وجد بخطّ الشهيد رحمه الله بحذف الإسناد عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «نظرة إلى وجه العالم خير من ألف فرسٍ يسرجها في سبيل الله، وسلامٌ على العالم خير من عبادة ألف سنة، ومن خدم عالماً سبعة أيّام فقد خدم اللهَ فوق عرشه سبعمائة ألف سنة، وأعطاه الله بكلِّ يومٍ ثوابَ ألف شهيد».

وعنه صلى الله عليه وآله: «من أراد رضاي فليُكرم صَديقي» قيل: ومن صديقك يا رسول الله؟ قال: «طالب العلم فهو أحبُّ إلى الله من ملائكة الله، فمن أكرمه فقد أكرمني، ومن أكرمني فقد أكرم الله، ومن أكرم الله فله الجنّة، وإنّه ليس شيء أحبُّ إلى الله من أهل العلم، ومذاكرة العلم ساعةً أحبُّ إلى الله من عبادة اثني عشر [كذا، ظ: اثنتي عشرة] سنةً، فطوبىٰ للعالِمين».

والجدير بالذكر أنّه لم يذكر هذه الرسالة ـ أعني الأربعون حديثاً (٣) ـ في عداد مؤلَّفات الشهيد غير حفيده شرف الدين محمّد مكّي.

- ***الاعتقادية*** ← ***العقيدة الكافية***
- ***الألفية*** ← ***الرسالة الألفية***
- ***الباقيات الصالحات*** ← ***تفسير الباقيات الصالحات***

---

١. سفينة شرف الدين محمّد مكّي، الورقة ١٨٣ ب.

٧. الأربعينية في المسائل الكلامية

قال العلّامة السيّد الصدر عند إيراد مؤلّفات الشهيد:

ورسالة في علم الكلام، ذكر فيها أربعين مسألة على ترتيب المعارف الخمسة، وهي عندي[١].

وهذه الرسالة هي التي عبّر عنها الطهراني بـ«المسائل الأربعينية»، حيث قال:

٣٢٧٨: «المسائل الأربعينية»، للشيخ السعيد أبي عبدالله محمّد بن مكّي ... أوردها بتمامها الفاضل أحمد عارف الزين في كتابه مختصر تاريخ «الشيعة»، وطبعه بمطبعة العرفان بصيدا[٢].

وعبّر عنها الطهراني مرّة أُخرى باسم رسالة في «الكلام» فقال:

٩١٦: رسالة في «الكلام»، فيها أربعون مسألة من المسائل الكلامية على ترتيب المعارف الخمسة، للشيخ السعيد ... الشهيد ... رأيتها في مكتبة السيّد الصدر، وهي غير أربعينياته[٣].

أقول: إنّها «المسائل الأربعينية» بعينها، ولا وجه لقوله ﷺ: «هي غير أربعينياته».

ولم أجد بالرغم من الفحص الدقيق إلّا على مخطوطةٍ واحدة لها وهي النسخة الّتي كتبها الشيخ محمّد السماوي في النجف الأشرف وفرغ منها لاثنتي عشرة ليلةً بقين من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٥٩. والشيخ السماوي ﷺ قد استنسخها على نسخةٍ كتبها الشيخ باقر بن عليّ بن حيدر على نسخة الأصل. وأخبرني صديقي الفاضل الدكتور يوسف طباجة أنّ لديه أيضاً مخطوطة منها في لبنان.

ورأى المرحوم محمّد رضا شمس الدين نُسخاً متعدِّدةً لهذه الرسالة[٤]. وورد اسمها ـ دون متنها ـ في المجموعة المرقّمة ١١٧٦ في مكتبة آية الله المرعشي (طاب ثراه) هكذا: «الأربعينية في المسائل الكلامية ... من إنشاء الإمام السعيد الشهيد ...».

---

١. تكملة أمل الآمل، ص ٣٦٩.
٢. الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦.
٣. الذريعة، ج ١٨، ص ١٠٨.
٤. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٦٤.

ومخطوطة منها توجد في باريس برقم ٢٢٠٦/٤٣٦[1].

وهي رسالة موجزة في علم الكلام، ذكر فيها الشهيد أربعين مسألة من المسائل الكلاميّة على ترتيب المعارف الخمسة. و تكلّم فيها في إثبات الصانع و صفات جماله وجلاله وبيان أفعاله في ثمان و عشرين مسألة، من المسألة الأُولى إلى المسألة الثامنة والعشرين. ومسألتان في معني التكليف والأعواض عن الآلام، هما المسألة التاسعة والعشرون والمسألة الثلاثون. و في النبوّة العامّة و الخاصّة في ثلاث مسائل من المسألة الحادية والثلاثين إلى المسألة الثالثة والثلاثين. وفي الإمامة في خمس مسائل، من المسألة الرابعة والثلاثين إلى المسألة الثامنة والثلاثين. وفي التاسعة والثلاثين: أنّ هذه المسائل نظريّة لا يجوز التقليد فيها. وفي الأربعين في معنى الإيمان. وفي ختامها أشار إلى أنّه لابدّ من المعاد البدني والروحاني.

هذه الرسالة لم تطبع مستقلّة حتّى الآن ولكن أوردها بتمامها الفاضل أحمد عارف الزين صاحب العرفان في كتابه مختصر تاريخ الشيعة، وطبعها لأوّل مرّة بمطبعة العرفان بصيدا عام ١٣٣٢.

ثمّ نشرتُها عام ١٤١٩ اعتماداً على تلك الطبعة في ميراث إسلامى إيران، العدد ٩، ثمّ نُشرتْ ضمن رسائل الشهيد الأوّل (ص ١٣٥ ـ ١٥٢) عام ١٤٢٣، بالاعتماد على طبعة صيدا. ثمّ حُقّقتْ اعتماداً على مخطوطة السماوي ونُشِرَتْ عام ١٤٣٠ ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨، ولا يعلم تاريخ تأليفها. أوّلها:

> الحمد للّه بجميع محامده على جميع عوائده ... وبعد، فهذه رسالة في المسائل الكلامية وضعتها تقرّباً إلى بارئ البريّة، وحصرتُها في أربعين مسألة.

وآخرها:

> وكلّ ما أخبر النبيّ ﷺ به من ... يجب الاعتقاد لها والإقرار بها، لإمكانها وإخبار المعلوم الصدق بها.
>
> وهذا آخر الرسالة. والحمد للّه ربِّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا النبيّ محمّد وآله الطاهرين.

---

١. كما ذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي، ج ٦، ص ٤٤١، كما في الشهيد الأوّل محمّد بن مكّي العاملي في المصادر العربية، ص ٢١٥.

ثمّ اعلم أنّ المرحوم الشيخ محمّد السماوي نظم هذه الرسالة وسمّاها جذوة السلام في مسائل علم الكلام [١]. أوّلها:

الحـــمدللّه الذي دلّ عـــلى توحيده بـما دنـا ومـا عـلا
فليس شيءٌ ليس فيه شاهد دَلَّ عـــلى أنّ الإله واحـــد

ومصوّرتها بخطّ الناظم موجودة عندي في مؤسّسة تراث الشيعة، وأصل المخطوطة محفوظة في مكتبة آية الله الحكيم العامّة في النجف الأشرف.

٨. البيان

هو كتاب في الفقه مختصرٌ خالٍ من الاستدلال، مشتملٌ على كثير من الأقوال، جمع فيه بين سهولة العبارة ومتانتها، وخرج منه كتب: الطهارة والصلاة والزكاة والخمس وشيءٌ يسير من الصوم [٢]. واستشهد الشهيد قدس سره قبل إتمامه، ونسخه الموجودة كلّها ناقصة، وآخر كلامه فيه هو:

الفصل الثاني في الإمساك. وفيه مطالب: الأوّل فيما يمسك عنه وهو أقسام؛ القسم الأوّل: الابتلاع، يجب فيه.

وإلى هنا انتهى كلامه قدس سره.

وأشار الشهيد إلى اسمه في خطبته، حيث قال:

... أمّا بعد، فإنّ الأدلّة العقلية والنقلية متطابقة على شرف العلوم، ومن أهمّها معرفة شرع الحيّ القيّوم. وهذا البيان كافل بالمهمّ منه والمحتوم، على طريق العترة الطاهرة أُولي الفهوم، الذين نقلهم إسناد معصوم عن معصوم، واستعنت على إتمامه بالله القادر العالم على كلّ مقدور ومعلوم.

وذكره الشهيد أيضاً في غاية المراد ومقدِّمة الدروس باسم البيان، حيث قال:

ـ وقد حقّقنا الحال في ذلك فيما خرج من كتاب البيان [٣].

ـ ... فكتبنا في ذلك ما تيسّر من الذكرى و البيان [٤].

---

١. وانظر الذريعة، ج ٢٠، ص ٩٣.
٢. وما جاء في تعليقة أمل الآمل، ص ٧٦ من أنّه وصل إلى أواخر الصوم، فهو سهوٌ واضح.
٣. غاية المراد، ج ١، ص ١٦٠، وانظر كلامنا حول هذا الموضوع في الفصل الثاني من الباب الرابع؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١، ص ١١٠.
٤. الدروس الشرعيّة، ص ١، ط. القديمة؛ و ج ١، ص ٨٤ ط. الجديدة.

ولقد أشار الشهيد في البيان إلى كتابين من كتبه، وهما القواعد والفوائد وذكرى الشيعة، حيث قال:

ـ... وقد بيّنّا صوره المتعدِّدة في القواعد [١].

ـ... وقد بيّنّا ذلك في الذكرى [٢].

ـ... ولا بأس به كما ذكرناه في الذكرى [٣].

ـ... وقد استوفينا هذا الباب في الذكرى [٤].

ـ... وتمام الآداب مذكور في الذكرى وغيرها [٥].

ـ... وقد حقّقناه في الذكرى [٦].

طبع البيان في طهران عام ١٣١٩ [٧]، وطبع ثانياً على الحجر بالقطع الصغير في ٢٠١ صفحة عام ١٣٢٢، وطبعه مجمعُ الذخائر الإسلاميّة في قم بالأُوفست على الطبعة الحجرية الثانية. وأخيراً وفي عام ١٤١٢ طبع في قم بإعداد الشيخ محمّد الحسّون (دام توفيقه) مع فهارس متعدِّدة ومقدِّمة مختصرة، في ٤٠٦ صفحة بالقطع الوزيري. ثمّ نشر عام ١٤٣٠ في قم ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، الجزء ١٢ في ٣٦٠ صفحة. ووقفتُ على إجازة مكتوبة بخطّ المجيز في آخر البيان نقلها الشيخ آقا بزرگ الطهراني في كتابه المخطوط بعدُ: إجازات الرواية والوراثة في القرون الأخيرة الثلاثة، الورقة ٧٩ أودُّ نقلها؛ لما فيها من الفوائد منها اعتناء العلماء بكتاب البيان:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمدللّه ربّ العالمين، وصلّى الله على خير خلقه محمّد وآله الطاهرين.

وبعد، فقد قرأ عليّ هذا الكتاب الموسوم بالبيان ـ تصنيف الإمام الشهيد، خاتمة المجتهدين زين الملّة والحقّ والدين سراج الدين محمّد بن مكّي ([قدّس الله]

١. البيان، ص ٤٨؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٢، ص ٤٦.
٢. البيان، ص ٤٨؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٢، ص ٤٥.
٣. البيان، ص ٦٩؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٢، ص ٦٤.
٤. البيان، ص ٨٢؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٢، ص ٧٦.
٥. البيان، ص ٢٠٠؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٢، ص ١٩٤.
٦. البيان، ص ٢٥٨؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٢، ص ٢٥٣.
٧. الذريعة، ج ٣، ص ١٧٤.

روحه وأسكنه بحبوحات الجنان بمحمّد وآله أُولى العرفان) ـ الولد العزيز والشيخ الفاضل والعالم العامل الوَرِع الشيخ مبارك بن كعاب [كذا] حسين بن مفلح العكري، وذلك في أوقات متعددة وأزمنة متبدّدة آخرها اليوم السابع عشر من شهر جمادى الثانية [كذا، والصواب: الآخرة] أحد شهور سنة تسع بعد الألف، وقد سأل خلال قراءته (دام توفيقه وجُعل الى الخيرات طريقُه بمحمّد وآله) عمّا أشكل عليه فنبّهته على قدر طبعي ما وصلت اليه معرفتي، قراءةً وشرحاً واستشراحاً يدلّ على جَوْدة فهمه وسلامة ذهنه. وأجزتُ له (دام فضله وجوده) الرواية فيما قرأ عليّ من أوّل الكتاب إلى آخره، فليرو ذلك لمن شاء وأحبّ وأراد، محتاطاً لي وله، ولا يضرّ قوله: «ما أدري».

وأجزت له أيضاً الرواية في الذي [كذا] قرأه عليّ وهي ألفية المصنّف ﷺ وما عليها من حاشية المحقِّق المدقّق الشهيد الثاني [و؟] جمال الملّة والدين الشيخ العلّامة الفهّامة الشيخ عليّ بن عبدالعالي.

وأجزت له أيضاً جعفرية الشيخ عليّ بن عبدالعالي وما عليها من القيود والحواشي.

وأشرط عليه (دام ظلّه) أن لا ينساني من الدعاء في الخلوات خصوصاً في أعقاب الصلوات والفاضل من الساعات، كما أجاز لي والدي شيخي ﷺ كما أجاز له مشايخه (رحمة الله عليهم أجمعين) المتّصلة روايتهم إلى المعصومين (رضوان الله عليهم أجمعين [كذا]).

وكتب الفقير الى رحمة ربّه الغنيّ المتعالي صالح بن جابر بن فاضل العكري الأوالي الموالي للموالي (غفرالله لهم أجمعين) وعن [كذا، والصواب: ولـ] جميع المؤمنين. آمين ربّ العالمين [1].

ووقفنا على حوالي ثلاثين مخطوطة له، منها:

أ) مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، المرقّمة ١/٢٧٥٠. كتبت في ٢٩ ربيع الأوّل، عام ٨٢٢.

ب) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي ﷺ، المرقّمة ٢/٦٧. كتبت في ٢٨ صفر،

١. وانظر إنهاء محمّد بن حسن بن أحمد بن فرج الأوالي على نسخة من البيان في الفوائد الطريفة، ص ٥٦٤.

عام ٨٤٣. كتبها عليّ بن محمّد بن حسن العاملي[١].

ج) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشيﷺ، المرقّمة ١٦٧٧.

د) مخطوطة مكتبة مدرسة النوّاب في مشهد، المرقمة ٨ فقه. كتبت في القرن التاسع، وقد نقلت إلى مكتبة الروضة الرضوية المقدسة، فصار رقمها ١٣٨٥٣.

هـ) مخطوطة المكتبة المركزية بجامعة طهران، المرقّمة ١٨٠٠[٢].

و) مخطوطة مركز الفقيه العاملي ـ ومصوّرتُها موجودة عندي في مؤسّسة تراث الشيعة ـ نسخها ملّا خضر بن حافظ عليّ في ٢٠ ربيع الأوّل سنة ٨٨٩، وفي الصفحة الأخيرة منها إنهاء حسين بن عليّ بن الحسام وهذه صورتها:

أنهاه (أيّده الله) قِراءةً وفهماً وشرحاً (وفّقه الله وإيّانا لمراضيه، وأعانه وإيّانا على إمتثال أوامره والانزجار عن نواهيه) في عدّة مجالس آخِرها نهار الجمعة رابع ربيع الآخِر سنة تسع وثمانين وثمانمائة هجرية (على مشرّفها...) وكتب أفقر عباد الله تعالى حسين بن عليّ بن الحسام حامداً مصلّياً مسلّماً مستغفراً.

وفي أعلى الصفحة الأخيرة منها كُتبتْ:

قتل المصنّفﷺ بدمشق... برحبة القلعة ممّا يلي سوق الخيل ضحىٰ يوم الخميس تاسع شهر جمادى الأُولى، وتمّ [كذا] معلَّقاً هناك إلى قريب العصر، ثمّ نزل [كذا، ظ: أُنـزل] وأُحرق وذلك سنة ستّ وثمانين وسبعمائة... .

واعلم أنّ الشيخ محمّد رضا شمس الدين قال: «فرغ منه [أي من البيان] مؤلّفه في غرّة شعبان ٧٦٣»[٣].

ولم أقف على مستنده؛ والظاهر أنّه سهوٌ؛ فإنّ الشهيد كان حيّاً إلى عام ٧٨٦، ومن المستبعد جدّاً أنْ يترك الشهيد إتمام مصنَّفه لمدّة تربو على ثلاثة وعشرين عاماً، بل يترك

---

١. وفي الصفحة الأخيرة منها ورد إنهاءٌ هكذا: «أنهاه (أيّده الله) قِراءةً وبحثاً وفهماً (وفّقه الله وإيّانا لمراضيه، وأعانه وإيّانا على اجتناب معصيته والانزجار عن نواهيه) في عدّة مجالسَ آخرها يوم الأحد ثاني عِشْري ذي قعدة من شهور سنة سبع وتسعمائة هجرية نبوية (على مشرّفها الصلاة والسلام) وكتب ذلك أفقر عباد الله وأحوجهم إلى عفوه أحمد بن محمّد بن عليّ بن خاتون حامداً مصلّياً مسلّماً مستغفراً».

٢. انظر مقدّمه‌ای بر فقه شیعه، ص ١٣٦؛ وانظر أيضاً الذريعة، ج ٣، ص ١٧٤.

٣. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ١٦٣.

فصلاً شرع فيه دون أنْ يُتمّه؛ هذا بالإضافة إلى قرائن أُخرى منها عدم ذكره في إجازته لابن‌نجدة، الصادرة عام ٧٧٠، وعدم ذكره أيضاً في إجازته لابن الخازن، الصادرة عام ٧٨٤. ومنها أنّ الشهيد أشار في البيان إلى كتابه الذكرى مراراً، كما تقدّم، ومن المعلوم أنّه ألّف الذكرى في أواخر عمره الشريف، كما سيأتي.

وشرحه المرحوم الميرزا محمّد الأرباب القمّي من أوّله إلى أحكام الأموات، ومخطوطة هذا الشرح محفوظة في مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله برقم ٧٨٧٥، ذكرت في فهرسها (ج ٢٠، ص ٢١٠).

٩. تفسير الباقيات الصالحات

هو شرح مختصر للتسبيحات الأربع، قال الشهيد في آخره:

فهذه الكلمات الأربع تشتمل على الأُصول الخمسة: التوحيد والعدل والنبوّة والإمامة والمعاد، فمن حصَّلها حصَّلَ الإيمان، وهي الباقيات الصالحات.

طبعتُ هذه الرسالة أخيراً في مقدّمتي لغاية المراد، ثمّ طبعت ـ مع شرحها: الكلمات النافعات ـ ضمن أربع رسائل كلامية (ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥) وأيضاً ضمن رسائل الشهيد الأوّل (ص ١٣٣ ـ ١٣٤) وقديماً أوردها بتمامها الشيخ الكفعمي في حاشية الفصل الثامن والعشرين من مصباحه الكبير الموسوم بـجنّة الأمان الواقية، وطُبعت معه على الحجر عام ١٣٢١. قال الكفعمي رحمه الله قبل نقلها:

... قد تكرّر في هذا الدعاء ألفاظ التسبيحات الأربع، أمّا فضلها فقد مرّ... وأمّا شرحها فقال الشهيد السعيد الإمام العالم محمّد بن مكّي قدس سره ... .

وقال بعد تمامها: «هذا آخر ما ذكره السعيد الشهيد (رحمه الله وطيَّب ثراه)[1].

قال صاحب الرياض في ترجمة العالم الجليل عليّ بن يونس البياضي النباطي العاملي (٧٩١ ـ ٨٧٧) مؤلّف الصراط المستقيم:

عثرنا بإصبهان على مجموعةٍ جلّها بل كلّها كانت بخطّ الشيخ زين الدين البياضي... وكثير منها كان من مؤلّفاته قدس سره، ومن جملتها... كتاب الكلمات النافعات في تفسير

١. المصباح، ص ٢٧٧، الفصل ٢٨، الهامش.

الباقيات الصالحات، وهو توضيح للرسالة التي ألّفها شيخنا الشهيد في تفسير الكلمات الأربع و... الرسالة اليونسية في شرح المقالة التكليفيّة للشيخ الشهيد [١].

وقال الشيخ آقا بزرگ الطهراني ـ ذيل اليونسية للبياضي ـ:

... ونسخة أُخرى بخطّ جعفر بن محمّد... بن زهرة الحسيني في ٢٥ صفر ٩٠٢ عند السيّد محمّد عليّ الروضاتي بإصفهان معها الكلمات النافعات [٢].

وتوجد من رسالة تفسير الباقيات الصالحات، للشهيد عدّة مخطوطات، منها:

أ) مخطوطة مكتبة الفاضل المعاصر فخرالدين النصيري، الخاصّة، ضمن مجموعة من رسائل الشيخ المفيد والسيّد المرتضى، عليها علامة تملّك حفيد الشهيد شرف الدين محمّد بإصفهان عام ١١٦٩، أوّلها:

ما نقل عن مولانا الشيخ العالم العامل الفاضل المحقّق المدقّق، شيخ الملّة والحقّ والدين، السعيد الشهيد أبي عبدالله محمّد بن مكّي (رحمة الله عليه ورضوانه وحَشَره مع من تولّاه وحَشَرنا في زمرتهم بحقّ محمّد وآله الطاهرين) في تفسير الباقيات الصالحات.

ب) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشيﷺ المرقّمة ٣٦٩٤/٧، نُسخت عام ١٠٥٦ ظاهراً، ولم تذكر في فهرس المكتبة سهواً.

ج) مخطوطة المكتبة المركزية بجامعة طهران، المرقّمة ٨٨١/٤. نَسَخَ المجموعة ـ التي بضمنها هذه الرسالة ـ محمّد بن فتح الله البسطامي تلميذ شيخنا البهائيﷺ في ١٠٠٣ ـ ١٠٠٤ في قزوين. وجاء في أوّلها:

ما نقل عن الشيخ الفاضل... الشهيد أبي عبدالله محمّد بن... مكّي في تفسير الباقيات الصالحات [٣].

د) مخطوطة المكتبة المركزية بجامعة طهران، ضمن المجموعة المرقّمة ٢١٤٤، المذكورة في فهرسها (ج ٩، ص ٨٢٤)، أوّلها كأوّل المخطوطة السابقة.

---

١. رياض العلماء، ج ٤، ص ٢٥٨ـ٢٥٩؛ وانظر روضات الجنّات، ج ٤، ص ٣٥٤؛ الذريعة، ج ١٨، ص ١٢٠.
٢. الذريعة، ج ٢٥، ص ٣٠٨.
٣. فهرست نسخه‌های خطی کتابخانهٔ مرکزی، ج ١، ص ٢٠.

هـ) مخطوطة المكتبة الخاصّة للأُستاذ العلّامة المحقّق الحاج السيّد محمّد عليّ الروضاتي (دام عزّه) بإصفهان.

و) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشيﷺ، المرقّمه ١٤٦٧٣/٨ نسخت عام ١٢٣٣؛ ذكرت في فهرسها (ج ٣٧، ص ١٥٥).

ولاختصار الرسالة ووجازتها حقّقتُها اعتماداً على مخطوطة مكتبة آية الله المرعشيﷺ برقم ٣٦٩٤/٧، ومخطوطة مكتبة فخرالدين النصيري، ومخطوطة مكتبة جامعة طهران ضمن المجموعة المرقّمة ٢١٤٤، والمطبوعة على الحجر ضمن المصباح للكفعمي، وأوردتُها ضمن مقدّمة التحقيق لغاية المراد[1]، ثمّ نشرتْ مرّةً ثانيةً عام ١٤٢٣ في رسائل الشهيد الأوّل ثمّ نشرت ثالثةً في قم، عام ١٤٣٠ ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨. وإليك نصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

معنى «سبحان الله»: تنزيهه سبحانه وتعالى عن السوء وبراءته من الفحشاء، ليدخل في ذلك جميع صفاته السلبيّة كنفي الحدوث والإمكان والحاجة والعجز و الجهل و الجسميّة والعرضيّة والتحيّز والجوهريّة والحلول في محلٍّ أو جهة والاتّحاد والصاحبة والولد.

ومعنى «الحمد للّه»: الثناء على الله بذكر آلائه ونعمه التي لاتُحدُّ ولا تعدّ.

فمنها: خلق الخلق من سماءٍ و أرضٍ و فلكٍ و ملكٍ و حيوان؛ و خلق العقل الفارق به بين الصحيح و الفاسد و الحقّ والباطل؛ وابتعاث الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وختمهم بأوصياء نبيّنا محمّد المفتتحين بسيّد الوصيّين أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، المختتمين بسيّد الأمناء أبي القاسم المهدي عليه السلام.

ثمّ خلق أُصول النعم التي هي الحياة والقدرة والشهوة والنفرة والعقل والإدراك والإيجاد.

ثمّ خلق فروعها المُشتهيات والملذّات، حتّى أنّه ليس نَفَسٌ يمضي إلّا وفيه للّه نعمة يجب شكرها، حتّى أنّ شكر نعم الله من نعمه التي يجب شكرها.

ومن ذلك تصديق النبيّ صلى الله عليه وآله في جميع ما جاء به من الحشر والنشر والمعاد والجنّة والنار

١. غاية المراد، ج ١، ص ١٢٣، مقدّمة التحقيق.

والصراط والميزان والحور والولدان.

ومعنى «لا إله إلّا الله» : تنزيهه عن الشريك والمثل والضدّ والندّ والمناوي والمنافي، وفيه بطلان قول اليهود والنصارى والثَنَويّة و عبّاد الأصنام والأوثان والصُلبان والكواكب. وهي الشهادة التي مَنْ قالها مُخلِصاً دخل الجَنَّة.

ومعنى «الله أكبر» : إثبات صفات الكمال له تعالى، مثل : الوجود والوجوب والقدرة والعلم والأزليّة والأبديّة والبقاء والسرمديّة والسمع والبصر والإدراك، عدلاً حكيماً جاريةً أفعالُه على وفق الحكمة والصواب، وأنّه لايستطيع أحدٌ الاطّلاعَ على كُنه ذاته تعالى ولا على صفةٍ من صفاته ؛ فهو أكبر من أن يوصف أو يبلغه وصف الواصفين، فلايعلم ما هو إلّا هو.

وهذه الكلمات الأربع تشتمل على أُصول الإيمان الخمسة أعني التوحيد والعدل والنبوّة والإمامة والمعاد، فَمَنْ حَصَّلَها حَصَّلَ الإيمانَ، وهُنَّ الباقيات الصالحات.

والحمد للّه وحده والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين.

● التكليفيّة ← المقالة التكليفيّة

١٠ . جامع البين من فوائد الشرحين

صنّف العلّامة الحلّي كتاب تهذيب الوصول إلى علم الأُصول، وتولّى شرحه ابنا شقيقة العلّامة السيّد عميد الدين والسيّد ضياء الدين [١].

وقام الشهيد الأوّل بجمع كلا الشرحين في كتاب واحد، وأضاف إليهما مطالب جديدة. قال الشهيد الثاني في إجازته لوالد الشيخ البهائي (قدِّستْ أسرارهم) :

... فممّا قرأه من كتب أُصول الفقه... تهذيب الوصول... وشرحه جامع البين من فوائد الشرحين، للشيخ الإمام الأعلم شمس الدين محمّد بن مكّي (عَرَجَ الله بروحه إلى دار القرار وجَمَعَ بينه وبين أئمّته الأطهار) [٢].

---

١. انظر فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه مرکزی، ج ٥، ص ١٧٢٧ـ١٧٣١؛ الذريعة، ج ٤، ص ٥١٣؛ وج ١٣، ص ١٦٨.

٢. رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ١١١٤؛ بحار الأنوار، ج ١٠٨، ص ١٤٨؛ واعلم أنّ اسم هذا الكتاب جاء في أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٢: «...في فوائد الشرحين» بدل «...من فوائد الشرحين».

قال الشيخ الحرّ العاملي﵀ ضمن تعديد مؤلّفات الشهيد:

كتاب جامع البين من فوائد الشرحين، جمع فيه بين شرحي تهذيب الأُصول للسيّد عميد الدين والسيّد ضياء الدين، رأيته بخطّ الشهيد الثاني[١].

وقال السيّد إعجاز حسين النيسابوري الكنتوري:

جامع البين من فوائد الشرحين، للشيخ الأجلّ... الشهيد الأوّل... جمع فيه بين شرحي تهذيب الوصول للسيّد عميد الدين والسيّد ضياء الدين، وزاد شيئاً كثيراً، إلّا أنّه لم يراجع المسوّدة بعد الجمع، مع أنّ الجمع المذكور كان في عنفوان شبابه، فهذّبه وأصلحه الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي، وفرغ من إصلاحه سنة إحدى وأربعين وتسعمائة. وقال﵀ بعد ذكر ما يتعلّق بإصلاحه: «ثمّ إنّ الشهيد﵀ ميَّزَ ما اختصَّ به شرح الضياء فكتب عليه: «ض»؛ وما اختصّ به شرح العميد فكتب عليه: «ع»، وتابعته في ذلك، وما كان زائداً عنهما كتبتُ في أوّله: «زيادة»، وفي آخره: «آخرها» فصارتْ هذه النسخة مميّزة لمختصّات الشرحين والزوائد عليهما، ومختصّةً بمزيد الإصلاح المذكور والتصحيح».

وقد ظفرت بحمد الله على نسخةٍ كانت بخطّ الشيخ حسين بن عبد الصمد، أوّلها: «أحمدك اللهم على سوابغ نعمائك بأبلغ محامدك، وأسألك المزيدَ من فضلك...»[٢].

وهذه النسخة كانت في بعض مكتبات الهند، ومصوّرةٌ منها توجد عند العالم الفاضل أكبر ثبوت[٣].

وكان هذا الكتاب موجوداً عند المحقّق التستري﵀ ونقل عنه، حيث قال:

... ومنهم الشهيد (طاب ثراه) وقد ذكر في الجمع بين الشرحين نحو ما تقدَّم عن شيخه عميد الدين في المسائل الأُصولية المذكورة، ونقل اتّفاق الفرقة على كون مذهب الصحابي ليس حجّةً على غيره من الصحابة ...[٤].

---

١. أمل الآمل، ج ١، ص ١٨١.
٢. كشف الحُجُب والأستار، ص ١٥١ ـ ١٥٢؛ وانظر الذريعة، ج ٥، ص ٤٣ ـ ٤٤؛ وج ١٣، ص ١٦٨؛ وج ٢٣، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨.
٣. مجلّة تحقيقات اسلامى، السنة ١٢، العددين ١ـ٢، ص ٢٥٥.
٤. كشف القناع، ص ٣٦٣.

واعلم أنّ الشهيد قال في إجازته لابن الخازن في عداد مؤلّفاته: «شرح التهذيب الجمالي في أُصول الفقه»[١]. ومراده من التهذيب الجمالي هو تهذيب الوصول لجمال الدين العلّامة الحلّي، ومراده من شرح التهذيب هو كتاب جامع البين كما يظهر من كلام الشهيد الثاني الذي مرّ آنفاً. قال الطهراني:

شرح تهذيب الوصول، للشيخ السعيد الشهيد... ذكره بنفسه في بعض إجازاته، ولعلّه الذي سمّاه بـ جامع البين من فوائد الشرحين ...[٢].

واعلم أنّ إسماعيل باشا عبّر في مواضع متعدِّدة عن هذا الكتاب بـ جامع العين من فوائد الشرحين[٣]، وهو خطأ بلاشكّ.

وطبع لأوّل مرّةٍ قسم من هذا الكتاب ـ من أوّل الكتاب إلى ابتداء المقصد الثاني ـ في مجلّة تحقيقات إسلامي في طهران (السنة ١٢، العددين ١ و٢، سنة ١٣٧٦ش) ص ٢٥٩ ـ ٢٧٠ بتحقيق الفاضل المعاصر أكبر ثبوت. ثمّ نشر الكتاب بكامله لأوّل مرّةٍ ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٦ و ١٧.

مخطوطات الكتاب: أ) مخطوطة مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامّة في النجف الأشرف، فرغ الكاتب من نسخها في جمادى الآخرة عام ٩٧١. وعليها علامة تملّك محمّد باقر الشريف السبزواري[٤].

ب) مخطوطة العالم الفاضل أكبر ثبوت، أهداها له المرحوم آية الله الشيخ محمّد تقي الآملي رحمه الله[٥].

ج) مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١) برقم ٦٩٠٤ ذكر في النسخة وفي فهرس المكتبة (ج ٧، ص ١٥١ ـ ١٥٣) خطأً أنّها شرح عميد الدين للتهذيب، ولكنّها مخطوطة جامع البين.

---

١. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٧.
٢. الذريعة، ج ١٣، ص ١٧٠.
٣. إيضاح المكنون، ج ١، ص ٣٥٥، ٤٣٣، ٤٧١، ٥٥٩، ٥٦٠؛ وج ٢، ص ٢٦٥؛ هديّة العارفين، ج ٢، ص ١٧١.
٤. ورد تاريخ الكتابة في نشرية نسخه‌هاى خطى، العدد ٥، ص ٤١٠، خطأً: القرن ١١.
٥. مجلّة تحقيقات اسلامى، السنة ١٢، العددين ١ـ٢، ص ٢٥٥.

د) مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، المرقّمة ٩٦٣٥.

هـ) مخطوطة كانت في مكتبة ممتاز العلماء في لكنهو في الهند، ومصوّرتها موجودة عند الفاضل أكبر ثبوت في طهران. وهذه هي النسخة التي ظفر عليها الكنتوري وذكرها في كشف الحجب، كما سبق.

ثمّ إنّ الشيخ حسين بن عبد الصمد (رحمهما الله تعالى) قال في مقدّمته لهذا الكتاب:

كتاب جامع البين من فوائد الشرحين. يعني شرحي الإمامين السيّدين السعيدين ضياء الدين وعميد الدين (رحمهما الله تعالى)؛ فإنّه ملتقط منهما؛ جامع لفوائدهما ـ كما سمّاه ـ مع ما فيه من الزوائد عنهما؛ إلّا أنّه ﷺ لم يراجع المسوّدة بعد الجمع، مع أنّ الجمع المذكور كان في عنفوان شبابه؛ ولهذا وجدنا فيها سقطاً كثيراً من الأحرف والكتاب والسنّة، وقد وجدنا فيه أيضاً تكراراً بيّنّا في عدّة مواضع؛ وكأنّه لمّا حاول الجمع بينهما ذهل عمّا كتبه من أحدهما فكتبه من الآخر ونحو ذلك.

ثمّ إنّي لما كتبته وطالعت فيه، دعتني الغيرة إلى التصدّي لإصلاحه؛ فأصلحت فيه الكثير من السقط المذكور من مظانّه؛ ولم يبق فيه إلّا مواضع يسيرة جدّاً في بعض الزيادات التي لم أعلم من أين أخذها؛ وأمّا ما علمته فأصلحته منه؛ أو ما كان من شرح السيّد عميد الدين؛ فإنّ الملتقط منه الزائد على ما في شرح الضياء قليل جدّاً؛ ولم يكن هذا الشرح عندي.

وقد وجدنا أيضاً بخطّه في هذه النسخة مواضع معلماً عليها الباء الهنديّة؛ والمواضع غير صحيحة؛ فكأنّ نسخة الضياء التي عنده لم تكن صحيحة في تلك المواضع. فأصلحناه نحن أيضاً. وربّما وجد عنده منهما شيء مغلوط؛ فوافق أنّ نسختنا كذلك؛ لا يسعنا إلّا تركه كما هو ... وإنّي راقم الكتاب ومالكه حسين بن عبدالصمد الحارثي الهمداني ضحى يوم الجمعة سابع عشر رجب المرجّب سنة إحدى وأربعين وتسعمائة، بعد الفراغ من مطالعته بأيّام.

وقرأه الشيخ حسين بن عبدالصمد على أُستاذه الشهيد الثاني، كما في إجازة الشهيد

الثاني له في الليلة الثالثة من شهر جمادى الآخرة عام ٩٤١[١].

وكتب الشيخ البهائي رحمه الله فيها:

هذا الكتاب من أوّله إلى آخره بخطّ والدي (قدّس الله قدّس الله قدّس الله [كذا] روحه). وليس فيه إلّا شيء يسير بخطّ شيخنا الشهيد الثاني (نوّر الله نوّر الله نوّر الله [كذا] مرقده).

وقال الشهيد الأوّل في أوّله:

بسم الله الرحمن الرحيم. أحمدك اللهمّ على سوابغ نعمائك بأبلغ محامدك؛ وأسألك المزيد من فضلك؛ وأُصلّي على خير أنبيائك وأعظم أُمنائك وأصفيائك؛ خصوصاً أعظمهم قدراً وأعلاهم ذكراً أباالقاسم محمّد، وعلى آله وأصحابه الطيّبين الطاهرين الأبرار.

وأستعينك في الجمع بين شرحي الإمامين ـ السيّدين الأبَرَّين ـ لكتاب تهذيب الوصول إلى علم الأُصول من مصنّفات الداعي إلى الله شيخنا الإمام جمال الدين بن يوسف بن المطهّر (قدّس الله روحه) مع زيادات لطيفة وفوائد شريفة.

وأسألك أن يكون نافعاً في الدارين وموصلاً إلى الحسنيين، إنّك وليّ الإعانة[٢].

واعلم أنّ بعض الفضلاء من المعاصرين كتب في مقام تعديد شروح تهذيب الوصول:

ـ شرح الشيخ حسين بن عبدالصمد الحارثي العاملي. هو إصلاح للشرح الموسوم بجامع البين للشهيد الثاني... .

ـ شرح الشيخ السعيد... الشهيد، اسمه جامع البين[٣].

بينما يكون جامع البين من تأليفات الشهيد الأوّل، وثانياً إصلاح الشيخ حسين بن عبدالصمد لا يُعَدُّ شرحاً مستقلّاً لكتاب تهذيب الوصول في قبال جامع البين.

ثمّ اعلم أنّ جامع البين حُقِّق وطبع لأوّل مرّة عام ١٤٣٠ في قم، ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٦ و ١٧.

---

١. رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ١١١٤، ١١٤١.
٢. مجلّة تحقيقات اسلامى، السنة ١٢، العددين ١ ـ ٢، ص ٢٦٠ ـ ٢٦٢.
٣. تهذيب الوصول إلى علم الأُصول، ج ٢٠ ـ ٢١.

١١ . جواز السفر في شهر رمضان اعتباطاً

رسالة ذكر فيها الشهيد مسألة جواز السفر في شهر رمضان بقصد الإفطار والتقصير، وبسط الكلام فيها واستدلّ على جوازه بعشرين طريقاً؛ وذكر أيضاً أدلّة القائلين بالحرمة وأجاب عنها. وعبّر عنها الشيخ الحرّ العاملي بقوله: «رسالةٌ في قصر من سافر بقصد الإفطار والتقصير»[١].

أوّله: «بعد حمد الله تعالى على نعمه الباطنة والظاهرة... فأقول: الظاهر من مذاهب العلماء في سائر الأعصار والأمصار جوازه، مع إجماعنا على كراهة ذلك... لنا عشرون طريقاً؛ الأوّل ـ وهو العمدة ـ: التمسّك بقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا﴾[٢].

لم يذكر الشهيد تاريخ تأليفها في آخر الرسالة، ولم يذكرها في إجازته لابن الخازن ولا في إجازته لابن نجدة، ولا في غيرهما من مصنّفاتِه، ولم يُشر فيها إلى أحدٍ من كتبه ورسائله، وألّفها الشهيد بأمر من لم يُسمّه صريحاً، بل أشار إليه في مقدّمتها بقوله: «فإنّي ممتثل ما أُمرت به من واجب الطاعة وإمام الجماعة (أدام الله ظلّه) من بحث هذه المسألة». والظاهر أنّ الشهيد ألّفها في التقيّة، لأنّه قال في أوّله وآخره:

ـ بعد حمد الله على نعمه الباطنة والظاهرة، وصلاته على محمّد المصطفى وعترته الطاهرة، وأصحابه الأنجم الزاهرة[٣].

ـ والحمد للّه وحده، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء وخاتمهم محمّد بن عبدالله وعلى عترته الأئمّة الأصفياء، صلاةً متّصلة إلى يوم الدين، وعلى أصحابه الراشدين والتابعين وتابعي التابعين.

وكتب مؤلّفها محمّد بن مكّي (تجاوز الله عن سيّئاته)[٤].

ووقفنا على حوالي عشر مخطوطات لها، منها:

أ) مخطوطة مكتبة إمام الجمعة في زنجان[٥].

---

١. أمل الآمل، ج ١، ص ١٨١.
٢. الذريعة، ج ٥، ص ٢٤١.
٣. رسائل الشهيد الأوّل، ص ٢٥١.
٤. رسائل الشهيد الأوّل، ص ٢٦١.
٥. دليل المخطوطات، ج ١، ص ١٣٧ـ١٣٨.

ب) مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدَّسة في مشهد، المرقّمة ٧٧٣٥، نسخت عام ٨٥٥[١].

ج) مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، المرقّمة ٤٥٦٦/١١[٢].

قال الشيخ آقا بزرگ الطهراني (طاب ثراه) عند البحث عن الدرّ المنثور للشيخ عليّ العاملي:

وقد أورد [أي مؤلّف الدرّ المنثور] في الجزء الثالث عين رسالة الشهيد الأوّل المسمّاة جواز إبداع السفر في شهر رمضان[٣].

والجدير بالذكر أنّ الجزء الثالث من الدرّ المنثور لم يطبع حتّى الآن، وهو قيد التحقيق في مركز إحياء التراث الإسلامي في قم مع الجزءين الأوّل والثاني من الدرّ المنثور و سينشر بعون الله سبحانه.

وهذه الرسالة طبعت لأوّل مرّةٍ عام ١٤٢٣ في قم، ضمن رسائل الشهيد الأوّل (ص ٢٤٩ ـ ٢٦١). ثمّ نشرتْ عام ١٤٣٠، ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨.

١٢. حاشية القواعد

من المسلّم به أنّه كانت للشهيد حواشٍ على قواعد الأحكام للعلّامة الحلّي، وفقهاؤنا الأمجاد نقلوا في زبرهم الفقهية مباشرةً أو مع الواسطة مطالبَ عن حاشيته ـ أو الحواشي المنسوبة إليه ـ على القواعد، منهم:

أ) المحقّق الكركي؛ فإنّه في موارد كثيرة من جامع المقاصد ينسبها إليه بعبارات مختلفة دون أيّ تردّدٍ، وفي موارد أُخر يتردّد في نسبتها إليه؛ إذ يعبّر عنها بـ «المنسوبة للشهيد» ففي ثمانية وعشرين مورداً ذكرها بعنوان: «في حواشي شيخنا الشهيد»، هي جامع المقاصد، ج ٣، ص ١٥٨، ٤٣٧، ٤٤٣، ٤٥٦، ٤٨٢، ج ٤، ص ١٩، ١٦٥، ١٨١، ٢٢٢، ٢٣٥، ٣٦٦، ج ٧، ص ٤٢، ٨٦، ١٢٠، ١٥٠، ١٦١، ٢٤٨، ٣٤٣، ج ٨، ص ٧، ج ٩، ص ٢٨، ٣٨، ١٨٧، ٢١١، ٢٢٠، ج ١١، ص ١٣٨، ج ١٢، ص ٨٩، ١٦٩، ٤٨٩.

وفي عشرة موارد بعنوان: «شيخنا الشهيد في حواشيه»، هي ج ٣، ص ١٧٥، ج ٤،

---

١. فهرست ألفبائى كتب خطى، ص ٤٤٥.

٢. ذكرت في فهرسها، ج ١٢، ص ٢٦٣.

٣. الذريعة، ج ٨، ص ٧٧ ـ ٧٨.

ص ٤٥، ج ٦، ص ٢٨، ١٩٥، ج ٧، ص ١٢٥، ١٥٥، ج ٩، ص ١٩٧، ٢٩١، ٣٦٣، ج ١٠، ص ٨.

وفي ثمانية موارد بعنوان: «شيخنا الشهيد في بعض حواشيه»، هي ج ٣، ص ٢٩٢، ج ٤، ص ١٣، ٥٦، ٤٠٢، ٤٥٠، ج ٧، ص ١٣٤، ج ٩، ص ٢٠٧، ج ١٢، ص ٤٣٣.

وفي سبعة موارد بعنوان: «في حواشي الشهيد»، هي ج ١، ص ٤٠٣، ج ٣، ص ١٩٨، ٢٠٧، ٢٦٣، ٣٨٠، ج ٤، ص ٨٨، ج ٧، ص ٣٢.

وفي خمسة موارد بعنوان: «الشهيد في حواشيه» هي ج ٣، ص ١٦٨، ٢٣٤، ٢٩٩، ٣٠٣، ٤٥٥.

وفي أربعة موارد بعنوان: «الشهيد في بعض حواشيه»، هي ج ٤، ص ٨٦، ج ٧، ص ٨٥، ٩٨، ١١٢.

وفي ثلاثة موارد بعنوان: «شيخنا الشهيد في بعض الحواشي»، هي ج ٧، ص ١٨٢، ج ٩، ص ١١٨، ١٢٠.

وفي موردين بعنوان: «في بعض حواشي شيخنا الشهيد»، هما: ج ٧، ص ٣٧، ج ٨، ص ١٤٤.

وفي موردين أيضاً بعنوان: «في حاشية الشهيد»، هما: ج ٣، ص ٣٠٥، ٣٨٣.

وفي موردٍ واحد بعدّة عناوين:

«الشهيد في حاشيته» في ج ٣، ص ١٠٩

«شيخنا في حواشيه» في ج ٣، ص ٢٠٣.

«في بعض حواشي الشهيد» في ج ٤، ص ٦٤.

«واحتمل في حواشي القواعد كونه عيباً» في ج ٤، ص ٣٢٨.

«وقد صرّح بذلك شيخنا الشهيد في بعض حواشيه على الكتاب» في ج ٩، ص ١٥٠.

أمّا الموارد التي تردّد في نسبتها إليه فهي:

في أربعة موارد ذكرها بعنوان: «في الحواشي المنسوبة إلى شيخنا الشهيد»، هي ج ٣، ٣٧٨، ج ٧، ص ٢٧٧، ج ٨، ص ١٥٤، ج ١٢، ص ٢٥٩.

وفي ثلاثة موارد ذكرها بعنوان: «في بعض الحواشي المنسوبة إلى شيخنا الشهيد»، هي ج ٨، ص ٨٥، ج ٩، ص ٢٨٧، ج ١٣، ص ٤٤٤.

وفي مورد واحد ذكرها بعنوان: «وجدتُ في بعض الحواشي المنسوبة إلى شيخنا الشهيد على القواعد في بحث الأنفال من الخمس»، هو ج ٧، ص ١١.

وفي موردٍ واحدٍ أيضاً ذكرها بعنوان: «وعلى هذا حمله شيخنا الشهيد في بعض ما ينسب إليه من الحواشي»، هو: ج ١٣، ص ٤٠٨[1].

وقال في قاطعة اللجاج، ضمن رسائل المحقّق الكركي، ج ١، ص ٢٧٧: «وفي حواشي شيخنا الشهيد على القواعد...».

ب) الشهيد الثاني في مواضعَ عديدةٍ من كتبه، منها:

١. روض الجنان، ج ١، ص ١١٥: «والشهيد في الذكرى وكذا في حاشيته على القواعد».

٢. الروضة البهيّة، ج ٤، ص ٣٤٠: «... هذا هو الذي رجّحه المصنّف في بعض حواشيه».

٣. فوائد القواعد، ص ٣٨ـ٣٩، ٤٣، ٦٦، ٧٢، ٧٥ـ٧٨، ١٢١، ١٩٤، ٢٠٠، ٢١١، ٢٥٥، ٢٥٧، ٣٠٠، ٤٠٤، ٤١٦، ٤٧٣، ٥٢٦، ٦٣٢، ٦٤٠، ٦٤٢ـ٦٤٣. فقد نسبها إلى الشهيد في هذه المواضع جازماً ودون أيّ ترديد.

ج) الشيخ حسين بن عبدالصمد والد شيخنا البهائي رحمه الله في حاشيته على القواعد، حيث قال:

هكذا وقعتْ عبارة القواعد والشرائع، واعترضها شيخنا الشهيد في حواشيه على القواعد، وتبعه الفاضلان: الشيخ عليّ في شرحه على القواعد، والشيخ زين الدين في حواشيه[2].

د) السيّد محمّد العاملي صاحب المدارك في:

١. مدارك الأحكام، ج ٥، ص ١٧٥: «واعلم أنّ شيخنا الشهيد رحمه الله ذكر في حواشي القواعد...».

٢. مدارك الأحكام، ج ٨، ص ٢٢٤: «وفي بعض الحواشي المنسوبة إلى شيخنا الشهيد...».

هـ) السيّد العاملي صاحب مفتاح الكرامة في مواضعَ عديدةٍ، منها:

١. مفتاح الكرامة، ج ١، ص ١٢٠: «وحكى الشهيد في بعض ما ينسب إليه من الحواشي...».

---

١. انظر حياة المحقّق الكركي، ج ٣، ص ٥٢٢ـ٥٢٧.

٢. فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه مرکزی، ج ٥، ص ١٨٦٧.

٢. مفتاح الكرامة، ج ١، ص ٥٥٠: «وأنّه المنقول أيضاً في... وحواشي الشهيد».

و) الشيخ محمّد حسن صاحب الجواهر في مواضعَ عديدة، منها:

١. جواهر الكلام، ج ١٢، ص ٤٤٣: «... وإنْ قال الشهيد في الحواشي البخارية [كذا، والصواب: النجّارية]...».

٢. جواهر الكلام، ج ١٥، ص ٤٧٢: «... عن الشهيد في حواشيه على القواعد...».

ز) الشيخ الأنصاري في مواضعَ، منها:

١. المكاسب، ص ١٤٣: «أشار إليه العلّامة في القواعد، وأوضحه قطب الدين والشهيد في الحواشي المنسوبة إليه».

٢. المكاسب، ص ١٥٩: «عن حواشي الشهيد...».

٣. المكاسب، ص ١٨٣: «... عن فخر الإسلام والشهيد في الحواشي».

٤. المكاسب، ص ١٨٩: «وعن حاشية الشهيد ظهور الميل إليه».

٥. المكاسب، ص ١٩٨: «فظاهر القواعد والمحكيّ عن حواشي الشهيد...».

٦. المكاسب، ص ٢٧٦: «قال الشهيد في محكيّ حواشيه على القواعد...».

٧. «وقد وافق الفخر على ذلك الشهيدان في الألفية وشرحها وبعض أمالي الشهيد»[١].

هذه مواضع مِن نقل فقهائنا العظام من تلك الحاشية، ونرى في بعض موارد النقل شيئاً من الترديد، كعبارة «الحواشي المنسوبة إليه» أو عبارة «ما ينسب إليه من الحواشي».

ولإيضاح الموضوع نورد كلمات أصحاب التراجم حول حاشية الشهيد وحاشية أحمد ابن النجّار على القواعد ـ المعروفة بـ«الحواشي النجّارية» ـ فنقول:

أ) قال ابن العودي تلميذ الشهيد الثاني في تعديد مؤلّفاته:

> ومنها حاشية على قواعد الأحكام للعلّامة... مشىٰ فيها مشيَ الحاشية المشهورة بالنجّارية للمولى السعيد الشيخ الشهيد، وغالب المباحث فيها بينه وبينه[٢].

ب) قال الشيخ حسين بن عبد الصمد تلميذ الشهيد الثاني رحمهما الله في شرحه للألفية المخطوط بعدُ: الظاهر أنّ الحواشي ليست له، بل جمعها بعض تلاميذه وإن كان معانيها له.

---

١. تراث الشيخ الأعظم، ج ٢، ص ٤٩٢ ـ ٤٩٣، كتاب الطهارة.
٢. الدرّ المنثور، ج ٢، ص ١٨٦.

ج) قال صاحب الرياض في البحث عن شروح القواعد وحواشيه: ومنها الحواشي النجارية، والحقّ أنّها بعينها حاشية الشهيد الأوّل [١].

وقال أيضاً في تعديد مؤلّفات الشهيد:

وله أيضاً حواشي القواعد إلى آخر الكتاب، سمّاها [كذا] [ال]حواشي النجّارية [٢].

قال العلّامة السيّد الصدر في ترجمة الشهيد عند البحث عن مصنّفاته:

والحواشي النجّارية، وهي حاشية على قواعد العلّامة، رأيتها عند السيّد عليّ آل بحر العلوم، أكبر من نكت الإرشاد [٣].

د) قال العلّامة السيّد الأمين في ترجمة أحمد بن النجّار:

هو العالم الجليل الفقيه من خواصّ تلامذة الشهيد الأوّل صاحب الحاشية المعروفة بالنجّارية على القواعد، ذكر فيها إفاداتِ الشهيد وتحقيقاته على القواعد، وهي حاشية جليلة مشحونة بالفوائد، ويأتي في ترجمة الشيخ حسن بن عليّ بن حسن النجّار ظنّ صاحب الرياض أنّه هو صاحب الحاشية النجّارية، وليس الأمر كذلك... وبيّنّا هناك أنّ سبب نسبتها إلى الشهيد أنّها من تقريراته وتحقيقاته وإفاداته فراجع [٤].

هـ) قال الشيخ آقا بزرگ الطهراني:

ـ أحمد بن النجّار، جمال الدين، كان من أجلّاء تلاميذ الشهيد... وله الحواشي النجّارية على القواعد... مشحونة بتحقيقات الشهيد وإفاداته، طبع أكثرها على هامش القواعد ١٣١٥. كتب بخطّه القواعد والفوائد للشهيد وقرأه على شمس الدين محمّد بن محمّد العريضي وكتب العريضي عليه بخطّه ماصورته: «أنهاه أيده الله قراءةً وبحثاً و شرحاً وفهماً (وفّقه الله للعمل به) في مجالس متفرقة وأوقات مختلفة آخرها يوم الأربعاء ١٨/ع ١/٨٢٣وكتب العبد الفقير إلى الله تعالى محمّد بن محمّد العريضي» ثمّ قابل عليّ بن عليّ بن طيّ نسخته التي كتبها بخطّه في ٨٣٥ بنسخة خطّ صاحب

١. رياض العلماء، ج ١، ص ٣٨٧؛ وانظر أيضاً بحار الأنوار، ج ١١٠، ص ١٦٦، ١٦٨.
٢. تعليقة أمل الآمل، ص ٧٨.
٣. تكملة أمل الآمل، ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩.
٤. أعيان الشيعة، ج ٣، ص ١٩٤، وانظر أيضاً ج ٥، ص ١٨٥ منه.

الترجمة ودعا له بـ«تغمّده الله برحمته»، فيظهر وفاته بين التاريخين ٨٢٣و ٨٣٥[١].

ـ الحاشية عليه [أي على القواعد] للشيخ جمال الدين أحمد بن النجّار، من أجلّاء تلاميذ الشيخ الشهيد... وطبعتْ جملة من هذه الحاشية مع القواعد في ١٣١٥، وقد يقال لها: الحواشي النجّارية[٢].

ـ الحاشية عليه، للشيخ السعيد محمّد بن مكّي الشهيد... قال المولى كمالا في بياض الكمالي (المذكور في ج ٣، ص ١٧٠): «إنّها موجودة عند مولانا [العلّامة المجلسي]». أقول: وتوجد نسخة منها في بقيّة موقوفة الطهراني بكربلاء. وقال صاحب الرياض: «الحقّ أنّها بعينها الحواشي النجّارية التي دوّنها الشيخ جمال الدين أحمد بن النجّار تلميذ الشهيد»[٣]. أقول: ويظهر حقيقته بتطبيق ما في النسخة المذكورة مع المطبوع من النجّارية كما ذكرناه[٤].

ـ الحواشي النجّارية، ذكرنا في ج ٦، ص ١٦٩ أنّها حواشٍ على قواعد العلّامة، وطبع أكثرها على هوامش القواعد في ١٣١٥، وهو تأليف جمال الدين أحمد بن النجّار المتوفّىٰ بين ٨٢٣ ـ ٨٣٥[٥].

ـ شرح قواعد الأحكام، المعروف بالحواشي النجّارية... عبّر عنه في رياض العلماء بـشرح النجّارية[٦].

---

١. الضياء اللامع، ص ١١. وفي آخر مخطوطةٍ من ذكرى الشيعة للشهيد محفوظة في مركز إحياء الميراث الإسلامي في قم، برقم ٣٤١٩ (ذكرت في فهرسها، ج ٨، ص ٣٩٥):
«عورض هذا الكتاب الشريف... بنسخةٍ ـ معارَضةٍ بنسخة و ـ مصحَّحَةٍ بخطّ الفاضل الكامل الفقيه أحمد بن حسن بن محمود المشتهر بابن النجّار، من مشاهير تلامذة المصنِّف (قدّس الله روحه) وكان قد قرأها على المصنّف إلى... صلاة الغدير، وعليها خطّ المصنِّف (قدّس الله روحه) في عدّة مواضع، وكلّ ما كتب في حواشي هذا الكتاب ورسم في آخره: «ج» فهو علامة ابن النجّار، حيث كتبه في هوامش كتابه المقروء على مصنِّفه (قدّس سرّه العزيز) وكان الفراغ من مقابلة هذا الكتاب بالنسخة المزبورة في أواخر شهر رجب المرجّب من شهور سنة ثمان وثمانين وتسعمائة من الهجرة النبوية...».
فيظهر منها أنّ اسمه ونسبه هكذا: «أحمد بن حسن بن محمود».
٢. الذريعة، ج ٦، ص ١٦٩ـ١٧٠.
٣. رياض العلماء، ج ١، ص ٣٨٧.
٤. الذريعة، ج ٦، ص ١٧٢.
٥. الذريعة، ج ٧، ص ١١١.
٦. الذريعة، ج ١٤، ص ٢٢ ـ ٢٣.

ـ شرح قواعد الأحكام، للشهيد الأوّل محمّد بن مكّي، عبّر عنه بالشرح في رياض العلماء، وقد مرّ بعنوان الحاشية في ج ٤، ص ١٧٢[١].

كانت هذه كلمات العلماء وأهل الفنّ، ممّا وقفت عليه حول هذا الموضوع، ويُرى فيها اضطرابٌ كثير: فذهب صاحب الرياض إلى أنّ حاشية القواعد للشهيد هي بعينها الحاشية النجّارية، فيما عدّ الطهراني الحواشي النجّارية تارةً من تأليف ابن النجّار؛ وأُخرىٰ أيّدَ كلام صاحب الرياض حيث قال: «إنّها بعينها الحواشي النجّارية التي دوّنها... تلميذ الشهيد»؛ وقال ثالثةً: إنّ الحواشي النجّارية «مشحونة بتحقيقات الشهيد وإفاداته».

لكن العلّامة السيّد حسن الصدر يقودنا إلى أنّ الحواشي النجّارية هي من تأليف الشهيد، وليس هناك حاشيتان: إحداهما للشهيد، والأُخرى لابن النجّار.

وممّا يذكر أنّه طُبعَ قسم كبيرٌ من حاشية القواعد ـ من النكاح إلى آخر الكتاب ـ في هوامش قواعد الأحكام عام ١٣١٥، وهو يحمل توقيع «نجّارية». كما أنّه كتب قسم من حاشية القواعد على هامش بعض نسخ القواعد المخطوطة، منها مخطوطة مكتبة آية‌الله المرعشي رحمه الله، المرقّمة ١٢٩٢[٢].

إنّ الرأي الفصل في هذا الأمر يحتاج إلى مراجعة جميع النسخ الخطية المعروفة بحاشية الشهيد على القواعد أو حاشية ابن النجّار، وتفحّصها الواحدة تلو الأُخرى، وكخطوة أُولى لكشف اللبس عن هذا الموضوع نُعَرِّف ستّ نُسخ مسجّلة في إيران، وهي:

أ) مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ٢)، المرقّمة ١/ ٧٨٠.

ب) مخطوطة المكتبة المركزية لجامعة طهران، المرقّمة ١١٩٣[٣].

ج) مخطوطة مكتبة الوزيري بمدينة يزد، المرقّمة ١٣٢٣، نُسِختْ في القرن ٩، وأوّلها كأوّل مخطوطة مكتبة المجلس[٤].

د) مخطوطة مكتبة مدرسة الآخوند في همدان، المرقّمة ٤٥٨٤، نُسخت في عام ١٠٢٤[٥].

---

١. الذريعة، ج ١٤، ص ٢٣.
٢. ذكرت في فهرسها، ج ٤، ص ٨٨.
٣. ذكرت في فهرسها، ج ٦، ص ٢١٩٤ ـ ٢١٩٨.
٤. ذكرت في فهرسها، ج ٣، ص ٩٢٨.
٥. فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه‌های رشت و همدان، ص ١٣١٨.

هـ) مخطوطة مكتبة السيّد عبدالعظيم﵀ بالريّ، المرقّمة ١٩٤، نسخت في القرن ١١، وتختلف مع مخطوطة مكتبة المجلس ومخطوطة جامعة طهران في موارد كثيرة. أوّلها ـ بعد البسملة ـ:

قال (قدّس الله سرّه) في أوّل خطبة القواعد: «الحمد للّه». الحمد هو الثناء بجميلٍ على جهة التعظيم والتبجيل على الأفعال الحسنة الاختيارية [١].

و) مخطوطة مكتبة العلّامة الطباطبائي في كلّية الطبّ بجامعة شيراز، المرقّمة ١٠٢٦ـ كما ذكرها المرحوم الأُستاذ العلّامة السيّد عبد العزيز الطباطبائي﵀. أوّلها:

بسم الله... وبه ثقتي، وعليه تُكلاني في الابتداء والانتهاء، ربِّ وفِّق لما تحبّ وترضىٰ، قوله (قدّس الله سرّه): «في أنواعها» أي أنواع الطهارة [٢].

ومن بين النسخ المذكورة لديّ نسخة مصوّرة عن مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي؛ مصوّرة مخطوطة المكتبة المركزية لِجامعة طهران، وورد كلام مبسوط حولها في فهرسها [٣]. وأمّا سائر المخطوطات المذكورة آنفاً فلم تتوفّر لدينا معلومات عنها سوىٰ ما ذكر في فهارسها، وهي قاصرة وغير مُجْدية. وأمّا هاتان المخطوطتان ـ أعني مخطوطة المكتبة المركزية لجامعة طهران ومخطوطة مكتبة المجلس ـ فإليك وصفهما:

أ) نُسختْ مخطوطة مكتبة جامعة طهران في الكرك غرّة شوّال سنة ٨٨٤، وصرّح ناسخها بأنّها نُقلتْ من نسخةٍ بخطّ المزيدي. وجاء في آخرها:

... قوله: «بألفاظ مختصرة وعبارة [كذا، ظ: عبارات] محرّرة»، إشارة إلى هذين المعنيين. قوله: وطريقة [كذا، ظ: طريق] السداد» [٤]. هذا آخرما وجد من الحواشي على قواعد الشيخ جمال الدين أحمد بن النجّار (قدّس الله نفسَه ورَوَّحَ رمسه). ... فرغ العبد محمّد بن عبدالعلي بن هاشم الحسيني من نسخها في الكرك يوم عيدالله غرّة شوّال من سنة أربع وثمانين وثمانمائة.

---

١. نشرية نسخه‌های خطی، العدد ٣، ص ٤٦٣.
٢. ميراث إسلامي إيران، ج ١، ص ٤٢٥.
٣. فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه مرکزی، ج ٦، ص ٢١٩٤ ـ ٢١٩٨.
٤. ليس لـ«طريقة السداد» في المخطوطة شرحٌ.

وهذه المخطوطة مطابقة لمخطوطة مكتبة المجلس الشورى الإسلامي وكاملةٌ سوى عدّة أوراق سقطت من أوّلها. وهاتان المخطوطتان تختلفان في بعض الموارد مع ما طبع في هوامش القواعد عام ١٣١٥ يحمل توقيع «نجّارية»[١].

ب) أمّا مخطوطة مكتبة المجلس فقد نَسَخَها محمّد بن أحمد بن إبراهيم الفقعاني في الخامس عشر من ذي القعدة عام ٨٥١ في ١٩٤ ورقة، ولم يسقط من أوّلها وآخرها شيء، وهي أكمل من مخطوطة مكتبة جامعة طهران.

وقد كانت هذه المخطوطة في مكتبة الدكتور حسين مفتاح الخاصّة ـ كما ورد في فهرسها[٢] ثمّ نقلتْ بعد ذلك إلى مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ٢). أوّلها ـ بعد البسملة والحمدله ـ:

> وبعد، فإنّي لمّا وقفت على كتاب قواعد الأحكام التي هي بخطّ الشيخ الفاضل جمال الدين أحمد بن النجّار (قدّس الله روحَه) ونظرت في حاشيتها بخطّه لمعاً مترجمة عن مكنون أسرارها... وكاشفةً لقناع أستارها، فرأيت أنْ أُونس وحشتها بجمع شملها... ولأنّها إذا كانت في وطن جامع مصون، ومسكن واسع مأمون، كان أسعد لمن يريد المجالسة لفوائدها... مستمدّاً من الله تعالى المعونةَ والتسهيل، والإرشاد إلى سواء السبيل؛ فهو حسبنا ونعم الوكيل.
>
> قوله: «رافع درجات العلماء...» إشارة إلى ما ذكره ابن بابويه ... .

وآخرها:

> ... قوله: «بألفاظ مختصرة وعبارة [كذا] محرّرة»، إشارة إلى هذين المعنيين.
>
> قوله: «وطريق السداد» هو إصابة الحقّ. هذه آخر ما وجد من الحواشي على قواعد الشيخ جمال الدين أحمد بن النجّار.

وتُرىٰ في هذه الحاشية فوائد جمّة وتحقيقات رشيقة، ويُرىٰ فيها كثير من المطالب بتوقيع «فخر» (أي فخر المحقّقين) كما في الورقتين ٣٨ ـ ٣٩؛ و«شيخ» كما في الأوراق ٣٢، ٣٨، ٤٤، ٤٥؛ و«شيخنا» كما في الورقة ٣٥؛ وعلامات أُخرى.

---

١. انظر فهرست نسخه‌های خطی کتابخانهٔ مرکزی، ج ٦، ص ٢١٩٤.
٢. نشرية نسخه‌های خطی، العدد ٧، ص ٢٢٩.

وإليك بعض مطالبها:

قوله: «وهل يسقط الهدي مع الاشتراط في المحصور والمصدود؟ قولان». قال شيخنا فخرالدين رحمه الله: «المراد بهذا من اجتمع له الحصر والصدّ حذراً من التكرار»[١].

قوله: «للإتمام مع احتمال البطلان». عليها بغير خطّه (أي المصنّف): «المقصود هنا بالإتمام إكمال الشوط الناقص، بحيث لا يجعل المبدأ منتهى، ويبتدئ الطواف منه ثمّ يأتي إلى الحجر لاشتماله على زيادة الشوط». قال فخر: «هذه الحاشية ليست بخطّ المصنِّف، وإنّما هي بخطّ مولانا زين الإسترآبادي، وهو من جملة فضلاء تلامذة المصنّف في المعقول، كتبها ولم يفهم المسألة. وكان قد اشتهر بين تلامذة والدي أنّ المراد أنْ ينويَ عند الحجر الإتمام، أي يأتي بستّة أشواط إتمام الشوط الأوّل، ثمّ يأتي بنيّة أُخرىٰ عند إتمام الستّة بشوط سابع، ويبطل ذلك، فكأنّه قد نوى الطوافَ بنيّتين؛ فاللام يتعلّق بالنيّة، أي ينوي الإتمام. ـ قال ـ: ولا يصحّ أنّ اللام للتعليل، أي لأنّه أتمّ الواجبَ عليه، وهو النيّة ومقارنتها والإتيان بجميع الأشواط، وإذا أتى بتمام ما وجب عليه خرج عن العهدة. ويحتمل البطلان؛ لأنّه زاد في الواجب، وهو الشوط الأوّل الناقص، حيث لم يبطله. وليس بجيّدٍ؛ لأنّ الفعل قبل النيّة لا اعتبار به، ولا يكون زيادةً في الواجب، لأنّ تجديد النيّة أبطله. فقوله: «فمنه» الضمير يرجع إلى الحجر، والمراد أنْ يجدّد النيّة للطواف، ويُهْمِلَ الشوطَ الأوّل، فلا ينوي إبطاله ولا اعتباره؛ أمّا لو نوىٰ اعتبار الشوط الأوّل فإنّه زاد في طواف الفريضة. ويشكل بأنّ الزيادة قبله فلا تؤثّر»[٢].

قوله: «ولو ظنّ الآكِلُ ناسياً الفسادَ فتعمّده وجبت الكفّارة». وجه وجوب الكفّارة أنّه أفطر في يومٍ من شهر رمضان متعمّداً لغير عذرٍ... والاحتياط وجوبها في هذه الصورة. (هذه الحاشية بخطّ الشهيد على قواعد ابن النجّار)[٣].

قوله: «ولا يجوز التصرّف في حقّه عليه السلام إلّا بإذنه، والفائدة حينئذٍ له»، فلو استولى غيرنا من المخالفين عليها فالأصحّ أنّه يملك، لشبهة الاعتقاد كالمقاسمة، ويملك الذِّمّيُ الخمرَ والخنزير، فحينئذٍ لا يجوز انتزاع ما يأخذه المخالف من ذلك كلّه. وكذا ما يؤخذ

١. الورقة ٥٠ ب؛ وانظر جامع المقاصد، ج ٣، ص ٣٠٠.
٢. الورقة ٤٦ ب ـ ٤٧ ألف؛ وانظر جامع المقاصد، ج ٣، ص ١٩٠ ـ ١٩١.
٣. الورقة ٣٨ ب.

من الآجام ورؤوس الجبال وبطون الأودية لا يحلّ انتزاعه مِن آخذه، وإنْ كان كافراً، وهو ملحق بالمباحات المملوكة بالنيّة لكلِّ متملِّكٍ، وآخذه غاصبٌ تبطل صلاته في أوّل وقتها حتّى يردّه إلى مالكه. (وكتب محمّد بن مكّي) [١].

والجدير بالذكر أنّ بعض المطالب التي نقلها المحقّق الكركي في جامع المقاصد عن حاشية الشهيد على القواعد ـ وكذلك عن فخرالدين شيخ الشهيد ـ موجود في هذه المخطوطة؛ ومن جهةٍ أُخرى تختلف هذه المخطوطة في بعض الموارد مع ما طبع بتوقيع «نجّارية» في هامش القواعد، كما تقدَّم. وتوجد في الحاشية المطبوعة في هامش القواعد بتوقيع «نجّارية» مطالب منقولة عن الشهيد بتعبير «الشهيد»، فعلى سبيل المثال:

ـ... قاله الشهيد رحمه الله (نجّارية) [٢].

ـ... وقال الشهيد: يمكن المساواة... (نجّارية) [٣].

ـ... وهو اختيار الشهيد... (نجّارية) [٤].

فعلى ما مرّ لا يمكن القول ـ بأنّ جميع ما في هذه المخطوطة ـ أو ما طبع في هامش القواعد بتوقيع «نجّارية» ـ هو تأليف الشهيد رحمه الله.

والمستفاد من القرائن أنّ بعض حواشي الشهيد ـ على أقلّ تقدير ـ كان بخطّه الشريف على نسخة القواعد التي نسخها ابن النجّار، كما سبق. ولكنّ الشهيد لم يوفّق لتدوين ما كتبه من الحواشي في كتاب مفرد كسائر تأليفاته، ومن جهة أُخرى كتب تلميذه أحمد بن النجّار ما سمعه من الشهيد أو أملاه الشهيد في نسخته من القواعد. والمتبقّي لنا من حاشية القواعد مركّب ممّا كتبه الشهيد في نسخة القواعد لابن النجّار ـ ولم يدوِّنْها في كتاب مفرد ـ وما كتبه تلميذه ممّا سمعه منه أو أملاه عليه، وهذا علّة تسميتها بالحاشية النجّارية. ونقلَها من نسخة ابن النجّار ودوّنها بعض الفضلاء في نسخة مفردة وربما زاد عليه بعض النساخ في بعض النسخ حواشي لغير الشهيد ومن هنا تختلف النسخ زيادةً ونقيصةً. والله العالم.

---

١. الورقة ٣٧ ألف.
٢. قواعد الأحكام، ج ٢، ص ٢٧٣، الهامش.
٣. قواعد الأحكام، ج ٢، ص ٢٧٣، الهامش.
٤. قواعد الأحكام، ج ٢، ص ٣٤٢، الهامش.

ونشرت هذه الحاشية لأوّل مرّةٍ ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٤.

● *خلاصة الاعتبار في الحجّ والاعتمار* ← *المنسك الصغير*

١٣ . الدروس الشرعيّة في فقه الإماميّة

كتابٌ في أكثر أبواب فقه، من أدقّ كتب الشهيد الفقهية وأشهرها، كتبه في أواخر عمره الشريف بطلب ولديه أبي طالب محمّد وأبي القاسم عليّ، وذلك بعد شروعه في تأليف الذكرى والبيان، كما ذكره في مقدِّمته بقوله:

... أمّا بعد، فإنّ علم الفقه لا يخفى شرفه وعلوّه، ومقداره وسموّه، وعموم حاجة المكلّفين إليه، وإقبال الخلائق عليه. وقد صنَّفَ علماء الأصحاب (رضي الله عنهم) فيه الكثير، وخرج عنهم الجمّ الغفير، المتّصل بأصحاب آية التطهير... فلمّا انتهت النوبة إلينا أحببنا أن ننسج على منوالهم، ونقتدي بهم في أقوالهم وأفعالهم، فكتبنا في ذلك ما تيسّر من الذكرى والبيان، وعزّزناهما بهذا المختصر للتبيان؛ لاقتضاء الولدين الموفّقين ـ إنْ شاء الله ـ: أبي طالب محمّد وأبي القاسم عليّ (رفع الله عنهما الضيرَ ووفّقهما والمؤمنين للخير) وسمّيناه بالدروس الشرعيّة في فقه الإمامية [١].

أبدع الشهيد في هذا الكتاب ترتيباً لم يسبقه إليه سابق ـ كما مرّ تحت عنوان «مكانته العلمية والأخلاقية وبعض آرائه» في الفصل السادس من الباب الأوّل ـ ونَقَلَ فيه آراءَ كثيرٍ من فقهائنا كابن بابويه والعماني وابن الجنيد والجعفي وغيرهم من الذين لم تصل إلينا كُتُبهم، ولم ينقل فيه من آراء العامّة شيئاً. وقال في آخر كتاب الحجّ منه:

وقد أتينا منه بحمد الله في هذا المختصر ما لم يجتمع في غيره من المطوّلات، فللّه الشكر على جميع الحالات [٢].

لم يوفّق الشهيد لإتمام الكتاب لاستشهاده، وخرج منه الطهارة إلى الرهن. وقد دوّنه الشهيد في جزئين: ضمّ الأوّل الطهارة حتّى آخر كتاب الإقرار [٣]، وضمّ الثاني من أوّل كتاب

١. الدروس الشرعيّة، ص ١، ط. القديمة؛ و ج ١، ص ٨٤، ط. الجديدة.
٢. الدروس الشرعيّة، ص ١٥٠ـ١٥١، ط. القديمة؛ و ج ١، ص ٥٠١، ط. الجديدة.
٣. في حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٦٣: ولعلّ الجزء الثاني يبدأ بالزكاة. وهذا سهوٌ بلا ريب.

المكاسب إلى الرهن، وقال في آخر الجزء الأوّل منه:

والله الموفِّق. تمّ الجزء الأوّل بعون الله وحسن توفيقه، وصلّى الله على خير خلقه محمّد النبيّ وآله وسلّم، ويتلوه في الجزء الثاني كتاب المكاسب [١].

قال الطهراني رحمه الله:

شرع فيه ٧٨٠، وفرغ من جزئه الأوّل ـ كما صرّح به في الرياض ـ آخر نهار الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلتْ من ربيع الثاني [كذا، والصواب: ربيع الآخِر] ٧٨٤ [٢].

أقول: ما ذكره الطهراني من تاريخ شروعه في تأليفه فلا أدري ما هو مستنده، وأمّا تاريخ الفراغ من جزئه الأوّل فقد ورد في آخر هذا الجزء في بعض مخطوطاته القديمة بهذه العبارة:

وكان فراغه آخر نهار الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلتْ من شهر ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وسبعمائة... هذا آخر كلامه (زاد الله تعالى علوّ درجاته ومقامه)... [٣].

وقد ذكره الشهيد في إجازته لابن الخازن الحائري في الثاني عشر من شهر رمضان عام ٧٨٤ بقوله: «كتاب الدروس الشرعيّة في فقه الإمامية خرج منه نصفه في مجلّد» [٤]. وكلامه هذا يدلّ على أنّه قصد إلى تأليف دورة الفقه بهذا الشكل في مجلّدين. وبما أنّه طبع في ٤٠٦ صفحة، وقد شغل جزؤه الأوّل ٣٢٥ صفحة، والقسم المؤلّف من الجزء الثاني ٨٠ صفحة، فيستفاد منه ومن كلامه في إجازته لابن الخازن أنّه ألّف حوالي ربع الجزء الثاني من الكتاب.

وقد نهض العالم الجليل السيّد جعفر الملحوس لإكمال كتاب الدروس فألّف تكملة الدروس. قال المحدِّث النوري (طاب ثراه):

وممّا ينبغي التنبيه عليه... أنّ... الدروس غير تامٍّ، لا يوجد فيه من أبواب الفقه: الضمان، العارية، الوديعة، المضاربة، الوكالة، السبق والرماية، النكاح، الطلاق، الخلع، المباراة، الإيلاء، الظهار، اللعان، الحدود، القصاص والديات. ونهض لإكماله وإتمامه العالم الجليل السيّد جعفر الملحوس... [٥].

---

١. الدروس الشرعيّة، ص ٣٢٥، ط. القديمة؛ وج ٣، ص ١٥٥، ط. الجديدة.
٢. الذريعة، ج ٨، ص ١٤٥.
٣. مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، المرقّمة ٨٦٢٩.
٤. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٧.
٥. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٤٣٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٣٠٩، ط. الجديدة؛ وانظر الضياء اللامع، ص ٢٣، ٢٤، ١٣٢؛ الذريعة، ج ٢، ص ٢٨٢؛ وج ٣ وص ٣٤١؛ وج ٤، ص ٤١٣.

وفرغ السيّد جعفر الملحوس من تكملة الدروس في السادس والعشرين من شهر رجب الأصبّ عام ٨٣٦[١]. ومخطوطة تكملة الدروس موجودة بحمد الله ـ في مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة في مشهد برقم ١٤١٣٣[٢]، وفي مكتبة آية الله المرعشيﷺ برقم ٣١٥٦ ـ ولكنّها لم تطبع.

وقد أشار الشهيد في الدروس إلى غاية المراد، حيث قال:

ـ... وقد بيّنّاه في شرح الإرشاد[٣].

ـ... وقد حرّرنا هذه المسألة في شرح الإرشاد[٤].

وإلى الذكرى والبيان بقوله:

ـ... فكتبنا في ذلك ما تيسّر من الذكرى والبيان[٥].

ـ... وقد ذكرنا الروايات... في الذكرى[٦].

ـ... أوردنا طرفاً منه في الذكرى[٧].

ـ... وقد بيّنّاه في الذكرى[٨].

وإلى القواعد والفوائد بقوله:

... وقد حقّقناه في القواعد[٩].

طبع الدروس طبعةً حجرية عام ١٢٦٩ في طهران في ٤٠٦ صفحة بالقطع الوزيري، وطبع أيضاً في قم حوالي عام ١٤٠٠ بالأُوفست على الطبعة الحجرية. ثمّ نشر في ثلاثة مجلّدات بإعداد مؤسّسة النشر الإسلامي في قم، في الأعوام ١٤١٢ـ١٤١٤. ثمّ نشر في ثلاثة مجلّداتٍ بإعداد مجمع البحوث الإسلاميّة، في مشهد الرضا (عليه آلاف التحية

١. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٤٣٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٣١٠، ط. الجديدة.
٢. فهرست ألفبائى كتب خطى، ص ١٤٤ـ١٤٥؛ فهرس مكتبة الروضة الرضوية، ج ٢٠، ص ٩٦.
٣. الدروس الشرعيّة، ص ٥٩، ط.القديمة؛ وج ١، ص ٢٣٥، ط. الجديدة.
٤. الدروس الشرعيّة، ص ٢٧٥، ط.القديمة؛ وج ٢، ص ٤٠٤، ط. الجديدة.
٥. الدروس الشرعيّة، ص ١، ط.القديمة؛ وج ١، ص ٨٤، ط. الجديدة.
٦. الدروس الشرعيّة، ص ٢٥، ط.القديمة؛ وج ١، ص ١٤٧، ط. الجديدة.
٧. الدروس الشرعيّة، ص ٣٣، ط.القديمة؛ وج ١، ص ١٦٥، ط. الجديدة.
٨. الدروس الشرعيّة، ص ٣٥، ط.القديمة؛ وج ١، ص ١٧٢، ط. الجديدة..
٩. الدروس الشرعيّة، ص ١٨٩، ط.القديمة؛ وج ٢، ص ١٢٥، ط. الجديدة..

والثناء) في الأعوام ١٤١٧ ـ ١٤٢٦ ثمّ نشر عام ١٤٣٠ في قم، ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ٩ ـ ١١.

ومخطوطاته كثيرة جدّاً وقفنا على حوالى مأتي مخطوطةٍ له[١]، منها:

أ) مخطوطة مكتبة مدرسة النوّاب في مشهد، المرقّمة ٢٧ فقه[٢].

ب) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، المرقّمة ١٨٨٠، نسخت عام ٨٢٠.

ج) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، المرقّمة ٢١٧٢، نسخت عام ٨٢٦.

د) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، المرقّمة ٣٩٦٧، نسخت عام ٨٢٠.

هـ) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، المرقّمة ٨٦٢٩، نسخت عام ٨١٤.

و) مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، المرقّمة ٣٠، من كتب السيّد الطباطبائي، نسخت عام ٩٤٩ (ذكرت في فهرسها، ج ٢٤، ص ٤٨).

ز) مخطوطة مكتبة آية الله الحكيم؛ في النجف الأشرف، المرقّمة ١٢٢ نسخت عام ٩٦٧[٣].

ح) مخطوطة مكتبة ملّي في طهران، المرقّمة ١٥٠٦/ع، نسخت عام ٩١٢، (ذكرت في فهرسها، ج ١٠، ص ٤).

ط) مصوّرة مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، المرقّمة ٨٥٣، نسخت في القرن ٩، (ذكرت في فهرس مصوّراتها، ج ٢، ص ٣٣٠ـ٣٣١).

ى) مخطوطة مكتبة ملك الوطنية، المرقّمة ٦٠٦، نسخت عام ٨٢٨ ظ.

يا) مخطوطة مكتبة ملك الوطنية، المرقّمة ١١٨١، نسخت عام ١١٠٤.

يب) مخطوطة مكتبة ملك الوطنية، المرقّمة ١٣٥٠، نسخت في القرن ١١.

يج) مخطوطة مكتبة ملك الوطنية، المرقّمة ١٩٥٩، نسخت حوالي ٩٥٦.

يد) مخطوطة مكتبة ملك الوطنية، المرقّمة ٢٤٥٠، نسخت في القرن ١١ (ذكرت هذه

---

١. انظر الذريعة، ج ٨، ص ١٤٥ و ج ١٣، ص ٢٤٢؛ مقدّمه‌ای بر فقه شيعه، ص ١٣٦؛ فهرست ألفبائی كتب خطی، ص ٢٤٨؛ الضياء اللامع، ص ٢٣، ٣١، ٣٣، ٤٤، ٤٨، ٧٥، ٨٨، ٩٧، ١١٨، ١٣١؛ المحقّق الطباطبائي في ذكراه السنوية الأُولى، ج ٢، ص ٨٢.

٢. فهرست نسخه‌های خطی دو كتابخانه مشهد، ص ٤٥٦ـ٤٥٧.

٣. من نوادر مخطوطات مكتبة آية الله الحكيم العامّة، ص ٣٩ ـ ٤٢.

النسخ الخمس في فهرسها، ج ١، ص ٢١١ـ٢١٢).

يه) مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ٢)، المرقّمة ٨٠٧، نسخ قسم منها عليّ بن حسن بن عليّ في شهر رمضان عام ٧٨٥ في قرية جزّين، مولد الشهيد.

يو) مخطوطة مكتبة كلّية الإلهيات التابعة لجامعة طهران، المرقّمة ١٦٣ح، نسخت عام ٧٩٨.

يز) مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، المرقّمة ٨٨٢٥، نسخت عام ٨٢١.

يح) مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة، المرقّمة ٢٤٠١، نسخت عام ٨٢٢.

يط) مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدسة، المرقّمة ٧٦٤٧، نسخت عام ٩٦٢.

ك) مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدسة، المرقّمة ٢٣٩٧، نسخت عام ٩٦٤.

كا) مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدسة، المرقّمة ٢٧٣٧، نسخت عام ٩٧٧.

وللكتاب شروح وحواشٍ لا مجال لذكرها هنا[١]. منها مشارق الشموس في شرح الدروس، للمحقّق الخوانساري رحمه الله، وقد طبع على الحجر قديماً. قال الخوانساري في أوّله:

... ولمّا كان كتاب الدروس الشرعيّة في فقه الإمامية ... أحسنَ الكتب المصنّفة تحقيقاً وتهذيباً، وأتقن الرسائل المؤلّفة تدقيقاً وتقريباً، وأكثرها اشتمالاً على الفروع التي تعمّ بها البلوى، وأسدّها تنقيحاً للمسائل التي تشتدّ الحاجة إليها، **أحْبَبْنا** أنْ نشرحه شرحاً يوضح مقاصده الدقيقة، ويُجْلي مطالبه الأنيقة، ويُبيّنُ حقائقَ أنظاره، ويُظهرُ دقائقَ أفكاره، غير مقتصرين على حلّ الكتاب وبيان مبانيه، ولا مكتفين بكشف الحجاب عن عرائس معانيه، بل أوضحنا في كلِّ مسألةٍ مقاصدَ من تكلّم فيها، وأشْبعنا القول فيما يصحّ أنْ يقال لها أو عليها، وأوردنا من الأدلّة ما أمكن بلوغ الفهم إليها، وأطلنا النظر في متن كلِّ دليلٍ وسنده، وأجَلْنا الفكرَ في ردّ كلِّ مذهبٍ ونقده، وأعلنّا سرَّ الأقوال في الإبرام والنقض، وأمعنّا القولَ في ترجيح بعضها على بعض، وسمّيناه مشارق الشموس في شرح الدروس ...[٢].

---

١. انظر الذريعة، ج ٤، ص ٢٢٥؛ وج ٦، ص ٨٥؛ وج ٨، ص ١٤٥ ـ ١٤٦؛ مقدمه‌ای بر فقه شیعه، ص ١٣٦ ـ ١٣٧؛ فهرست نسخه‌های خطی کتابخانهٔ مرکزی، ج ٥، ص ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨؛ مرآة الكتب، ج ٢، ص ٢١٦؛ فهرس مخطوطات مكتبة آية الله المرعشي، ج ٩، ص ١٥٩.

٢. مشارق الشموس، ص ٤ ـ ٥.

ونقل الجباعي في مجموعته [١] حواشي على الدروس من خطّ رضي الدين ابن مكّي ولد الشهيد، إليك نصّها:

كتاب اليمين

قوله: «لا الماء على الأقرب» [٢].

حاشية: من عدم تسمية... عرفاً....

قوله تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ**﴾ [٣].

قال في الدروس: قوله تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ**﴾ [٤] محمول على الذوق، واللحم لا يتناول الشحم والمخّ والدماغ والكبد والطحال والكرش والمصران والقلب على الأقوى.

قوله: «كالسُكنى وخدمة العبد، ففيها وجهان» [٥].

حاشية: من فساد أنّها المال في الانتفاع. ووجه العدم أنّ المتبادر إلى الفهم الأعيان لا المنافع.

قوله: «أو لم يخدّرها، على الأقرب» [٦].

حاشية: وجهه أنّه المتبادر في اللغة، ووجه اعتبار التخدير إمضاء العرف إيّاه، ولمّا لم يكن مطرّداً كان العمل على اللغة أولى.

كتاب الكفّارات [٧]

حاشية: الكفّارة عبارة عن طاعة مخصوصة مسقطة عقوبة ذنب أو مخفّفة له غالباً، وبقيد الأغلبيّة تدخل كفّارة قتل الخطأ، فإنّها ليست عقوبة عن ذنب.

قوله: «لرواية مقطوعة، واستحبّه» [٨].

حاشية: المقطوعة هي الموقوفة على الراوي من غير تسمية المرويّ عنه.

قوله: «أو السكران تردّد» [٩].

حاشية: من عدم النصّ، ومن أنّه لا... .

---

١. مجموعة الجباعي، الورقة ١٠٦ ب ـ ١٠٧ ألف.
٢. الدروس الشرعيّة، ج ٢، ص ١٧٢؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٠، ص ١٣٧.
٣. البقرة (٢): ٢٤٩.
٤ ـ ٧. الدروس الشرعيّة، ج ٢، ص ١٧٢؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٠، ص ١٣٧.
٧. الدروس الشرعيّة، ج ٢، ص ١٧٧؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٠، ص ١٣٩.
٨ و ٢. الدروس الشرعيّة، ج ٢، ص ١٧٩؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٠، ص ١٤٠.

قوله: «ولو سافر فيه فالأقرب الإفطار» [١].

حاشية: وجهه أنّه صومٌ واجب قد لا ينعقد في السفر، ومن توهّم التعيين على الإطلاق إذا كانت تلك الواقعة في السفر.

قوله: درس، «خصال الكفّارة أربع» [٢].

حاشية: سؤال: إن أُريد خصال جميع الكفّارات فهي زائدة عن هذه الأربع كالذبح والنحر والاستغفار، بل وقضاء الحجّ على قولٍ، وكفّارة الحيض، وإن أُريد مطلق الكفّارة فلا يحتاج إلى الأربع؟

جواب: المراد به الكفّارات الغالبة، وهي قسم ثالث [ظ]، وإنّما لم يذكر تلك الأقسام لسبقها في الحدّ وسبق الاستغفار وسبق كفارة الحيض في بابها.

قوله: «أو ثمنها إذا أمكن الاعتياض» [٣].

[**حاشية:**] إنّما ذكر الاعتياض ولم يذكر الشراء تعليقاً على العام، أو يدخل فيه الشراء والصلح وعوض الإجارة، وهبة... والإصداق والخلع.

قوله: «وفي المُظاهِر وجهان» [٤].

حاشية: من الضرر بالصبر وتحقّق الوجدان.

قوله: «وتباع ضيعته وتجارته وإن التحق بالمساكين كالدين» [٥].

[**حاشية:**] أي كما تباع في الدَين.

قوله: «ولو طُلِبَ منه النقد» [٦].

[**حاشية:**] أي الذي له مالٌ غائب.

قوله: «ويعتبر في الصحّة أُمور تسعة ـ إلى قوله: ـ وفي غيره على الأقوى» [٧].

حاشية: بناءً على أنّ المطلق يحمل على المقيّد، وقد تقرّر في الأُصول.

قوله: ز [السابع]: «النيّة، ويعتبر فيها الوجه» [٨].

حاشية: الوجه هو الصفة القائمة بالفعل مسَبِّبَة للأمر به كالوجوب والندب.

---

١. الدروس الشرعيّة، ج ٢، ص ١٧٩؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٠، ص ١٤١.
٢ ـ ٦. الدروس الشرعيّة، ج ٢، ص ١٧٩؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٠، ص ١٤٢.
٧. الدروس الشرعيّة، ج ٢، ص ١٨١؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٠، ص ١٤٣.
٨. الدروس الشرعيّة، ج ٢، ص ١٨٤؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٠، ص ١٤٥.

قوله: «لرواية أبي هاشم الجعفري» [١].

حاشية: منسوب إلى الطيّار.

قوله: «ولو أخذ الكبير ما يواري الصغير فالأشبه عدم الإجزاء» [٢].

حاشية: لأنّه لا يسمّى ثوباً بالنسبة إلى الآخذ، ووجه الجواز صدق اسم الثوب عليه، ولهذا يجزي لو كان المكسوّ صغيراً.

قوله: «وفي إجزائه للرجال عندي احتمال» [٣].

حاشية: إنّما قال عندي لأنّه لا نصّ فيه ولا ذكره الأصحاب. ووجه الاحتمال أنّه ثوبٌ في الجملة و«صالحٌ»؛ للإبدال بأثواب، فضلاً عن ثوب، وجائز لبسه للضرورة وفي الحرب. ووجه العدم تحريم لبسه لهم غالباً.

[كتاب العتق]

قوله: «كتاب العتق» [٤].

حاشية: العتق فكّ الرقبة عن المملوك بصيغة مخصوصة أو سبب مؤثّر تقرّباً إلى الله غالباً.

قوله: «وإيجابه» [٥].

حاشية: إشارة إلى الحديث المأثور عن النبيّ ﷺ بطريق أهل بيته وبطريق العامّة: «مَن أعتق مؤمناً أعتق الله العزيز الجبّار بكلّ عضوٍ منه عضواً له من النار» [٦]. وإن كان المعتق أُنثى ففي الحديث: «يعتق بكلّ عضوين منها عضوٌ من النار» [٧].

قوله: «ويكون استنقاذاً، لا شراءً» [٨].

حاشية: الاستنقاذ دفع عوضٍ عن يد عادية.

قوله: «ويستقرّ ملك الرجل على كلّ أحد سوى العمودين» [٩].

حاشية: إنّما قال «يستقرّ» ولم يقل «يملك» ليصدق الحكم؛ إذ لولا الملك لامتنع العتق،

---

١. الدروس الشرعيّة، ج ٢، ص ١٨٤؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٠، ص ١٤٦.
٢ و٣. الدروس الشرعيّة، ج ٢، ص ١٨٨؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٠، ص ١٥٠.
٤ و٥. الدروس الشرعيّة، ج ٢، ص ١٩٣؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٠، ص ١٥٣.
٦. الكافي، ج ٦، ص ١٨٠، باب ثواب العتق، ح ٣؛ تهذيب الأحكام، ج ٨، باب العتق وأحكامه، ح ٣.
٧. الكافي، ج ٦، ص ١٨٠، باب ثواب العتق، ح ٣؛ تهذيب الأحكام، ج ٨، باب العتق وأحكامه، ح ٣.
٨. الدروس الشرعيّة، ج ٢، ص ١٩٥؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٠، ص ١٥٤.
٩. الدروس الشرعيّة، ج ٢، ص ١٩٥؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٠، ص ١٥٥.

ومَن عبّر من الأصحاب بالملك أراد به قرار الملك فصرّح به هنا.

قوله: «ولا من السفيه والمفلّس بعد الحجر عليه»[١].

حاشية: قوله «بعد الحجر عليه» يعلم منه جواز عتقه قبل الحجر، وإن كان عليه دين مستوعب، وهذا القيد في محلّ الضرورة إن قرئت «المفلس» بالتخفيف، وفي التكميل وإزالة الوهم إن قرئ بالتشديد.

قوله: «وحملت على أنّه فعل ذلك مضارّة»[٢].

حاشية: قال (أعلى الله درجاته): هذا الحمل سمعناه مذاكرةً، وينسب إلى طومان بن أحمد﵀.

والشيخ الأعظم الأنصاري شرح قسماً من الدروس وطبع ضمن سلسلة آثاره[٣].

وعلى ظهر مخطوطة الدروس المحفوظة في مكتبة النوّاب في مشهد الرضا عليه السلام ما لفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الفقير إلى رحمة ربّه وعفوه وكرمه أبوطالب محمّد ولد المصنّف شمس الدين محمّد بن مكّي: أذكر هاهنا اصطلاح والدي (عليه منّي السلام) في هذا الكتاب في تسمية علمائنا (رضوان الله عليهم) ممّا تفرّد به؛ فإذا ذكر «الفاضل» عني شيخنا جمال الدين ابن المطهّر؛ وبـ«المحقّق» نجم الدين بن سعيد وعبّر عنهما بـ«الفاضلان»؛ وعن ابن أبي عقيل بـ«الحسن»؛ و«الحليان» ابن إدريس و شيخنا أبوالقاسم بن سعيد، ومع إضافة الجمع يضاف إليهما الفاضل؛ و«الشاميان» أبوالصلاح وابن زهرة﵄، ومع الإطلاق ينصرف إلى أبي الصلاح؛ و«الطرابلسي» يعني عبد العزيز بن البرّاج ولي قضاء طرابلس عشرين سنة؛ و«ابنا بابويه» الصدوق محمّد وأبوه عليّ ومع الإطلاق ينصرف إلى الصدوق إلّا مع التعيين؛ و«الشاميون» أبوالصلاح والقاضي وابن زهرة؛ و«التقي» أبوالصلاح. كذا وجدته بخطّه (رضوان الله عليه وعليهم أجمعين)[٤].

وتوجد مجموعة في مكتبة كلّية الطبّ بجامعة شيراز تضمّ غاية المراد والدروس. كتبها

---

١. الدروس الشرعيّة، ج ٢، ص ١٩٦؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٠، ص ١٥٦.
٢. الدروس الشرعيّة، ج ٢، ص ٢٠٠؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٠، ص ١٥٩.
٣. تراث الشيخ الأعظم، ج ٥، ص ٣٧٣ ـ ٣٨٣، كتاب الطهارة.
٤. وانظر الفوائد الطريفة، ص ٥٧٨ ـ ٥٧٩؛ رياض العلماء، ج ٧، ص ٨١.

محمّد زمان بن جعفر الشولستاني وفرغ من كتابة الدروس في الخامس من ربيع الأوّل سنة ١٠٦٣، وعليها نقلاً عن خطّ ابنه محمّد:

هذا ما وجدتُ من هذا الكتاب بخطّ مصنِّفه والدي (عليه منّي السلام). وانتظم اندراجه ثالث مرّة تعليقاً لنفسه في سلك التحرير بعون الملك القدير بالقاعة الميدانية [خ ل: المدينة] تحريراً في يوم الإثنين يَضُوعُ نشره والشهر العربي المحرّم كاد أن يُطوى نشره، موافقاً للشهر الرومي كانون الثاني كاد أن يُطفىٰ ذكره، وعام سبعمائة انتظم إليه مع أحد و ثمانين عشراً [خ ل: مع أحد وعشرين] انتظاماً أحْدَبَ أطرافَه ونَوَّعَ أصنافه العبدُ المحتاج إلى الصمد، ولدُه الأكبر أبوطالب محمّد (سهّل الله مآربَه وحَصَّلَ مطالبه بمحمّد وآله المنتجبين للشريعة والدين، وصحابته الموفين بعهده، الأكرمين من بعده، (صلوات الله عليهم أجمعين، آمين ربَّ العالمين) ولله الحمد والمنّة والكرم والجود، ربِّ اختم بالخير [1].

ثمّ اعلم أنّ المحقّق الكركي قال في رسالته صلاة الجمعة:

... إنّ عبارة الدروس على خلاف ذلك، وهي بعد الذكرى وسمعنا كثيراً من بعض أشياخنا رحمهم الله أنّه رحمه الله كان يقول: «خذوا عنّي ما في الدروس» [2].

والجدير بالذكر أنّ الدروس كان موضع اهتمام الفقهاء منذ تأليفه، والدليل على ذلك إجازاتهم على نسخ الدروس المخطوطة نأتي هنا بنماذج منها:

١. إجازة ابن فهد الحلّي للشيخ ناصرالدين محمّد بن أحمد بن المتوّج البحراني، على آخر كتاب الدروس، وهي على مانقله صاحب الرياض هكذا:

أمّا بعد حمدالله، فقد قرأ عليّ المولىٰ الشيخ الفاضل الورع العلّامة المحقّق المدقّق، صاحب الفهم الثاقب، والفكر الصائب، أفضل المجتهدين، زين الإسلام والمسلمين، شرف الملّة والحقّ والدين، أبو عبدالله ناصرالدين محمّد، نتيجة الإمام العالم المتبحّر، أفضل العلماء الراسخين، مكمّل علوم الأوّلين والآخرين، وارث الأنبياء والمرسلين،

١. ميراث اسلامى ايران، ج ١، ص ٤٤٠ ـ ٤٤١، «من تراثنا الخالد في شيراز». وذُكر هذا النصّ في سفينة شرف الدين محمّد مكّي، الورقة ٧، وفيه: «في سنة ١١٨٥ قد رأيتُ كتاب الدروس في مرشدآباد من بلاد الهند بخطّ ولد الشهيد مصنِّفه، وهذا صورة ما كتبه ابن الشهيد في آخره: هذا ما وجدت من هذا الكتاب...».

٢. حياة المحقّق الكركي، ج ٣، ص ٥٢٨ ـ ٥٢٩.

خاتمة المجتهدين، أبي العباس جمال الدين أحمد بن المتوّج البحراني (أدام الله تعالى فضائله) هذا الكتاب من أوّله إلىٰ آخره، قراءة بحث وإيقان وتحفّظ وإتقان، قراءةً تشهد بفضله، وتدلّ علىٰ نبله، وسأل في أثناء قراءته عمّا أشكل من هذا الكتاب، وكانت الاستفادة منه أكثر من الإفادة له.

وأجزت له روايته عنّي، عن الشيخ الفاضل السعيد الموفّق الشهيد [كذا] ضياء الدين أحمد [كذا، والصواب: عليّ] ابن الشيخ الإمام الفاضل، جامع الفضائل، مكمّل علوم الأواخر والأوائل، التقي السعيد الموفّق الشهيد، أبي عبدالله محمّد بن مكّي مصنّف الكتاب عنه.

وأن يروي عنّي، عنه، عن والده شمس الدين محمّد بن مكّي جميع مصنّفاته ومؤلّفاته.

وأجزت له أيضاً أن يروي عنّي جميع مصنّفات الشهيد أبي عبدالله محمّد بن مكّي، ومقروّاته ومجازاته، عن الشهيد [كذا] السعيد المرحوم زين الدين عليّ بن حسن الخازن الحائري، عن الشهيد قدس سره.

وأجزت أيضاً للشيخ أبي عبدالله ناصرالدين ابن المتوّج (أدام الله تعالى [كذا]) أن يروي عنّي جميع مصنّفات الإمام الأعظم...، محمّد بن الحسن بن المطهّر رضي الله عنه، وجميع مصنّفات والده الإمام الأعظم العلّامة مفتي الفرق، أبي منصور الحسن بن المطهّر، وجميع مقروّاته ومجازاته.

وعن شيخي الإمام المقدّس الفاضل نظام الدين عليّ بن عبدالحميد النيلي، عن شيخه فخرالدين، عن والده.

وعنّي عن شيخي المذكور، عن والده جميع مصنّفات الإمام أبي القاسم جعفر بن سعيد.

وأن يرويَ عنّي بهذا السند جميع كتب أصحابنا، فليرو ذلك لمن شاء وأحبّ، فهو أهل ذلك (وفّقه الله تعالى وإيّانا لمراضيه، وأعانه وأيّانا على امتثال أوامره، والإنزجار عن نواهيه؛ إنّه ولي ذلك).

وكتب العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن محمّد بن فهد الحلّي، في ثاني ذي القعدة الحرام، من سنة تسع وثلاثين وثمانمائة، والحمدللّه وحده[1].

---

١. الفوائد الطريفة، ص ٤٦٠ ـ ٤٦٢.

٢. إجازة عليّ بن حسن بن محمّد الإسترآبادي على مخطوطة «الدروس» التي كانت في مكتبة دار العلم لآية الله الخوئي﵀ في النجف الأشرف[١]، برقم ٥٦:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدللّه ربّ العالمين، والصلاة على خير خلقه محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين وسلّم تسليماً.

أمّا بعد، فإنّ السيّد الفاضل الكامل العالم العامل المحقّق المدقّق الورع جامع الفروع والأُصول مدرِّس المعقول والمنقول عزّ الملّة والدنيا والدين حسن ابن السيّد المعظم المكرم حمزة ابن السيّد المرحوم المغفور أبي القاسم بن محسن بن الحسين بن الحسن بن عليّ بن الحسين بن حمزة بن محمّد بن محمّد بن الحسين العزيزى بن الحسين بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن عبدالله بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمّد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب﵇ (أدام الله سعادته وأيّامه، وأسْبغ عليه إنعامه) قرأ عليَّ بعض كتاب «الدروس» في علم الفقه من تصنيف الشيخ العالم الكامل الشهيد شمس الدين محمّد بن مكّي﵀ وسمع الباقي إلى تمام ما صنَّفه قِراءةً مرضيّةً وسماعاً مرضيّاً وسأل من مشكلاته فبيّنت له بياناً وافياً.

وأجزتُ له روايةَ هذا الكتاب عنّي وغيره من مصنَّفات علمائنا من العلوم الدينيّة عنّي عن مشايخي منهم السيّد الفاضل المحقّق إمام المجتهدين السيّد رضي الملّة والدين حسن بن عبدالله بن محمّد ابن عليّ الأعرج العلوي الحسيني المكّنى بأبي سعيد، عن شيخه المولى الإمام الأعظم فخر الملّة والدين أبي طالب محمّد ابن المولى الشيخ الإمام جمال الحقّ والدين أبي منصور الحسن، عن نجم الدين أبي القاسم بن سعيد، عن ابن نما، عن ابن إدريس، عن عربى بن مسافر العبادي، عن حسن بن رطبة ومحمّد بن طحال المقدادي، عن الشيخ أبي عليّ، عن والده أبي جعفر الطوسي، عن المفيد، عن محمّد بن قولويه، عن محمّد بن بابويه، عن محمّد بن يعقوب، عن عليّ بن إبراهيم عن الإمام المعصوم الحسن العسكري (صلوات الله عليهم أجمعين).

وقد أجزتُ له أيضاً بإجازتي بهذا الإسناد المذكور عن السيّد العالم الفاضل الفائق على

---

١. ذكرت في فهرسها، ص ٦٤.

أقرانه، وحيد دهره وفريد عصره، السيّد جمال الملّة والدين خاتم المجتهدين محمّد بن عبدالمطّلب الحسيني (قدَّس الله روحه) فليروِ ويُدرِّس لمن شاء وأحبّ؛ لأنّه أهل ذلك. وكتبه العبد الفقير عليّ بن حسن بن محمّد الإسترآبادي يوم التاسع من شهر جمادى الآخرة يوم الأحد سنة ثمان وعشرين وثمانمائة. والحمدللّه ربِّ العالمين، والصلاة على سيّدنا محمّد وآله أجمعين. ربّ اختم بالخير.

وكتب المجيز على نسخة أُخرى من الدروس ـ محفوظةٍ في مكتبة آية الله الگلپايگانيﷺ في قم برقم ١٢٥ ـ إجازةً لشهاب الدين أحمد بن علاء الدين النيلي في الرابع عشر من ربيع الآخر عام ٨٣٠.

١٤ . ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة

كتاب استدلالي مسهبٌ في الفقه، وفّق الشهيد لتأليف الجزء الأوّل منه فقط، في أوّله مقدِّمة فيها سبع إشارات في المباحث الأُصولية. وهو في الطهارة والصلاة، ولكن باب الطهارة مندرج في كتاب الصلاة، ويبدأ بعد المقدِّمة بكتاب الصلاة، قال الشهيد في أوّله:

... أمّا بعد، فهذا كتاب ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، أوردتُ فيه ما صدر عن سيّد المرسلين بواسطة خلفائه المعصومين، ممّا دلّ عليه الكتاب المبين وإجماع المطهّرين والحديث المشهور والدليل المأثور... وتنتظمه مقدِّمة وأقطابٌ أربعة. أمّا المقدِّمة ففيها إشاراتٌ سبع... وأمّا الأقطاب فأربعة.

أوّلها: العبادات، وهو فعل وشبهه مشروط بالقربة، والجهاد ونحوه غايتان، فمن حيث الامتثال المقتضي للثواب عبادة، ومن حيث الإعزاز وكفّ الإضرار لا يشترط فيه التقرّب، وما اشتمل عليه باقي الأقطاب من مسمّى العبادة من هذا القبيل؛ وأمّا الكفّارات والنذور فمن قبيل العبادات، ودخولها في غيرها تغليباً أو تبعاً للأسباب.

وثانيها: العقود، وهي صيغة مشروطة باثنين ولو تقديراً لترتّب أمر شرعي.

وثالثها: الإيقاعات، وهي صيغة يترتّب أثرها بواحدٍ. ويطلق على هاتين: «المعاملات».

ورابعها: السياسات، وتسمّى الأحكام بمعنى أخصّ، وهو ما لا يتوقّف على قربة ولا صيغة غالباً.

وتقريب الحصر أنّ الحكم الشرعي إمّا أنْ يشترط فيه القربة أم لا، والأوّل العبادات،

والثاني إمّا ذو صيغةٍ أم لا، الثاني السياسات؛ والأوّل إمّا وحدانية أم لا، والأوّل الإيقاعات، والثاني العقود.

القطب الأوّل في العبادات: كتاب الصلاة... وشروط الصلاة ستّة في ستّة أبواب: الباب الأوّل: الطهارة[١].

وقال في آخره ـ أعني آخر الجزء الأوّل منه ـ:

وليكن هذا آخر المجلّد الأوّل من كتاب ذكرى الشيعة، ويتلوه ـ إن شاء الله تعالى ـ في المجلّد الثاني كتاب الزكاة[٢].

وقال في موضع منه: «سنذكر في الحجّ والعتق إنْ شاء الله تعالى»[٣]. وهذا يدلّ على أنّه كان عازماً على إتمام الكتاب، ولكن استشهاده محتسباً حال دون ذلك.

وفرغ منه ـ أعني من جزئه الأوّل ـ في الحادي والعشرين من صفر عام ٧٨٤، كما جاء في آخر مخطوطةٍ قديمةٍ منه، فرغ ناسخها من نسخها بعد فراغ الشهيد من تأليفه بعد خمس وأربعين يوماً من فراغ المصنّف:

فرغ منه يوم الثلاثاء لتسع بقين من صفر ختم بالخير والظفر سنة أربع وثمانين وسبعمائة. والحمد للّه ربّ العالمين، والصلاة والتسليم على أفضل المرسلين محمّد وآله الطيّبين الطاهرين صلاةً تامّةً إلى يوم الدين.

هذا آخر كلامه (مدّ الله تعالى في شريف أيّامه) فرغ منه العبد... أحمد بن حسن بن محمود يوم الجمعة المبارك لسبع مضين من شهر ربيع الآخِر من سنة أربع وثمانين وسبعمائة... .

قال الطهراني رحمه الله مشيراً إلى هذه المخطوطة:

رأيت نسخة عصر المصنِّف في طهران في مكتبة مجد الدين النصيري، وهي بخطّ الشيخ أحمد بن الحسن بن محمود... والظاهر أنّ الكاتب كان تلميذ الشهيد، وكان كلّ ما يخرج من قلم الشهيد يستنسخه التلميذ تدريجاً حتّى فرغ الشهيد في التاريخ المذكور، وفرغ التلميذ في نَيِّف وأربعين يوماً بعد تأليف الشهيد[٤].

---

١. ذكرى الشيعة، ص ٢ ـ ٧، ط. القديمة؛ وج ١، ص ٣٩ ـ ٦٩، ط. الجديدة؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ٥، ص ٣ ـ ٣٣.
٢. ذكرى الشيعة، ص ٢٧٩، ط. القديمة؛ وج ٤، ص ٤٧٧، ط. الجديدة؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ٨، ص ٣٢٧.
٣. ذكرى الشيعة، ص ٨٠، ط. القديمة؛ وج ٢، ص ١٠٥، ط. الجديدة؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ٦، ص ٢١.
٤. الذريعة، ج ١٠، ص ٤٠.

أقول: هذه المخطوطة محفوظة الآن في المكتبة المركزية لجامعة طهران، برقم ١٩٠٦[١].

وتوجد من الذكرى مخطوطات كثيرة[٢]، ووقفنا على أكثر من مائة مخطوطة له، منها:

أ) مخطوطة مكتبة إمام الجمعة في زنجان، نسخت عام ٨٤٧[٣].

ب) مخطوطة مكتبة ملّي في طهران، المرقّمة ١٨٤٢/ع، نسخت عام ٨٨٣[٤].

ج) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، المرقّمة ١٣٤٨، نسخت عام ٩٨٠[٥].

د) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، المرقّمة ٢٤٥١، نسخت في القرن ١٠[٦].

هـ) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، المرقّمة ٢٦٢٢، نسخت في القرن ١٠[٧].

و) مخطوطة مكتبة السيّد عبدالعظيم الحسني عليه السلام، المرقّمة ٤٠٥، نسخت عام ١٢٣٦[٨].

ز) مخطوطة مكتبة المتحف العراقي، المرقّمة ٣٠٨٦، تاريخ نسخها مجهول[٩].

وقال صاحب الرياض:

> رأيت في خزانة الشيخ صفي بأردبيل بخطّ الشيخ البويهي هذا [م ٨٥٢] كتاب الذكرى للشيخ الشهيد، وكان عليه من إفادات هذا الشيخ حواشٍ وتعليقات عديدة، وكان تاريخ كتابته سنة إحدى وخمسين وثمانمائة، وكتب على ظهره وفي آخره بخطّه هكذا: «بلغت المقابلة بنسخة الشيخ جمال الدين أحمد بن النجّار، وكان من أخصّ تلامذة الشيخ الشهيد محمّد بن مكّي، وقد قرأها عليه، وعليها تعليقات المصنِّف إلى صلاة السفر، وانعقطت القِراءة من هناك إلى آخر الكتاب». انتهى ما وجدته بخطّ هذا الشيخ[١٠].

وطبع الذكرى في طهران لأوّل مرّة عام ١٢٧١، بالقطع الرحلي بمعية تمهيد القواعد للشهيد الثاني، وأعادتْ طبعه ـ بالأُوفست على الطبعة الحجرية ـ مكتبةُ بصيرتي في قم

---

١. ذكرت في فهرسها، ج ٨، ص ٥٢١.
٢. انظر الذريعة، ج ١٠، ص ٤٠؛ الضياء اللامع، ص ٩؛ مقدمه‌ای بر فقه شيعه، ص ١٣٧.
٣. دليل المخطوطات، ج ١، ص ١٠٨.
٤. ذكرت في فهرسها، ج ١٠، ص ٤٢١.
٥. ذكرت في فهرسها، ج ٤، ص ١٢٥ـ١٢٦.
٦. ذكرت في فهرسها، ج ٧، ص ٤٨ ـ ٤٩.
٧. ذكرت في فهرسها، ج ٧، ص ١٩٩.
٨. نشرية نسخه‌های خطی، العدد ٣، ص ٤٦٥.
٩. ذكرت في فهرسها، ص ٢٣٩.
١٠. رياض العلماء، ج ٥، ص ٢٣٤.

حوالي عام ١٤٠٠. ثمّ نشر في أربعة مجلّدات بتحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، في قم المقدّسة، عام ١٤١٩. ثمّ نشر في أربعة مجلّداتٍ أيضاً في قم، عام ١٤٣٠، ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ٥ ـ ٨.

والجدير بالذكر أنّ الشهيد في الذكرى ردّ على بعض أوهام ابن تيمية وأباطيله، حيث قال:

عن أبي هريرة، عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «لا تشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى».

قلت: أجمع العلماء ـ إلّا مَن شَذَّ ـ على أنّ المراد بهذا النفي بالنسبة إلى المساجد، أي لا يصلح ذلك إلى مسجد غير هذه الثلاثة؛ لتقارب المساجد سواها في الفضل... وهذا النهي يراد به نهي التنزيه؛ لانعقاد الإجماع على عدم تحريم السفر إلى غير المساجد المذكورة، لتجارة أو قُربة من القُرب.

وقال بعضهم: المراد: لا يستحبّ شدّ الرحال إلّا إلى هذه، ولا يلزم من نفي الاستحباب نفي الجواز.

وارتكب واحدٌ من العامّة تحريم زيارة الأنبياء والأئمّة والصالحين عليهم السلام، متمسّكاً بهذا الخبر على مطلوبه، ذاهباً إلى أنّه لابدّ من إضمار شيءٍ هنا، ولتكن العبادة؛ لأنّ الأسفار المطلقة ليست حراماً[1].

هذا هو كلام ابن تيمية الذي توفّي قبل ولادة الشهيد وقد انبرى الشهيد رحمه الله لمجابهة هذا الانحراف علميّاً، وقال:

وهو تحكّمٌ محض؛ لأنّ إباحة الشدّ للأسفار المطلقة يستلزم أولويّة إباحته لما هو عبادة؛ إذ العبادة أرجح في نظر الشرع من السفر المباح، ويلزمه عدم الشدّ لزيارة أحياء العلماء وطلب العلم وصلة الرحم. وقد جاء: «من زار عالماً فكمن زار بيت المقدس». وورد: «اطلبوا العلم ولو بالصين». و«سِرْ سَنَتَين برّ والدَيك». ولا يخالف أحد في إباحة هذا مع أنّه عبادة.

فتعيّن أنّ المراد بالحديث: لا يستحقّ، أو لا يتأكّد، أو لا أولى بالشدّ من هذه الثلاثة، أو يضمر المساجد، كما سبقَ ذكره.

---

١. ذكرى الشيعة، ج ٣، ص ١١٠ ـ ١١١ ط. الجديدة، وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ٧، ص ٥٣ ـ ٥٤.

وهذا القائل كلامُه صريحٌ في نفي مطلق زيارة قبور الأنبياء والصلحاء؛ لأنّه احتجّ بأنّه لم يثبت في الزيارة خبرٌ صحيح، بل كلّ ما ورد فيها موضوعٌ بزعمه.

وكلّ هذا مراغمةٌ للفرقة المحقّة والطائفة الناجية، الذين يرون تعظيم الزيارات والمزارات، ويهاجرون إليها ويجاورون، وفي رضى الله تعالى لأهلهم وديارهم يفارقون، انعقد إجماع سلفهم وخلفهم على ذلك، وفيه أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، ويروون في ذلك أخباراً تَفوتُ العدَّ وتتجاوز الإحصاءَ، بالغة حدّ التواتر، وقد روى منها الحافظ ابن عساكر من العامّة طرفاً صالحاً، منها حديث: «وستكون حثالة من العامّة يعيّرون شيعتكم بزيارتكم كما تعيّر الزانية بزناها» وغيره.

مع أنّ جميع المسلمين مجمعون على زيارة النبيّ صلى الله عليه وآله منذ نَقَله الله إلى دار عفوه ومحلّ كرامته إلى هذا الزمان، ففي كلّ سنة يعملون المطيّ ويشدّون الرحال، ولا ينصرفون إلّا بعد السلام عليه، وانعقاد الإجماع في هذه الأعصار قبل ظهور صاحب هذه المقالة الشنيعة وبعده حجّةٌ قاطعة على هذا المقام، وأيّ حجّةٍ أقوى من إجماع جميع أهل الإسلام على زيارة النبيّ صلى الله عليه وآله بإعمال المطيّ وشدّ الرحال في كلّ عام. وأمّا الأخبار الواردة في زيارته، فهي كثيرة جدّاً قد ضمّنها العلماء في كتبهم المأثورة وسننهم المشهورة. مثل ما رواه أبو داود في سننه عن أبي هريرة: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «ما من رجلٍ يسلّم عَلَيَّ إلّا ردّ الله عَلَيَّ روحي حتّى أردّ عليه السلام». ولم يزل الصحابة والتابعون كلّما دخلوا المسجد يسلّمون على النبيّ صلى الله عليه وآله. ولا حاجة إلى الاستدلال بالأخبار في هذا المقام المجمع عليه، فإنّه عدولٌ من يقينٍ إلى شكّ، ومن علمٍ إلى ظنّ [1].

وللكتاب حواشٍ ذكرها الطهراني (طاب ثراه) [2].

وأشار الشهيد إلى الذكرى في كتبه: اللمعة والدروس وأجوبة مسائل الفاضل المقداد، حيث قال:

ـ... وقد حقّقناه في الذكرى [3].

---

١. ذكرى الشيعة، ج ٣، ص ١١١ ـ ١١٥ ط. الجديدة، وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ٧، ص ٥٤ ـ ٥٥.
٢. الذريعة، ج ٦، ص ٨٦ ـ ٨٧ وج ١٠، ص ٤٠؛ وانظر مقدمه‌ای بر فقه شيعه، ص ١٣٧ ـ ١٣٨.
٣. اللمعة الدمشقيّة، ص ٣٠.

ـ... وقد بيّنّا مأخذه في كتاب الذكرى [١].

ـ فكتبنا في ذلك ما تيسّر من الذكرى والبيان [٢].

ـ وقد ذكرنا الروايات الدالّة على القضاء عن الميّت لما فاته من الصلوات وأحكام ذلك في الذكرى [٣].

ـ... أوردنا طرفاً منه في الذكرى [٤].

ـ... وقد بيّنّاه في الذكرى [٥].

ـ... وقد بسطتُ المسألة في الذكرى [٦].

ـ... وقد أوردتُ خبرين في... في كتاب الذكرى [٧].

وقد أشار في الذكرى إلى كتابه الأربعين حيث قال: «...ذكرناه في الأربعين حديثاً» [٨].

١٥. الرسالة الألفية

رسالة وجيزة في فرض الصلاة، مرتّبة على مقدِّمة وثلاثة فصولٍ وخاتمة، لم يسمِّها الشهيد في مقدِّمتها ولا في مؤخّرتها باسم خاصّ؛ ولكنّه سمّاها في أوّل الرسالة النفلية باسم الرسالة الألفية [٩] وكذلك في إجازته لابن نجدة [١٠]. وعبّر عنها الشهيد الثاني أيضاً في الروضة بالرسالة الألفية [١١]، وسمّى شرحه لهذه الرسالة باسم المقاصد العلية في شرح الرسالة الألفية [١٢].

---

١. اللمعة الدمشقيّة، ص ٤٦.

٢. الدروس الشرعيّة، ص ١، ط.القديمة؛ و ج ١، ص ٨٤، ط. الجديدة؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ٩.

٣. الدروس الشرعيّة، ص ٢٥، ط.القديمة؛ و ج ١، ص ١٤٧، ط. الجديدة؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ٩.

٤. الدروس الشرعيّة، ص ٣٣، ط.القديمة؛ و ج ١، ص ١٦٥، ط. الجديدة؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ٩.

٥. الدروس الشرعيّة، ص ٣٥، ط.القديمة؛ و ج ١، ص ١٧٢، ط. الجديدة؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ٩.

٦. أجوبة مسائل الفاضل المقداد، ضمن رسائل الشهيد الأوّل، ص ٢٧٠؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨.

٧. أجوبة مسائل الفاضل المقداد، ضمن رسائل الشهيد الأوّل، ص ٢٧٤؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨.

٨. ذكرى الشيعة، ج ٤، ص ٢٧٧، ط. الجديدة؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ٨، ص ١٦٥.

٩. النفلية، المطبوع مع الألفية، ص ٨٢؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨.

١٠. بحارالأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٥.

١١. الروضة البهيّة، ج ١، ص ٢٧٨، ٢٧٩.

١٢. المقاصد العلية، ص ٤.

وما ورد من عبارة «في الواجبات» و«في فقه الصلاة» في كلام الشهيد ـ حيث قال: «وفّق الله سبحانه لإملاء الرسالة الألفية في الواجبات»[١]؛ «فممّا سمعه عليّ من مصنّفاتي... الرسالة الألفية في فقه الصلاة»[٢] ـ فليس جزءاً من اسمها، بل توضيح لمحتواها؛ وكذلك عبارة «في فقه الصلاة اليوميّة» في كلام الشيخ الحرّ العاملي[٣]، و«في الصلاة اليومية» في كلام بعض المعاصرين. نعم اشتهرتْ هذه الرسالة باسم الألفية اختصاراً، وذكرها أصحاب المعاجم في حرف الألف.

ذكر الشهيد السبب الداعي لتأليف هذه الرسالة في مقدِّمة الرسالة النفلية:

... أمّا بعد، فإنّي لمّا وقفتُ على الحديثين المشهورين عن أهل بيت النبوّة أعظم البيوتات، أحدهما عن الإمام الصادق أبي عبدالله جعفر بن محمّد (عليه وعلى آبائه وأبنائه أكمل التحيّات): «للصلاة أربعة آلاف حدّ»، والثاني عن الإمام الرضا أبي الحسن عليّ بن موسى (عليهما الصلوات المباركات): «الصلاة لها أربعة آلاف باب»؛ ووفّق الله سبحانه لإملاء الرسالة الألفية في الواجبات، ألحقتُ بها بيان المستحبّات، تيمّناً بالعدد تقريباً، وإن كان المعدود لم يقع في الخلد تحقيقاً، فتمّت الأربعة من نفس المقارنات، وأُضيف إليها سائر المتعلّقات. والله حسبي في جميع الحالات.

وهي مرتّبة ترتيب القادمة [أي الألفية] على مقدِّمةٍ وفصولٍ ثلاثةٍ وخاتمةٍ[٤].

وكذلك قال في إجازته لابن الخازن:

... ومن ذلك رسالتان في الصلاة تشتملان على حصر فرضها ونفلها في أربعة آلاف مسألة؛ محاذاةً لقولهم عليهم السلام: «للصلاة أربعة آلاف باب»[٥].

فالألفية تشتمل على ألف واجب في الصلاة، والنفلية تشتمل على ثلاثة آلاف نافلة فيها تقريباً.

وممّا يذكر أنّ عبارات الشهيد في هذه الرسالة ـ كبعض آثاره الأُخرى مثل النفلية

١. النفلية، المطبوع مع الألفية، ص ٨٢؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨.
٢. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٥، إجازة الشهيد لابن نجدة.
٣. أمل الآمل، ج ١، ص ١٨١.
٤. النفلية، المطبوع مع الألفية، ص ٨١ ـ ٨٢؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨.
٥. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٧.

واللمعة الدمشقيّة ـ في غاية الوجازة. قال الشهيد الثاني في شرحه للرسالة الألفية بهذا الشأن:

ـ ... وما أبدع هذه العبارة وأجمعها، وكم لها نظائر في هذه الرسالة (قدّس الله روحَ واضعها)[١].

ـ... فهذه نبذة من أحكام صلاة السفر، وجملة من شروطها قد أدرجها المصنِّف في هذه العبارة الجليلة المشتملة على الألفاظ الموجزة الجزيلة الآخذة بمجامع البلاغة ومعاقد الفصاحة[٢].

لم يذكر الشهيد في آخر الألفية تاريخ تأليفها؛ ولكنّه ذكرها في إجازته لابن نجدة في عاشر شهر رمضان عام ٧٧٠، بقوله: «فممّا سمعه عليّ من مصنّفاتي... الرسالة الألفية في فقه الصلاة»[٣] فيعلم منه أنّ الشهيد ألّفها قبل عاشر شهر رمضان عام ٧٧٠. وقال الشهيد الثاني بشأن الألفية: «هي من أوّل ما صنَّفه»[٤].

طبعت الألفية مكرّراً، منها: عام ١٣٠٨ في طهران طبعةً حجرية؛ ثمّ طبعت في مطبعة دار السلام ببغداد مع الحاشية الفتوائية للعالم المعروف محمّد مهدي الكاظمي، وكتب في أوّلها: «قد قوبلت فلا بأس بالعمل بها إن شاء الله تعالى مع ما علّقتُه من الحواشي عليها». ومنها: عام ١٤٠٤ في لبنان بإعداد الشيخ محمّد عسيران، ومنها: وعام ١٤٠٨ في قم بإعداد الشيخ عليّ الفاضل القائيني بمعية النفلية للشهيد. ومنها مع شرح الشهيد الثاني لها المسمّى بالمقاصد العلية، في قم المقدّسة، عام ١٤٢٠، ثمّ طبع ضمن رسائل الشهيد الأوّل (ص ١٥٩ ـ ١٧٩) عام ١٤٢٣. ثمّ نشر في قم عام ١٤٣٠، ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨.

وتوجد مخطوطات كثيرة من الألفية[٥]، وقفنا على أكثر من ثلاثمائة مخطوطة، منها:

مخطوطات مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، بالأرقام ٤١/١، ٥٣/١، ٦٧/٦، ٦٩/٣، ٦٨٠/٢، ١٤٦٧/٣، ٢٠٧٤/١.

---

١. المقاصد العلية، ص ٨٧.
٢. المقاصد العلية، ص ١٢٧.
٣. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٥.
٤. الروضة البهيّة، ج ١، ص ٢٧٨.
٥. انظر مقدّمه‌ای بر فقه شیعه، ص ١٤١؛ فهرست ألفبائی کتب خطی، ص ٦٤ ـ ٦٥؛ المقاصد العلية، ص ٢٧ ـ ٢٩، مقدّمة التحقيق، ط. الجديدة، فقد ذكر فيها حوالي خمسين مخطوطة للألفية.

وعليها حواشٍ وشروح كثيرة[١]، منها المسالك الجامعية في شرح الألفيّة الشهيدية، لابن أبي جمهور الأحسائي رحمه الله[٢]؛ ومنها المحاكمات الجليّة بين شارحي الألفية، للشيخ حسين بن عبدالصمد العاملي، فرغ منه في شهر المحرّم عام ٩٨١ في هرات. من أهمّها وأشهرها المقاصد العلية في شرح الرسالة الألفية للشهيد الثاني.

ويظهر من المقاصد العلية أنّ الشهيد الثاني ظفر بنسخةٍ من الألفية مقروءةٍ على الشهيد الأوّل وعليها خطّه، حيث قال:

... وهي موجودة في النسخة التي عندنا، وهي مقروءة على المصنّف وعليها خطّه[٣].

ونظمها عدّةٌ من العلماء:[٤]

منهم الحسن بن راشد في ٦٥٣ بيت، وفرغ من نظمها عام ٨٢٥، وسمّاها الجمانة البهيّة في نظم الألفية الشهيدية، توجد منها مخطوطة في مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، برقم ٦٧/٧، من أبياتها:

قال الفقيرُ الحسنُ بن راشدِ ... مبتدئاً باسم الإله الماجدِ:
الحمد للّه كما قد وجبا ... مباركاً فيه كثيراً طَيّبا
فهذه الرسالة الألفيةْ ... نَظَمْتُها بالحلّة السيفيهْ
في عام خمس بعد عشرين مضتْ ... ثمّ ثمان من مئات انقضتْ
وأسألُ الأفاضل الأئمّهْ ... أئمّة الدين هداة الأُمّهْ
أنْ يستروا منها بذيل العفوِ ... ما وجدوا من خَلَل أو هفوِ
فإنّه من شيمة الإنسان ... بل كلّ منسوب إلى الإمكانِ
ويسألوا الله بفضلٍ منهمُ ... العفوَ فاللهُ يَعْفُو عَنْهُمُ[٥]

١. انظر الذريعة، ج ٢، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧؛ وج ٦، ص ٢٢ ـ ٢٥؛ وج ١٣، ص ١٠٧ ـ ١١٤؛ المقاصد العلية، ص ١٩ ـ ٢٤، مقدّمة التحقيق، ط. الجديدة؛ مقدّمه‌ای بر فقه شیعه، ص ١٤١ ـ ١٤٨؛ الألفية، ص ٢٩ ـ ٣٠، المقدّمة؛ هزار کتاب پیرامون نماز، ص ٨٤ و بعدها.

٢. وقد نشرها مؤسّسة أمّ القرى في قم، عام ١٤٢٥، بتحقيق الشيخ وجيه بن محمّد المسبِّح الهجري.

٣. المقاصد العلية، ص ١٤٥، وانظر أيضاً ص ١٦٧ منه.

٤. الذريعة، ج ٢٤، ص ١٩٨؛ وللوقوف على سائر ناظمي الألفية راجع المقاصد العلية، ص ٢٦ـ٢٧، مقدّمة التحقيق، ط. الجديدة؛ تكملة أمل الآمل، ص ٣٠٢.

٥. الفوائد الرضوية، ص ٩٨ ـ ٩٩؛ أعيان الشيعة، ج ٥، ص ٦٥ ـ ٦٧؛ الذريعة، ج ٥، ص ١٣١ـ١٣٢؛ وج ٢٤، ص ١٩٨.

وقام بترجمتها عدد من العلماء، وتوجد منها اليوم أكثر من عشر تراجم[١].

١٦ . الرسالة النفلية

رسالة كبيرة تشتمل على ثلاثة آلاف نافلة تقريباً في الصلاة، كما سبق آنفاً عند البحث عن أُختها ـ أعني الألفية ـ وكذلك سبق بعضُ المباحث حولها، فلا نعيد. وهي مرتّبة على مقدِّمة وثلاثة فصول وخاتمة كأُختها. لم يثبت عليها تاريخ التأليف؛ ولكنّه ألّفها بعد الألفية كما صرّح بذلك في مقدِّمتها. وذكرها في إجازته لابن الخازن في ثاني عشر شهر رمضان عام ٧٨٤[٢]. وقال الشهيد الثاني في آخر نسخة الأصل من شرح النفلية: «فرغ المصنِّف من المبيّضة ثالث عشري جمادى الأُولى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة»[٣].

طبعت النفلية في إيران مكرّراً طبعة حجرية وغيرها، منها: عام ١٤٠٨ في قم بإعداد الشيخ عليّ الفاضل القائيني النجفي. ومنها ضمن شرح الشهيد الثاني لها الموسوم بـالفوائد المليّة، في قم المقدّسة، عام ١٤٢٠. ثمّ طبعت ضمن رسائل الشهيد الأوّل (ص ١٨١ ـ ٢٢٠) عام ١٤٢٣، ثمّ نشر عام ١٤٣٠ في قم ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨. ومخطوطاتها كثيرة، وقفنا على حوالى مائة مخطوطة لها، منها:

أ) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، المرقّمة ١١٢٦/٣، وعليها إنهاء الشهيد الثاني قدس سره في التاسع عشر من شهر ربيع الآخِر عام ٩٥٠.

ب) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، المرقّمة ٦٩/٤.

ج) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، المرقّمة ٦٨٠/٦.

د) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، المرقّمة ١٣٨٠[٤].

ونقلها إلى الفارسية محسن الطباطبائي باسم سه هزار مستحب براى يك نماز، و نشرها في قم عام ١٤٢٨ دار معروف.

---

١. انظر أوصافها في المقاصد العلية، ص ٢٤ ـ ٢٦، مقدّمة التحقيق، ط. الجديدة.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٧.

٣. نسخة الأصل من الفوائد المليّة، الورقة ١١٩ ب.

٤. وانظر أيضاً فهرست ألفبائى كتب خطى، ص ٥٨٦.

ونظمها بالفارسية بعض الفضلاء في عهد السلطان طهماسب الصفوي (م ٩٨٤)، وتوجد مصوّرة هذه المنظومة في مركز إحياء الميراث الإسلامي في قم برقم ١٥٦٢/٣.

وشرحها الشهيد الثاني شرحاً مزجياً سمّاه الفوائد المليّة لشرح الرسالة النفلية، كما صرّح في مقدّمته. ويظهر من مواضع من هذا الشرح أنّ نسخة خطّ الشهيد كانت موجودةً عند الشهيد الثاني، منها قوله: «كذا بخطّ المصنِّف رحمه الله»[١]؛ «هكذا بخطّ المصنّف رحمه الله»[٢].

- ***رسالة في التكليف*** ← ***المقالة التكليفيّة***
- ***شرح الإرشاد*** ← ***غاية المراد في شرح نكت الإرشاد***
- ***شرح التهذيب الجمالي*** ← ***جامع البين من فوائد الشرحين***

١٧. شرح قصيدة الشهفيني

قال الكفعمي رحمه الله:

ومن كتاب أبي الحسن عليّ بن الحسين الحلّي المعروف بالشهفيني رحمه الله في التجنيس، ولها شرحٌ صنّفه الشهيد (رحمه الله تعالى):

يا روح قدس من الله البديء بدا أو روح أُنس على العرش العليّ بدا[٣]

قال القاضي نور الله التستري قدس سره في ترجمة الشهفيني ما معربه:

وله في مدح أهل البيت عليهم السلام قصائد كثيرة، وقد شرح الشيخ الأجلّ الشهيد أبوعبدالله محمّد بن مكّي (قدّس الله روحه) واحدةً منها في مدح أميرالمؤمنين عليه السلام، فلمّا اطّلع الناظم على هذا الشرح و رأى اعتناء الشهيد بقصيدته أعجب بالشرح و مَدَح الشهيد بعشرة أبياتٍ شكره فيها على ذلك[٤].

وقال صاحب الرياض في معرض الإشارة إلى مؤلّفات الشهيد:

وله أيضاً شرح على قصيدة في مدح عليّ عليه السلام للشيخ أبي الحسن عليّ بن الحسين الشهفيني[٥].

---

١. الفوائد المليّة، ص ١٦.
٢. الفوائد المليّة، ص ٥٧، وانظر أيضاً ص ٤٠، ٤٢، ٥٧، ١٤٦ منه.
٣. مجموع الغرائب، ص ٣٣٠.
٤. مجالس المؤمنين، ج ٢، ص ٥٧١ ـ ٥٧٢؛ وانظر أعيان الشيعة، ج ٨، ص ١٩٢.
٥. تعليقة أمل الآمل، ص ٧٩.

وقال في ترجمة الشهفيني: «و عندنا قصيدة من جملة ديوانه ... و للشهيد شرح عليها» [١].

وقال صاحب الروضات في معرض الإشارة إلى مؤلّفات الشهيد:

ومنها شرحه على قصيدة الشيخ أبي الحسن عليّ بن الحسين المشتهر بالشهفيني العاملي... و هي من جملة ديوانه الكبير،كما ذكره بعض من هو بذلك خبير. والعجب أنّ صاحب الأمل كيف غَفَلَ عن ذكر مثل هذا الرجل الجليل الفاضل الكامل [٢]. ثمّ كيف جهل بحال هذا الشرح الحميد المجيد، حيث لم يذكره في جملة مؤلّفات الشهيد [٣].

وقال العلّامة السيّد الصدر في ترجمة أبي الحسن الشهفيني:

له ديوان كبير، وهو صاحب القصيدة الشهيرة في مدح أميرالمؤمنين عليه السلام التي شرحها شيخنا الشهيد الأوّل (قدس الله روحه) [٤].

وقال في جملة مؤلّفات الشهيد:

... وشرح قصيدة الشهفيني في مدح أمير المؤمنين عليه السلام، و الشهفيني هو أبوالحسن عليّ بن الحسين الشهفيني الحلّي [٥].

وقال الطهراني رحمه الله:

ـ شرح قصيدة الشيخ عليّ بن الحسين الشهفيني العاملي ... للشيخ السعيد الشهيد ... ذكره في رياض العلماء بوصف الشفيهيني، ولعلّه من غلط الكاتب... [٦].

ـ الشهيفينية ... أو الشفهينية ... قصيدة دالية مجنّسة ... وقد شرحها الشهيد ... ولمّا اطّلع الناظم على اعتناء الشهيد بقصيدته وشرحها مَدَحَه تشكّراً له بعشرة أبيات أرسلها إلى الشهيد رحمه الله [٧].

---

١. رياض العلماء، ج ٣، ص ٤٢٧.
٢. أقول: ذكره الشيخ الحرّ العاملي في القسم الثاني من أمل الآمل، ج ٢، ص ١٩٠، و وصفه بقوله: «الشفيهني الحلّي» فهو حلّي لا عاملي.
٣. روضات الجنّات، ج ٧، ص ١٥.
٤. تكملة أمل الآمل، ص ٢٨٨.
٥. تكملة أمل الآمل، ص ٣٦٩.
٦. الذريعة، ج ١٤، ص ١٣؛ وانظر أيضاً ج ٩، القسم ٢، ص ٥٦٢.
٧. الذريعة، ج ١٤، ص ٢٦٤.

ـ شرح الشهفينية ... هو من مآخذ الشيخ إبراهيم الكفعمي في كتابه الفوائد الشريفة في شرح الصحيفة [١].

أقول: الشهفيني [٢] هو أبوالحسن علاء الدين الشيخ عليّ بن الحسين، كان عالماً فاضلاً وأديباً كاملاً، من شعراء أهل البيت عليهم السلام في القرن الثامن، وردت ترجمته في مصادر كثيرة [٣]، ولم ينسبه ـ أعني شرح قصيدة الشهفيني ـ للشهيد أحدٌ قبل الكفعمي رحمه الله، ولم يذكره أحدٌ من تلامذة الشهيد و معاصريه و المجازين منه في جملة مؤلّفاته، والكفعمي هو أوّل من نسبه إليه ـ فيما نعلم ـ وتبعه الآخرون، ولم أقف على نسخةٍ من هذا الشرح حتّى أُراجعها و أبحث عنها أكثر ممّا ذكرته.

قال المرحوم الشيخ محمّد رضا شمس الدين:

والظاهر أنّ الشرح كان موجوداً عند المجلسي أو وقف عليه، حيث مدحه وأثنىٰ عليه، ولامَ صاحبَ الأملِ على عدم ذكره في مؤلّفات الشهيد [٤].

أقول: ما نَسَبَه إلى العلّامة المجلسي (قدّس سرّه القدّوسي) لم أجده في كتبه. و الظاهر أنّ الأمر اشتبه عليه، فنسب ما قاله صاحب الروضات إلى العلّامة المجلسي؛ فإنّ صاحب الروضات لامَ صاحب الأمل على عدم ذكره في مؤلّفات الشهيد [٥]، كما تقدّم آنفاً.

قال العلّامة السيّد الأمين ـ بعد نقله لكلام الروضات ـ:

أقول: الرجل حلّي لا عاملي، والعجب من صاحب الروضات كيف توهّم أنّه عاملي. وأمّا هذا الشرح فلم نجد من نسبه إلى الشهيد غيره [كذا]. ولم يذكر سنده، فيوشك أنّه اشتبه فيه كما اشتبه في الشهفيني [٦].

● *شرح القواعد* ← *حاشية القواعد*

---

١. الذريعة، ج ١٣، ص ٣٤٤.
٢. انظر الخلاف في ضبطه في أعيان الشيعة، ج ٨، ص ١٩١؛ الغدير، ج ٦، ص ٣٦٥؛ الحقائق الراهنة، ص ١٣٧ ـ ١٣٨.
٣. منها: الغدير، ج ٦، ص ٣٥٦ ـ ٤٠٢؛ الحقائق الراهنة، ص ١٣٧ ـ ١٣٨؛ مجالس المؤمنين، ج ٢، ص ٥٧١ ـ ٥٧٥؛ رياض العلماء، ج ٣، ص ٤٢٧ و ج ٤، ص ١٠٧ ـ ١٠٨؛ شعراء الحلّة، ج ٤، ص ٧٩ ـ ١٢٦.
٤. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٦٩.
٥. روضات الجنّات، ج ٧، ص ١٥.
٦. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٢ـ٦٣.

١٨ . الطلائعية

رسالة صغيرة في الاعتقادات، سمّاها المؤلّف الشهيد بهذا الاسم في مقدِّمتها. ووقفنا فقط على ثلاث مخطوطات لها وهي:

١. مخطوطة مكتبة آية الله المرعشيﷺ، ضمن المجموعة المرقّمة ١٣٥٣٧، ولمّا تُفهرس بعدُ.

٢. مخطوطة مكتبة الشيخ محمود الأرگاني الخاصّة في قم، برقم ٣١/٣، نسخت في السادس عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٢٩٦. (ذكرت في فهرسها، ص ٥٥).

٣. مخطوطة مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، برقم ٢٣١٤، ذكرت في فهرسها (ج٢، ص ٦٣٤). ورد في أوّل المخطوطتين الأُوليين: «قال الإمام العلّامة شمس الدين محمّد بن مكّي (تغمّده الله برحمته، وأسكنه بحبوحة جنّته)».

وقد ذكرت هذه الرسالة في معجم التراث الكلامي (ج ٣، ص ٤٣٥) ومؤلَّفات الزيدية (ج ٢، ص ٣٣) وعُدَّتْ فيهما من تأليفات الزيدية!

وحقّقتُها اعتماداً على النسخة الأُولى، فنُشرت لأوّل مرّة في نسخة پژوهى (ج ٣، ص ١٨٣ ـ ١٨٦). ثمّ حقّقتُها اعتماداً على النسختين الأُوليين ونوردها هنا. ونُشرتْ أيضاً بالاعتماد عليهما في موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨ في قم، سنة ١٤٣٠. وهذا نصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه بارئ البريّة، والصلاة على سيّدنا محمّد وآله العترة المرضية. هذه الرسالة الطلائعيّة تَسْتَطْلِعُ بمعتقدِها المرتبةَ العليَّة [١].

الفصل الأوّل في التوحيد

يَجِبُ معرفةُ الله تعالى؛ لوجوب شكره، وطريقها النظر في مصنوعاته وصورته

١. استطلع الشيءَ: طَلَب طلوعه ومعرفته. واستطلع رأيَه: نَظَرَ ما هو... . المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٥٦٢، «طلع».

انّ العالَم مُحدَثٌ وكلُّ محدَثٍ فله فاعل. أمّا حدوث العالم فلأنّه لا يخلو عن الحركة والسكُون المسبوقين بغيرهما والمسبوق بغيره مُحدَث. أمّا احتياج المُحدث الى فاعل فبالضرورة.

ويَجِبُ كون فاعله قديماً لا أوّل لوجوده؛ للزوم الدور والتسلسل لو كان مُحدَثاً.

ويَجِبُ كونه تعالى واجبَ الوجود وإلّا لافتقر إلى فاعلٍ لو كان ممكناً، فيكون باقياً أبديّاً سرمدياً؛ لاستحالة العدم على واجب الوجود.

ويَجِبُ كونه تعالى قادراً مختاراً؛ للزوم قِدَمِ العالم لو كان مُوجباً. ويَجبُ كونه عالماً؛ لأنّه أحكمَ العالَم وأتقَنه.

ويَجِبُ كونه حيّاً موجوداً لإستحالة القدرة والعلم على من ليس بحيّ ولا موجود، ويجب كونه تعالى قادراً على كلّ مقدور وعالماً بكلّ معلوم؛ لاستواء نسبته إلى جميع المقدورات والمعلومات واستواء صحّتها في المعلوميّة والمقدوريّة، فلو قدر على البعض خاصّة أو علم البعض خاصّة لزم الترجيح بلا مُرجّح وهو محال.

ويَجِبُ كونه تعالى سميعاً بصيراً بمعنى علمه بالمسموع والمُبصر؛ لاستحالة الحواسّ عليه؛ لأنّه عالم بكلّ معلوم فيدخل [فيه] المسموع والمبصر.

ويَجِبُ كونه تعالى مريداً؛ لأنّ الحدوث مُستوٍ نسبته إلى جميع الأحوال والأوقات فتخصيصُه ببعض الأحوال والأوقات إنّما تكون بالإراده، ولأنّ الإرادة نوع من العلم، وقد ثبت علمه تعالى بكلّ معلوم.

ويَجِبُ كونه كارهاً؛ لأنّ إرادة الشيء كراهة ضدّه، ولأنّه نهى عن المعاصي والناهي كارهٌ.

ويَجِبُ كونُه تعالى متكلّماً؛ لأنّ الكلام مقدور، وهو تعالى قادر على كلّ مقدور وقد قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[1] وكلامه مُحدَث؛ لأنّه مركبٌ من الحروف المسبوقة بغيرها، والمسبوق بغيره محدث ولقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[2].

---

١. النساء (٤): ١٦٤.
٢. الأنبياء (٢١): ٢.

ويَجِبُ كونه تعالى واحداً؛ للزوم التركيب والفساد لو تعدّدت الآلهة كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1].

ويَجِبُ كونُه تعالى غنيّاً؛ لأنّه لو افتقر في ذاته أو في صفاته لم يكن واجبَ الوجود.

ويَجِبُ أنْ تستحق صفاته لذاته لا لمعنى قديم؛ لاستحالة تعدّد القدماء ولا بمعنى محدث وإلّا لزم احتياجه تعالى لمحدث.

ويَجِبُ تنزيهه عن الجسميّة والعرضيّة والجوهريّة والتحيّز والحلول في غيره والمحلّيّة لغيره والتركيب والجهة والاتّحاد بغيره؛ لما ثبت من قِدَمه تعالى ووجوب وجوده وقد ثبت حدوث هذه الأُمور.

ويَجِبُ تنزيهه عن الرؤية بالبصر؛ لاستحالة الجِهة عليه لقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾[2].

الفصل الثاني في العدل

يَجِبُ كونه تعالى عدلاً حكيماً أي لا يفعل قبيحاً ولا يُخلّ بواجب؛ لأنّه تعالى عالمٌ بقبح القبيح ووجوب الواجب وغنيٌّ عن القبيح والإخلال بالواجب، فيستحيل توجّه دواعيه إلى فعل قبيح أو إخلال بواجب. ويَجِبُ أن لا يريد شيئاً من القبائح؛ لأنّ إرادة القبيح قبيحةٌ وكلّ ما في العالم من القبائح، فهو فعل عباده لا فعله تعالى الله عن ذلك.

ويَجِبُ عليه اللطف؛ لأنّه مُقرِّب من الطاعة ومُبعِّدُ عن المعصية، فلو لم يفعله انتقض غرضه تعالى.

ويَجِبُ حُسن جميع ما فعله الله من الآلام والأمراض والحيوانات المؤذية والسموم القاتلة؛ لما ثبت من تنزههه من فعل القبائح.

ويَجِبُ حُسن التكليف بأسره؛ لما فيه من زجر المكلَّف عن القبائح والإخلال

---

١. الأنبياء (٢١): ٢٢.

٢. الأنعام (٦): ١٠٣.

بالواجب، وذلك حسن وهو أيضاً لطف واللطف واجبٌ، فيجب التكليف.

ويَجِبُ الجزاء عليه بالثواب الدائم عند الامتثال والعقاب الدائم للكافر لوعده تعالى بالثواب ووعيده بالعقاب. وأمّا الفسّاق من المؤمنين المصرّين غير التائبين فمنقطع؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[1].

الفصل الثالث في النبوّة

النبوّة حسنة، لما فيها من تعريف المكلّفين بالمصالح والمفاسد الخفيّة على العقول، وتقوية العقل فيما يدلّ عليه من الأُصول.

ويَجِبُ بعثة الأنبياء؛ لتوقّف التكليف بالسمعيّات عليها وما يتوقّف عليه الواجب واجب.

ويَجِبُ تصديقهم بالمعجز الخارق للعادة المطابق للدعوى ليعلم المكلَّفون صدقهم.

ويَجِبُ عصمتهم من جميع المعاصي والسهو والغلط ليوثق بأموارهم ونواهيهم ووعدهم ووعيدهم.

ومحمّدٌ رسولُ اللهﷺ لدعواه النبوّة وظهور ألف معجزة على يده، منها: القرآن العزيز وانشقاق القمر والإخبار بالغيب وتكليم الذراع المشوي وشكاية البعير وحنين الجذع اليابس ومجيء الشجرة وعودها ونبع الماء وإشباع الخلق الكثير من الزاد القليل[2] وهو خاتم النبيّين.

الفصل الرابع في الإمامة

الإمامة رئاسة عامّة لشخصٍ إنساني في الأُمور الدينيّة والدنيويّة وهي حسنة، لما فيها من حفظ الشريعة وإرشاد المكلّفين وحماية الثغور والأخذ على يد السفيه والانتصاف للمظلوم من الظالم. وواجبة على الله لكونها لطفاً؛ لأنّ المكلّفين يكون حالهم معها إلى الصلاح أقرب ومن الفساد أبعد.

---

١. الزلزلة (٩٩): ٧ ـ ٨.

٢. انظر مصادر هذه المعجزات في رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ٧٢٩.

ويَجِبُ في الإمام العصمة ليُوثق بأمره ونهيه كما قلناه في النبيّﷺ؛ لأنّ المُحوِج إليه جواز الخطإ على الأُمّة، فلو جاز خطؤه احتاج إلى إمام آخر ويتسلسل.

ويَجِبُ كونه منصوصاً عليه من الله تعالى أو من الرسول أو من الإمام قبله؛ لأنّ العصمة أمرٌ خفيّ لا يعلمه إلّا الله تعالى.

ولم يحصل النصّ والعصمة لغير مولانا أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأولاده الأحد عشر: الحسن والحسين وعليّ ومحمّد وجعفر وموسى وعليّ ومحمّد وعليّ والحسن والحجّة بن الحسن عليهم السلام.

لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[1]. والصادق المطلق ظاهراً وباطناً في أقواله وأفعاله هو المعصوم.

ولقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[2]. ولم يؤتِ أحد الزكوة وهم راكعون [ظ: وهو راكع] إلّا أميرالمؤمنين عليه السلام.

ولقول النبيّﷺ: «هذا ولدي الحسين إمام، ابن إمام، أخو إمام، أبو أئمّةٍ تسعة تاسعهم قائمهم»[3].

ويَجِبُ كون الخلف الحجّة الثاني عشر موجوداً بعد موت أبيه إلى هذا الزمان لوجوب اللطف على الله تعالى في كلّ وقت.

ويَجِبُ ظهورُه وتملّكه ومِلأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظُلماً وجوراً؛ لتواتر الأخبار بذلك.

ويَجِبُ صدقُ الأئمّة في جميع ما جاؤوا به عن الرسول (عليه الصلاة والسلام) من فروع التكليف وغيرها لثبوت عصمته وعصمتهم.

ويَجِبُ الثناء عليهم وشكر إنعامهم بعد شكر الله تعالى والثناء عليه؛ لقضاء صريح العقل بوجوب شكر المُنعم.

---

١. التوبة (٩): ١١٩.

٢. المائدة (٥): ٥٥.

٣. انظر مصادر الحديث في رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ٧٣٢.

تَتمَّةٌ: سؤال القبر حقٌّ وكذا الحشر والنشر والإعادة بعد الموت والثواب والعقاب والجنّة والنار وما أُعِدَّ فيهما والصراط والميزان وتطاير الكتب وإنطاق الجوارح؛ لإمكانها وإخبار المعصوم بها.

والحمد للّه ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد الأوّلين والآخرين، محمّد وآله الطاهرين.

١٩ . العقيدة الكافية

رسالة صغيرة جدّاً في الاعتقادات، عبّر عنها في بعض مخطوطاتها بـ«العقيدة الكافية»، كما في المجموعة المرقّمة ١٩٩٥ في مكتبة المدرسة الفيضية بقم المقدّسة. قال الطهراني (طاب ثراه):

ـ «الاعتقادية»، للشيخ الشهيد ... أوّله: «أُشهدكم عليّ معاشر المؤمنين» كما كتب عليه. وهو بخطّ المولى مقصود عليّ بن شاه محمّد الدامغاني، تاريخ كتابته سنة ٩٩٦، رأيته في مكتبة المولى محمّد عليّ الخوانساري[١].

ـ «العقيدة الكافية»، هو اعتقادية الشهيد الأوّل، عُبِّرَ عنه في بعض المواضع، ومرّ بعنوان «الرسالة الاعتقادية ...»[٢].

وتوجد منها مخطوطات كثيرة، وقفنا على حوالي خمس عشرة مخطوطة، منها:

أ) مخطوطة ضمن المجموعة المرقّمة ٤٣ في مكتبة آية الله الگلپايگاني رحمه الله، نسخت عام ٩٧٤[٣].

ب) مخطوطة ضمن المجموعة المرقّمة ٣٩١٧ في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، نسخت عام ١٠٨٧[٤]. وقد كتب الناسخ ذيلها: «هذه عقيدة منقولة بوسائط عن خطّ الشيخ الشهيد (رحمه الله تعالى)».

ج) مخطوطة ضمن المجموعة المرقّمة ١٨٣٨ في مكتبة ملك الوطنية بطهران[٥].

---

١. الذريعة، ج ٢ ص ٢٢٩.
٢. الذريعة، ج ١٥، ص ٣٠٦.
٣. ذكرت في فهرسها، ج ١ ص ٥٤.
٤. ذكرت في فهرسها، ج ١٠، ص ١٩٤٧.
٥. ذكرت في فهرسها، ج ٥، ص ٣٧٨.

د) مخطوطة ضمن المجموعة المرقّمة M735 في مكتبة جامعة لوس أنجلس في الولايات المتّحدة الإميركية [١].

هـ) مخطوطة ضمن المجموعة المرقّمة ١٩٩٥ في مكتبة المدرسة الفيضية بقم المقدَّسة [٢]. أوّلها:

اعتقدت اعتقاداً مطابقاً، لا مقلِّداً في ديني لأحدٍ من الناس، ولا شاكّاً ولا ظانّاً ولا متوهّماً ولا مرتاباً. إنّي أشهد أنْ لا إله إلّاالله إلهاً واحداً فرداً صمداً ... .

وآخرها:

وعليه أُبعث إنْ شاء الله تعالى. أفوز بمشيئته في ديني ودنياي وآخرتي؛ إنّه رؤف رحيم.

و) مخطوطة ضمن المجموعة المرقّمة ١٩٩٥ أيضاً في مكتبة المدرسة الفيضية، نسخت عام ٩٥٥ [٣].

أوّلها: «أشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له ...».

وآخرها:

وعليه أُبعثُ إن شاء الله تعالى. إنّي أودعتك يقيني هذا وثبات ديني وأنت خير مستودع، وقد أمرتنا بردّ الودائع فردّه عليّ عند حضور موتي يا أرحم الراحمين.

ز) مخطوطة المكتبة الخاصّة للشيخ عليّ العلومي [٤].

ح) مخطوطة ضمن المجموعة المرقّمة ١٤٠ m في معهد العلوم في باكو، ومصوّرة هذه المخطوطة موجودة في مكتبة آية الله المرعشيﷺ برقم ١١٨٢، الورقة ١٨٢. وهذه النسخة تختلف عن سائر النسخ في بعض العبارات، أوّلها:

اعتقاد الإمامية سيّما خاتم المجتهدين الشيخ [الـ]شهيد (أعلى الله تعالى مقامه) وهو هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم. أعتقد اعتقاداً مطابقاً، لا مقلّداً في ديني لأحدٍ من الناس ولا شاكٍّ ولا ظانٍّ ولا متوهِّم ولا مرتاب، أنّي أشهد أن لا إله إلّا الله... .

---

١. نشرية نسخه‌هاي خطي، العددين ١١ـ١٢، ص ٦٩٠.
٢. ذكرت في فهرسها، ج ٢، ص ١٦٢ـ١٦٣.
٣. ذكرت في فهرسها، ج ٢ ص ١٦٢.
٤. نشرية نسخه‌هاى خطي، العدد ٤، ص ٤٤٧.

ولاختصار الرسالة و عدم طبعها حقّقْتُها لأوّل مرّة، اعتماداً على مخطوطة مكتبة آية الله الگلپايگاني﵀ و أوردتُها في مقدّمتي لغاية المراد[1]، ثمّ نشرت في رسائل الشهيد الأوّل عام ١٤٢٣، ثمّ نُشِرتْ عام ١٤٣٠، في قم، ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨. وإليك نصُّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

أُشهدكم يا معاشر المؤمنين، أنّي أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً أحداً فرداً وتراً صمداً حيّاً قيّوماً، لم يتّخذ صاحبةً ولا ولداً، وأنّ محمّداً عبده ورسوله وخاتم أنبيائه وأفضل رسله، وأنّ خليفته على أُمّته أخوه وابن عمّه أميرالمؤمنين أبوالحسنين عليّ ابن أبي طالب (عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيّات وعلى ذرّيّته الطاهرين والطاهرات) ثمّ الحسن ثمّ الحسين ثمّ عليّ ثمّ محمّد ثمّ جعفر ثمّ موسى ثمّ عليّ ثمّ محمّد ثمّ عليّ ثمّ الحسن ثمّ الخلف الحجّة القائم المهديّ (عجّل الله فرجه).

وأستَدلّ على وجود الله تعالى بحدوث ما سواه.

وأستَدلّ على حدوث ما سواه بالتغيّر والزوال.

وأستَدلّ على قِدَمه بانتهاء الحوادث إليه.

وأستَدلّ على وجوب وجوده بإمكان ما سواه.

وأستَدلّ على بقائه وأبديّته بوجوب وجوده.

وأستدلّ على قدرته بوقوع الفعل منه على سبيل الجواز.

وأستَدلّ على علمه بإحكام أفعالِهِ وإتقانها.

وأستَدلّ على عموم قدرته وعلمه بتساوي نسبة الجميع إليه، فلا يتخصّص البعض دون البعض.

وأستَدلّ على كونه سميعاً بصيراً بعموم علمه بهما.

وأستَدلّ على إرادته وكراهته بأمره ونهيه.

---

١. غاية المراد، ج ١، ص ١٥٦ ـ ١٥٧، مقدّمة التحقيق.

وأستَدلّ على كلامه بالقرآن العظيم العزيز وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [١].

وأستَدلّ على وحدته باستقامة العالم، وبقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [٢].

وأستَدلّ على غناه عن غيره بذاته وصفاته بكونه واجبَ الوجود.

وأستَدلّ على كونه ليس بجسمٍ ولا جوهرٍ ولا عرضٍ ولا متحيّزٍ ولا حالٍّ في المتحيِّزِ ولا مرئيّ ولا مركَّبٍ ولا موصوفٍ بالمعاني القديمةِ ولا الحادثةِ، بكونه قديماً وواجِبَ الوجود.

وأستَدلّ على عَدْله وحكمته بأنّه تعالى لا يفعل قبيحاً ولا يُخلُّ بواجبٍ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. وبكونه غنيّاً.

وأستَدلّ على نبوّة نبيّنا محمّدﷺ بادِّعائه النبوّة، وصدّقه الله تعالى بالمعجز الظاهر على يده، مثل انشقاق القمر [٣]، ونبوع الماء من بين أصابعه [٤]، وحَنينِ الجِذعِ اليابس إليه [٥]، وشكوى الظبْيَةِ [٦] والبعير [٧] إليه.

وأستَدلّ على عصمته بوثوقه في أمره ونهيه.

وأستَدلّ على كونه خاتم النبيّين بقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [٨].

وأستَدلّ على إمامة عليّ (عليه الصلاة والسلام) وأحد عشر من ولده الطيِّبين ـ خلفاً عن سلف ـ إماماً بالعصمة المشترطة في الإمامة، حذراً من الدور والتسلسل لو كان الإمام غيرَ معصومٍ؛ وبقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [٩]؛ وقول النبيّﷺ: «ولدي الحسين إمامٌ ابن إمام أبو أئمّة تسعة تاسعهم

١. التوبة (٩): ٦.
٢. الإخلاص (١١٢): ١.
٣. إعلام الورى، ص ٣٨.
٤ و٥. إعلام الورى، ص ٣٢.
٦. إعلام الورى، ص ٣٦.
٧. إعلام الورى، ص ٣٩.
٨. الأحزاب (٣٣): ٤٠.
٩. التوبة (٩): ١١٩.

قائمهم أفضلهم أعلمهم»[١].

وأستَدلّ على بقاء المهديّ بتواتر الأخبار[٢]، وامتناع الإخلال باللطف الواجب على الله تعالى.

وأستَدلّ على المعاد وسؤال القبر والجنّة والنار والصراط والميزان بثبوت صدق المُخبِر بذلك، وهو النبيّ المعصومﷺ.

وأعتَقد بجميع ما جاء به النبيّﷺ من نبوّة الأنبياء السالفة (على نبيّنا وعليهم السلام)، ومن تكليف المكلّفين، ومن الحشر والنشر والجنّة والنار. وما أعدّ الله فيهما من الثواب والعقاب والمطعم والمشرب والنكاح حقٌّ وصدقٌ.

هذا اعتقادي، وعليه أحيا وعليه أموت وعليه أُبعث إن شاء الله تعالى.

وصنّفه مُعتقِدُه محمّد بنُ مكّي، وهو يشهد أنّ معتقدَه والعامل به ناجٍ من عذاب النار، فائز برضى الجبّار، إذا هو وافى عليه إلى نزول الحافرة وأوّل أيّام الآخرة.

والحمد للّه حمد الشاكرين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

٢٠ . غاية المراد في شرح نكت الإرشاد

هو الكتاب الذي بحثنا عنه تفصيلاً في مقدّمة التحقيق في الجزء الأوّل من الموسوعة، فلا نعيد.

٢١ . القواعد و الفوائد

ذكره الشهيد بهذا الاسم في إجازته لابن الخازن في ثاني عشر شهر رمضان عام ٧٨٤، حيث قال:

> فممّا صنّفتُه كتاب القواعد والفوائد في الفقه، مختصر يشتمل على ضوابط كلّية: أُصولية وفرعية، تستنبط منها أحكام شرعية، لم يُعمل للأصحاب مثله[٣].

---

١. انظر الخصال، ج ٢، ص ٥٥٩، ح ٣٨، باب الاثني عشر.
٢. انظر الكافي، ج ١، ص ٥٣٢ ـ ٥٣٤، ح ٩ ـ ٢٠؛ الخصال، ج ٢، ص ٥٤٩ ـ ٥٦٧، ح ٦ ـ ٥١، باب الاثني عشر.
٣. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٧.

وذكره في مقدِّمته أيضاً بهذا الاسم، حيث قال:

... وأسألك أنْ ... تجعل ما عزمنا عليه من تأليف هذه «القواعد والفوائد» عدّةً وذخراً ليوم لقائك [١].

وكلام الشهيد في إجازته لابن الخازن يدلّ على أنّه فرغ من تأليفه قبل تاريخ الإجازة، لكن تاريخ الشروع بالتصنيف بقي مجهولاً، ويبدو من كلامه في الإجازة أنّه أوّل من ولج هذا الباب من فقهاء الشيعة [٢].

قال الشهيد السيّد عبد الهادي الحكيم﵀ في وصف الكتاب:

وقد احتوى الكتاب على ما يقرب من ثلاثمائة و ثلاثين قاعدة، إضافة إلى فوائد تقرب من مائة فائدة، عدا التنبيهات و الفروع، و هي جميعاً قد استوعبت أكثر المسائل الشرعيّة. و هذه القواعد و الفوائد التي احتواها الكتاب ليست فقهية خالصة، وإنّما فيها بعض القواعد و الفوائد الأصولية و العربية، لكن الطابع الفقهي هو الغالب عليها.

ومنهج المصنّف في هذا الكتاب هو أنّه يورد القاعدة أو الفائدة ثمّ يبيّن ما يندرج تحتها من فروعٍ فقهية، و ما قد يرد عليها من استثناءات إنْ كان هناك استثناء منها. وهو لم يقتصر على بيان رأي الإمامية فيما يذكره من المسائل، وإنّما اتّخذ المقارنة في أغلب الفروع الفقهية، فيعرض ما قيل من الوجوه سواء كان القائل إمامياً أم غيره، ممّا يدلّ على سعة اطّلاعه و إحاطته بآراء الفقهاء على اختلاف مذاهبهم ... [٣].

وقال الشيخ محمّد بن عليّ بن أحمد الحرفوشي العاملي في شرحه لقواعد الشهيد الموسومة بـالقلائد السَنيّة على القواعد الشهيدية:

إنّ كتاب القواعد ـ الذي ألّفه شيخنا رئيس المحقّقين و زبدة المدقِّقين، ظلّ الله على الأنام ... من عليه في العلوم والمعارف المعوّل، الشيخ ... شمس الدين محمّد، الشهير

---

١. القواعد و الفوائد، ج ١، ص ٢٩.

٢. انظر الكلام حول هذا الكتاب مفصّلاً في القواعد و الفوائد، ج ١، ص ٧ ـ ١٣، مقدّمة التحقيق؛الشهيد الأوّل محمّد بن مكّي العاملي في المصادر العربية، ص ٤٩٥ ـ ٤٩٩؛ فهرست نسخه‌های خطی کتابخانهٔ مرکزی، ج ٥، ص ١٩٧٨ ـ ١٩٨٠؛ شناختنامهٔ شهیدین، ص ١٤٦ ـ ١٧١.

٣. القواعد و الفوائد، ج ١، ص ٧ ـ ٩، مقدِّمة التحقيق.

بالشهيد الأوّل ـ كتابٌ لم ينسج أحد على مِنْواله، ولم يظفر فاضل بمثاله، انطوى على تحقيقات هي لطائف الأسرار، و احتوى على اعتبارات هي عرائس الأفكار ... [١].

طبع القواعد والفوائد عدّة مرّات، منها:

أ) لأوّل مرّة عام ١٢٧٠، طبعة حجرية.

ب) حوالي عام ١٣٠٨، طبعة حجرية، بخطّ أحمد بن حسين التفريشي، مع بعض الحواشي عليه.

ج) عام ١٤٠٠ بتحقيق الشهيد الدكتور السيّد عبد الهادي الحكيم في النجف الأشرف.

د) عام ١٤٣٠، في قم، ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٥.

ومخطوطاته كثيرة [٢] وقفنا على حوالي مائة وخمسين مخطوط له، منها:

ـ مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، المرقّمة ٥٥١، من كتب السيّد الطباطبائي، نسخت عام ١٠٥٥ (ذكرت في فهرسها، ج ٢٤، ص ٣٥٣).

ـ مخطوطة مكتبة فخرالدين النصيري الخاصّة، نسخت عام٩٦٢ نسخها عبدالعلي بن عبدالله المدعوّ بـ«عبدي»، و قوبلت بنسخةٍ صَحَّحها الشيخ حسين بن عبد الصمد والد الشيخ البهائي رحمه الله صحَّحها محمّد بن محمّد بن عليّ الزواري سنة ١٠٠٢، وعليها خطّ الشيخ بهاء الدين العاملي [٣].

ـ مخطوطة مكتبة مدرسة مروي في طهران، المرقّمة ٣٥٩، نُسخت في القرن ١١.

ـ مخطوطة مكتبة مدرسة تربيت في تبريز، المرقّمة ٢٢٣، تاريخ نسخها مجهول، (ذكرت في فهرسها، ص ٥٨).

---

١. فهرست كتب خطى كتابخانه‌هاى إصفهان، ج ١، ص ٢٥٧.

٢. انظر مقدّمه‌اى بر فقه شيعه، ص ١٤٩؛ فهرست ألفبائى كتب خطى، ص ٤٥١.

٣. ورد في هامش الصفحة الأخيرة من المخطوطة: «الحمدللّه وحده. بلغ هذا الكتاب مقابلةً بنسخة صَحَّحَها الشيخ المحقِّق و... المدقّق، الشيخ حسين بن عبدالصمد الحارثي، وعليها خطّه وخطّ... الشيخ المحقّق النحرير، العلّامة المتبحّر، ملاذ العلماء، الشيخ بهاء الدين محمّد (مُدَّ ظلّه السامي) وقد كتب في آخِرها ما صورته: الحمدللّه وحده. انتهت مطالعتها يوم الخميس ثاني عِشْري جمادى الآخرة من السنة المذكورة. فقير رحمة ربِّه الغنيّ حسين بن عبدالصمد الحارثي (أصلح الله تعالى حالَه ومآله بمحمّد وآله) وكتب الفقير إلى الله الغنيّ المغني محمّد بن محمّد بن عليّ الزواري (عفا ربّهم عنهم بمحمّد وعليّ في... اثنتين زائدة على الألف)».

ـ مخطوطة مكتبة السيّد عبدالعظيم الحسني عليه السلام في الري، المرقّمة ٢٣٣، نسخت عام ١٠٤٤، (ذكرت في نشرية نسخه‌هاى خطى، العدد ٣، ص ٤٧٣).

ـ مخطوطة مكتبة المتحف العراقي، المرقّمة ٢٨٤١، نسخت عام ١٠٧٦، (ذكرت في فهرسها، ص ٢٥٠).

ـ مخطوطة المكتبة المركزية لجامعة طهران، المرقّمة ١٠١١، نسخت عام ٩٢٨، (ذكرت في فهرسها، ج ٥، ص ١٩٧٨).

ـ مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، المرقّمة ٢٥٧٩، نسخت عام ٨٢٢، على نسخة ابن المؤلّف.

ـ مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، المرقّمة ٤٦٩٤، نسخت في القرن ٩.

ـ مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، المرقّمة ٦٥٧٦، نسخت عام ٩٦٦.

ـ مخطوطة مكتبة المدرسة الباقرية، المرقّمة ٢٢٠، نسخت عام ٨٥٠، (ذكرت في فهرسها في مجلّة تراثنا، العدد ٢٣، ص ١٠٩).

ـ مخطوطة مكتبة المدرسة الباقرية، المرقّمة ٢٣١، نسخت في القرن ٩ أو ١٠ تقديراً، (ذكرت في فهرسها في مجلّة تراثنا، العدد ٢٣، ص ١١٣).

واعلم أنّ الكتاب لأهمّيّته كان محطّاً لأنظار العلماء، وعنه قال الطهراني: «هو من الكتب المُمْتِعة التي دارتْ عليها رحى التدريس، وعُلّقتْ عليه حواشٍ وشُرِح بشروحٍ»[1]. ومن أهمّ شروحه القلائد السنية في شرح القواعد الشهيدية[2]. ومنها شرح السيّد مهدي بن هادي المازندراني، وتوجد نسخة من هذا الشرح في مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، برقم ٨١٠١/٢[3]. ومن حواشيه المهمّة حاشية الشيخ بهاء الدين العاملي (م ١٠٣٠)، قال الشيخ في أوّلها بعد البسملة:

اللهم إنّا نحمدك بلسان الحال والمقال، ونشكرك على ترادف الإنعام والإفضال، ونصلّي

---

١. الذريعة، ج ١٤، ص ١٦؛ وللوقوف على شروحه وحواشيه انظر الذريعة، ج ٦، ص ١٧٣ ـ ١٧٤ و ج ١٤، ص ١٦ ـ ١٧ و ج ١٧، ص ١٩٣؛ مقدّمه‌اى بر فقه شيعه، ص ١٥٠؛ علماء معاصرين، ص ٦؛ فهرس مخطوطات مركز إحياء التراث الإسلامي، ج ١، ص ٢٤٧.

٢. انظر وصفه تفصيلاً في فهرست كتب خطى كتابخانه‌هاى إصفهان، ج ١، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٩.

٣. ذكرت في فهرسها، ج ٢١، ص ١٠٥.

على أشرف مظاهر الجلال والجمال، نبيّك محمّد وآله بروج فلك العصمة والكمال، ونستعينك على رفع جلباب الغموض والإجمال، عن القواعد الشهيدية التي هي محكّ فحول الرجال، ومعترك أنظارهم في مضمار القيل والقال، ونسألك تسهيل السلوك في تلك الوهاد والتلال، فبك الاعتصام وإليك الالتجاء وعليك الاتّكال [١].

ولقد هذّب الكتاب و رتّبه تلميذُ الشهيد الفاضلُ المقدادُ، وسمّاه نضد القواعد الفقهية على مذهب الإمامية، و قال في مقدِّمته:

... وكان شيخنا الشهيد (قدّس الله سرّه) قد جمع كتاباً يشتمل على قواعد وفوائد في الفقه؛ تأنيساً للطلبة بكيفية استخراج المعقول من المنقول، وتدريباً لهم في اقتناص الفروع من الأُصول، لكنّه غير مرتَّبٍ ترتيباً يحصّلهُ كلُّ طالب، وينتهز فرصة كلِّ راغب، فصرفت عنان العزم إلى ترتيبه وتهذيبه وتقريبه، وسمّيتُه نضد القواعد الفقهية على مذهب الإمامية ... وهو مرتّبٌ على مقدِّمة وقطبين [٢].

و زعم أحد المعاصرين في كتابه أنّ تمهيد القواعد للشهيد الثاني رحمه الله تلخيص و تنظيم لقواعد الشهيد الأوّل [٣]. و هذا سهو قطعاً؛ فإنّ تمهيد القواعد كتاب مستقلّ يشتمل على مائة قاعدة أُصولية و مائة قاعدة أدبية، و لاصلة له بقواعد الشهيد الأوّل، كما لا يخفى على من راجعهما. و يدّل عليه قول الشهيد الثاني في إجازته لابن هلال الجزائري في وصف كتابه تمهيد القواعد:

وهو كتاب واحدٌ في فنّه، بحمد الله و منّه، ومن وقف على الكتاب المومى إليه علم حقيقة مانبّهنا عليه [٤].

وقولُ ابن العودي تلميذ الشهيد الثاني في وصف تمهيد القواعد:

سلك فيه مسلكاً بديعاً و منهجاً غريباً ما سُبِقَ إليه ... ولقد وصفنا هذا الكتاب لبعض فضلاء العجم بقزوين، فقال: «مثل قواعد الشهيد؟» قلنا: أحسن. فقال: «دعوى

١. مخطوطة حاشية القواعد والفوائد، المحفوظة في مكتبة الإمام الرضا عليه السلام في قم، برقم ٩١/١.
٢. نضد القواعد الفقهية، ص ٣ ـ ٤.
٣. مقدّمه‌ای بر فقه شیعه، ص ١٤٩. و انظر الذريعة، ج ١٧، ص ١٩٤، حيث قال: «... فَصَّلَ الشهيد الثاني قواعده الأُصولية و الأدبية مع فهرس المطالب و المسائل الفرعية في كتابه تمهيد القواعد».
٤. بحار الأنوار، ج ١٠٨، ص ١٤٤.

عظيمة». فقلنا: الشاهد حاضر، و دفعنا إليه الكتاب، فأخذه إلى منزله، وفي اليوم الثاني أرسل يستأذنُ منّا في تقطيع أجزائه وتفريقها على الكتّاب ليكتبوه عاجلاً، فكتبه في أيّامٍ قلائلَ ومَدَحَه [١].

ولو كان تمهيد القواعد تلخيصاً لقواعد الشهيد الأوّل وتنظيماً لَه لَما صدق في شأنه هذا الكلام من مؤلّفه الشهيد و تلميذه رحمهما الله.

٢٢. اللمعة الدمشقيّة في فقه الإمامية

أشهر مصنّفات الشهيد، مختصر لطيف جمع فيه أبواب الفقه و لَخَّصَ أحكامه. سمّاه بهذا الاسم في مقدِّمته، حيث قال:

أمّا بعد، فهذه اللمعة الدمشقيّة في فقه الإمامية، إجابةً لالتماس بعض الديّانين، وحسبنا الله ونعم الوكيل. وهي مبنيّة على كتبٍ [٢].

وقال في آخره:

وليكن هذا آخر اللمعة، ولم نذكر فيها سِوى المهمّ، وهو المشهور بين الأصحاب، والباعث عليه اقتضاء بعض الطلّاب (نفعه الله وإيّانا به). والحمد لِلّه وحده ... [٣].

ووصفه في إجازته لابن الخازن بقوله: «و ... كتاب اللمعة الدمشقيّة، مختصر لطيف في الفقه» [٤].

ووصفه الشهيد الثاني بقوله:

المختصر الشريف و المؤلَّف المنيف، المشتمل على أُمّهات المطالب الشرعيّة، الموسوم بـ«اللمعة الدمشقيّة» [٥].

لم نستطع الوقوف على تاريخ التأليف تحديداً، لكن ورود اسم الكتاب في إجازة الشهيد

---

١. الدرّ المنثور، ج ٢، ص ١٨٥ ـ ١٨٦.

٢. اللمعة الدمشقيّة، ص ٢١؛ قال الشهيد الثاني في الروضة البهيّة، ج ١، ص ٢٣ في شرح هذا الكلام: «... نسبها إلى دمشقَ المدينة المعروفة؛ لأنّه صنَّفَها بها في بعض أوقات إقامته بها».

٣. اللمعة الدمشقيّة، ص ٢٨٧.

٤. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٧.

٥. الروضة البهيّة، ج ١، ص ٥.

لابن الخازن في ثاني عشر شهر رمضان عام ٧٨٤ يُرشدُنا إلى أنّه فرغ من تصنيفه قبل هذا التاريخ؛ ومن جهة أُخرى صرّح الشهيد الثاني في مقدّمة شرح اللمعة أنّه ألّفه عام ٧٨٢[١]، وأنّه قُرِئ بعد التأليف على مؤلِّفه[٢]. وأشار الشهيد الثاني أيضاً في شرحه إلى أنّه من آخر مصنّفاته، حيث قال:

... وقد اختلف فيه كلام المصنِّف فاختاره هنا، وهو من آخِر ما صنّفه، وفي الرسالة الألفية، وهي من أوّله[٣].

فليست اللمعة آخِرَ ما صنّفه؛ فإنّه كان مشغولاً بتأليف الذكرى و الدروس عام ٧٨٤، كما تقدّم، فما ذكره صاحب الجواهر من قوله: «... قد رجع عنه في اللمعة التي هي آخر ما صنّف، فقطع بالجواز»[٤] فليس بصواب.

وأشار الشهيد في اللمعة إلى كتابه الذكرى، حيث قال: «وقد حقّقناه في الذكرى»[٥]؛ «وقد بيّنّا مأخذه في كتاب الذكرى»[٦].

ثمّ اعلم أنّ الشهيد الثاني قال في شرح قول الشهيد في مقدّمة اللمعة: «إجابةً لا لتماس بعض الديّانين»:

وهذا البعض هو شمس الدين محمّد الآوي[٧]، من أصحاب السطان عليّ بن مؤيَّد ملك خراسان و ما والاها في ذلك الوقت إلى أن استولى على بلاده تيمور لنگ، فصار معه قسراً إلى أنْ توفِّي في حدود سنة خمس و تسعين و سبعمائة، بعد أن استشهد المصنّف ﷺ بتسع سنين[٨]. و كان بينه وبين المصنِّف ﷺ مودّة و مكاتبة على البُعد إلى

١. الروضة البهيّة، ج ١ ص ٢٤.
٢. الروضة البهيّة، ج ٣، ص ٥٤١.
٣. الروضة البهيّة، ج ١، ص ٢٧٨.
٤. جواهر الكلام، ج ٢٩، ص ٣١٧.
٥. اللمعة الدمشقيّة، ص ٣٠.
٦. اللمعة الدمشقيّة، ص ٤٠.
٧. وردت ترجمته في الحقائق الراهنة، ص ١٧٥ ـ ١٧٦.
٨. الصواب أنّه توفّي عام ٧٨٨، أي بعد استشهادالشهيد بسنتين. انظر تاريخ جنبش سربداران، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣. قال السيّد حسن الأمين ﷺ في الشهيد الأوّل، ص ٣٩: «وظلّ عليّ بن المؤيَّد في صحبة تيمور سبع سنين إلى أن قتل سنة ٧٨٨ في الحويزة في الحرب التي اشتعلتْ مع اللُر، ونقل جثمانه إلى سبزوار ودفن سرّاً؛ خوفاً من الدراويش الذين كانوا يومذاك يتولّون حكم سبزوار».

العراق، ثمّ إلى الشام. وطلب منه أخيراً التوجّه إلى بلاده في مكاتبة شريفة [١] أكثر فيها من التلطّف و التعظيم و الحثّ للمصنّف﵀ على ذلك، فأبىٰ و اعتذر إليه، و صنّف له هذا الكتاب بدمشق في سبعة أيّام لاغير ـ على ما نقله عنه ولده المبرور أبوطالب محمّد ـ و أخذ شمس الدين الآوي نسخة الأصل، ولم يتمكّن أحدٌ من نسخها منه لضنّته بها، و إنّما نَسَخَها بعض الطلبة وهي في يد الرسول، تعظيماً لها، و سافر بها قبل المقابلة، فوقع فيها بسبب ذلك خلل، ثمّ أصلحه المصنّف بعد ذلك بما يناسب المقام، و ربّما كان مغايراً للأصل بحسب اللفظ، و ذلك في سنة اثنتين و ثمانين و سبعمائة.

ونقل عن المصنّف﵀ أنّ مجلسه بدمشق ذلك الوقت ما كان يخلو غالباً من علماء الجمهور لخلطته بهم و صحبته لهم، قال: «فلمّا شرعت في تصنيف هذا الكتاب كنت أخاف أنْ يدخل عليّ أحدٌ منهم فيراه، فما دخل عليّ أحد منذ شرعت في تصنيفه إلى أن فرغت منه، و كان ذلك من خفيّ الألطاف».

وهو من جملة كراماته (قدّس الله روحه و نَوَّرَ ضريحه) [٢].

وكان تأليف اللمعة جواباً لرسالة وردتْ إلى الشهيد من عليّ بن مؤيَّد ـ من ملوك «سربداران» في خراسان [٣] ـ كما صرّح به الشهيد الثاني. وتلك الرسالة موجودة بحمد الله تعالى، ونشرتْ في عدّة كتب [٤]. ولأهمّيتها وجَزالتها وفصاحتها نأتي بنصّها هنا، اعتماداً على عدّة من مخطوطاتها، منها:

أ) مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، المرقّمة ٤٨٨٦ [٥]. وهي نسخة من شرح اللمعة للشهيد الثاني، نسخها تلميذه السيّد عليّ بن الصائغ في زمن حياته عام ٩٥٥، و نَسَخَ في أوّله رسالة عليّ بن مؤيَّد نقلاً عن خطّ الشهيد الثاني.

---

١. سنأتي بنصّ هذه الرسالة.

٢. الروضة البهيّة، ج ١، ص ٢٣ ـ ٢٤.

٣. «السربداريون هم جماعة من قادة الشيعة حكموا منطقة خراسان ما يقرب من سبعين سنة، و امتدّتْ دولتهم من سواحل جنوب شرق بحر الخزر حتّى مدينتي طوس و مشهد» (الشهيد الأوّل، ص ٢١، الهامش). وانظر للوقوف على حكومتهم وحياتهم: تاريخ جنبش سربداران؛ قيام شيعى سربداران؛ مقالة «حكومت شيعه سربداران» ضمن كتاب پژوهشى دربارهٔ حديث و فقه، ص ٤١٣ ـ ٤٤٠.

٤. منها الصدف المشحون، للمولى محمّد شريف الشيرواني، ص ٧٧ ـ ٧٨.

٥. ذكرت في فهرسها، ج ١٤، ص ٢٨ ـ ٢٩.

ب) مخطوطة مكتبة ملك الوطنية بطهران، المرقّمة ٢٩٣٦/٣، نسخت عام ١١٠٩[1].

ج) مخطوطة الروضة البهيّة في مكتبة مدرسة العلوي بخوانسار، وقد نُسخت عام ١٢٤٢ و في أوّلها رسالة عليّ بن مؤيّد.

د) مخطوطة ضمن المجموعة المرقّمة ٢٥/٧٧ في مكتبة آية الله الگلپايگاني ﷺ في قم.

هـ) مخطوطة الروضة البهيّة في مكتبة العلّامة الحاج السيّد محمّد عليّ الروضاتي الخاصّة في إصفهان، وفي أوّلها هذه الرسالة.

وإليك نصّها:

رسالة عليّ بن مؤيَّد إلى الشهيد الأوّل

بسم الله الرحمن الرحيم

سلامٌ كَنشْرِ العَنْبَرِ المتَضَوِّعِ ... يُخَلِّفُ رِيحَ المِسْكِ في كُلِّ موضعِ

سلامٌ يُباهِي البَدْرَ في كُلِّ منزلٍ ... سلامٌ يُضاهِي الشَمْسَ في كُلِّ مَطْلَعِ

على شمس دِينِ الحقِّ دام ظلالُه ... بجدٍّ سعيدٍ في نعيم مُمَتِّعِ

أدام الله تعالى مجلس المولى الإمام الهمام، العالِم العامل، الفاضل الكامِل، السالِكِ الناسِك، رضيّ الأخلاقِ، وفيّ الأعراقِ، علّامة العالَم، مُرشِد طوائف الأُمم، قُدْوة العلماء الراسخين، أُسْوة الفضلاء المحقِّقين، مُفتي الفِرَق، الفاروق بالحقّ، حاوي فُنون الفضائل والمعالي، حائز قَصَبِ السَبْقِ في حَلْبَةِ[2] الأعاظم والأعالي، وارث علومِ الأنبياء والمرسلين، مُحيي مَراسِم الأئمّة الطاهرين، سرّ الله في الأرضين، مولانا شمس الملّة والحقّ و الدين، (مَدَّ الله أطنابَ ظلاله بمحمّدٍ وآله في دولةٍ راسيةِ الأوْتادِ، ونعمةٍ متّصلةِ الأمدادِ إلى يَوْم التَنادِ).

وبعدُ، فالمحبُّ المشتاقُ مشتاقٌ إلى كريم لِقائه غايةَ الاشتياقِ، و أنْ يُشَرّفَ بعدَ البعاد بقُربِ التَّلاق.

---

١. ذكرت في فهرسها، ج ٦، ص ١٦٨.

٢. في المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٩١، «حلب»: «الحَلْبة: خيلٌ تُجمعُ للسباق من كلِّ أوْب، ميدان سباق الخيل، موضع يخصّص للمُلاكمة والمصارعة ونحوها».

حُرِمَ الطرفُ من مُحَيّاك لكنْ حَظِيَ القلبُ عن حُمَيّاك رَيّا

يُنْهِي إلى ذلك الجناب (لازالَ مَرْجِعاً لأُولى الألباب): أنّ شيعةَ خراسانَ (صانَها الله تعالى عن الحَدَثانِ)، مُتَعطِّشون إلى زلالِ وِصاله، و الاغتراف من بحار فضله و إفضاله. و أفاضلُ هذه الديار قد مَزَّقَ شَمْلَهم أيدي الأدوار، وفَرَّقَ جُلّهم بل كلَّهم صُنوفُ صُروفِ الليل والنهار. و قال أميرالمؤمنين (عليه سلامُ ربِّ العالمين): «ثلْمة الدين موتُ العلماء». و إنّا لا نجدُ فينا من يُوثَقُ على علمه في فُتياه، ويَهْتَدِي الناسُ برُشْده و هُداه، فيسألونَ الله تعالى شرفَ حضورِه، والاستضاءةَ بأشعَّةِ نوره، و الاقتداءَ بعلومه الشريفة، والاهتداءَ بِرُسومه المنيفة. واليقينُ بكرمه العميم و فضله الجسيم أنْ لا يُخَيِّبَ رجاءَهم، ولا يَرُدَّ دعاءهم، ويُسْعِفَ مسؤولَهم، و يُنْجِحَ مأمولَهم.

إذا كان الدعاءُ لِمَحْضِ خيرٍ على يَدَيِ الكريم فلا يُرَدُّ

امتثالاً لِما قال الله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ**﴾.

ولا شكَّ أنّ أوْلَى الأرحام بالصلةِ الرَحِمُ الإسلاميةُ الروحانيةُ، وأحْرَى القَرابات بالرعاية القَرابة الإيمانيةُ ثمّ الجسمانيةُ، فهما عُقْدتانِ لا تَحُلُّهما الأدوارُ والأطوارُ، بل شُعْبتانِ لا يَهْدمُهما [خ ل: لا يَهِزُّهُما] إعصار الأعصار، و نحن نخافُ غَضَبَ الله على هذه البلاد، لِفِقدان المرشِدِ و عُدْمِ الإرشاد.

والمسؤولُ من إنعامه العامِّ، و إكرامه التامّ أنْ يَتَفَضَّلَ علينا، و يَتَوجَّهَ إلينا، مُتَوكِّلاً على الله القدير، غيرَ مُتَعَلِّلٍ بنوع من المعاذير؛ فإنّا بحمد الله نَعْرِفُ قَدْرَه، ونَسْتَعْظِمُ أمرَه، إنْ شاء الله تعالى.

والمتوقّعُ مِن مَكارِم صفاته و مَحاسِنِ ذاته إسْبال ذَيْل العفوِ على هذا الهَفْوِ.

والسلامُ على أهل الإسلام
المحبُّ المشتاقُ عليّ بن مؤيَّد

فلمّا وصل هذا الكتاب إلى الشهيد أبي التوجّه إلى إيران واعتذر إليه وصَنَّفَ له اللمعة الدمشقيّة، و أعطاها شمس الدين الآوي فأتى بها إلى عليّ بن مؤيَّد، كما تقدّم آنفاً.

والجدير بالذكر أنّ شرف الدين محمّد مكّي حفيد الشهيد قال في وصف الشهيد:

... واشتهر في الآفاق عند أهل العلم والملوك، وممّن كاتبه من الملوك والسلاطين: السلطان عليّ بن المؤيَّد سلطان العجم، وأرسل إليه السيّد شمس الدين الآوي ثلاثَ مرّاتٍ بالتماس شديد وأراد منه زَوْر [كذا، ظ: زيارة] العجم، فاعتذر في كلٍّ منها، ثمّ انتهى الأمر أخيراً [إلى أن] كتب له كتاباً غريباً في فنون العلوم والأدب. ثمّ قال السيّد رسول السلطان... فينبغي أن تكتب كتاباً بالفقه حتّى يكون العمل عليه ويرجعون إليه، فكتب اللمعة. [قال] وكان السلطان وجميع من في بلاده يحبّون قدومكم، ويتشوّقون إلى مشاورتكم لأجل الاقتباس من علومكم، فإذا لم يمكنكم كما اعتذرتم فليكن تكتب [كذا] بيدكم الشريفة كتاباً مشتملاً على مسائل الدين...؛ لأنّك العمدة في عصرنا، فاسْتَحْسَنَ الشهيد قوله وشرع فيها... فكتبها وألّفها في سبعة أيّام لا غير [١].

قال العلّامة السيّد حسن الأمين رحمه الله:

وازن الشهيد بين واجبه في وطنه و واجبه في خراسان، فلم يتردّد في عدم الاستجابة لدعوة عليّ بن المؤيَّد؛ لأنّ وطنه كان في أشدّ الحاجة إليه، والأمر هنا يختلف عمّا كان عليه بعد ذلك في أيّام الصفويين حين استدعوا العلماء العامليين فلبّوا دعوتهم؛ لأنّ جبل عامل أيّام الصفويين كان مملوءاً بالعلماء الذين كان يمكن أن يستغني عن بعضهم فيتركوه إلى إيران. في حين أنّ محمّد بن مكّي كان وحيداً في جبل عامل في أيّام السربداريين، لذلك لم يستجب لدعوة عليّ بن المؤيَّد [٢].

صارت اللمعة محطّاً لأنظار الفقهاء، و أصبحت من أشْهر المتون الفقهية، فكتبوا عليها الشروح و الحواشي [٣]، ومن أهمّها و أشهرها الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة، وكان هذا الشرح أيضاً موضع اهتمام الفقهاء على مرّ العصور فكتبوا عليه الحواشيَ والشروح [٤].

طبعت اللمعة مرّاتٍ كثيرة ضمن بعض شروحها و مستقلّة، منها طبعة مكتبة المصطفوي بقم عام ١٣٨١، وطبعة مؤسّسة فقه الشيعة في بيروت عام ١٤١٠ ومنها عام ١٤٣٠ في قم،

١. سفينة شرف الدين محمّد مكّي، الورقة ١٦٢ ب.
٢. الشهيد الأوّل، ص ١٠٢.
٣. انظر الذريعة، ج ٦، ص ١٩٠؛ وج ١٤، ص ٤٧ ـ ٥١؛ مقدمه‌ای بر فقه شیعه، ص ١٣٨ ـ ١٤١.
٤. انظر الذريعة، ج ٦، ص ٩٠ ـ ٩٨؛ وج ١٣، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٦؛ مقدّمه‌ای بر فقه شیعه، ص ١٨٤ ـ ١٩٤.

ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٣. و ترجمها إلى الإنجليزية بعض المعاصرين [١] وإلى الفارسية المرحوم السيّد محمّد المشكاة وغيره، وطبع قسمٌ من ترجمة المشكاة في جريدة سبيل الرشاد أثناء سنوات ١٣٠١ـ١٣٠٥ش في إيران. و ترجمها إلى الفارسية عدّة مرّات عدة من الفضلاء، ونشروها مكرّراً. ونظمها المير قوام الدين محمّد الحسيني السيفي القزويني (م ح ١١٥٠) وسمّاها التحفة القوامية في فقه الإمامية. ونُشرت هذه المنظومة عام ١٣٦٥ [٢]، ونَظَم الطهارة والصلاة منها الشيخ فرج بن الحسن آل عمران القطيفي، وسمّاها درّة الصدف، عام ١٣٨٥ [٣]، وطبعت في النجف الأشرف، عام ١٣٧١ في المطبعة الحيدرية، ضمن الدرر والغرر. ونظمها أيضاً سيف الدين عليّ بن محمّد جعفر الإسترآبادى وسمّاها لؤلؤ الأحكام وشرحها باسم كنز درر الأحكام، ومخطوطة هذا الشرح موجودة في مكتبة آية الله المرعشي برقم ٣٨٧٨، ونظمها بالفارسية في ٧٧١٧ بيتاً الشابّ المعاصر فرهاد اليوسفي اللاهجاني سنة ١٤٢٧، ولم تطبع هذه المنظومة.

ويوجد الكثير من مخطوطات اللمعة [٤]، وقفنا على أكثر من سبعين مخطوطة لها، من أقدمها:

أ) مخطوطة مكتبة العلّامة الطباطبائي في كلّية الطبّ بجامعة شيراز، المرقّمة ٢٣٨، نسخها حسين بن محمّد بن الحسن الجويّاني عام ٨٠٨، كما ذكرها العلّامة المرحوم السيّد عبد العزيز الطباطبائي رحمه الله [٥].

ب) مخطوطة الروضة الرضوية المقدّسة، المرقّمة ٢٥٤٧، نسخت عام ٨٤٩، وعليها إنهاء الشهيد الثاني في محرّم الحرام عام ٩٤٠ [٦].

* * *

١. انظر شناختنامهٔ شهيدين، ص ١٣٩ـ١٤٥.
٢. الذريعة، ج ٣، ص ٤٦٢؛ فهرست كتابهای چاپی عربی، ص ١٧١ ـ ١٧٢؛ كما في شناختنامهٔ شهيدين، ص ٤٢٦؛ وانظر الذريعة، ج ٢٦، ص ٢٩٥.
٣. الذريعة، ج ٢٦، ص ٢٩٥.
٤. انظر الذريعة، ج ١٨، ص ٣٥٢؛ مقدمه‌ای بر فقه شيعه، ص ١٣٨.
٥. ميراث اسلامی ايران، ج ١، ص ٤٤٠، مقالة «من تراثنا الخالد في شيراز».
٦. اللمعة الدمشقيّة، ص ١٨، مقدّمة التحقيق؛ فهرست ألفبائی كتب خطی، ص ٤٨٥.

قال الشيخ الحرّ العاملي رحمه الله في ترجمة الشهيد قدس سره:

وكانت وفاته سنة ٧٨٦ ... بعد ما حُبِسَ سنةً كاملةً في قلعة الشام. و في مدّة الحبس ألّف اللمعة الدمشقيّة في سبعة أيّام، و ما كان يحضره من كتب الفقه غير المختصر النافع [١].

والشيخ الحرّ هو أوّل من قال بهذا الكلام ـ فيما نعلم ـ ثمّ تبعه بعض أصحاب التراجم [٢] فنقلوه في كتبهم و صار مشهوراً؛ و لكنّه سهوٌ قطعاً، نعم نقل تأليفه في سبعة أيّام ولدُ الشهيد أبو طالب محمّد ـ كما حكاه الشهيد الثاني [٣] ـ و أمّا تأليفه في الحبس في السنة الأخيرة من عمره الشريف حينما كان لم يحضره من كتب الفقه غير المختصر النافع، فلم ينقله أحدٌ قبل الشيخ الحرّ فيما نعلم. ولم يذكره أحدٌ من تلامذه الشهيد و معاصريه و وُلْدِه فيما وصل إلينا من المصادر. و إليك بعض الأدلّة على عدم صحّة ما قاله الشيخ الحرّ العاملي رحمه الله من تأليفه في الحبس في السنة الأخيرة من عمره الشريف:

أ) الذي تَدلّ عليه المصادر أنّ الشهيد حُبِسَ لمدّة حوالي عامٍ ثمّ استشهد محتسباً. وذكر الشهيدُ اللمعةَ في إجازته لابن الخازن عام ٧٨٤ ـ أعني حوالي سنتين قبل استشهاده، كما تقدّم ـ فيعلم منه أنّه ألّفه قبل زمان حبسه.

ب) ما ذكره الشهيد الثاني في مقدّمة شرح اللمعة دليل على أنّ تأليفه تمّ قبل استشهاده بأربع سنين تقريباً، و ذيل كلام الشهيد الثاني دليل صريح على أنّ التأليف لم يتمّ في الحبس.

ج) صرّح الشهيد الثاني بأنّ اللمعة قُرِئَ بعد التأليف على مؤلِّفه، حيث قال:

وفي بعض نسخ الأصل: وقال الشيخ والقاضي: «يحلف البائع كالاختلاف في الثمن» وضرب عليه في بعض النسخ المقروءة على المصنِّف رحمه الله [٤].

واعلم أنّه قال بعض المعاصرين:

... قال الشهيد الثاني في الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة: «و ما جاء في أمل الآمل من أنّه صَنَّفَ اللمعة في الحبس غير صحيح؛ لما سمعت من أنّها صنّفها

١. أمل الآمِل، ج ١، ص ١٨٢ ـ ١٨٣. وأمثال هذه الاشتباهات كثيرة في أمل الآمل للشيخ الحرّ (طاب ثراه)، كما ذكرتُ بعضها في مقدّمتي لمنية المريد، فراجع.
٢. ومنهم الطهراني في الذريعة، ج ١٣، ص ٢٩٢.
٣. الروضة البهيّة، ج ١، ص ٢٤.
٤. الروضة البهيّة، ج ٣، ص ٥٤١.

بالتماس الآوي، و كان تصنيفها لسلطان خراسان سنة ٧٨٢، قبل قتل ا لشـهيد بأربـع سنوات» [١].

والسهو فيه أوضح من الشمس؛ فإنّ الشهيد الثاني استشهد عام ٩٦٥، والشيخ الحرّ العاملي مؤلّف أمل الآمل وُلِدَ عام ١٠٣٣، فكيف يقول الشهيد الثاني: «ما جاء فـي أمـل الآمـل ... غير صحيح»؟

٢٣ . المزار

وقد يسمّى منتخب الزيارات، و لعلّه مأخوذ من قول الشهيد في مقدِّمته:

... وبعد، فهذا المنتخب موضوع لبيان مـا يـنبغي أنْ يُـعمل فـي المشـاهد المـقدّسة والأمكنة المشرّفة من الأفعال المرغَّبة والأقوال المرويّة [٢].

وآخره:

هذا آخِر ما أردنا ذكرَه في هذه المجموعة. والحمد للّه ربِّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين.

وهو موجود بحمد الله تعالى، ولا يُعلم تاريخ تأليـفه، وتـولّت طـبعه مـدرسة الإمـام المهديّ عليه السلام في قم في عام ١٤١٠ لأوّل مرّة. ثمّ أعدّه للطبع الفاضلُ محمود البدري ونشرته مؤسّسة المعارف الإسلاميّة في قم، عام ١٤١٦. ثمّ نشر ضـمن مـوسوعة الشـهيد الأوّل، ج ١٩، عام ١٤٣٠.

وهو يشتمل على بابين: الباب الأوّل في الزيارات، وهو مـرتّبٌ عـلى ثـمانية فـصول وخاتمة؛ والباب الثاني يشتمل على سبعة فصول وخاتمة.

وإليك تفصيلها:

الباب الأوّل في الزيارات

الفصل الأوّل في زيارة النبيّ صلى الله عليه وآله من بُعدٍ أو قرب.

الفصل الثاني في زيارة الأئمّة الأربعة عليهم السلام بالبقيع.

---

١. اللمعة الدمشقيّة، ص ١١ ـ ١٢، مقدّمة التحقيق.

٢. المزار، ص ٩.

الفصل الثالث في زيارة أميرالمؤمنين (صلوات الله عليه).

الفصل الرابع في زيارة أبي عبدالله الحسين عليه السلام.

الفصل الخامس في زيارة أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.

الفصل السادس في زيارة مولانا أبي جعفر محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام.

الفصل السابع في زيارة ثامن الأئمّة الأطهار أبي الحسن الرضا عليّ بن موسى عليه السلام.

الفصل الثامن في زيارة الإمامين الهمامين السيّدين أبي الحسن عليّ بن محمّد الهادي و أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكري عليهما السلام بسرّ من رأى.

تتمّةٌ في زيارة سيّدنا و مولانا حجّة الله الخلف الصالح أبي القاسم محمّد المهديّ صاحب الزمان (صلوات الله عليه و على آبائه) بسرّ من رأى، و زيارة أُمّ الحجّة القائم عليه السلام.

الخاتمة:

الفصل الأوّل في زيارة مختصرة جامعة يزار بها في جميع المشاهد المشرّفة (على ساكنها السلام).

الفصل الثاني في زيارة سلمان الفارسي رحمه الله.

الفصل الثالث في زيارة قبور الشيعة.

الفصل الرابع فيما يقول الزائر عن غيره بالأُجرة و ما يقوله تطوّعاً.

الباب الثاني

الفصل الأوّل في العمل عند ورود الكوفة.

الفصل الثاني في ذكر العمل بالمسجد الجامع بالكوفة.

الفصل الثالث في فضل مسجد السهلة و الصلاة به و الدعاء فيه.

الفصل الرابع في فضل مسجد صعصعة و الصلاة به و الدعاء فيه.

الفصل الخامس في فضل مسجد غني و الصلاة به و الدعاء فيه.

الفصل السادس في فضل مسجد الجعفي و الصلاة به و الدعاء فيه.

الفصل السابع في فضل مسجد بني كاهل، و يُعرَف بمسجد أميرالمؤمنين عليه السلام والصلاة به والدعاء فيه.

الخاتمة:

الفصل الأوّل في زيارة مسلم بن عقيل رحمه الله.

الفصل الثاني في زيارة هانئ بن عروة رضي الله عنه.

الفصل الثالث في زيارة المختار رضي الله عنه.

واعلم أنّ الكنتوري (طاب ثراه) قال عند التعريف بكتاب المزار للشيخ المفيد قدس سره:

المزار، للشيخ المفيد ... ذكر فيه زيارات النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام. أوّله: «يا من جَعَلَ الحضور في مشاهد أصفيائه ذريعةً إلى الفوز بدرجات أحبّائه ...» [١].

وتبعه الشيخ آقا بزرگ الطهراني (طاب ثراه) فقال:

مزار المفيد ... فيه زيارة النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام. أوّله: «يا من جعل الحضور في مشاهد ...».

كذا في كشف الحجب ... أقول: وبعد الخطبة المذكورة يقول: «فهذا المنتخب موضوع لبيان ما ينبغي أنْ يعمل في المشاهد والأمكنة المشرّفة ...» وهو مشتمل على بابين ... [٢].

أقول: ما ذكره الكنتوري و الطهراني ينطبق على مزار الشهيد لا المفيد بلاريبٍ. وقال الطهراني أيضاً:

ـ مراد المريد لمزار الشهيد، ترجمة له، تَرْجَمَه الشيخ عليّ بن حسين الكربلائي للشاه سلطان حسين الصفوي... فرغ من كتابتها في إصفهان في الخميس سلخ ذي القعدة ١١٠٨، وخطبته: «الحمدلِلّه الذي جَعَلَ زيارة أوليائه من أقرب القربات» ... [٣].

ـ مزار الشهيد، للشيخ شمس الدين ... الشهيد ٧٨٦. أوّله: «الحمدلِلّه الذي جَعَلَ زيارة أوليائه من أقرب» وقد ترجمه الشيخ عليّ الكربلائي ... و سمّاه مراد المريد لمزار الشهيد، كما مرّ. و نسخةٌ عتيقة من مزار الشهيد عند السيّد آقا التستري في النجف ... [٤].

أقول: ليس أوّل مزار الشهيد: «الحمدلِلّه الذي جَعَلَ زيارة أوليائه ...» و إنّما هي خطبة ترجمة مزار الشهيد [٥]. و أمّا أوّل مزار الشهيد فهو: «اللهمّ يا من جَعَلَ الحضور في مشاهد أصفيائه ذريعة إلى الفوز بدرجات أحبّائه ...».

---

١. كشف الحجب و الأستار، ص ٥٠٢.

٢. الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٢٥.

٣. الذريعة، ج ٢٠ ص ٢٩٦.

٤. الذريعة، ج ٢٠ ص ٣٢٢. أقول: وتوجد نسخة عتيقة من ترجمة الكربلائي بخطّ الكاتب المشهور أحمد النيريزي كتبها سنة ١١٠٨ في مكتبة الروضة الرضوية، برقم ٣٣٢٦.

٥. انظر المزار، ص ٥، مقدّمة الناشر.

ووقفنا على حوالي ثلاثين مخطوطة له. واعلم أنّه توجد ثمان مخطوطات لمزار الشهيد في مكتبة آية الله المرعشي (طاب مثواه)، بالأرقام ٤٩٠، ٩٥٠، ٣٣١٤، ٣٣٤٢، ٤٦٤٢، ٤٦٧٥، ٤٩٣٨، ٧٨١١. وقد زعمها مُفَهرس المكتبة مزار المفيد، ونسبها جميعاً ـ تبعاً للطهراني ـ إلى الشيخ المفيد في فهرس المكتبة [1].

وتوجد مخطوطة منتخب مراد المريد لمزار الشهيد ـ أعني منتخب ترجمة مزار الشهيد ـ في مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله برقم ١٤٦١٢، ورد في فهرسها (ج ٣٧، ص ٢٩ ـ ٣٠).

● *مسائل ابن مكّي* ← *المسائل الفقهية*

● *المسائل الأربعينية* ← *الأربعينية في المسائل الكلامية*

٢٤ . المسائل الفقهية

قال صاحب الرياض رحمه الله في ترجمة الشيخ أبي القاسم عليّ بن عليّ بن جمال الدين محمّد بن طيّ (المتوفّى عام ٨٥٥) [2]:

> من مؤلّفاته قدس سره كتاب المسائل الفقهية على ترتيب كتب الفقه، ويعرف بمسائل ابن طيّ، وقد رأيتُ نسخةً منه، توجد أيضاً نسخة عتيقة الآن منه بإصبهان عند أمير صالح شيخ الإسلام. وتاريخ تأليف هذا الكتاب سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وقد جمع فيه مسائلَ وفوائدَ من نفسه، ومسائل وفتاوىٰ من جماعة من العلماء، منهم السيّد عميد الدين والشيخ فخرالدين ولد العلّامة، ومن كتاب المسائل للشهيد المعروف بمسائل ابن مكّي، ومن كتاب المسائل للشيخ الأديب ابن نجم الدين الأطراوي العاملي إلى غير ذلك من المؤلِّفين والمؤلَّفات والفتاوى [3].

---

١. انظر تفصيل ذلك فيما كتبته في فهرست آثار خطى شيخ مفيد، ص ١٥١ ـ ١٥٢.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢١٤؛ رياض العلماء، ج ٤ ص ١٥٩؛ و انظر إجازته للشيخ محمّد بن عليّ الجبعي ـ في رابع شهر رمضان سنة ٨٥١ ـ في بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢١٣ ـ ٢١٤. ومن مؤلّفات ابن طيّ كتاب الدرّ المنضود في معرفة صيغ النيّات والإيقاعات والعقود، فرغ منه عام ٨٥٤، و مخطوطة منه توجد في مكتبة العلّامة الطباطبائي في كليّة الطبّ في جامعة شيراز كما في مقالة «من تراثنا الخالد في شيراز» المطبوعة في ميراث اسلامى ايران، ج ١، ص ٤٣٠، ونشر بإعداد الشيخ محمّد بركت في شيراز عام ١٤١٨.

٣. رياض العلماء، ج ٤، ص ١٦٠.

وقال العلّامة السيّد حسن الصدر﵀ :

ـ وقد جمع الشيخ أبو القاسم بن طيّ في كتاب المسائل فتاوى السيّد حسن بن نجم وفتاوى الشهيد على ترتيب أبواب الفقه، و سمّاه المسائل المفيدة بالألفاظ الحميدة لذوي الألباب و البصائر السديدة، و عندي منه نسخة فرغ ناسخها منه سنة ٨٥٣وهو المعروف عند الفقهاء بمسائل ابن طيّ [١].

ـ عندي كتاب المسائل، وأظنّه نسخة الأصل، قال في أوّله: «أمّا بعد، فإنّي أستمدّ من أهل المعونة وتيسير المؤونة على جمع مسائل كتاب المسائل، كلّ مسألة في كتابها المختصّ به، و أُضيف إليها من غيرها مسائل أُخر هي مسائل الشيخين الإمامين المرحومين: ابن مكّي و ابن نجم الدين».

أقول: يريد بكتاب المسائل ما جمعه عليّ بن مظاهر من مسائل أُستاده فخرالدين ويعرف بالمسائل المظاهرية، وعندي منه نسخة قديمة ... [٢].

وقال الشيخ آقا بزرگ الطهراني (طاب ثراه) في وصف مسائل ابن طيّ:

مسائل ابن طيّ، للشيخ أبي القاسم عليّ بن عليّ... صنَّفَها سنةَ ٨٢٤، جمع فيها مسائل وفوائد من نفسه، ومسائل أُخرى من فتاوى جماعة من العلماء ... ومن مسائل الشهيد المعروف بمسائل ابن مكّي... رأيته في خزانة سيّدنا الحسن صدر الدين من عصر المؤلِّف، تاريخها ثلاث و خمسين و ثمانمائة ... أوّله:

«الحمد لِلّه المتفرّد بالقدم والدوام ... فإنّي مستمدٌّ من الله المعونةَ على جمع كتاب المسائل كلّ مسألة في كتابها المختصّ به و أضيف إليها من غيرها مسائل أُخر من مسائل الشيخين الإمامين المرحومين ابن مكّي و ابن نجم الدين ... مرتّبة على كتب و مقاصد، و نبدأ بالأهمّ فالأهمّ. كتاب الطهارة، وفيه مسائل. مسألة: لومَسَّ السِنَّ أو الظفر المتّصِل بالميّت لا غسل عَليه».

... و صرّح بأكثر خصوصيات هذه المسائل في الرياض... [٣].

---

١. تكملة أمل الآمل، ص ١٣٦ ـ ١٣٧. وقد نقلت النسخة التي كانت عند السيّد الصدر إلى مكتبة آية الله المرعشي﵀ ؛ انظر ميراث شهاب، عدد ٤٣ ـ ٤٤، ص ١٧٨، رقم ٢٨٠. ومصوّرتها موجودة عندي في مؤسّسة تراث الشيعة.

٢. تكملة أمل الآمل، ص ٣٠٩ ـ ٣١٠.

٣. الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٣١ ـ ٣٣٢.

وقال أيضاً في وصف مسائل ابن مكّي:

مسائل ابن مكّي، مسائل مرتّبة على ترتيب أبواب الفقه، للشيخ السعيد الشهيد ... وَزَّعَها ابن طيّ في مسائله المذكورة ...[١].

أقول: وطبعت مسائل ابن طيّ متفرّقاً ضمن سلسلة الينابيع الفقهية (٢) بإعداد الشيخ عليّ أصغر مروارید، في بيروت، عام ١٤١٣/١٩٩٣م. و ذكرت مخطوطاتها في بعض الفهارس، والآن هي قيد التحقيق، يحقّقها الفاضل المكرّم الشيخ محمّد بركت (حفظه الله ورعاه)[٢].

وقد تبيّن من كلامهما أنّ للشهيد كتاباً فقهياً معروفاً بـ مسائل ابن مكّي، وقد سمّيناه بـ المسائل الفقهية، و لكنّي لم أعثر على مخطوطة له في المكتبات وفهارس المخطوطات؛ نعم قال الطهراني:

نسخة منها بخطّ الشيخ رضي الدين أبي طالب محمّد ابن الشيخ الشهيد محمّد ابن مكّي، كتابتها سنة شهادة والده ٧٨٦ في الخزانة الرضوية، كما في فهرسها. أوّلها: «أي اجعلها من أهل بيتٍ طاهر» و آخرها: «... وهذا ما وجدت من المسائل، والحمد لِلّه وحده، ضحوة نهار الثلاثاء أوّل يومٍ من ربيع الأوّل سنة ثمان وسبعين وثمانمائة، وكتب محمّد بن محمّد بن مكّي حامداً مستغفراً». والتاريخ المسطور في الفهرس غلطٌ قطعاً[٣].

أقول: النسخة التي أشار إليها الطهراني موجودة في مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة في مشهد، برقم ٢٣٤١ في ٤٥ ورقة؛ ونسبت الرسالة في فهرس المكتبة (ج ٢، ص ٣٩) إلى ولد الشهيد محمّد بن محمّد بن مكّي، وجاء فيها أنّه ألّفها سنة ٧٨٦. ولكن بعد مراجعة المكتبة و زيارة النسخة تبيَّن:

أوّلاً: أنّ النسخة ليست هي مسائل ابن مكّي ـ التي أوردناها نحن بعنوان المسائل الفقهية ـ بل هي نسخةٌ من مسائل ابن طيّ[٤].

---

١. الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٣٣.
٢. انظر مقدّمه‌ای بر فقه شیعه، ص ١٦٢.
٣. الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٣٣؛ وانظر وصف هذه المخطوطة وبعض مطالبها في أعيان الشيعة، ج ٩، ص ٤١٠ ـ ٤١١.
٤. وتوجد نسخة أُخرى منها في مكتبة الروضة الرضوية، برقم ٢٦٥٠، ذكرت في فهرسها، ج ٢٠، ص ٤٣٩.

وثانياً: جاء في آخرها:

وهذا آخر ما وجدت من المسائل، والحمد للّه وحده، و ذلك ضحوة نهار الثلاثاء أوّل يوم من ربيع الأوّل سنة ثمان وسبعين وثمانمائة. وكتب محمّد بن محمّد بن مكّي حامداً مستغفراً مصلّياً على محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين.

هذا من المستبعد بمكانٍ ولا يمكن الالتزام بصحّته[1]؛ لأنّ من المسلّمات أنّ شهادة الشهيد كانت عام ٧٨٦، وأجاز ابن مُعيّة لولد الشهيد محمّد عام ٧٧٦ بتصريح الشهيد نفسه[2] ـ وشاهد إجازته صاحب المعالم بخطّ المجيز[3] ـ وتوفّي ابنُ معيّة ثامن ربيع الآخر عام ٧٧٦، كما ذكره الشهيد؛ وإذا فرضنا أنّ ولد الشهيد محمّد كان طفلاً صغيراً في أقلّ تقدير حين أجازه ابن معيّة فإنّه يلزم له من العمر عام ٨٧٨ ـ أعني عام نسخ المخطوطة ـ أكثر من مائة عام، وهو افتراض بعيد، ولو تحقّق لذكره مترجمو نجل الشهيد رحمهم الله.

ثمّ اعلم أنّ بعض الفضلاء استخرج ما نقل في مسائل ابن طيّ عن الشهيد وما نقل عن الشهيد في كتاب بخطّ الشهيد الثاني رحمه الله المحفوظة في مكتبة الشيد عبدالعظيم الحسني برقم ٧٠١، ومصوّرته موجودة عندي في مؤسّسة تراث الشيعة. ونُشِرَ لأوّل مرّة في موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨.

● *المسائل المقداديّة* ← *أجوبة مسائل الفاضل المقداد*

● *المقداديات* ← *أجوبة مسائل الفاضل المقداد*

٢٥ . المقالة التكليفيّة

رسالة في العقائد والكلام، سمّاها الشهيد بهذا الإسم في مقدِّمتها، حيث قال:

الحمد للّه الذي لم يخلق الخلق عبثاً، ولم يدعهم هملاً، بل كلّفهم بالمشاقّ علماً وعملاً،

---

١. كتب الفقيه المحقِّق الحجّة آية الله السيّد موسى الشبيري الزنجاني (دامتْ بركاته) تصحيحاً وتعليقاً على هذا الموضع من الطبعة الأُولى لهذا الكتاب: «لا يبعد كون الكاتب هو والد الشيخ عزّالدين حسين المجاز من المحقّق الكركي في ١٦ شهر رمضان المعظم سنة ٩٠٣، وقد عبّر في الإجازة عنه هكذا: «سيّدنا العلّامة عزّالملّة والدين حسين ابن المرحوم الشيخ الجليل شمس الدين محمّد الحرّ لقباً ابن المرحوم الشيخ الجليل شمس الدين محمّد بن مكّي والمجاز هو جدّ شيخنا الحرّ مؤلف الوسائل رحمه الله».

٢. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٤٣٩، ط. القديمة، وج ٢٠، ص ٣١٢، ط. الجديدة.

٣. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٥٠، الإجازة الكبيرة لصاحب المعالم.

لينزجروا عن قبائح الأعمال، وينبعثوا على محاسن الخِلال ... وبعد، فهذه المقالة التكليفيّة، مرتّبة على خمسة فصولٍ سنيّة:

الفصل الأوّل في ماهيّته و توابعها؛

الفصل الثاني في متعلّقه؛

الفصل الثالث في غايته؛

الفصل الرابع في الترغيب؛

الفصل الخامس في الترهيب ...

فالفصل الأوّل يُبحث فيه عن الثلاثة الأُوَل، وهي: ما التكليف، والبحث فيه عن مفهومه بحسب الاصطلاح، وهل يجب في حكمته تعالى أم لا؟ ومَن المكلِّف والمكلَّف؟ والفصل الثاني يُبحث فيه عن مدلول كيف التكليف، أي على أيّ صفةٍ يكون. والفصل الثالث يُبحث فيه عن مدلول لِمَ يجب التكليف مثلاً، وهو السؤال عن غايته. والفصلان الأخيران من مكمِّلات هذا الفصل [١].

وفي آخرها:

تمّت الرسالة، والحمد للّه ربِّ الأرباب... وذلك هزيع ليلة السبت لإحدى عشرةَ ليلةً خَلتْ في جُمادى الأُولى سنة سبع وستّين وسبعمائة. هذا آخر كلام المصنّف (رحمه الله تعالى) [٢].

وذكرها الشهيد في إجازته لابن نجدة في عاشر شهر رمضان عام ٧٧٠، وعبّر عنها برسالة التكليف [٣]، و ذكرها أيضاً في إجازته لابن الخازن في ثاني عشر شهر رمضان عام ٧٨٤، فقال: «... ومن ذلك رسالة في التكليف وفروعه» [٤]. فيعلم من ذكرها في إجازته لابن نجدة أيضاً أنّه ألّفها قبل عاشر شهر رمضان عام ٧٧٠؛ ومن جهة أُخرى ذكرها الشهيد في رسالته المنسك الكبير، حيث قال:

... السابع: «لوجوب الجميع». وبه يمتاز عن الندب، ووجه الوجوب هو اللطف في التكليف العقلي أو شكر النعمة، على اختلاف الرأيين، كما بيّنّاه في رسالة التكليف [٥].

---

١. مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي (طاب ثراه)، المرقّمة ١١٧٦/٢.

٢. رسائل الشهيد الأوّل، ص ٢٥، ١٢٩؛ فهرست كتب خطّي كتابخانهٔ آستان قدس رضوى، ج ٦، ص ٤٠٣. وهذا التاريخ أعني ٧٦٧ صُحِّفَ في الذريعة، ج ٤، ص ٤٠٨ بـ«٧٦٩»، وهو تصحيف بلا ريب.

٣. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٥.

٤. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٧.

٥. رسائل الشهيد الأوّل، ص ٢٢٧.

ونعلم أيضاً أنّ الشهيد فرغ من تأليف المنسك الكبير في شهر شوّال عام ٧٦٥ ـ كما سيأتي ـ فلعلّه أضاف في المنسك الكبير بعدَ تأليفه قولَه: «كما بيّنّاه في رسالة التكليف». وقد طبعت هذه الرسالة لأوّل مرّة مع شرحها: الرسالة اليونسية، ضمن أربع رسائل كلامية (ص ٣٤ ـ ٨٦) في قم المقدسة عام ١٤٢٢، ثمّ نشرت ضمن رسائل الشهيد الأوّل (ص ٧٩ ـ ١٢٩) عام ١٤٢٣، ثمّ ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨، عام ١٤٣٠.

ووقفنا على سبع مخطوطات لها، منها:

أ) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي (طاب ثراه)، المرقّمة ١١٧٦/٢، نسخت عام ١٠٣٦.

ب) مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدَّسة في مشهد، المرقّمة ٨٢٨٩، نسخت عام ٩٨٦[1].

ج) مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، المرقّمة ٤٣٨ من كتب السيّد الطباطبائي (ذكرت في فهرسها، ج ٢٤، ص ٢٨٩).

وتولّى شرح هذه الرسالة الشيخ عليّ بن يونس البياضي (م ٨٧٧). و شرحُه هذا موجود مطبوع بحمد الله، و ذكره الطهراني عدّة مرّاتٍ فقال:

ـ ١٤٠٤: الرسالة اليونسية في شرح المقالة التكليفيّة، التي هي للشهيد الأوّل، للشيخ زين الدين عليّ بن يونس ... صاحب الصراط المستقيم ...[2].

ـ شرح التكليفيّة الشهيدية، للشيخ عليّ بن يونس البياضي، اسمه اليونسية، ...[3].

ـ ٢٧٩: اليونسية، شرح للرسالة التكليفيّة ... للشهيد الأوّل. والشارح زين الدين ... النباطي البياضي العاملي ... ونسخة من شرح التكليفيّة موجودة عند السيّد رضا بن محمّد الزنجاني ... وآخرها: «... فإنّي ألّفتُها ... ضحوة الجمعة لعشر خلت من ربيع الآخِر سنة أربع وأربعين تزيد على ثمان مئين ...» ... ونسخة أُخرى عند السيّد محمّد عليّ الروضاتي بإصفهان، معها الكلمات النافعات...[4].

أقول: و مصوّرة مخطوطة العلّامة الروضاتي (دام علاه) موجودة في المكتبة المركزية لجامعة طهران، برقم ١٠٨٩ (ذكرت في فهرس مصوّراتها، ج ١، ص ٥٦٣).

● *منتخب الزيارات* ← *المزار*

---

١. ذكرت في فهرسها، ج ٦، ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣.
٢. الذريعة، ج ١١، ص ٢٣٠.
٣. الذريعة، ج ١٣، ص ١٥١.
٤. الذريعة، ج ٢٥، ص ٣٠٨.

٢٦ . المنسك الصغير (= خلاصة الاعتبار في الحجّ والاعتمار)

هي رسالة حسنة مختصرة في مناسك الحجّ، ذكرها الشهيد في إجازته لابن نجدة عام ٧٧٠، بقوله: «فممّا سمعه عليّ من مصنّفاتي كتاب ... خلاصة الاعتبار في الحجّ والاعتمار»[١] وأشار إليها الشهيد في غاية المراد، حيث قال:

> وقد كنت ذكرتُ في رسالةٍ: أنّ الإحرام هو توطين النفس على ترك المنهيّات المعهودة إلى أنْ يأتي بالمناسك[٢].

وهذا الكلام يدلّ على أنّ الشهيد ألّفها قبل الفراغ من تأليف غاية المراد أعني قبل منتصف ذي القعدة عام ٧٥٧.

وأورد العلّامة السيّد الأمين هذه الرسالة في كتابه معادن الجواهر[٣]، وطبعت ضمنه محفوفة بالأخطاء والتصحيفات، وقد سقط بعضها من أوّلها وآخرها. وقال السيّد الأمين قبل إيرادها:

> عثرنا في بعض مكتبات جبل عامل على مخطوط قديم فيه رسالة في الحجّ والعمرة من مؤلّفات الشهيد الأوّل (قدّس الله سرّه)، فأحببنا إثباتها هنا[٤].

والظاهر أنّ هذه المخطوطة المذكورة في معادن الجواهر هي التي أشار إليها الطهراني بقوله:

> خلاصة الاعتبار ... توجد نسخة منه في مكتبة السيّد محسن الأمين بدمشق بعنوان مناسك الحجّ؛ ونسخة أُخرى بطهران في مكتبة المحيط[٥].

هذا، و توجد مخطوطات أُخرى من هذه الرسالة، منها:

أ) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي ﷺ، المرقّمة ٣٣٠٧/٤.

ب) مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، المرقّمة ٤١٧/٦[٦].

---

١. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٥.
٢. غاية المراد، ج ١، ص ٣٨٩؛ وموسوعة الشهيد الأوّل، ج ١، ص ٢٨١.
٣. معادن الجواهر، ج ١، ص ٢٩٦ ـ ٣٠٣.
٤. معادن الجواهر، ج ١، ص ٢٩٦.
٥. الذريعة، ج ٧، ص ٢١٤.
٦. ذكرت في فهرسها، ج ١٠، ص ٢٥٠.

و هناك مخطوطة لا نعلم أهي مخطوطة المنسك الصغير أم المنسك الكبير؛ لعدم ذكر مشخّصاتها و هي مخطوطة مكتبة المحيط الخاصّة، كما ذكرها الطهراني﵀ [1].

طبعت خلاصة الاعتبار ـ مضافةً إلى طبعها ضمن معادن الجواهر ـ في مجلّة ميقات الحجّ (العربي) العدد ٦، عام ١٤١٧. ثمّ حقّقت و طبعت ضمن رسائل الشهيد الأوّل (ص ٢٣٩ ـ ٢٤٨) عام ١٤٢٣. ثمّ نشرت عام ١٤٣٠ في موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨.

٢٧ . المنسك الكبير

و هي أيضاً رسالة مختصرة حسنة في مناسك الحجّ، أكبر من أُختها. و لعلّ الذي ذكره الشهيد في إجازته لابن الخازن عام ٧٨٤ بقوله: «ومن ذلك رسالة تشتمل على مناسك الحجّ مختصرة جامعة» [2] هو المنسك الكبير.

طبعت هذه الرسالة لأوّل مرّة في مجلّة ميقات الحجّ (العربي)، العدد الرابع، عام ١٤١٦، ثمّ حُقّقتْ و نُشرتْ ضمن رسائل الشهيد الأوّل (ص ٢٢١ ـ ٢٣٧) عام ١٤٢٣. ثمّ نشرت عام ١٤٣٠ ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٨.

أشار الشهيد الثاني﵀ إلى هذه الرسالة بقوله: «و في رسالة الحجّ اعتبر كونه [أي الرمي] مع ذلك باليد» [3]، وكذلك المحقّق الكركي﵀ حيث قال: «جعل في رسالة الحجّ مبنى القولين على مسألة كلامية اختلف فيها، و هي أنّ الممكن الباقي هل هو محتاج إلى المؤثّر أو مستغن عنه» [4].

تبتدئ بقول الشهيد:

> الله أحمدُ على جميع فرائضه و سننه، و إيّاه أشكر على حسن توفيقه ومننه وأسأله المزيد من فضله في سرّه و علنه ... و بعد، فهذه الرسالة في فرض الحجّ والعمرة، مجرّدةً عن دليل و هي مَبْنيّةٌ على مقدّمة ومقالتين وتكميل ... .

---

١. الذريعة، ج ٧، ص ٢١٤.
٢. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٨.
٣. الروضة البهيّة، ج ٢، ص ٢٨٣.
٤. جامع المقاصد، ج ١، ص ٢٠٠.

وتنتهي بقوله رحمه الله:

... في كتب الأصحاب والأحاديث و هي كثيرة.

وهذا آخر الرسالة، والحمد للّه على كلّ حالة، و الصلاة على المبعوث إلى خير أُمّة و آله خير أئمّة. كتب بالحلّة في شهر شوّال سنة خمس وستّين وسبعمائة.

وهذا كما ترى أُلّف في سنة ٧٦٥ أي بعد فراغه من تأليف غاية المراد في سنة ٧٥٧، فما أشار إليه في غاية المراد (ج ١، ص ٣٨٩) هو المنسك الصغير المسمّى بخلاصة الاعتبار في الحجّ و الاعتمار. ومن هنا يظهر أنّه ألّف أوّلاً المنسك الصغير ثمّ غاية المراد عام ٧٥٧ ثمّ المنسك الكبير عام ٧٦٥.

وأشار الشهيد في هذه الرسالة إلى المقالة التكليفيّة حيث قال: «كما بيّنّاه في رسالة التكليف». ولعلّ هذا مشعرٌ بأنّه ألّف المقالة التكليفيّة قبل عام ٧٦٥، ولكنّه جاء في مخطوطةٍ منها المحفوظة في مكتبة الروضة الرضويّة (برقم ٨٢٨٩):

تمّت الرسالة ... و ذلك هزيع ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأُولى سنة سبع وستّين و سبعمائة، هذا آخر كلام المصنّف (رحمه الله تعالى).

ومن نسخه:

أ) مخطوطة مكتبة ملك الوطنيّة، المرقّمة ٢١٤٧/١٤ (ذكرت في فهرسها، ج ٥، ص ٤٣٦) باسم المنسك الكبير نَسَخها يحيى بن حسين بن حسن سلمآبادي عام ٩٠٨، وجاء في آخرها تاريخ تأليفها و أنّها كتبت بالحلّة شهر شوّال سنة ٧٦٥.

ب) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، المرقّمة ٣٣٠٧/٣. و جاء في آخرها تاريخ تأليفها، و كتبت المجموعة في عام ٩٤٢ ـ ٩٤٧.

ج) مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، المرقّمة ١٣٧٣٢/١٦ (ذكرت في فهرسها، ج ٣٤، ص ٧٠٣).

د) مخطوطة المكتبة المركزية لجامعة طهران، المرقّمة ٥٣٩٦/١٢ (ذكرت في فهرسها، ج ١٥، ص ٤٢٣٩).

هـ) مخطوطة مكتبة فخرالدين النصيري الخاصّة، جاء في آخرها:

تمّ منسك الشيخ الفاضل الكامل الأجلّ محمّد بن مكّي، وهو الشهيد الأوّل (تغمّده الله

بغفرانه و أسكنه أعلى جنانه) على يد العدد الضعيف المذنب الراجي رحمة ربّه الغنيّ محمّد بن فتح الله البسطامي (عُفي عنهما) يومَ الخميس تاسع شهر رمضان المبارك سنة ١٠٠٦ (ألف و ستٍّ) بدار السلطنة قزوين.

وتوفّرتْ لديّ مصوّرة لهذه المخطوطة.

● *النفلية* ← *الرسالة النفلية*

● *نكت الإرشاد* ← *غاية المراد في شرح نكت الإرشاد*

٢٨ . الوصية (١)

قال العالم البارع السيّد محمّد بن الحسن الحسيني العاملي مؤلّف الاثنا عشرية في المواعظ العددية :

وصية للشيخ الشهيد الكامل المحقّق العلّامة شمس الدين محمّد بن مكّي رحمه الله لبعض إخوانه، منقولة من خطّ الشهيد الثاني الشيخ زين الدين (نوّر الله مرقده الشريف) [١].

ثمّ نقل متنها. ووردتْ في المجموعة المرقّمة ٢٩٢٨ المحفوظة في مكتبة مدرسة سپهسالار في طهران، نقلاً عن خط الشهيد الثاني قدس سره [٢]، وفي المجموعة المرقّمة ١٠٠٢٩/٦ المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي [٣]. و كذلك العالم البارع المولى أحمد النراقي (طاب مثواه) نقلها بتمامها، وقال في أوّلها: «فائدة: ممّا وصّى به الشهيد قدس سره بعضَ إخوانه» [٤]. و أوردها الحبر السند الميرزا محمّد عليّ الرشتي (طاب ثراه) في إجازته للميرزا حسن المجتهد العلياري، حيث قال:

ثمّ إنّه (زيد شرفه) قد أمرني أنْ أنصحه ... فأنصح مانصح الشهيد الأوّل محمّد بن مكّي قدس سره لبعض إخوانه، نقلاً من خطّ الشهيد الثاني قدس سره [٥].

ولم أقف على من نقلها و نسبها إلى الشهيد سوى هٰؤلاء الأعاظم. و أوردتُها بتمامها في

---

١. الاثنا عشرية، ص ٢٨١.
٢. فهرس مكتبة مدرسة سپهسالار، ج ٤، ص ٧٨ ـ ٧٩.
٣. ذكرت في فهرسها، ج ٣٢، ص ٣٧.
٤. الخزائن، ص ٤٤١.
٥. بهجة الآمال، ج ١، ص غ ـ أب، المقدّمة.

مقدّمتي لغاية المراد لفوائدها الجمّة و لاختصارها، اعتماداً على هذه المصادر الثلاثة. ثمّ نُشِرتْ ضمن رسائل الشهيد الأوّل (ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦) عام ١٤٢٣، ثمّ نشرت عام ١٤٣٠ في قم، ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٩. و إليك نصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

عليك بتقوى الله في السرّ والعلانية، واختيار الخير لكلّ مخلوقٍ ولو أساء إليك، واحتمالِ الأذى ممّن كان من خلق الله. ولو شُتِمْتَ وأُهِنْتَ فلا تقابِل الشاتِمَ بكلمةٍ واحدةٍ.

وإذا غضبتَ فإيّاك والكلام، ولكن تَحَوّل من مكانك و تشاغَلْ بغيره يَزُل غضبُك وَغَيْظُك.

وعليك بالفكر لآخرتك ودنياك.

وإيّاك والخلوّ من التوكُّل على الله في جميع أُمورك، وكُنْ واثقاً به في مهمّاتك كلّها.

وعليك بالشكر لمن أنعَمَ عليك.

وإيّاك والضحكَ؛ فإنّه مُمِيتُ القلب.

وإيّاك وتأخير الصلاة عن أوّل أوقاتها ولو كان لك شغلٌ أيّ شغلٍ كان. ولا تترك القضاء لصلاة عليك ولو يوماً واحداً، فإذا فَرغتَ من الصلاة فصلِّ النوافلَ.

وعليك بالملازمة في طلب العلم منذ كان [كذا]، ولاتتلوه على كلّ أحدٍ، بل تستقبل من كلّ أحدٍ [؟].

وإيّاك و منازعةَ مَنْ تقرأ عليه والردّ عليه، بل خُذْ ما يُعطي بالقبول.

وإيّاك أنْ تَتْرُك النظَر في الذي تقرؤه ليلةً واحدةً.

واجعَلْ لك ورداً من القرآن، وإنْ تَمكّنتَ من حفظه فاحفَظ، بل احفَظْه ما اسْتَطَعْتَ.

واجتهدْ أنْ يكون كلُّ يومٍ خيراً من ماضيه ولو بقليلٍ.

وإيّاك وأنْ تَسمَعَ نميمةَ أحدٍ من خلق الله؛ فإنّها نقمة لاتُعدُّ ولا تحصى.

ولا تنقطع عن الزيارات.

وإيّاك وأن تُحادِثَ أحداً في غير العلم.

وإيّاك وكثرة الكلامِ، ونقلَ كلامِ أحدٍ.

وإذا زُرْتَ أو دَعوتَ اذكرنا سرّاً، وادعُ لنا بخاتمة الخير وحسن التوفيق، وإنْ تمكّنْتَ عقيبَ كلّ صلاةٍ فافعل.

وعليك بالمواظبة في كلّ يوم بخَمْس وعشرين مرَّة: «اللهمَّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات»؛ فإنّ فيها ثواباً جزيلاً.

ولاتترك الاستغفارَ عقيبَ العصر سبعاً وسبعين مرّة.

وأكثرْ من قراءة ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

٢٩. الوصيّة (٢)

قال صاحب الرياض في جملة تأليفات الشهيد:

وله أيضاً رسالة مختصرة في الوصيّة بأربع و عشرين خصلة، رأيتها بأردبيل و غيره[١].

أقول: لم أجد من نسب هذه الرسالة إلى الشهيد سوى صاحب الرياض؛ و هي رسالة مختصرة جدّاً، وأوّل من نشرها هو المرحوم الدكتور حسين عليّ محفوظ في كرّاسٍ برأسه[٢] ثمّ طبعت في جريدة كيهان العربي، العدد ٤١٧ في الثامن من شهر جمادى الأُولى عام ١٤٠٥، ثمّ نُشِرتْ ضمن رسائل الشهيد الأوّل (ص ٢٨٩ ـ ٢٩١) عام ١٤٢٣. ثمّ في عام ١٤٣٠ ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٩. و لا أعرف لها سوى مخطوطة واحدة وهي مخطوطة مكتبة مجلس الشورىٰ الإسلامي (رقم ١)، برقم ٩٤٦٦، الورقة ١٥٠، وهي مجموعة نظام الدين أحمد بن تاج الدين عليّ الغفاري، والغفاري نقلها عن خطّ ولد الشهيد، وقال: «وجدتُ بخطّ ولد الشهيد رحمه الله وهو يذكر أنّه وجده في بعض الأوراق من كتب والده

١. تعليقة أمل الآمل، ص ٧٩.

٢. جبل عامل بين الشهيدين، ص ١٤٠.

(نضّر الله وجهه)». و إليك نصّها اعتماداً على هذه المخطوطة وتلك المطبوعة:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه وصيّة العبد الضعيف، كاتب هذه الأحرف، محمّد بن مكّي (تاب الله عليه توبة نَصوحاً، وكان عن هفواته وزلّاته صَفوحاً) إلى إخوانه في الله، وأحبّائه للّـه، يبدأ بنفسه، ثمّ بهم، وهي مشتملة على أُمور:

أوّلها: تقوى الله تعالى فيما يأتون ويذرون، ومراقبته و مخافته، والحياء منه في الخلوات.

وثانيها: ذكره بالقلب على كلّ حالٍ، وباللسان في مُعظم الأحوال.

وثالثها: التوكّل عليه، وتفويض الأُمور إليه، والالتجاء عند كلّ مهمّ إليه.

ورابعها: التمسّك بشرائع الدين، فلايخرج عنها شعرة؛ لئلّا تحصل الضلالة.

وخامسها: المباشرة على الفرائض من الأفعال والتروك، بحسب ماجاءت به الشريعة المطهّرة.

وسادسها: الاستكثار من النوافل، بحسب الجهد والطاقة، والفراغ والصحّة، وخصوصاً الصلوات المندوبة؛ فإنّها خير موضوع، ومايقرّب العبد إلى الله تعالى بعد المعرفة بأفضل منها، و خصوصاً الليليّة منها.

وسابعها: كفّ اللسان عن الهذر والغيبة والنميمة واللغو وكفّ السمع عن اللغو، وعن سماع كلّ ما لافائدة فيه، دينيّة أو دنيويّة. وكفّ الأعضاء عن جميع مايكرهه الله تعالى.

وثامنها: الزهد في الدنيا بالمرّة، والاقتصار على البلغة منها، والقوت من حلّه، ومهما أمكن الاستغناء عن الناس فليفعل؛ فإنّ الحاجة إليهم الذلّ الحاضر.

وتاسعها: دوام ذكر الموت، والاستعداد لنزوله. وليكن في كلّ يومٍ عشرين مرّة، حتّى يصير نصب العين.

وعاشرها: محاسبة النفس عند الصباح والمساء على ما سلف منها، فإن كان

خيراً استكثر منه، وإن كان شرّاً رجع عنه.

وحادي عشرها: دوام الاستغفار بالقلب واللسان. وصورته: «اللهمّ اغفرلي، فإنّي أستغفرك وأتوب إليك». ومن وصيّة لقمان لابنه، أن يكثر من: «اللهمّ اغفرلي» فإنّ للّه أوقاتاً لا يردّ فيها سائلاً.

وثاني عشرها: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر مهما استطاع، على ماهو مرتّب شرعاً.

وثالث عشرها: مساعدة الإخوان، والتعرّض لحوائجهم، بحسب الحاجة والمُكنة. وخصوصاً الذُرّيّة العلويّة، والسُلالة الفاطميّة.

ورابع عشرها: التعظيم لأمر الله تعالى، والتعظيم لعلماء الدين وأهل التقوى من المؤمنين.

وخامس عشرها: الرضى بالواقع، وأن لايتمنّى ما لايدري أخير هو، أو لا، ودوام الشكر على كلّ حالٍ.

وسادس عشرها: الصبر في المواطن؛ فإنّه رأس الإيمان.

وسابع عشرها: دوام الدعاء بتعجيل الفرج؛ فإنّه من مهمّات الدين.

وثامن عشرها: دوام دراسة العلم مطالعةً وقراءةً وتدريساً وتعليماً وتعلّماً. ولاتأخذه فيه لومةُ لائمٍ.

وتاسع عشرها: الإخلاص في الأعمال؛ فإنّه لايقبل إلّا ما كان خالصاً صافياً. والرياء في العبادة شرك (نعوذ بالله منه).

وعشرونها: صلة الأرحام، ولو بالسلام إن لم يمكن غيره.

وحادي عشرونها: زيارة الإخوان في الله تعالى، ومذاكرتهم في أُمور الآخرة.

وثاني عشرونها: أن لايكثروا في الرخص والأخذ بها والتوسعة. ولايكثروا التشديد على أنفسهم في التكليف. بل يكون بين ذلك قواماً.

وثالث عشرونها: أن لايدع وقتاً يمضي بغير فائدة دينيّة أو دنيويّة.

ورابع عشرونها: معاشرة الناس بما يعرفون والإعراض عمّا ينكرون، وحُسن الخلق، وكظم الغيظ، والتواضع لَهم، وسؤال الله تعالى أن يصلحهم ويصلح لهم.

وملاك هذه الأُمور كلّها تقوى الله، ودوام مراقبته. والسلام عليهم جميعاً، والحمد للّه وحده، وصلّى الله على محمّد وآله أجمعين.

٣٠. الوصية (٣)

نقل الجباعي في مجموعته وصيّة من خطّ الشهيد، وقال قبلها: «وصيّةٌ حسنةٌ للإخوان بخطّ الشيخ الشهيد شمس الدين بن مكّي، وهي له أو لغيره»[١]. والظاهر أنّها للشهيد، وطَبَعْتُ هذه الوصيّة لأوّل مرّة في مجلّة پيام حوزه، العدد٣، ثمّ نُشِرَتْ ضمن رسائل الشهيد الأوّل (ص٢٩٧ ـ ٣٠٠) عام ١٤٢٣، ثمّ ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٩. و لكثرة فائدتها نوردها هنا بنصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

وأُوصيهم ببذلِ المجهود في الجمع بينَ القلبِ واللسانِ في التِلاوةِ وسائرِ الأذكارِ في الركوعِ والسجودِ و سائرِ الهَيَئاتِ. لايَقنعُ أحدُهم أن يَحْضُرَ عندَاللهِ تعالى بقالبِهِ دونَ قلبِه. و على قَدرِ ضَبطِ الجوارحِ عن الفُضولِ بينَ كلِّ فَريضتينِ يجدُ قلبَه في الصلاةِ.

وأُوصيهمْ بذكرِ اللهِ عزَّوجلَّ باللسانِ والقلبِ؛ فأمّا القلبُ ففي كُلِّ مجلسٍ ومحفلٍ وكلِّ طريقٍ يَسلكونَه، وعند الأكلِ والوضوءِ خاصّةً؛ فإنَّ الذاكرَ على طعامِهِ ووقتِ وضوئِه يَقِلُّ طَروقُ الشيطانِ على قلبِهِ، وتَقِلُّ وَسْوَسَتُه في صلاتِه.

وأُوصي الإخوانَ بالدوامِ على الطهارةِ. يَنبغي للعبدِ أنْ لايُحْدِثَ إلّا ويُجَدِّدَ الوضوءَ؛ فإنّه سلاحُ المؤمنِ.

ومهما قَدَرَ أنْ لايَقْعُدَ إلّا مستقبلَ القبلةِ، و كلُّ مجلسٍ لايكونُ فيه مستقبلَ القبلةِ

١. مجموعة الجباعي، الورقة ١٠٢ب.

يَعتقدُ أنْ قدْ فاتَتْهُ فضيلةٌ. ويَتصوَّرَ في كلِّ مجلسٍ كأنَّ رسولَ اللهِ ﷺ حاضرٌ حتّى يَتأدّبَ في قولهِ و فعلهِ. ولا ينام إلّا على طهارةٍ مستقبلَ القبلةِ.

ومن أنفعِ الوصايا القيامُ بالليلِ، فإنَّه دَأْبُ الصالحينَ؛ فإنّهم لا يَدَعُ أحدُهُم أن يَنقضيَ ليلُه ولم تكن له فيها نافلةٌ إمّا في أوّلها أو أوسِطها أو آخِرِها.

وأُحِبُّ من إخواني أنْ لا يَدَعوا يوماً بلَيلِه لايكونوا فيه بينَ يَدَيِ اللهِ تعالى مُتأسّفينَ على مابَدَرَ منهم من أمرٍ، وفاتَهُمْ من عَوالي الدرجاتِ.

ومن العَوْنِ الحَسَنِ على حقائقِ العبوديّةِ ذِكرُ الموتِ. وقد قيلَ: يا رسولَ اللهِ هل يُحْشرُ مع الشُهداءِ؟ قال: «نَعَم، مَنْ يذكُرُ الموتَ بينَ اليَوْمِ والليلةِ عشرينَ مرَّةً». فذكرُ الموتِ يُقصّرُ الأمَلَ ويُحَسِّنُ العملَ.

وممّا انتفعتُ به في زماني و أُوصي به إخواني البُكورُ إلى الجُمُعةِ: يَجتهدُ أحدُهم أن يُصَلّيَ فريضَةَ الصبحِ في الجامعِ ويَشغَلَ وقتَه بالصلاةِ والتلاوةِ وأنواعِ الذكرِ إلى أنْ يُؤديَ الفريضةَ. فيومُ الجُمُعِة يومُ الآخرةِ لايشغل بشيءٍ من أُمور الدنيا. ويَغتسلَ للجُمُعةِ قبلَ طلوعِ الشمسِ. فإنْ أمكنهُ الغسلُ مع البكورِ إلى الجُمُعةِ قريبَ الصلاةِ، فحَسَنٌ.

وأُحِبُّ من الإخوانِ أنْ لا يَدَعوا يوماً بلاصدقةٍ، ولايَدَعوا أُسبوعاً كاملاً بلاصومٍ، فيصومُ أحدُهم الأثانِينَ والأخْمِسَة والجُمَع، وإلّا فيومينِ منها.

وأُوصيهم أنْ لا يَذكروا أحداً من المسلمينَ إلّا بخيرٍ على ما يَعتقدُ فيه من بِدعةٍ أو شُبهةٍ، ولا يَفتحوا على أنفسهم بابَ التأويلِ للوَقيعةِ في المسلمين.

وأُحبُّ من الإخوانِ تركَ الكلامِ في أمرِ الدنيا بعدَ صلاةِ الصبحِ إلى أنْ تَرتفعَ الشمسُ قِيْدَ رُمحٍ، ثمّ يَختم المجلسَ بركعتينِ.

هذا ما حضرني في الوقت، وكَتَبْتُه للإخوانِ بمدينةِ دِمَشْقَ (حَماها اللهُ، ووَفَّقهمْ وإيّايَ لما يُحبُّ ويرضى بحولِهِ وكرمِه)، والحمدُ له وحدَه، وصلواتهُ على سيّدنا محمّدٍ وآله.

* * *

قال الأخ الفاضل الشيخ جعفر المهاجر في بحث له لمّا يُنْشرْ بعدُ، في وصف هذه الوصايا ونقدها:

إنّ قِراءةً نقديّة دقيقة للوصايا الثلاث، تترك القارئ على شِبه اليقين من أنّها صدرتْ من ذهن واحد، هاهنا روح واحدة تنظمها جميعها. يمكن أن نقول: إنّها روح الأب العارف، المُعلّق القلب بقضيّة التسامي بنفوس مَن يُخاطبهم بوصاياه، إلى الدرجة التي تكون فيها حوافزَهم ومُحرِّكاتهم السلوكيّة، فيما يفعلون ويتركون، مُنحصرة بما يُرضي الله تعالى، وحَثَّتْ عليه الشريعة المُطهّرة وآدابها، ورامية إلى كسْب رضاه بالدرجة الأُولى. وعن هذا الطريق إلى بناء مُجتمع مرصوص، تجمعه رابطة من الإخاء المتين العُرى، وعَبْر ذلك إلى بناء نمط مُنتمٍ من التقدّم.

ممّا يجدُر بنا مُلاحظتُه أنّ كاتب هذه الوصايا مُطّلِع اطّلاعاً دقيقاً وشاملاً على مُختلَف الآداب الشرعيّة، ليس فيها شيء مُرتجَل على الإطلاق، إلى درجة أنّ من الممكن لباحث مُتطلّب أنْ يُرجِعُ جميعَ عناصرها إلى أُصولها في النصوص الشرعيّة الأصليّة، من قرآن وحديث، كما أن ليس من العسير على الباحث نفسه أنْ يكتشف التقاطعات الكثيرة بين موادّها، ممّا يؤيّد الملاحظة التي بدأنا بها.

وعلى كلّ حال، فإنّ القارئ الحصيف الذي استوعَبَ نهج الشهيد، سيجدُ في موادّ هذه الوصايا الرجلَ نفسه، سواءٌ من حيث الهمّ، أم القلق، أم المنهج، أم الغاية.

هذا فيما يرجع إلى الأمر الجامع بين الوصايا الثلاث. على أنّ ذلك لا يُغنينا عن ملاحظة ما بينها من فروق، وهي، فيما نحسب، فروق في الشكل، وليست في الأساس، نظنّ أنّها نشأتْ من الظرف كُتِبتْ فيه كلُّ واحدة منها. وخصوصاً أين كُتبت، ومَن هو المُخاطب فيها.

ما من ريب في أنّ الوصيّة الثانية هي أكمل الثلاث وأكثرُها أهميّة. والقارئ الذي يُحسِنُ التقاطَ لحن الكلام، يحُسّ من ختامها أنّها رسالة وداع، وخصوصاً مِن قوله في ختامها: «والسلام عليهم جميعاً ورحمة الله وبركاته»، بما فيها من شحنة عاطفيّة جياشة، ممّا يَحمل على الظنِّ أنّها كفتبتْ أثناء حبسه في دمشق. هذه كلمات لا يقولها إلّا إنسان بعيد الدار، ومن المعلوم من خواتيم نصّ مُختصَر نسيم السحَر أنه كان يُراسل أُسرته وهو في حبسه، الأمر الذي يُفسِّر وصولَ نصِّ هذه الوصيّة إلى أُسرته، على فرض صحّة أنّها

كُتبتْ أثناء حبسه، وبالتالي إلينا.

أمّا الوصيّة الثالثة فهي كالثانية مُوجَهةٌ توجيهاً عامّاً. لكن هذه تصمّنتْ نصّاً صريحاً على أنّها كُتبت في دمشق، في الحبْس ولا ريب. فلماذا، على كلٍّ حال، يُوجِّه رسالة مكتوبه إلى «الإخوان» لو كان في الوسع أن يُخاطبهم مُشافهة؟ هذه حذلقة، نعرف جيّداً كم أنّ شخصيّة الشهيد الجادّة العمليّة البعيدة عن الاستعراض الذاتي بعيدةٌ عنها.

هذا مع الإشارة إلى أنّ نصَّ هذه الوصيّة تضمّن مادَّةً غريبةً عن كلّ ما وجّه إليه العناية في كلّ وصاياه. هي في قوله: «وأوصيهم أن لا يذكروا أحداً من المسلمين إلّا بخير، على ما يعتقد فيه من بدعة أو شُبهة. ولا يفتحوا على أنفسهم باب التأويل للوقيعة بين المسلمين». هذا الكلام يطرح سؤالاً كبيراً، لسنا نملك الآن عليه جواباً، ومع ذلك فإنّني لا أستطيع أنْ أكتمَ شعوراً بأنّه موجَّه إلى السُلطة، على نحو «إيّاك أعني واسمعي يا جارة»، ودائماً كانت رسائل مَنْ هم قيد السجن تخضع لشكل أو غيره من أشكال المراقبة. الوصيّة الأُولىٰ هي الوحيدة الشخصيّة. أي المُوجّهة إلى شخص بعينه بشهادة الخطاب بـ«عليك، إيّاك، لا تترك... إلخ». لا نعرف مَن كان. وكأنّها كُتبت لمن قال: «أوصني» أو نحوه. ولكنّني لا أشكّ في:

أوّلاً، أنّه كان من تلاميذ الشهيد، بشهادة ما فيها من حثّ له على «المُلازمَة في طلب العلم». وكلمة «المُلازمة» يُفهَم منها أنّه كان قد بدأ ذلك بالفعل، وهذه الوصيّة تحثّه على المتابعة والمثابرة، كما أنّه كان ممّن يأتمنهم على سِرّه، بشهادة ما سنقرؤه بعد قليل.

ثانياً، أنّه كان يعيش في غير «جبل عامل» أو فلنقُل في مكان لا يملك فيه الحريّه التامّة لنفسه، ويستوجب التزام الحذر والدقّة فيما يفعل، ولعلّه من أُولئك الفقهاء الذين سبقت الإشارة إليهم وإلى انتشار هم بين الشيعة في المناطق الساحليّة، حيث المخالفون والمتسنّنون فضلاً عن الدولة وسُلطتها.

ذلك أنّ هذه الوصيّة تنفرد بإشارات غريبة، لا تُفصح عن حقيقة مكنونها بسهولة ويُسرٍ. بل لا بُدّ لفهمها من الاستيعاب التامّ أو شبه التامّ لمُعطيات الظرف الذي اضطرب فيه الشهيد وتلاميذه. تلك الإشارات نقرأها في العبارة التالية:

ـ«وإذا زُرتَ أو دَعوتَ اذكرنا سِرّاً. وادعُ لنا بخاتمة الخير وحُسْن التوفيق. وإن تمكّنتَ عقيبَ كلّ صلاة».

هذه العبارة تُشير ضمناً إلى جانب آخَر من صفات الظرف نفسه، يتّصل بشخص الشهيد، حيث يُوصي بأنْ يذكره في دعواته سِرّاً، وغنيٌّ عن البيان، أنّ المفهوم من هذا الطلب أنّ ذكره جهراً، حيث هذا المُوصى، عمل غير مأمون العواقب.

أمّا ما بقي من العبارة نفسها «وادعُ لنا بخاتمة الخير وحُسْن التوفيق، وإن تمكّنْتَ عقيبَ كلِّ صلاة»، فإنّه يحمل إشارة غير خفيّة إلى ما يشغل بال الشهيد: ما تحمله له الأيّام الآتية شخصيّاً «خاتمة الخير»، ولمستقبل مشروعه «حُسْن التوفيق»، الأمر الذي يدلّ على أنّه كان يعي تماماً المخاطر المُحيقة بالاثنين، أي أنّه سلك الطريق الصعب عن كامل استيعاب وإدراك وتصميم، ورغم معرفته بالأخطار التي تنتظره.

* * *

هذه كتب الشهيد و رسائله ﷺ. وقد تُنْقَل عن الشهيد مطالبُ عن غير هذه التأليفات؛ لكن أصحاب الرجال والتراجم لم يعدّوها في زمرة تأليفاته، ومن الممكن أنّها كانت فائدة أو نكتةً في حاشية كتاب ولم تبلغ حدّ الكتاب أو الرسالة، ومن هنا لم تُعَدّ من تأليفاته كسائر آثاره، ومن هذه المطالب:

أ) حاشية الذكرى: الأصل و الحاشية كلاهما للشهيد. قال الطهراني في عداد حواشي ذكرى الشيعة:

ـ الحاشية عليها لمؤلّف أصلها الشيخ السعيد محمّد بن مكّي ... نقل عنها الشيخ ناصر البويهي في حاشيته الآتية [1].

ـ ... وحواشي المصنّف نفسه إلى صلاة المسافر، كما يظهر من حاشية البويهي [2].

أقول: لم أقف حتّى الآن على نسخةٍ من حاشية البويهي و لا حاشية الشهيد على الذكرى، ولم أقف على من نسبها للشهيد غير الطهراني (طاب ثراه).

ب) حاشية الخلاصة: قال الجباعي في مجموعته:

سعيد بن المسيّب، قال في الخلاصة للشيخ جمال الدين بن مطهّر: «عن محمّد بن

١. الذريعة، ج ٦، ص ٨٧.
٢. الذريعة، ج ١٠، ص ٤٠.

قولويه عن سعد بن عبدالله ... وهذه الرواية فيها توقّف» [١].

وعلى هذا الكلام حاشية من خطّ ابن مكّي رحمه الله صورتها: «قال المفيد قدس سره في الأركان: وأمّا ابن المسيّب فليس يدفع نصبه، وما اشتهر عنه من الرغبة عن الصلاة على زين العابدين عليه السلام، فقيل له: ألا تصلّي على هذا الرجل الصالح من أهل البيت الصالح؟ فقال: صلاة ركعتين أحبّ إليّ من الصلاة على الرجل الصالح من أهل البيت الصالح. وذكر عن مالك الفقيه أنّه كان خارجياً إباضياً مخالفاً آل الرسول صلى الله عليه وآله. ذكر ذلك المفيد في حديث أمين [؟كذا] عن أبي هريرة، وطعن فيه برغبته عن عليّ عليه السلام إلى معاوية. وأنّ عليّاً عليه السلام قال فيه: أكذب الأحياء على رسول الله الدوسي» [٢].

وقال أيضاً:

قال جمال الدين رحمه الله في خلاصة الأقوال في معرفة الرجال في الكني من الممدوحين: «أبوسعيد الخدري كان من السابقين الذين رجعوا إلى أميرالمؤمنين عليه السلام» [٣]. ووجدت بخطّ الشيخ العالم الشهيد محمّد بن مكّي رحمه الله ما صورته:

«قال الكليني: عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن الحسين بن عثمان عن ذريحٍ، قال: سمعتُ أبا عبدالله عليه السلام يقول: قال عليّ بن الحسين (صلّى الله عليه): إنّ أبا سعيد الخدري كان من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله، وكان مستقيماً فنزع ثلاثة أيّام فغسّلَه أهلهُ ثمّ حمل إلى مصلّاه فمات فيه. وبطريق آخر عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ أبا سعيد الخدري كان قد رزقه الله هذا الرأي، وإنّه اشتدّ نزعه، فقال: احملوني إلى مصلّاي. فجاؤوا به فلم يلبث أنْ هلك» [٤].

ونقل الشهيد الثاني رحمه الله في حاشية خلاصة الأقوال مطالبَ عن خطّ الشهيد أو نسخته، منها:

ـ في نسخة شيخنا الشهيد: «ثقة فقيه» وهو الصحيح [٥].

---

١. خلاصة الأقوال، ص ٧٩.

٢. مجموعة الجباعي، الورقة ١٦٣ ألف؛ و انظر جامع الرواة، ج ١، ص ٣٦٣؛ تنقيح المقال، ج ٢، ص ٣١؛ معجم رجال الحديث، ج ٨، ص ١٣٨ ـ ١٣٩.

٣. خلاصة الأقوال، ص ١٨٩.

٤. مجموعة الجباعي، الورقة ١٧٩ ب. و الروايتان مرويّتان في الكافي، ج ٣، ص ١٢٥، ١٢٦، باب إذا عسر على الميّت الموتُ و اشْتدّ عليه النزع، ح ١، ٤.

٥. رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ٩١٧.

ـ بخطّ الشهيد رحمه الله : «بلال شهد بدراً، وتوُّفي بدمشق في الطاعون سنة ثماني عشرة، كنيته : أبوعبدالله، ودفن بباب الصغير» [١].

ـ في النسخة المقروءة ساقط أيضاً، وكذا في نسخة الشهيد رحمه الله [٢].

ـ وفي نسخة الشهيد رحمه الله : [عيّاس] بالسين المهملة، والحقّ ما هنا [٣].

ـ وجدت بخطّ الشهيد قدس سره تخفيف لام التلعكبري في النسبة، قال : «عكبر رجل من الأكراد، نسب التلّ إليه. و رأيت ضبطه بخطّه في الخلاصة بالتشديد» [٤].

ـ بخطّ الشهيد قدس سره نقل من خطّ العلّامة مصنِّف الكتاب :

وجدت بخطّ والدي رحمه الله ما صورته : «وُلِدَ الولد البارّ، أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهَّر ليلة الجمعة في الثلث الأخير من الليل رابع عشرين رمضان من سنة ثمان وأربعين و ستّمائة».

ومولد محمّد كان قريباً من نصف الليل ليلة العشرين من جُمادى الأُولى سنة اثنتين وثمانين وستّمائة (أطال الله عمره ورزقه الله تعالى العمر المزيد والعيش الرغيد).

توفّي قدس سره في العشرين من المحرّم الحرام سنة ستٍّ وعشرين وسبعمائة.

قال الإمام فخرالدين ولد المصنّف : «قرأتُ التهذيب في الحديث عليّ والدي الإمام مرّتين : إحداهما بالمشهد المقدّس الغروي، والأُخرى بطريق الحجاز، وحصل الفراغ منه وختمه في المسجد الحرام» [٥].

ج) **حاشية الألفية**: قال الشهيد الثاني رحمه الله :

وهنا قول خامس ـ حكاه الشهيد رحمه الله في حاشية الألفية عن بعض الأصحاب ولم يسمِّه ـ وهو أنّ ماء كلّ غسلة كمغسولها قبل الغسل وإن حكم بطهارة المحلّ ... [٦].

---

١. رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ٩١٩.
٢. رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ٩٥٣.
٣. رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ١٠٥٢.
٤. رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ١٠٦٨.
٥. رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ٩٤٤ ـ ٩٤٥، وانظر أيضاً ص ٩٣٥، ١٠٥٣.
٦. روض الجنان، ج ١، ص ٤٢٥.

وقال المحقّق الكركي ﷺ في شرح الألفية:

... ما كتبه المصنِّفُ على هذا المحلّ في حواشيه ليس سليماً من الطعن، وما أخذناه هنا لا يخلو من تحقيق[١].

والظاهر أنّ الشهيد كتب في نسخته من الذكرى والخلاصة أو الألفية أو في مجموعته حواشي قليلة على الذكرى والخلاصة والألفية، ولم تكن بالمقدار الذي يمكن عدّها رسالة أو حاشية، فلم يذكر أصحاب التراجم في عداد تأليفاته حاشية الذكرى، و حاشية الخلاصة و حاشية الألفية. ونقل الكثير من أمثال هذه المطالب من خطّه في مجموعة الجباعي ـ ومن المستحسن جمع هذه الفوائد وتحقيقها ونشرها في مجلّد ـ وإليك نموذجاً منها:

قال الجباعي:

كتب الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي على ظاهر قواعد الشيخ جمال الدين ابن المطهّر ما صورته: «كتابٌ مشحون بالغرائب المستطرفة على انغلاقٍ فيه، يُقْحِمُه وَصْمَة الاعتلال ويُطرق إليه هُجْنَة الاختلال، فإنّ المحصّلين والمتحلّقين يَزْرون على تغميص الكلام، ويتحرّون عليه إيضاح المرام، والمصنِّف قد كان أرفع أبناء عصره في العلوم عماداً، وأمّا الفقه فأحاط بغرائبه ونكته اعتماداً. وأعلى فيه متناً وإسناداً، وكان ينفجر له تغليق اللفظ وتعريص الكلام إمّا لمسارعة ذينك إلى جبلّته أو بالأعلاق النفيسة [ظ] على من ليس في زمرته، أو لأنّه تلميذ العلّامة فأعداه بدائه [ظ]. وذهب به في مذاهب الإيضاح عن سوائه. وقد تَجَشَّمَ تلميذاه تهذيب كتابه وتبيينَ إشاراته، إلّا أنّهما لم يستوفيا بيان تلك المزايا، بل ولا وصلا إلى المثل السائر: «في الزوايا خبايا»؛ لأنّ معظمه باقٍ على انغلاقه ونابٍ عن الفهم بانطباقه[٢].

وأمثال هذه الفوائد من قلمه الشريف كثيرة. منها ما نقل عن خطّ الشهيد في المجموعة المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي برقم ٨٩٥٦.

❊ ❊ ❊

١. شرح الألفية، ضمن حياة المحقّق الكركي، ج ٧، ص ٣١٥.
٢. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٩ ألف.

ثمّ اعلم أنّ بعض هذه المؤلَّفات يُعدَّ كتاباً كبيراً أو متوسّطاً، وبعضها يُعدّ رسالةً صغيرةً أو كبيرةً، أمّا الكتب فهي ثمانية عناوين وهي:

١. غاية المراد، ونشر ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١ ـ ٤.

٢. ذكرى الشيعة، ونشر ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ٥ ـ ٨.

٣. الدروس الشرعيّة، ونشر ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ٩ ـ ١١.

٤. البيان، ونشر ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٢.

٥. اللمعة الدمشقيّة، ونشر ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٣.

٦. حاشية القواعد، ونشر ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٤.

٧. القواعد والفوائد، ونشر ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٥.

٨. جامع البين، ونشر ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٦ ـ ١٧.

وماسواها فهي الرسائل الصغيرة والكبيرة، نشرت ضمن موسوعة الشهيد، ج ١٨ ـ ١٩.

ولم نقف على ١. أجوبة مسائل ابن نجم الدين الأطراوي، ٢. شرح قصيدة الشهفيني؛ ٣. المسائل الفقهية، من آثار الشهيد.

الفصل الثاني

إجازاته

من المسلّم أنّ للشهيد إجازات كثيرة لتلامذته، و أمّا ما وقفنا على نصّه أو ذكره منها فهي خمس إجازات:

١ . الإجازة لجماعة من العلماء

قال الطهراني (طاب ثراه):

كتب هذه الإجازة لجماعة من العلماء الذين قرؤوا عليه علل الشرائع للشيخ الصدوق، وهي بخطّه كانت عند صاحب الرياض ونقلها فيه [١]، تاريخها ثاني عشر شعبان سنة ٧٥٧، والعلماء المجازون هم: الشيخ جمال الدين أحمد بن إبراهيم بن الحسين الكرواني [كذا، والصواب: الكسرواني]، والشيخ عزّ الدين أبو محمّد الحسن بن سليمان بن محمّد الحلّي العاملي، والشيخ عزّ الدين أبوعبدالله الحسين بن عليّ العاملي، والفقيه عزّ الدين الحسين بن محمّد بن هلال الكركي، والشيخ زين العابدين أبوالحسن على بن بشارة العاملي الشقراوي الحنّاط، والسيّد أبوعبدالله محمّد بن محمّد بن زهرة الحلبي [٢].

قال صاحب الرياض في ترجمة الشيخ زين الدين أبوالحسن عليّ بن بشارة العاملي الشقراوي الحنّاط:

كان من أجلّة تلامذة الشهيد، وقد قرأ عليه مع جماعة كتاب علل الشرائع للصدوق،

---

١. رياض العلماء، ج ٣، ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥.

٢. الذريعة، ج ١ ص ٢٤٧. و انظر ما سبق في البحث عن تلامذة الشهيد و الراوين عنه.

وكتب الشهيد له ولهم إجازة، وقد مدحه فيها، ورأيت تلك الإجازة بخطّ المجيز الشهيد على ظهر الكتاب المذكور، وهذه صورتها:

سمع ـ بقراءتي أكثر هذا الكتاب و بقراءة غيري لباقيه ـ الشيخُ الأجلّ العالم، العامل الفاضل، الفقيه الكامل، الزاهد العابد، زين الدين أبوالحسن عليّ بن بشارة العاملي الشقراوي الحنّاط.

والسيّد الشريف الفقيه، العالم الفاضل، المحقّق الوَرع، شمس الدين أبوعبدالله محمّد بن محمّد بن زهرة الحسيني الحلبي.

والشيخ الصالح الوَرع الديّن البدل، عزّ الدين أبو محمّد الحسن بن سليمان بن محمّد، الحلّي المولد، العاملي المحتد.

والشيخ الفقيه العالم، العامل الكامل، عزّ الدين أبوعبدالله الحسين بن عليّ العاملي لأكثره.

والشيخ الفقيه، الزاهد العابد، جمال الدين أحمد بن إبراهيم بن حسين الكردامي [كذا، ظ: «الكسرواني»][1].

والفقيه عزّ الدين حسين بن محمّد بن هلال الكركي.

وآخرون كثيرون.

ورويتُه لهم بحقّ قراءتي عليهم من لفظي عن شيخي السيّد المرتضى العلّامة عميد الدين أبي عبدالله عبدالمطّلب بن محمّد بن عليّ بن الأعرج الحسيني، وشيخي اللُباب العلّامة المحقّق فخرالدين أبي طالب محمّد بن المطهّر، كليهما عن الشيخ الإمام المتبحّر شيخ الإسلام مفتي الفرق جمال الدين أبي منصور الحسن بن المطهّر و أخيه الشيخ الإمام رضي الدين عليّ بن المطهّر والسيّد فخرالدين عليّ بن الأعرج، جميعاً عن الشيخ الإمام العلّامة نجم الدين أبي القاسم بن سعيد و الشيخ سديد الدين أبي المظفر يوسف بن المطهّر، كليهما عن السيّد الإمام النسّابة شمس الدين أبي عليّ فخار والشيخ الفقيه نجيب الدين أبي إبراهيم محمّد بن نما، كليهما عن الشيخ الفقيه العلّامة فخرالدين أبي عبدالله محمّد بن إدريس، عن الشيخ عربي بن مسافر العبادي و غيره، عن إلياس بن هشام الحائري وغيره، عن أبي عليّ المفيد، ابن شيخنا الإمام أبي جعفر الطوسي، عن والده، عن شيخه

١. انظر ما سبق في البحث عن تلامذة الشهيد و الراوين عنه.

الإمام أبي عبدالله المفيد، عن مصنّف الكتاب (رضوان الله عليهم اجمعين).

وعن جماعة من مشايخي ومشايخ مشايخي الذين يَضيق الحالُ عن تعدادهم بطرقٍ شتّى ممّا صحّ، وأذنت لهم في روايته بهذه الطريق وغيرها ممّا صحّ، فإنّها الأصل.

وكتب محمّد بن مكّي يوم الأربعاء لاثنتي عَشْرة ليلةً خلت من شعبان سنة سبع وخمسين وسبعمائة بالحلّة، حامداً للّه تعالى ومصلّياً على رسوله محمّد وآله الطاهرين [1].

ثمّ قال صاحب الرياض:

وكتب [ولد] الشهيد بخطّه أيضاً على تلك النسخة بهذه العبارة:

يقول أفقر عبادالله ـ و أحوجُهم إلى كرم الله تعالى وعفوه عنه وعن والديه ـ كاتبُ هذه الأحرف محمّدُ بن محمّد بن مكّي (كان الله له عوناً و معيناً) إنّي أروي هذا الكتاب أنا و أخي المسمّى عليّ الملقّب ضياء الدين بحقّ الإجازة من والدنا الواضع خطه أعلاه (قدّس الله روحه) عمّن ذكره من مشايخه هنا وغيرهم، تلفّظ بالإجازةﷺ مراراً ملاحظة [؟] وكتابةً على عامّة كتب الفقه والحديث وغيرهما من العلوم على الإطلاق بحقّ الرواية عن مشايخه (رضوان الله عليهم).

وكتب ضحى الأربعاء لثلاث مضين من الشهر الأعظم رمضان سنة تسع و ثمانين وسبعمائة، حامداً مصلّياً [2].

٢. الإجازة لابن نجدة

وهي إجازته للشيخ شمس الدين محمّد بن عبد العليّ بن نجدة (رضوان الله عليهم)، كتبها في العاشر من شهر رمضان سنة ٧٧٠. و توجد نسخة من هذه الإجازة ـ و هي بخطّ المجيز الشهيد ـ في مكتبة مدرسة النوّاب في مشهد المقدّسة بمعية مخطوطة غاية المراد بخطّ المجاز أعني محمّد بن نجدة، برقم ٢٦٢ فقه، وقد اعتمدنا على هذه المخطوطة في تحقيق غاية المراد، ومصوّرة خطّ الشهيد موجودة عندي بحمد الله. وقد أدرج العلّامة المجلسي (طاب ثراه) هذه الإجازة في البحار [3]. ثمّ نُشرت ضمن رسائل الشهيد الأوّل (ص ٣١١ ـ ٣٢٠) عام ١٤٢٣

---

١ و ٢. رياض العلماء، ج ٣، ص ٣٧٤ـ٣٧٥.

٣. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٣ ـ ٢٠١.

اعتماداً على تلك المخطوطة. ثمّ في عام ١٤٣٠ ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٩.

وما ذكره الشيخ الحرّ العاملي من قوله: «إجازة حسنة لولدي الشيخ عليّ بن نجدة رأيتُها بخطّه»[١]، سهوٌ من قلمه الشريف أو خطأ مطبعي.

ولو جازتها وكثرة فوائدها نوردها هنا بنصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذي مصير كلّ شيء إليه، والمعوّل في كلّ مهمّ عليه، والصلاة على أحظى خلقه لديه، محمّد بن عبدالله النبيّ الأُمّي أفضل مصطفيه، وعلى آله الأُولى حفظوا شرعته، وأقاموا سنّته، صلاةً تتزايد بتزايد الدهور، وتتضاعف بتضاعف الأيّام والشهور.

وبعد: فإنّ المعترف بنعم الله (جلّ اسمه)، المغترف من تيّار بحاره، المستوعب جميع آناته في الإذعان بالقصور عن أيسر ما يجب من شكره في سرّه وجهاره، السائل من عميم فيضه وسيبه المدرار أنْ يعفو عنه ما اقترفه في سالفه آناء الليل والنهار، محمّد بن مكّي (سامحه الله في هفواته وغفر له خطيئاته) يقول:

لمّا كان شرف الإنسان إنّما هو بالعقل الذي امتاز به عن العجماوات، وشابه به ملائكة السماوات؛ وبالعلم الذي يستحقّ به رفيع الدرجات، ويفضل به على أبناء نوعه من ذوي الجهالات؛ وكانت العلوم متعدّدةً وأصنافها متبدّدةً، وكان أفضلها وأشرفها العلم بالله تعالى وكمالاته، وكيفيّة تأثيراته، والعلم بكتابه العزيز، وشرعه القويم، وصراطه المستقيم، المأخوذ عن خاتم الأنبياء، وأفضل الأولياء بطريق عترته الأئمّة النجباء، والبررة الأُمناء (صلوات الله عليه وعليهم ما تعاقب الظلام والضياءُ، واتّبع الصباح المساء) وما يتوقّف إتقان هذين عليه من المعقولات والمنقولات، وتلك هي العلوم الإسلاميّة، والقوانين الشرعيّة (صلوات الله على الصادع بها وسلامه، وعلى أحمد عترته وأطيب صحابته).

---

١. أمل الآمل، ج ١، ص ١٨١.

وكان [ظ: كان] الأخ في الله المصطفى في الأُخوّة، المختار في الدين، المولى الشيخ الإمام العالم العامل العلّامة المتّقي صاحب المباحث السنيّة، والأفهام الدقيقة، والهمّة العليّة، والفكرة الدقيقة، المؤيّد بتأييد ربّ العالمين، شمس‌الملّة والحقّ والدين، أبوجعفر محمّد ابن الشيخ الإمام العالم الزاهد العابد تاج‌الدين أبي محمّد عبدالعليّ بن نجدة (أسعده الله في أُولاه وأُخراه، وأعطاه ما يتمنّاه، وبلّغه ما يرضاه) ممّن أقبل على تحصيل الكمالات النفسانيّة، وفاز بالسبق على أقرانه في الخصال المرضيّة، وانقطع بكلّيّته إلى طلب المعالي، ووصل يقظة الأيّام بإحياء الليالي، حتّى بلغ من آماله ما شرّفه وعظّمه، وجعله من أعلام العلماء وأكرمه.

وكان من جملة ما قرأه على العبد الضعيف عدّة كتب:

فمنها: كتاب قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام، قرأ وسمع معظمه.

ومنها: كتاب اللمع في النحو للإمام أبي الفتح عثمان بن جنّي ﵀.

ومنها: كتاب الخلاصة المنظوم للإمام العلّامة ملك الأُدباء جمال‌الدين أبي عبدالله محمّد بن مالك الطائي الجيّاني قراءةً حافظاً دارساً شارحاً باحثاً.

وسمع كتباً كثيرة غير ذلك بقراءة غيره في فنونٍ شتّى، مثل: كتاب تحرير الأحكام الشرعيّة، وكتاب التلخيص، والإرشاد، وكتاب المناهج في علم الكلام، وكتاب شرح النظم في علم الكلام، وكتاب شرح الياقوت في علم الكلام، وكتاب نهج المسترشدين، كلّ ذلك من مصنَّفات الإمام الأعلم، أُستاد الكلّ في الكلّ جمال الملّة والحقّ والدين أبي منصور الحسن بن مطهّر الحلّي (رفع الله مكانه في جنّته، وجمع بينه وبين أحبّته).

وكتاب شرائع الإسلام، ومختصرها للإمام السعيد فخرالمذهب محقّق الحقائق نجم‌الدين أبي‌القاسم جعفر بن سعيد (شرّف الله في الملإ الأعلى قدره، وأطاب في الدارين ذكره).

ومن ذلك: كتاب عيون أخبار الرضا (عليه وعلى آبائه أفضل الصلوات والتحيّات) تأليف الشيخ الإمام الصدوق أبي جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه ﵀.

ومن ذلك: كتاب مختصر مصباح المتهجّد من مصنَّفات الشيخ الإمام الأعلم، السعيد الموفّق، شيخ المذهب، محيي السنن أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (قدّس الله روحه ونوّر ضريحه) وغير ذلك ممّا يطول عدُّه ويعسر ضبطه.

وقد أجزتُ له (أسبغ الله فضائله) رواية جميع ما قرأه وسمعه عليَّ ونقله وإقراءَه والعمل به، عنّي عن مشايخي الذين عاصرتُهم، وحضرتُ دروسَهم، واستفدتُ من أنفاسهم، واقتبستُ من علومهم (رضوان الله عليهم أجمعين).

بل أجزتُ له جميع ما صنَّفه علماؤنا الماضون، وسلفنا الصالحون من الطبقة التي عاصرناهم إلى طبقات الأئمّة المعصومين في جميع الأزمنة، بالطرق التي لي إليهم على اختلافها.

وأجزتُ له روايةَ جميع ما رويتُه عن مشايخ أهل السنّة شاماً وحجازاً وعراقاً، وهو كثيرٌ.

وأجزتُ له روايةَ جميع ما صنّفتُه وألّفتُه ونظمتُه في سائر العلوم التي شاركت فيها بعض أهلها. فممّا سمعه عليَّ من مصنَّفاتي: كتاب غاية المراد في شرح [نكت] الإرشاد، والرسالة الألفيّة في فقه الصلاة، وخلاصة الاعتبار في الحجّ والاعتمار، ورسالة التكليف وغيرها.

وها أنا مثبتٌ نبذة من الطرق إلى العلماء المذكورين، وجاعل استيفاء ذلك مفوّضاً إليه (أدام الله نعمه عليه) وإلى ما عساه يتيسّر لي في مستقبل الأوقات من الكتابة له، والزيادة على ذلك.

فأمّا مصنَّفات الإمام ابن المطهّر رضي الله عنه فإنّي رويتها عن عدَّةٍ من أصحابنا.

منهم: المولى السيّد الإمام المرتضى علم الهدى شيخ أهل البيت في زمانه، عميد الحقّ والدين أبوعبدالله عبدالمطّلب بن الأعرج الحسيني (طاب ثراه وجعل الجنّة مثواه).

ومنهم: الشيخ الإمام سلطان العلماء منتهى الفضلاء والنبلاء، خاتم المجتهدين فخر الملّة والدين، أبو طالب محمّد ابن الشيخ الإمام السعيد جمال‌الدين بن المطهّر

(مدَّ الله في عمره مدّاً، وجعل بينه وبين الحادثات سدّاً).

ومنهم: الشيخ الإمام العلّامة ملك الأُدباء عين الفضلاء رضيّالدين أبوالحسن عليّ بن المزيدي (قدّس الله روحه).

ومنهم: الشيخ الإمام الفقيه المحقّق والحَبر المدقّق، زينالدين أبوالحسن عليّ بن طراد المطارآبادي جميعاً عنه، أعني الإمام جمالالدين بلا واسطة.

وأجزتُ له (دامت أيّامه) رواية مصنَّفات هؤلاء المذكورين أيضاً ومؤلَّفاتهم ومرويّاتهم عنّي عنهم بلا واسطة.

وبهذا الإسناد عن الإمام جمالالدين مصنَّفات الإمام نجمالدين بن سعيد (رضي الله عنهما) عنه. ويرويها الإمامان الأوّلان عميد الحقّ والدين، وفخر الحقّ والدين أيضاً عن الشيخ الإمام العلّامة رضيّ الحقّ والدين عليّ بن المطهّر، عن الإمام نجم الدين أيضاً. ويرويها الإمامان الأخيران رضيّالدين وزين الدين عن الشيخ الإمام العلّامة صفيّالدين محمّد بن سعيد عن الإمام نجمالدين أيضاً. ويرويها الإمام الأخير زينالدين عن الشيخ الإمام، سلطان الأُدباء، ملك النظم والنثر، المبرّز في النحو والعروض، تقيّ الدين أبي محمّد الحسن بن داوُد عن الإمام نجمالدين أيضاً.

وأرويها عالياً عن الشيخ الإمام الخطيب المِصْقَع البليغ، جلالالدين محمّد ابن الشيخ السعيد ملك الأُدباء والشعراء والخطباء، شمس الدين محمّد بن الكوفي الهاشمي الحارثي عن الشيخ نجمالدين بلا واسطة.

وبالإسناد عن الشيخ جمالالدين جميع مرويّات الشيخ السعيد العلّامة المغفور رئيس المذهب في زمانه نجيبالدين أبي زكريّا يحيى بن الحسن بن سعيد صاحب الجامع وغيره.

وبالإسناد عن الشيخ جمالالدين مصنَّفات ومرويّات الإمامين السعيدين المرتضيين، السيّدين الزاهدين العابدين البدلين الفردين، رضيّ الحقّ والدين أبي القاسم عليّ، وجمالالدين أبي الفضائل أحمد ابني طاوُس الحسنيّين (سقى الله عهدهما صوب الغمام، ونفعنا ببركتهما وبركة أسلافهما الكرام).

وعن الشيخ جمال‌الدين مصنَّفات والده الإمام السعيد المعظّم سديدالدين أبي المظفّر يوسف بن المطهّر.

وبالإسناد عن السيّدين المذكورين، ونجم‌الدين ونجيب‌الدين ابني سعيد، وسديدالدين ابن المطهّر مصنَّفات ومرويّات الشيخ الإمام العلّامة، قدوة المذهب، نجيب‌الدين أبي إبراهيم محمّد بن نما الحلّي الربعي، ومصنَّفات ومرويّات السيّد السعيد العلّامة إمام الأُدباء والنسّاب والفقهاء شمس‌الدين أبي عليّ فِخار بن مَعَدّ الموسوي رضي الله عنه.

وعن ابن نما والسيّد فِخار مصنَّفات الإمام العلّامة شيخ العلماء حبْر المذهب فخرالدين أبي عبدالله محمّد بن إدريس رضي الله عنه.

وعن السيّد فِخار بلا واسطة، ونجيب‌الدين بن نما (رضي الله عنهما) بواسطة الشيخ الإمام السعيد أبي عبدالله محمّد بن جعفر المشهدي رضي الله عنه جميع مصنَّفات شاذان بن جبرئيل، نزيل مهبط وحي الله ودار هجرة رسول الله.

وعن ابن إدريس رضي الله عنه مصنَّفات الشيخ الإمام السعيد أبي جعفر الطوسي بحقّ روايته، عن عربي بن مسافر العبادي عن إلياس بن هشام الحائري عن المفيد أبي عليّ ابن الشيخ أبي جعفر الطوسي عن والده.

ونرويها أيضاً عن شيخنا الإمام السعيد جلال‌الدين أبي محمّد الحسن بن نما رضي الله عنه عن الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد عن السيّد الإمام المرتضى السعيد العلّامة محيي‌الدين أبي حامد محمّد بن زهرة الحسيني الحلبي الإسحاقي (طاب ثراه) عن الشيخ الإمام السعيد رشيدالدين أبي جعفر محمّد بن عليّ بن شهرآشوب المازندراني، صاحب كتاب المناقب، عن أبي الفضل الداعي والسيّد الإمام ضياءالدين أبي الرضا فضل‌الله بن عليّ الحسني، والشيخ أبي الفتوح أحمد بن عليّ الرازي، والشيخ الإمام أبي عبدالله محمّد، وأخيه أبي الحسن عليّ ابنَي عليّ بن عبدالصمد النيسابوري، وأبي عليّ محمّد بن الفضل الطبرسي جميعاً عن الشيخين أبي عليّ الحسن المفيد، وأبي الوفاء عبدالجبّار المقرئ، كليهما عن الشيخ أبي جعفر الطوسي.

وبهذا الإسناد مصنَّفات الشيخ الإمام السعيد مرجع المذهب أبي عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان ﵀، عن الشيخ الطوسي عنه.

وعن الشيخ الطوسي ﵀ مصنَّفات الإمام السعيد المرتضى علم الهدى خليفة أهل البيت ﵇ أبي القاسم عليّ بن الحسين الموسوي.

وبالإسناد عن الشيخ المفيد عن الشيخ الصدوق محمّد بن بابويه جميع مصنَّفاته.

وأمّا مصنَّفات الإمام العلّامة السعيد ملك الأُدباء علّامة الفضلاء أبي الحسين محمّد الرضيّ، جامع كتاب نهج البلاغة من كلام الإمام الربّاني وارث علم رسول الله وخليفته أبي‌الحسن عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) فإنّي أرويها عن جماعة كثيرة، منهم مَنْ تقدّم إلى ابن شهر آشوب ﵀ عن السيّد الإمام أبي الصمصام ذي الفقار بن معبد الحسني المروزي، عن السيّد الرضيّ بواسطة أبي عبدالله محمّد بن عليّ الحلواني ﵀.

وأمّا مصنّفات القاضي الإمام الحبر المحقّق خليفة الشيخ أبي جعفر الطوسي في البلاد الشاميّة عزّالدين عبدالعزيز بن البرّاج ﵀ فإنّي أرويها بالطريق المذكور إلى السيّد محيي الدين بن زهرةَ، عن الشريف عزّالدين أبي الحارث محمّد بن الحسن العلوي البغدادي، عن الشيخ الإمام السعيد قطب‌الدين أبي الحسين الراوندي، عن الشيخ أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسن الحلبي، عن القاضي ابن البرّاج ﵀.

وأمّا مصنَّفات الشيخ الإمام السعيد خليفة المرتضى ﵁ في علومه أبي الصلاح تقيّ‌الدين بن نجم الحلبي، فعن الشيخ سديدالدين أبي الفضل شاذان بواسطة محيي‌الدين بن زهرةَ والسيّد فِخار بحقّ رواية شاذان، عن الشيخ أبي محمّد عبدالله بن عمر الطرابلسي، عن القاضي عبدالعزيز بن أبي كامل الطرابلسي، عن الشيخ أبي الصلاح.

وعن محيي‌الدين بن زهرةَ جميع مصنَّفات والده جمال‌الدين أبي القاسم بن عبدالله عليّ بن زهرةَ، وعمّه السيّد الإمام المعظّم المرتضى عزّالدين أبي المكارم حمزةَ بن عليّ بن زهرةَ الحسيني صاحب كتاب الغنية، وكتاب نقض شبه الفلاسفة، وجواب المسائل البغداديّة، وغيرها.

وأمّا مصنَّفات الإمام الحبر العلّامة عماد المذهب أبي الفتح محمّد بن عليّ الكراجكي نزيل الرملة البيضاء (رحمة الله عليه) فإنّا نرويها بالإسناد عن أبي الفضل شاذان ﵀، عن الشيخ الفقيه أبي محمّد ريحان بن عبدالله الحبشي، عن القاضي عبدالعزيز بن أبي كامل، عن المصنّف الكراجكي المذكور، ولنذكر طريقاً واحداً إلى سيّدنا وسيّد الأنبياء وسيّد البشر وسيّد الممكنات رسول‌الله ﷺ تبرّكاً به، وليكن عن آخر مَنْ أثبتناه من علمائنا آنفاً أعني الشيخ الكراجكي ﵀.

قال: أخبرني أبوعبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد ﵀، عن أحمد بن محمّد بن الوليد، عن والده، عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن أبي عمير، عن عبدالله بن بكير، عن زرارة بن أعين، عن الإمام المعصوم أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ﷺ، عن أبيه، عن أبيه، عن أميرالمؤمنين قال: «قال رسول الله ﷺ: بُني الإسلام على عشرة أسهم: شهادة أنْ لا إله إلّا الله، وهي الملّة، والصلاة، وهي الفريضة، والصوم، وهو الجُنّة، والزكاة، وهي الطُهرة، والحجّ، وهو الشريعة، والجهاد، وهو العزّ، والأمر بالمعروف [وهو الوفاء]، والنهي عن المنكر، وهو الحجّة، والجماعة، وهي الأُلفة، والعصمة، وهي الطاعة»[1].

وأمّا كتاب اللمع في النحو فرويته له عن الشيخ العلّامة رضيّ‌الدين بن المزيدي، عن والده جمال‌الدين أحمد، عن الشيخ نجيب‌الدين يحيى بن سعيد، عن الشيخ الأديب مهذّب الدين محمّد بن كرم النحوي، عن الشيخ محيي‌الدين بن أبي البقاء العكبري. وعن الشيخ العالم عليّ بن الفرج السوراوي كليهما، عن الشيخ زين‌الدين أبي محمّد عبدالله بن أحمد بن أحمد بن الخشّاب النحوي، عن السيّد النقيب هبةالله بن الشجري الحسني، عن السيّد أبي المعمر يحيى بن هبة الله بن طباطبا الحسني، عن القاضي أبي القاسم عمر بن ثابت الثمانيني النحوي، عن المصنّف.

وأمّا الخلاصة المالكيّة الألفية فإنّي رويتها له بحقّ قراءة بعضها وإجازة الباقي

١. الخصال، ج ٢، ص ٥٢٢، ح ٤٧، باب العشرة.

على الشيخ العلّامة ملك النحاة شهاب‌الدين أبي العبّاس أحمد بن الحسن الحنفي النحوي، فقيه الصخرة الشريفة ببيت المقدس (زاده الله شرفاً) بحقّ قراءته على الشيخ الإمام العلّامة برهان‌الدين إبراهيم بن عمر الجعبري بمقام النبيّ إبراهيم الخليل (صلوات الله عليه) عن الشيخ العلّامة شمس‌الدين محمّد بن أبي الفتح الدمشقي، عن ناظمها وراقم علمها ابن مالك.

وممّا أرويه كتاب الجامع الصحيح تأليف الإمام المحدّث أبي عبدالله محمّد بن إسماعيل البخاري، عن عدّة من العلماء، منهم: الشيخ الإمام العلّامة المفضال فخر الحقّ والدين محمّد بن الحسن بن المطهّر الحلّي، والشيخ الإمام العلّامة شرف‌الدين محمّد بن بكتاش التستري، ثمَّ البغدادي الشافعي، مدرّس المدرسة النظاميّة، والشيخ الإمام القارئ ملك القرّاء والحفّاظ شمس‌الدين محمّد بن عبدالله البغدادي الحنبلي، والشيخ الإمام فخرالدين محمّد بن الأعزّ الحنفي، والشيخ الإمام المصنّف المدّرس بالمستنصريّة ـ رضوان الله على منشئها ـ شمس‌الدين أبو عبدالرحمن محمّد بن عبدالرحمن المالكي، جميعاً عن الشيخ الإمام رحلة الأمصار رشيدالدين محمّد بن أبي القاسم عبدالله بن عمر المقرئ شيخ دار الحديث بالمستنصريّة (رضوان الله على منشئها) بحقّ سماعه على الإمام أبي الحسن عليّ بن أبي بكر بن روزبه القلانسي الصوفي، بحقّ سماعه من أبي الوقت عبدالأوّل بن عيسى السجزي، بسماعه على أبي الحسن عبدالرحمن بن محمّد بن المظفّر الداوردي، بسماعه من أبي محمّد عبدالله بن حمويه الحمّوني السرخسي، بسماعه على أبي عبدالله محمّد الفربري، بسماعه على البخاري، قال: حدّثنا مكّي بن إبراهيم، حدّثنا يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ يقُل عليَّ ما لم أقُلْ فليتبوَّأ مقعدَه من النار»[1]. وهذا الحديث من الثلاثيّات. وسمعتها تقرأ على الشيخ الإمام المحدّث سراج‌الدين الدمنهوري تجاه الكعبة الشريفة، وأجاز لي روايتها ورواية جميع الكتاب عن مشايخه إلى البخاري.

١. صحيح البخاري، ج ١، ص ٥٢، باب إثمّ مَنْ كذب على النبيّ ﷺ، ح ١٠٩.

وأمّا صحيح الإمام العلّامة المحدّث مسلم بن حجّاج القشيري النيسابوري، فإنّي أرويه عن الشيخ شرف‌الدين الشافعي المذكور، عن الإمام المحدّث الرحلة عفيف الدين محمّد بن عبدالمحسن ـ عرف بابن الخرّاط، وبابن الدواليبي ـ بسماعه من الشيخ أبي العبّاس أحمد بن عمر بن عبدالكريم الياذبيني، بسماعه على أبي الحسن المؤيّد بن محمّد بن عليّ الطوسي، بإسناده عن الإمام مسلم.

فليرو الشيخ شمس‌الدين محمّد جميع ما ذكرته وغيره لمن شاء.

وكتب أضعف العباد محمّد بن مكّي عاشر شهر رمضان المعظّم قدره سنة سبعين وسبعمائة.

٣. الإجازة لابن الخازن

وهي الإجازة التي كتبها الشهيد لعليّ بن الخازن الحائري في دمشق يوم الأربعاء الثاني عشر من شهر رمضان المبارك سنة ٧٨٤، حوالي سنتين قبل استشهاده، وقد أدرجها العلّامة المجلسي (طاب مضجعه) في البحار[1]، ثمّ نُشرت ضمن رسائل الشهيد الأوّل (ص٣٠٣ ـ ٣٠٩) عام١٤٢٣. ثمّ في عام ١٤٣٠ في قم، ضمن موسوعة الشهيد الأوّل، ج ١٩.

وتوجد مخطوطة من هذه الإجازة في المكتبة المركزية لجامعة طهران، برقم ٢٦٩٥٥/٥[2]؛ وأيضاً في مكتبة آية الله المرعشيﷺ، برقم ٨٤٩٣/٢، ورقم ٥٦٠٥/٢.

ولوجازتها وكثرة فوائدها نوردها هنا بنصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ إنّا نحمدك والحمدُ من نعمِكَ، ونشكرُكَ والشكرُ من قَسْمك، ونسألك أن تصلّي على سيّدنا محمّد الهادي إلى أُممك، وعلى أخيه ووصيّه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أمينك وحكمِك، وعلى الآخرين من ذرِّيتهما أُولي أمرك وحكمك، ونرغبُ إليك في

١. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٧ ـ ١٩٢.
٢. ذكرت في فهرسها، ج ١٦، ص ٤٠٩ ـ ٤١٠.

مغفرة ذنوبنا و حسن توفيقنا، وأن تجعلنا ممّن حمل شريعتَك فأدّاها كما حملها، و نشرها في أهلها فأحكمها وفصّلها، فإنَّ العلم من أشرف الصفات، وناهيك أن بـه تُرفعُ الدرجات، ويُتَقَبَّلُ الأعمالُ الصالحاتُ، وأحدَ طـرقه الروايـةُ عـن الأثـبات: فَطَوْراً بالقراءة، وطَوْراً بالمناولة والإجازة.

ولمّا كان المولى الشيخ العالمُ التقيّ الورعُ المحصّل العالمُ بأعباء العلوم الفـائق أُولي الفضائل والفهوم، زين‌الدين أبوالحسن عليّ ابن المرحوم السعيد الصدر الكبير العالم عزّالدين أبي محمّد الحسن ابن المرحوم المغفور سيّد الأُمناء شمس الديـن محمّد الخازن بالحضرةالشريفة المقدّسة المطهّرة مهبط ملائكة الله ومعدن رضوان الله، التي هي من أعظم رياض الجنّة، المستقِرُّ بها سيّدُ الإنسِ والجِنّةِ إمامُ المتّقين وسيّدُ الشهداء في العالمين ريحانةُ رسول‌الله ﷺ وسبطُه وولدُه أبوعبدالله الحسين ابن سيّد العالمين أميرالمؤمنين أبي الحسن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين، ممّن رغب في اقتناء العلوم العقليّة والنقليّة والأدبيّة والشرعيّة، اسـتجاز العبدَ المفتقِر إلى الله تعالى محمّد بن مكّي (لطف الله به) فاستخار الله تعالى، وأجاز له جميعَ مايجوز عنه، وله روايته من مصنّفٍ ومـؤلَّفٍ ومـنثورٍ ومـنظومٍ ومـقروءٍ ومسموعٍ ومناوَلٍ ومُجازٍ.

فممّا صنّفتُه كتاب القواعد والفوائد في الفقه مختصرٌ يشتمل على ضوابطَ كـلّيّةٍ أُصوليّةٍ و فرعيّةٍ، تُستنبط منها أحكامٌ شرعيّةٌ، لم يعمل للأصحابِ مثلُه، ومن ذلك كتاب الدروس الشرعيّة في فقه الإماميّة خرج منه نصفه في مجلّدٍ. ومن ذلك كتاب غاية المراد في شرح الإرشاد في الفقه، ومن ذلك شرح التهذيب الجـمالي في أُصول الفقه. ومن ذلك كتاب اللمعة الدمشـقيّة مختصرٌ لطيفٌ في الفقه. ومن ذلك رسالتان في الصلاة تشتملان على حصر فـرضها ونـفلها فـي أربـعة آلاف مسألة مـحاذاةً لقولهم عليهم السلام: «للصلاة أربعة آلاف باب»[1]. ومن ذلك رسالة في التكـليف وفـروعه. ومن ذلك رسالة تشتمل على مناسك الحجّ مختصرة جامعة، وغير ذلك من الرسائل

١. تهذيب الأحكام، ج ٢، ص ٩٥٧، ح ٢٤٢.

وكتب شرع فيها يرجى إتمامها في الفقه والكلام والعربيّة إن شاء الله تعالى.

وأمّا مصنَّفات الأصحاب فإنّي أرويها عن مشايخي العدول والثقات الأثبات (رضي الله عنهم).

فمن ذلك مصنّفات شيخَيّ الإمامَين الأفضلَين الأكملَين المجتهدَين منتهَيَي أفاضلِ المذهب في زمانهما السيّد المرتضى عميدالدين، والشيخ الأعظم فخرالدين ابن الإمام الأعظم الحجّة أفضل المجتهدين جمال الدين أبي منصور الحسن ابن الإمام السيّد الحجّة الفقيه سديد الدين أبي المظفّر ابن الإمام المرحوم زين‌الدين عليّ بن المطهّر (أفاض الله على ضرائحهم المراحم الربّانيّة، وحباهم بالنعم الهنيّة) فإنّي أروي جميع مصنّفاتهما قراءةً وسماعاً وإجازةً.

ومن ذلك مصنّفاتُ الإمام الأعظمِ جمالِ‌الدين المشارِإليه، فإنّي أرويها عنهما عنه، وأرويها أيضاً بطريق الإجازة عن جماعةٍ آخَرين:

ومنهم: الشيخ العالم الفاضل المحقّق زين‌الدين عليّ بن طرّاد المطارآبادي تلميذ الإمام المشار إليه.

ومنهم: السيّد العالم السعيد النسّابة أُعجوبةُ الزمان في جميع الفضائل والمآثر تاجُ‌الدين أبوعبدالله محمّد بن مُعَيَّة الحسني (أطاب الله ثراه).

ومنهم: السيّد العالم الفاضل أمين‌الدين أبوطالب أحمد بن زهرة الحلبي الحسيني.

ومنهم: الإمام العلّامة سلطان العلماء وملك الفضلاء الحبر البحر قطبُ الدين محمّد بن محمّد الرازي البويهي، فإنّي حضرت في خدمته (قدَّس الله لطيفه) بدمشق عام ثمانية وستّين وسبعمائة[1]، واستفدت من أنفاسه، وأجازلي جميعَ مصنَّفاته ومؤلَّفاته في المعقول والمنقول أن أروِيَها عنه، وجميعَ مرويّاته. وكان تلميذاً خاصّاً للشيخ الإمام جمال‌الدين المشار إليه.

ومن ذلك جميعُ مرويّاتِ ومصنَّفاتِ الشيخ السعيد العلّامة نجم‌الدينِ بن سعيدٍ وابنِ

١. كذا، وهو سهو أو من خطإ النسّاخ بلا ريب، والصواب «ستّة» بدل «ثمانية»؛ لاتّفاق المصادر القديمة المعتبرة ـ منها قول الشهيد نفسه كما تقدّم ـ على وفاته عام ٧٦٦.

عمّه نجيبِ الدينِ يحيى بن سعيدٍ رضوان الله عليهما، عن الشيخ جمال‌الدين عنهما.

ومن ذلك مصنَّفات السيّدَين الإمامين المُرتَضَيَيْنِ أبـي الفـضائل أحـمد وأبـي الحسن عليّ ابنَي طاوُس (رضوان الله عليهما وصلواته على آبائهما)، عن الإمـام جمال‌الدين عنهما، وأَرويها أيضاً مع مرويّات ابنَي سعيدٍ، عن الشيخ الإمـام مَـلِك الأُدباء و العلماءِ رضي الدين أبي الحسن عليّ ابن الشيخ السعيد جمالِ الدين أحمد المزيدي ﷺ، عن شيخه الإمام جمال‌الدين محمّد بن صالح القتيبي [القندي] عنهم.

وبهذا الإسناد عن ابنَي سعيد وابنَي طاوُس مصنَّفات الشيخ العالم نجيب‌الديـن أبي جعفرٍ محمّد بن نما و مرويّاته، و مصنَّفات السيّد النسّابة العلّامة شمس الدين أبي عليّ فِخار ومرويّاته، وأرويها عن السيّد تاج الدين بن مُعَيَّة، عن السيّد عـلم الدين المرتضى بن عبدالحميد بن فِخار عن والده عن جدّه فِخار الموسوي ﷺ.

وبهذا الإسناد عن فِخار و ابن نما مصنَّفات الشيخ العلّامة المحقّق فخرالدين أبي عبدالله محمّد بن إدريس الحلّي الربعي صاحب السرائر في الفقه.

وبهذا الإسناد عن فِخار مصنَّفات و مرويّات الشيخ العالم نزيل مهبط وحي الله ودار هجرة رسول الله سديد الدين شاذان بن جبرئيل القمّي (رضوان الله عليه).

وبهذا الإسناد مصنَّفات ومرويّات الشيخ العالم نجم‌الدين جعفر بن مليك الحلّي عن جماعة من مشايخ الإمام جمال‌الدين عنه.

وبهذا الإسناد مصنَّفات الشيخ جمال‌الدين الحسـن بـن هـبة اللـه بـن رطـبة السوراوي عن ابن إدريس عنه.

وبهذا الإسناد عن ابن رطبة مصنَّفات ومرويّات الشيخ المفيد أبـي عـليّ ابـن شيخنا أبي جعفرٍ إمام المذهب بعد الأئمّة، محمّد بن الحسن الطوسي، وهو يروي جميع مصنَّفات والده و مرويّاته.

وبهذا الإسناد مصنَّفات الشيخ الإمام عضدِ المذهب، المفيدِ محمّد بن محمّد بن النعمان عن الشيخ أبي جعفرٍ عنه.

وبهذا الإسناد مصنَّفات الإمام السعيد، المرتضى علم الهدى أبي القاسم عليّ بن

الحسين الموسوي عن الشيخ أبي جعفر عنه.

وبهذا الإسناد جميع مصنَّفات الإمام ابن الإمام الصدوق، أبي جعفر محمّد بن عليّ بن موسى بن بابويه القمّي عن الشيخ المفيد عنه، وهو يروي عن والده أبي الحسن عليّ صاحب الرسالة وغيرها.

وبهذا الإسناد مصنَّفات الشيخ أبي القاسم جعفر بن قولويه عن الشيخ المفيد و ابن بابويه عنه.

وبهذا الإسناد مصنَّفات صاحب كتاب الكافي في الحديث ـ الذي لم يعمل للإماميّة مثله ـ للشيخ أبي جعفر محمّد بن يعقوب الكليني ـ بتشديد اللام ـ عن ابن قولويه عنه.

وبهذا الإسناد جميع مرويّات الكليني عن الأئمّة عليهم السلام بواسطة من روى عنه.

وبهذا الإسناد عن الأئمّة عليهم السلام جميع أحاديث سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بطريقهم الصحيح الذي لامرية ولاشكَّ يعتريه، ولنتبرَّك بحديثٍ مسندٍ إليه صلى الله عليه وآله وسلم فنقول:

أخبرنا الجماعة المشارإليهم عن الإمام جمال‌الدين، عن والده سديد الدين، عن ابن نما، عن محمّد بن إدريس، عن عربي بن مسافر العبادي، عن إلياس بن هشام الحائري، عن أبي عليّ المفيد، عن والده أبي جعفر الطوسي، عن المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان، عن أبي جعفر محمّدبن بابويه، عن الشيخ أبي عبدالله الحسن بن محمّدالرازي قال: حدَّثنا عليّ بن مهرويه القزويني، عن داوُد بن سليمان الغازي، عن الإمام المرتضى أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه الإمام الكاظم عليه السلام، عن أبيه الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه الإمام الباقر عليه السلام، عن أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام، عن أبيه الإمام الشهيد أبي عبدالله الحسين عليه السلام عن أبيه الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «مثل أهلِ بيتي مثلُ سفينةِ نوحٍ مَنْ ركبَها نجا، ومَنْ تخلّف عنها زُجَّ في النار».

وأمّا مصنَّفات العامّة ومرويّاتهم فإنّي أروي عن نحوٍ من أربعين شيخاً من علمائهم بمكّة والمدينة ودارالسلام بغداد و مصر و دمشق و بيت المقدس ومقام

الخليل إبراهيم عليه السلام، فرويت صحيح البخاري عن جماعة كثيرة بسندهم إلى البخاري، وكذا صحيح مسلم ومسند أبي داوُد وجامع الترمذي ومسند أحمد وموطأ مالك ومسند الدارقطني ومسند ابن ماجة والمستدرك على الصحيحين للحاكم أبي عبدالله النيسابوري، إلى غير ذلك ممّا لو ذكرتُه لطال الخطب.

وقرأت الشاطبيّة على جماعة منهم: قاضي قضاة مصر برهان الدين إبراهيم بن جماعة، عن جدّه بدرالدين، عن ابن قارئ مصحف المذهب، عن الشاطبي الناظم رحمه الله.

ومنهم: الشيخ شمس الدين محمّد بن عبدالله البغدادي، فإنّه رواها لي عن ابن الخرائدي، عن الشيخ كمال الدين العباسي، عن الناظم رحمه الله.

ورويت كتاب نهج البلاغة ـ الذي هو معجز الإمام المفترض الطاعة أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) ـ عن جماعة كثيرة، منهم: الشيخ رضي الدين المزيدي عن شيخه الإمام فخرالدين البوقي بسنده المشهور.

ومنهم: السيّد تاج الدين بن مُعَيَّة بسنده إلى ابن بلوحي عن السيّد العلّامة المرتضى نقيب الموصل كمال الدين بن حيدر (قدّس الله روحه) بسنده المشهور.

ورويت كتاب الكشّاف ـ لجار الله العلّامة أبي القاسم محمود الزمخشري ـ عن جماعة كثيرة منهم قاضي قضاة مصر عزّالدين عبدالعزيز بن جماعة، عن ابن عساكر الدمشقي عن أبيه المؤيّد عن الزمخشريّ.

ورويت كتاب مجمع البيان في تفسير القرآن ـ للإمام أمين الدين أبي عليّ الفضل الطبرسي، وهو كتاب لم يُعمل مثله في التفسير ـ عن عدّة من المشايخ منهم: مشايخي المذكورون عن الشيخ جمال الدين بن المطهّر بسنده إليه، وكذلك تفسيره الملقّب بجوامع الجامع، وكتاب الكافي الشافي من كتاب الكشّاف من مصنّفاته.

وأمّا المعاني والبيان فإنّي قرأت كتاب الفوائد الغياثيّة وشرحها للسيّد المرتضى العلّامة ملك العلماء والأُدباء جمال الدين عبدالله بن محمّد الحسيني العريضي الخراساني عليه بأسره، ورويت عنه جميع مرويّاته و مصنَّفاته، وهو أيضاً يروي عن الإمام جمال الدين ابن المطهّر، وأروي عنه كتاب المفتاح للإمام السكّاكي بحقّ

روايته عن السيّد اليمني بإسناده إلى السكّاكي.

فليروِ مولانا زين‌الدين عليّ بن الخازن (أدام الله تعالى بركاته) جميعَ ذلك إن شاء بهذه الطرق وغيرها ممّا يزيد على الألف، والضابط أن يصحّ عنده السند في ذلك بعد الاحتياط التامّ لي وله، وعليه أن يذكرني في حرم السبط الشهيد وحضرته المقدَّسة مدّة حياتي وبعد وفاتي، ويُهدي إليَّ دعواتِه المبرورةَ في الحضرة المشهورة الحائريّة (صلوات الله على مشرِّفها وسلامه).

وكتب العبد الفقير إلى عفو الله وكرمه محمّد بن مكّي بن محمّد بن حامد بن طي في دمشق المحروسة منتصف نهار الأربعاء المعرب عن ثاني عشر شهر رمضان المبارك (عمّت بركته) سنة أربع وثمانين وسبعمائة، والحمد للّه أبد الآبدين، وصلّى الله على أفضل الخلائق أجمعين، أبي القاسم حبيب الله محمّد خاتم النبيّين وعترته الطيّبين الطاهرين وصحبه الأخيار المنتجبين.

٤ . الإجازة لأولاده الثلاثة

قال صاحب المعالم في إجازته الكبيرة:

... وجدتُ بخطّ شيخنا الشهيد الأوّل في آخر الإجازة السابقة ... ما هذا لفظه: «... وقد أجزتُ روايتَها وروايةَ جميع ما صنَّفته وألَّفته ورويته لأولادي الثلاثة: رضي الدين أبي طالب محمّد، وضياء الدين أبي القاسم عليّ، وجمال الدين أبي منصور الحسن...» [١].

٥ . الإجازة لولديه

قال صاحب المعالم في إجازته الكبيرة أيضاً:

ورأيتُ أنا بخطّ الشهيد على ظهر نسخة للشاطبية إجازةً لولديه محمّد وعليّ، ذكر فيها أنّه رواها لهما عن عدّة من المشايخ قِراءة وإجازةً، منهم ... [٢].

١. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٢٠؛ وانظر الذريعة، ج ١، ص ٢٤٨.
٢. بحارالأنوار، ج ١٠٩، ص ٥٠؛ وانظر الذريعة، ج ١، ص ٢٤٨.

ثمّ اعلم أنّ الطهراني رحمه الله أشار إلى مشيخة الشهيد لبعض تلاميذه ـ ولعلّها إحدى الإجازات المذكورة ـ حيث قال:

٤٠٠٥. مشيخة الشهيد محمّد بن مكّي العاملي، لبعض تلاميذه.

عدّ مشايخه وطرقه من السيّدين الجليلين عميد الدين وضياء الدين إلى الأئمّة عليهم السلام في حاشية المستجاد من الإرشاد، نسخة عند السيّد محمّد الكوه كمري [1].

ونقل الجباعي في مجموعته عن الشهيد بشأن رضي الدين عليّ بن طاوس:

روينا جميع مصنّفاته ورواياته عن عدّةٍ من أصحابنا، منهم: شيخنا الإمام العلّامة عميد الدين أبوعبدالله عبدالمطّلب بن الأعرج الحسيني، والشيخ زين الدين عليّ بن طرّاد، كلاهما عن الشيخ جمال الدين بن المطهَّر عنه، وابن طرّاد يروي عن تقي بن داود عنه رحمه الله. وكان جرى ملكه على ألفٍ وخمسمائة كتاب في سنة خمسين وستّمائة. وكتب محمّد بن مكّي حامداً مصلّياً مسلّماً [2].

---

١. الذريعة، ج ٢١، ص ٧٢.
٢. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢٠٧.

الفصل الثالث

أشعاره

لم يقتصر نتاج الشهيد على الفقه والأُصول والدراسات الكلامية فحسب، بل منحه الله موهبةً أدبيةً فكان أديباً وكاتباً وشاعراً، بالإضافة إلى كونه فقيهاً من الطراز الأوّل. وشعره ـ وإن قلّ ـ يمتاز بالرقّة ودقّة التصوير و جمال التعبير وجودة الأداء[1] و «لن تكمل صورة صاحبه عند القارئ ما لم يطّلع على نماذج منه على الأقلّ. ثمّ إنّه من بواكير ما وصلنا من الشعر العاملي، بعد شعر سلفه الكبير ابن الحسام»[2]. وقد نقل قسم كبير من أشعاره في مصادر متعدّدة[3]؛ ونورد هنا من أشعاره ما وقفنا عليه بترتيب القوافي وصححّناها بقدر الوسع والإمكان.

---

١. انظر الروضة البهيّة، ج ١، ص ١١٦، المقدِّمة.

٢. جبل عامل بين الشهيدين، ص ١١٥.

٣. منها:

أ) مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٨ ألف؛

ب) بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨، ٢٩؛

ج) أمل الآمل، ج ١، ص ١٨٢؛

د) الاثنا عشرية، ص ٣٣، ٤٠٧؛

هـ) كشكول البحراني، ج ٢، ص ١٤٩؛

و) روضات الجنّات، ج ٧، ص ٧ـ٨، ١٠، ١٥ـ٢٠؛

ز) الفوائد الرضوية، ص ٦٤٧ـ٦٤٨، ٦٥١؛

ح) أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٣؛

ط) مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق هذا الكتاب.

ى) سفينة شرف الدين محمّد مكّي، الأوراق ٦ـ٨.

قال الشيخ محمّد رضا شمس الدين في جملة تأليفات الشهيد:

شعر الشهيد الأوّل، وهو بمنزلة ديوان صغير يشتمل على نحو عشرين مقطوعة وقصيدة، جَمَعَهُ مؤلّف هذا الكتاب [١].

وقال الشيخ آقا بزرگ الطهراني (طاب ثراه):

ديوان الشهيد الأوّل... جَمَعَه الشيخ محمّد رضا ابن الشيخ زين العابدين بن شمس الدين العاملي، من أحفاد شيخنا الشهيد الناظم، والجامع شابٌّ فاضل معاصر [٢].

وقال الشيخ محمّد هادي الأميني رحمه الله؛ نجل العلّامة الأميني (طاب ثراه):

وتصدّى لجمع شعره المرحوم الشيخ محمّد رضا شمس‌الدين، (المتوفّى ١٣٧٦ [كذا، والصواب ١٣٧٧])، غير أنّ الديوان بعد وفاته تلف ومُزِّقَ ولم يُعرفْ له أثرٌ، شأن سائر مؤلّفاته [٣].

وفي مختصر نسيم السحر؛

وله أشعار لطيفة، وقصائد شريفة كلّها مشحونة بالحكم، وقد رأيتُ مجموعةً كتبت عن خطّه الشريف قرب أربعة آلاف بيت، كلّها ممّا تفرّد بها من نثره وأشعاره وخطبه [٤].

١. قافية الهمزة

من الطويل يرثي بها العلّامة الحلّي:

دَعِيني فما كُلُّ الخطوبِ سَواءُ　　بدمعٍ وهل يَشْفِي الغَليلَ بُكاءُ
ولا تُلْزِمَنّي بالسلُوِّ فليسَ لي　　وإنْ كُنْتُ جَلْداً شِقْوَةٌ وعَزاءُ
أُكَلِّفُ نفسي الصبرَ خَشْيَةَ شامتٍ　　وتكليفُ ما لايُستطاعُ عَناءُ
فَقدْنا فتىً لو يَفْقِدُ البدرُ مثلَهُ　　لأمْسى وما في حاجِبَيْهِ ضِياءُ
كأنْ لم يَمُتْ حيٌّ سِواهُ مِنَ الورى　　ولم تبكِ مَيْتاً في الأنامِ نِساءُ

---

١. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٦٥.

٢. الذريعة، ج ٩، القسم ٢، ص ٥٦٠.

٣. الدرّة الباهرة، ص ١٤، مقدّمة التحقيق. نشرتْ دار المحجّة البيضاء في بيروت، عام ١٤٢٤ ما تبقّى من آثار المرحوم محمّدرضا شمس الدين في كتاب باسم بهجة الراغبين في مؤلّفات الشيخ محمّدرضا شمس الدين، وليس فيه الديوان المذكور.

٤. مختصر نسيم السحر، ضمن ملاحق هذا الكتاب.

تَحلَّتْ بهِ الأَيّامُ أحسنَ حِلْيةٍ ... كأنّ عليه من سَناهُ سَناءُ
فلمّا مَضى لم يبقَ للدهرِ رَوْنَقٌ ... وأصبحَ رَبْعُ الأُنْسِ منه خَلاءُ
متى تُخْلِفُ الأيّامُ مثلَ جَمالِه ... وليسَ لَهُ في العالمينَ كِفاءُ
لقد عقَمَتْ عن مِثلِهِ كلُّ حُرَّةٍ ... فَضاقَ على باغي النِتاجِ فَضاءُ
ألا مَنْ لِحَلِّ المشكلاتِ تَعَقَّدَتْ ... وأحْجَمَ عن تَفْسيرِها العلماءُ
وَمنْ لضعيفٍ حَيَّر الدينُ قَلْبَهُ ... وَغَطّاهُ مِنْ لَيْلِ الشُكوكِ غِطاءُ
ومَنْ لمريضِ القلبِ يَلْتَمِسُ الهُدى ... فليس له إلّا هُداكَ دَواءُ
ومَنْ ذا لَقَمْع الملحِدينِ بِعَزْمه ... وواضحِ حقٍّ ليس فيه عَماءُ
أَدِلَّتُهُ تَجلي القلوبَ مِنَ العَمى ... كخالِص شَهْدِ النَحْل فيه شِفاءُ
فتىً غُيِّبَتْ عنّا مَحاسِنُ وَجْهِهِ ... وحُمَّ عليه للمَنُونِ قَضاءُ
فما غُيِّبَتْ عنّا مَحاسِنُ فَضْلِهِ ... لها مَعْ بقاءِ العالمين بَقاءُ
تَصانيفُهُ فينا كواكبُ أَشْرَقَتْ ... فما مِنْ ضِياها للبصيرِ خَفاءُ
قواعدُ عِلْمٍ لا تُهدِّمُ رُكْنَهُ ... صروفُ الليالي والسماءُ سماءُ
سَرى ذِكْرُهُ في كُلِّ شرْقٍ وَمَغرِب ... وطابَ عليه في الأنامِ ثناءُ
تَجَمَّلَتِ الأيّامُ حَيّاً وَمَيِّتاً ... بهِ فعليها بَهْجَةٌ وَ ثَناءُ
فلو كانَ يُفْدى بالنفوسِ بقاؤُهُ ... بَذَلْنا نُفُوساً لو يكونُ بقاءُ
وَما ماتَ مَنْ أبقى على الدهرِ ذكرَهُ ... جديداً ولا أَفْنى عُلاهُ فَناءُ
فلا يَشْمتِ الأعداءُ يومَك إنَّهُ ... على كلِّ حيٍّ في الأنامِ ثَواءُ
فكم من شجىً أَبْقَيْتَ في لَهَواتِهم ... ... [1] منهم لذاك هواءُ
لَقَدْ عِشْتَ في الدنيا سَعيداً مُوَفَّقاً ... وجاورت جاراً في حماهُ كِلاءُ
وليّ أميرِ المؤمنينَ و جارُهُ ... وجارُ أميرِالمؤمنين حِماءُ
فلا تَحْسَبَنْها ميتةً بَلْ كرامةً ... مِنَ الله مَخْصُوصٌ بهاالشُهداءُ
لَيَهْنِكَ هذا المجْدُ حيّاً وَ ميّتاً ... فيا طيبَهُ عند الممات ... [2]
سقى الله قبراً أنتَ فيه مُوَسَّدٌ ... سحائبَ مُزْنٍ غَيْثُهُنّ رَواءُ

١. هنا كلمات لا تقرأ.
٢. هنا كلمة لا تقرأ.

ولا حُـجِبتْ عـنهُ صـلاةُ ورحـمةٌ　　مــن اللــه يأتــيهِ بِــها السُــفَراءُ
فقولي لفخر الدينِ[١] والمـاجدِ الذي　　عــليهِ مــن المــجْدِ الأثـيلِ ردِاءُ
تـــــــقف ...[٢] لستَ دُونَـــــهُ　　فــفيكَ لمــا تَــرْجوهُ مـنك غـناءُ
وما ماتَ ليثٌ أنتَ في الناسِ شـبلُهُ　　و لا خــابَ للـمسترشدين رَجـاءُ
ولا انــهدَّ مَـجْدٌ والعـميدُ[٣] عـمادُهُ　　و لا بَــلَغَتْ نَــبْأَ المــنى البُـغَضاءُ
ولا أظْلَمتْ سُبُلُ المعالي و لا وَجَتْ　　و عندكَ من وجـهِ الضـياءِ[٤] ضـياءُ
وأَنْــتُمْ نُــجومٌ للأنــامِ ثــواقِبٌ　　يُــقَصِّرُ عــن أشكــالها النُـظَراءُ[٥]

٢ . قافية الباء

من السريع:

من قوله في مسايرة ابن الجوزي في قوله:

أقســـمتُ بــالله و آلائــهِ　　أليّـــةً ألقـــى بــها ربّــي
إنّ عـــليَّ بــنَ أبــي‌طالب　　إمـامُ أَهْـلِ الشـرقِ و الغـربِ
مـنْ لم يكـنْ مَـذهَبُهُ مـذهبي　　فــإنّه أنــجسُ مــن كــلبِ

فقال الشهيد رحمه الله:

لأنّـــهُ صِــنوُ نــبيّ الهُــدى　　من سـيفِه القـاطعِ فـي الحـربِ
وقـد وقـاهُ فـي[٦] جـميعِ الردى　　بِنَفْسِهِ فـي الخِـصبِ و الجَـدْبِ
والنَصُّ فـي الذكـرِ وفـي ﴿إِنَّـمَا　　وَلِـــيُّكُمُ﴾ كـــافٍ لِــذي لُبِّ
مَــن لم يكــنْ مــذهبُهُ هكـذا　　فـــإنّه أنــجسُ مــن كــلبِ[٧]

---

١. ابن العلّامة الحلّي رحمهما الله.
٢. هنا كلمة لا تقرأ.
٣. عميد الدين ابن أخت العلّامة رحمهما الله.
٤. ضياء الدين ابن أخت العلّامة رحمهما الله.
٥. مجموعة الجباعي، الورقة ١٧؛ غاية المراد، ج ١، ص ٢٦ ـ ٢٧، مقدّمة التحقيق.
٦. في البحار، و أعيان الشيعة: «من» بدل «في».
٧. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨؛ شهداء الفضيلة، ص ٨٧ ـ ٨٨؛ روضات الجنّات، ج ٧، ص ١٥؛ أعيان الشيعة، ←

٣ . قافية التاء

من البسيط:

يموتُ قومٌ ويُحيي العلمُ ذكرَهُمُ والجهلُ يُلحِقُ أحياءً بأمواتِ[1]

٤ . قافية الحاء

من الطويل:

جُبِلْتُ على حُبّ النبيّ وآله ولاطَ بقلبي بلْ بكُلّ جوارحي
ومدحُهُمُ دأْبي وليسَ ببالغٍ مآثِرَهُم حَقّاً ولا مَدْحَ مادِحِ[2]

٥ . قافية الدال

من الكامل:

وله في مناقضة هذين البيتين لبعض النواصب:

قول الروافضِ: «نحنُ أطيَبُ مولِداً» قولٌ جَرىٰ بِخلافِ دينِ محمَّدِ
نكَحوا النساءَ تَمتُّعاً فَولِدنَ من تِلكَ النساءِ فأينَ طيبُ المولدِ![3]

فكان ردّه عليه:

إنّ التَمتُّعَ سُنّةٌ مورودَةٌ وَرَدَ الكتابُ بها ودينُ محمّدِ
ورَوى الرواة بأنّ ذلك قَدْ جَرىٰ مِنْ غَيْرِ شكٍّ في زمان محمَّدِ
ثُمَّ اسْتَمرّ الحالُ في تَحْلِيلِها قد صَحّ ذلك مِن حديث المسندِ

← ج ١٠، ص ٦٣؛ الطليعة في شعراء الشيعة، ج ٢، ص ٢٩١ ـ ٢٩٢، وفيه:

لأنّة صِنْوُ نبيِّ الهدى ورحمُهُ المخصوص في القربِ
وقد وقاه في جميع الورى بنفسه في السِلْمِ والحربِ

١. مختصر نسيم السحر، انظر ملاحق هذا الكتاب.
٢. مجموعة الجباعي، الورقه ١٣٧ ألف؛ غاية المراد، ج ١، ص ١٩٠، مقدّمة التحقيق.
٣. روضات الجنّات، ج ٧، ص ١٦، نَقَل بيتين في الجواب، مختصر نسيم السحر، وفيها خمسة أبيات في الجواب. انظر ملاحق هذا الكتاب. وفي كشكول البحراني: «ذاك النكاح» بدل «تلك النساء».

عَنْ جابرٍ وعن ابـن مَسـعودٍ وعـن　　نَـقْلِ ابـن عـبّاسِ الكـريمِ المـوْلِدِ
حَـتّى نـهى عُـمَرُ بـغير دلالةٍ　　عـنها فكَـدَّرَ صـفوَ ذَاكَ المَـوْرِدِ
لكـن مَـواليـدِ النـواصبِ جَـدَّدَتْ　　دينَ المـجوس فـأينَ ديـنُ مـحمّدِ
لفُّ الحرير عـلى الأُيـورِ وغَـمْسُها　　فِي الأُمّهاتِ دليلُ طـيبِ المـولدِ![1]

من الكامل:

ومن خطّه:

إنّـي بِـحُبّ مـحمّدٍ وَوَصـيّهِ　　وبَنيهما يا ربّ قَدْ عَـلِقَتْ يـدي
وقَصَدْتُ بـابَكَ طـالباً بـولائهمْ　　حُسْنَ الكرامَةِ يومَ أُبْعَث في غدِ
فَبِحَقِّ أحـمدَ والبـتولِ و بَـعْلِها　　وبني عـليٍّ لا تُـخَيِّبْ مَـقْصَدي
وامْنُنْ عَلَيَّ بـرحـمةٍ أنْـجو بـها　　يومَ الحسابِ بـحقِّ آلِ مـحمّدِ[2]

من الوافر:

في تهنئته لتلميذه الشيخ شمس الدين محمّد بن عبد العالي الكركي:

قَـدِمْتَ بـطالعِ السـعدِ السـعيدِ　　وحـيّاكَ القـريبُ مـع البـعيدِ
وأحْـيَيْتَ القـلوبَ و كـان كـلٌّ　　مِنَ الأصـحابِ بَـعْدَكَ كـالفَقيدِ
نَـعِمْتَ بـحجّ بـيتِ اللـه حـقّاً　　وبُـلِّغْتَ الأمـاني فـي الصُـعودِ
وزُرْتَ المـصطفى وبـنيهِ حـتّى　　وصَلْتَ إلى المكـارِمِ والسُـعودِ
وعـاوَدْتَ الأقـارِبَ فـي نـعيمٍ　　مـن الرحـمن أُتـبعَ بـالخلُودِ
ودامَ لكَ الهـناءُ بـهم ودامـوا　　مـعَ الأيّـامِ فـي رغـمِ الحسـودِ
فلو حُـلِّفْتَ حَـاكَـيتَ المـثاني　　بـطاعةِ والدٍ رَؤفٍ ودُودِ
وإنّـي مشـفقٌ والعـزمُ مـنّي　　لقـاؤك مـن قـصيرٍ أو مـديدِ[3]

١. روضات الجنّات، ج ٧، ص ١٦، وفيه: «ورد الكتاب بردٍّ دين محمّد» والصواب ما أثبتناه؛ كشكول البـحرانـي، ج ٣، ص ٢٠١، وفيه سبعة أبيات في الجواب، وقال قبل نقل الأبيات: «فأجابه الشهيد وقيل: السيّد المرتضى».
٢. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٣، نقلاً عن مجموعة الجباعي.
٣. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٧؛ بـحار الأنـوار، ج ١٠٧، ص ٢٩؛ روضـات الجـنّات، ج ٧، ص ٧ ـ ٨؛ غـاية المراد، ج ١، ص ٢٢٨، مقدّمة التحقيق.

٦ . قافية الراء

من البسيط :

يخاطب بها بيدمر حاكم دمشق عندما حبسه في قلعة دمشق بتهمة وجّهها إليه أعداؤه :

يـا أَيُّـها المـلكُ المـنصورُ بَـيْدَمُرُ ... بكـم خـوارزمُ والأقـطارُ تَـفْتَخِرُ
إنّـي أُراعـي لكـمْ فـي كـلِّ آوِنَـةٍ ... ومـا جَـنَيْتُ لَـعَمْري كـيفَ أعْـتَذِرُ؟
لا تَسْـمَعَنْ فِـيَّ أقـوالَ الوُشـاةِ فـقدْ ... بـاؤوا بـزُورٍ وإفكٍ ليس يَـنْحَصِرُ
واللـه واللـه أَيـماناً مـؤكَّدَةً ... إنّـي بَـريءٌ مِـنَ الإفكِ الذي ذَكـروا
عـقيدتي مُـخْلِصاً حُبُّ النـبيّ وَمـنْ ... أَحَـبّهُ وصـحاب كُـلُّهُم غُـرَرُ[1]
يَكفيك في فـضلِ صِـدّيقٍ وصـاحِبه ... فـاروقِهِ، الحـقُّ فـي أقـوالهِ عـمرُ
جـوارُ أحـمدَ فـي دنـيا وآخـرةٍ ... وآيـة الغـار للألبـاب تُـعْتَبَرُ
والخـيرُ عـثمانُ والمـنعوتُ حـيدرةٌ ... وطـلحةٌ وزبـيرٌ فـضْلُهم شَـهرُ
سَعْداهُـمُ وابـنُ عـوفٍ ثُـمّ عـاشرهم ... أبـو عـبيدةَ قـومٌ بـالتُقىٰ فـخروا
الفـقهُ والنـحوُ والتـفسيرُ يَـعرفني ... ثُـمّ الأُصـولانِ والقـرآنُ والأَثـرُ
فكـنْ كـ«مـنجك» بَـلَّ اللـه أعْـظُمَهُ ... وزَادَك اللـه عـزّاً ليسَ يَـنْحصرُ
أتـىٰ إليـهِ رواةُ السـوءِ إذ أفكـوا ... فـحين حـقَّقَ أرداهُـم بـما ذكـروا
أمـيرُ حـاجبِ نـجلِ العسكـري له ... مـن ذاك خُـبرٌ فَسـلْهُ يُـعرفُ الخـبرُ
واللـه مـا مسـنّي مـنه مـقابلة ... بالسوءِ كلّا ولا خَسـرِتُ مـا خسـروا
لأنّـني وإلهِ العـرشِ مُـفْتَقِرٌ ... إلى نـقيرٍ وقِـطميرٍ له خَـطَرُ
لا أسـتغيثُ مـن الضَـرّاء يـعلمُ ذا ... ربّـي وأسـتارُ دارٍ ظَـلّ يـدّكـرُ

---

١. الأبيات الخمسة الأُولى كتبها أيضاً تلميذ الشهيد الثاني الشيخ محمود اللاهجاني في مجموعة له، الورقة ٤١، وقال قبل نقلها: «منظومة للشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي﵀ في بيدمر لمّا حبسه في قلعة دمشق» والمصرع الأوّل من البيت الثاني فيها: «إنّي لداعٍ لكم» بدل «إنّي أُراعي لكم». وهذه الأبيات الخمسة وردتْ أيضاً في المخطوطة المرقّمة ٨٩١٢ المحفوظة في مكتبة الروضة الرضوية، الورقة ٧٩.

فامنُن أميري ومَخْدومي على رجلٍ　　واغنَم دعائي سِراراً بعد إذ جَهروا
في كلّ عامٍ لنا حَجٌّ وكان لنا　　في خدمةِ النجلِ في ذي العام مُختصر
محمّدٌ شاه سلطانُ الملوكِ بقي　　متّعاً بِحماكُم عُمرهُ عُمرُ
ثُمَّ الصلاةُ على المختارِ سيّدنا　　والآلِ والصَحْب طُرّاً بَعده زُمَرُ

خدمة المملوك المظلوم واللهِ محمّد بن مكّي الشامي [1]

من الطويل:

شُغِلْنا بكسب العلمِ عن طلب الغنى　　كما شُغِلُوا عن مطلبِ العلمِ بالوفرِ
فصارَ لهم حَظٌّ مَن الجهلِ والغنى　　وصارَ لنا حظٌّ منَ العلمِ والفَقْرِ [2]

---

١. روضات الجنّات، ج ٧، ص ١٨ ـ ١٩؛ الروضة البهيّة، ج ١، ص ١١٨. قال صاحب الروضات ﷺ في روضات الجنّات (ج ٧، ص ١٩) قبل نقله لهذه الأبيات: «إنّي رأيتُ بخطّ شيخنا الشهيد الثاني ﷺ على ظهر مجموعة من الرسائل النفيسة كان جميعاً بخطّه الشريف يقيناً رواية منظومة للشيخ الشهيد شمس الدين بن مكّي ﷺ ـ في بيدم لمّا حبسه في قلعة دمشق ـ بهذه الصورة» وقال بعد نقلها فيه: (ج ٧، ص ٢٠ـ٢١): «ثمّ إنّي بعد ما نقلت هذه القصيدة الفزعيّة لحضرته المظلومة الشهيديّة عن خطّ شيخنا الشهيد الثاني ﷺ جعلتُ أتفكّر في جهة مشروعية هذه الأيمان المغلّظة منه على أنّه بريء ممّا اتّهموه به من مذهب الإماميّة وعلى أنّ عقيدته حبّ النبيّ المصطفى وأصحابه والعشرة المبشّرة، مع أنّ أكثرهم هالكون باعتقاده، إلى أن اتّفق لي يوماً مطالعة كتاب التبر المذاب في منقبة الآل والأصحاب للسيّد أحمد بن محمّد الحافي الحسيني الشافعي، فوجدته يقول بعد ذكره الصحابة وبيان أنّ اعتقاده وجوب محبّتهم جميعاً، والتأسي بهم... وقد حسن أن أقول:

عقيدتي مُخلصاً حُبُّ النبيّ وَمن　　أحبّهُ وَصحاب كُلّهم غُرَرُ

إلى قوله:

أبوعُبيدةَ قومٌ بالتقى افتخَروا

ومع زيادة قوله:

رضوانُ ربّي عليهم كُلَّما طَلَعَتْ　　شمسُ النهار وَضاء النجم والقمرُ

فانكشف لي أنّها كانت من أشعار هذا الرجل الشافعي دون قدوتنا الشهيد محمّد بن مكّي، كما شهد بذلك أيضاً قوله بعد إيراده لتمام هذه الأبيات:

وعليه فالظاهر أنّ الشهيد ﷺ جعل قوله: (عقيدتي مخلصاً إلخ) من قبيل بدل الجملة من المفرد أو بالعكس، وذلك بأن يكون المبدل منه هنا هو الإفك الذي ذكروا، أو في موضع المفعول من الغعل المذكور، فيصير المعنى: إنّي والله والله بريء من هذه العقيدة... التي ذكروها بهذه الكيفيّة المنظومة.

وهذا من جملة لطيف التدبير وإعمال مثل المعجزة في مقام التحبير، ولايمكن إلّا بإرادة إله خبير أو إجادة من إرادة عليّ كبير».

٢. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٣. هذان البيتان منسوبان إلى محمود الوراق ومذكوران في ديوانه.

من الطويل:

أَلَمَّتْ بِـنا والليلُ مِـنْ دونـها سِتْرُ ... ولاَح[1] لنـا شمسٌ وقـدْ طـلعَ البـدرُ
فـقلتُ لهـا مَـنْ أَنتِ قـالتْ تَـعَجّباً ... وهـل سـائلٌ للـبدرِ مَـنْ أنْتَ يـا بـدرُ
أنـا الفـضّةُ البـيضاءُ قـد نـالها جـوىً ... أنا الكوكبُ الدرّي أنـا الكـاعِبُ البِكـرُ
فـبِتْنا عـلى رَغْـمِ الحسـودِ وبَـيْنَنا ... حديثٌ كـنشرِ المسكِ شِـيبَ بـه خَـمرُ
حـديثٌ لو أنَّ المَـيْتَ يُـرْثَى بـبعضِهِ ... لأصـبحَ حـيّاً بـعدما ضَـمَّهُ القَـبْرُ
فـوسَّدْتُها زَنْـدي وبِتُّ ضَـجِيعَها ... وقـلتُ لِـلَيلي طُـلْ فَـقَدْ رَقَـدَ البـدرُ
فـلمّا أضـاءَ الصـبحُ فـرّقَ بـيننا ... وأيُّ نـعيم لا يكـدّرُهُ الدهـرُ
(أمـا والذي أبكـى وأضـحكَ والذي ... أمـاتَ وأحـيا والذي أمـرُهُ الأمـر)
(لقد تَـرَكَـتْنِي أحسُـدُ الوحشَ أنْ أرى ... أليـفَيْنِ مـنها لا يَـروعُهما ذُعْـرُ)
(ويـا حـبَّها زِدْنـي جَـوىً كـلّ ليـلةٍ ... ويـا سـلوةَ الأيـامِ مـوعِدُكِ الحشـرُ)
(عَـجِبْتُ لسَـعْي الدهـرِ بَـيني وبَـيْنها ... فـلمّا انـقضىٰ مـا بَـيْننا سَكَـنَ الدَهْـرُ)
(وإنّـي لتـعروني لذكـراك هَـزّةٌ ... كـما انـتفضَ العـصفورُ بـلّله القـطرُ)[2]

* * *

من البسيط:

لمّـا دَنَتْ دار مَـنْ أهْـوىٰ وبَـدَّلَنا ... رَبُّ البـريّة بـعدَ السَـفْر بـالحَضَر
شكرتُ رَبّـي وحـالَ الحـالُ مُـبْتهجاً ... يـا أوّلَ الصَـفْوِ هـذا آخِـر الكَـدرِ[3]

* * *

١. في شهداء الفضيلة: «وما طلعت شمس وما طلع البدر، على رواية صاحب الخزائن».
٢. كشكول البحراني، ج ٢، ص ١٤٩ ـ ١٥٠؛ شهداء الفضيلة، ص ٨٦. وفيه: «ضُمِّنَتْ هذه القصيدة بعض أبيات من قصيدة الهذلي الشاعر العربي الجاهلي وقد وضعناها بين قوسين». وانظر الشهيد الأوّل محمّد بن مكّي العاملي في المصادر العربية، ص ٤٤ ـ ٤٥. ونُسبت الأبيات الثلاثة الأُولى في شعراء الغريّ، ج ٣، ص ١٣٨، إلى الشيخ حسن آل مكّي، نقلاً عن صاحب الحصون. والظاهر أنّ هذه النسبة خطأٌ.
٣. مجموعة الجباعي، ج ٢، الورقة ٦٣.

قال شرف الدين محمّد مكّي حفيد الشهيد:

ممّا قد رأيتُه في جزّين على حائطٍ مِنْ بيوت الشهيد الشريف شمس الدين محمّد بن شرف الدين مكّي المطّلبي ثمّ الحسني:

من البسيط:

(يا نِعْمةَ اللهِ حُلّي في مَنازِلنا　　و جاوِرينا رعاكِ اللهُ مِنْ جارِ)
واسْتَقْبِلينا بأيّام مُبارَكةٍ　　والسَعْدُ يَخْدِمُنا في هذه الدارِ
وإنْ يَكُنْ جارُ سُوءٍ فهي [كذا]يَحْسُدُنا　　فاللهُ يَحْرُسُنا مِنْ ذلك الجارِ[1]

٧. قافية العين

من المتقارب:

دمشقَ دمشقَ فلا تأتِها　　و إن غَرّكَ الجامعُ الجامِعُ
فَسُوقُ الفُسُوقِ بها قائمٌ　　و فَجْرُ الفُجورِ بها طالِعُ[2]

٨. قافية الفاء

من البسيط:

قصيدة في العرفان والأخلاق والتقوى وذمّ طريقة المتصوّفة[3]:

بالشوقِ والذوقِ نالوا عزّةَ الشرفِ　　لا بالدفوفِ[4] ولا بالعجبِ والصَلَفِ
ومَذْهَبُ القومِ أخلاقٌ مُطَهَّرَةٌ　　بها تخلّقتِ الأجسادُ في النُطفِ

---

١. سفينة شرف الدين محمّد مكّي، الورقة ٧ ب. والبيت الأوّل منسوب إلىٰ أبي نؤاس مع بعض الاختلاف.

٢. الفوائد الرضوية، ص ٦٤٨، وفيه: «وينسب إليه»؛ أمل الآمل، ج ١، ص ١٨٢، ذكر في الحاشية عن نسخة: «لا أعلم هل هي للشهيد أم لغيره؟».

٣. قال العلّامة السيّد حسن الأمين﵀ في الشهيد الأوّل: محمّد بن مكّي، ص ٩٣ قبل نقله لهذه القصيدة: «ومن شعره قصيدته الفائية التي تصوِّرُما كانت عليه حال المسلمين من تسلّط شيوخ الصوفيّة على الحياة الإسلاميّة ما وصفه الدكتور جعفر خصباك في كتابه: العراق في عهد المغول الإيلخانيين، قائلاً: نشطت الصوفية المتزجة بالخرافة فأبعدتِ الناس عن تَفَهّم واقعهم المرير وأشغلتهم بخيالات غريبة وأوهام مضلِّلة. فكان من رسالة محمّد بن مكّي الوقوف في وجه هؤلاء والعودة بالإسلام إلى صفائه ونقائه...».

٤. في الاثنا عشرية؛ شهداء الفضيلة و روضات الجنّات: «الدلوف».

صـــبرٌ وشُكْـــرٌ وإيـــثارٌ ومَـــخْمَصَةٌ ... وأنـــفسٌ تَـــقْطَعُ الأنـــفاسَ بـــاللهفِ
والزهـــدُ فـــي كـــلّ فـــانٍ لا بـــقاءَ لهُ ... كما مـضت سُـنّةُ الأخـيارِ والسـلفِ
قـــومٌ لتـــصفيةِ الأرواحِ قـــد عـــملُوا ... وأسْـــلَموا عَـرَضَ الأشـباحِ للـتلَفِ
مـــا ضـــرّهم رثُّ أطـمارٍ ولا خَـلَقٍ ... كـالدّر حـاضره مُـخْلَولِقُ الصـدف[1]
لا بـــــالتخلّقِ بـــالمعروف تـــعرفهم ... ولا التكـلّفِ فـي شـيءٍ مـن الكَـلَفِ
يـــا شِـقْوتي قـد تـولّت أُمّـةٌ سَـلَفَتْ ... حتّى تخلّفتُ في خَـلْفٍ مِـنَ الخـلفِ
يُـــنَمِّقون تَـــزاويـــرَ الغُـــرورِ لنـــا ... بـالزُورِ والبـهت والبـهتانِ والسـرفِ
ليس التـــصوّفُ عُكّـــازاً ومِسْـــبَحةً ... كـــلّا ولا الفـــقرُ رُؤيـا ذلكَ الشـرفِ
وأن تَـــروحَ وتَـــغْدو فـــي مُـــرَقَّعَةٍ ... وتـــحتَها مـــوبقاتُ الكِـبْر والسَـرَفِ
وتُظْهِرَ الزهدَ فـي الدنـيا وأنتَ عـلى ... عُكُوفِها كعكوفِ الكلْبِ فـي الجِـيَفِ
الفـــقر ســـرٌّ وعـنكَ النـفسُ تـحجبُه ... فارفَعْ حِـجابَكَ تـجْلُ ظُـلْمَة التـلَفِ
وفارقِ الجنسَ واقْرِ النفسَ في نَـفَسٍ ... وغبْ عن الحُسْنِ[2] واجلبْ دَمْعَةَ الأسفِ
واتْلُ المثاني ووحِّدْ إنْ عَـزَمْتَ عـلى ... ذكرِ الحبيبِ وصِفْ ما شئتَ واتّـصفِ
واخْـــضَع له وتَـــذَلَّلْ إذ دُعـــيتَ له ... واعـرفْ مـحلّكَ مـن آبـاكَ واعـترفِ
وقـــفْ عـلى عـرفاتِ الذلّ مُـنكسِراً ... وحـــولَ كـعبةِ عـرفانِ الصـفا فـطُفِ
وادخُـلْ إلى خَـلوةِ الأفكـارِ مـبتكراً ... وعُـــدْ إلى حـانةِ الأذكـارِ بـالصُحُفِ
وإنْ ســـقاكَ مـــديرُ الراحِ مـــن يـده ... كأسَ التجلّي فَخُذْ بالكأس واغـترفِ
واشربْ وأَسقِ ولا تَبْخَل عـلى ظـمإٍ ... فـــإنْ رجَـعْتَ بـلا رِيٍّ فـوا أسـفي[3]

---

١. في أعيان الشيعة: «الصلف».

٢. في بعض المصادر؛ «عن الحسّ».

٣. الاثنا عشرية، ص ٣٣؛ شـهداء الفـضيلة، ص ٨٩؛ أعـيان الشـيعة، ج ١٠، ص ٦٣؛ روضـات الجـنّات، ج ٧، ص ١٢؛ سفينة شرف الدين محمّد مكّي الورقة ٧ ب ـ ٨ ألف. الروضة البهيّة، ج ١، ص١١٧ ـ ١١٨. قال العلّامة السيّد حسن الأمين﵀ في الشهيد الأوّل: محمّد بن مكّي، ص ٩٥، بعد نقله لهذه القصيدة: «وقيمة هـذا الشـعر ليست في ناحيته الفنّيّة، ونحن لم نأخذ به لندلّل به على شاعرية محمّد بن مكّي، وإنّما قيمته أنّه صورةٌ من صور عصر ناظمه، ونحن لا ندّعي لصاحبه بالشاعرية المجيدة، وإنّما نستدلّ به على ما كان يعتمل في نفس صاحبه من التفكير في مصائب الأُمّة ووصف عللها والدعوة إلى إصلاح ما اعترى حياتها مِنْ خَلل، والتصدّي لذلك والدعوة إلى مقاومته والخروج عليه».

من المتقارب:

وحكى له السيّد نعمة الله الجزائري﵀ هذا البيت و يُقرأ على وجوه كثيرة:

لِـقَلْبي مـليحٌ ظَـريفٌ　　بَديعٌ جَميلٌ رشيقٌ لطيفٌ

فإنّه ـ كما قيل ـ يقرأ بحسب تغيير ألفاظه على أربعين ألف وجه و ثلاثمائة وعشرين وجهاً، و توجيه ذلك أنّ اللفظتين الأوّلتين لهما صورتان، فإذا ضربتا في مخرج الثالث صارت ستّاً، فإذا ضربت في مخرج الرابع صارت أربعاً وعشرين، فإذا ضربت في مخرج الخامس صارت مائة و عشرين، فإذا ضربت في مخرج السادس فسبعمائة وعشرون، فإذا ضربت في مخرج السابع فخمسة آلاف و أربعون، ثمّ في مخرج الثامن تبلغ ما قلنا[١].

من الخفيف:

كنْ صبوراً وظُنّ خيراً فلدّ　　ه خفايا يُسعى لها ويُطافُ
بينما المرءُ في معيشةِ سوءٍ　　إذ أتَتْهُ من ربّه الألطافُ[٢]

٩. قافية القاف

من الخفيف:

كنتُ قبلَ الهوىٰ حليفَ المعالي　　ولأعلامها عَلَيَّ خُفُوقُ
نَقَصَتْني زيادةُ الحُبِّ حتّى　　أدركاني المرّيخُ والعيّوقُ[٣]

قال صاحب الرياض:

رأيت في مجموعة بأردبيل ـ وكانت بخطوط علماء جبل عامل ـ أنّ هذا الشيخ [يعني

١. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٣.
٢. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٧.
٣. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٣. نسب هذان البيتان إلى عبدالباقي العمري وذكرا في ديوانه مع اختلاف في بعض الألفاظ.

تلميذ الشهيد: شمس الدين محمّد بن عليّ بن الضحاك الشامي] كتب إلى الشهيد ـ حين إرادة شمس الدين المذكور الشروع في استنساخ الكتحرير ولم يكن عنده ورق ـ بهذه الأبيات:

من البسيط:

يا سيّداً حاسدوه للعناء لقوا ... ممّا لم..[1]. من عظيمة وشقوا
بدأت في نسخة التحرير مجتهداً ... أنّىٰ ليحصل لي في شرعه ورقُ
وابن جعفر ما لي فيه مِنْ أرَبٍ ... لأنّه عند وزن المال يَختنقُ

فأجابه الشهيد رحمه الله بقوله:

من البسيط:

كُن في التوكّل ذا صِدْقٍ وذا ثقةٍ ... قد فَاق قومٌ على [قوم بما] صَدَقوا
ولا تَضيقَنَّ صَدْرَاً عند نائبةٍ ... فاللهُ كافِلُ رزق الخلقِ مُذ خُلِقوا
لا تَطْلُبَنْ مِن عَبيد الله ما لَهُمُ ... واطْلُب مِن الله تَلْقَ الخيرَ حيثُ لَقوا
ونَزِّهِ النفسَ عن ذُلٍّ وعن طمعٍ ... فكَمْ أُناس بأطماعٍ عَنَوا فَشقُوا
خُذِ القناعةَ صَفْواً حيثما وُجِدَتْ ... كلّ المشارب فيه الصَفْوُ والرَنَقُ[2]

ومن قصيدةٍ قد كتبها لأهل بيته وولده وهو في قلعة الشام مَطلعها:

من الطويل:

سَلامٌ على أهلي ووُلْدي وأُسرتي ... سَلامَ مُحِبٍّ والفُؤادُ مَشُوقُ

ومنها:

فأوصِيكُمُ بالصبر والخير والتُقىٰ ... وحسن الثنا في العالمين يَشُوقُ
وبالإلْفِ فيما بينكم وبِحفظِكم ... لأولادكُم حِفْظاً عليه يَفوقُ

---

١. كذا في المصدر.
٢. رياض العلماء، ج ٧، ص ١٤٩ ـ ١٥٠.

ومنها:

فـمَا الدَهْـرُ إلّا مـثلَ يَـومٍ وليـلةٍ　　تَــزولا سَـريعاً والجَـميلُ يَـروقُ
ومـا العـمرُ إلّا مـثلَ أحـلامِ نـائمٍ　　ومثلَ خِيامِ [كذا] الظِلِّ حينَ يَفوقُ

ومنها:

تَسَـلّوا بـما قَـدْ حَـلَّ بِـالرُسْلِ قَـبْلَنا　　فَـــفيه لِـــمَنْ رامَ الســلوّ طَــريقُ
فكَـــمْ نــالَهمْ هــمٌّ وغَــمٌّ وكــربةٌ　　وقَــتلٌ وســجنٌ وابــتلاءٌ ومَـضيقُ
ونَسْأل ربَّ العــرشِ تَـجميعَ شَـمْلِنا　　فــــرُحْماه فــــينا عــالمٌ ورَفــيقُ
ويَحرُسُكم مِـن كُـلِّ عَـيبٍ يَشـينُكُمْ　　و... عــــنكم حــــاسدٌ وفســوقُ
ويَــجْعَلُ جــنّاتِ النــعيمِ مـقَرَّكُـمْ　　فــفيها حــياة المُكــرَمينَ تَــروقُ[1]

١٠. قافية اللام

من الطويل:

ولا أبــتغي الدنـيا جـميعاً بـمنَّةٍ　　ولا أشتري عِـزَّ المـواهبِ بـالذلِّ
وأعْشَقُ كـحلاءَ المَـدامـعِ خِـلْقَةً　　لئلّا أرى في عينِها مِـنَّة الكُـحلِ[2]

وقال الشيخ محمود اللاهجاني تلميذ الشهيد الثاني في مجموعة له:

نقلتُه من خطّ الشيخ [يعني الشهيد الثاني] (سلّمه الله تعالى) قال: نقلتُه من خطّه [يعني الشهيد الأوّل]: «ممّا نظمه الضعيف محمّد بن مكّي في أعمار النبيّ والأئمّة الاثني عشر ومواليدهم و وفاة من تُوُفِّي منهم».

ثمّ ذكر أربعة عشر بيتاً يصعب تحقيقها وفهمها جدّاً، تبدأ بهذا البيت:

تَــقبّل تــواريــخ النــبيِّ ورهْــطه　　لدى الجُمَلِ المعروف والواو فـيصلا[3]

---

١. مختصر نسيم السحر، انظر ملاحق هذا الكتاب.

٢. نُسب هذان البيتان في مصادر متعدّدة إلى الشهيد، منها شهداء الفضيلة، ص ٨٩؛ ريحانة الأدب، ج ٣، ص ٢٧٧، ولكن نُسب في قيمة الزمن عندالعلماء، ص ١٥٦ إلى أبي نصر أحمد بن عليّ الزَوْزني، وفيه: «ولا أقبل الدنيا» و «عِزَّ المراتب»، و «لئلّاتُرى».

٣. مجموعة اللاهجاني، الورقة ٣٠٣.

١١ . قافية الميم

قال السيّد عليّ خان المدني ﷺ:

قال شيخنا محمّد بن مكّي المعروف بالشهيد الأوّل (قدّس الله روحه): «الشهداء الذين بعذراء دمشق ـ الذين قتلهم معاوية بعد أن بايعوه وأعطاهم العهود والمواثيق ـ: حجر بن عديّ الكندي، حامل راية النبيّ ﷺ، وولده همّام، وقبيصة بن ضبيع العبسي، وصيفي بن فسيل، وشريك بن شدّاد الحضرمي، ومحرز بن شهاب السعدي، وكرّام بن حيّان العبدي، كلّهم في ضريح واحد في جامع عذراء.

أنشدني خادمهم هذه الأبيات:

جماعة بِثَرىٰ عَذْراء قد دُفِنوا ... وهُمْ صِحابٌ لهم فضلٌ وإعظامُ
حجرُ قبيصة صيفيّ شريكهم ... ومحرز ثمّ همّام وكرّام [1]
عليهمُ ألف رضوانٍ ومكرمةٍ ... تترى تدوم عليهم كلّما داموا»

قال محمّد بن مكّي (رضوان الله عليه): «فزدتُ بيتاً:

ومثلُها لَعناتٌ للذي سفكوا ... دِماءَهم وعذابٌ بالذي استاموا» [2].

١٢ . قافية النون

من الكامل:

عَظُمت مُصيبَةُ عبدكَ المسكينِ ... في نومهِ [3] عن مَهرِ حُور العينِ
الأولياءُ تمتّعوا بك في الدُجى ... بتهجّدٍ وتخشّعٍ وحَنينِ
فَطَرَدْتَني عن قرعِ بابكَ دونَهم ... أَترى لِعُظم جرائمي سبَقوني

---

١. كذا، وفي أكثر المصادر: «كدام». بالدال، بدل «كرام» وقال العلّامة السيّد محسن الأمين ﷺ في أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٥٨٢: «أقول: الذي في النسخة المنقول عنها من الدرجات: «كرام» بالراء، ولا شكّ أنّها كانت كذلك في نسخة الشهيد بدليل ما في الأبيات. وكأنّ الشهيد أخذ اسمه من الأبيات، والذي وجدناه في سائر الكتب: «كدام» بالدال، ولعلّه هو الصواب، وإنْ كان كلٌّ من «كرام» و«كدام» موجوداً في الأعلام العربية. والذي في الدرجات الرفيعة: «العبدي» وفي غيره: «الغنوي». وقول هذا الشاعر: «وهم صحابٌ» إنْ أراد به أنّهم صحابيون فليس بصواب؛ إذ ليس فيهم من الصحابة غير حُجرٍ».

٢. الدرجات الرفيعة، ص ٤٢٨.

٣. في روضات الجنّات و شهداء الفضيلة: «نوعه»، وهو خطأ.

أوَجَـدْتَهُم لم يُـذنبوا فَـرحِـمْتَهم　　أمْ أَذْنَـبُوا فَـعَفَوْتَ عـنهم دونـي
إن لَـمْ يكـنْ للـعفوِ عـندَكَ مَـوْضعٌ　　للـمذنِبينَ فأيـنَ حُسْـنُ ظـنوني [1]

١٣ . قافية الهاء

من الطويل:

غَـنِينا بِـنا عـن كُـلِّ مَـنْ لا يُـريدنا　　و إنْ كَـثُرتْ أَوصـافُهُ و نُـعُوتُهُ
ومَـنْ جـاءَنا يـا مَـرْحَباً بـقدومه　　يَـجِدْ عـندَنا وُدّاً صـحيحاً ثُـبوتُه
ومن صَدَّ عنّا حسـبه الصَـدُّ والقِـلىٰ [2]　　ومـن فـاتنا يكـفيه أنّـا نـفوتُهُ [3]

من البسيط:

طوبى لمن سـهرتْ فـي اللـيلِ عـيناهُ　　ومـاتَ مـن قَـلَقٍ فـي حُبّ مـولاهُ
يشكـو إلى ربّـه مـا قـدْ يـحلُّ بـه　　ولا تـحسُّ مـنَ الشكـوى سُـويداهُ [4]

من الطويل:

بُـلينا بـقومٍ أهـلِ مكـرٍ وعـندهم　　دَهـاءٌ، فـهم أمـثال حُـمْرٍ فَـوارِهِ
إذا شئتَ أَنْ تَـحْظَىٰ بـجاهِكَ عـندهم　　تـجاهلْ وإن أُوتـيتَ عـلماً فـوارِهِ [5]

---

١. روضات الجنّات، ج ٧، ص ١٠؛ الفـوائـد الرضـوية، ص ٦٤٨؛ شـهداء الفـضيلة، ص ٨٧؛ أمـل الآمـل، ج ١، ص ١٨٢؛ الروضة البهيّة، ج ١، ص ١١٦ ـ ١١٧؛ سفينة شرف الديـن مـحمّد مكّـي، الورقـة ٨ أ، وفـيه بـعض الاختلاف في بعض الألفاظ. وفيه أيضاً قبل هذه الأبيات: «وسببه أنّه ﷺ كان في سَفَرٍ، ففي ليلةٍ قَد غلب عـليه النوم، ولم يَنتبه في الوقت الذي كان ينتبه فيه في كُلِّ ليلةٍ، ففاتَتْه صلاة الليل، فلمَّا انتبَهَ نَظَم هذه الأبيات، تأسّفاً على ذلك ﷺ، سَمعناه من الشيوخ».

٢. أمل الآمل و أعيان الشيعة: «الجفا».

٣. المخطوطة المصورة المحفوظة في مكتبة آية الله المرعشي ﷺ برقم ١٣٧٧، الورقة ٢١، عن نسـخةٍ مـخطوطةٍ محفوظةٍ في الفاتيكان. والبيت الثالث ورد فقط في هذا المصدر والمـصدر الأخـير، ومـختصر نسـيم السـحر، ولا توجد في سائر المصادر الفوائد الرضـوية، ص ٦٤٧؛ الروضـة البـهيّة، ج ١، ص ١١٦؛ أمـل الآمـل، ج ١، ص ١٨٢؛ شهداء الفضيلة، ص ٨٧؛ أعيان الشـيعة، ج ١٠، ص ٦٣؛ روضـات الجـنّات، ج ٧،ص ١١٠؛ سـفينة شرف الدين محمّد مكّي الورقة ٦.

٤. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٣.

٥. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٣؛ مجموع الغرائب، ص ٣٣٣ وفيه بعد هذين البيتين عدّة أبيات لاندري هـل هـي للشهيد أو لغيره.

من الوافر:

إذا العلويّ تابع ناصبيّاً ... لمذهبه فما هو من أبيهِ
فإنّ الكلبَ خيرٌ منهُ طبعاً ... لأنّ الكلبَ طبعٌ من أبيهِ[1]

* * *

ومن شعر قد كتبه إلى ولده:

من الكامل:

اصْبِرْ على حُلْوِ القَضاءِ ومُرِّهِ ... واعلَمْ بأنّ اللهَ بالغُ أمرِهِ
فالصَدْرُ مَنْ يَلْقَى الخطوبَ بِصَدْرِه ... وبِصَبْرِه وبِحَمْده وبِشُكرِه
والحُرُّ سَيْفٌ والدُثور لِصَفْوِه ... صَدَأٌ وصَيْقُلهُ نوائب دَهْرِه
اِصْبِرْ فَكَمْ أمْرٍ أهمَّكَ عُسْرُهُ ... لَيْلاً فَبَشّرْكَ الصَباحُ بيُسْرِه
وإذا أُصِبْتَ بما أُصِبْتَ فلا تَقُلْ ... أُوذِيتُ مَنْ زَيد الزمان وعَمرِه
وكَمْ بَعْدَ يأسٍ قد أتى فَرَج الفتىٰ ... مِنْ سِرِّ غَيْبٍ لا يَمُرُّ بِفكْره[2]

١٤. قافية الياء

من المتقارب:

إذا المرءُ عمّر حتّى يَرى الـ ... أصاغِرَ في حالِهِ العالِيَهْ
أتاهُ المماتُ سريعاً كما ... تَرى السنَّ تقلعُ للثانيَهْ
وإنْ لم يمتْ فاعْلَمَنْ أنّه ... كسنٍّ بدتْ فوقَها شاغِيَهْ[3]

* * *

١. أعيان الشيعة، ج ١٠ ص ٦٣.
٢. سفينة شرف الدين محمّد مكّي، الورقة ٦ ب؛ مختصر نسيم السحر، انظر ملاحق هذا الكتاب.
٣. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٧.

وممّا أنشأه خطاباً لبيدمر حاكم دمشق:

من الطويل:

أيـا بَـيْدَمُر يـا مـالكَ النـاس رحـمةً　　أجِـرْني مِـن القـومِ الوُشـاة الأعـادِيا
رَمَـونـي بـزُور ثُـمّ إفك وحَـقٍّ مَـنْ　　جَـعَلْكَ مـليكَاً حـاكِـماً يـا عـمادِيا
فـاِسْمُكُمُ المـحروسُ خَـمسةُ أحـرفٍ　　إذا اسْـتنبطتْ تُـجْلي القـلوبَ الصَـواديا
.....　　.....
فـلا تَسْـمَعَنْ مـا قـيل فـيَّ فـإنّني　　بـريءٌ وربِّـي شـاهدٌ فـي مـعاديا
عـليمٌ بأنسـاب النـبيِّ وآله　　وأصْـحابُه الأخـيارُ ذُخْـري و زاديـا
كـذاك كـتابُ اللـه أبـلغُ شـاهدٍ　　وتـفسيرُه ثـمّ الحـديثُ رَشـاديا
ونـحوٌ وصـرفٌ وفـقهٌ و حكـمةٌ　　.....
وشِـعْرٌ طـريفٌ مَـعْ عَـروضٍ ومـنطقٍ　　وعـلمُ بـديعٍ آلتـي و زاديـا
فكَـنْ نـاصِري يَـنْصُرْكَ ربّـي عـلى العـدا　　ولِـي راحِـماً يَـرْحَمْكَ يَـوْمَ التَـناديا [1]

أوزان الأسماء: الثلاثي والرباعي والخماسي

الثلاثي:

فَـلْسٌ سَـهْلٌ جَـمَلٌ بَـطَلٌ　　كَـبِدٌ حَـذِرٌ عَـضُدٌ رَجُـلُ
حِبْنٌ [2] حِـلْفٌ عِـنَبٌ زِيَـمٌ [3]　　بُـرْدٌ بِـلِزٌ [4] إبـلُ
صُـرَدٌ حُـطَمٌ عُـنُقٌ سُـرُحٌ　　حِبُك [5] شذّت وأتـى دُئِـلُ [6]

---

١. مختصر نسيم السحر، انظر ملاحق هذا الكتاب.
٢. الحِبْن: الدملة المقيّحة.
٣. زِيَمٌ: اللحم صار زيماً أي قطعاً.
٤. بلز: امرأة ضخمة.
٥. حِبُك: قال المُحَشّي في ارتشاف الضرب: «فِعُل مفقود. ومن قرأ ﴿ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ ـ بكسر الحاء و ضمّ الباء ـ الآية ٧ من سورة الذاريات... فهذه القراءة منسوبة إلى الحسن البصري. الحبك جمع الحباك وهو الطريق في الرمل ونحوه».
٦. الدُئِل: دويبة شبيه بابن عِرْس.

الرباعي:

قِـــمَطْرٌ[١] هِـــزَبْرٌ جَـــعْفَرٌ سَـــلْهَبٌ[٢] زِبْـــرِجٌ[٣] خِـضْرِمٌ[٤] قـل درهـم أتـى
وقل بُـرْثُنٌ فـي جُـرْشُعٍ[٥] ولأخـفشٍ أتـــى جُـــخْدَبٌ مـــع بُـــرْقُع فـتثبّتا

الخماسي:

قِـرْطَعْبٌ[٦] جِـرْدَحْلٌ[٧] سَـفَرْجَلٌ أشـمّهُ شَمَرْدَلٌ[٨] اتّبعَ قَهْبَلِسٌ[٩] ثمّ جَحْمَرِشْ[١٠]
قُـــذَعْمِلٌ[١١] كـــذاك خُـــبَعْثِنٌ[١٢] و هُنْدَلِعٌ[١٣] في بَقْلَةِ المـاءِ لم تـعِشْ[١٤]

١. قِمَطْرٌ: الجمل القويّ السريع.
٢. سَلْهَبٌ: الطويل.
٣. زِبْرِجٌ: الذهب، السحاب الرقيق.
٤. خِضْرِم: بئر كثير الماء.
٥. جُرْشُعٍ: العظيم الصدر، وقيل: الطويل.
٦. قِرْطَعْبٌ: القرطعبة: قطعة الخرقة.
٧. جِرْدَحْلٌ: من الإبل الضخم.
٨. شَمَرْدَلٌ: من الإبل القويّ السريع.
٩. قَهْبَلِسْ: القمّلة الصغيرة، الذي تعلوه كدرة.
١٠. جَحْمَرِش: من النساء الثقيلة والعجوز الكبيرة.
١١. قُذَعْمِلٌ: القصير الضخم من الإبل.
١٢. خُبَعْثِنٌ: تيس خُبَعْثِنٌ: غليظ شديد، ومن الرجال القويّ الشديد.
١٣. هُنْدَلِعٌ: بَقْلَة.
١٤. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٦ ب.

الفصل الرابع
فوائده المتفرّقة وأعماله العلمية

ومن أعمال الشهيد العلمية أنّه قام بنسخ عدّةٍ من الكتب بخطّه الشريف ومقابلتها وتصحيحها وحفظها ـ كما هو دأب العلماء و الفضلاء في ذلك العصر ـ منها ما وقفت عليه و هي:

أ) الصحيفة السجّادية

نسخها الشهيد مرّتين: عام ٧٧٢ و عام ٧٧٦[1]، كما سيأتي وسعى في نشرها وحفظها. وكتب الشهيد الثاني على الصحيفة التي بخطّه الشريف:

> قوبلتْ هذه النسخة وضُبطتْ من نسخة شيخنا ومولانا السعيد أبي عبدالله الشهيد محمّد بن مكّي، وتتبّع ما فيها وعليها من الضبط والنسخ والإعراب إلّا مواضعَ يسيرة تحقّق وقوعها سهواً على الخطإ، فضبطناها على الصواب. وهو كتب نسخته من خطّ الشيخ سديدالدين عليّ بن أحمد الحلّي رحمه الله، والشيخ سديد الدين نقل نسخته من خطّ

---

١. قال الطهراني رحمه الله في الذريعة، ج ١٥، ص ١٩: «ونسخة الصحيفة بخطّ الشهيد الأوّل كانت في خزانة كتب السيّد محمّدتقي بن الحسين بن دلدارعليّ، ذكره حفيده السيّد عليّ نقي في تراجم المشاهير». وكتب الشهيد عليها ـ كما في صحيفة المكتبة لمكتبة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام العامّة، في النجف الأشرف، عام ١٣٧٣، الرقم ٢، ص ٣٢ ـ: «للولد الأعزّ المعتضد قرّة العين أبي القاسم عليّ بن محمّد بن مكّي (نفعه الله بها ورزقه بما فيها واستجاب دعاءَه)».

أقول: هذه هي النسخة الأُولى أعني النسخة المكتوبة عام ٧٧٢، ومصوّرتها موجودة عندي في مؤسَّسة تراث الشيعة. وتوجد حوالي عشرين نسخة من الصحيفة المباركة كتبت عن خط الشهيد مباشرة أو مع الواسطة. انظر: الشهيد الأوّل محمّد بن مكّي العاملي في المصادر العربية، ص ٤٤٩ ـ ٤٥٧.

ابن السكون، وقابلها بنسخة الشيخ محمّد بن إدريس ... [١].

وحكى العلّامة المجلسي رحمه الله صورة ما كان في آخر صحيفة الشيخ شمس الدين محمّد بن عليّ الجبعي جدّ شيخنا البهائي رحمهما الله بخطّه وفيها إجازات وفوائد كثيرة، منها قوله:

نقلت هذه الصحيفة من خطّ الشيخ العالم السعيد الشهيد محمّد بن مكّي رحمه الله وعليها بخطّه: «ونقلت هذه الصحيفة من خطّ عليّ بن أحمدالسديد، وفرغت في حادي عشر شعبان سنة اثنين وسبعين وسبعمائة، وكتب محمّد بن مكّي حامداً مصلّياً».

وعلى نسخة عليّ بن أحمد السديد ما صورته: «نقلت هذه الصحيفة من خطّ عليّ بن السكون و تتبّع إعرابها عن أقصاه حسب الجهد إلّا مازاغ عنه النظر وحسر عنه البصر، و ذلك في شهر ذي الحجّة سنة ثلاث و أربعين و ستّمائة».

وعلى نسخة الشهيد: «عارضتها بأصلها المذكور، وفيها مواضع مهملة التقييد، فنقلتها على ما هي عليه، والحمد للّه وصلواته وسلامه على سيّدنا محمّد وآله. وكتب محمّد بن مكّي».

وعارضتها بنسخة أُخرى بخطّ الشيخ ابن مكّي مكتوبة في سنة ستٍّ وسبعين وسبعمائة، وهي مكتوبة من النسخة التي كتب منها الأُولى، قال: «وكتب العبد متتبّعاً ما يحتاج إليه سوى بعض مصطلح الكتاب من ترك لفظ الهمزة وإثبات الألف في فعل لامه واو ونحوه».

وعلى نسخة عليّ بن أحمد السديد ما صورته: «بلغت مقابلةً وتصحيحاً بالنسخة المنقول منها، فصحّتْ بحسب الجهد إلّا ما زاغ عنه النظر وحسر عنه البصر، وذلك في شهر ذي الحجّة من سنة ثلاث وأربعين وستّمائة وللّه الحمد والمنّة».

و عليها أيضاً ـ أعني على نسخة عليّ بن أحمد السديد ـ: بلغت مقابلة مرّة ثانية بخطّ السعيد محمّد بن إدريس بحسب ما وصل إليه الجهد، و للّه الحمد. وذلك في شهر ذي القعدة من سنة أربع و خمسين و ستّمائة، و كلّ ما على هامشها من حكاية «سين» و «نسخة» فإنّه عن ابن إدريس، و كذلك جميع ما يوجد بين السطور و عليه «سين» فإنّه حكاية خطّه، و أمّا ما كان «نسخة» بلا «سين» فمنها ما هو بخطّ ابن السكون، و منها ما

١) رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ١١٨٢؛ بحار الأنوار، ج ١٠٨، ص ١٣٤.

هو بخطّ ابن إدريس رحمه الله.

صورة خطّ ابن إدريس في مقابلته: «بلغ العرض بأصل الخبر الموجود وبذل فيه الجهد والطاقة إلّا مازاغ عنه النظر، وحسر عنه البصر».

قال العلّامة المجلسي رحمه الله:

وكان أيضاً في آخرها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذي جلا رين القلوب بمرآة الدعاء، وكشف به عن عباده عظائم البأساء والضرّاء، وصلّى الله على أشرف أهل الاصطفاء محمّد بن عبدالله سيّد الأنبياء، وعلى آله الحافظين لما نقل من تلقائه ليستمرَّ له تأبيده بالبقاء، وعلى أصحابه الخالصين من الزيغ والرياء.

وبعد، فقد قرأ عليّ هذه الصحيفة الكاملة من أدعية مولانا و سيّدنا الإمام زين العابدين عليّ ابن الإمام السبط الشهيد أبي عبدالله الحسين ابن إمام المتّقين وسيّد الوصيّين أمير المؤمنين أبي الحسن عليّ بن أبي طالب (عليهم أفضل الصلوات وأكمل التحيات) المولى المعظّم، الفاضل المكرّم، مفخر الفضلاء وخلاصة الأخلّاء، شمس الدنيا والدين محمّد ابن الشيخ العلّامة أبي الفضائل زين الدنيا والدين، وشرف الإسلام والمسلمين، عليّ ابن الشيخ بدر الدين حسن الشهير بالجبعي (رفع الله درجاتهم في أعلى علّيين، وحشرهم مع النبيّين) قراءة مهذّبة مرضيّة صحيحةً، محرّرة ألفاظها، مبيّنةً معانيها، بنسخها المنقولة وتأويلاتها المقبولة، وكنت مستفيداً منه (أعظم الله أجره) أكثر من إفاداتي له.

وأجزت له (أدام الله أيّامه) أن يروي ذلك عنّي، فإنّي رويتها قراءة على السيّد الجليل النقيب أبي العبّاس تاج الدين عبدالحميد ابن السيّد جمال الدين أحمد بن عليّ الهاشمي الزينبي (طاب ثراه) و رواها ليعن الشيخ الأجلّ عزّ الدين شيخ السالكين حسن بن سليمان الحلّي (رفع الله درجته) بإسناده المتّصل إلى سيّدنا و مولانا زين العابدين (عليه أفضل الصلاة والسلام).

ورويتها أيضاً له بحقّ الإجازة عن الشيخ الجليل بهاء الدين أبي القاسم عليّ ولد الشيخ الإمام العالم المحقّق، خاتم المجتهدين، أبي عبدالله شمس الدين محمّد بن مكّي، عن

والده المذكور (قدّس الله سره) بطريقه المتّصل إلى الإمام المذكور آنفاً، فلْيَروِ ذلك لمن شاء وأحبّ؛ فإنّه أهل لذلك وأعلى وأعظم شأناً ومحلّاً.

وكتب أفقر العباد إلى رحمة الله ورضوانه، وأعظمهم ذنباً وجرماً عليّ بن عليّ بن محمّد بن طيّ (عفا الله عنهم) في رابع شهر رمضان المعظّم قدره، من شهور سنة إحدى وخمسين وثمانمائة (أحسن الله عاقبتَها) والحمد للّه وحده، وصلواته على خير خلقه محمّد وآله وصحبه وسلّم تسلمياً كثيراً.

وبخطّ الشيخ محمّد بن مكّي: «يروي الصحيفة الكاملة السيّدُ محيي الدين [ابن] زهرة، عن شيخه محمّد بن شهر آشوب السروي، عن محمّد بن أبي القاسم، عن أبي عليّ، عن والده، عن الحسين بن عبيدالله الغضائري، عن أبي المفضّل الشيباني، عن الشريف أبي عبدالله جعفر بن محمّد، عن جعفر الحسيني، عن عبدالله بن عمر الزيّات، عن عليّ بن الأعلم، عن عمر بن المتوكّل، عن أبيه متوكّل بن هارون، قال: لقيت يحيى بن زيد، الحديث»[1].

وقال السيّد المحقّق الداماد في تعليقاته على الصحيفة الشريفة:

وهذه صورة خطّ شيخنا المحقّق الشهيد (قدّس الله لطيفه) على نسخته التي عورضتْ بنسخة ابن السكون:

«و عليها ـ أي على النسخة التي بخطّ ابن السكون ـ خطّ عميد الدين، عميد الرؤساء رحمه الله: قرأها عليّ السيّدالأجلّ النقيب الأوحد العالم جلال الدين عماد الإسلام أبي جعفر القاسم بن الحسن بن محمّد بن الحسن بن مُعَيَّة (أدام الله علوّه) قِراءة صحيحةً مهذّبة، ورويتها له عن السيّد بهاء الشرف أبي الحسن محمّد بن الحسن بن أحمد عن رجاله المسَمَّيْنَ في باطن هذه الورقة، وأبحتُ له روايتها عنّي حسبما وقّفتُه عليه وحدّدتُه له. وكتب هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيّوب بن عليّ بن أيّوب في شهر ربيع الآخِر من سنة ثلاث وستّمائة. والحمد للّه ربِّ العالمين، وصلاته وتسليمه على رسوله سيّدنا محمّد المصطفى وعلى آله الغرّ اللهاميم».

---

١. بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢١١ ـ ٢١٤.

إلى هنا حكاية خطّ الشهيد رحمه الله [١].

وقال السيّد العلّامة إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيّد بالله (م ١١٥٢) في طبقات الزيدية الكبرى:

٧٢٠. مكّي بن محمّد [كذا، والصواب: محمّد بن مكّي] (... كان حيّاً بعد سنة ٧٧٢) [٢].

مكّي بن محمّد، أبوعبدالله. قال ما لفظه:

نقلتُ هذه الصحيفة ـ صحيفة زين العابدين عليّ بن الحسين المشهورة ـ مِنْ خطِّ عليّ بن أحمد السديد وفرغت في حادى عشر شهر شعبان سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة، وقد كتب عليّ بن أحمد: «نقلت هذه الصحيفة من خطِّ عليّ بن السكون، وتتبّع إعرابها عن أقصاه حسب الجهد، إلّا مازاغ عنه النظر، وحسر عنه البصر، وذلك في شهر ذي الحجّة سنة ثلاث وأربعين وستّمائة». ونسخة عليّ بن السكون بخطِّ عميد الرواة، وصورتها: «قرأها عليّ السيّد الأجلّ النقيب الأوحد العالم عماد الدين أبوجعفر القاسم بن محمّد بن الحسن بن محمّد بن الحسن بن مُعَيَّة، قِراءةً صحيحةً مهذّبةً، ورويتها له عن السيّد بهاء الشرف أبي الحسن محمّد بن الحسن بن أحمد، عن رجاله المُسَمَّينَ باطنَ الورقة، وأبحتُه روايتها على حسبما وَقَّفْتُه عليه وحَدَّدْتُه له، وكتب عبدالله [٣] بن حامد بن أحمد بن أيّوب في شهر ربيع الآخِر سنةَ ثلاث وستّمائة».

وكان الشيخ [محمّد بن] مكّي شيخاً شهيداً سعيداً، خاتمة المجتهدين (قدّس الله روحه). ثمّ قال في نسخته ما صورته: «عارضتُها بأصلها المذكور، وفيها مواضع مهملة التقييد فبقيتُها على ما هي عليه، وكتب [محمّد بن] مكّي».

ثمّ قال مولانا الإمام المؤيّد بالله محمّد بن القاسم بن محمّد بن عليّ: «نقلت هذه الصحيفة من خط الشيخ الشهيد السعيد خاتمة المجتهدين أبي عبدالله [محمّد بن] مكّي (قدّس الله روحه)، وهذا ما كتب الشيخ في صحيفته التي نقلتُ منها هذه». انتهى.

قلت: وهذه الوجادة الصحيحة [٤].

---

١. الرسائل الرجالية، ج ٢، ص ٥٦٢ ـ ٥٦٣؛ بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢٧، ٢١٢.

٢. الظاهر أنّ مؤلّف الكتاب ومحقّقه لم يعرفا الشهيد وعبّرا عنه بـ«مكّي بن محمّد».

٣. كذا، والصواب: «هبة الله».

٤. طبقات الزيدية الكبرى، ج ٢، ص ١١٤٤ ـ ١١٤٥.

ثمّ اعلم أنّ متن هذه الجوهرة النفيسة كان مرجعاً للصحائف المخطوطة والمطبوعة المتداولة في عصرنا. ومن المعلوم أنّ أكثر طرق رواية الصحيفة ـ إجازة أو وجادة أو غير ذلك ـ ترجع إلى الشهيد قدس سره. وقد احتجبتْ هذه الدرّةُ اليتيمة عن الأنظار حدود ثلاثة قرون، مع أنّها أولىٰ بالاعتبار في التصحيح والمقابلة.

ولا يخفى أنّ أوّل من روّج هذه الرواية بهذا الشكل والترتيب، هو الشهيد الأوّل في القرن الثامن، وأنّ نسخة الشهيد وروايتها هي أصل جميع نسخ الصحيفة من الرواية المشهورة، ومنه انتشرت نسخها بواسطة تلامذته في القرن التاسع. وبعدهم في القرن العاشر سعىٰ في نشرها وبثّها وروايتها الشهيد الثاني، وقابل نسخته مع نسخة الشهيد. وفي القرن الحادي عشر كان الشيخ بهاء الدين محمّد العاملي، والمولىٰ محمّد تقي المجلسي، ثمّ ولده العلّامة محمّد باقر المجلسي رحمه الله، مؤثّرين في شهرتها ونشرها في البلاد الإسلاميّة.

وينبغي أن يعلم ـ كما صرّح به الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني ـ أنّ طرق المشايخ علىٰ كثرتها وانتشارها يرجع المهمّ منها، في مرتبة من تأخّر عن الشيخ الطوسي، إلى باني انتشار هذه الصحيفة الشريفة المباركة وكاتبها شيخنا الشهيد رحمه الله [1].

ب) كنز الفوائد في شرح مشكلات القواعد

قال العلّامة السيّد حسن الصدر رحمه الله في ترجمة الشيخ صفي بن محمّد بن عليّ بن الحسن الجرجاني العاملي نزيل جِزّين من قرى جبل عامل:

> كان من تلامذة الشهيد الأوّل، رأيتُ كنز الفوائد في شرح مشكلات القواعد للسيّد عميد الدين أُستاذ الشهيد بخطّه. قال في آخر الجزء الأوّل: «تمّت كتابة هذا النصف ـ من نسخة منقولة من خطِّ شيخنا المعظّم و إمامنا الأعظم، قدوة العلماء في العالم، قبلة فضلاء بني آدم، فريد الدهر و وحيد العصر، مولانا شمس الملّة والدين محمّد بن مكّي (دام ظلّه) وهو نقلها لنفسه من خطّ المصنّف قدس سره ـ وقت الضحى يوم الأحد خامس ذي الحجّة الحرام سنة أربع وثمانين وسبعمائة، في قرية جزّين، حامداً لربّه و مصلّياً على نبيّه وآله. والكاتب المالك صفي بن محمّد (غفرالله له و لوالديه)» [2].

---

١. انظر الشهيد الأوّل محمّد بن مكّي العاملي في المصادر العربيّة، ص ٣٩٦، ٤١٣، ٤٤٥.
٢. تكملة أمل الآمل، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

ج) اختيار معرفة الرجال

قال العلّامة السيّد حسن الصدر﵀ في ترجمة الشيخ نجيب الدين عليّ بن محمّد بن مكّي بن عيسى الجبلي العاملي:

وكان من خاصّة الشيخ حسن بن زين الدين صاحب المعالم. وعندي نسخة مختار الكشّي بخطّه الشريف. وقد شاركه في بعض الصفحات الشيخ حسن بن زين الدين، وخطّهما متقارب، وكلا الخطّين جيِّد، و ذكر فراغه من نسخه يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر ذي الحجّة الحرام عام تسعين وتسعمائة، على نسخةٍ بخطّ الشهيد الأوّل محمّد بن مكّي [1].

والظاهر أنّ هذه النسخة كانت عند المحدِّث النوري﵀، حيث قال:

عندي نسخة شريفة من رجال الكشّي بخطّ الشيخ عليّ نجيب الدين بن محمّد... وفي الكتاب صفحات من خطّ الشيخ حسن صاحب المعالم، وقد استنسخه من نسخة الشهيد الأوّل، حيث نقل في آخِر كلِّ جزءٍ منه صورة خطّ الشهيد هكذا: «بلغ مقابلةً وتصحيحاً بالنسخة المنقول منها بحسب الجهد والطاقة، إلّا ما زاغ عنه البصر، وحسر عنه النظر، وكتبه محمّد بن مكّي العاملي (عامله الله بلطفه الجليّ)» [2].

د) إيضاح الفوائد

فرغ الشهيد من نسخ الجزء الأوّل من إيضاح الفوائد لشيخه فخرالدين﵀ في منتصف ليلة الثلاثاء لخمس مضتْ من شوّال عام ٧٥٦ بالحلّة. و هذه النسخة موجودة في المكتبة المركزية لجامعة طهران برقم ٧٠٦. ذكرت في فهرسها (ج ٥، ص ١٧٨٧).

هـ) المقدار الواجب من المعرفة

تأليف جماعة من علماء الحلّة في عصر واحد و هم ـ كما قال الطهراني﵀ ـ:

الشيخ الفقيه يحيى بن سعيد الحلّي صاحب جامع الشرائع، والشيخ سديد الدين والد العلّامة الحلّي، و الفقيه الشيخ يوسف بن علوان الحلّي المجيز لتلميذه الشيخ محمّد بن الزنجي، والشيخ نجيب الدين محمّد بن نما من مشايخ المحقّق الحلّي، وتلميذه

١. تكملة أمل الآمل، ص ٤١٥.
٢. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٢١، ص ٢٨٨.

الشيخ نجم‌الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد المحقّق الحلّي، والشيخ محمّد بن أبي العزّ الحلّي المجيز لتلميذه السيّد محمّد بن مطرف الحسني الذي هو تلميذ المحقّق أيضاً، و بالجملة هؤلاء المشايخ الستّة العظام قد كتبوا ما هو فتواهم من جواب هذه المسألة بخطوطهم، وكلّهم أفتوا بكفاية الاعتقاد وعدم لزوم إيراد الألفاظ الدالّة على ذلك. ونسخة هذه الجوابات بخطوط المجيبين حصلتْ بيد الشيخ السعيد محمّد بن مكّي الشهيد في المدينة المنوّرة، فكتب هو بخطّه الشريف نسخةً عن تلك النسخة، وكتب في آخر خطّه ما صورته:

«هذا نقل من خطوط هؤلاء الأئمّة الفضلاء (طاب ثراهم) وشاهده العبد محمّد بن مكّي بالمدينة النبوية، والحمد للّه وصلواته على سيّدنا محمّد وآله»[1].

و) فهرست منتجب الدين

فرغ الشهيد رحمه الله من نسخه في ٢٥ ربيع الآخِر عام ٧٧٦ بالحلّة[2]، فقد جاء في آخر مخطوطةٍ من منتخبه وهي المحفوظة في مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله برقم ٣١١٢/٦:

يقول محمّد بن عليّ الجباعي (عفا الله عنه) ... كتبته من نسخةٍ بخطّ الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي، صورة كتابته:

«تمّ فهرست علماء الشيعة ومصنّفيهم، وكتب العبد الراجي عفو ربِّه محمّد بن مكّي بن محمّد هزيع ليلة الثلاثاء ... من شهر ربيع الآخِر سنة ستّ وسبعين وسبعمائة بالحلّة، نقلاً من خطّ الفاضل محمّد بن عليّ الحمداني القزويني في أواسط شهر الله الأصبّ رجب ... سنة ثلاث عشرة وستّمائة، والحمد للّه ربّ العالمين، والصلاة على أفضل الأوّلين والآخرين محمّد وآله الطاهرين».

قال ابن مكّي: «بخطّ الأصل: عورض بالمنتسخ منه ...». قال ابن مكّي: «وإنّي عارضته بها مع نفسي بتاريخ الكتابة، والحمد للّه ربِّ العالمين».

---

١. الذريعة، ج ٥، ص ١٩٢؛ وانظر أيضاً الذريعة، ج ١٦، ص ١٠٢ ـ ١٠٣؛ الأنوار الساطعة، ص ١٦٥، حياة المحقّق الكركي، ج ٢، ص ٥٠٦.

٢. انظر فهرس مخطوطات مكتبة ملك الوطنية، ج ٥، ص ٢٩٦، المخطوطة المرقمة ١٥٧٢؛ فإنّ هذه المخطوطة كُتبتْ عن نسخة الشهيد، وانظر أيضاً فهرس المكتبة الوطنية في إيران، ج ٩، ص ٢٣٤، المخطوطة المرقّمة ١٢٤٧/٥؛ فإنّها كتبت أيضاً عن نسخة الشهيد.

ز) كتاب الأربعين لمنتجب الدين

فرغ الشهيد من نسخه في الأوّل من جمادى الأُولى عام ٧٧٦ بالحلّة [١] والظاهر أنّ الشهيد نسخه في إحدى مجاميعه، كما سيأتي في هذا الفصل. ونقل عن خطّ الشهيد الثاني رحمه الله في هوامش مخطوطة الأربعين لمنتجب الدين، المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، المرقّمة ٨٥٥٧/٣:

بخطّ شيخنا الشهيد رحمه الله:

قال المفتقر إلى كرم الله محمّد بن مكّي: إنّي أرويه عن شيخيّ الإمامين: عميد الدين عبدالمطّلب بن الأعرج الحسيني، و فخرالدين محمّد بن الإمام جمال الدين الحسن بن المطهّر، عن شيخهما جمال‌الدين، عن والده سديد الدين و عن ابني طاوس، عن ابن مَعَدٍّ، وعن خواجه نصير الدين، عن الحمداني.

وأرويه عن السيّد العلّامة النسّابة تاج الملّة أبي عبدالله محمّد بن القاسم بن مُعَيَّة الحسني، عن رضي الدين عليّ بن السعيد غياث الدين عبدالكريم بن طاوس، عن والده (رحمهم الله أجمين) [٢].

ح) إجازة العلّامة الحلّي لبني زهرة

نسخها الشهيد رحمه الله ونقلها عن خطّه الشيخ ناصر بن إبراهيم البويهي، ونقل عن خطّ البويهي في مجموعةٍ مخطوطة موجودة في مكتبة بلدية گرگان في إيران، وعنها مصوّرة موجودة في مركز إحياء الميراث الإسلامي في قم برقم ٥٩٨/٤، ذكرت في فهرسها، ج ٢، ص ١٩١.

ط) مصباح السالكين لابن ميثم البحراني الظاهر أنّ الشهيد نسخ هذا الكتاب [٣].

ى) الجزء الأوّل من قواعد الأحكام للعلّامة الحلّي

---

١. فهرس المكتبة المركزية لجامعة طهران، ج ٥، ص ١٠٨١؛ فهرس المخطوطات المصوّرة في مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، ج ٣، ص ٧٧؛ فهرست مخطوطات مكتبة ملك الوطنية، ج ٥، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧، المخطوطة المرقّمة ١٥٧٢.

٢. رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ١١٨٥.

٣. مخطوطة مصباح السالكين، المرقّمة ٣٩، المحفوظة في مكتبة الوزيري في يزد، ذكرت في فهرسها، ج ٢، ص ٦٧٣.

الظاهر أنّ الشهيد صَحَّحه وعلّقَ عليه حواشيَ بخطّه الشريف[١].

يا) علل الشرائع للصدوق﵀؛ فقد ورد في مخطوطة علل الشرائع المحفوظة في مكتبة مدرسة الصدر في إصفهان المرقّمة ٩٥٢:

عورضت النسخة بنسخةٍ عليها بخطّ الشهيد الأوّل﵀ نهاية نهايتها [كذا] وهذه صورة خطّه: «أنهاها سماعاً (نفعه الله وإيّانا به) وكتب أفقر العباد محمّد بن مكّي لثمان بقينَ من رجب سنةَ سبع وخمسين وسبعمائة بالحلّة، حامداً للّه تعالىٰ ومصلّياً على رسوله محمّد وآله الطاهرين». آخِر كلامه﵀ وقد اشتملت النسخة المذكورة على تصحيفات كثيرة مكتوب عليها لفظ «كذا» وكان النسخة المكتوب عنها كذلك مع زيادة غلط في العربية في بعض الألفاظ، فزدنا عليه أيضاً لفظ «كذا» فصَحّتْ إن شاء الله تعالى إلّا مازاغ عنه البصر وحسر عنه النظر.

وكتبه محمّد بن الحسن بن زين الدين العاملي (عفا الله عنهم آمين آمين آمين)[٢].

يب) كتب الشيخ حسن بن سليمان الحلّي تلميذ الشهيد نسخةً من أنوار الملكوت في شرح الياقوت للعلّامة الحلّي، وفرغ من كتابتها في سلخ ذي القعدة سنة ٧٥٤، وقرأها على الشهيد، فكتب الشهيد في آخرها إنهاءً بخطّه الشريف، وهذه صورتها:

أنهاه (أيّده الله) قِراءةً وبحثاً وفهماً، وكتب محمّد بن مكّي في ذي الحجّة سنة ستّ وخمسين وسبعمائة حامداً مصلّياً.

وهذه المخطوطة موجودة في المكتبة الرضوية في مشهد برقم ٣٢.

وتوجد نسخة أُخرى لأنوار الملكوت كتبت عن هذه النسخة ظاهراً في ذي القعدة سنة ١٠٧٤، ونقل فيها إنهاء الشهيد كما ذكرنا[٣].

---

١. مخطوطة قواعد الأحكام، المرقّمة ٣٨٧ المحفوظة في مكتبة جامع گوهرشاد، ذكرت في فهرسها، ج ١، ص ٣١٥.

٢. فهرست نسخه‌های خطی کتابخانهٔ مدرسهٔ صدر بازار، ج ٣، ص ٧٠٦ـ٧٠٧.

٣. مخطوطة أنوار الملكوت، المحفوظة في مكتبة الروضة الحسينية في كربلاء المقدّسة، كما في فهرسها في مجلّة الذخائر، العدد ١، (شتاء ١٤٢٠)، ص ٢٨٢؛ نشرية نسخه‌های خطّي، ج ٥، ص ٤٣٧، «فهرس مخطوطات مدرسة الهندي في كربلاء»؛ وانظر مكتبة العلّامة الحلّي، ص ٥٨.

يج) استنسخ الشهيد كتاب غاية الإحكام في تصحيح تلخيص المرام، وهو شرح تلخيص المرام، والمتن والشرح كلاهما للعلّامة الحلّي. قال صاحب الرياض:

في حواشي الخلاصة: رأيتُ بخطّ بعض الأفاضل ما هذا لفظه: كتاب غاية الإحكام في تصحيح تلخيص المرام، نسخةٌ بخطّ شيخنا الشهيد[١].

يد) وقرئ على الشهيد نسخةٌ من خلاصة الأقوال للعلّامة الحلّي، فكتب الشهيد على النسخة:

أنهاه (أيّده الله) قِراءةً وضبطاً وقبالاً، راجياً كمال تصحيحه فيما بعدُ إن شاء الله.

وكتب محمّد بن مكّي لثلاث عشرة ليلةً خلتْ من شهر ربيع الآخِر سنة ٧٧٤، حامداً مصلِّياً مسلِّماً[٢].

* * *

ونقل عن الشهيد فوائدُ نافعة، ولا ندري هل هي من مجاميعه أم من فوائده المتفرّقة هنا وهناك، منها ما حكاه السيّد عليّ خان المدني ﷺ ونقلناه في الفصل الثالث من هذا الباب ذيل قافية الميم.

ومنها ما قاله صاحب المعالم في إجازته الكبيرة:

ـ ووجدت بخطّ الشهيد أيضاً حكاية صورة استدعاء الإجازة بخطّ السيّد الجليل جمال الملّة والدين أحمد بن طاوس له و لولده السعيد غياث الدين عبد الكريم من الشيخ الفاضل العلّامة رضيّ الدين أبي الفضائل الحسن بن محمّد الصغاني، وبعدها صورة الإجازة لهما من خطّ الصغاني، و هي هذه: «قد أجزتُ لمفخر السادة، ولولده جوهر السيادة، جميعَ مسموعاتي ومؤلّفاتي ومنشآتي وكتب الصغاني»[٣].

ـ ووجدت بخطّ الشهيد أيضاً ما حكايته:

«يروي شيخنا جمال الدين بن المطّهر عن رضيّ الدين الحسن بن ... الصغاني اللغوي

---

١. تعليقة أمل الآمل، ص ١٢٥.

٢. مخطوطة خلاصة الأقوال كتبها حسن بن عليّ بن عبدالنبيّ القطيفي، المحفوظة في المكتبة المركزية لجامعة طهران، برقم ٥٣٨٥، الورقة ٩١.

٣. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٧٠ وفيه: «الصنعاني»، والصواب: «الصغاني» كما ذكرنا.

جميع ما يجوز روايته عنه»[١].

ومنها ما قاله العلّامة المجلسي رحمه الله:

وروي أيضاً عن الشيخ يوسف بن الحسين أنّه وجد بخطّ الشهيد السعيد محمّد بن مكّي (قدّس الله روحه) قال: تقرأ إنّا أنزلناه عشر مرّات ثمَّ تدعو بهذا الدعاء «اللهمّ إنّي أستخيرك لعلمك بعاقبة الأُمور، وأستشيرك لحسن ظنّي بك في المأمول والمحذور، اللهمّ إن كان الأمر الذي عزمت عليه ممّا قد نيطت البركة بأعجازه وبواديه، وحفّت بالكرامة أيّامه ولياليه، فأسألك بمحمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وعليّ ومحمّد وجعفر وموسى وعليّ والحسن والحجّة القائم عليهم السلام أن تصلّي على محمّد وعليهم أجمعين، وأن تخير لي خيرة تردُّ شموسه ذلولاً وتفيض أيّامه سروراً، اللهمّ إن كان أمراً فاجعله في قبضة الفرد، وإن كان نهياً فاجعله في قبضة الزَوج» ثمَّ تقبض على السبحة وتعمل على ما يخرج.

أقول: ووجدت بخطّ الشيخ الجليل محمّد بن عليّ الجباعي جدّ شيخنا البهائي (قدّس الله روحهما) أنّه نقل من خطّ السعيد الشهيد محمّد بن مكّي (نوّر الله ضريحه) هكذا: طريق الاستخارة الصلاة على محمّد وآله سبع مرّات، وبعده «يا أسمع السامعين ويا أبصر الناظرين، ويا أسرع الحاسبين، ويا أرحم الراحمين، ويا أحكم الحاكمين صلِّ على محمّد وآل محمّد» ثمَّ الزوج والفرد[٢].

وقال الشيخ آقابزرگ الطهراني رحمه الله:

عين العبرة في غبن العترة، للسيّد أبي الفضائل أحمد بن موسى بن طاوس الحلّي المتوفّى ٦٧٣. صرّح به تلميذه ابن داود الحلّي في رجاله، ونقل عن خطّ الشهيد محمّد بن مكّي «أنّ أسناد هذا الكتاب في الديباجة إلى عبدالله بن إسماعيل الكاتب تقيّة منه على نفسه، وتورية بأنّه عبدالله ومن ولد إسماعيل الذبيح». والنسخة التي بخطّ الشهيد الثاني كان عند صاحب الروضات فذكر فيه عين ما كتبه الشهيد الثاني في ظهر النسخة حكايةً عن خط الشهيد الأوّل... .

---

١. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٧٠ وفيه: «الصنعاني»، والصواب: «الصغاني» كما ذكرنا؛ و انظر أيضاً ج ١٠٩، ص ٢٠، ٦٩، ٧١ ـ ٧٣.

٢. بحار الأنوار، ج ٩١، ص ٢٥١، الباب ١١٧، ح ٦ ـ ٧.

وقد رأيت نسخة من هذا الكتاب بخطّ الشيخ محمّد بن المؤذِّن الجِزِّيني وعليها خطّ شيخنا الشهيد بما ذكرناه إلى آخر كلامه السابق في الطرائف في ص ١٥٤ فراجعه... [١].

مجاميع الشهيد*: ومن أهمّ أعمال الشهيد وفوائده تدوينه لعدّة مجاميع نافعة جدّاً، إليك كلمات الأعلام حولَها:

قال صاحب المعالم في إجازته الكبيرة:

... وعندنا بخطّ الشهيد رحمه الله إجازة الشيخ كمال الدين للسيّد المذكور...

... وكان هذا الشيخ [يعني الشيخ شمس الدين محفوظ بن وِشاح] من أعيان علمائنا في عصره، و رأيتُ بخطّ شيخنا الشهيد الأوّل في بعض مجاميعه حكاية أُمور تتعلّق بهذا الشيخ، وفيها تنبيهٌ على ما قلناه، فمنها ... [٢].

وقال صاحب الرياض:

وقد رأيتُ بخطّ الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني على ظهر فهرست الشيخ الطوسي: «وجدت بخطّ شيخنا الشهيد الأوّل رحمه الله في بعض مجاميعه ماصورته: أسماء الذين قرؤوا على سيّد المرتضى...» [٣].

وقال المحدّث النوري (طاب ثراه) في أواخر الفائدة الثانية من الخاتمة في شرح حال الكتب و مؤلِّفيها:

مجاميع لشمس الفقهاء محمّد بن مكّي الشهيد (قدس الله روحه)، وهي ثلاث

---

١. الذريعة، ج ١٥، ص ٣٧١؛ وانظر الذريعة، ج ١٥، ص ١٥٤.

* قال الشيخ جعفر المهاجر في جبل عامل بين الشهيدين، ص ٢١٣ ـ ٢١٤. «والمجموعات فنّ من فنون التأليف، وليس التصنيف، يجمع فيها مؤلفها ما يقع له أثناء مطالعاته، وما قد يطّلع عليه من أحداث، وأحوال مَن يعرفهم من رجال. ومن هنا فإنّها تعكس بدرجة عالية ثقافة جامعها وحُسن اختياره، وما يجده أحرى بالاهتمام. ولذلك فإنّ قيمة هذا النمط من التأليف تتفاوت تفاوتاً بالغاً...

والحقيقة أنّ المجموع بمُجمله يدلّ على أنّ مؤلفه يتمتّع بحس تاريخي مُرهف، وكفاءة نقديّة عالية، واطّلاع واسع أهلّه لأن يُحسن انتقاء مادة كتابه. ولا ريب أنّ كثرة النقل عنه يدلّ على أنّه نجح في أن يُيسر فيه ما يعزّ الحصول عليه من غيره. بل و من المُرجّح أن يضيع لو لم يحفظه. ونأمل أن يكون هذا التعريف به مُذكّراً بأهميته البالغة. وحافزاً للباحثين وأهل التحقيق، ممّن يتيسّر لهم الوصول إلى نُسخه الخطيّة حيث هي، إلى نشره النشرة العلميّة التي يستحقّها».

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ١٤ ـ ١٥.

٣. رياض العلماء، ج ٤، ص ١٦.

مجلّدات، مجلّدان منها بخطّ الشيخ الجليل شمس الدين محمّد بن عليّ الجباعي جدّ شيخنا البهائي ... وقد وصفه جماعة من العلماء في مقام النقل بكونه صاحب الكرامات ... وكلّ ما في هذين المجلّدين منقول عن خطّ الشهيدﷺ، و المجلّد الآخر بخطّ بعض أحفاده نقله عن خطّه. وهذه المجلّدات كالبساتين النضِرة و الحدائق الخضِرة التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين، مشتملةٌ على رسائل مستقلّة في الأحاديث والعلوم الأدبية و الأشعار و الأخبار المستخرجة من الأُصول والحكايات والنوادر وغيرها، خاليةٌ عن الهزليات التي توجد في أمثالها؛ نعم، يوجد فيها بعض اللطائف والطرائف ففي أحد المجاميع ... وفي مجموعة أُخرى ... وفي هذه المجموعة مختصر الجعفريّات، وذكر الدرّ الذي وُجِدَ في الكوفة، و عليه منقوش البيتان المعروفان ونظائر أُخرى لا مناسبة لنقله. وقد ذكر في كثيرٍ من المواضع تاريخ كتابته و كتابة الشهيد. وفي آخر الأربعين للشيخ منتجب الدين المدرج في أحدها: «نجز لإحدى وعشرين مضت من شهر الله رجب الأصمّ سنة إحدى و ستّين و ثمانمائة بكرك نوح عليه السلام بقلم العبد الفقير محمّد بن عليّ بن حسن بن محمّد بن صالح الجبعي اللويزاني ... مِن نسخةٍ بخطّ الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي كتبها بالحلّة سنة ستّ وسبعين وسبعمائة ...». وقد أكثر في البحار من النقل عنها وعن أُخرى لم تصل إلينا مُعَبِّراً عنها هكذا: «وجدت بخطّ الشيخ محمّد بن عليّ الجبعي ... إلخ». وبالجملة فاعتبار ما يوجد فيها من الأخبار وغيرها يعرف من اعتبار جامعها الذي لا يحوم حول جلالة قدره خيالٌ[1].

وقال أيضاً:

ـ وعندي مجموعة شريفة كلّها بخطّ الشيخ الجليل صاحب الكرامات شمس الدين محمّد بن عليّ الجباعي جدّ شيخنا البهائيﷺ، نقلها كلّها من خطّ شيخنا الشهيد (طاب ثراه)، وممّا فيها ما اختصره من هذا الكتاب الشريف [أي الجعفريّات]، يقرب من ثلث هذا الكتاب، وكتب في آخر الأوراق التي فيها هذه الأخبار: «يقول محمّد بن عليّ الجباعي: إلى هاهنا وجدت من خطّ الشيخ محمّد بن مكّي من الجعفريّات ... و ذلك

١. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٣٧٢ ـ ٣٧٣، ط. القديمة؛ وج ١٩، ص ٣٨٢ ـ ٣٨٥، ط. الجديدة.

يوم الإثنين سادس شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة»[١].

ـ ... مجموعة عندي كلّها بخطّ الشيخ الجليل محمّد بن عليّ الجباعي، نقل كلّها من خطّ الشيخ الشهيد رحمه الله، وفيها أوراق أخرج فيها أحاديث مختصرة، اختارها من الأُصول التي كانت عنده مثل كتاب الصلاة للحسين بن سعيد ... و في آخره بخطّ الجباعي: قال ابن مكّي ـ يعني الشهيد رحمه الله ـ: «أكثر هذه مقروءة على الشيخ أبي جعفر الطوسي رحمه الله»[٢].

ـ مختصر كتاب العلاء، وجدناه بخطّ الشيخ الجليل صاحب الكرامات محمّد بن عليّ الجباعي نقله من خطّ الشيخ الشهيد الأوّل، أوّله هكذا: «من كتاب العلاء»، وساق الأخبار وكتب في آخره: «آخر المختار نقلاً من خطّ الشيخ العالم محمّد بن مكّي ... آخر يوم الجمعة الثامن عشر من شهر رمضان سنة ثلاث وستّين وسبعمائة ...»[٣].

ـ قال الشهيد في مجموعته التي كلّها بخطّ الشيخ محمّد بن عليّ الجباعي: «قال القاضي تاج الدين ...»[٤].

وقال العالم الفاضل المرحوم يحيى بن محمّد شفيع الإصفهاني رحمهما الله في هامش مخطوطة لخاتمة مستدرك الوسائل:

ومن الألطاف الإلهيّة على العبد الجاني يحيى بن محمّد شفيع الإصفهاني (عفي عنهما): أنّي تشرّفت قبل ذلك بثلاث سنين إلى زيارة أئمّة العراق (عليهم صلوات الله وسلامه) وكان أوان تشرّفي بكربلاء في أوّل شهر رجب و المولى الجليل المصنِّف [يعني المحدّث النوري رحمه الله] قد تشرّف للزيارة الرجبية من النجف الأشرف إلى كربلاء المشرّفة، وكان بيني وبينه صداقة قديمة من أيّام التحصيل وإقامتنا في النجف الأشرف، فبادَرَ إلى زيارتي وفرحت كثيراً بزيارته. ولمّا تشرّفنا بالنجف الأشرف كنّا مراودين، فجاء يوماً إلى منزلي ومعه هذه المجاميع الثلاث التي اثنان منها بخطّ الشيخ الجليل الشيخ محمّد الجبعي جدّ شيخنا البهائي، وقال رحمه الله لي: «هاتان المجموعتان بعينهما كانتا عند

---

١. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٢٩٤، ط. القديمة؛ وج ١٩، ص ٣٠، ط. الجديدة.
٢. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩، ط. القديمة؛ وج ١٩، ص ٥١، ط. الجديدة.
٣. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٣٠٧، ط. القديمة؛ وج ١٩، ص ١٠١، ط. الجديدة.
٤. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٤٤٠، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٣١٣، ط. الجديدة.

المجلسي، وكُلُّ ما نقل عن خطّ الشيخ محمّد المذكور عن خطّ الشهيد محمّد بن مكّي من هاتين المجموعتين، ولولا المحبّة الكاملة ما أبرزتُهما لك».

فأخذتُ المجاميعَ الثلاثَ كلَّها و نقلتُ أكثر ما فيها بخطّ يدي، وكانت موجودة عندي، وكذا المجموعة التي بخطّ السيّد الجليل السيّد حيدر الآملي المشتملة على الرسائل الثلاث في سؤالات مهنّا بن سنان المدني، وغيرها التي نقلها سابقاً قبل ذلك، وفيها خطوط فخر المحقّقين وَلَد العلّامة وإجازته للسيّد حيدر في ظهر سؤالات المهنّا بخطّه رحمه الله، وغيرها من الرسائل الشريفة كلّها بخطّ السيّد حيدر الآملي، و نقلتُ جميعَها بخطّ يدي، وهي الآن موجودة عندي بحمدالله، وكانت نسخة الأصل من هذا الكتاب أيضاً عندي إلى أن رجعتُ و أودعتُه رحمه الله باستنساخ نسخةٍ من هذا الكتاب فاستنسخها وأرسلها ووصلتْ إليّ بعد أشهر من وفاته.

حرّره العبد في يوم عرفة في بيتي في إصفهان سنة ١٣٢٠[١].

وقال العلّامة السيّد حسن الصدر رحمه الله في ترجمة الشيخ محمّد بن عليّ الجباعي:

ـ صاحب المجاميع الثلاث التي أكْثَرَ النقل منها العلّامة المجلسي، وأكثرنا نحن عن بعضها النقل أيضاً[٢].

ـ وقد وفّق الله للعثور على مجموعتين من المجاميع الثلاث، في إحداهما أكْثَرَ النقلَ من مجموعة الشهيد الأوّل التي كانت عنده بخطّه، وقد شَحَنَها من طرائف الفوائد ونوادر الفرائد نظماً و نثراً[٣].

وقال أيضاً في ترجمة الشهيد الأوّل عند إيراد مؤلّفاته:

المجموع، وهو كتاب كبير، ينقل عنه الشيخ محمّد بن عليّ الجباعي في مجاميعه الثلاث وينقل عنه أيضاً الشيخ حسن صاحب المعالم في إجازته الكبيرة للسيّد نجم الدين العاملي[٤].

وقال الشيخ آقا بزرگ الطهراني (طاب ثراه):

ـ ... ونسخة الأربعين [لابن زهرة] موجودة بخطّ الشيخ شمس الدين محمّد الجبعي

---

١. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ١٩، ص ٣٨٣ـ٣٨٤، الهامش، ط. الجديدة.
٢. تكملة أمل الآمل، ص ٣٥٦.
٣. تكملة أمل الآمل، ص ٣٥٨.
٤. تكملة أمل الآمل، ص ٣٦٩؛ وانظر أيضاً أعيان الشيعة، ج ١، ص ١٩٠، ٢١٦؛ ج ٢، ص ٤٩٢؛ ج ٩، ص ٧١، ٤٣١، ج ١٠، ص ٢٨٦.

المتوفّىٰ سنة ٨٨٦، جدّ الشيخ البهائي، وهو نَقَلَها عن مجموعة كانت بخطّ الشيخ الشهيد محمّد بن مكّي. والنسخة عند آقا ضياء سبط شيخنا العلّامة النوري ... [١].

ـ مجموعة الجباعي، للشيخ شمس الدين ... وله عدّة مجاميع، وقد أكثر من النقل عنها العلّامة المجلسي في مجلّد إجازات البحار معبِّراً بقوله: «وجدتُ بخطّ الشيخ محمّد بن عليّ الجبعي». أقول: هذه المجموعة إحدىٰ تلك المجاميع، وكانت عند شيخنا العلّامة النوري، و انتقلتْ بعده إلى سبطه الآقا ضياء الدين النوري، وينقل عنها المجلسي في مجلّد الإجازات من البحار، ص ٤٣، و هي اليوم في مكتبة الملك بطهران [٢] ... قد كتبها الشيخ شمس الدين محمّد الجباعي في صفر ٨٥٧، ثمّ قابل ولده الشيخ عبدالصمد هذه المجموعة بنسخةٍ أُخرى كانت بخطّ والده أيضاً، في ٩١٧. و هذه غير المجموعتين اللتين بخطّ الجبعي أيضاً، وقد كتبهما عن خطّ الشيخ محمّد بن مكّي الشهيد ـ كما يأتي ـ بشهادة أنّ المنقول عنها ليس موجوداً فيهما، و غير المجموعة الثالثة للشهيد التي كتبها الجبعي أيضاً عن خطّه، و كتب بعض أحفاد الجبعي عن خطّ الجبعي؛ لأنّ مقتضاه الإسناد إلى خطّ الشهيد كما صرّح به فيما هو منقول عن خطّ الشهيد [٣].

ـ مجموعة الجباعي، هي الثانية من مجموعات الشيخ شمس الدين محمّد الجباعي المذكورة قبلاً، و هي الموجودة في النجف بمكتبة مدرسة السيّد البروجردي، كتب الشيخ شمس الدين في أوّلها السبع العلويات ... وكتب في آخرها أنّه: «فرغ من كتابتها لنفسه العبد الفقير إلى الله تعالى محمّد بن عليّ بن حسن الجباعي في أُخريات شعبان المبارك سنة ثمان وستّين وثمانمائة»، وكتب على الهامش بخطّه: «قوبلت يوم الثلاثاء غرّة شهر رمضان المبارك سنة ثمان و ستّين و ثمانمائة» ... بالجملة أورد في المجموعة فوائد وأحاديثَ أخلاقية عن الأئمّة و نصائح لقمانية و غير ذلك، منها ما اختاره من كتاب الكافي للكليني، كتبه في ستّ عشرة صفحة من المجموعة، و قال في آخره: «هذا آخر ما اخترته من كتاب الكافي... في يوم الجمعة رابع شهر رجب سنة

١. الذريعة، ج ١، ص ٤٢٦.

٢. و هذه هي التي مصوّرتُها موجودة عندي في مؤسّسة تراث الشيعة، و استفدتُ منها و رجعت إليها لتأليف هذا الكتاب كثيراً، و ليس جميعها منقولاً عن مجموعة الشهيد كما لا يخفي على من راجَعَها.

٣. الذريعة، ج ٢٠، ص ٧٧.

اثنتين وسبعين وثمانمائة». وذكر في إمضائه تمام نسبه: محمّد بن عليّ بن حسن بن محمّد بن صالح الجباعي، وينقل فيها عن كتاب نهج البيان إلى سبل الإيمان للشيخ المفيد، وعن كتاب التعريف للصفواني، و عن كتاب الأنوار[1].

ـ مجموعة الشهيد ... وهي بخطّ الشيخ الجليل شمس الدين محمّد بن عليّ الجبعي والد الشيخ عبدالصمد جدّ البهائي، وقد كتبها عن خطّ شيخنا الشهيد في ٨٦١، وهذه النسخة كانت عند العلّامة المجلسي على ما ينقل عنها في البحار وحصلت عند شيخنا العلّامة النوري وهي موجودة الآن عند سبطه الفاضل الآقا ضياء الدين ابن الحاج شيخ فضل الله النوري بطهران وفهرست ما فيها إجمالاً هذه: الأربعين في فضائل أمير المؤمنين، للشيخ الجليل محمّد بن أحمد بن الحسين النيسابوري جدّ الشيخ أبي الفتوح المفسّر الرازي؛ الأربعين من الأربعين عن الأربعين، للشيخ الأجل منتجب الدين عليّ بن عبيدالله من أحفاد عليّ بن بابويه القمّي؛ الأربعين، للسيّد محيى الدين أبي حامد محمّد بن عبدالله بن عليّ بن زهرة ابن أخي السيّد أبي المكارم بن زهرة الحسيني الحلبي، وأخبار متفرّقة منتخبة من أُصول القدماء مثل كتاب الصلاة لحسين بن سعيد وكتاب إسحاق بن عمّار وكتاب معاذ بن ثابت وكتاب عليّ بن إسماعيل الميثمي وكتاب معاوية بن حكيم وكتاب إبراهيم بن محمّد الأشعري وكتاب فضل بن محمّد الأشعري وكتاب زيد، ورسالة في القراءة والظاهر أنّها لابن مالك صاحب الألفيّة؛ والمجتنى في الأدعية، للسيّد رضي الدين عليّ بن طاوس الحلّي. وفي آخر أربعين الشيخ منتجب الدين هكذا: «نجز لإحدى وعشرين مضت من شهر رجب ٨٦١ بكرك نوح، بقلم محمّد بن عليّ بن حسن بن محمّد بن الصالح الجبعي اللويزاني من نسخة بخطّ الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي كتبها بالحلّة ٧٧٦ وهو نقل من نسخة بخطّ محمّد بن محمّد بن عليّ الحمداني القزويني تاريخها ٦١٣».

ـ الأربعون حديثاً عن الأربعين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام للشيخ المفيد أبي سعيد محمّد بن أحمد بن الحسين الخزاعي... وهذا الكتاب في غاية الاشتهار، نقله بتمامه شيخنا الشهيد محمّد بن مكّي في مجموعته بخطّه وكتب الشيخ شمس الدين محمّد

١. الذريعة، ج ٢٠، ص ٧٧ ـ ٧٩.

الجبعي جدّ الشيخ البهائي تمامه في مجموعته الموجودة نسختها نقلاً عن مجموعة خطّ الشهيد، وقد خصّ هذا الكتاب بالذكر في بعض الإجازات، والسند المذكور في أوّل النسخة التي كتب عنها الشيخ الشهيد هكذا: «حدّثني الشيخ الفقيه العالم شجاع الدين أبوعبدالله محمّد بن أحمد بن محمّد بن العباس البيهقي (وفّقه الله تعالى بالخيرات) بمدينة مراغة في ثالث عشر صفر سنة ٥٣٤، قال: حدّثنا السيّد الرئيس العالم الزاهد صفي الدين المرتضى بن الداعي بن القاسم الحسني الرازي عن الشيخ المفيد عبدالرحمن بن أحمد النيسابوري عن المصنّف محمّد بن أحمد بن الحسين الخزاعي» [١].

ـ الأربعون حديثاً من الأربعين عن الأربعين، في فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام للشيخ الإمام منتجب الدين... وأورد الشيخ الشهيد هذا الأربعين كأربعين الخزاعي السابق بتمامه في مجموعته بخطّه ونقله أيضاً الشيخ شمس الدين الجبعي عن خطّه في مجموعته... [٢].

ـ ... ثمّ رأيت المجموعة التي بخطّ الشيخ شمس الدين محمّد الجبعي كتب فيها المنهج القويم بخطّه في صفر سنة ٨٥٧ ثمّ قابله ولده الشيخ عبدالصمد بن شمس الدين محمّد مع نسخة أُخرىٰ كانت بخطّ والده أيضاً في سنة ٩١٧ [٣].

ـ مجموعة الشهيد أيضاً، التي هي بخطّ بعض أحفاد الشيخ شمس الدين محمّد الجبعي كتبها عن خطّ الجبعي وهو عن خطّ الشهيد وكانت عند شيخنا العلّامة النوري أيضاً.

ـ مجموعة الشهيد أيضاً، وهي بخطّ الشيخ شمس الدين محمّد بن عليّ الجبعي كتبها عن خطّ الشهيد وهي أيضاً حصلت بيد شيخنا العلّامة النوري وفيها مختصر كتاب الأشعثيات أو الجعفريّات في مقدار ثلث الكتاب وفي آخره: «يقول محمّد بن عليّ الجباعي: إلى هاهنا وجدت من خطّ الشيخ محمّد بن مكّي من الجعفريّات على أنّي تركت بعض الأحاديث وأوّلها ناقص ولعلّ آخرها كذلك. وذلك يوم الإثنين سادس شهر ربيع الأوّل ٨٧٢» [٤].

---

١. الذريعة، ج ١، ص ٤٣٢ ـ ٤٣٣.
٢. الذريعة، ج ١، ص ٤٣٣ ـ ٤٣٤.
٣. الذريعة، ج ٢٣ ـ ص ١٩٦ ـ ١٩٧؛ وانظر ج ١٢، ص ١٢٩.
٤. الذريعة، ج ٢٠، ص ١١٢ ـ ١١٣.

وقال في ترجمة شمس الدين الجبعي:

محمّد بن عليّ الجبعي الشيخ شمس الدين ... المتوفّىٰ ٨٨٦ ... له مجموعات بخطّه ذات فوائد، و فيها تراجم كثيرة للعلماء الأعلام، وتواريخ وفياتهم، ينقل عنها العلّامة المجلسي كثيراً في إجازات البحار ... وهذه المجموعة كانت عند شيخنا النوري، واليوم عند سبطه بطهران، كما أنّ المجموعة الأُخرى التي هي أيضاً بخطّ صاحب الترجمة ـ وقد كتبها عن خطّ الشهيد في ٨٦١ أيضاً ـ كانت عند شيخنا المبرور، واليوم عند سبطه المذكور. و رأيت إحداها أخيراً في مكتبة الملك بطهران. وقد نقل ثالث المجاميع إلى موقوفة مدرسة السيّد البروجردي بالنجف، و في عدّة مواضعَ منها خطّ حفيده الشيخ البهائي [١].

وقال نجل العلّامة الأميني (طاب مثواه) عند الإشارة إلى مؤلّفات الشهيد:

مجموعة، جَمَعَ فيها النوادر والنكت الأدبية والفوائد العلمية وما طاب له من حكم وأمثال وحكايات ونوادر وشعر، وقد انتقلت هذه المجموعة إلى مكتبة الشيخ محمّد بن عليّ ... الجباعي المتوفّى ٨٨٦، فنقلها إلى مجموعته بكاملها، مع الإشارة إلى مجموعة الشهيد الأوّل. وتقع في مجلّدين [٢].

هذه كلمات الأعلام حول مجاميع الشهيد و الجباعي، ونستنتج منها ومن غيرها عدّة أُمور:

أ) أنّه كان للشهيد الأوّل عدّة مجاميع و رأىٰ بعضها صاحب المعالم بخطّ الشهيد، و نقل عنه في إجازته الكبيرة.

ب) كانت تلك المجاميع ـ كلّها أو بعضها ـ بخطّ الشهيد عند الشيخ شمس الدين الجباعي المتوفّى عام ٨٨٦، الجدّ الأكبر لشيخنا البهائي رحمه الله، وعند الكفعمي صاحب المصباح [٣] والشهيد الثاني وولده صاحب المعالم، ونقلوا عنها في آثارهم بلاواسطة. ولا يوجد اليوم بخطّ الشهيد شيء منها حسب ما نعلم.

ج) نقل العلّامة المجلسي وتلميذه صاحب الرياض والمحدّث النوري والسيّد حسن

١. مصفّى المقال، ص ٤١٢ ـ ٤١٣.
٢. الدرّة الباهرة، ص ١٤، مقدّمة التحقيق.
٣. انظر المصباح، ص ٤٧، ٤٨، ١٥١، ١٨٢.

الصدر والسيّد محسن الأمين والشيخ آقا بزرگ الطهراني مطالب كثيرة عن مجاميع الشهيد بواسطة مجاميع الجباعي.

د) من المعلوم أنّ الجباعي أورد في مجاميعه مطالب عن غير مجاميع الشهيد.

هـ) لا ندري هل نقل الجباعي في مجاميعه جميع ما كانت في مجاميع الشهيد أم نقل بعضها أو أكثرها.

و) إحدى مجاميع الجباعي لم تكن موجودة عند المحدِّث النوري، كما صرّح به، حيث قال: «وقد أكثر في البحار من النقل عنها وعن أُخرى لم تصل إلينا»[1] وهذه المجموعة لم تصل إلينا أيضاً.

ز) كانت للجباعي مجموعة كتبها عن خطّ الجباعي بعض أحفاده، وهذه أيضاً لم تصل إلينا وكانت عند المحدِّث النوري.

ح) لشمس الدين الجباعي عدّة مجاميع بخطّه الشريف:

١. هي الموجودة في المكتبة المركزية لجامعة طهران برقمي ١٧٩٥ و ١٧٩٦، ذكرت في فهرسها (ج ٨، ص ٣٦٠ ـ ٣٦٨)، وعَرَّفَ بها المرحوم الدكتور حسين عليّ محفوظ في مقالة «نفائس المخطوطات العربية في إيران» ونُشرت هذه المقالة في مجلة معهد المخطوطات العربية، في القاهرة، السنة الثالثة، عام ١٩٥٧ م، ثمّ في نشرية نسخه‌هاى خطى، العدد ١٣، ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩. وفي هذه المجموعة أُرجوزة في الكلام لابن داود الحلّي، والمنهج القويم له أيضاً، وكشف اليقين للعلّامة الحلّي وغيرها، وفرغ الجباعي من كتابة هذه المجموعة في شعبان سنة ٨٥٢، والظاهر أنّه لم ينقل شيء منها من مجاميع الشهيد.

٢. هي الموجودة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١) برقم ٨٩٣٢، ونقلنا عنها في كتابنا هذا بعنوان مجموعة الجباعى، ج ٢. وممّا كتبها الجباعي في هذه المجموعة الجمانة البهيّة في نظم الألفيّة، منهاج الكرامة، قسم من مصباح الزائر[2]، وغيرها، وكتب

---

١. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٣٧٣، ط. القديمة؛ وج ١٩، ص ٣٨٥ ط. الجديدة.

٢. انظر وصفها تفصيلاً وماورد فيها في الشريعة إلى استدراك الذريعة، ج ١، ص ٢٥١ ـ ٢٥٣.

الجباعي في آخرها:

وكتب العبد الفقير إلى رحمة ربّه محمّد بن عليّ بن حسن الجباعي (غفرالله له ولجميع إخوانه المؤمنين) وذلك لاثنتي عشرة ليلةً مضتْ من شهر رمضان المعظّم قدره سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة حامداً للّه تعالى، مصلّياً على خيرته من بريّته محمّد النبيّ والأصفياء من عترته.

ونقل الجباعي فيها عن خطّ الشهيد مطالب مراراً. والظاهر أنّها لم تكن عند المحدّث النوري.

٣. هي التي موجودة الآن في مكتبة ملك الوطنية بطهران، برقم ٦٠٤ في أربع ومائتين ورقة، نَسَخَها الجباعي عام ٨٥٧، كما في الورقة ١٨٣ ب منها، و هذه هي التي أَكْثَرَ العلّامة المجلسي قدس سره النقلَ عنها في بحار الأنوار، خصوصاً مجلّد الإجازات[١]. والكثير من هذه المجموعة منقولٌ من خطّ الشهيد الأوّل، وليس جميعها منقولاً من مجموعة الشهيد كما لا يخفى على من راجعها. وهي التي نقلنا عنها مطالب كثيرة في هذا الكتاب.

٤. هي التي عرّف بها الطهراني و قال:

و هي الموجودة بالنجف بمكتبة مدرسة السيّد البروجردي... وكتب في آخرها أنّه: «فرغ من كتابتها لنفسه... في أُخريات شعبان المبارك سنة ثمان وستّين وثمانمائة»[٢].

وكتب في التعريف بهذه المجموعة وأوصافها ومحتواها المرحوم محمّدهادي الأميني ولد العلّامة الأميني قدس سره مقالةً تحت عنوان «من كنوز الأدب المنسيّ» نشرها مجلّة العرفان في لبنان، في العدد الأوّل من السنة ٥٣، في ربيع الأوّل ١٣٨٥، وأراد الأميني تحقيقها ونشرها فلم يوفّق لذلك.

وتقع هذه المجموعة في ٢٤٧ ص بالقطع الربع. وفيها مختصر الجعفريّات، والسبع العلويات، وفرغ الجباعي من كتابة بعضها في أُخريات شعبان ٨٦٨، وفرغ من كتابتها في

١. منها: بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٦٧ ـ ١٦٨؛ و ج ١٠٧، ص ٢٠٣ ـ ٢١٠.

٢. الذريعة، ج ٢٠، ص ٧٧ ـ ٧٨؛ وذكرت هذه المجموعة في فهرس مخطوطات مدرسة البروجردي في نشرية نسخه‌های خطّی، العدد ٥، ص ٤٢٩ ـ ٤٣١، برقمي ١٢٧١، ١٢٧٢.

١٤ رجب سنة ٨٧٢ ونقل فيها مطالب عن مجاميع الشهيد، وهذه هي التي قال عنها المحدّث النوري فيما نقلنا سابقاً من كلامه: «نقلها كلّها من خطّ شيخنا الشهيد». وهذه المجموعة لم تذكر في الجزء الأوّل من فهرس مخطوطات مدرسة البروجردي في النجف الأشرف الذي نشر أخيراً. ووقفنا عليه بحمد الله أخيراً في مكتبة كاشف الغطاء في النجف الأشرف.

وهناك مجموعة مختارة من مجاميع الجباعي، وهي المجموعة التي كتبها الميرزا محمّد شفيع الإصفهاني (م ١٣٢٥) ونقلنا كلامه في هذا الموضوع قبيل هذا عن هامش خاتمة مستدرك الوسائل فراجع. ومجلّد من مجموعة الإصفهاني موجودة في مكتبة آية الله المرعشي برقم ٧٣٥٦ (ذكرت في فهرسها، ج ١٩، ص ١٥٧) وتقع في ١٥٠ ورقة، وفرغ من كتابتها في شهر شعبان ١٣١٩.

ومصوّرة هذه المجاميع ـ سوى الرابعة ـ وهي التي كانت بمدرسة السيّد البروجردي رحمه الله في النجف الأشرف ـ موجودة عندي في مؤسّسة تراث الشيعة بحمدالله سبحانه.

* * *

واعلم أنّه يوجد في مكتبة السلطنة في طهران ـ كما في فهرسها ـ مصحف مخطوط برقم ٦٤٥، وجاء في آخره:

ـ الحمد للّه الذي وفّق بإتمام [كذا] كتابة هذا المصحف المجيد ـ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ـ العبدَ الفقير علاء الدين بن شمس الدين محمّد القارئ النيريزي في سنة تسع وثمانين وتسعمائة، عن الشيخ السعيد السديد الشهيد محمّد بن مكّي، عن الشيخ فخر الدين محمّد، عن والده الشيخ جمال الدين حسن بن مطهّر الحلّي (أفاض الله عليه غمائم رحمته، وسحائب مغفرته)، عن... الأولياء وركن الأتقياء وزبدة الأصفياء عليّ بن طاوس الحسني (تغمّده الله سبحانه برحمته ورضوانه).

الفصل الخامس

الآثار المنسوبة إليه

نُسبَتْ في كتب التراجم وغيرها كتبٌ ورسائلُ إلى الشهيد الأوّل ـ غير ما تقدّم ـ منها ما يُشَكّ في أنّها من تصانيفه، ومنها ما نقطع بعدم كونها تأليفاً له، وبعضها من مؤلّفاته ولكن بأسامٍ غير صحيحة، نوردها هنا مع ما سنح ببالنا حولها:

١. أجوبة مسائل محمّد بن مجاهد

نُسِبتْ في بعض الفهارس[١] مخطوطة بهذا الاسم إلى الشهيد، وذكر مفهرس المكتبة أنّ ناسخها وتاريخ نسخها مجهولان، ولم ينسب في سائر المصادر كتابٍ بهذا الاسم إلى الشهيد، ولا أعرف له مخطوطة سوى هذه المخطوطة، وهي تقع في المجموعة المحفوظة في مكتبة الإمام الحكيم العامّة في النجف الأشرف برقم ٧٤٢. وفي هذه المجموعة أيضاً شرح الفرائض النصيرية، والفوائد البهائية، وكانت سابقاً في مكتبة الشيخ محمّد السماوي﵀ وعليها خطّه. ورأيت المجموعة في مكتبة الإمام الحكيم حين زيارتي النجف الأشرف في شهر ربيع الآخِر عام ١٤٣٠، وتقع هذه المخطوطة في حدود ١١٠ ورقة، ولانعلم تاريخ كتابتها دقيقاً، ولكنّها قديمة، أوّلها بعد البسملة:

> الحمدللّه الخالق المبتدع المعيد، العظيم الشأن، القادر القاهر القويّ، السلطان الجبّار المتجبّر، الظاهر البرهان، الغافر الستّار... أحمده حمداً كثيراً، وأشهد أن لا إله إلّا هو... وأشهد أنّ محمّداً عبده....

---

١. فهرست مخطوطات مكتبة الإمام الحكيم العامّة، ج ١، ص ٢٩، ونُقِلَ عنه في مقدّمه اى بر فقه شيعه، ص ١٣٥.

وبعد، فإنّه لما سأل شيخنا محمّد بن مجاهد للمولى [كذا] الأجلّ شمس الملّة والحقّ والدين هذه المسائل متفرّقةً، فيطول على الكاشف مطالعتها، أحْبَبْتُ أن أجمعها على ما رتّب قدوة العلماء وسيّد الفضلاء، نجم الملّة والحقّ والدين أبي القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد الحلّي في شرائعه، بأن يكون كلّ مسألة في بابها، ليسهل [ظ] كشفها على طالبها.

كتاب الطهارة. وفيها أربعة أركان في المسائل المتعلّقة بتطهير المياه.

مسألة: البيارة [كذا] إذا وقع فيها نجاسة لم يقدَّرْ لها منزوح يُنْزَح له ثلاثون دلواً. ذكره ابن طاوس في أصل الاستبصار، وهي رواية كردويه المشهورة، وقيل: أربعون دلواً، وقيل: جميع الماء.

مسألة: لا تلفيق في النزح ولا يجزئُ ليلاً؛ لعدم النصّ. قال: يُجزئُ إذا لم يضعف القوّة بالنُعاس.

مسألة: لا تتداخل النزح وإن كان شاتين [كذا]... .

مسألة: لو كان على إنسان سجدتا السهو عن نفسه أو عن غيره بالتحمّل ولم يكن عليه غير ذلك، هل يجوز أن يتوضّأ ـ قبل دخول وقت الفريضة ـ واجباً، وكذا صلاة الاحتياط أم لا؟

الجواب: نعم يجوز أن يتوضّأ قبل دخوله واجباً؛ لأنّ سجدتا السهو والاحتياط يشترط فيهما الطهارة، وينوي من وجب عليه سجدتي السهو الواجب استباحةَ الصلاة لوجوبه قربةً إلى الله.

وآخرها:

مسألة: هل يصحّ أن يسجد سجدتي السهو قبل فعلٍ سها عنه.

مسألة: إذا انتقل الإنسان عن محلّ القعود، طالت المدّة أم [لا]، ثمّ شكّ في صحّة العقد هل يلتفت، ولكثرة الشكّ هنا مدخل؟... .

مسألة: إذا لم يكن فرط في الصلاة ثمّ صلّى مع ضيق الوقت بغلبة الظنّ إلى إحد[ى] الجهات، ثمّ تبيّن الخطأ وهو في الصلاة ولم يبق ما يسع ركعةً والظاهر [ظ: في الظاهر]، هل يستقيم، أو يبطلها ويقضي.

تمّت: والحمد للّه وحده، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين في... من جمادى الأُولى سنة ٨٥٣ [؟].

وورد فيها هذه التعابير: «قال فخر»، «قال عميدالدين»، «قاله شيخنا في القواعد»؛

«من فوائد عميد الدين في درب مشهد الحسين عليه السلام»، «وكَتَبَ محمّد بن المطهَّر»، «كتب عبدالله بن الأعرج الحسيني»، «وكَتَبَ محمّد بن مكّي»، «هذا نقله إسماعيل الزَراري عن شمس الدين بن مكّي»، «ما يقول مولانا (أحسن الله إليه)»، «قال مشايخنا (قدّس الله أرواحهم)»، «نقل عن ابن مكّي».

فعلى هذا ليست هذه المخطوطة من تأليفات الشهيد، بل هي فوائد ونكات وأجوبة متفرّقة استفادها وسمعها تلميذ الشهيد محمّد بن مجاهد عنه، وكانت متفرّقة فرتّبها ونظمّها بعض تلاميذه، فهي تأليف محمّد بن مجاهد تلميذ الشهيد.

ثمّ اعلم أنّه توجد في المكتبة المركزية لجامعة طهران مخطوطة برقم ١٢٢٧، ذكرت في فهرسها (ج ٦، ص ٢٤٥٧ ـ ٢٤٦٠) تحت عنوان المسائل الفقهية، وبينها وبين مخطوطتنا هذه مشابهات كثيرةً بل لعلّ أكثر مطالبهما مشتركة. ولعلّ مؤلّف المسائل الفقهية أدرج مخطوطتنا هذه فيها، أو أكثرها فراجع.

٢ . أحكام الصلاة

في بعض الفهارس[١] نُسِبَتْ إلى الشهيد مخطوطة باسم أحكام الصلاة[٢]. ونعلم أنّه ليس للشهيد كتاب بهذا الاسم، وبعد مراجعة نفس المخطوطة تبيّن أنّها نسخة من رسالة الخلل في الصلاة؛ وسيأتي الحديث عنها، وهي ليست للشهيد قطعاً.

٣. اختصار أصل عَلاء بن رَزين

أصل علاء بن رزين هو أحد الأُصول الحديثية، ومختصره موجود ومطبوع ضمن كتاب الأُصول الستّة عشر وجاء في آخره:

> هذا آخر المختار من كتاب العلاء بن رزين القَلّاء الثقفي، نقلاً من خطّ الشيخ العالم محمّد بن مكّي، وهو نقل من خطّ الشيخ الجليل أبي عبدالله محمّد بن إدريسَ...[٣].

---

١. فهرست ألفبائى كتب خطى، ص ٢٥ ـ ٢٦.
٢. وهي محفوظة في مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة ضمن المجموعة، المرقّمة ١٣٣٦.
٣. الأُصول الستّة عشر، ص ٩٣، ٣٦٨.

وقال المحدِّث النوري ﷺ:

مختصر كتاب العلاء، وجدناه بخطّ الشيخ الجليل صاحب الكرامات محمّد بن عليّ الجباعي ـ نقله من خطّ الشيخ الشهيد الأوّل، أوّله هكذا: «كتاب العلاء» وساق الأخبارَ وكتب في آخره: «آخر المختار نقلاً من خطّ الشيخ العالم محمّد بن مكّي ـ وهو نقل من خطّ الشيخ الجليل أبي عبدالله محمّد بن إدريس ـ في العشرين من جمادى الأُولى سنةَ ستّين وثمانمائة، وتاريخ الكاتب للأصل آخر يوم الجمعة ثامن عشر من شهر رمضان سنة ثلاث وستّين وسبعمائة». وذهب هنا نصف السطر في آخر الصفحة، وبقي منه هذا: «سبعين وخمسمائة»... والظاهر أنّ هذا تاريخ خطّ ابن إدريس [١].

وقال تلميذه الشيخ آقا بزرگ الطهراني:

أصل علاء بن رزين القَلّاء الثقفي... والمختصر المختار منه موجود، وهو أحد الأُصول الموجودة إلى عصرنا، نسخ عن خطّ الشهيد، وهو نَسَخَه عن خطّ محمّد بن إدريس الحلّي [٢].

أقول: إنّ اختصار اصل عَلاء بن رَزين جزءٌ مِن مجموعة الشهيد ـ التي سبق الحديث عنها في الفصل الرابع ـ ولا يُعَدُّ تأليفاً له؛ لأنّ الشهيد لم يكن قد لَخَّص بنفسه أصل علاء، بل إنّ ابن إدريس قد فعل ذلك، والشهيد نقل التلخيص من خطّ ابن إدريس [٣].

٤. اختصار الجعفريّات

قال الشيخ آقا بزرگ الطهراني (طاب ثراه):

الأشعثيات، ويقال له: الجعفريّات أيضاً، من الكتب القديمة المعوّل عليها عند الأصحاب...وهي ألف حديث بإسناد واحدٍ... وحُصِرتْ عدّة أبياته في سبعة آلاف ومائتي بيت ... .

هذا الكتاب ممّا لم يظفر به العلّامة المجلسي ولا المحدِّث الحرّ العاملي مع شدّة تنقيبهما للكتب، وإنّما ذخره الله تعالى لشيخنا العلّامة النوري ... [٤].

---

١. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٣٠٧، ط. القديمة؛ وج ١٩، ص ١٠١، ط. الجديدة.
٢. الذريعة، ج ٢، ص ١٦٤.
٣. للوقوف على ترجمة علاء انظر رجال النجاشي، ص ٢٩٨، الرقم ٨١١؛ خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨، ط. القديمة؛ وج ١٩، ص ١٠١ ـ ١٠٢، ط. الجديدة؛ الأُصول الستّة عشر، ص ٩٠ ـ ٩٥.
٤. الذريعة، ج ٢، ص ١٠٩ ـ ١١٠؛ وانظر أيضاً ج ٥، ص ١١٢ منه، ذيل «الجعفريّات».

وقال أيضاً:

ـ اختصار الجعفريّات، المعروف بالأشعثيات، للشيخ السعيد أبي عبدالله محمّد بن مكّي الشهيد... يقرب من ثلث الجعفريّات، وقد كتبه عن خطّ الشهيدِ الشيخُ شمْسُ الدين محمّدُ بن عليّ الجبعي جدّ الشيخ البهائي في مجموعته الموجودة بطهران [1].

ـ مختصر الجعفريّات، للشيخ الشهيد محمّد بن مكّي، كتبه بخطّه في مجموعته التي وجدها الشيخ شمس الدين محمّد بن عليّ الجباعي جدّ الشيخ البهائي وكتب الجبعي عن خط الشهيد في مجموعة نفيسة التي حصلت تلك المجموعة بيد شيخنا العلّامة النوري وكتب الجبعي في آخر هذا المختصر المنقول عن خط الشهيد ما لفظه: «يقول محمّد بن عليّ الجباعي إلى هنا وجدت من خط الشيخ محمّد بن مكّي من الجعفريّات على أنّي تركت بعض الأحاديث» [2].

وقال شيخه المحدِّث النوري رحمه الله:

وعندي مجموعة شريفة كلّها بخطّ الشيخ الجليل صاحب الكرامات شمس الدين محمّد بن عليّ الجباعي... نقلها كلّها من خطّ شيخنا الشهيد (طاب ثراه) وممّا فيها ما اختصره من هذا الكتاب الشريف [أي الجعفريّات]، يقرب من ثلث هذا الكتاب. وكتب في آخر الأوراق التي فيها هذه الأخبار: «يقول محمّد بن عليّ الجباعي إلى هاهنا وجدت من خطّ الشيخ محمّد بن مكّي من الجعفريّات، على أنّي تركتُ بعض الأحاديث، وأوّلها ناقص ولعلّ آخرها كذلك. وذلك يوم الإثنين سادس شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة» [3].

أقول: إنّ اختصار الجعفريّات جزءٌ من مجموعة الشهيد ـ التي تحدّثنا عنها في الفصل الرابع ـ ولا يُعَدّ تأليفاً مستقلّاً للشهيد.

واعلم أنّ كتاب الجعفريّات قد طبع في طهران على الحجر عام ١٢٧١. ثمّ طبعته مؤسّسة كوشان‌پور الثقافية في طهران عام ١٤١٧ طبعةً في غاية الرداءة وكثرة الأغلاط.

---

١. الذريعة، ج ١، ص ٣٥٦.
٢. الذريعة، ج ٢٠، ص ١٩٣.
٣. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٢٩٤، ط. القديمة؛ وج ١٩، ص ٣٠، ط. الجديدة.

٥ . أربع مسائل فقهية

ذكر أحد المعاصرين في كتابه عند ذكره لمؤلّفات الشهيد كتاباً باسم «أربع مسائل فقهية» وأضاف بأنّ مخطوطته موجودة في المكتبة المركزية لِجامعة طهران، برقم ٢٧١١، (ذكرت في فهرسها، ج ١٠، ص ١٥٩١)[١]. والحال أنّه ليس للشهيد كتابٌ ولا رسالة باسم «أربع مسائل فقهية»، وإنّما نسخ كاتب تلك المخطوطة أربع مسائل فقهية في ضمن مجموعته، وكتب في أوّلها:

مسائل أربعة [كذا] منقولة عن الشيخ الأجلّ العلّامة أبوطالب ابن الشيخ إسماعيل الرازقي[٢] [كذا] المذكور في الكتب، عن الشيخ العلّامة الشهيد محمّد بن مكّي (قَدّس الله روحه العزيز).

وعلى فرض صحّة النسبة فهذه المسائل إمّا مأخوذة من مجموعة «الشهيد» أو من سائر آثاره وفوائده، وليست له رسالةً مسمّاة باسم «أربع مسائل فقهية». وإليك نصّ هذه المسائل الأربع:

الأُولى: المقتول ظلماً ينتقل جميع ما في ذمّته من الحقوق الشرعيّة والذنوب والخطايا إلى ذمّة القاتل حتّى مهر الزوجة وميراث الورثة، ويصير المقتول بريئاً من الجميع.

الثانية: القاتل شخصاً ظلماً لأجل تزويج زوجته تحرم عليه مؤبّداً؛ مؤاخذة بهذا المقصود [خ ل: عقوبة على فعله].

الثالثة: أنّ المرأة الزانية إذا كان زوجها يعلم حالها وفعلها تحرم تلك المرأة عليه مؤبّداً.

الرابعة: أنّ المرأة إذا زَنَتْ وزوجها راض عن فعلها يجب قتله. والله أعلم[٣].

---

١. مقدّمه‌ای بر فقه شیعه، ص ١٣٥.

٢. انظر الضياء اللامع، ص ١٤، ٧٠. والظاهر أنّ الصواب «الزَراري» نسبة إلى بلدة الزَرارية من بلاد جبل عامل. انظر ما تقدّم حول الموضوع في الفصل الثامن من الباب الأوّل.

٣. مخطوطة المكتبة المركزية لِجامعة طهران، المرقّمة ٢٧١١، الورقة ١٦٦. ووقفت على مخطوطة أُخرىٰ لهذه المسائل الأربع في مكتبة مدرسة نمازي في مدينة خوي، ضمن المجموعة المرقّمة ٦٦٠، الورقة ٤٨٥. وحقّقتُ المسائل الأربع اعتماداً على هاتين النسختين. وكتب كاتب هذه المجموعة قبل المسائل الأربع: «أربع مسائل منقولة من الشيخ الأجلّ العلّامة أبي طالب ابن الشيخ إسماعيل الرازي [كذا]، عن أبيه المذكور عن الشيخ السعيد الشهيد (عليه الرحمة والرضوان) أنّه قال»، وكتبتْ هذه المسائل الأربع أيضاً في الورقة الأُولى من مخطوطة اللمعة الدمشقيّة المحفوظة في مكتبة الروضة الرضوية، برقم ٢٨١١.

فهذا جميع ما نسب إلى الشهيد باسم أربع مسائل فقهية، وأستبعد صحّة نسبة المسائل إلى الشهيد، فلم أعرف واحداً من فقهائنا العظام التزم بهذه المسائل وأفتىٰ بها فضلاً عن الشهيد.

ثمّ اعلم أنّ العالم المتتبّع المرحوم آية الله الشيخ عبدالله المامقاني رحمه الله قد بحث حول هذه المسائل الأربع حوالي عشر صفحات في رسالته: وسيلة النجاة في أجوبة جملة من الاستفتاءات المندرجة في مجموعة من رسائله المسمّاة بالاثنىٰ عشرية (ص ٣٤ ـ ٤٣)، المطبوعة في النجف الأشرف سنة ١٣٤٤، وإليك بعض كلامه:

السؤال التاسع عشر: إنّ أربع مسائل عزِيَتْ إلى الشيخ الشهيد (قدّس الله نفسه الزكيّة) نُحبّ أنْ نعلم رأيكم فيها ... .

الجواب: شرح الحال في المسائل الأربع أنْ يقال: أمّا المسألة الأُولى فلم أجد ـ بعد فضل التتبّع ـ منها في كتب الشهيد (أنار الله تعالى برهانه) عيناً ولا أثراً، لكن ذكرت في مبحث الدين من منتهى المقاصد أنّه اشتهر نقل ذلك عنه في كتب الفقه، واشتهر الاستناد في ذلك إلى مضمون رواية هي أنّه «ماترك القاتل على المقتول شيئاً»، لكن مع عدم ثبوت الرواية فالشيء محمول على الحقوق الإلهيّة، نظير ما ورد من أنّ ما ترك المقتول من ذنب فعلى قاتله. ولم أقف على موافق للشهيد رحمه الله في ذلك إلّا صاحب الحدائق ... .

ولقد أجاد السيّد العلّامة السيّد ماجد البحراني المدفون بشيراز تحت قبّة السيّد أحمد بن مولانا الكاظم عليه السلام المشهور بشاه چراغ حيث قال في الجواب عن هذه المسألة: «إنّ انتقال ما على المقتول إلى ذمّة القاتل من الحقوق الماليّة والإلهيّة لا نعرف له وجهاً، وإن وجد في بعض الفوائد منقولاً عن بعض الأعيان». انتهى كلامه (علا مقامه).

وأمّا المسألة الثانية والرابعة فلم أعثر ـ بعد فضل التتبّع ـ على أثر لشيء منهما في مصنّفات الشيخ الشهيد قدس سره ولا من نسب إليه شيئاً منهما ولا من أفتى بمضمونهما، فإن صحّت النسبة فهما من الفتاوى العجيبة التي لا ينبغي صدورها ممّن ليس من مذهبه العمل بالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة. وماعلّل به الثانية عليل؛ لأنّه استحسان صرف واعتبار محض لايناسب التمسّك بمسلك أصحابنا. وكذلك الأخيرة، بل الاعتبار يساعد على خلاف ذلك، ضرورة أنّه إذا كانت الزوجة الزانية لا تقتل إلّا مع اجتماع شرائط الإحصان، فكيف يقتل الزوج الراضي بفعلها مطلقاً! والحال أنّ وازرة لا تزر وزر أُخرى، والراضي بفعل محرّم وإن كان يشارك الفاعل في العقاب ويحشر معه يوم الحساب، إلّا أنّه لا يشاركه في الآثار الشرعيّة بلا ارتياب.

وأمّا المسألة الثالثة فيمكن الاستئناس لها بقوله (عزّ من قائل):

﴿وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بناء على إرادة الوطء من النكاح في الآية.

ولكن لا يخفى عليك أنّ المراد بالنكاح فيها التزويج وموردها المشهورة بالزنى مالم تتب، كما تشهد بذلك الأخبار الواردة في تفسير الآية، ولذا لم يفت أحد من فقهائنا بالحرمة مطلقاً...

وإذ قد عرفت الجهات الأربع بان لك أنّ المسألة الثالثة المنسوبة إلى الشهيد رحمه الله ممّا لا قائل به ولا دليل. والله الهادي إلى سواء السبيل.

٦. الاستدراك

قال العلّامة المجلسي قدس سره في الفصل الأوّل من مقدِّمة كتابه البحار في بيان مصادره:

وكتاب الذكرى... للشيخ العلّامة السعيد الشهيد... وكتاب الاستدراك، وكتاب الدُرّة الباهرة... له قدس سره أيضاً كما أظنّ... [١].

وقال في الفصل الثاني في بيان توثيق المصادر:

ومؤلَّفات الشهيد مشهورة كمؤلِّفها العلّامة، إلّا كتاب الاستدراك؛ فإنّي لم أظفر بأصل الكتاب، ووجدتُ أخباراً مأخوذةً منه بخطّ الشيخ الفاضل محمّد بن عليّ الجبعي، وذكر أنّه نقلها من خطّ الشهيد (رفع الله درجته) [٢].

وقال تلميذه صاحب الرياض بعد نقل هذا الكلام: «أقول: بالبال أنّ هذين الكتابين من مؤلّفات غيره» [٣].

وقال المحدّث النوري بعد نقله لكلام العلّامة المجلسي رحمهما الله:

وهذا غفلة عجيبة منه؛ فإنّ الشهيد ينقل عن الاستدراك في المأخذ الذي ذكره، ووصل إلينا بحمد الله، وصَرَّحَ بأنّه من القدماء [٤]... فعدّ الاستدراك من كتبه سهو ظاهر [٥].

---

١. بحارالأنوار، ج ١، ص ١٠.
٢. بحارالأنوار، ج ١، ص ٢٩.
٣. تعليقة أمل الآمل، ص ٧٩.
٤. كما سيأتي، حيث قال الشهيد: «صاحب الاستدراك... يروي عن الشيخ أبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه وطبقته».
٥. خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٤٣٩، ط. القديمة؛ وج ٢٠، ص ٣١١، ط. الجديدة.

وقال الطهراني (طاب ثراه):

الاستدراك، لبعض قدماء الأصحاب، كما نقله الشيخ شمس الدين جدّ شيخنا البهائي في مجموعته الموجودة بخطّه عن خطّ شيخنا الشهيد محمّد بن مكّي. وصورة خطّ الشهيد هكذا: «كتاب الاستدراك لبعض قدماء الأصحاب، ولم يظهر لي إلى الآن اسمه ولا شيءٌ من حاله، نعم يروي عن الشيخ ابن قولويه، فهو من معاصري المفيد» ... [١].

أقول: نقل الجباعي في مجموعته عدّة دعواتٍ عن كتاب الاستدراك، وقال قبل نقلها:

هذه دعوات الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام في دخلاته على المنصور. وقد ذكر صاحب الاستدراك منها ثلاثاً وعشرين، وهو روى عن الشيخ أبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه وطبقته، وعن جماعةٍ بمصر وخراسان ... [٢].

وخلاصة الأمر أنّ كتاب الاستدراك ليس من مؤلّفات الشهيد قطعاً.

٧. تقريب المبادئ

قال صاحب الرياض عند الإشارة إلى مؤلّفات الشهيد:

ونسب إليه بعض الفضلاء... كتاب تقريب المبادئ وكتاب التهذيب في الأُصول. ولعلّ الأخير من باب الاشتباه [٣].

أقول: صحّة النسبة بعيدة جدّاً غايةَ البعد، فلم ينسب له أحدٌ من تلامذته ولا معاصريه والمتأخّرين عنه من أصحاب التراجم والرجال كتاباً باسم تقريب المبادئ ولا كتاب التهذيب في الأُصول إلى الشهيد ـ سوى ما ذكره صاحب الرياض ـ نعم للعلّامة الحلّي كتابٌ باسم تهذيب طريق الوصول إلى علم الأُصول وقد شَرَحَه الشهيد كما تَقَدَّمَ، وليس له قطعاً كتابٌ باسم التهذيب في الأُصول.

٨. التهذيب في الأُصول

انظر ما قلناه آنفاً ذيل تقريب المبادئ.

---

١. الذريعة، ج ٢، ص ٢٢؛ وانظر كشف الأستار، ج ٣، ص ٤٤١ ـ ٤٤٥.
٢. مجموعة الجباعي، الورقة ١٤٧ ب؛ بحارالأنوار، ج ٩٤، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨.
٣. تعليقة أمل الآمل، ص ٧٩.

٩ . حاشية التحرير

قال المحقّق الكركي﵀ :

ـ ... ظاهر عبارة التذكرة والمنتهى والتحرير يشعر بالتوقّف في الحكم ... .

وفي الحواشي المنسوبة إلى شيخنا الشهيد على التحرير : «إنّ توقّف المصنّف يحتمل شيئين: ...» [١].

ـ ... وفي الحواشي المنسوبة إلى شيخنا الشهيد على التحرير تقييد ذلك بالمرض... [٢].

هذا ما ذكره في جامع المقاصد، ولكن قال في شرح الألفية والرضاعية :

ـ وقد يوجد في بعض الحواشي المنسوبة إلى المصنّف على التحرير وغيره، ولاشكّ في بطلان هذه النسبة [٣].

ـ وقد رأيت في عصري كثيراً من الحواشي والقيود منسوبة إليه﵀ وأنا أجزم بفساد تلك النسبة، والسرّ في ذلك تصرّف الطلبة الذي يعزّ سلامته من الزيادة والنقصان و الخطإ وسوء الفهم [٤].

ولم أجد من نسب حاشية التحرير إلى الشهيد﵀. ولعلّ الشهيد كتب في نسخته من التحرير حواشيَ قليلة، ولم تكن بالمقدار الذي يمكن عدّها رسالة أو حاشية، ومن هنا فلم يذكر أحدٌ من أصحاب التراجم في عداد تأليفاته حاشية التحرير.

١٠ . حاشية الشرائع

قال صاحب الرياض عند ذكره مصنَّفات الشهيد:

ونسب إليه بعضهم حاشية الشرائع، ولعلّها مذكورة في مجالس المؤمنين أيضاً فلاحظ [٥].

ولم ينسبها إليه أحدٌ سوى صاحب الرياض، ولم نجد هذه النسبة في مجالس المؤمنين ولعلّ

---

١. جامع المقاصد، ج ٣، ص ٣٩١.
٢. جامع المقاصد، ج ٧، ص ١٤٩. وانظر مفتاح الكرامة، ج ٧، ص ١٦١.
٣ و ٤. حياة المحقّق الكركي، ج ٣، ص ٥٢٢.
٥. تعليقة أمل الآمل، ص ٧٩.

الأمر قد التبس صاحب الرياض في حاشية الشرائع للشهيد الثاني [١]، فقال: إنّها للشهيد الأوّل.

١١ . خلاصة الإيجاز

قال صاحب الرياض أيضاً عند ذكره مصنّفات الشهيد:

وله أيضاً رسالة خلاصة الإيجاز للمفيد، نسبها إليه سبط الشيخ عليّ الكركي في رسالة رفع البدعة في حلّ المتعة، ويروي عنها بعض الأخبار [٢].

أقول: نَشَرَ المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى الألفية لوفاة الشيخ المفيد قدس سره رسالةَ خلاصة الإيجاز في المتعة، ونُسِبَتْ في مخطوطةٍ منها ـ وهي التي توجد في المكتبة المركزية لِجامعة طهران، برقم ٢٨٨٨/٤ ـ إلى المحقّق الكركي [٣]. ونسبتها إلى الشهيد بعيدة غايةَ البُعد بل سهوٌ، ولم نقف على مخطوطةٍ من مخطوطاتها نُسبتْ فيها إلى الشهيد، وكذلك لم نقف ـ بالرغم من الفحص الكثير ـ على نسخة لرسالة رفع البدعة حتّى ننظر ما فيها، ولم نقف على من نسبها إلى الشهيد غير من نقل عنه صاحب الرياض، وهو سهو بلاارتياب، وأُسلوبها يُغاير آثار الشهيد، ولم تكن الظروف والأجواء في عصره ومحلّ إقامته مساعدة على تأليف مثل هذه الرسالة.

١٢ . الخَلَل في الصلاة

طُبعت رسالة في خَلَل الصلاة مع كتاب البيان للشهيد عام ١٣٢٢ على الحجر، جاء في أوّلها: «هذه النسخة في أحكام الخلل الواقع في الصلاة من السهو والشكّ» وعبّر عنها المتصدِّي لطبعها الحاج الشيخ أحمد الشيرازي (طاب ثراه) في آخرها بقوله: «رسالة في أقسام الشكّ والسهو من مصنِّفٍ غير معلوم». ومع هذا فقد نَسَبَها بعضُ المعاصرين في

١. صرّح الشهيد الثاني في إجازته للشيخ ابن هلال الجزائري قدس سره بأنّ من تأليفاته حاشية الشرائع، حيث قال: «... ومن أهمّها كتاب مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام (وفّق الله تعالى لإكماله) في سبع مجلّدات كبيرة، ومنها حواشي الكتاب المذكور مجلّدان». بحارالأنوار، ج١٠٨، ص١٤٣ ـ ١٤٤.

٢. تعليقة أمل الآمل، ص ٧٩.

٣. للمزيد راجع خلاصة الإيجاز، ص ١٠، ١٢، مقدِّمة التحقيق؛ حياة المحقّق الكركي، ج٢، ص٤٤٩ ـ ٤٥٣.

كتابه[١] إلى الشهيد، كما نُسب في المخطوطة المحفوظة في مكتبة آية الله المرعشي برقم ١٣٤٣١/١ إلى الشهيد، كما ذكر في فهرسها (ج ٣٤، ص ٨٦ـ٨٧). والرسالة ليست للشهيد قطعاً، ويشهد لهذا أُسلوبها وسبكها وصياغتها. وذكر بعض المعاصرين أنّها تأليف المحقِّق الكركي (م ٩٤٠) وقد طبعت أخيراً ضمن رسائله[٢]. ونسبها العلّامة السيّد عبدالعزيز الطباطبائيﷺ إلى زين الدين أبي الحسن بن حسن بن عليّ القطيفي، اعتماداً على مخطوطة مكتبة ملك الوطنية، برقم ٢١٤٧[٣]، ذكرت في فهرسها (ج ٥، ص ٤٣٦).

هذه الرسالة ذكرها الطهراني (طاب ثراه) في الذريعة، ونسبها في موضع إلى الشيخ إبراهيم القطيفي وفي موضع آخر استظهر أنّها للكركي، حيث قال:

ـ ١٧٧٢: رسالة في السهو والشكّ في الصلاة، للشيخ إبراهيم بن سليمان القطيفي المتوفّىٰ بعد ٩٤٥. أوّلها: «الحمد للّه الذي فطر السماوات والأرض فاستوتا...» وآخرها: «إنّه وليّ القدرة ومُقيل العثرة». توجد... في الرضوية، وأُخرى كتابتها ٩٨٥[٤].

ـ ١١٩٧: الخلل في الصلاة، لبعض الأصحاب. وقد طبع في آخر كتاب البيان للشيخ الشهيد... أوّله: «الحمد للّه الذي فطر السماواتِ والأرضَ فاستوتا...» وآخره: «إنّه وليّ القدرة ومُقيل العثرة». وهو مرتّب على قسمين: الأوّل في السهو، والثاني في الشكّ... نسخة منه في المكتبة الرضوية ... وهي منضمّة إلى حاشية المختصر النافع للمحقّق الكركي... ولذا استظهر مؤلِّف الفهرست أنّه للمحقّق الكركي. ورأيت أنا نسخة أُخرى منه منضمّة إلى حاشية الشرائع للمحقّق الكركي... ونسخة أُخرى في النجف... وهي منضمّة إلى الجعفرية ورسالة العدالة والكبائر للمحقّق الكركي... ومن اتّصاله بسائر تصانيف الكركي في هذه النسخ المكتوبات في قُرْب عصره يُظَنُّ كونه أيضاً من تصنيفه[٥].

---

١. مقدّمه‌ای بر فقه شیعه، ص ١٤٨.

٢. رسائل المحقّق الكركي، ج ٢، ص ١١٩ ـ ١٤٦. وللوقوف على مخطوطاتها انظر مقدّمه ای بر فقه شیعه، ص ١٧٦ ـ ١٧٧ وللبحث حول هذه الرسالة انظر فهرس مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، ج ٢٢، ص ١٥٨ ـ ١٥٩؛ حياة المحقّق الكركي، ج ٢، ص ٤٥٣ ـ ٤٥٧.

٣. المحقّق الطباطبائي في ذكراه السنوية الأُولى، ج ٢، ص ٨٩١.

٤. الذريعة، ج ١٢، ص ٢٦٦.

٥. الذريعة، ج ٧، ص ٢٤٨.

هذا، وقد نسب الطهراني رسالة أُخرى في السهو والشكّ في الصلاة إلى المحقّق الكركي في موضعين من الذريعة، حيث قال:

ـ ١٧٧٣: رسالة في السهو والشكّ في الصلاة، للشيخ نورالدين عليّ بن الحسين بن عبد العالي الكركي المتوفّى ٩٤٠. نسخة بخطّ الشيخ محمود ابن الشيخ طلّاع الجزائري، فرغ من الكتابة في ١٠٨٦، في المكتبة التسترية، مرتّبةٌ على ثلاثة فصول وخاتمة، مخرومة من أوّلها. ومرّ الخلل المرتّب على قسمين... في ج٧، ص٢٤٨ ... [١].

ـ ٢٢٣٨: الشكّ والسهو، رسالة للشيخ نورالدين...المحقّق الكركي... مرتّب على ثلاثة فصول وخاتمة. نسخة منه في المكتبة الحسينية التسترية في النجف الأشرف بقلم الشيخ محمود بن طلّاع الجزائري، فرغ من الكتابة سنة ١٠٨٦، وقد ذكرناه بعنوان رسالة السهو والشكّ في ج١٢، ص٢٦٧ ... [٢].

أقول: هذه الرسالة ضمن مجموعة في المكتبة التسترية برقم ٦١٨، وذكرت في فهرسها، وسمّاها المفهرس الرسالة السهوية، أوّلها ـ بعد البسملة والحمد لله ـ: «...فما تقول مولانا فيما لونسي نيّة الصوم ليلاً» [٣]. وعلى هذا فهي رسالة أُخرى غير رسالة الخلل في الصلاة المطبوعة مع البيان، ولكن بعض المعاصرين زعم في مقدِّمة رسائل المحقِّق الكركي أنّها هي التي طبعتْ مع البيان [٤]. وهذا سهو واضح.

وخلاصة القول أنّ رسالة الخلل في الصلاة المطبوعة مع البيان ليست من تصانيف الشهيد.

ثمّ اعلم أنّ الشيخ عليّ العاملي ﷺ صاحب الدرّ المنثور قال في كتابه هذا في توضيح مسألة من الروضة البهيّة فيمن جهلَ عينَ الفائتة:

... السادس: أنْ يرجع إلى الثنائية والرباعية على معنى أنّه يحصل ترتيب المغرب عليهما... ولكن وجهه غير ظاهر.

وأضاف في الهامش: «صرّح الشهيد الأوّل ﷺ في رسالة السهو بوجوب التقديم في مثل هذا» [٥].

---

١. الذريعة، ج ١٢، ص ٢٦٧.
٢. الذريعة، ج ١٤، ص ٢١٢.
٣. نشرية نسخه‌هاى خطى، العددان ١١ ـ ١٢، ص ٨٦٩.
٤. رسائل المحقّق الكركي، ج ٢، ص ١٣ ـ ١٤، المقدِّمة.
٥. الدُرّ المنثور، ج ١، ص ١٧٥.

أقول: لعلّ مراده رسالة الخلل في الصلاة المطبوعة مع البيان وضمن رسائل المحقّق الكركي، حيث جاء فيها:

... فإنْ وقع الاشتباه في ثلاث صلوات مثل... أوثنائية بعدها رباعيتان أوثلاثية قبلها كذلك أعاد صلاتين: إحداهما معيّنة والأُخرى مطلقة ... [١].

١٣ . الدرّة الباهرة من الأصداف الطاهرة

قال العلّامة المجلسي (أفاض الله سبحانه على روحه المراحمَ الربّانيةَ):

ـ ومؤلّفات الشهيد مشهورة كمؤلِّفها العلّامة إلّا... الدرّة الباهرة؛ فإنّه لم يشتهر اشتهار سائر كتبه، وهو مقصور على إيراد كلمات وجيزة مأثورة عن النبيّ ﷺ وكلٍّ من الأئمّة (صلوات الله عليهم أجمعين) [٢].

ـ ... وكتاب الاستدراك، وكتاب الدرّة الباهرة له ﷺ أيضاً كما أظنّ. والأخير عندي منقولاً عن خطّه ﷺ [٣].

وقال تلميذه صاحب الرياض ـ بعد نقله لكلام أُستاذه ـ: «بالبال أنّ هذين الكتابين من مؤلّفات غيره» [٤].

وقال الشيخ آقا بزرگ الطهراني (طاب ثراه):

الدرّة الباهرة من الأصداف الطاهرة، ينقل عنه المجلسي في البحار، ونسبه في فصل ذكر المآخذ في أوّل البحار إلى الشيخ السعيد محمّد بن مكّي الشهيد... أقول: توجد منه نسخة في مكتبة المحيط [٥].

أقول: الدرّة الباهرة رسالة مقصورة على إيراد كلمات وجيزة مأثورة عن النبيّ والأئمّة المعصومين (سلام الله عليهم أجمعين) حسب ترتيب الأئمّة عليهم السلام، وقد ضَمَّنها العلّامة المجلسي في البحار ووزّعها في مواضعها المناسبة.

---

١. الخلل في الصلاة، ضمن رسائل المحقّق الكركي، ج ٢، ص ١٢٥.
٢. بحارالأنوار، ج ١، ص ٢٩ ـ ٣٠.
٣. بحارالأنوار، ج ١، ص ١٠.
٤. تعليقة أمل الآمل، ص ٧٩.
٥. الذريعة، ج ٨، ص ٩٠.

وأقدم مخطوطة كاملة لها ـ فيما أعلم ـ هي التي ضمن مجموعة الجباعي [١]. وكتب الجباعي في أوّلها: «الدُرّة الباهرة من الأصداف الطاهرة»، وفي آخرها:

في هذا الموضع ما صورته: «وكتب محمّد بن مكّي بالمدينة المشرّفة مدينة سيّدنا رسول اللهﷺ في سنة خمسين وسبعمائة، حامداً ومصلّياً» [٢].

هذا، ولكن لم يرد في مجموعة الجباعي مايوحي بأنّ الرسالة من مؤلّفات الشهيد، بل الأمر بالعكس، أعني أنّ الشهيد قام بنسخها فقط، كسائر الرسائل التي نسخها في مجموعته مِن مؤلَّفاتِ غيره. وقال ناسخ مخطوطة الدُرّة الباهرة ـ المحفوظة في مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة، ضمن المجموعة المرقّمة ٦٧٦٣ ـ في آخرها: «تمّت الدرّة الباهرة من مؤلّفات العالم النحرير الكيذري (رحمة الله عليه تعالى، وصلّى الله على محمّد وآله أجمعين)». ولعلّ ما ذهب إليه الناسخ هو الصحيح؛ فإنّه ورد في مجموعة الجباعي نقلاً عن خطّ الشهيد:

مِن خطٍّ نقل من خطِّ قطب الدين الكَيْذُريرحمه الله: «قال النبيّ صلى الله عليه وآله: المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدةً فيها علم تكون تلك الورقة يوم القيامة ستراً فيما بينه وبين النار وأعطاه الله لكلّ حرفٍ مكتوب عليها مدينةً أوسع من الدنيا سبع مرّاتٍ. وما من مؤمن يقعد ساعةً عند العالم إلّا ناداه ربّه: جلستَ إلى حبيبي، وعزّتي وجلالي لأُسكننّك الجنّة معه ولا أُبالي» [٣].

وهذا الحديث بعينه مرويٌّ في أوائل الدرّة الباهرة، قسم كلام النبيّﷺ.

وعلى هذا فالظاهر أنّها لم تكن تأليفاً للشهيد، بل أوردها الشهيد ـ نقلاً عن الكيذري ـ في مجموعته بخطّه، ونقلها عنه الجباعي في مجموعته [٤]. ولم ينسبها إلى الشهيد أحدٌ من تلامذة الشهيد ولا سائر العلماء قبل العلّامة المجلسي، وفي كلامه شيء من الترديد حيث قال: «فإنّه لم يشتهر اشتهار سائر كتبه» [٥]. وقد مرّ كلام صاحب الرياض بشأن هذا الكتاب وكتاب الاستدراك حيث قال: «بالبال أنّ هذين الكتابين من مؤلّفات غيره» [٦].

---

١. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٠ ب ـ ١٣٥ ألف.
٢. مجموعة الجباعي، الورقة ١٣٥ ألف.
٣. مجموعة الجباعي، الورقة ٦١ ألف.
٤. كما قال العلّامة المجلسي (طاب ثراه) في بحارالأنوار، ج ١، ص ١٠ بشأنها: «والأخير عندي منقولاً عن خطّهرحمه الله».
٥. بحارالأنوار، ج ١، ص ٢٩ ـ ٣٠.
٦. تعليقة أمل الآمل، ص ٧٩.

وقد طبعت المكتبة الحيدرية في النجف الأشرف عام ١٣٨٨ هذه الرسالةَ مستقلّةً لأوّل مرّة ـ اعتماداً على مجموعة الجباعي ـ بتحقيق الشيخ محمّد هادي الأميني رحمه الله نجل العلّامة الأميني قدس سره، وطبعتها أيضاً مؤسّسة طبع ونشر الروضة الرضوية المقدَّسة في مشهد عام ١٤٠٦ بإعداد داود الصابري. ثمّ ترجمها إلى الفارسية الشيخ عبدالهادي المسعودي ونشرها مع أصلها نشر زائر في قم المقدّسة عام ١٤٢٢ / ١٣٧٩ ش.

وتوجد لها عدّة مخطوطات، منها:

أ) مخطوطة مكتبة ملك الوطنية بطهران، ضمن مجموعة الجباعي، المرقّمة ٦٠٤.

ب) مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة في مشهد، المرقّمة ٦٧٦٣[1].

ج) مخطوطة مكتبة الوزيري بمدينة يزد، المرقّمة ٢٥٨٥[2].

د) مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، المرقّمة ١٩١٨/٦[3].

● *رسالة السهو* ← *الخلل في الصلاة*

١٤. شرح مبادئ الأُصول

قال صاحب الرياض عند ذكره تصانيف الشهيد: «شرح مبادئ الأُصول للعلّامة، رأيت قطعةً منه في بلدة رشت»[4].

أقول: لم يذكر أحدٌ شرح مبادئ الأُصول للعلّامة ضمن مؤلّفات الشهيد؛ وإنّما شَرَحَ الشهيد تهذيب الوصول إلى علم الأُصول للعلّامة، كما تقدّم، وذَكَرَه الشهيد في إجازته لابن الخازن بقوله: «شرح التهذيب الجمالي في أُصول الفقه»[5]. ولعلّ الأمر قد التبس على صاحب الرياض فخَلَطَ بينهما، ورأى قطعةً من شرح التهذيب فتوهّمها قطعةً من شرح مبادئ الأُصول، ويوجد في كلامه قدس سره الكثير من أمثال هذا الاشتباه.

---

١. ذكرت في فهرسها، ج ٥، ص ٨٣، وفي فهرست ألفبائى كتب خطى، ص ٢٤٥.
٢. ذكرت في فهرسها، ج ٤، ص ١٣٥٣.
٣. ذكرت في فهرسها، ج ٥، ص ٤١.
٤. تعليقة أمل الآمل، ص ٧٨.
٥. بحارالأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٧.

١٥ . غاية القصد في معرفة الفصد

نَسَبَه مفهرس مكتبة السيّد محمّد البغدادي الحسني إلى الشهيد الأوّل [١]. وهو ليس للشهيد قطعاً، بل ألّفه الفيلسوف شمس الدين محمّد بن مكّي أُستاذ الشهيدالثاني رحمهما الله، فهو من علماء القرن العاشر. قال الشهيد الثاني في ترجمة نفسه:

... ثمّ ارتحلتُ إلى دمشق، واشتغلتُ بها على الشيخ الفاضل المحقِّق الفيلسوف شمس الدين محمّد بن مكّي، فقرأتُ عليه من كتب الطبّ شرح الموجز النفيسي وغاية القصد في معرفة الفَصْد مِن مصنَّفات الشيخ المبرور المذكور... [٢].

١٦ . قصر صلاة المسافر

نُسِبَتْ إلى الشهيد مخطوطة باسم قصر صلاة المسافر في بعض الفهارس [٣]. وبعد مراجعة نَفْس المخطوطة تبيّن أنّها هي رسالة جواز السفر في شهر رمضان اعتباطاً، التي مرّتْ عند ذكر مؤلَّفات الشهيد، وليست تأليفاً جديداً له.

١٧ . اللوامع

عَدَّ العلّامةُ المجلسي قدس سره ـ في الفصل الأوّل من مقدِّمة بحارالأنوار ـ كتاب اللوامع من تصانيف الشهيد [٤]. وقال المولى ذوالفقار من تلاميذ العلّامة المجلسي رحمهما الله في رسالةٍ له إلى العلّامة المجلسي ـ والتي وردت في مجلّد إجازات البحار ـ:

ـ كتاب المزار... واللوامع والمقداديات كلّها لأبي عبدالله الشهيد [٥].

ـ وكتاب المزار للشهيد... واللوامع والمقداديات له عند بهاء [أي الفاضل الهندي] موجودتان [٦].

---

١. مخطوطات مكتبة آية الله السيّد محمّد البغدادي الحسني في النجف الأشرف، ص١٠٧.
٢. الدرّ المنثور، ج ٢، ص ١٥٩؛ رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ٨٦٤؛ وانظر الذريعة، ج ١٦، ص ١٤.
٣. فهرست الفبائی کتب خطی، ص ٤٤٥.
٤. بحارالأنوار، ج ١، ص ١٠.
٥. بحارالأنوار، ج ١١٠، ص١٦٦.
٦. بحارالأنوار، ج ١١٠، ص١٦٨.

وقال صاحب الرياض أيضاً عند ذكره مؤلّفات الشهيد:

نَسَبَ [أي العلّامة المجلسي] إليه كتابَ اللوامع أيضاً، وأظنّ أنّه من مؤلّفات الشيخ مقداد [١].

وقال الشيخ آقا بزرگ الطهراني:

اللوامع، للشيخ أبي عبدالله محمّد بن مكّي... كتبه بعض تلاميذ المولى المجلسي إليه وأنّه ممّا ينبغي إدخاله في البحار، وقال، «إنّه موجود عند المولى بهاء الدين» [٢].

أقول: ليس للشهيد كتاب باسم اللوامع، ولم ينسبه أحدٌ من العلماء إلى الشهيد قبل العلّامة المجلسي وتلميذه المولى ذوالفقار رحمهما الله، على أنّ صاحب الرياض قال أيضاً: «وأظنّ أنّه من مؤلّفات الشيخ مقداد» [٣]، ولم أعرف له مخطوطةً ـ بالرغم من الفحص الكثير المضني ـ كي أبحث عن نسبته أكثر مِن هذا. ولعدّة من علمائنا الأبرار كُتبٌ بهذا الاسم [٤]، منها اللوامع الإلهية في المسائل الكلاميّة للفاضل المقداد، كما صرّح به في مقدّمة كتابه نضد القواعد الفقهيّة بقوله:

ولمّا وفّق الله لِزَبْر كتاب اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية رأيت إتباعه بكتاب في المسائل الفقهية... [٥].

١٨. مجموعة الإجازات

قال الشيخ آقا بزرگ الطهراني قدس سره:

اعلم أنّ كثيراً من العلماء الأعلام أوّلهم ـ على ما أعلم ـ السيّد الأجلّ رضيّ الدين عليّ بن طاوس المتوفّى سنة ٦٦٤، و الشيخ الشهيد في سنة ٧٨٦، ثمّ الشهيد الثاني ثمّ جمع من العلماء المتأخّرين قد أفرد كلّ واحدٍ منهم في الإجازات تأليفاً مستقلّاً جمعوا فيه ما اطّلعوا عليه منها، وقد رأيتُ من هذا النوع مجلّداتٍ، وجملة منها ذكرت في تراجم مؤلّفيها بعنوان كتاب الإجازات... [٦].

---

١. تعليقة أمل الآمل، ص ٧٩.
٢. الذريعة، ج ١٣، ص ٣٨٥.
٣. تعليقة أمل الآمل، ص ٧٩.
٤. ذكرها الطهراني (طاب ثراه) في الذريعة، ج ١٨، ص ٣٥٨ ـ ٣٧١.
٥. نضد القواعد الفقهيّة، ص ٤.
٦. الذريعة، ج ١، ص ١٢٣.

وتبعه الشيخ محمّد رضا شمس الدين فنسب إلى الشهيد كتاباً باسم مجموعة الإجازات وقال:

وهي التي جمعها الشهيد من إجازات العلماء القدماء... و لعلّها هي الموجودة بمكتبة الجامعة [بطهران] بعنوان رسالة الإجازات، كما جاء في مقدّمة البحار من الطبعة الجديدة[١].

أقول: لم أقف على من نسب للشهيد كتاباً بهذا الاسم والمحتوى سوى الطهراني، ولا أدري ما هو مأخذه ومستنده، و لا يوجد اليوم من هذا الكتاب عين ولا أثر. نعم للشهيد عدّة إجازات لتلامذته، كما ذكرناها سابقاً في الفصل الثاني من هذا الباب في ذيل عنوان «إجازاته»، وما سوى ذلك فلم نعثر له على كتاب في هذا الموضوع. نعم ربما نقل الشهيد بعضَ إجازات العلماء في بعض المواضع، كما حكى عنه الجباعي في مجموعته إجازة العلّامة الحلّي للقطب الرازي، والتي كتبها الشهيد على كتاب قواعد الأحكام للعلّامة[٢]. ومن الممكن أنّ الشهيد قد نقل بعض الإجازات في مجموعته، و هذا لا يدلّ على أنّ له كتاباً باسم مجموعة الإجازات في قبال سائر آثاره.

واعلم أنّ المولى ذوالفقار تلميذ العلّامة المجلسي رحمهما الله قال في رسالته إليه في بيان «الكتب التي ينبغي أنْ تلحقَ بـبحار الأنوار»:

ـ كتاب المزار ورسالة الإجازة و... كلّها لأبي عبدالله الشهيد[٣].

ـ وكتاب المزار للشهيد... ورسالة الإجازة له مشهورة، فربما تكون عندكم...[٤].

وقال العلّامة المجلسي في الفصل الأوّل من مقدّمة البحار في بيان مصادره:

وكتاب الذكرى... ورسالة الإجازات [كذا، ظ: الإجازة] و... كلّها للشيخ العلّامة السعيد الشهيد...[٥].

---

١. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص٦٧. اعلم أنّ رسالة الإجازة التي توجد مخطوطتها في المكتبة المركزية لِجامعة طهران برقم ٣١٠٨/٤، والتي أشير إليها في مقدّمة البحار (بحار الأنوار، ج المدخل، ص ١٥٤، الهامش) هي إجازة الشهيد لابن الخازن ـ كما في فهرسها، ج ١١، ص ٢٠٦٣ ـ و ليست مجموعة الإجازات للشهيد.

٢. مجموعة الجباعي، الورقة ٢٠٦ب.

٣. بحار الأنوار، ج ١١٠، ص١٦٦.

٤. بحار الأنوار، ج ١١٠، ص١٦٨.

٥. بحار الأنوار، ج ١، ص ١٠.

والظاهر أنّ المراد بـرسالة الإجازة في كلام المولى ذوالفقار و في البحار هـي إجـازة الشهيد لابن الخازن أو لابن نجدة، وقد أُدرجتا في مجلّد إجازات البحار [١].

١٩ . مسائل تزاحم الحقوق

قال الشيخ آقا بزرگ الطهراني (طاب ثراه):

ـ مسائل تزاحم الحقوق، للشيخ الأجلّ السعيد أبي عبدالله محمّد بن مكّـي ... أوّله: «يجوز فتح باب في الطريق النافذ و إحداث روشن و ساباط». رأيته في مجموعة في طهران في كتب السيّد ميرزا محمّد تقي ابن المـيرزا مـحمّد بـاقر المـدرِّس الرضـوي في اثنتي عَشْرةَ صفحةً. في آخرها: «هذه المسائل منقولة عن الشيخ الأجلّ العـلّامة أبي طالب ابن الشيخ إسماعيل الرزاني [٢] عن أبيه المذكور عن الشيخ الشهيد محمّد بن مكّي» [٣].

ـ إسماعيل الدراني (الواراني، الرزاني خ ل) كان من تلاميذ الشهيد محمّد بـن مكّـي ... وروى عنه مسائل تزاحم الحقوق ويرويها هو لولده الأجلّ أبي طالب بن إسماعيل ـ الآتي أنّه من تلاميذ ابن فهد (م٨٤١) ـ و النسخة مـوجودة عـند السـيّد مـحمّد تـقي المدرّس الرضوي المشهدي بطهران [٤].

وتبع الطهراني أحدُ المعاصرين في كتابه [٥] فعدّ مسائل تزاحم الحقوق من مؤلّفات الشهيد. بينما هو ليس كتاباً مستقلّاً للشهيد ـ ولم ينسبه أحدٌ إلى الشهيد سوى الطهراني ـ بل هو بعينه قسمٌ من كتاب الدروس [٦]، أوّله: «كتاب تزاحم الحقوق. يجوز فتح باب في الطـريق النافِذ وإحداثُ روشن وساباط ...».

---

١. بحار الأنوار، ج١٠٧، ص١٨٦ ـ ٢٠١.

٢. الظاهر أنّ الصواب «الزَراري» نسبةً إلى «الزَرارية» بلدة في جبل عامل. انظر ماتقدّم فـي الفـصل الثـامن مـن الباب الأوّل، وفي هذا الفصل ذيل عنوان «أربع مسائل فقهية».

٣. الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٤٠ ـ ٣٤١.

٤. الضياء اللامع، ص ١٤، وانظر أيضاً ص ٧٠ منه، و ما تقدّم ذيل «أربع مسائل فقهيّة».

٥. مقدّمه‌ای بر فقه شیعه، ص١٤٨.

٦. الدروس الشرعيّة، ص ٣٨٠ ـ ٣٨٥، ط. القـديمة؛ و ج ٣، ص ٣٣٩ ـ ٣٥٢، ط. الجـديدة، ومـوسوعة الشـهيد الأوّل، ج ١١، ص ٣٠١.

٢٠ . المعتبر

قال صاحب الرياض في جملة تآليف الشهيد:

ونَسَبَ إليه كتابَ المعتبر في الفقه السيّدُ محمود بن فتح الله الكاظمي في رسالة الخمس، وهو غريب، ولعلّه اشتبه عليه معتبر المحقِّق [١].

أقول: كما ذهب إليه صاحب الرياض ليس للشهيد كتاب باسم المعتبر قطعاً، ولم ينسبه إليه أحدٌ سوى من ذكره صاحب الرياض.

٢١ . منظومة في مقدار نزح ما يقع في البئر

قال صاحب الرياض في جملة مؤلّفات الشهيد:

و منظومة مختصرة في مقدار نزح مايقع في البئر، عندنا منها نسخة، كتبتُها من مجموعة بأردبيل بخطّ الشيخ محمّد بن عليّ بن الحسن الجباعي العاملي، نقلاً عن خطّ الشيخ شمس الدين بن محمّد بن عبد العالي تلميذ الشهيد [٢].

أقول: لم أجد من نسب هذه الرسالة إلى الشهيد سوى صاحب الرياض، ولا أعرف لها نسخةً، ومن المحتمل أنْ لاتكون هذه المنظومة من آثار الشهيد، بل إنّما قام بنسخها فقط، فنقلها عنه الجباعي في مجموعته.

وعرّف الطهراني (طاب ثراه) بمنظومةٍ باسم منظومة في منزوحات البئر ونقل عن بعضهم أنّها للشيخ الحرّ العاملي [٣].

٢٢ . النيّة

قال الشيخ آقا بزرگ الطهراني قدس سره:

النيّة، لمحمّد بن مكّي الجِزّيني العاملي الشهيد ... أوّلها: «اعلم ـ وَفَّقك الله و إيّانا ـ أنّ الأصل في النيّة و اعتبارها أنّ الأفعال البشريّة الصادرة ...». تقرب من ثمانين بيتاً، في

---

١ و٢. تعليقة أمل الآمل، ص٧٨.

٣. الذريعة، ج٢٣، ص٤٤٠ ـ ٤٤١.

مكتبة الطهراني بسامرّاء. وعمدة نظر الشهيد في هذه الرسالة دفع الوسواس في النيّة. وفي آخرها: «... و ما أُريد إلّا الإصلاح ... و نعم الوكيل». و نسخة أُخرى رأيتها عند الشيخ عبد الحسين الحلّي [١].

أقول: مخطوطة من هذه الرسالة موجودة في مكتبة المدرسة الفيضيّة بقم المقدَّسة، برقم ١٧٤٣/٢ [٢]، و جاء في آخرها: «علّقها العبد زين الدين بن عليّ». وأيضاً مخطوطتها موجودة في مكتبة أميرالمؤمنين عليه السلام العامّة في النجف الأشرف، برقم ٦٢٧ [٣]، وجاء في أوّلها: «رسالة النيّة للشيخ العالم العامل الكامل زين الدين بن عليّ بن أحمد العاملي». ومن المعلوم أنّ زين الدين بن عليّ هو الشهيد الثاني لا الشهيد الأوّل ـ ومن المسلّم أنّ للشهيد الثاني رسالةً في تحقيق النيّة [٤] ـ و أيضاً وردتْ هذه الرسالة في مجموعةٍ من رسائل الشهيد الثاني محفوظةٍ في مكتبة ملك الوطنيّة بطهران، برقم ٢٣٩٥، و كذلك وردتْ في بعض المجاميع الأُخرى من رسائل الشهيد الثاني، ولكن نسبها إلى الشهيد الأوّل الفاضلُ المعاصر السيّد مهدي اللازوردي (حفظه الله) في هامش بعض مواضع الدروس [٥]، كما سبقه الطهراني إلى هذه النسبة. وهو سهو بلاريب وشبهة.

قال الطهراني (طاب ثراه) أيضاً:

النيّة، لزين الدين بن عليّ ... الشهيد [الثاني] ... و النسخة الموجودة في نيّف ومائة بيت في مكتبة الطهراني بسامرّاء ليس فيها تسمية. أوّلها: «اعلم (وفّقك الله تعالى وإيّانا) أنّ القدر الواجب استحضاره من النيّة المعتبرة في العبادات ...» وآخرها: «والله تعالى هو الميّسر بمنّه و كرمه. انتهى». وفيها بيان نيّة تمام العبادات حتّى الحجّ و مناسكه ... [٦].

---

١. الذريعة، ج ٢٤، ص ٤٤٠ ـ ٤٤١.
٢. ذكرت في فهرسها، ج ٢، ص ١٢٧.
٣. وذكرت في فهرسها، في مجلّة تراثنا، العدد ٧٧ ـ ٧٨، ص ٢٩٩.
٤. الدرّ المنثور ج ٢، ص ١٨٨؛ أعيان الشيعة، ج ٧، ص ١٥٥؛ وحقّقنا هذه الرسالة و نشرناه ضمن رسائل الشهيد الثاني، ج ١، ص ١٦٤، ١٧٠.
٥. الدروس الشرعيّة، ص ٣٣، الهامش ط. القديمة.
٦. الذريعة، ج ٢٤، ص ٤٣٩ ـ ٤٤٠.

أقول: توجد من هذه الرسالة نسخة برقم ٢٣٩٩٨ في مكتبة الروضة الرضويّة المقدّسة في مشهد، وجاء في آخرها:

بمنّه وكرمه تمّتْ، وآلاؤه تعالى عَمَّتْ، يوم السَبْت ثاني شهر شعبان المعظّم سنة ١٠٢٣، على يد أحوج الخلق إلى عفو ربِّه المجيد: صدرالدين محمّد بن عبدالرشيد (شرح له صدره وسرائره و...) قد فرغ من استنساخه العبد الأثيم محمّد حسن ابن المرحوم ميرزا عبدالرحيم النهاوندي (طاب ثراه) يوم السبت ثالث شهر ربيع الأوّل ١٣٠٧.

فعلى هذا فمؤلّفها هو صدر الدين محمّد بن عبدالرشيد الفسوي الشيرازي (كان حيّاً عام ١٠٥٠)[١]. ومن العجيب جدّاً أنّها نسبت في فهرس الروضة الرضوية (ج ٢٠، ص ٥٨٨) إلى الشهيد الثاني، مع أنّ اسم المؤلّف مذكور في آخر الرسالة!

ولم أعثر على من نسبها إلى الشهيد الثاني سوى الشيخ آقا بزرگ الطهراني. و كذلك لم أعثر على من نسب رسالة باسم النيّة إلى الشهيد الأوّل قبل الشيخ الطهراني، وهو أوّل من نسبها إلى الشهيد الأوّل فيما نعلم.

* * *

واعلم أنّ القاضي نور الله الشهيد (م ١٠١٩)ﷺ حكى قصّة جزيرة الخضراء المعروفة عن أمالي الشهيد وقال: ما معرّبه: «حرّرها الشهيد في بعض أماليه»[٢]. ولا ندري ما المراد من أمالي الشهيد، ولم ينسب إلى الشهيد أحدٌ كتاباً بهذا الاسم، ولم نجد هذه القصّة فيما وصل إلينا من كتب الشهيد، ومانقل هذه القصّة أحد عن الشهيد قبل القاضي نور الله الشهيد.

* * *

هذه هي الكتب و الرسائل المنسوبة إلى الشهيد، و هي على أقسامٍ ـ كما أشرنا إليها في ذيل كلِّ واحدٍ منها ـ:

أ) منها ما نقطع بعدم صحّة نسبته، مثل: غاية القصد، المعتبر، التهذيب في الأُصول، الاستدراك، الخلل في الصلاة، اللوامع، الدرّة الباهرة.

---

١. انظر تراجم الرجال، ج ٢، ص ٣٤٣، ٤١٦ ـ ٤١٧؛ الروضة النضرة، ص ٢٩٣؛ فهرست كتابخانه مدرسهٔ عالى سپهسالار، ج ١، ص ٢٣٧؛ وج ٣، ص ٥٣٥.
٢. مجالس المؤمنين، ج ١، ص ٧٠.

ب) و منها ما هو مشكوك في صحّة نسبته، مثل: منظومة في مقدار نزح ما يقع في البئر.

ج) و منها ما لايُعَدُّ تأليفاً مستقلّاً للشهيد بل هو قطعة من سائر مؤلّفاته، مثل: مسائل تزاحم الحقوق.

د) ومنها ما لا يعدُّ تصنيفاً، بل ممّا كتبه واستنسخه في مجاميعه، مثل اختصار أصل علاء بن رزين، واختصار الجعفريّات.

هـ) و منها أسماء غير صحيحة لسائر مؤلّفاته المبتوت في صحّة نسبتها للشهيد، مثل: رسالة قصر صلاة المسافر التي هي بعينها رسالة جواز السفر في شهر رمضان اعتباطاً.

واعلم أنّي قد ذكرتُ جميعَ ما وقفتُ عليه في المصادر من تأليفاته وما نسب إليه، وبحثتُ حولَها من حيث صحّة النسبة وعدمها وسائر الجهات، ولم يُنسب في المصادر التي راجعتُها أثرٌ للشهيد سوى هذه الآثار والكتب والرسائل التي ذكرتُها.

الخاتمة

أخطاء كتب التراجم في ترجمة الشهيد

قد تطرّقت أخطاء كثيرة في المصادر وكتب التراجم في ترجمة الشهيد، أشرنا إلى المهمّ منها في مواضعها من هذا الكتاب. ونودّ أن نسرد هاهنا باختصار ونضمّ إليها ما لم نذكرها قبل في الأبواب والفصول المناسبة لها؛ لتسهيل تناولها والوقوف عليها، فنقول وبالله التوفيق ومنه الاستعانة وعليه التكلان:

١. جاء في الذريعة وكثير من كتب التراجم المتأخّرة كخاتمة مستدرك الوسائل، وأعيان الشيعة، وطبقات أعلام الشيعة، وشهداء الفضيلة وطبقات الفقهاء في وصف الشهيد: «النبطي» نسبةً إلى النبطية، بلدة في جبل عامل. ولكن لم يرد هذا التعبير في المصادر القديمة، ولعلّه تصحيف عن كلمة «المطّلبي»، كما قاله الشيخ محمّدرضا شمس الدين [1] أو تصحيف عن «ابن طيّ» في نسب الشهيد، كما بيّنّاه في الفصل الثاني من الباب الأوّل.

٢. جاء في كثير من كتب التراجم أنّ الشهيد ولد عام ٧٣٤، وقال العلّامة السيّد حسن الصدر رحمه الله: «تولّد رحمه الله سنة ٧٣٤ بلا خلاف» [2].

وهذا التاريخ لولادة الشهيد خطأٌ بلا ريب وشبهة، والتاريخ الصحيح لولادته هو «حوالي ٧٢٤». كما بيّنّاه في الفصل الثالث من الباب الأوّل والأُمور الكثيرة التي فرّعوها عليه ـ من قبيل أنّ مدّة عمر الشهيد كانت ٥٢ سنةً، وأنّه أجازه فخرالدين في السابعة عشرة من عمره الشريف، وما إلى ذلك ـ فهو أيضاً خطأٌ واشتباه.

---

١. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٢٤.
٢. تكملة أمل الآمل، ص ٣٦٥.

٣. قال بعضهم: «هاجر [الشهيد] إلى العراق سنة ٧٥٠، ومدّة بقائه في العراق خمس سنين» [١]. ولا دليل على هجرته إلى العراق سنة ٧٥٠، ولعلّه هاجر إليه سنة ٧٤٥ مثلاً، وأمّا التاريخ المذكور لرجوعه إلى بلاده فهو خطأٌ قطعاً، كما بيّنّاه في الفصل الرابع من الباب الأوّل.

٤. قال بعض المعاصرين: «الشهيد ورد الحلّة في النصف الثاني من عمره» [٢]. وهو أيضاً خطأٌ قطعاً كما يُعلم ممّا ذكرناه في الفصل الرابع من الباب الأوّل.

٥. قال بعض المعاصرين: «أجازه فخر المحقّقين عام ٧٥٧» [٣]. وهذا أيضاً خطأٌ، فإنّ فخرالدين أجازه في العامين ٧٥١ و ٧٥٦، كما تقدّم في الفصل الرابع من الباب الأوّل.

٦. قال بعض المعاصرين: «قرأ في دمشق على أربعين عالماً من علماء السنّة» [٤]. وهذا أيضاً خطأٌ كما يعلم ممّا ذكرناه في الفصل السابع من الباب الأوّل.

٧. قال كثير من أصحاب التراجم: «إنّ الشهيد سافر إلى مصر والخليل» [٥]. وقلنا فيما سبق في الفصل السابع من الباب الأوّل إنّه لا دليل عليه، بل من المقطوع عدم سفره إلى مصر [٦].

٨. قال بعضهم: «إنّ الشهيد أجازه ألف نفر من الفقهاء، ودرس على ألفٍ من الفقهاء» [٧]. وهذا أيضاً خطأٌ كما بيّنّاه وبيّنّا وجهه في الفصل السابع من الباب الأوّل.

٩. قال بعض المعاصرين: «أجازه في بغداد شمس الأئمّة الكرماني ومحمّد بن سعد القرشي وواحد من الفقهاء الشافعية عام ٧٥٨» [٨]. والصواب أنّ هؤلاء الثلاثة شخصٌ واحد ـ وليسوا ثلاثة ـ وهو محمّد بن يوسف بن عليّ بن محمّد بن سعيد [لا «سعد»] القرشي الكرماني الشافعي الملقّب بشمس الأئمّة، الذي أجاز للشهيد في بغداد عام ٧٥٨.

١٠. قال بعض المعاصرين: «قرأ على أربعين عالماً من علماء أهل السنة وأكثر قراءاته كان في سنة ٧٨٤» [٩]. وهذا أيضاً خطأٌ كما يعلم ممّا سبق في الفصلين الرابع والسابع من الباب الأوّل.

١١. عدّ الطهراني رحمه الله ابن فهد الحلّي من تلاميذ الشهيد [١٠]، بينما لم يكن ابن فهد تلميذ

---

١ ـ ٤. اطلس شيعه، ص ٥١٠.
٥. انظر اطلس شيعه، ص ٥١٠؛ جبل عامل بين الشهيدين، ص ١١٢.
٦. انظر حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٣٩.
٧. انظر قصص العلماء، ص ٣٣٧؛ الصلة بين التصوّف والتشيّع، ج ٢، ص ١٣٤.
٨ و ٩. اطلس شيعه، ص ٥١٠.
١٠. الذريعة، ج ١٣، ص ١٠٨.

الشهيد وإنّما يروي عن بعض تلامذة الشهيد، كما تقدّم في آخر الفصل الثامن من الباب الأوّل.

١٢. يظهر من عوالي اللآلي (ج ١، ص ٧ و ٩) أنّ ابن العشرة يروي عن الشهيد. وهذا أيضاً سهو وإنّما يروي ابن العشرة عن بعض تلامذة الشهيد، كما تقدّم في آخر الفصل الثامن من الباب الأوّل.

١٣. عدّ المرحوم الشيخ محمّدرضا شمس الدين في كتابه حياة الإمام الشهيد الأوّل من الآثار المفقودة للشهيد كتاب جامع البين من فوائد الشرحين [١]. بينما هو موجود بحمدالله تعالى وذكرنا خمس مخطوطاتٍ له في الفصل الأوّل من الباب الثالث ذيل «جامع البين من فوائد الشرحين». وطبع ضمن هذه الموسوعة الشريفة لأوّل مرّة.

١٤. قال المرحوم الشيخ محمّدرضا شمس الدين في حياة الإمام الشهيد الأوّل في وصف غاية المراد من تأليفات الشهيد: «هو من الطهارة إلى أحكام الأيمان» [٢]. بينما هو تامٌّ وإلى آخر الفقه، كما هو واضح.

١٥. كتب المرحوم شمس الدين في حياة الإمام الشهيد الأوّل بشأن كتاب مسائل ابن مكّي ـ الذي ذكرناه بعنوان المسائل الفقهية ـ:

> «ألّفت سنة ٧٨٦ في السنة التي استشهد فيها وهي سنة ٧٨٦، فهي آخر مؤلّفاته، وأنّها توجد بخطّ الشيخ محمّد رضي الدين ابن الشهيد في المكتبة الرضوية، كما في فهرسها» [٣].

أقول: المسائل الفقهية من الآثار المفقودة للشهيد، والنسخة التي ذكرها المرحوم شمس الدين، هي ليست نسخة من مسائل ابن مكّي، بل هي نسخة من مسائل ابن طي، وتاريخ كتابتها ٨٧٨، وليس ٧٨٦، وليس كاتبها ولد الشهيد، كما بيّنّاه في الفصل الأوّل من الباب الثالث، ذيل المسائل الفقهية، وتاريخ تأليف مسائل ابن مكّي غير معلوم.

١٦. نسب بعضهم غاية المراد إلى الشهيد الثاني، بينما هو للشهيد الأوّل قطعاً.

١٧. زعم بعضهم أنّ تمهيد القواعد للشهيد الثاني هو تلخيص وتنظيم قواعد الشهيد

---

١. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٦٨.
٢. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٦٣.
٣. حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٦٨.

الأوّل. وهذا سهو قطعاً، كما مرّ في الفصل الأوّل من الباب الثالث ذيل القواعد والفوائد.

١٨. زعم بعضهم أنّ اللمعة هي آخِر ماصنّفه الشهيد. وهذا أيضاً سهو قطعاً. كما بيّنّاه في الفصل الأوّل من الباب الثالث ذيل اللمعة الدمشقيّة.

١٩. قال بعضهم: «إنّ الشهيد ألّف اللمعة في السجن في السنة الأخيرة من عمره الشريف». وهذا أيضاً خطأٌ كما مرّ في آخر الفصل العاشر من الباب الأوّل، وفي الفصل الأوّل من الباب الثالث ذيل اللمعة الدمشقيّة.

٢٠. قال الشيخ الحرّ العاملي رحمه الله: «... ألّف اللمعة الدمشقيّة في سبعة أيّام، وما كان يحضره من كتب الفقه غير المختصر النافع». نقل تأليفه في سبعة أيّام ولد الشهيد كما حكاه عنه الشهيد الثاني، أمّا أنّه ألّفه حينما لم يحضره غير المختصر النافع، فلم ينقله أحدٌ قبل الشيخ الحرّ فيما نعلم، ولم يذكره أحدٌ من تلامذة الشهيد ومعاصريه وولده، كما تقدّم في الفصل الأوّل من الباب الثالث ذيل اللمعة الدمشقيّة.

٢١. كتب الشيخ جعفر المهاجر (حفظه الله سبحانه ورعاه) في البحث عن تلاميذ الشهيد:

> إسماعيل الرازاني، و رازان قرية من قرى إصفهان، وأيضاً محلّة في بروجرد، مدينة إيرانية. فهو على الحالين إيراني بقدر ما تدلّ نسبته [١].

أقول: الظاهر أنّ الصواب «إسماعيل الزَراري» نسبة إلى «الزَرارية» بلدة في جبل عامل، فهو عاملي وليس إيرانياً، كما مضىٰ في الفصل الثامن من الباب الأوّل.

ثمّ اعلم أنّا ذكرنا في الفصل الخامس من الباب الثالث أخطاءً كثيرة وقعت في كتب التراجم حول نسبة بعض الكتب إلى الشهيد؛ فلا نعيدها، فراجع.

---

١. جبل عامل بين الشهيدين، ص ١٥٩.

الملاحـق

١. مختصر نسيم السحر

٢. رسالة ابن تيمية إلى السلطان

١. مختصر نسيم السحر

للشيخ شرف الدين محمّد مكّي بن محمّد من سلالة الشهيد الأوّل

(كان حيّاً ١١٨٦)

تحقيق ودراسة:

د. يوسف طباجة

أُستاذ في الجامعة اللبنانية

مقدّمة التحقيق

نسيم السحر في حياة الشهيد الأوّل من حين مولده حتّى قتل[1]، كتاب مخطوط نعتقد بأنّه من أهمّ السير العاملية المفقودة، التي تؤرّخ لحقبة أساسية وغاية في الأهمية من تاريخ جبل عامل، مسحوبة على أهمية الرجل، علماً ومركزاً ودوراً.

نقول هذا لأنّنا بمتابعتنا لسيرة الشهيد الأوّل وآثاره، نلاحظ الغموض الكبير للدور الذي اضطلعت به هذه الشخصية العاملية، والتي لا زالت إلى اليوم تحتلّ مركزاً كبيراً لا يزاحمها عليه أحد، باعتباره من كبار فقهاء الشيعة الإمامية عامة، وجبل عامل على وجه الخصوص.

و نظراً للقيمة العلمية العالية التي ارتقى لها من خلال مؤلفاته وتصانيفه المعروفة «في شتّى العلوم والفنون، وأنظاره الدقيقة، ومقترحاته العميقة»[2]. فهو «... أوّل من هذّب... الفقه عن نقل أقوال المخالفين وذكر آراء المبدعين...»[3]. «ومنح الفقه الشيعي شخصيته وهويته المستقلّة، وبسَّطه، وفتح أمامه آفاقاً رحبة وجديدة، وقدّم ابتكارات كثيرة، فبات فيه الفقه الذي صنّفه متميزاً عما سبقه من الفقهاء، وقد عدَّتْ مصنفاته الفقهية التي جسَّدَتْ خصوصياتِ مدرسته الفقهية من المصادر القيمة للفقه الشيعي»[4] والتي لا بدّ أن يعود إليها

---

١. تعرّفنا على اسم هذا الكتاب بذكر يتيم للشيخ محمّد رضا شمس الدين في كتابه: حياة الإمام الشهيد الأوّل مطبعة الغري، النجف ١٩٥٧م، ص ١٣ بقوله: «نسيم السحر في حياة الشهيد الأوّل من حين مولده حتّى قتل، للفاضل المحقّق الشيخ أحمد بن الوجيه أو الوحيد العاملي من قرية زبدين». انظر وقارن اسم الكاتب وقريته في الرسالة، ولاحظ الخطأ الذي وقع فيه الشيخ شمس الدين، ولعلّه نقله سماعاً... هذا إلى جانب ذكره أيضاً لكتاب آخر مفقود هو «تاريخ حياة الشهيد الأوّل وأحواله، لمؤلّف مجهول، وأحسبه لعاملي من تلامذة الشهيد ومعاصريه».

٢. راجع ما ذكره تلميذه ابن الخازن في هذه الرسالة وكذلك تلميذه الشيخ حسن بن سليمان الحلّي.

٣. المختاري، الشهيد الأوّل، حياته وآثاره، الفصل السادس من الباب الأوّل نقلاً عن خاتمة مستدرك الوسائل.

٤. المختاري، الشهيد الأوّل حياته وآثاره، الفصل السادس من الباب الأوّل.

المتخصصون والمهتمون. إلى ذلك فإنّه من المعروف، أنّ الشهيد الأوّل هو مؤسّس نظام جباية الخمس وتوزيع العلماء ـ الوكلاء ـ في المناطق، والمرتبطون بالفقيه نائب الإمام المتصدّي بالأُمة [١]، وكان لهذا العمل الفكري والثقافي والتنظيمي الذي نهض به الشهيد ومن خلفه فقهاء الشيعة إلى اليوم دور كبير في حفظ الأُمة ولحمتها وتواصلها، بالإضافة إلى نظريته في استخراج «النسبة بين الصحيح والمعيب» [٢]. وهناك نظريات عدة، وآراء مهمة، أدرجها في كتابه القيم غاية المراد في شرح نكت الإرشاد [٣].

هذا من جانب، أما الجانب الآخر فهو الدور الذي لعبه الشهيد عملياً في التأسيس لمشروع سياسي / نهضوي، اجتماعي، ثقافي، اقتصادي / تنموي. ساهم إلى حدّ كبير بطبع المجتمع العاملي بطابعه وإلى اليوم، وشكّل بالتالي لا بل رسم لعلماء جبل عامل خطوطاً ورسوماً اتّبعوها في أغلبيتهم، نذكر على سبيل المثال صنوه الشهيد الثاني (م ٩٦٦) وبينهما العلّامة الكركي (م ٩٤٠هـ) المعروف بالمحقّق الثاني [٤].

تأسيساً على ما تقدم، تتجلّى أهمية هذه الرسالة باعتبارها «مختصر من كتاب نسيم السحر» [٥] المتقدّم ذكره، ولتكشف عن تفاصيل جديدة في حياة الشهيد الأوّل، بعد أن تؤكّد على حقائق معروفة عن دوره وحضوره ومكانته في بلاد الإسلام عامة، وبلاد الشام بشكل خاص [٦]، ومنها علاقته بعليّ بن مؤيّد حاكم خراسان (م ٧٨٨)، من حين كان الشهيد يتتلمذ بالحلّة، أوائل خمسينات القرن الثامن الهجري، واستمرت إلى حين استشهاده [٧].

---

١. المختاري، الشهيد الأوّل، الفصل السادس من الباب الأوّل. ونشير هنا إلى قتل رفيقه عرفة في طرابلس عند قتل الشهيد في الشام. راجع المختاري، الشهيد الأوّل، الفصل السادس من الباب الأوّل، والفصل العاشر من الباب الأوّل.

٢. يوسف طباجة: الشهيد الأوّل ومشروعه... العرفان، م ٨٠ العددين ٣ و ٤، ص ١٢١.

٣. المختاري، الشهيد الأوّل، الفصل السادس من الباب الأوّل.

٤. عن الشهيد الثاني وصلته بمشروع الشهيد الأوّل، وكذلك العلّامة الكركي راجع أُطروحتنا للدكتوراة في الجامعة اللبنانية عام ١٩٩٣م كذلك حياة العلّامة الكركي ضمن مجموعة: حياة المحقّق الكركي وآثاره.

٥. يبدو أنّ هذه الرسالة هو جزء من مجموع لكاتبه كما هو مبيَّن في آخره.

٦. لاحظ في سيرة الشهيد عن وكيله في طرابلس والذي قتل معه... راجع دراستنا في مجلّة العرفان، م ٨٠.

٧. سجّلت هذه الرسالة ثلاث مراسلات آخرها عندما حضر محمّد الآوي وحصل على اللمعة الدمشقيّة وكتاب في الآداب السلطانية غير معروف وهناك وثيقة هي وصية الست فاطمة ابنة الشهيد تبيِّن مدى العلاقة عندما تذكر «القرآن المذهب» هدية عليّ بن مؤيّد. راجع دراستنا في العرفان، م ٨٠ عدد ٣ و ٤، ص ١٠١ وص ١١٩.

ونستنتج من سياق ومضمون الرسالة أنّه في هذه الفترة من الإقامة بالحلة حصل أوّل اتصال لعلي بن مؤيّد بالشهيد. ويعزّز قولنا هذا إنّه في هذا العام وبحسب المخطوطة، وما هو معروف، أنّ الشهيد توجه إلى بلد الله الأمين حاجّاً حيث أجازه ابن جماعة [١] في المدينة يوم السبت ٢٢ من ذي الحجّة ٧٥٤[٢]. ثمّ علاقته برجال السلطة المملوكية ومنهم السلطان برقوق (م ٨٠١) الذي أطلق يد الشهيد في بلاد الشام على أنّه «الفاضل المعظم لدينا والصادق المحق. أنت تاج الشريعة ومنهاج وسراج الحقيقة» [٣].

الشهيد الأوّل وأرباب السلطة (منجك و بيدمر و برقوق)

ذكرت بعض المصادر أنّ منجك ويلبغا وستدمر وبيدمر هم إخوة [٤]. ومن خلال متابعتنا لسيرة هؤلاء الإخوة تبيّن لنا الدور البارز الذي اضطلعوا به. وفيه أنّ يلبغا كان نائباً للسلطان في العام ٧٥١ بمصر، وأخوه منجك وزير المملكة، حيث وصفه ابن كثير:

> منجك هو وزير المملكة، وأُستاذ دار الاستدارية، وهو باب الحوائج في دولتهم، وإليه يرجع ذوو الحاجات بالذهب والهدايا [٥].

وفي العام ٧٥٢ حصلت خلافات بدار السلطنة بمصر عزل على أثرها الملك الناصر، وولي أخوه الملك الصالح، الذي يبدو أنّه سجن حاشية أخيه ومنهم الإخوة الثلاث. وفي العام ٧٥٥، عاد الملك الناصر إلى السلطنة في ٢ شوال، وفي ١٩ منه دخل منجك دمشق متوجهاً إلى نيابة طرابلس، بعد أن مضى مدة في صفد باطلاً. وبقي في نيابة طرابلس إلى العام ٧٥٩. وفي يوم الخميس ٢٤ جمادى الآخرة دخل منجك دمشق نائباً للسلطان بدلاً من المارداني، وبين يديه الأُمراء على العادة، وقدَّمت له الشموع، وخرج الناس ومنهم بات

---

١. هو قاضي القضاة عزّ الدين عبد العزيز بن محمّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي (م ٧٦٧ بمكّة مجاوراً) بعد أن ترك القضاء باختياره. لاحظ الثناء عليه في ابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ١٣٢ وهو عمّ قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة. راجع بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ١٠٦.

٢. المختاري، الفصل السابع من الباب الأوّل.

٣. راجع في هذه الرسالة.

٤. راجع ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٢٦٨ و ٣٠٤.

٥. البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٢٧١.

على الأسطحة وكان يوماً هائلاً[١]. وفي هذه الفترة عزل القضاة الثلاثة بدمشق ومن بينهم ابن جماعة ثمّ أُعيد إليها[٢].

الأحد ٢ ذي الحجّة ٧٥٩ عزل منجك عن دمشق إلى صفد. وعاد المارداني إلى دمشق، ثمّ طلب منجك في العام ٧٦٠ إلى السلطان، لكنّه فرّ في الطريق، ثم اعتقل ومثل أمام السلطان الذي أنعم عليه بأمرية أربعين[٣]. في الشام التي كان أخوه بيدمر الحاجب[٤] يقوم بأعباء الأمر بعدما مسك نائبها المارداني، وليدخل سيف الدين استدمر (أخاهم الثالث وابنته زوجة السلطان) نائباً على دمشق في صبيحة الإثنين ١١ شعبان ٧٦٠ يعضده بيدمر الذي كان صاحب الحجاب في هذه الفترة[٥].

في العام ٧٦١ مسك منجك متخفياً في دمشق حوالي سنة متنكراً، ثمّ أرسل إلى السلطان الذي عفا عنه وخلع عليه[٦].

وصبيحة الأربعاء ٢٥ رجب ٧٦١ قبض على نائب السلطنة استدمر وعزل إلى طرابلس، وعيّن للنيابة بيدمر النائب في حلب[٧]. ووصل في شعبان وتسلم دمشق «ودخلها بأُبّهة وفرح به المسلمون لشهامته وصراحته، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر»[٨]، ثمّ أرسل وراءه السلطان إلى مصر فكرّمه وبجلّه وعاد إلى دمشق بأُبهّة هائلة ورياسة طائلة[٩].

في العام ٧٦٢ بدئ سلطنة الملك المنصور الذي اعتقل الأُمراء الثلاثة (الإخوة) وعين المارداني على دمشق. والخميس ٩ شوّال بعد المغرب حمل ١٩ أمير من الأتراك والعرب،

---

١. راجع ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣٠٠ ـ ٢٨٦؛ ابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٥٧٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٢٠٨.
٢. لاحظ ابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٥٦٧.
٣. أمرية أربعين: وظيفة.
٤. الحجوبية: وظيفة ينصف صاحبها بين الأُمراء والجند... راجع القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٩ ويكون الحاجب نائب الغيبة عندما يخرج النائب. القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٢٣.
٥. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣٠٤ و ٣٠٦.
٦. راجع ابن كثير، ج ١٤، ص ٣٠٧؛ وابن تغري بردي، النجوم، ج ١، ص ٢١٠؛ والمقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٥٣.
٧. راجع حملة بيدمر الناجحة في بلاد سيس، في ابن كثير، البداية، ج ١٤، ص ٣١٠؛ ابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١ ص ٥٦٨، المقريزي، السلوك، ج ٣ ص ٥٠.
٨. راجع ابن كثير، ج ١٤، ص ٣١٢.
٩. ابن كثير، ج ١٤، ص ٣٢٤.

منهم بيدمر ومنجك واستدمر، وساروا إلى الديار المصرية مقيّدين [١].

في أحداث العام ٧٦٤ يورد ابن كثير قصيدة لأحد الشعراء يصوّر الحالة في دمشق فيقول:

دخـــول دمشـق يُكْسِـبنا نـحولاً كأنّ لهـــا دخـــولاً فـــي البـرايـا
إذا اعتاد الغـريبُ الخـوضَ فـيها فأيســـر مـــا يـــمُّر بـــه المـنايا

إلى ذلك يصف الشهيد الأوّل الحالة في دمشق بقصيدة تشابه المضمون أعـلاه ولعـلّها نظمت في نفس الفترة فيقول:

دِمشقَ دِمَشقَ فلا تأتِـها وإنْ غرّك الجامع الجامعُ
فَسوقُ الفُسوقِ بها قائم وفَجْر الفُجور بها طالع [٢]

وفي هذه الحقبة، يبدو أنّ الفتنة المذهبية بسفاسفها قد استشرت وانتشرت، ولوحق أهل الشيعة بأوامر سلطانية وفتاوى سياسية مصدرها العـصبية دون العـقيدة. فـهذا ابـن كـثير يتحدّث عن قتل وحرق علماء من الشيعة يسمّيهم الروافض. منهم الشيخ حسن السكاكيني (م ٧٤٤) [٣]. وثلاثة تتشابه طريقة قتلهم وحرقهم بما فعل بالشهيد وهم: عثمان بن مـحمّد المعروف بابن دبادب الدقاق (م ٧٦١) [٤]. والثاني هو الشيخ عليّ بن أبي الفضل (م ٧٥٥) [٥]. والثالث هو محمود بن إبراهيم الشيرازي (م ٧٦٦) [٦]. «وفي شهر الله الحـرام (٧٦٦) رسـم نائب السلطنة [بدمشق] بتخريب مشغرا وتلبتاثا» [٧].

---

١. راجع ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص٣٢٦ ـ ٣٢٩.
٢. راجع يوسف طباجة، الشهيد الأوّل ومشروعه السياسي، العرفان، م ٨٠ عدد ٥ و٦، ص ٥٧.
٣. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٢٤٤؛ راجع ترجمة السكاكيني في الأمين، أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٦٢٨؛ العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٣٤؛ الأميني، شهداء الفضيلة، ص ٧٣.
٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣١٢.
٥. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣٥٤؛ العسقلاني، الدرر، ج ٤، ص ٣٢١ وترجمته؛ الأميني، شهداء الفضيلة، ج ٣، ص ٣٤ وص ٨٣.
٦. ابن كثير، ج ١٤، البداية والنهاية، ص ٨٠ وغيرهم. راجع يوسف طباجة، الشهيد الأوّل ومشروعه السياسي، العرفان، م ٨٠، عدد ١ و٢، ص٥٣.
٧. المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ٣٠٢ ومن المعروف أنّ «مشغرة» هي من قرى جبل عامل، وهي مقدّمية كـ«جزّين»، يملكها المقدمون الشيعة آل صبح، وقد خرج منها العديد من الفقهاء ومنهم الحرّ العاملي صاحب الوسائل. و«إنّ مقدمي جزّين كانوا على تعاون تام مع مقدمي مشغرة». راجع بولياك: الإقطاعية في مصر وسوريا ولبنان، ص ٤٥ وما يليها.

إذن، في العام ٧٦٦ صبيحة يوم الثلاثاء ٢٧ شعبان قدم الأمير بيدمر. فنزل بداره عند مأذنة فيروز، وذهب الناس للسلام عليه بعدما سلّم على نائب السلطنة بدار السعادة، وقد رسم له بطلبخانتين (فرقة موسيقية)، وتقدمة ألف وولاية الولاة من غزّة إلى أقصى بلاد الشام. وأكرمه ملك الأُمراء إكراماً زائداً، وفرحت به العامة بذلك فرحاً شديداً بعودته إلى الولاية[١].

في العام ٧٦٧ تحرك بيدمر بواسطة وزير السلطنة بمصر يلبغا استعداداً لغزو قبرص وبذلك شرع في بناء السفن في بيروت، ما استدعى النجّارين وكل من له صلة بهذه الصناعة[٢].

ثمّ تتوالى الأحداث، فيعتقل بيدمر وينفى إلى طرسوس في العام ٧٦٩، ويعيّن مكانه منجك من طرابلس في العام ٧٧٥. لينقل الأخير إلى مصر ليتولّى النيابة المطلقة، ويفوّض إليه الولاية والعزل في سائر المراتب السلطانية، من الوزراء والخواصّ والقضاة والأوقاف وغيرها لكن الأجل وافاه في آخر العام ٧٧٦[٣]. ثمّ تتوالى الأحداث فنجد أنّ بيدمر تولّى نيابة دمشق، وسائر وظائف الدولة وممالك الشام، قبل وبعد العام ٧٧٩ لتتعزّز مواقعه أكثر عند وصول السلطان برقوق إلى السلطنة واستخلصه على الشام كما مرّ معنا سابقاً[٤].

والجدير ذكره هو أنّ برقوق كان من مماليك الأمير يلبغا العمري، ولمّا قتل الأخير في ٩ ربيع الآخر ٧٦٨ سجن برقوق في الكرك مدة، ثمّ أُفرج عنه وصار إلى دمشق، فخدم عند نائبها منجك، حتّى طلب إلى مصر وصار أمير كبير، ثمّ السلطان. وعليه نرى أنّ علاقة ودٍّ واحترام كانت بين الشهيد الأوّل والأمير منجك، ثمّ سنلاحظ أنّ مثل تلك العلاقة هي أيضاً مع برقوق كما تظهره الرسالة، لنصل إلى القول: إنّه ربما انسحبت هذه العلاقة منذ وجود برقوق في دمشق بخدمة منجَك، حيث تعرَّف على شخصية الشهيد وجديتها لا بل رصانتها[٥]...

---

١. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣٥٦ للمقارنة، وعن الصورة المعاكسة لشخص بيدمر، انظر ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص٤٧٨ و ٤٧٩.
٢. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص٣٦٢ و٣٦٤؛ ولاحظ صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص١٠٢.
٣. ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٤٥٩ ـ ٤٦١.
٤. ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص٤٧٨.
٥. راجع المقريزي، السلوك، ص٤٧٦؛ وابن أياس، النجوم الزاهرة، ص٣١٨.

وينسحب هذا الموقف على تلبية فتوى الشهيد بالقضاء على حركة «اليالوشي»، المرتدّ في جبل عامل، ومدعى النبوة. فكان أنْ جهّز نائب دمشق ـ ملك الأُمراء [١] ـ بيدمر الخوارزمي [٢] ... «والشأم له» [٣]، وبأمر من السلطان برقوق، حشداً كبيراً من العسكر السلطاني حضر على رأسهم بيدمر، الذي توضح الرسالة أنّ علاقة جيّدة كانت تربطه بالشهيد كون بيدمر كان من حاشية السلطة ومتولّيها، خصوصاً في دمشق، إلى جانب نائبها «منجك اليوسفي» (م ٧٧٦) منذ العام ٧٥٩ [٤]. يعاضده الشهيد بما حشده من رجال القرى والدساكر العاملية المجاورة لجزين بمساعدة تلامذته [٥] ... حيث تمّ القضاء على تلك الحركة المرتدّة بقتل زعيمها بيد الشهيد شخصياً.

وتوضح هذه الرسالة أيضاً، أنّ الشهيد اعتقل واستنجد بالسلطة المملوكية مراراً. منها أيّام الأمير منجك (م٧٧٦) كما تظهره قصيدته الرائية الموجَّهة للأمير بيدمر. وكذلك القصيدة التي وردت في هذه الرسالة والتي مطلعها:

أيا بيدمر يا مالك الناس رحمة أجِرْني من القوم الوُشاة الأعاديا

فقد تبيّن لنا من خلال البحث والتحقيق مثلاً: أنّ سجنه فترة السنة، تقع أو توزّعت ما بين العامين (٧٨٢ و ٧٨٣) والدلائل هي:

أنّ كاتب «نسيم السحر» الشيخ البتدّيني، قد استخدم طريقة حساب الجمل في التاريخ للوقائع والحوادث، الأمر الذي يبدو أنّ المُخْتَصِر، صاحب هذه الرسالة الشيخ شمس الدين،

---

١. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص٣٢٣؛ وصالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٢١. إنّ نوّاب الأقاليم الكبرى مثل دمشق وحلب وطرابلس، فإنّ أحدهم كان يسمى أحياناً «ملك الأُمراء»، لكن إبن فضل الله العمري يرى أنّ هذا اللقب لا يطلق بحق إلّا على نائب دمشق نظراً لأهميّتها. راجع العمري، مسالك الأبصار دولة المماليك الأُولى ص ١١٥.

٢. ابن طولون، أعلام الورى، ص٢٥ ويمكننا رصد سيرة هذا الرجل في البداية والنهاية، ج ١٤ لابن كثير، والسلوك للمقريزي، ج٣؛ وبدائع الزهور لابن أياس، ج ١؛ وتاريخ ابن خلدون، ج ٥ ص٤٧٦.

٣. ابن خلدون، العبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، ج ٥، ص ٤٧٩.

٤. ابن طولون، أعلام الورى، ص٢٢؛ وكذلك يمكن رصد سيرة هذا الرجل في البداية والنهاية، ج ١٤؛ والسلوك أيضاً، ج٣؛ والبدائع، ج ١؛ وذكرت بعض المصادر أنّ منجك ويلبغا وستدمر وبيدمر إخوة لاحظ البداية والنهاية، ج ١٤، ص٢٦٨ و٣٠٤.

٥. لاحظ في الرسالة قول الشيخ محمّد الوحيد البتدّيني صاحب نسيم السحر: ««كنّا معه» يوم الحملة على اليالوشي...».

لم ينتبه له. فمثلاً أرّخ لعام اعتقال الشهيد في القلعة بـ«خوفاً منه»: (خوفاً: ٦٨٧) + (منه: ٩٥) =/ ٧٨٢ وما بيّنّاه نؤكّد عليه بعدة دلائل منها:

أنّه في أثناء اعتقال الشهيد جاءت مراسلة ابن مؤيّد، وحضر سفيره ابن الآوي، الذي وجد الشهيد سجيناً أو في الإقامة الجبرية حسب ما نراه ونلاحظه.

وحيث إنّ الرسالة تبيِّن أنّ «ابن الآوي» قدم على الشهيد «في أوّل الشهر الثاني عشر أي ذي الحجّة». وأنّ الشهيد لم يستغرق في كتابة اللمعة سوى سبعة أيّام، وكتاب آخر في الآداب السلطانية على نهج كتب سراج أو نصائح الملوك أو مرايا الأُمراء ستّة أيّام، أي «... في اثني عشر يوماً...». وأنّ الشهيد الثاني ذكر: «أنّ تأليف اللمعة كان في العام ٧٨٢»[١]. لنقرّر أنّها أي اللمعة كتبت في آخر هذه السنة، وتحديداً شهر ذي الحجّة الذي قدم «ابن الآوي» في أوّله. هذا وإنّ تحركاً لأهل جزّين بالمشاركة في يوم عزاء شهاب‌الدين بن زين الدين بن صالح ... كان سيّداً من سادات الناس، ذا عقل وعلم ودين، جمع محاسن كثيرة منها الكتابة الجيدة، والبلاغة ونظم الشعر والذكاء، وحسن النظر في الأُمور ومحبة أهل العلم، واشتغل في علم النحو ومعرفة الكواكب... المتوفّى في الرابعة من نهار السبت الحادي عشر من شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة (٧٨٣) وفي هذا نرجّح بأنْ يكون الشهيد هو من كان على رأس تحرك أهل جزّين للمشاركة في هذا العزاء، لما لهذا الرجل من صفات علمية ودينية، لعلّها كانت السبب في علاقته ومعرفته بالشهيد، وكون شهاب الدين هذا أيضاً كانت تربطه علاقة جيدة بنائب دمشق «بيدمر» حيث يقول صالح بن يحيى:

> وسمعت أنّه حضر عند المير بيدمر نائب الشام يوماً، والمجلس حافل بالأُمراء والأعيان؛ فشكره بيدمر بقوله: «لا يكتب مليحاً ويرمي نشاباً مليحاً وهو رجل جيّد والسلام» وسمعت أنّ شهاب الدين المذكور كان يعمل طومير وسبكات ويقدِّمها لبيدمر، فيفرِّقها بيدمر على مماليكه ومن حضر عنده ...[٢].

والدليل الآخر هو أنّ بيدمر الخوارزمي في هذه الفترة التاريخية (٧٨٢ ـ ٧٨٣) كان

---

١. الشهيد الثاني، شرح اللمعة، ج ١، ص ٢٤.
٢. صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١٠٨.

بمصر (معتقلاً أو مبعداً) بعيداً عن الشام، وأنّه علم بحال الشهيد بواسطة أحد «معتمدي أهل الشام»[١] لبعده عنها[٢] وأنّ هذه القصيدة أرسلت له كنداء استغاثة. وهنا نسأل: هل كان أحد أسباب اعتقال الشهيد أو إقامته الجبرية لسنة يعود لعلاقته ببيدمر؟ ومعلوم من المصادر التاريخية أنّه توفي السلطان الناصر في صفر ٧٨٣، فحضر الأمير برقوق الذي كان له اليد الطولى في دار السلطنة، إذ أنّه حال الوفاة استدعى برقوق الأُمراء، واتفقوا على نصب أخيه «أمير حاج» ولقّبوه الصالح... وجعل الأمير برقوق كافله لصغر سنّه، الأمر الذي هيّأ للأخير خلع السلطان الصالح أمير حاج، وجلوسه على التخت، واستبداده بالسلطان ذي القعدة (١٩ شهر رمضان)[٣] أي أواخر عام ٧٨٤. واستخلص برقوق «بيدمر» وولّاه «الشام له»[٤].

وأيضاً توضح هذه الرسالة أنّ فتنة «اليالوشي» وقعت في العام ٧٨٣، ونرجّح أنّها كانت بعد جلوس برقوق على تخت السلطنة في ١٩ شهر رمضان عام ٧٨٤، وإطلاقه ليد «بيدمر» والشهيد على السواء في الشام[٥] كما بيّنّا أعلاه، لنقول: إنّ أحداث هذه الفتنة دارت وتمّ القضاء عليها بقتل زعيمها في العام ٧٨٥، باعتبار أنّ بعض كتب ومؤلّفات الشهيد تدلّنا على أنّه كان طليقاً و قد تفرّغ للتأليف والكتابة والتدريس في العام ٧٨٤[٦]. وهذا ما يظهره تاريخ

---

١. معتمدي: أي رؤساء أو متنفذي....

٢. وتشير بعض الروايات التاريخية أنّ بيدمر كان معتقلاً... (اعتقل في ١٨ ربيع الآخر سنة ٧٨٢ وأُفرج عنه في ٢٤ شعبان منها) في بداية اعتقال الشهيد. (راجع المقريزي، السلوك، حوادث سنة ٧٨٢، ج ٣، ص ٣٨٨ وص ٣٩٤ وص ٣٩٦) وأنّ أشقتمر الماردیني هو نائب الشام. المقريزي، م.س.ن، ص ٣٨٩ وص ٤٤٢؛ وابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٢٦٥ وص ٢٨٨ (حوادث سنة ٧٨٣)؛ والجدير ذكره أنّ بيدمر كان أُعيد إلى نيابة الشام في ٢ محرم ٧٨٢، السلوك، ص ٣٧٧؛ وبدائع الزهور، ص ٣٢٥٣ ثمّ عزل عنها واعتقل في ثغر دمياط بمصر إلى ١١ محرم ٧٨٤ هـ؛ السلوك، ج ٣، ص ٤٦٥؛ بدائع الزهور، ص ٣٠٢ حيث أُفرج عنه وأُعيد إلى نيابة الشام في ٢ صفر ٧٨٤ عوضاً عن اشتقمر، ثمّ ليعزل عنها لصالح كُمُشبُغا الحموي في شعبان ٧٨٤هـ ليصبح ملك الأُمراء في الشام بعد تولي برقوق السلطنة، راجع السلوك، ج ٣، ص ٤٧٣ و٥١٣ (في ١٣ ربيع الأوّل ٧٨٦هـ خلع عليه... وطلع... بتقدمة جليلة)؛ وبدائع الزهور، ص ٣٠٨ و٣٤٤؛ وتاريخ ابن خلدون، ص ٤٧٨؛ ولاحظ صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٢١ و١١١.

٣. ابن خلدون، العبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، ج ٥، ص ٤٧٢ ـ ٤٧٩.

٤. المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٤٧٧؛ وابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٠٩.

٥. المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٤٦٥؛ وابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٠٢.

٦. حول مؤلّفات الشهيد. راجع رضا المختاري، الشهيد الأوّل، حياته وآثاره، الباب الثالث.

انتهائه من كتابة ذكرى الشيعة في ٢١ صفر ٧٨٤ و الدروس الشرعيّة في ١٢ ربيع الآخر ٧٨٤ و إجازته لابن الخازن بدمشق في ١٢ شهر رمضان ٧٨٤. وأنّه كان في الحجّ ذي الحجّة ٧٨٤ بحسب قصيدته الرائية التي كتبها قبيل استشهاده، وبعد المكيدة التي دبرت له ووضحها فيها.

إلى ذلك، توافي قصيدة الشهيد الرائية المشهورة الأحداث المذكورة في آخر هذه الرسالة، لجهة المكيدة التي دبّرت له، والتي أدّت إلى قتله. فقد نظمها الشهيد بأبيات تصوِّر حاله وحياته التي كانت مليئة بالمخاطرة والمثابرة معاً، ولكنّنا لا نعرف لماذا لم يوردها الشيخ شمس الدين على أهميتها، ضمن بعض القصائد التي ختم بها رسالته، وهذه من المآخذ عليه والتي أدّت إلى اضطراب المعلومات وعدم تناسقها.

وحقيقة الأمر أنّ هذه الرسالة تكشف عن قصيدة أُخرى هي على نسق القصيدة الرائية، ولكنّها غير معروفة، يستنجد بها الشهيد أيضاً بـ«بيدمر»، ويطلب منه فيها المساعدة ضدّ الوُشاة. معرِّفاً نفسه كفقيه وأديب لغوي وشاعركما عهده بيدمر، ويبدو أنّ مناسبة هذه القصيدة كانت غير تلك، وقد كتبها الشهيد في إحدى الملمَّات التي أوقعه فيها حساده ومعارضيه بحسب مضمونها والذي مطلعها «أيا بيدمر» يدلّ على المدح.

أمّا القصيدة الرائية، فيبدو أنّها كتبت في آخر مُلمَّة نزلت بالشهيد، حيث تتطابق مع ما جاء في الرسالة ومضمون الاتّهام المساق له زوراً وبهتاناً حيث يقول فيها:

يا أيّها الملك المنصور بيدمر ... بكم خوارزم والأقطار تفتخر
إنّي أُراعي لكم في كلّ آونة ... وما جنيت لعمري كيف أعتذر؟

هذا المطلع «يا...» يؤكد على صرخة واستنجاد ليست الأُولى، وفي كلّ مرّة يكون فيها بريء، لذا يطلق الشهيد حيرته عمّا يعتذر متعجباً ومستفهماً ليقول:

لا تَسْمَعَنْ فيّ أقوالَ الوُشاة فقد ... باؤوا بزورٍ وإفكٍ ليس ينحصر
والله والله أيماناً مؤكَّدة ... إنّي بريء من الإفك الذي ذكروا[1]

١. هذا ما أشار إليه السيّد محسن الأمين في أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦١ في تعليقه على القصيدة بقوله: «إنّه كان قد وشي بالشهيد إلى الأمير منجك قبل هذا فلم يقبل الوشاية، وأنّ الأمير حاجب وأُستاذ الدار كانا يعلمان ذلك، وأنّه كان يحجّ في كلّ سنة... وكان أمير الحجّ محمّد [شاه] بن بيدمر، وأنّه كان له خلطة مع أرباب السلطنة وأركان الدولة».

بعد أنْ ينعت خصومه بالوُشاة الكاذبين تماماً كما في مطلع القصيدة الواردة في الرسالة، يطلق الشهيد أيماناً مغلَّظة بالله تعالى على أنّه بريء مما هو متّهم به، وهذه المرة لجهة العشرة المبشَّرين بالجنّة ـ موضوع ما ورد في الرسالة بشأن التهمة وربّما كانت تهمة الشهيد حول العشرة المبشرين بالجنة تلاحقه قبل أنْ تدبّر له المكيدة الأخيرة ـ ليستعين بالأبيات الخمسة التالية للسيّد أحمد بن محمّد الحافي الحسيني الشافعي الواردة في التبر المذاب في منقبة الآل والأصحاب [1]. فيكمل الشهيد بالقول:

عقيدتي مخلصاً حبّ النبيّ ومن ... أحبه صحاب كلهم غرر
يكفيك في فضل صدِّيق وصاحبه ... فاروقه الحق في أقواله عمر
جوار أحمد في دنيا وآخرة ... وآية الغار للألباب تعتبر
والخير عثمان والمنعوت حيدرة ... وطلحة وزبير فضلهم شهر
سعداهم وابن عوف ثمّ عاشرهم ... أبو عبيدة قومٌ بالتقى فخروا

وبعد ذكره العشرة المبشرين بالجنة على هذا النحو، يذهب الشهيد ليعاود التعريف عن نفسه كفقيه، وفق قصيدته الواردة في الرسالة تشبيهاً بالمتنبي في قصيدته الشهيرة التي يقول فيها:

الخيل والليل والبيداء تعرفني ... والسيف والرمح والقرطاس والقلم

والشهيد في بيت واحد يقول:

الفقه والنحو والتفسير يعرفني ... ثمّ الأُصولان والقرآن والأثر

بعد ذلك يذكر الشهيد فضل من سبق له أن وقف معه وقفة حقّ في ملمة مشابهة، وهذا المنوّه عنه هو الأمير سيف الدين «منجك اليوسفي» (م ٧٧٦) [2] من كبار الأُمراء في تلك المرحلة (ملك الأُمراء) [3] الذي تولّى الوزارة بمصر ونيابة الشام وصفد وطرابلس وغيرها كما أشرنا سابقاً. وتدلّ القصيدة على أنّ منجك كان منصفاً للشهيد ويحترمه ويجلّه، ورادعاً

١. الخوانساري، روضات الجنّات، ج٧، ص١٨ ـ ٢١. ولعلّ الشهيد في تضمين قصيدته لهذه الأبيات أراد إثبات «شافعيته» التي كان يتظاهر بها في دمشق؟

٢. ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٤٦١؛ والمقريزي، السلوك، ج٣، ص ٢٢٥؛ وابن أياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ١٤٩.

٣. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣٢٣.

لخصومه وللواشين عليه حيث يقول مخاطباً بيدمر:

فكن كـ«منجك» بَلَّ اللـه أعْـظُمَه وزادك اللـه عـزاً ليس يـنحصر
أتـى إليـه رواة السـوء إذ أفكـوا فحين حقق أرداهم بـما ذكـروا[١]
أمير حـاجب نـجل العسكـري له من ذاك خبر فسله يُعرف الخبر[٢]
واللـه مـا مسـنى مـنه مـقابلة بالسوء كلا ولا خسرت ما خسروا
لأنّـني وإله العـرش مـفتقر إلى نـقير وقـطمير له خـطر[٣]
لا أسـتغيث مـن الضـراء يـعلم ذا ربـي وأسـتار دار ظـل يـدكر[٤]

بعد هذا يصل الشهيد بقصيدته إلى الطلب بالإنعام عليه، ليغنم دعاءه بالسرّ. باعتبار أنّ الدعاء سرّاً أفضل الأعمال المستجابة، فيقول:

فامنن أميري ومخدومي على رجل واغنم دعائي سراراً بـعد إذ جـهروا

ثمّ في هذه الأسباب الأخيرة يشير الشهيد إلى قضية اشتهر بها، وهي حجّه إلى البـيت الحرام في كلّ عام، بحسب ما جاء في الرسالة، ليقول:

فـي كـلّ عـام لنـا حـج وكـان لنـا في خدمة النجل في ذي العام مختصر[٥]
ثـمّ الصـلاة عـلى المـختار سـيدنا والآل والصـحب طـرّاً بـعده زمـر

---

١. أفكوا: الإفك: الكذب.
٢. أمير حاجب: وظيفة يتولّاه أمير ينصف بين الأُمراء والجند، والتحقق من تنفيذ أوامر السلطنة بإقامة العدل عند الفصل في المخاصمات، ويكون نائب الغيبة عندما يخرج النائب. صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٩ وص ١٨٥.
لا شكّ أنّ الشهيد يشير على أحد الأُمراء الممكن معرفة اسمه إذا دققنا في المصادر التاريخية، وهذا ما يـعيننا على معرفة تاريخ الحادثة بالتحديد.
٣. نقير: النقرة الصغيرة في ظهر النواة. أي لا يساوي شيء. (لسان العرب. مادة: نقر) وهوبالأساس مصطلح قرآني ورد في سورة النساء الآية ٥٣ ﴿لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ وفي الآية ١٢٤ ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ قطير: القشـرة الرقيقة على النواة كاللفافة لها، والمعنى: الشيء الهين الحقير (لسان العرب. مادة: قطر) أيضاً هو مصطلح قرآني ورد في الآية ١٣ من سورة فاطر ﴿... وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾.
وهنا يقصد الشهيد أنّه بريء إلى مستوى تلك المسائل البسيطة الحقيرة التي لا تذكر.
٤. يشير الشهيد إلى أنّه من الصابرين المحتسبين لا تهمّه الضراء: أي الشدائد... التي يبدو أنّه قد ألفها.
٥. ورد اسم النجل مرّتين، ولا ندري أأنّه نجل بيدمر أو هو لقب أم رتبة إقطاعية، ولعلّ الأوّل هـو المـرجـح كـما سيتوضح أدناه، والأمر الأهم الذي نوضحه هنا هو أنّ الشهيد كان حاجّاً في العام ٧٨٤ وليس العام الذي قتل فيه (يوم الخميس ٩ جمادى الأُولى ٧٨٦ هـ أي قبل ذي الحجّة بستّة أشهر).

محمّد شاه سلطان الملوك بقي ممتعاً بحماكم عمْرُه عمُرُ [١]

خدمة المملوك المظلوم شمس الدين محمّد بن مكّي الشامي [٢].

وتوضح لنا الرسالة أيضاً أنّ الشهيد حاول مراراً إنهاء ظاهرة اليالوشي، سلماً وبالحوار، لتكشف لنا أنّه وفي إحدى جولات الحوار قتل اليالوشي خمسة وثلاثون رجلاً من الفريق الذي أرسله الشهيد إلى اليالوشي، بغية إقناعه وردعه عما هو فيه، وكان على رأس هذا الفريق ولده الشيخ عليّ، وهؤلاء القتلى هم الذين تعرف قبورهم بقبور الشهداء [٣]، وأنّ القضاء بالنهاية على حركة أو ظاهرة اليالوشي لم تكن بمعركة هُيئ وحُشد لها من الجيوش والرجال، ولكنّها انتهت بقتل زعيمها اليالوشي على يد الشهيد نفسه. وهذا خلاف ما هو سائد ومتداول في المصادر والمراجع التي تحدثت عن إنهاء حركة اليالوشي.

ولكن هناك ملاحظتان نودّ أن نذكرهما هنا وهما:

أوّلاً: إنّ معركة ما حصلت في النبطية الفوقا في تلك الحقبة التاريخية، ودفن في ذلك المقام محمّد شاه ابن بيدمر. كون البناء يعود إلى العصر المملوكي... وهناك بعض الروايات الشعبية تدور حول هذا الموضوع ولكن بشكل مشوش جداً كنا قد أوردنا بعضاً منها دراستنا في العرفان.

ثانياً: إنّ الشهيد ومكانته وإمكانياته العلمية، وعلاقته الجيدة برجال السلطة المملوكية وعلى رأسهم السلطان برقوق ورجلين من أهمّ رجالات دولة المماليك في تلك الحقبة وهما منجك وبيدمر وطول باعه، هي التي أدّت إلى اختراق قواعد النظام الإداري الإقطاعي

---

١. محمّد شاه: هو ابن بيدمر، وهذا ما صرّح به ابن خلدون أثناء حديثه عن «... وقعة بيدمر». راجع ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٥، ص ٤٨٧ وحول هذا الاسم تدور عدة علامات استفهام واستفسار، والإشكالية هي أنّه يطلق على المسجد أو بالأحرى المقام الموجود في النبطية الفوقا (مسجد محمّد شاه) وعليه أكبر القباب العاملية. والذي كنا نظن أنّه لأحد تلامذة الشهيد الأوّل لارتباط اسمه به بحسب الذاكرة الشعبية. ومشروعية السؤال المحير هو أنّ هذا المقام يشرف على مقبرة الشهداء لجهة الشمال منه على مسافة ٥٠٠ متر تقريباً، ويتّصلان بالطريق العام المار من النبطية إلى النبطية الفوقا، وحوله أي المقام بعض العقارات التي لا زالت تحتفظ بتسميات تدلّ على أنّ معركة كبيرة حصلت هناك تقتضي البحث والتدقيق. راجع ما ذهبنا إليه في دراستنا في العرفان، م ٨٠، عدد ٧ و٨ ص ٦٦.

٢. لاحظ الصفة التي ختم بها اسمه «الشامي» وهي الصفة المحببة عند الشهيد....

٣. راجع ماذكرناه حول هذه المسألة في الهامش السابق.

الذي كان سائداً، إن لجهة عدم ورود أيّ اسم لإقطاعي في مرحلة الشهيد إذا جازت التسمية. أو لجهة تجاوز أو الدخول من منطقة إدارية إقطاعية إلى منطقة، وهي أنّ جِزّين كانت تخضع لنيابة أو مملكة دمشق، بينما برج يالوش الواقع في منطقة الشقيف/ النبطية تخضع لنيابة أو مملكة صفد، والحد الفاصل بين المملكتين هو مجرى نهر الزهرانى [١]. وهذه مسألة تستحقّ الوقوف عندها باعتبار أنّ النظام الإقطاعي هو أساس التركز السياسي المملوكي [٢].

وأيضاً بحساب الجمل وبحسب الرسالة، فقد أرّخ الشيخ البتدّينى (بحساب الجمل) لعام قتل الشهيد بـ«ذبيح الله»: (ذبيح: ٧٢٠) + (الله: ٦٦) = ٧٨٦ [٣]. وهذا ما أثبتته وأكّدته معظم المصادر والمراجع والدراسات [٤]. رغم ذلك فإنّ المُخْتَصِر في هذه الرسالة كتب خطأ تاريخ الاستشهاد مرّتين ١١٨٦.

الشهيد الأوّل ودوره، وقضاة السلطة ومقتله

تشكل مشروعية القضاء في الإسلام جدلية منذ بداياتها [٥]، وانسحبت هذه الجدلية على كافة المراحل التاريخية للدولة السلطانية الملك العضوض التي رأت فيها ملجأ التجأت إليه لتضفى على حالها مشروعية الحكم والسلطة، بعد أن تحولت مؤسّسة الخلافة إلى أداة بيدها، مع الإبقاء عليها كرمز أيضاً لأجل مشروعيتها [٦].

وهذا تمام ما فعله الظاهر بيبرس بعد أن وصل على مصر من بغداد بعد سقوطها بيد المغول المستنصرُ بالله أبوالقاسم العباسي، فعقد له اجتماعاً وبايعه بالخلافة في القاهرة

١. راجع طه الطروانة، مملكة صفد في عهد المماليك، ص٦٩ وما يليها.
٢. عن الموضوع، راجع أطروحتنا للدكتوراة، تحت عنوان: النظام الإقطاعى أساس التركز السياسي في العهد المملوكى.
٣. المختاري، الشهيد الأوّل، حياته وآثاره، الفصل العاشر من الباب الأوّل نقلاً عن بهجة الآمال في شرح زبدة المقال، للمولى عليّ العلياري التبريزي.
٤. المختاري، الشهيد الأوّل وقد استعرض سماحته لهذه المصادر والمراجع وأثبتها... .
٥. عليّ عبد الرزّاق، الإسلام وأُصول الحكم، دراسة، ص ١٣٩.
٦. دوروتيا كرافولسكي، العرب وإيران، ص١٠٧؛ ولاحظ على الوردي، وعاظ السلاطين، ص ٢٤٠.

عاصمة السلطنة المملوكية [١]... بعدها عمد بيبرس إلى تعيين قاضي قضاة لكلٍّ من المذاهب السنية الأربعة في العاصمة وعواصم الولايات التابعة لها [٢]. الأمر الذي أدّى إلى الجمع بين شوكة السلطنة المرتكزة على نظام إقطاعي مركزي محكم [٣] وشرعية الخلافة، والقضاء الشرعي، وهمّها الرئيسي ـ أي السلطة ـ مالي الطابع [٤].

استمرّت دولة المماليك على هذا التقليد سلطة مركزية على رأسها السلطان، الذي يمسك ويدير شؤون السلطنة، يعيّن ويعزل الخليفة والقضاة ساعة يشاء وأنّى يشاء، تماماً كما يعزل أحد أُمرائه وحاشيته... لكن المصادر التاريخية تحدِّثنا بأنّ عزل أحد الأُمراء أحياناً قد يكون صعباً ومكلفاً، باعتبار أنّ الأُمراء أو الإقطاعيين يمكن أن يكون لهم من المقدرة على تجييش الأتباع والعسكر على الأرض بوجه السلطة، وهذا ما لا يملكه الخليفة أو القاضي [٥].

وكذلك القضاء فكان تحت نفوذ كبار الأُمراء في الدولة، لجهة التعيين والعزل والنقل وغيره، فقد كان القضاة يسعون كثيراً للحصول على هذا المنصب ويبذلون المال ويسافرون إلى القاهرة في سبيل ذلك، كالقاضي الشافعي الشيخ جمال الدين يوسف بن الباعوني. والقاضي ابن الفرعمي الذي ولي القضاء الشافعي في صفد مرّتين عن طريق البذل، وقد تولّى بعض قضاة صفد وظائف أُخرى إلى جانب منصب القضاء مثل نظر الجيش وكتابة السرّ التي أُضيفت للباعوني سنة ٨٣٨. كما تولّى القضاء من لا تتوفّر فيهم الصفات المطلوبة في شخص القاضي، كالعفة والنزاهة وغيرها، مثل قاضي المالكية القبيباتي والذي اشتهر

١. كرافولسكي، العرب وإيران، ص١٠٢ و١٠٣ اعتماداً على ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار؛ والمقريزي، السلوك. ولاحظ يوسف طباجة، الشهيد الأوّل ومشروعه؛ ومجلة العرفان، م٨٠، عدد١ و٢، ص ٥٠.

٢. كرافولسكي، العرب وإيران، ص١٢٧ ورضوان السيّد: الفقه والفقهاء والدولة، مجلة الاجتهاد، عدد ٣، ص١٣٤.

٣. اطروحتنا للدكتوراة، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٣.

٤. رضوان السيّد، مجلّة الاجتهاد، عدد٣، ص ١٥١.

٥. لاحظ كيف عزل الأتابكي أيبك، شارب الخمر علانية، الخليفة المتوكل على الله محمّد. في شهر ربيع الأوّل ٧٧٩ «وبالغ في سبه ويوبخه بهذا الكلام الفاحش...». (ابن أياس، بدائع الزهور، ج١، ص٢٠٥؛ والمقريزي، السلوك، ج٣، ص٢٠٩) كذلك لاحظ في رجب ٧٨٥، المشادة بين الخليفة المتهم بالتآمر على السلطان برقوق، كيف أنّ الأخير حنق على الخليفة، واستلّ السيف ليضرب به عنق الخليفة، وحيل بينه... فسجنه وولى الخلافة لآخر. المقريزي، السلوك، ص٤٩٥؛ وابن أياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٣٣.

عنه قلّة دينه، وقلّة عقله وجهله ورذالته. وقاضي الحنابلة عام ٧٨٦ [١].

هذه الحالة هي التي كانت سائدة في مرحلة الشهيد الأوّل، والتي يبدو أنّه قرأها جيّداً، وعرف كيف يمكنه تفادي الصدام مع السلطة، بالبقاء على مسافة منها، بالتواصل والتماهي الذي يتيح له معها حرية التحرك، ولا يكون موظفاً، وبالتالي أداة بيد أرباب السلطة وأركان الدولة، مؤكّداً على فكره وعقيدته، عاملاً بها متظاهراً بالشافعية، وهو المذهب الأكثر انتشاراً في بلاد الشام أيّام المماليك، ثمّ تحوّلت هذه الأكثرية إلى المذهب الحنفي زمن الدولة العثمانية [٢] دون أن يتنكر لولائه لأهل البيت والإمامة مرتكز عقيدته [٣] التي من خلالها استطاع أن يطبع المرحلة بطابعه حضوراً مرموقاً في ساحة الفكر والعقيدة تأليفاً لمصنفات شكّلتْ جديداً عرفت بمدرسة الشهيد الأوّل الفقهية [٤] وممارسة عملية في نشر هذه الأفكار في حلّه مدرسته في بلدة جزّين [٥] وترحاله في دمشق والعراق وبيت المقدس وغيرها وفي الاجتماع من خلال علاقته بجمهور واسع، إمّا مباشرة أو بواسطة تلاميذه ووكلائه [٦] وفي السياسة حيث استطاع بناء علاقة قائمة على الاحترام المتبادل، ولكنّها يبدو أنّها كانت واسعة ومتينة.. ونعتقد أنّ هذا ما مكّن له أن يسجِّل مواقفه تجاه الحاسدين والمارقين، والأهمّ تصديه الحاسم للوشاة والمرتدين. وفق مشروع نهضوي

١. حول الموضوع راجع طه الطراونة، مملكة صفد في عهد المماليك، ص ٢٥٣ و ٢٥٤.
٢. حول الموضوع. راجع طه الطراونة، مملكة في صفد عهد المماليك.
٣. لاحظ في سيرة الشهيد انفتاحه على كافة المذاهب الإسلاميّة وفقهائها ومنهم ابنا جماعة (عبد العزيز أجاز الشهيد عام ٧٥٤ وإبراهيم المتهم بالتحريض على الشهيد الذي استجازه بحسب ما جاء في إجازة الشهيد لابن الخازن). وأظنّ أنّ طلب الشهيد الإجازة من إبراهيم بن جماعة شريكه في الدرس والمتآمر عليه فيما بعد كانت في صميم خطة الشهيد في الانفتاح على كلّ تضاعيف المجتمع الذي كان يعيشه برحابته... راجع الشهيد الأوّل، العقيدة الكافية، ضمن رسائل الشهيد الأوّل، ص ١٥٤.
٤. راجع مقدّمة ذكرى الشيعة للشهيد الأوّل، ص ١٤؛ والمختاري، الشهيد الأوّل، حياته وآثاره، الفصل السادس من الباب الأوّل.
٥. لاحظ في المخطوطة عن مدرسته (مدرسة رأس النبع) في جزّين. وقد تحولت اليوم إلى كنيسة.
٦. بات من المعروف أنّ الشهيد هو صاحب نظرية الوكلاء وكيل نائب الإمام... وهذا ما صرح به مختصر نسيم السحر عندما قضى على اليالوشي وأعاد الأُمور إلى نصابها من خلال ولده الشيخ على وبعض تلاميذه. راجع المختاري، الشهيد الأوّل، الفصل السادس من الباب الأوّل. نقلاً عن مقدّمة رياض المسائل، والهجرة العاملية للشيخ المهاجر.

متكامل، وهنا تكمن عظمة وأهمية الرجل.

وتصديقاً للملاحظة الأخيرة التي علّق بها السيّد محسن الأمين في أعيانه على قصيدة الشهيد الرائية، بقوله: «وإنّه أي الشهيد كان له خلطة مع أرباب السلطة، وأركان الدولة»[١]. وهذه حقيقة أوضحتْها هذه الرسالة وفق مجموعة من المواقف والوقائع المذكورة ولكن الأهمّ في ذلك، إجراءات برقوق التي اقتضت المناظرة، والتي ظهرت فيها الغلبة للشهيد على مدى ثلاثة أيّام. على أثرها كتب له برقوق بعد الثناء الكبير عليه، ليطلق يده وأن:

يختار ما يشاء... ويسكن حيثما شاء في الديار الشامية.

فإنّك الفاضل المعظم لدينا، والصادق المحق فيما ورد منكم علينا... ليهتدي بهداكم السالكون، ويقتدي بكم الراسخون، فأنت تاج الشريعة، ومنهاج وسراج الحقيقة، أحقّ أن تتبع، وكلامك أصحّ بأن يستمع[٢].

إلى ذلك يتقاطع هذا النصّ مع ما ذكره صاحب تاريخ بيروت، صالح بن يحيى (م ٨٤٠) المعاصر لأحداث عام ٧٨٤، وفي سياق الحديث عن بيدمر وعلاقته بوالده كإقطاعي ... يقول:

..لما تحرّكت الشيعة في بيروت، وأظهروا القيام بالسنة، ومعهم مرسوم سلطاني[٣]، وكانوا في الباطن قائمين بمذهب الشيعة، وجرى لذلك حركة رديئة، فاغتنم بيدمر الفرصة وطلب الوالد وأهانه ...[٤].

إنّ هذه الصلة بالسلطان برقوق الذي كان في تلك الفترة «كبير الأُمراء»[٥]، وعلاقة الشهيد التي تبدو أنّها كانت وطيدة مع بيدمر الخوارزمي وزير السلطنة ونائب الشام لأكثر من ستّة

---

١. السيّد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦١.

٢. بالمقارنة بين هذه الرسالة ومضمونها وتصرّف برقوق مع الخليفة والقضاة خصوصاً عندما قال فيهم: «إنّ القضاة ليسوا بمسلمين» يتضح وقار ومكانة الشهيد التي كوّنها لنفسه من خلال انفتاحه وعلاقاته القائمة على الود والاحترام والتي يمكن أن تكون قد بدأت مع برقوق عندما كان في دمشق إلى جانب الأمير منجك. (راجع التحقيق).

٣. لعلّ هذا المرسوم هو أحد الكتب التي كتبها برقوق للشهيد وأطلق فيها يده في بلاد الشام. راجع نصّ الكتب ضمن سياق نصّ الرسالة.

٤. صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١١١.

٥. كان برقوق في هذه الفترة يعرف بالأتابكي أو كبير الأُمراء، وهي الفترة التي أصبح له اليد الطولي السلطنة والتي مهّدت له الوصول إلى رأسها. راجع المقريزي، السلوك؛ وابن أياس، بدائع الزهور.

مرّات، وهو الذي حضر مع الشهيد بحسب الرسالة حين طلبه للقضاء على حركة اليالوشي، ومن قبل مع منجك بحسب القصيدة الرائية وزير السلطنة أيضاً، ونائب الشام لعدّة مرّات. هذا وعلاقته مع عليّ بن المؤيّد التي تأخذ بعداً آخر مغايرة لعلاقته بأرباب السلطة المملوكية وأركانها[١].

إذن، بقيت علاقة الشهيد بالسلطنة المملوكية على ما تظهره هذه الرسالة، من الواقعية والدقة، والقائمة على الاحترام والتقدير، وهو الفقيه البارز الذي استطاع أن يؤمن لنفسه حضوراً فكرياً وعقائدياً، ومكانة حصّنت حركته على الساحة الاجتماعية والثقافية والسياسية.

على ضوء ما تقدّم، تبدو المفارقة العجيبة التي توضحها هذه الرسالة وتبرزها، من أنّ الشهيد لم يقتل من قبل أرباب السلطة بل فقهائها وقضاتها، وهذا مغاير لما هو معروف ومتواتر فيما كتب عن مسألة استشهاد الشهيد الأوّل على يد السلطة وبأمر من برقوق وبيدمر[٢].

هذا وإن كانت السلطة ودائماً بحسب الرسالة تبدو بعيدة عن المكيدة التي دبّرت للتخلص من الشهيد، ولكن الروايات التاريخية تتقاطع مع سياقات الرسالة عند المحرّك الأساسي ضدّ الشهيد وهو قاضي القضاة ابن جماعة الشافعي، ومعه مجموعة من القضاة من مختلف المذاهب، وحشد من الوشاة والمرتدين[٣].

ابن جماعة، قاضي القضاة في القاهرة ثمّ في دمشق

يبدو أنّ قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمّد بن إبراهيم بن جماعة الكناني الشافعي، المقدسي المولد (٧٢٥ ـ ٧٩٠)[٤]. كان وبحسب الرسالة شريكاً للشهيد

١. حول صراع المماليك والممالك الإيرانية في تلك الحقبة. راجع كرافولسكي، العرب وإيران ص ٩٩. ولاحظ في الهامش كلامها عن دولة (السربداران الشيعية) التي كان عليّ بن المؤيّد أبرز قادتها، حيث قامت مع عدة دويلات شيعية بعد سقوط الخلافة العباسية ببغداد.

٢. عن هذا الموضوع راجع المختاري، الشهيد الأوّل، الفصل العاشر من الباب الأوّل حيث عرض لكافة جوانب هذه القضية.

٣. لاحظ وثيقة تلميذ الشهيد المقداد السيوري في بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٦ ـ ١٨٤ وتبدو لنا هذه الوثيقة أنّها منقوصة بالمقارنة مع هذه الرسالة.

٤. ترجمته: المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ١١٤؛ وابن أياس، بدائع الزهور، ص ٣١.

الأوّل (٧٢١) «في الدرس في أوائل التحصيل والدرس...». كما جاء في الرسالة، وما هو معروف في الكثير من كتب الرجال التي أرّخت للشهيد.

وصل ابن جماعة كما عمّه [١] وجدّه [٢] من قبله إلى منصب قاضي قضاة الشافعية بدار السلطنة بالقاهرة في ربيع الآخر سنة ٧٧٣، بعد أن كان خطيب بيت المقدس [٣]، ثمّ عزل نفسه عن القضاء في شهر رمضان ٧٧٦ واخلع على آخر عوضاً عنه، فلمّا عزل أنشد يقول:

وليت القضاء وليت القضا فلم يك شيئاً توليته
فأوقعني في القضاء القضا وما كنت قد تمنيته [٤]

ثمّ أُعيد في ٢٥ ذي الحجّة ٧٧٦، وبعد تدخل السلطان واجتماعه معه، رضى بالعودة إلى القضاء بشروط قبلها السلطان [٥].. ثمّ عزل نفسه في رجب ٧٧٩ «وسبب ذلك لما رأى تغيّر أحوال أرباب الدولة بالأُمور الفاحشة»، وسافر إلى بيت المقدس، فعيّن مكانه آخر [٦]، ثمّ أُعيد إليها في ٢٣ صفر ٧٨١ وزيّنت له في ذلك اليوم القاهرة وكان يوماً مشهوداً إلى الغاية [٧].

برقوق والقضاء وابن جماعة

وفي جمادى الأُولى ٧٨١ خلع على قاضي القضاة جلال الدين جار الله الحنفي، ورسم له أن يلبس الطرحة، كما يلبسها قاضي القضاة الشافعي، وأنْ يستنيب عنه في أعمال مصر، من قبليها وبحريها، قضاة حنفية، فشقّ ذلك على قاضي القضاة الشافعي ابن جماعة وتحدّث مع

١. هو قاضي القضاة عبدالعزيز بن جماعة أُستاذ الشهيد، أجاز له في مصر وفي المدينة، راجع ترجمته والثناء عليه. ابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٣١.

٢. وهو قاضي القضاة بدر الدين محمّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، الشافعي (م ٧٣٣) وهو صاحب كتاب تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلّم، راجع المختاري، مقدّمة التحقيق في منية المريد، الطبعة الثانية، ص ٧٠.

٣. المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ١٩٧؛ وابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ١٠٦.

٤. ابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ١٤٢.

٥. ابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ١٤٩، وكذلك السلوك. ولاحظ كيف استناب ابن جماعة صهره في الحكم بالقاهرة بعدما انتقل الأخير من مذهب مالك إلى مذهب الحنفية في ذي القعدة عام ٧٧٧ المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٢٥٧.

٦ و٧. ابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٢١٦ و ٢٤١ وكذلك السلوك.

الأتابكي برقوق في إبطال ذلك [١].

وفي ١٥ جمادى الأُولى ٧٨٣ عقد مجلس عند الأتابكي برقوق بسبب وقف، فاجتمع فيه القضاة الأربعة، ومشايخ العلم، فوقع في ذلك المجلس تشاجر بين قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة الشافعي، وبين قاضي القضاة علم الدين سليمان البساطي المالكي، فعزّ بينهما الكلام، فحنق برقوق على القاضي المالكي، فعزله في ذلك المجلس، وأشار إلى ابن جماعة بأن يعيِّن من المالكية من يلي القضاء، فعيّن ابن جماعة الشيخ جمال الدين عبد الرحمن بن خير، فأخلع عليه في ذلك المجلس، ونزل من القلعة في موكب حفل [٢].

وفي رجب ٧٨٣ امتنع ابن جماعة عن الأحكام الشرعيّة... فعزل نفسه من القضاء، فطلبه الأتابكي برقوق، وخلع عليه ثانية خلعة الاستمرار، ففرح به كلُّ أحد من الناس [٣].

وفي ٤ شعبان ٧٨٣ رسم برقوق بنفي محتسب القاهرة.. بسبب نقله لقاضي القضاة الحنفي صدر الدين بن منصور، قول الأتابكي بالتركية لمن حوله وهو فيهم: «إنّ القضاة ليسوا بمسلمين» [٤].

فشقّ ذلك على قاضي القضاة الحنفي، الذي ذهب إلى بيت قاضي القضاة ابن جماعة الشافعي، واستشاره في عزل نفسه عن القضاء، وقال له: «أنا قطعتُ عمري في الاشتغال بالعلم في دمشق، ثمّ في آخر عمري أُنفى عن الإسلام» فلمّا سمع ابن جماعة ذلك تغير خاطره على الأتابكي برقوق، فزاره ممّا أدّى إلى نفي المحتسب بعد عزله إلى القدس [٥].

وكان الأتابكي برقوق في هذه الأيّام صار يقع في حقّ القضاة والفقهاء بما لا يليق...، وقد انحط قدر القضاة والعلماء في آخر دولة الظاهر برقوق وابنه الناصر فرج، وما بعد ذلك، ينزلون عند أرباب الدولة منزلة السوء، حتّى صار أقلّ الناس من الأراذل، يخاطبونهم بكلِّ

١. ابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٢٤٤.
٢. المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٤٤٣؛ وابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٢٨٨.
٣. المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٤٤٥؛ وابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٢٨٩.
٤. المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٤٤٧؛ وابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٢٩١.
٥. المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٤٤٨.

قبيح، وقد ذلّوا أنفسهم في طلب الدنيا، وحبِّ المناصب، «عقوبةً من الله لهم، لامتهانهم العلم» فلا حول ولا قوة إلّا بالله [١].

وفي شهر رمضان ٧٨٣ أنّ قاضي القضاة ابن جماعة، حضر مجلس سماع صحيح البخاري، ثمّ نزل من القلعة إلى داره، فلمّا ركب أخذ شخص، يعرف بابن نهار، بعنان بغلته وقال له: «قد حكمت عليّ بحكم لا يجوز شرعاً». وأخذ ابن نهار في الإساءة المفرطة على ابن جماعة، فشقّ ذلك عليه فعزل نفسه من القضاء.. فلمّا بلغ برقوق ذلك أتى بابن نهار، فضرب بالمقارع. ثمّ شهر على جمل بالقاهرة. ثمّ بعث برقوق يسترضي ابن جماعة فلم يرض، ثمّ فعل مرّة ثانية بواسطة أميرين حتّى أخذاه وأتيا به إلى برقوق الذي أكرمه وخلع عليه التشريف... وكان يوماً مشهوداً [٢].

في ١٤ صفر ٧٨٤ طلب الأمير الكبير برقوق [٣]، من قاضي القضاة، أن يسلِّمه مال تاجر قد مات عن ورثة غائبين، وترك المال بمودع الحكم، فأبى أن يدفعه إليه. فغضب برقوق واستدعى الشيخ الأبناسي ليولّيه القضاء، فتغيّب، فامتنع ابن جماعة من الحكم، وأخذ الناس في السعى، وفي يوم الخميس سلخه، خلع على ابن أبي البقاء وظيفة القضاء، عوضاً عن ابن جماعة الذي سافر إلى القدس [٤] (بطالاً) [٥].

وفي شوّال ٧٨٥، أرسل السلطان[برقوق]إلى قاضي القضاة ابن جماعة تشريفاً وتقليداً، بأن يكون قاضي القضاة بدمشق عوضاً عن ابن أبي البقاء بحكم وفاته، «فتوقّف في ذلك أيّاماً» [٦] «فخُوِّفَ عاقبة ذلك» فأجاب وتوجّه إلى دمشق [٧].

---

١. ابن أياس، بدائع الزهور. لاحظ عزل القضاة الأربعة في نيابة حلب من قبل السلطان «وسبب ذلك أن وقع بين القضاة فتنة عظيمة، وقذفوا أعراض بعضهم بالفسوق...». ابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٤٩.

٢. المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٤٥١؛ وابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٢٩٤.

٣. في ١٤ شهر رمضان ٧٨٤كتب الشهيد إجازته لابن الخازن ذاكراً ابن جماعة قاضي مصر.

٤. المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٤٦٨؛ وابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٠٣.

٥. ابن أياس، بدائع الزهور، ص ٣٠٤. ولاحظ السؤال الذي سأله الشهيد لابن جماعة: «في رجل مات وعليه دين ...». راجع المختاري، الشهيد الأوّل حياته وآثاره، الفصل السابع من الباب الأوّل نقلاً عن مجموعة الجباعي.

٦. ابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٣٨.

٧. المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٥٠٤.

هذا وقد أورد صلاح الدين بن أيبك الصفدي نقلاً عن بعض الظرفاء في دمشق:

بـــدمشق آيـــة قـد ظهرت للناس تماما
كـــلّما ولي شـمس قاضياً عادت ظلاما

وقيل:

أظـــلم الشـام وقـد ولّي للحكم شموس
ليس فـــــيهم مـــن عـــلماً ويســـوس[١]

انطلاقاً من سيرة ابن جماعة في القضاء، وفق الوقائع الواردة آنفاً، يتبيّن الفارق واضحاً بين الواقع (المقيَّد) الذي عاشه ابن جماعة، والحركية (الحرّة) التي كانت سمة الدور والواقع الذي عاشه الشهيد الأوّل. خصوصاً إذا ما تأمّلنا بالكيفية التي أُحضر فيها ابن جماعة إلى دمشق مرغماً، ليصبح وجهاً لوجه مع الشهيد، بعد أن كان يدير ملاحقته من مصر.

ابن خلدون والمرحلة، وتاريخه المشوّش

إلى ذلك فإنّ نصاً مشوّشاً أورده ابن خلدون (الذي كان ولّي قاضي قضاة المالكية في القاهرة في ١٩ جمادى الآخرة ٧٨٦، أي بعد أربعين يوماً على قتل الشهيد)[٢] في تاريخه يتحدّث فيه عن واقعة إقصاء «بيدمر» عن نيابة دمشق[٣]، مشنّعاً عليه، مُثنياً على خـلفه الجـوباني (وهو الذي اتّصل به عند وصوله إلى القاهرة)[٤] مشيراً لوقائع نرى أنّـها تسـتحقّ التـوقّف عندها، على أهميّتها، لما يمكن أن يكون لها صلة بقضية الشهيد الأوّل فجاء النصّ كما يلي:

يقدم ابن خلدون للنصّ برسمه صورة عن الحسد فيقول:

... إلى أن دبَّت عقارب الحسد إلى مهاده، وحومت شباة السعاية على قرطاسه.[٥] ... ثمّ استخلصه أي لبيدمر السلطان برقوق، وردّه إلى عمله الأوّل [نيابة الشام التي تـولّاها أكثر من ستّة مرّات..] بعد جلوسه على التخت، والشأم له، وكان جمّاعاً للأموال، شديد

١. صلاح الدين الصفدي، أُمراء دمشق في الإسلام، ص ١١٨.
٢. المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٥١٧؛ وابن أياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٤٨.
٣. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٥، ص ٤٧٦ ـ ٤٧٩.
٤. المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٤٨٠.
٥. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٥، ص ٤٧٨.

الظلامة فيها، متحيّلاً على استخلاصها من أهلها بما يطرق لهم من أسباب العقاب. مصانعاً للحاشية بماله من حاميته، إلى أن سئم الناس إيالته، وتَرَحَّمت القلوب منه [١].

وكان بدمشق جماعة من الموسوسين المسامرين لطلب العلم بزعمهم [٢]، متّهمون في عقيدتهم بين مجسِّم ورافضي وحلولي [٣]، جمعت بينهم أنساب الضلال والحرمان، وقعدوا عن نيل الرتب بما هم فيه [٤]، تلبّسوا بإظهار الزهد والنكير على الخلق [٥]، حتّى على الدولة في توسعة بطلان الاحكام والجباية عن الشرع إلى السياسة [٦]، التي تداولها الخلفاء، وأرخص فيها العلماء وأرباب الفتيا وحملة الشريعة [٧]، بما تمس إليه الحاجة من الوازع السلطاني، والمعونة على الدفاع [٨]... فلبس هؤلاء الحمقىٰ على الناس بأمثال

---

١. ابن خلدون، ج ٥، ص ٤٧٩ بالمقابل لاحظ الثناء على بيدمر في ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣١٢ وص ٣٥٥؛ وابن أياس، بدائع الزهور، ص ٣٠٢ (في محرم ٧٨٤ خلع على الأمير بيدمر نيابة دمشق على عادته... وكان خيار نواب الشام)؛ والمقريزي، السلوك (حوادث ٧٨٦ والإكرام عليه)، ج ٣، ص ٥١٣.

٢. لعلّه هنا يقصد الشهيد وتلاميذه، باعتبار أنّ الشهيد وكما هو معروف وما تبيّنه المخطوطة كان يدرّس بدمشق وله فيها مجلس حاشد يغصّ بالمحاورين والمناظرين.

٣. الرفض والنصيرية، والزندقة واستحلال الخمر وحبّه لابن ملجم!؟؟ وغيرها هي من التهم التي سيقت للشهيد... لاحظ ما قاله طاهر بن حبيب (م ٨٠٨) وابن قاضي شهبة (م ٨٥١)وابن حجر العسقلاني (م ٨٥٢)وابن العماد الحنبلي (م ١٠٨٩)في المختاري، الشهيد الأوّل، الفصل العاشر من الباب الأوّل.

وهذه الفقرة عند ابن خلدون تعزّز ما ذهبنا إليه آنفاً، وأنّ هذه التهم هي التي تساق على أهل الشيعة. فابن خلدون، يورد في المقدّمة ما يقارب هذا الادعاء، فعند حديثه عن مذاهب الشيعة يقول: «... ومنهم طوائف يسمّون الغلاة، تجاوزوا حد العقل والإيمان... وهو قول بالحلول..». المقدّمة، ص ١٩٨.

حول هذا الموضوع وهذه التهم. راجع د. كامل الشيبى، الصلة بين التصوّف والتشيّع، ج ٢، ص ١٥١ ـ ١٥٤ «أن التجسيم تهمة للشيعة»؛ هاشم معروف الحسني، بين التصوّف والتشيّع، ص ٧٨ حيث ينكر عن الشيعة هذه التهم... خصوصاً الحلول، ص ٨٤.

٤. قارن هذه التهم بما قاله طاهر بن حبيب (م ٨٠٨) عن الشهيد: المختاري، الشهيد الأوّل، الفصل العاشر من الباب الأوّل، لأقول: إنّ نيل الرتب، هو مطلب يجاهر به ابن خلدون، وأنّ الانصراف عنه هو شبهة وتهمة على من لديهم صفات العلم والزهد، ولا يطلبونه!..

٥. وهنا تتّضح الشبهة عند ابن خلدون على من تحدّث عنهم وقصدهم.

٦. الإشارة إلى البعد عن رأي الفقهاء إلى العلاقات الخاصّة بسمة السياسة الاجتماعية.

٧. الإشارة إلى إهمال العلماء. وهذه الأجواء زخرت بها كتب التاريخ، وقد لاحظناها في سيرة ابن جماعة. ونودّ الإشارة إلى أنّ ابن خلدون نفسه عزل عن القضاء في ربيع الآخر عام٧٨٧.

٨. هذا المنطق التبريري هو معروف عند ابن خلدون وخاصّة في المقدّمة، وهو بذلك يجاري الماوردي، بينما عند الشهيد الأوّل الوازع للشرع المتمثّل بالنبيّ والإمام ونائب الإمام. لاحظ رأي الشهيد في الدروس واللمعة. وراجع حول الموضوع أُطروحتنا للدكتوراة، ص ٥٠ وما يليها.

هذه الكلمات، وداخلوا من في قلبه مرض من الدولة، وأوهموا أن قد توثّقوا من الحلّ والعقد في الانتقاض [١] فرية انتحلوها، وجمعاً أنهوه نهايته، وعدوا على كافل القلعة بدمشق وحاميتها يسألونهم الدخول معهم في ذلك لصحابة كانت بين بعضهم وبينه، فاعتقلهم وطالع السلطان بأمرهم، وتحدّث الناس أنّهم داخلوا في ذلك بندمر [بيدمر] النائب بمداخلة بعضهم كابنه محمّد شاه، ونمي الخبر بذلك إلى السلطان فارتاب به وعاجله بالقبض والتوثق منه ومن حاشيته. ثمّ أخرج مستوفي الأموال بالحضرة لاستخلاص ما احتازه من أموال الرعايا واستأثر به على الدولة، وأحضر هؤلاء الحمقى ومن بسوء سيرتهم مقتدون إلى الأبواب العالية، فقذفوا في السجون وكانوا أحقّ بغير ذلك من أنواع العذاب والنكال ... [٢].

والجدير ذكره هنا هو أنّ ابن خلدون في هذه المرحلة حتّى ١٧ جمادى الأُولى ٧٨٧ كان قاضي قضاة المالكية بالقاهرة [٣]. وقد أورد هذا النصّ المشوّش دون أيّ ذكر للشهيد أو توضيح إذا كان يقصده في مضمون النصّ المتقدّم؟!

إنّ أسئلة نودّ طرحها وهي هل أنّ هذا النصّ، وما جاء في سياق الرسالة، يتقاطعان عند الموقف الذي اتّخذه بيدمر تجاه الشهيد؟!

وهل أنّ إحساس فقهاء السلطنة أو السلطة (وابن خلدون منهم بحسب نصّه المتقدّم) يبعدهم عن القرار، أو إبعادهم عن التأثير الذي أحسّوا بأنّ الشهيد «كنموذج» سلبه منهم، وهو الذي أدّى إلى قيام فتواهم وقتله؟!

---

١. الانتقاض: انتقض الشيء: فسد بعد إحكامه. لاحظ الشهيد الأوّل، المقالة التكليفيّة (الفصل الأوّل في ماهية التكليف) ضمن كتاب رسائل الشهيد الأوّل، ص ٨١.

٢. محمّد شاه بن بيدمر المارّ ذكره في قصيدة الشهيد الرائية. راجع آنفاً إلى ذلك بقول د.على الوردي عند مقارنته ابن خلدون بمكيافلي: «... إنّ آراء ابن خلدون، كانت أشدّ انحرافاً عن شرعة الأخلاق والاديان من آراء زميله الإيطالي... فقد امتار ابن خلدون بأُسلوبه الدبلوماسي، الذي يغطّي الآراء المنحرفة بغطاء برّاق. فهو يكثر من ذكر الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية ... وظنّ الناس أنّه كغيره من الفقهاء والمؤرّخين، سائر على سنة الله ورسوله، ولو أنّهم أدركوا مقاصده الحقيقية بوضوح، لربّما شنّوا عليه حملة شعواء لم يعهد مكيافلي لها مثيل». د. علي الوردي، مقدّمة كتابه، منطق ابن خلدون، ص ٢١. وقارن هذا مع صالح بن يحيى في الهامش الوارد لاحقاً عن بيدمر.

٣. المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٥٣٣؛ وابن أياس، بدائع الزهور، ص ٣٥٩.

لقد لفت نظري الاضطراب في التاريخ ليوم قتل الشهيد عند المقريزي المعاصر للحدث كما ابن خلدون، فقد أورد كلٌّ من المقريزي وابن حجر العسقلاني إعلانه عن قتل الشهيد مرّتين:

الأوّل في آخر ذكره لأحداث ٧٨١ يقول: «وفيه قتل محمّد بن مكّي، داعية الرافضة، تحت قلعة دمشق» ووافقه العسقلاني.

الثانية في آخر ذكره لأحداث ٧٨٥ هـ يقول: «وفيها قتل محمّد بن مكّي كبير الرافضة بدمشق، لتظاهره بزاي [كذا] النصيرية، ضربت عنقه تحت القلعة». وتبعه بذلك ابن أياس أيضاً في آخر أحداث ٧٨٥، أما العسقلاني فأرّخ ٧٨٦. أسئلة برسم البحث والتدقيق لعلّها توضح الالتباس.

أخيراً تبيِّن الرسالة، أنّ الشهيد لم يقتل بإيعاز من السلطة كما هو كذلك شائع ومعروف، ولكن بوشاية تبعها مكيدة، لم تكن الأُولى ولكنّها كانت الأخيرة، بعد أن أحكم ابن جماعة وأعوانه هذه المرّة فصول تدابيرها وتنفيذها بحسب ما ورد في المخطوطة. وأنّ الأسباب هي كما ذكرنا تعاظم الحسد والمغلف بالمذهبية بسفسفها[١]. وإنّي أرى أنّ هذه هي العلة الأساسية في انحطاط وتراجع الأُمة... واليوم ليس ببعيد عن ذلك.

على العموم، يتضح لنا أنّه في هذه الفترة، سطع اسم الشهيد الأوّل «حتّى اشتهر ذكره في سائر الآفاق، فتعرض له حينئذ بالعراق السادة الكبار والعلماء الأخيار، والتمسوا منه السكن والإقامة وسلّموا له الإمامة، فأبى، ورجع، إلى بلده جزّين». وتلقى دعوة من عليّ بن المؤيّد، كذلك أبى، حيث كان ينتظره الدور الكبير الذي أسّس له واضطلع به، واستشهد لأجله، ولولاه لما كان الأمر في جبل عامل (خصوصاً) على ما صار عليه. وهذا ما أثبتته الوقائع العملية والعلمية، أي الحراك الاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي للشهيد[٢]

---

١. لعلّ هذا الحسد منصب على الحالة التي كان عليها فقهاء السلطة.. وهذا ما يظهر لنا في مطالعة أخبار المقريزي في السلوك خصوصاً ج ٣، ص ٥٢ مثلاً. وما ألمح إليه ابن خلدون في تاريخه، ج ٥، ص ٤٧٩.

٢. إلى ذلك راجع صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص١٠٨ ـ حيث يقول عند حديثه عن أحد أنسابه وعلاقته ببيدمر: «إنّه عند وفاته في ٢١ ربيع الأوّل ٧٨٣ حضر أهل جزين في يوم عزائه قبل دفنه» ثمّ ص ١١١ ـ يقول عند حديثه عن والده وعلاقته ببيدمر: «فمن ذلك لمّا تحركت الشيعة في بيروت وأظهروا القيام بالسنة، ومعهم مرسوم سلطاني، وكانوا في الباطن قائمين بمذهب الشيعة، وجرى لذلك حركة رديئة، فاغتنم بيدمر الفرصة وطلب الوالد وأهانه...».

وعبر تلامذته ومؤلَّفاته التي لا زالت ذخراً.

إنّ ما تبيَّن لنا هو أنّ مخطوطة نسيم السحر موجودة ولم تنلها يد الجزّار أيّام نكبة مكتبات جبل عامل على يده المجرمة[1]. لذا يقتضي البحث عنها لأنّها ستوفِّر لنا الكثير من المعلومات وتوضح مسائل كثيرة أو تتممها بعد أن أوضحت هذه الرسالة إشكاليات كثيرة.

عملنا على مخطوطة مختصر نسيم السحر

١. في وصف المخطوطة:

تقع هذه المخطوطة في واحد وأربعين ورقة، إذا ما أُضيفت عليها الورقة التي تصدرّتْها بعشرة أسطر، وبخطّ غير منقوط، ومختلف عن الخطّ الذي كتبت به المخطوطة. بل ورد فيها الثناء على كاتب المخطوطة، وعلى الاجتماع به، وهذا ما يؤكِّد أنّها لغير صاحب المخطوطة. وربّما كانت لأحد أساتذته بالإجازة، لذلك فهي مبتورة أي الورقة وبالإجمال نقرّر بأنّ هذه المخطوطة هي جزء من مجموع للكاتب الشيخ شمس الدين.

خصَّص الكاتب ستّة وعشرون ورقة في أحوال الشهيد الأوّل. والتي اقتصر عملنا في التحقيق عليها. وأمّا البقية من الأوراق فعلى ما يبدو أنّها في سيرة الكاتب ومشايخه، خصوصاً في البحرين أو البحرانيين منهم. وقد استعنّا بصفحتين لهما علاقة بالشهيد، وقد أشرنا لها في حينه. إضافة إلى الصفحة الأخيرة التي ذكر فيها الكاتب اسمه ونسبه في آخرها.

أمّا قياسات أوراق المخطوطة فهي (١٩،٥ × ١٤،٥ سم). تقع الأوراق: (الأُولى، والثانية، والثالثة، والسابعة، والثامنة، والتاسعة، والثالثة عشرة، والخامسة عشرة) في واحد وعشرين سطراً لكلّ منها (فيكون المجموع ١٨٩ سطراً). أمّا الأوراق (الخامسة، والسادسة، والحادية عشرة، والثانية عشرة) فتضمّنت عشرين سطراً لكلّ منها (فيكون المجموع ٨٠ سطراً). أمّا الأوراق (العاشرة، والسادسة عشرة) فتضم اثنين وعشرين سطراً لكلٍّ منها (فيكون المجموع ٤٤ سطراً). وتبقى الورقة الرابعة عشرة التي تضم (٢٣ سطراً). وعليه يكون مجموع أسطر المخطوطة ٣٣٦ سطراً.

---

١. راجع عن الموضوع أُطروحتنا للدكتوراة.

على الهوامش تعليقات عديدة أشرنا إليها في مكانها، وهي بخطّ الكاتب في معظمها، والتي يبدو أنّها مستدركات له لأنّه ذيل آخر كلّ تعليقة على الهامش بنسيم السحر. وهي إشارة إلى الأصل المنقول عنه.

تقسم المخطوطة بحسب رؤيتنا على ثلاثة أقسام هي:

القسم الأوّل: وهو ما اختصره الكاتب عن كتاب نسيم السحر.

القسم الثاني: وهو ما جمعه الكاتب وضمّه للمخطوطة نقلاً عن تلامذة الشهيد، بدءاً ممّا كتبه الشيخ محمّد بن الوحيد البتدّيني في مجموعه.

القسم الثالث: ما أورده الكاتب من أشعار للشهيد.

٢. منهجنا في المخطوطة:

اقتضت الأمانة العلمية أن ننقل ما ورد في المخطوطة كما هي، مع الإشارة إلى تصحيح ما وجدناه خطأ ككتابة [كذا] أو تصحيحها بين مركنين بعد الكلمة الخطأ. أو ألحقناها بتعليق في الهوامش التي خصصناها للتحقيق والدراسة. إلى ذلك فقد جمعنا متن المخطوطة في نصّ متكامل، بعد إضافة الهوامش إليه في مكانها، إمّا إلى المكان المشار إليه، وإمّا ما وجدناه مناسباً لسياق النصّ.

هذا لجهة التحقيق، أمّا لجهة البحث والدراسة فإنّنا اتّبعنا المنهج المشترك، القائم على الاستقراء والاستدلال، مع تغليب العام على الخاصّ. ولكن متن المخطوطة أحياناً أملت علينا مسألة التغليب. أمّا المصادر والمراجع فقد اعتمدنا فيها الاختصار، حيث نظمنا في آخر الدراسة لائحة خاصّة بها.

٣. في مضمون المخطوطة:

يستخلص من فقرات المخطوطة الاضطراب الواضح في بعض المضامين، التي تشوّش بدورها بعضاً من الحقائق، مثلاً في مطلع المخطوطة يورد الكاتب اسم العلّامة الحلّي بتمامه: جمال الدين الحسن بن يوسف المطهّر الحلّي على أنّه أُستاذ الشهيد، وهذا أمر مستغرب غير صحيح، والصحيح هو أنّ ابن العلّامة «فخر الدين محمّد بن الحسن بن يوسف

المطهّر الحلّي ...» هو من تتلمذ عليه الشهيد.

ثمّ تظهر هذه المخطوطة الاضطرابات المؤدّية إلى تشويهات في ذكره لبعض الأماكن. فيتّضح أنّ الكاتب يجهل جغرافية المنطقة، فحصلت هذه التشويهات مثلاً: خلال حديثه عن معركة الشهداء وقبورهم، وأثناء حديثه أيضاً عن المسافات بين صيدا وبيروت وطرابلس وبينها وبين القدس.

أمّا فيما يختص بالتسلسل والسرد التاريخي، فإنّه يشكل الاضطراب الأكبر، إذ خلت المخطوطة من ذكر لايٍّ تاريخ. علماً أنّه ذكر في أوّل المخطوطة أنّ الأصل فيه. «ذكر تاريخ ولادته... وابتداء شروعه بالعلم...» إلّا أنّه لم يذكرها، سوى تاريخ استشهاد الشهيد الذي ورد مرّتين وفي كلتا المرّتين كتبه خطأ ١١٨٦ هـ، والصحيح / ٧٨٦ ولعلّ الكاتب قرأ الرقم ٧ منفرد الأضلع، فنسخ خطأ الرقم٧، الرقم/١١. أمّا الذي شكّل اضطراباً مضافاً إلى ما تقدم، هو ذكره للواقعة والعودة إليها. أي خلط وتشابك الوقائع التاريخية دون تسلسلها.

بالنسبة للأخطاء الإملائية فهي كثيرة، والنصّ مكتوب بلغة عصره.

إنّ المشكلة الكبيرة التي تعترض الباحثين في تاريخ جبل عامل هي ضياع وفقدان المصادر الأساسية بسبب الويلات والحروب والهجرة التي لم يرتاح منها هذا الجبل الأشمّ إلى اليوم، وخصوصاً في الحملة الشرسة التي تعرّض لها إبان استباحته أثناء حملة أحمد باشا الجزّار في أواخر القرن السابع عشر للميلاد، وما حصل فيه من مذابح ومجازر ونهب وسلب، خصوصاً المكتبات التي أُحرقت في عكا[1]. ممّا أدّى إلى هجرة أبنائه في أربع جهات الأرض، حاملين معهم ما استطاعوا[2] من هذه المحمولات ما احتفظ به في المكتبات الخاصّة وتمّ اكتشافها وتحقيقها ومنها هذه المخطوطة.

وهنا أودّ تقديمَ الشكر لسماحة حجة الإسلام المحقّق والباحث الشيخ رضا المختاري على جهوده في هذا الميدان.

---

١. لمزيد من التفاصيل راجع أُطروحتنا للدكتوراة في الجامعة اللبنانية عام ١٩٩٣.
٢. لاحظ حفيد الشهيد الثاني في الدرّ المنثور في المأثور وغير المأثور.

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهمّ على ما هديتنا إلى سلوك طريق الرواية، ونشكرك اللهمّ على ما أنعمت به علينا من نظمنا في سلك درب الدراية. ونصلّي على نبيّك المنقذ من الضلالة والغواية، وآله البالغين في نشر صحائف الحديث أقصى نهاية.

وبعد، فمن نعم الله المتواترة، وآلائه المتكاثرة، الاجتماع مع الأكمل الأنبل، ذي الفهم النقّاد والفكر الوقّاد، مصباح المتهجّدين وإقبال السالكين، الأفضل البهي والنحرير الألمعي، الشيخ شرف الدين محمّد مكّي بن محمّد بن الشيخ شمس الدين بن الحسن بن زين الدين من سلالة الشهيد الأوّل المطّلبي العاملي [1] (وفّقه الله سبحانه لارتقاء معارج العلوم والمعارف)، وتحرير النكت واللطائف في البحث والمذاكرة والتدقيق والتحقيق والإفادة والاستفادة، في كتاب تهذيب الأحكام، المشتمل على النقض والإبرام فظهر لي من ذلك وسلوك تلك المسالك توقُّد ذهنه الثاقب، وتصويب إدراكه الصائب، وكونه أهلاً لتحمّل الرواية، وسلوك مسلك طرق الدراية [2].

---

١. من أعلام القرن الثاني عشر الهجري ترجمته: الصدر، تكملة أمل الآمل، ص ٢٢٩؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٦٤، وجاء على الهامش الأيسر من الورقة ٣٦ من المخطوطة: «الشيخ حسين بن عبد الصمد والد الشيخ بهاء الدين هو جد أُم كاتب الأحرف لأُمّها».

وجاء في آخر ورقة من هذه المخطوطة اسمه على النحو التالي: «وكتب بيده أفقر الطلبة إلى ربه المجيد شرف الدين محمّد مكّي بن محمّد ضياء الدين بن شمس الدين بن الحسن بن زين الدين بن خير الدين عليّ بن أحمد من ذرّيّة الشريف أبي عبد الله الشهيد محمّد بن مكّي المطلبي العاملي الجزّيني».

٢. هذه الورقة منفصلة السياق عن مضمون المخطوطة سوى الدلالة على نسب الكاتب، وأنّ خط هذه المقدّمة غير منقوط وهو مغاير لخطّ المخطوطة ولعلّها إحدى إجازات الكاتب.

متن الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم [1]

قد نقلت مختصراً من كتاب نسيم السحر في أحوال الشهيد الشريف [2]، شمس الدين محمّد بن شرف الدين مكّي بن حامد بن محمّد بن طاها [كذا] بن عليّ المطلبي العاملي الجزيني [3].

فإنّه قد ذكر فيه أوّلاً آباء الشريف الشهيد محمّد بن مكّي وأجداده من الطرفين [4]. ثمّ ذكر تاريخ ولادته [5]، وكيفيّة حاله بعد أبيه ببلدة جِزّين، وابتداء شروعه في العلم [6]، وسفره إلى

---

١. في الجهة اليمنى من أعلى الورقة كتب: «يظهر من هذه الرسالة أنّه قد رُوي في صفة قتل الشهيد بغير ما ذكر في هذا الكتاب يكون مجملاً، أو لعدم اطّلاع من روى. والله أعلم».

٢. الشريف: نسب آخر للشهيد الأوّل يضاف على ما ذكر عن نسبه، لكن التوضيح يأتي من الاستدراك على الهامش الأعلى للورقة الأُولى من هذه الرسالة من أنّه «شريف من طرف أُمّه»، وهو أوّل كلام يتحدّث عن والدته ونسبها. وهذا ما ألمح إليه الشيخ شمس الدين في كتابه: حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٢٩.
في أعلى كلمة الشريف توضيح يقول: «الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي فهو شريف من طرف أُمّه، فهي من بيت مُعَيّة بنت السيّد محمّد الحسني بن مُعَية».

٣. حول اسم الشهيد ونسبه، وبعض الاضطراب حوله، فقد أفاض به شرحاً الأخ المحقّق حجة الإسلام الشيخ رضا المختاري في الشهيد الأوّل، حياته وآثاره، الفصل الثاني من الباب الأوّل. أما الجديد التي جاءت به هذه الرسالة فهو من عند أجداده «... محمّد بن طاها بن على» حيث إنّه نقل عن صاحب الرسالة ذكر اسم جده في موقع آخر على النحو التالي: «...الشريف محمّد بن جمال الدين مكّي بن محمّد بن أحمد بن حامد بن عليّ المطلبي الحارثي الهمداني الخزرجي العاملي الحانيني الجزيني) قارن وراجع المختاري، الشهيد الأوّل، الفصل الثاني من الباب الأوّل.

٤. والجدير ذكره هو أنّ التعليقات أو المستدركات الموجودة على هامش الرسالة مذيلة غالباً في آخرها بكلمتي: «نسيم السحر». الأمر الذي يوحي بأنّها عن كتاب نسيم السحر.

٥. وهو الأمر المختلف عليه أيضاً: فقد رجّح الشيخ المختاري أنّه في حوالي عام ٧٢٤ ونحن نقدر أنّه ولد في العام ٧٢١. راجع يوسف طباجة، الشهيد الأوّل ومشروعه. العرفان م ٨٠ العددين ١ و ٢ ص ٦١.

٦. هذه الإشارة تدلّ على أنّ الشهيد شبّ يتيماً، وأنّ شروعه بالعلم لم يبدأ على يد أبيه، كما هي العادة عند أبناء العلماء إذا ما عرفنا أنّ والده وجدّه كانوا من العلماء. راجع المختاري، الشهيد الأوّل الفصل الثاني من الباب الأوّل.

الأمصار وسعيه في الأقطار لتحصيل العلم من العلماء الأعلام[١]، والتفكّر في ملكوت الملك العلّام[٢].

وذكر ما جرى بينه وبين الكرماني المشهور عبد الأئمّة [كذا] القرشي[٣]، من المباحث اللطيفة والمناظرة الشريفة لمّا ورد بغداد، وكان ذلك في المدرسة النظامية[٤]. وما جرى بينه وبين العلّامة الفاضل جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهّر الحلّي[٥] من المباحث البهيّة والمسائل المرضية، وذلك في الحضرة الحائرية، قال: فإنّ الشريف شمس الدين محمّد بن مكّي ﷺ، لمّا ورد الروضة الشريفة المقدسة الحائرية لزيارة مولانا وسيدنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام، لم يكن قبل ذلك رأى الفاضل العلّامة ﷺ، فلمّا رآه جرى بينهما ما قد جرى من المناظرة والمطارحة، وأجاب[٦] كلّ واحد منهما جواباً عن قوله، بأدلّة عقلية ونقلية أوّلاً وثانياً وثالثاً، فرضي الشهيد من العلّامة، إلّا في بعض المسائل فبقي متردّداً[٧] والعلّامة ﷺ

١. مصر: المدينة الكبيرة تقام بها الأسواق والمدارس، أما القطر :الناحية وهي جملة من البلاد والنواحي تعرف باسم خاص.

٢. تستوقفنا هذه الجملة المليئة بالعبر والمعاني، وهي دلالة على أنّ الشهيد أخذ في ملكة التفكّر وتجذير وترسيخ إيمانه بالله عزّ وجلّ، لينطلق في مشروعه الفكري والعلمي فيما بعد. هذه دلالة وتأكيد على ما ذهبنا إليه في دراستنا المنشورة في مجلة العرفان، من أنّ الشهيد قد عزم مبكراً على بناء مشروع متكامل في النهضة والإصلاح، قوامه البناء الذاتي، ثمّ الاجتماعي والفقهي (السياسي ضمناً بحيث إنّ الشهيد يعتبر أنّ السياسة بمعنى التدبير هي جزء من هذا المشروع) وقد جاءت هذه الرسالة كما سيلى من شرح وتفسير للتأكيد على صحّة ذلك.

٣. الصحيح أنّه مشهور: بشمس الأئمّة القرشي، لاحظ الشهيد الأوّل، الفصل السابع من الباب الأوّل.

٤. نعم إنّ الحوار والمناقشة والمناظرة ليست مسألةً أو قضيةً عبثيةً أو عاديةً لا بل هي هادفة. الشهيد الثاني: منية المريد، تحقيق الشيخ رضا المختاري، باب المناظرة وشروطها وآدابها وأفاتها، ص ٣٠٩.

٥. ترجمته: أعيان الشيعة، ج ٥، ص ٣٩٧. وهذا أمر غير صحيح لأنّ العلّامة كان قد توفّي في العام ٧٢٦ وأنّ من تتلمّذ عليه الشهيد هو ولده فخر الدين محمّد.

٦. على الهامش الأيسر من الورقة الأُولى كتب: «قد نقل بعض الثقات أنّ اجتماع الشهيد [كلمة غير واضحة] بالعلّامة، وكان العلّامة في مجلس الدرس. فلمّا دخل الشهيد والعلّامة يدرِّس، حينئذٍ فاعترض الشهيد مستفهماً فأجابه العلّامة، فاعترض الشهيد، حتّى جرى بينهما قرب عشرين مسألة. فقطع العلّامة الدرس حينئذٍ وتوجّه للشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي وأجابه، ثمّ اعترض ثمّ أجابه، ثمّ اعترض فأجابه، فرضي الشهيد إلّا في يسير. وأنّه نوى بعد الزيارة أن يرجع إليه للدرس. فقضى [كذا] الله وقدره قد نفذ. سمعت أيضاً مَنْ نثقه. سمعت من ثقة (نسيم)».

٧. في الأصل: متردداً.

لقد تعجب من الشريف الشهيد شمس الدين محمّد بن مكّي ﷺ لقوة حدسه، وبلاغته واستحضاره.

وقد اعتمد [فوقها «ونوى»] الشهيد بأنّه إذا [فوقها «قدر»] زار الأمير عليه السلام يرجع إلى عند شيخ المشايخ العلّامة في الحلّة إن شاء الله. ففي الأيّام التي كان الشهيد ﷺ فيها في النجف عند الأمير، فإذا قد مات العلّامة ﷺ ودفن في النجف. فتألّم الشهيد لذلك كثيراً.

ثمّ إنّ الشهيد قد سافر إلى الحلّة واجتمع بعلمائها وقرأ على فضلائها، وبقي مدة في العراق، حتّى اشتهر ذكره في سائر الآفاق أكثر من شيوخه على الإطلاق. بينما هو في الحلّة إذ قد ورد عليه مكاتيب من عليّ بن مؤيّد سلطان العجم، وفيها الحثّ والالتماس منه على الحضور لديه، للتشرّف بقدومه وللانتفاع بعلومه. وأكثر من التلطف والتودد له فيها، فأجابه واعتذر له بما يناسب الحال والمقال[١].

ثمّ إنّه بعد إقامته بالحلّة عزم على الرحيل إلى بلد الله الأمين، ثمّ إلى بلده جِزّين. فتعرّض له حينئذٍ بالعراق السادة الكبار والعلماء الأخيار، فتمنّوا دوام صحبته الشريفة ومطارحته اللطيفة، والتمسوا منه السكنى والإقامة[٢] وسلّموا[٣] له بالإمامة، فأبى إلّا الانطلاق وعقد للرحلة حبل النطاق، فتودّع من أُولئك الأجلة، وزيارة الأئمّة سادة الأُمة، ورجع بعد زيارة بيت الله الحرام وزيارة سيّد الأنام إلى بلده جِزّيْن، معدن الكرم والعلم والدين، فأقرّت به عيون العباد والمحبّين، وأقبلت عليه أهل البلد، وحضر لديه الخاصّ والعام[٤]، وسار ذكره في الأقطار، وصار فضله لا يخفى كالشمس في

١. هذه المراسلة قد سبقت إرسال الشهيد لعليّ بن مؤيّد اللمعة الدمشقيّة، عام ٧٨٢: لاحظ الشيخ المختاري، الشهيد الأوّل، حياته وآثاره، الفصل الأوّل من الباب الثالث. ونشير هنا إلى أنّ هذه الفقرة من الرسالة موجودة في الروضة البهيّة، ج ١، ص ٢٤.

٢. في وسط أسفل الورقة الأُولى كتب: «والتمس منه فضلاء الحلّة أنْ يبيّن مشكلات الإرشاد في أيّام تدريسه، فبيَّن مشكلاتها وهو بمشهد الحلّة».
في غاية المراد، فرغ الشهيد من تأليف الجزء الثاني زوال يوم الخميس منتصف ذي القعدة الحرام سنة ٧٥٧ بالحلّة. المختاري، الشهيد الأوّل حياته وآثاره، الفصل الثاني من الباب الرابع.

٣. هنا انتهى مضمون الصفحة الأُولى من المخطوطة، والتي سنشير إلى مثلها بالشكل التالي [ص ١].

٤. أي أهل السنة والشيعة.

رابعة النهار، ولم يزل مشيِّداً لدين الله، وفي أكثر السنين حاجّاً بيت الله [١]، إلى أن قتل «ذبيح الله» [٢].

قال [٣]: ولقتله أسباب، وهي: أنّ رجلاً عالماً فاضلاً بزعمه من علماء الشافعية، وهو عباد ابن جماعة [٤]، كان شريكاً له في الدرس في أوائل التحصيل والدرس في المعقول، كالنحو والمنطق والأُصول، على بعض الشيوخ في الشام والقدس ومصر والغرب. فلمّا رأى طيران الشهيد في زمان قليل على معارج الكمال في العلوم كلّها العقلية والنقلية، وعلم أنّه قد حاز من العلوم الأدبية واليقينية بأوفر نصيب، وضرب في سائر العلوم بقدحي المعلّى والرقيب، ورأى رجوع الناس إليه كلّها [كذا] في التدريس والاستفتاء في الشام وغيرها، ورأى ملوك زمانه قد أقبلت عليه، وجميع الأحكام الشرعيّة رُدَّت إليه، وهو بين العام والخاصّ [٥] على الطريقة المحمودة، وقد طلع من أُفق العالم كواكب ذكره المسعودة، وركب متن الشريعة الغرّاء، ولزم المحجة البيضاء [٦]، تحرّك عرقُ الحسد والعصبية في نفسه الخبيثة، فسعى بالفساد، وبالغ في التشنيع بين العباد على الشريف الشهيد شمس الدين محمّد بن مكّي.

وقد دفع أموالاً كثيرة، وبَذَل أجناساً غزيرة لتعلو كلمته [٧] وتنفذ شوكته، وتستقر أحكام الشريعة إليه بانفراده، فلم يحصل على طائل، ولم يرجع إليه من الشام شخص يُعتبر، ولا

---

١. وهذه مأثورة عن الشهيد الأوّل، كما جاء في هذه الرسالة، وكما صرّح هو في قصيدته الرائية، حيث يتّضح أنّه كان يعتقد أنّ الحجّ هو مؤتمر علمي سنوي، ودلالة ذلك لقاءاته وحواراته مع من كان يلتقيهم. راجع مثلاً ما أورده صاحب مختصر نسيم السحر في آخر التحقيق في حواره مع الشيخ جمال الدين ابن المتوج البحراني، وإجازته من قاضي قضاة الشافعية الشيخ عبد العزيز بن جماعة في ذي الحجّة عام ٧٥٤.

٢. على الهامش الأيمن كتب مقلوباً: «فيه لطيفة شريفة وهو سنة تاريخ قتله ﷺ».
بحساب الجمل: ذبيح الله = ٧٨٦.

٣. يعني صاحب نسيم السحر.

٤. لم نعثر على هذا الاسم كما هو وارد هنا «عباد».

٥. هو المحرّض الأساسي على قتل الشهيد كما سيتضح لاحقاً.

٦. المحجّة البيضاء: الطريق المستقيم أو جادة الطريق ومعظمه. وهذا الوصف لحال الشهيد يدلّ أيضاً على المكانة والمركز المرموق الذي كوّنه لنفسه، وعلى الدور الذي اضطلع به في تلك الحقبة من الزمن.

٧. عن دفع الأموال لتولي القضاء راجع ما ذكرنا في مقدّمة التحقيق.

أقبل عليه أحد بالخير يذكر. فاشتدّ لذلك غضبه، وغلظ حسده، فاتّهمه حينئذ بالرفض [١].

وشنَّع عليه عند علماء السنة وعند الملك بيدمر. وأظهر ذلك في المجالس والمجامع المعتبرة في الشام وصيدا وحوران وبيروت وطرابلس وغير ذلك [٢]. وشدّد في ذلك، حتّى أنّه قد استعان بكبار الشام، فضيّقوا عليه أنّه لا يخرج من الشام [٣]. وحبس في القلعة الشامية خوفاً منه [٤]، بأن يخرج من أيديهم، ويُبطِلَ أقاويلهم الباطلة، وخيالاتِهم الفاسدة عند جميع الخلق في الأقطار الشامية [٥].

ولمّا أدخلوه القلعة اختصّ مجلسه بعلماء الشام ومعتبريها، وصاروا [ص ٢] يتردّدون إليه في كلّ يوم، وكانوا يناظرونه [٦] في كلّ علم في المعقول والمنقول، على جميع اختلاف العلوم، فيوضح ما يقولون، ويكشف لهم عما يسترون ويكتمون، ويصحّح ما يفسدون.

---

١. قيل: إنّ ابن جماعة كتب إلى الشهيد هذا الشعر ردّاً على الشيعة في صحّة المتعة:

قالوا الروافض قولاً أتى ... بخلاف دين محمّد*
نكحوا النساء تمتعاً فولدن من ... تلك النساء فأين طيب المولد

فأجابه الشهيد:

إنّ التمتّع سنّة مفروضةٌ ... ورد الكتاب بها وسنّةُ أحمد
وروى الرواة بأنّ ذلك قد جرى ... من غير شكٍّ في زمان محمّد
ثمّ استمرَّ الحالُ في تحليلها ... قَدْ صَحَّ ذلك مِن حديث المسند
حتّى نهىٰ عُمَرُ بغير دلالةٍ ... عنها فكَدَّر صَفْوَ ذاك المورِدِ
لكن مواليد النواصِب جَدَّدَتْ ... دينَ المَجوسِ فأينَ دينُ محمّدِ**

* كذا في المخطوطة، وصوابها في الفصل الثالث من الباب الثالث.

** القصيدة معروفة ولكن أبيات جديدة أظهرتها هذه الرسالة: قارن مع المختاري، الشهيد الأوّل، الفصل الثالث من الباب الثالث نقلاً عن الروضات، ج ٧، ص ١٦، إنّ هذا الاستدراك في غير محله من الصفحة، بل في الصفحة التالية من المخطوطة عند ذكره: «وكتب ابن جماعة للشهيد... في صحّة المتعة» ولكن كثرة الاستدراكات على ما يبدو حالت على الكاتب دون ذلك..

٢. أيضاً أسماء هذه المدن الشامية، لا بل أهمّها، تدلّ على المدى الحيوي لانتشار نفوذ الشهيد والسماع لرأيه، وهو الذي بنى شبكات علاقات واسعة على امتداد البلاد وعرضها كما تبيّن لنا هذه النصوص، وكما هو معروف بأنّه هو صاحب نظرية الوكلاء.

٣. أي الإقامة الجبرية دون تعطيل لدوره الفكري والفقهي، ودلالة ذلك لقاءاته ومحاوراته وإن اقتصرت على علماء الشام ومعتبريها.

٤. بحساب الجمل: (خوفاً:٦٨٧) + (منه: ٩٥) = ٧٨٢.

٥. كلمتان غير مقروءتين.

٦. فوقها كتب: «أي يجادلونه».

ولم يزل في كلّ يوم ينشر عليهم لآلي فوائده السنية، وفي كلّ ليلة يعمّهم بمواهبه وألفاظه المضيئة، بما يليق بحالهم من الآيات القرآنية، والأحاديث النبويّة، رادّاً على ابن جماعة، بمحضر الأماجد، مبطلاً ما ينسبه إليه من العقائد بما هو أحسن عقلاً، وبما اتّفق عليه شرعاً وعقلاً [١]. وقد كتب ابن جماعة للشهيد وهو في القلعة ردّاً على الشيعة في صحّة المتعة.

وبقي سنة كاملة في القلعة. فبينما هو في تلك الحال إذ قد ورد عليه مكتوب عليّ بن مؤيّد سلطان العجم [٢] مع رسوله المصلح العارف الكامل الذكي الأديب شمس الدين محمّد الآوي [٣]. وكان بينه وبين الشريف الشهيد شمس الدين محمّد بن مكّي مودة ومكاتبة على البعد إلى العراق ثمّ إلى الشام. فطلب منه أخيراً التوجه إلى بلاده، في مكاتبة شريفة [٤] أكثر فيها من التلطف والتعطف والتعظيم والحثّ للشيخ الشريف محمّد بن مكّي، كما قد كان كتب له سابقاً غير مرّة [٥]. فاعتذر إليه وكتب جواباً شريفاً لطيفاً معتذراً، كما كان قد اعتذر إليه

---

١. تدلّ هذه الفقرة دلالة كبيرة على المكانة المرموقة التي كوّنها الشهيد لنفسه، فذاع صيته، وأصبح مقصداً للسائلين، وقطباً للمناظرة والمجادلة والمحاورة «في كلّ علم في المعقول والمنقول على جميع اختلاف العلوم...»، موضحاً لقولهم كاشفاً لسرّهم وما يكتمون من وراء أقوالهم.. مصحّحاً لما يفسدون.. ناشراً عليهم لآلي أفكاره السنية، وفي كلّ ليلة يعمهم بمواهبه وألفاظه المضيئة ولعلّه من هذه المجالس عرف من كتب عنه أنّه: لغوي... مستنداً إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، رادّاً على ابن جماعة وما ينسبه إليه من العقائد بما هو أحسن عقلاً وبما اتفق عليه شرعاً، وهنا نود الإشارة إلى ما أورده البعض من حوار دار بين الشهيد وابن جماعة ولعلّها في هذه المرحلة أي سنة الإقامة الجبرية: أنّ هذا الأخير أراد تحقير الشهيد الذي يبدو أنّه كان صغير الجثة، وأمامه دواة، فقال ابن جماعة: ما لي لا أحسّ إلّا صوتاً من وراء دواة، ولا أفهم ما يكون معناه...؟ فأجابه الشهيد على الفور: نعم ابن الواحد لا يكون إلّا كذلك، فخجل ابن جماعة وامتلأ قلبه حقداً على الشهيد. يوسف طباجة: الشهيد الأوّل ومشروعه... العرفان، م ٨٠ عدد ٣ و٤، ص ١١٧. وفي لهجة القول عند ابن جماعة يبدو الاستفزاز واضحاً.

٢. فوقها كتب: «ملك خرسان وما والاها».

٣. ترجمته في أمل الآمل، ج ٢، ص ٢٤٧؛ راجع يوسف طباجة: الشهيد الأوّل ومشروعه...، العرفان، م ٨٠ عدد ٣ و٤، ص ١١٩.

مقابلها على الهامش الأيسر كتب: «وكان ورود محمّد الآوي في أوّل الشهر الثاني عشر من تلك السنة التي ضُيِّقَ عليه فيها، وقد كتب له اللمعة وهو في الحبس في سبعة أيّام لا غير (مكّي)».

٤. مقابلها على الهامش الأيمن كتب: «بعد ثالث مرّة وقيل أكثر».

٥. مقابلها في الهامش الأيسر كتب: «وقد كتب عليّ بن مؤيّد إلى الشريف الشهيد ثلاث مرّات، فكتب له وهو في العراق مرّتين، وهذه الثالثة إلى الشام. واتّفق أنّه في الحبس لا يمكنه الخروج ولا الخلوة، ولولا خوف الإطالة لذكرت جميع المكاتبة ولفظها، ولكن من أراد ... فعليه بنسيم السحر».

وهذه دلالة أخرى على علوّ مقام الشهيد وذياع صيته وهو لا زال في العراق. لاحظ في وثيقة الستّ فاطمة. القرآن المذهب المعروف بهدية عليّ بن مؤيّد، دراستنا في العرفان. ص ١٠١.

سابقاً. وكتب له مع الجواب رسالة شريفة، مشتملة على المسائل العجيبة [١]، والنكات الغريبة [٢]، بما يناسب حال الملوك في مجالسها، وبما يكون به بقاء ملكها [٣]. فلمّا رآها الصالح العارف الأديب شمس الدين محمّد الآوي قال: هذه الرسالة حسنة جدّاً، ولكن لا تصلح ولا تناسب إلّا له ولأمثاله، فينبغي أن تكتب شيئاً ما يعمّ نفعه ويكثر فعله [٤] في كلّ آن وزمان؛ لأنّ قولكم الآن علينا حجة، ونحن لا يمكننا الوصول إليكم في كلّ وقت، فاستصوَبَ كلامه واستحسن مقاله [٥].

ثمّ شرع في تصنيف اللمعة. فلمّا شرع فيه فلم يدخل عليه أحد ذلك اليوم، وكذا ما بعده إلى مدة سبعة أيّام، وكان تمامها في سابع يوم [٦]، ولم يدخل عليه أحد قطّ إلّا خادم لا يتوقّف بمجلسه [٧]، فلمّا فرغ في اليوم الثامن كرّت الناس عليه، والعلماء والوزراء وأرباب الدول كعادتهم رجعوا إليه [٨]. فبينما الناس إليه يتردّدون إذ قال له رجل ممن له مزيد صحبة مع

---

١. فوقها كتب: «أي القضايا العجيبة».

٢. فوقها كتب: «والنصائح والمواعظ»، وتحتها كتب: «النكت الغريبة والمواعظ النفيسة».

٣. لا شكّ أن هذه الرسالة (الكتابات) هي على ديدن كتب سراج أو نصائح الملوك، ولكن هذا الكتاب وهذه الآراء لم تأخذ حيزاً في مؤلّفات الشهيد الموجودة.

٤. تحتها كتب: «ويجب شرعاً فعله».

٥. على الجانب السفلى من الهامش الأيسر كتب: «ولمّا أخذ شمس الدين محمّد ما كتبه الشريف الشهيد، ورد إلى العراق وفي كاشان فكتبوها [نصّ مشوش فيه: وهي في يده لا يعطيها ليلاً إلّا بحضوره...]، ومن كاشان قد كتب مكتوباً شريفاً شمس الدين محمّد الآوي، ومعه شعر لطيف يتضمن مدح الشهيد وصفاته التي رآها منه. وهي مكاتبة حسنة وشعر بليغ قد ذكره في نسيم السحر».

٦. على الجانب السفلى من الهامش الأيمن كتب: «وتلك الرسالة التي كتبها قبل، وجميع ما كتبه لعليّ بن مؤيّد في اثني عشر يوماً: اللمعة تمت في سبعة أيّام، وتلك في ستّة أيّام. إنّ رسالة بأهميّة اللمعة الدمشقيّة أشهر مؤلّفاته التي استغرق الشهيد في تأليفها سبعة أيّام يدلّ أيضاً على أهميّة الرجل. والرسالة «بما يناسب الملوك في مجالسها وما يكون به بقاء ملكها» التي استغرق في تأليفها هي الأُخرى ستّة أيّام. هذه الرسالة من الكتب المفقودة للشهيد، ولو تمّ العثور عليها لأفادتنا كثيراً في رؤية العمل مع السلطان، وما يكون عليه الأخير تجاه الفقيه نائب الإمام وهذه مسألة على كبير من الأهميّة لا تزال إلى اليوم موضع إشكال في الفقه الشيعي».

٧. أي لا يجالسه.

٨. وصف آخر يدلّ على علوّ شأن الشهيد في دمشق كفقيه لامع، واشتهاره كمناظر ومحاور في كافّة أصناف المعارف الفقهية والأدبية والشعرية. ودليل ذلك ما حصل من حوارات بينه وبين العديد ممن تردّدوا عليه وأبرزهم (خصمه اللدود) ابن جماعة. لاحظ مثلاً إحدى محاوراتهم في حياة الإمام الشهيد الأوّل للشيخ شمس الدين، ص ٧٢.

الشريف شمس الدين محمّد بن مكّي:

إنّي في كلِّ يوم كنت أُحِبّ الحضور عندك والاستفادة منك، لكن كلَّما عزمتُ على أن أنقل قدميّ يعرض لي عارض يصدّني ويمنعني. ورأيت مرةً في المنام قائلاً يقول لي: لا تمضي [لا تمضِ] إلى عند الشيخ الشريف شمس الدين محمّد بن مكّي إلّا بعد سبعة أيّام. فتعجبت من ذلك».

فقال له الشريف الشهيد: «الله عالم السرائر، ومطّلع على الضمائر، ولعلّ الخير فيما وقع في قضائه وقدره»[١].

ولما انقضت السنة عليه وهو في القلعة، ورأى الناس منه ما قد رأوا، من الصبر والآداب، وحسن العشرة والأجوبة، وبليغ الألفاظ ومحاسن [ص ٣] في المجالس، ولم يقع لأحد عليه اعتراض، ولا صدر عنه شيء يوجب الانقراض[٢]. فأُخبِرَ بيدمر[٣] بأنّ الشيخ الشريف شمس الدين محمّد بن مكّي قد بالغ في الإنصاف والردّ على ابن جماعة[٤]، ومن كلّ بهتان قيل فيه بالأدلة العقلية والنقلية، بالأحاديث(خ ل: من الأحاديث) النبوية والآيات القرآنية، وبأقوال العلماء والحكماء الذين يشار إليهم في البرية، فانظر ماذا ترى. فلمّا بلغ بيدمر ذلك وعلم كذب الوشات، وما ابتدعوه العداة [كذا]، تعجّب مِن أمره وحسن صبره وقال: «لأيّ شيء

١. هذه صورة من صور الكرامات التي ينقلها بعض الرواة عن الشهيد، راجع حديث الشهيد بهذا الخصوص، الشهيد الثاني، الروضة البهيّة، ج ١، ص ٢٤.

٢. دلالة أُخرى على أنّ الشهيد كان في الإقامة الجبرية، خاضعاً للمسألة والمناظرة والمحاورة في قضايا الاتهام التي سيقت إليه «بهتاناً». بنتيجتها لم يستطع أحد من مناظريه وحاضريه أن يسجّل عليه أيّ «اعتراض» على أفكاره وأقواله، ولا أخطأ فصدر عنه شيء يوجب «الانقراض». والانقراض: العمل الذي يوجب عليه الجزاء. راجع لسان العرب، مادة «قرض».

٣. فوقها في أعلى الصفحة من الجهة اليسرى كتب مقلوباً: «وقد كان الذي أخبره من معتمدي أهل الشام. يبدو أنّ بيدمر لم يكن على علم بحال الشهيد وسجنه، كون بيدمر في هذه الفترة كان بمصر إلى جانب برقوق (الأمير الكبير) كفيل السلطان الضعيف، الذي رتّب عزله وجلس على تخت السلطنة. (راجع المقريزي، السلوك، ص ٤٣٩؛ وابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٥، ص ٤٧٢؛ وابن أياس، بدائع الزهور، ص ٢٨٥) وبعد النتيجة الواضحة لمصداقية الشهيد أخبر بيدمر أحد «معتمدي أهل الشام» من قبل السلطة المملوكية وثقاتها ولم يكتب الشهيد لبيدمر لنفسه، وسنلاحظ أنّه كتب له عندما تهدد الأمر المجتمع والأُمة. مثلاً: أثناء عزمه على إنهاء حركة اليالوشي كما ستبين المخطوطة لاحقاً. وهو مذكور اسمه وما كتبه في كتاب نسيم السحر».

٤. هذا الكلام يعني أنّ الشهيد منصف في أقواله وردوده لعلّه تجاه بعض قضايا الخلاف بين السنة والشيعة والتي أبرزها وعظمها ابن جماعة. وللأسف أخذ بعض المؤرّخين الذين نسبوها للشهيد ليبرروا قتلته.

لم يخبرنا بما له ولم ينبئنا بمقاله؟»[١]. ثمّ كتب له كتابة من قبل نفسه، من غير أن يُطلب منه أو يلتمس له، جبراً لخاطره، وتعظيماً لشأنه، وجلالة لمقامه، وتعرضاً لمطالبه وقضاء حوائجه[٢]، فقيل للشيخ شمس الدين الشريف الشهيد محمّد بن مكّي: ينبغي أن تكتب شرح حالك، لدفع ما لعلّه أن يقع بك وبولدك أو بمالك، بسبب قول الواشي. فأبى ذلك، فأُلحَّ عليه فلم يفعل ذلك، ثمّ قيل له أيضاً. فحينئذٍ قال: «يجب على المرء أن يسعى بما فيه خلاص نفسه أو صلاح نفسه». ثمّ كتب إليه مكتوباً بما يحسن أن يخاطب به الملوك وأرباب الدول والسلوك[٣]، بما اقتضاه الحال والمقام، فمن ذلك القول البليغ والنثر الفصيح الذي كتبه الشيخ هذا الشعر:

أيا بيدمر يا مالك الناس رحمة[٤] أجرني من القوم الوشاة الأعاديا
رموني بزور ثمّ إفك وحقّ من جَعَلْكَ مليكاً حاكماً يا عمادِيا
فاسمكم المحروس خمسة أحرف إذا استنبطت تجلي القلوب الصواديا
فبرءٌ أولٌ ثمّ آخرٌ لكلّ امرءٍ [كذا] في الشام حَضَرٌ وباديا [كذا]
فلا تسمعنْ ما قيل فيَّ فإنّني بريءٌ وربّي شاهدٌ في معاديا
عليمٌ بأنساب النبيّ وآله وأصحابه الأخيار ذخري وزاديا
كذاك كتاب الله أبلغ شاهد وتفسيره ثمّ الحديث رَشاديا
ونحو وصرف وفقه وحكمة وأصلين مع [علم] البيان قياديا

١. تعجب بيدمر الذي كان في هذا التاريخ بمصر، لأمر الشهيد وحسن صبره، وتساؤله عن عدم إخبار السلطة بما يجري عليه، يدلّنا على ثقة الشهيد بنفسه، وبالخطة التي أخططها وسار عليها. وهذه النتائج بدأت تأتي أُكلها.
٢. من النتائج في نضج مشروع الشهيد هو أن يكتب بيدمر إلى الشهيد دون سابق طلب أو التماس بل «جبراً لخاطره، وتعظيماً لشأنه وجلالة لمقامه، تعرضاً أي عارضاً لمطالبه وقضاء حوائجه»، الأمر الذي يذكرنا بالقول المشهور: «إذا رأيت العلماء على أبواب الملوك فبئس العلماء، وإذا رأيت الملوك على أبواب العلماء فنعم الملوكوالعلماء». وهذا ما يدلّ مرّة أُخرى على رصانة الشهيد، وكبر نفسه، وعزة نفسه النابعة من موقفه كفقيه يعرف جيّداً ما هو مطلوب منه وماذا يريد، وهذا من مقتضيات مشروعه العتيد على أنّه ليس من فقهاء السلاطين.
٣. السلوك: سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه. ابن منظور، لسان العرب، «سلك». وفي علم النفس: الاستجابة الكلية التي يبديها كائن حيّ إزاء أيّ موقف يواجهه.
٤. لم ينعته بصفة السلطة والملك بل بسماحته المعهودة لديه ولدى كافة أهل الشام حضراً وبادياً. وهذا عكس ما ذكره ابن خلدون عن بيدمر. راجع ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٤٧٩، وما ذكرناه في مقدّمة التحقيق.

وشعر طريف مع عروض ومنطق وعلم بديع آلتي وزناديا
فكن ناصري ينصرك ربّي على العدا ولي راحماً يرحمك يوم التناديا[١]

وبعد، إلى آخر ما كتب من القول البليغ، والنثر الفصيح. ومضمون ذلك أنّه ينبغي التدبر في عواقب الأُمور، ومنه أن يعلم ما في الصدور ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾[٢]. ومنه أنّه يجب على العاقل العمل بما ورد في الشريعة المطهّرة، التي وردت على لسان نبيّنا محمّد خير البرية، (صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الأكرمين)[٣].

قال، فلمّا بلغ برقوق كلامُ الشريف شمس الدين محمّد [ص ٤] بن مكّي [و] تدبّر حسن كلامه، وعلم صدق مقاله، أمر بأن يحضر جميع علماء الشام، ومن كان من أهل الحل والعقد، ويحضر الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي، ثمّ يناظروه ويناظرهم بما اقتضته الشريعة المطهرة. فحينئذٍ حضروا بأجمعهم واجتمعوا بأسرهم في الشام، وحضر كلُّ من له شأن في الأنام، وجرت بينهم ثلاثة أيّام المناظرة، والله شاهد والناس ناظرة وكانوا [كذا] القوم في ذلّ وانخفاض وهو في علوٍّ عليهم وارتقاء وظهرت له الغلبة عليهم، واتّضح أنّ الحق معه لديهم[٤]. فعلم بذلك العادل برقوق الملك، فعَظُم لديه، وتوجّه بكلِّ وجهٍ إليه، وكتب له زيادة

١. القصيدة جديدة يظهر مطلعها الاستغاثة الواضحة، ثمّ مديح رصين في بيتين، ليعرِّف عن نفسه كفقيه وأديب وشاعر... ليختمها بالاستغاثة.
٢. العاديات (١٠٠): ٩ ـ ١١.
٣. هذا الجزء المقتطع من ردّ الشهيد الأوّل على رسالة بيدمر يوضح عدة أُمور منها:
أ) أنّ الشهيد لا مانع لديه من العمل مع السلطان على القاعدة الآنفة الذكر أعلاه، والتي يؤمن بها علماً وعملاً.
ب) أنّ هذه القصيدة هي جديدة في ما عرف من أشعار الشهيد. ولكنّها مشابهة للقصيدة الرائية التي أوردها الخونساري في روضاته والأمين في أعيانه. ونقلها وعلّق عليها الأخ الشيخ المختاري، الفصل الثالث من الباب الثالث. لجهة الاستغاثة (بالسلطة بشخص «بيدمر») من نفس الأشخاص، وهم فقهاء السلطة، بحسب ما سيتضح لاحقاً.
ج) أنّ التهم التي كانت تساق على الشهيد عكس حاله التي يبيّنها في الأبيات الخمسة الأخيرة من القصيدة.
د) أنّ الشهيد أراد أنْ ينبه إلى حال الأُمة إذا ما استشرت فيها روح النميمة والفساد والإفساد والتفسيد. لذلك كان إطلاق صرخته، مستشهداً بالآيات القرآنية، والعمل بها و «بما ورد في الشريعة المطهرة على لسان نبيّنا محمّد خير البرية ﷺ».
٤. هذا يدلّ على أنّ المشكلة مع «العلماء».

على ما مرّ، بعد تحيّةٍ لطيفةٍ وكلمات منيفة، فمنها هذه:

إلى المولى الفاضل العارف، الغوث البدل المكاشف، في المشارق والمغارب، أُسوة الفضلاء المحقّقين وقدوة العلماء المتبحّرين، شمس الملة والحق والدين محمّد بن مكّي؛ فإنّه يختار ما يشاء، ويسكن حيث مايشاء في الديار الشامية، إن اختار الشام، أو صيدا، أو بعلبك، أو القدس الشريف [١]. فإنّك الفاضل المعظَّمُ لدينا، والصادقُ المحِقُّ فيما ورد منكم علينا، فلتسكن أنتم ومن معكم أبد الآباد في ديار الفضل، ولتقم أنت ومن ينسب إليك، أبد الآباد في أمصار العدل. ليهتدي بهداكم السالكون، ويقتدي بكم الراسخون. فأنت تاج الشريعة، ومنهاج الحقيقة، أحقّ أن تتّبع، وكلامك أصحّ بأن يُستمع.

وخرج من القلعة مكرّماً معظّماً، ثمّ أنّه قيل للشيخ: ينبغي أن تقيم [٢]، في كلّ مكان ذكر أو في بعضها الفصل الذي يناسب لها، لرضى الخليفة المؤيَّد، والمنصور المؤيَّد.

وكان ﷺ إذا حضر في مكان من الشام أو بعلبك أو صيدا يدرّس ليلاً في مذهب الشيعة للخواصّ من الشيعة تقيّة [٣].

وبقي على ذلك مدّةً ساعياً في تشييد الدين، وإرشاد الناس إلى الحق المبين، معيناً للضعيف، ناصراً للمظلوم، مغيثاً للملهوف، ماثراً [مؤثراً] على نفسه إخوانه، مروّجاً للأحكام الشرعيّة، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، راحماً للصغير، موقّراً للكبير، لا تأخذه في الله لومة لائم. إلى أن خرج رجل وادّعى النبوة، وارتدّ عن مذهب الإمامية [٤]، وخرج عن الدين. وكان اسمه محمّد بن تقي الدين الجبائي البابلي [٥]، وفعل أشياء بالسحر والشعبذة، مما

---

١. مقابلها في الهامش الأيسر كتب: «هذه الأماكن الأربعة أحسن ما يكون في المدن في بلاد الشام، هي وقراها حسنة جداً، وجزّين بلد الشهيد من قرى صيدا».

٢. مقابلها على الهامش الأيمن كتب: «وأن تقيم في كلّ قطر مدة لأجل إرشاد الناس وتعليمهم ووعظهم ودلالتهم على الدين».

٣. مقابلها على الهامش الأيسر كتب: «وأمّا في بلده جزّين وفي قرى جبل عاملة لا يوجد أهل السنة قط فيدرّس ما شاء ولكنّه في تقية، وأمّا المدينة كان ليلاً للشيعة ونهاراً لمن حضر منهم».

٤. مقابلها على الهامش الأيسر كتب: «وكأنه قصد السعي غير واضح ولم يظهر في الصورة فكان مدة لأجل تعليمهم و دلالتهم على الدين».

٥. هو المعروف باليالوشي نسبة إلى «برج يالوش»، وهو المكان الذي اتّخذه مسكناً للإقامة به. وهو يقع على مرتفع بين بلدتي الزرارية وبريقع، فوق الطريق العام لجهة اليمين، وتوجد هناك آثار دارسة ومنها آثار لقبور ←

ويتعجب منها غايةَ العجب. وأكثر القرى مالت إليه، وجميع الناس الهمج انكرّت [١] عليه، لمّا رأوا منه [ص ٥] إظهار العجائب وأفعال الغرائب، ممّا لو ذكرته لطال. منها: أنّه كلّم الناس الذين في جبل عرفات في وقت الحجّ، وهو واقف على ظهر البرج الذي بناه وتحصن به. وقيل: إنّه قد كان عهد إليهم، وطوى الهواء [؟]، على ذلك. فلمّا رجع الحجاج وسألهم من كان حاضراً وسامعاً، فقالوا: نعم نادانا وقال كذا وكذا.

ومنها أنّه قد أظهر يوماً البساتين وفيها الأشجار والأزهار، وذلك بالشعبذة. فأُخبر الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي حينئذٍ، وكان قريباً لذلك المكان الذي فعل به ذلك، ولم يعلم أنّ الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي في ذلك المكان [٢]. فلم [فلمّا] علم الشريف محمّد فقال: «يا أيها الناس، لا تعجبوا من أشجاره وأزهاره التي رأيتموها. وانظروا الآن ماذا يُفعلُ بزروعه وخضره التي توهّمتموها». قال: فأخذ ورقة وقطعها أربعة قطعٍ، وكتب على كلّ ورقة شيئاً من الأسماء، ثمّ رمى تلك الأوراق في الهوا إلى الجهات الأربع، الجنوب والشمال والشرق والغرب، فلمّا رمى بكل الأوراق، فما كان أقلّ من لحظة إلّا وقد ظهر جراد منتشر في كلّ ناحية، وقد غطّى الأرض والأُفق، والناس ينظرون إلى ذلك، فأكل ما قد كان صنع بسحره وبشعبذته وكأنّها لم تكن [٣].

← محفورة في الصخر، لعلّها تعود إلى العهود البيزنطية. راجع سليمان ظاهر، معجم قرى جبل عامل، العرفان، م ٨٠، ص ٧٥٩، وفيه يروي الشائع والمتواتر في جبل عامل عن اليالوشي.

أمّا اسمه فهو محمّد.

ـ أمّا الجبائي: فإنّ في جبل عامل بلدة باسم «الجبين» جنوب مدينة صور... انظر سليمان ظاهر، معجم قرى جبل عامل، العرفان، م ٢١، ص ٣٣٤، ولعلّ الصحيح «الخيامي» نسبةً إلى قرية الخيام في جبل عامل.

ـ البابلي: هناك بلدة قريبة من برج يالوش وبموازاتها شمالاً تدعى «البابلية» من أعمال إقليم الشومر في جبل عامل، ولعلّه ينسب إليها. انظر سليمان ظاهر، العرفان، م ٨، ص ٧٦٤.

١. تحتها كتب: «اجتمعت لديه».

٢. وهو مكان تواجد ونفوذ اليالوشي في ساحل جبل عامل، وعلى الأغلب في منطقة الشقيف / النبطية. وهي المنطقة التي ينسب إليها الشهيد الأوّل. راجع أُطروحتنا للدكتوراه.

٣. هذه الروايات وغيرها من روايات لا زال أهل جبل عامل يتحدثون عنها بالتواتر، قيل: إنّه كان يسير تحت المطر دون أن يتبلّل... وإنّه كان يقيم حفلات الرقص حول النار في ساحة نبطية الفوقا. وإلى ذلك قد أشار الشهيد الأوّل في بعض كتبه إلى تعلم السحر لرد السحر وليس للعمل به كونه محرم. راجع اللمعة الدمشقيّة، كتاب المتاجر، وكتاب الحدود. ما نريد الإشارة إليه هنا أنّ المقابلة أو ما يشبه المناظرة في السحر حصلت بين الشهيد واليالوشي الذي لم يتعظ، فلجأ الشهيد إلى وسيلة المفاوضات على قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثمّ أرسل إليه الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي جماعةً من المسلمين، على أن يترك هذه الشعابذة: «ولا تكن من الجاهلين، ولا تشغل الناس عن الدين بما لا يجوز في شريعة [١] سيّد المرسلين». فلم يرتدع، ولا لقوله سمع [٢].

ثمّ أرسل إليه ولده الشيخ الصالح النجيب الأصيل الشيخ ضياء الدين [٣]. وأرسل معه أربعين عالماً [٤] من تلامذته الأخيار، ومعهم جماعة من أُولي الابصار [٥]. فلمّا ساروا إليه لينصحوه، وبالموعظة الحسنة لعلّهم ينفعوه، وعن جهله يردّوه، علم بذلك فتلقّاهم للقتال في وادي زبدين، وهي قرية من قرى الشقيف [٦]، ومعه جماعة كثيرة، وشرع يقاتلهم ويتهدّدهم.

---

١. فوقها كتب: «شرع».

٢. هذه المراسلة الأُولى أو بالأحرى الإنذار الأوّل بالمراسلة، والوفد من عموم الناس (جماعة من المسلمين)، فلم يرتدع ولا لقوله سمع.

٣. على الهامش الأيمن كتب: «الشيخ ضياء الدين شريف أيضاً من أُمه، فهو من بني الحسين حسيني».
توضح هذه الرسالة تعدّد زوجات الشهيد، وهذا ما ذهبنا إليه في دراستنا في العرفان، م ٨٠، عدد ١ و٢ ص ١٠٠. وهذه أوّل إشارة إلى نسب زوجة الشهيد «أُم عليّ» على أنّها من السادة حسينية. والملاحظة هي أنّ الشهيد يكنى بأبي محمّد كونه الأكبر في أولاده. فيتضح أنّ زوجته «أُم عليّ» هي زوجته الثانية. باعتبار أنّ عمه الشيخ أسد الله الصائغ أبو زوجته الأُولى (أُمّ محمّد) وأنّ آل الصائغ ليسوا سادة. لاحظ الشيخ المختاري، الشهيد الأوّل، الفصل الرابع من الباب الأوّل والفصل التاسع من الباب الأوّل».

٤. وهي المراسلة الثانية، ولكن هذه المرة ضمت نخبة من «أربعين عالماً من تلامذته الأخيار، ومعهم جماعة من أُولى الأبصار..» أي قوة الإدراك والفطنة والعلم والخبرة. هذا القول يدلّ على أنّ الوفد كان كبيراً بقيادة تلامذته الأربعين، الذين اختارهم الشهيد لهذه المهمة بالنصيحة والموعظة الحسنة، ليردوه عن موقفه إلى جانب فقهاء عدول. هذا الإصرار على إنهاء ظاهرة اليالوشي تدلّ على المدى الخطير الذي وصلت إليه... خصوصاً لجهة تأثيرها على المجتمع العاملي كما تبيّنه هذه المخطوطة.

٥. أُولي الأبصار: أي قوة الإدراك والفطنة والعلم والخبرة. ابن منظور: لسان العرب، مادة: بصر.

٦. تكشف هذه الرسالة وللمرة الأُولى، حقيقة «مقبرة الشهداء» المعروفة في جبل عامل عامة، وبلاد الشقيف / النبطية خاصّة. والمتواتر الحديث عنها أنّها مقبرة شهداء «معركة الشهداء الواقعة بين الشهيد الأوّل واليالوشي»، لتكشف هذه الرسالة ولأوّل مرّة لتاريخه عدد الشهداء والسبب الغدر الذي أدّى إلى مقتل هؤلاء الشهداء الخمسة والثلاثون. (انظر ما ذهبنا إليه في دراستنا المنشورة في العرفان، م ٨٠، عدد ٧ و ٨، ص ٧٠ – ٦٢).
وأنّه حصلت معركة، ولكنّها كانت غير متكافئة العدد والاستعداد. هذا من جهة السمة العامة للواقعة، أما الوقائع فهناك تعارض بين ما كتب في هامش الرسالة، والواقع الجغرافي لمقبرة الشهداء التي لا زالت إلى اليوم قائمة ومعروفة، ولو أنّ القبور الدارسة قد شوّهت بعدما حفرت فيها بعض القبور الجديدة.
– جاء في هامش الرسالة المذيل بنسيم السحر، أي نقلاً عن المخطوطة الأصل نسيم السحر: «وقبورهم إلى الآن مشهورة يقال لها قبور الشهداء» وهذا القول صحيح، إلى اليوم هي معروفة بهذا الاسم أمّا «في الوادي الذي تحت ←

فقالوا له: سبحان الله، نحن ما أتيناك للقتال، ولاللشنيع من الأفعال ... فقال: إنّي أُريد أن أرميَكم بالفظيع. ثمّ غدرهم، وبسوء صنيعه قد قتلهم[١]، إلّا خمسة منهم ابن الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي، ضياء الدين عليّ المذكور، فإنّه قد تركهم. ثمّ إنّه قال للشيخ ضياء الدين عليّ ذي الرأي السديد: ارجع إلى أبيك الشيخ الفاضل المجيد[٢]، وقل له أن يتركني، وفي أفعالي لا يتعارضني.

فلمّا صدر من المرتدّ ما ذكرنا، رجع ولد الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي إلى بلده جِزّين، فأخبر أباه بما جرى، وأخبره بما قال. ثمّ أخبر أباه أيضاً بأنّ جميع قرى البلاد من السواحل كلّها وما فوقها[٣] قد مالتْ إليه، وتابَعوه على فعله القبيح، ولم يبقَ على طريق الصواب إلّا القليل من أهل القرى والأصحاب[٤] [ص ٦] فتكدّر لذلك وتأمّل، وقال:

لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، إنّ هذا الضال قد ارتدّ عن شريعة سيد المرسلين،

← زبدين» فهو مخالف تماماً للواقع. وكوني ابن المنطقة، قمت بمسح للوادي وسألت المهتمين والعارفين بجغرافية المنطقة، والمسنين أيضاً. فتبين لي بالقطع أن لا أثر لقبور أو لمقبرة في وادي زبدين. ولكن الواضح أنّ موقع مقبرة الشهداء وفي الحقيقة يقع على ربوة بمحاذاة منطقة هي امتداد لوادي زبدين، الذي هو أي وادي زبدين جزء من واد أو مجرى مياه الشتاء، يمتد من منطقة كفرتبنيت العقارية ليمر تحت النبطية الفوقا، إلى الجهة الجنوبية من النبطية التحتا، وصولاً إلى وادي زبدين. إنّ مقبرة الشهداء تقع بمحاذاة تقاطع طريق كفر رمان النبطية الفوقا وطريق النبطية التحتا قلعة الشقيف، مرجعيون. والظاهر أنّ الموقعة أو الملاحقة قد حصلت فعلاً في وادي زبدين «تحت قرية النباطية الغربية» (النبطية التحتا اليوم) كما جاء في حواشي هذه الرسالة. وأنّ الشهداء دفنوا في الموقع الذي يعرف اليوم بمقبرة الشهداء كما بيّناه أعلاه. ولكن الملاحظة التي أود ذكرها هنا هو أنّنا أثناء بحثنا عن الموضوع ظهر لنا عدة مقابر متناثرة بين مقبرة الشهداء ومقام «محمّد شاه بن بيدمر» في النبطية الفوقا، ما حدى بنا إلى الاعتقاد أنّ معركة أُخرى حصلت، ما يوجب البحث والتدقيق.

فوقها على الهامش الأيسر كتب: «تحت قرية النباطية الغربية».

١. على الهامش الايمن كتب: «وقبورهم إلى الآن مشهورة يقال لها: «قبور الشهداء» في الوادي الذي تحت زبدين» (نسيم السحر).

٢. نلاحظ أنّ اليالوشي لا زال ينظر إلى الشهيد نظرة احترام وتقدير، ولعلّ قوله «الشيخ الفاضل المجيد» هو الذي يثبت ما ذكره العديد من المؤرّخين، من أنّ اليالوشي هو تلميذ من تلامذة الشهيد الذين خرجوا عنه وليس عليه بمعنى الارتداد عن الدين وادعاء النبوة وهذا ما ستثبته هذه الرسالة لاحقاً.

٣. مقابلها على الهامش الأيمن كتب: «السواحل قرى متعددة من صيدا إلى مدينة صور».

٤. الخطورة في ظاهرة اليالوشي لم تقتصر على شخص، بل بتعميم تلك الظاهرة وشيوعها في أغلب قرى ساحل جبل عامل. إذ توضح هذه أنّ هذا التعميم كان يحصل بقوّة السيف.. «إلّا القليل من القرى والأصحاب» ويعني الأصحاب من هم مرتبطون بقيادة الشهيد الأوّل.

فزَجْرُه وردعه عن أفعاله القبيحة، وحركاته الشنيعة بالقتال لعلّه يستلزم أن يُقتلَ مَن لا يستحقّ القتل من الجانبين، وأنّه لا ينبغي القتال بين المسلمين، فكيف مع الأصحاب والمحبين، وأكثر القوم أقارب، وكلهم على الدين القويم. فإنّا نتأمّل في أمره إن شاء الله تعالى بما يليق، وإنّ الله بنا لرؤف شفيق [١].

فحينئذٍ كتب الشيخ الشريف محمّد بن مكّي إلى الملك بيدمر ـ بعد التحية وشرح القضية ـ:

أنّ رجلاً من السواحل، قد ارتدّ عن مذهب الإسلام، وأنّه قد ادّعى النبوة بعد نبينا محمّد سيّد الأنام. وفي الصحيح: «أنّه من ادّعى النبوة بعد سيد المرسلين، يُقتل باتفاق المسلمين» ولقوله ﷺ: «لا نبيّ بعدي» [٢]. ولقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ﴾ [٣]. وأنّه قد أضلّ كثيراً من المسلمين. فيجب على الرؤساء في الملة الحنفية المحمّدية، المساعدة والمبادرة على قمع من خالف الشريعة المطهّرة بارتداد، وإقامة الحدّ عليه إن ظهر (خ ل: على من يظهر منه) منه فساد أو عناد. وأنّ الله سبحانه قد منّ عليك بالرياسة الدنيوية. وأنّه (جلّ شأنه) قد منّ وأنعم على هذا العبد بمعرفة الأحكام الشرعيّة التي جاء بها نبيّنا محمّد سيّد المرسلين، (صلوات [الله] عليه وعلى أصحابه أجمعين) فيجب علينا العمل بمقتضى أوامره ونواهيه. وأنّه يجب عليكم مساعدة الشريعة الغرّاء [٤]،

---

١. يبدي لنا هذا النصّ رحابة وسعة بال الشهيد، المتزامن مع الإصرار على التصدّي والقضاء على ظاهرة الارتداد عند اليالوشي. فلاحظنا سابقاً التصدّي المباشر لأفعال اليالوشي السحرية، ثمّ إرساله مجموعة من المسلمين لمحاورة اليالوشي بالتي هي أحسن، ثمّ خلص تلامذته وبعض الفقهاء ومعهم ولده الشيخ عليّ. فكان رد الفعل على الضغط الذي تعرض له اليالوشي هو قتل خمسة وثلاثين من الوفد القادم إليه. مع ذلك نجد الشهيد يتأمل، ويحوقل، ليبدأ التفكير بالقتل وليس القتال على «أنّه لا ينبغي القتال بين المسلمين، فكيف مع الأصحاب والمحبين، وأكثر القوم أقارب وكلهم على الدين القويم» كون الشهيد هنا مطمئن لحال الناس أنّهم ضحية ارتداد اليالوشي، وأنّ العلة والمشكلة تكمن فيه. ولذلك قرّر التخلص منه وبأقل التكاليف، حذراً من دم المسلم للمسلم، أو سفك الدم كرد فعل وكيفما كان... لذلك سنلاحظ أنّ تجهيز العسكر، وإعلام السلطة بشخص بيدمر الذي حضر على رأس هذه الحملة، والحشد الذي سار على رأسه الشهيد شخصياً للتخلّص من ظاهرة شخص اليالوشي كانت للتخويف أوّلاً، وللقتال والمواجهة إذا استلزم الأمر، وهذا ما لم يحصل كما سنرى لاحقاً.

٢. هو حديث مشهور قد أظهرته كتب السنة.

٣. الأحزاب (٣٣): ٤٠.

٤. لاحظ لغة الوجوب المستندة إلى الأحكام الشرعيّة، والسنة النبوية. ليتضح أنّ قول الشهيد يندرج سياق فتوى.

ولزوم المحجّة البيضاء [١]، لدفع هذا الضالّ. فالمسؤول والمأمول من الخليفة القاهر الباهر، والملك الناصر القادر الرافع لأعلام الرايات الدينية، والقامع لمعاند الشريعة النبوية. (خلد الله ملكه، وجعل الدنيا بأسرها ملكه) أن يقابلنا بجهوده المشكورة، وأن يساعدنا (خ ل: يؤيّدنا وينصرنا) [٢] بجهوده المشكورة، وعساكره المنصورة، لردع هذا الضالّ المضلّ عن الشرع الشريف، والمرتدّ عن الدين المحمّدي الحنيف [٣].

فركب بيدمر بجنوده وعساكره [٤] سريعاً، وأرسل إلى الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي وأخبره بسيره بجنوده وعساكره فتلقّاه الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي، وجميع أهل

---

١. المحجة البيضاء: المحجة: الطريق المستقيم أو جادة الطريق ومعظمه. وهذه العبارة استعارة من خطبة الإمام عليّ عليه السلام: في الحثّ على العمل الصالح. نهج البلاغة، خطبة ٦٧.

٢. السلطان يساعد الفقيه كمبادر في إقامة الحدّ على مرتد.

٣. هذه الرسالة على أهمية محتوياتها فإنّ دلالاتها تفوقها أهمية.

أوّلاً: أما لجهة المحتوى: فإنّها تحسم أمر اليالوشي ومعتقداته لجهة الشعوذة وادعائه النبوة. بعد أن تكشف ما هو مغاير لما هو معروف وسائد، وهو العلاقة الوطيدة ما بين السلطة المملوكية المتمثلة بالأمير «بيدمر» وصولاً إلى السلطان برقوق، والشهيد الأوّل وما بينهما من مراسلات. ومدى الباع الطويلة للشهيد التي توفّرها له السلطة، إما إنكفاء أو مساعدة. ولعلّ هذه الرسالة ترجح الأمر الأخير، خصوصاً إذا ما أخذنا بالاعتبار ما ورد سابقاً.

ـ المحتوى اللافت يحدد همَّ الشهيد كفقيه، منّ الله عليه «بمعرفة الأحكام الشرعيّة»، ليتصدّى لمرتد أضلّ كثيراً من المسلمين فوجب «إقامة الحد عليه». ونعتقد هنا جازمين أنّ ضلالة الناس وميلهم وإن بالقوة أو التهديد والوعيد إلى آراء اليالوشي، وخروجهم على الإسلام، وانفراط عقد اللحمة الاجتماعية، هي القضية الأساس التي كانت وراء موقف الشهيد في إقامة الحد على اليالوشي والتخلص من ظاهرته وهذا ما حصل.

ـ أمّا المحتوى الآخر والأخير فهو طلب المساعدة العسكرية، والتأييد والنصرة للتحرك بصيغة الوجوب إلى حد بعيد، لا بل وتحميل السلطان المسؤولية الشرعيّة إن لم يلب الطلب في «ردع هذا الضالّ المضلّ عن الشرع الشريف والمرتد عن الدين المحمّدي الحنيف».

ثانياً: لجهة الدلالة: يرمي النصّ إلى ما ذكرناه أعلاه من طيب العلاقة ومتانتها مع السلطة على حدّ أنّ الشهيد يطلب بالمراسلة فيلبي، وأنّ أوامره ونواهيه مطاعّه ولا جدال فيها، وأنّ فتياه منفذة ومأخوذ بها.

ـ الدلالة الأهمّ هي أنّ الشهيد يستطيع جمع العسكر (المدني) من الأهالي وهي بالأساس من موجبات الإقطاعي بحسب النظام الإقطاعي الذي كان سائداً، ويحكم علاقة السلطة المملوكية بنواحيها لكن المفارقة هي أنّ الاقطاعي يُطلب منه تجهيز العسكر، ولكن الشهيد طلب من السلطان التحرك «سريعاً» ليطلب الشهيد أيضاً بالنزول في المنطقة التي حدّدها (وادي الزرارية)، لفصل هذه القضية، وكان له ذلك كما سيتضح.

٤. مقابلها على الهامش الأيمن كتب: «وكان بيدمر في القدس الشريف».

جزّين، وجميع أهل قرى جزّين والريحان ومشغرة وكلّ النواحي الجبلية [١] إلى وادي الزريرية [الزرارية] [٢]. وقال: هاهنا النزول لفصل هذه القضية. فلما استقرّت (خ ل: وصلت) العساكر والجنود في المكان المذكور، أرسل الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي إلى الرجل المرتدّ اليالوشي:

اعلم أنّه لا ينبغي منك أن يكون ما قد كان [٣]، لكن ما قدّر الله يكون وسوف يكون. وأنّ لنا عليك حقوقاً فلِمَ تنكرها، وأنّك لتعلم أنّ الله قد منحنا علوماً لا تعلمها، من علم السيما [٤]، والشعبذة [٥]، وعلم السحر [٦]، وغيرها، وأنّي لأسترها وأكتمها خوفاً من الحي القيوم، وتصديقاً لنبيّه محمّد مخزن أسرار العلوم. وأنت بحقير منها [٧]، قد ضللتَ عن الطريق، وخالفت نصيحةَ كلِّ صاحب وصديق وأنّك قد خالفت الطريقة المصطفوية، ومِلْتَ عن الشريعة المطهرة المحمّدية. واعلم بأنّ هذه الجنود والعسكر قد كانت أرادت السير إليك، والنزول بخيلها ورجلها عليك، لسفك دماء ما قد جمعته من الرجال لديك. وهدم الحصون التي قد شيّدْتَها وبنيتها، جزاءً لما قد فعلتَه من سفك دماء المسلمين، ومخالفة شريعة سيد المرسلين [٨]. ولكن ردَّيناها [كذا]، وعنك قد صدَّيناها إلى بعد الاجتماع معك منفرداً. فإنّي بنفسي أُريد الوصول إليك، ومعي رجل لا غير. وأنت

١. وكان له ما طلب إذ جاء بيدمر نفسه يقود العسكر المملوكي ليلقاه الشهيد مع تلامذته وجميع أهل جزّين وجميع أهل قرى جزّين والريحان ومشغرة قرى عاملية وكل النواحي الجبلية، وهذا الحشد للحملة يدلّ على أهميّة الموقف تجاه خطورة الظاهرة ومدى نفاذ أحكام أو فتوى الشهيد..

٢. وادي الزرارية: هو سهل صغير بين بلدتي بريقع والزرارية العامليتين تقعان إلى الجهة الجنوبية الغربية من النبطية على بعد ٢٠ كلم تقريباً، وفوق هذا السهل أو الوادي لجهة الجنوب تقع التلة التي فيها برج يالوش، والموجودة خرائبه إلى اليوم، وهو البرج الذي كان يتحصن فيه اليالوشي، وللاستفادة، نذكر أنّنا عند زيارتنا إلى تلك المنطقة ودراستها وجدنا بالقرب من البرج آثاراً على شكل نواويس محفورة في الصخر المنبسط على وجه الأرض، وفي أعالي الصخر المرتفع، وقيل: إنّها نواويس تعود للحقبة البيزنطية أو الرومانية.

٣. إنّ هذا الكلام يدلّ على معرفة الرجلين لبعضهما البعض بعمق.

٤. السيما والسيمياء: ضرب من السحر يقوم على إحداث مثالات خيالية لا وجود لها في الحس. راجع ابن منظور، لسان العرب، «سوم».

٥. المشعوذ: هو من مَهَر في الاحتيال وأظهر الشيء على غير حقيقته معتمداً على خداع الحواس.

٦. السحر: كلّ أمر يخفى سببه ويتخيّل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع. ابن منظور، مادة سحر.

٧. يجيز الشهيد في كتبه الفقهية تعلّم السحر ولكن بشرط عدم استخدامه إلّا لردّ وردع مستعمله.

٨. هي الإشارة إلى مقتل الشهداء الخمسة والثلاثين.

والقوم الذين لديك، [ص ٧] لا تخافوا من أن يقع مني بكم ضير [١].

ملخّص ما كتبه (خ ل: ما ذكر) شمس الدين محمّد بن مكّي.

فلمّا وصل مكتوب الشيخ إليه، أبعد القومَ، وبقي منفرداً في البرج ذلك اليوم. ثمّ سار إليه الشريف الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي، ومعه ولده ضياء الدين عليّ. فلمّا دخلا عليه في حصنه وقلعته [٢]، فتلقّاهما بقلب شديد، مُصرّاً على ما هو عليه من الحوبة، فعلما ارتدادَه، وأنّه لا تقبل منه التوبة [٣].

ولقد كان قبل دخولهما عليه، وحال سيرهما إليه، رجل من المخلصين، والثابتين على الحقّ القويم والدين المتين، ومن المقرّبين عند اليالوشي، لكن من الذين ظاهرهم معه وقلوبهم عليه، قد كان عهد إلى الشيخ: فإذا توجّهتَ إليه، وأقبلتَ عليه، ودخلتَ البرج، فإنّي أكفِكه إن شاء الله تعالى. فإنّي أُشهد بالله أنّه مرتد، وكاذب في دعواه، وأنّه من الضالّين المضلّين [٤]. فلمّا دخل عليه شمس الدين محمّد بن مكّي، وولده الشيخ ضياء الدين عليّ، قضى أمره والله بالغ أمره [٥].

ثمّ إنّ الشيخ قد أرسل ولده إلى الجماعة التي كانت مجتمعةً لديه، وإلى بقية أهل القرى ليسألهم: هل كنتم صدّقتم دعواه، أو كنتم اعتقدتم ما صنعه (خ ل: استحسنه) وافتراه، فلمّا سألهم قالوا: حاشا للّه، بل كان عندنا من الكاذبين، وكنّا نعتقد أنّه قد ارتدّ عن الدين، لكنّه لمّا بالغ في بذل المأكول والملبوس، والناس أكثرهم عبيد ما يأكلون ويلبسون. حتّى أنّه قد نُقل عن ولد مراهق قد قال لأبيه: «يا أبتي، اليالوشي أنبيّ هو؟» فقال له أبوه: «يا بنيّ، ألا ترى إلى كثرة هذه الكباب . يا بُنّي إذا قيل: أنبيّ، فقل: نبيّ ونصّ. يا بنيّ، كُل من هذه

١. يبدو أنّ الشهيد لا زال مصرّاً ومقتنعاً بأنّ المشكلة تتعلق بشخص اليالوشي، وأنّ الناس اتبعوه خوفاً منه نظراً لبطشه وفظيع فعلته وأفعاله من جهة، ولتكارمه وسخائه على أعوانه ومريديه من جهة ثانية، لذلك طلب الاجتماع به منفرداً وكان له ما أراد. وهنا إشارة أُخرى على ما في نفس اليالوشي من موقع للشهيد.

٢. أي برج يالوش المارّ ذكره آنفاً.

٣. الحوبة: الإثمّ: أي بقي مصرّاً على ارتداده وادعاءاته، فلم تقبل منه التوبة.

٤. هذه صورة عن الذين اتبعوا اليالوشي في دعواه. بالمقابل تنقل هذه الرسالة في آخرها صورة راقية عن حال الشهيد وتلامذته.

٥. أي أنّ الشهيد قد قضى عليه، وهذا ما سيتّضح لاحقاً عندما سنعود إلى صاحب الرسالة للحديث عن هذه القضية.

الكباب وقُصّ حتّى تغصّ. وقال: يا بنيّ، إذا قالوا [كذا] الناس: إنّ العجل ربّ، فنحن نأخذ الحشيش ونطعمه. فليس علينا من كفر بالله أو ذنب[١]؛ فإنّ الدين له من يحفظه ويَحْميه ويُقيمه، والدين فضل من الله، والله يؤتي فضله من يشاء». انتهى.

فحينئذٍ قد رُدَّت الناس إلى مأمنهم بعد خوفهم من برقوق وعساكره[٢]. وأمرَ الشيخ ضياء الدين ـ ابن الشيخ ـ الناسَ بأن يردوا إلى منازلهم، بعدما نصحهم ووعظهم. وصاروا مطمئنين، وهم على ما كانوا عليه من الدين للّه ربّ العالمين. وجلس (خ ل: وأقام) الشيخ ولد الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي، ضياء الدين عليّ، مدّة في السواحل، لإرشادهم ووعظهم ودلالتهم على الدين، كما هو شأن العلماء الأكرمين الأبرار، والفضلاء الأخيار، والشيخ الشريف شمس الدين محمّد بن مكّي في بلدة جزّين، والناس مقبلة عليه للعلم والدرس في كلّ وقت وحين، حامدين شاكرين، برهة من الزمان، مستقرّين آمنين مطمئنّين[٣].

فبينما هم في ذلك، إذ قد خرج رجل آخر اسمه: يوسف بن يحيى وارتدّ عن مذهب الإمامية أيضاً، وصار عدوّ الإمامية. وشرع في التشنيع عليهم عموماً، وعلى الشيخ الشريف شمس الدين محمّد بن مكّي خصوصاً[٤]. وأظهر[٥] بعض مصنَّفاته، مما يظهر منها تشيّعه، كرسالة [ص ٨] المقدسية[٦]، ورسالة الدرة المضيئة في الأحاديث المروية[٧]، ورسالة

١. صورة أُخرى عن المجتمع الهش الذي بناه اليالوشي، إذا أبعد أنصاره وانفرد في حصنه، وعندما خرج الشهيد وأرسل إليهم ولده الشيخ عليّ لم يبدر منهم أيّ ردة فعل، بل عادوا إلى «ما كانوا عليه من الدين للّه ربّ العالمين».
٢. وهي الإشارة البارزة إلى الدور الإعلامي الذي لعبه حشد الجيش المملوكي.
٣. هذه الفقرة ذات الدلالة على استقرار الأمر للشهيد في جميع أنحاء جبل عامل ساحلاً وجبلاً، وأنّ الدور الأبرز للشهيد في تلك المرحلة كان التدريس والتعليم في مدرسته في جزّين. راجع ما ذكرناه آنفاً نقلاً عن صالح بن يحيى في كتابه: تاريخ بيروت.
٤. اللافت هو أنّ الفترة الزمنية بين القضاء على اليالوشي وظهور يوسف بن يحيى ليست بعيدة. أمّا المقارنة أو إضافة هذا الرجل الآخر يوسف بن يحيى إلى اليالوشي (كمرتدين)، والإشارة إلى ارتداده عن مذهب الإمامية ليصبح «عدوّ الإمامية»، وشرع في التشنيع عليهم عموماً وعلى الشيخ الشريف الشهيد خصوصاً، وأظهر لأهل السنة بعض مصنفاته ممّا يظهر تشيّعه.. لِلدلالة على أن الشهيد كان يظهر بمظهر الشافعية ويكتم تشيّعه تقية، ولكن حرية الاعتقاد والتحرّك في جبل عامل وبعض بلاد الشام يبدو أنّها كانت محفوفة بالمخاطر رغم هامش الحريّة الذي كان موجوداً.
٥. تحتها: «لأهل السنّة».
٦. هي رسالة غير معروفة والظاهر أنّ «المقدسية» تصحيف «العقيدة» مطبوعة.
٧. وهي رسالة غير معروفة ولعلّها رسالة الأربعون حديثاً(٣)، انظر الشهيد الأوّل، الفصل الأوّل من الباب الثالث، وأورد صاحب مختصر نسيم السحر قسماً منه في سفينته. انظر المختاري، الشهيد الأوّل.

التكليفيّة [١]، وكتاب جامع البين، وغاية العالمين [٢]، وغير ذلك من الأجزاء التي لم يذكر لها اسم [٣].

وكتب محضراً شنع فيه عليه بأنّه شيعي، وعمدة الشيعة ومرجعها، والمروِّج مذهبها، وهذه الكتب بخطّه وتشهد بذلك [٤]. وكتب معه ووافقه على الارتداد عن مذهب الإمامية، والخروج [عن] طريق الحقّ سبعون رجلاً من الجبل [٥]، ممّن كان يعتمد مذهب الإمامية ويعتقده وألف رجل من السواحل، ممن كان ظاهرهم التسنن [٦]، بغضاً وحسداً وعناداً للشهيد شمس الدين محمّد بن مكّي. حيث إنّه في كلّ وقت آمر بالمعروف وناهٍ عن المنكر، وإنّه مرجع للخاصة والعامة [٧]. وكتبوا بخطوطهم، وعرضوا ما كتبوه في ذلك على قاضي

---

١. وهي «المقالة التكليفيّة». رسالة في العقائد والكلام، شرحها الشيخ عليّ بن يونس البياضي العاملي تحت عنوان: الرسالة اليونسية في شرح المقالة التكليفيّة.

٢. لا يوجد أثر للشهيد بهذا العنوان سوى غاية المراد في شرح نكت الارشاد وهو كتاب معروف للشهيد.

٣. في أعلى الصفحة كتب ومشاراً بخطّ: «وكانت كلّها مِنْ مصنَّفاته، وله رسائل عديدة، وكتب أُخر أشهر. لكنّها قد ذهبتْ [كذا] بسبب المرتدّ المذكور، فإنّه الذي سعى في إطفاء فضله، وذهاب كتبه».

٤. «بأنّه شيعي»، وتورد المصادر عن ملاحقة أتباع المذهب في بلاد الشام، وأن من أراد أن يكيد لشخص رماه بالتشيّع. راجع طباجة، العرفان، م ٨٠، عدد ١ و ٢، ص ٥٢.

و«عمدة الشيعة ومرجعها، والمروج مذهبها، وهذه الكتب بخطّه وتشهد بذلك»... تستوقفنا هذه الفقرة كونها التهمة الرئيسية الموجَّهة للشهيد كتبه بخطّه. هذه الكتب التي ما زالت إلى اليوم زاهرة عامرة، لم نجد فيها ما يستوجب التهمة التي ستؤدي إلى ما أدّت إليه من قتل وتشنيع وحرق.. سوى العصبية المذهبية بسفسفها، ولعلّها الأداة الوحيدة المسؤولة عن انحطاط الأُمة، وذهاب ريحها عندما يستخدمها الوصوليون ومن يضمرون للأُمة الضعف والانكسار.

٥. أي جبل عامل، وهذا النصّ موافق لما ورد في وثيقة المقداد السيوري، تلميذ الشهيد. والتي كانت قبل هذه الرسالة الوثيقة الوحيدة التي تتحدث عن قتل الشهيد وكيفيته.

٦. لاحظ صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، حوادث ٧٨٤، ص ١١١ ـ حول بيدمر نائب الشام، وتحركه في بيروت في العام ٧٨٤، والعام ٧٨٥ الذي نفترض أنّ الشهيد قضى فيه على حركة اليالوشي... «... لما تحركت الشيعة في بيروت، وأظهروا القيام بالسنة، ومعهم مرسوم سلطاني، وكانوا في الباطن قائمين بمذهب الشيعة، وجرى لذلك حركة رديئة، فاغتنم بيدمر الفرصة».

٧. نقول: إنّ هذا الحسد والبغض لم يأت من كون الشهيد رجل دين شيعي، بل لأنّه «آمر بالمعروف وناهٍ عن المنكر، وأنّه مرجع للخاصة والعامة» أي للسنة والشيعة.

هذه المكانة العلمية العالية، والعلاقات والروابط التي عقدها الشهيد، خصوصاً من كبار رجال السلطة، وعلى رأسهم السلطان برقوق، هي التي ساعدت على قوة حضوره وبسط نفوذه. وبالتالي اشتعال نار الحسد من مناوئيه.

الشام ابن جماعة [١]، وقاضي صيدا، وقاضي بعلبك، وقاضي بيروت، وقاضي القدس والخليل [٢].

وَسَعَوا بأنْ يحضر في القدس والخليل [٣]. فأُحضر فيه الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي، وقرئ عليه المحضر الذي كانوا كتبوه. فلمّا قرئ عليه بمحضر جمع عظيم في القدس [٤]، فأنكروا عليه أشدّ الإنكار، فقيل له: كيف يكون منك هذه الأشياء التي قد سمعتَها، والكتب التي قد صنَّفْتَها؟ فأنكر ذلك، رعاية للتقية الواجبة، ولزيادتهم في البهتان. فقيل،

---

١. عيّن ابن جماعة قاضي القضاة بدمشق اعتباراً من شوال ٧٨٥. المقريزي: السلوك، ص ٥٠٤، وهذا ما يؤكّد أنّ ابن جماعة هذا هو نفسه عباد بن جماعة، ولعلّ هذا الاسم هو الشائع الذي كان يعرف به بين العامة في بلاد الشام .لنذكر هنا، أنّ ظهور هذا المرتد ابن يحيى، وتلك العرائض، حصلت بعد وصول ابن جماعة في أواخر العام ٧٨٥ إلى دمشق، ولعلّه هو السبب في تهييج وهجوم هؤلاءالمرتدين، لعلمهم بما بين الشهيد وابن جماعة من خلاف وتباين بالرأي والموقف...؟

إلى ذلك فإنّ هذا المقطع من الرسالة هنا، مطابق تماماً لما ورد في وثيقة المقداد السيوري عن اعتقال ومقتل الشهيد. حيث إنّ سياقها يؤدّي إلى محاكمته وقتله، وليس إطلاقه كما هو مبيَّن هنا في مختصر نسيم السحر التي يعود ليتطابق سياقها ونصها عن محاكمة الشهيد ومقتله، مع سياق ونصّ وثيقة السيوري التي يبدو أنّها مجتزأة وليست كاملة بحسب مقارنتها بمختصر نسيم السحر... لاحظ ما بيّنّاه في العرفان م ٨٠، عدد ٧ و ٨، ص ٧٢.

٢. مقابلها على الهامش الأيسر كتب: «مدينة صيدا هي مدينة جبل عاملة. صيدا هي مدينة جبل عاملة: بمعنى عاصمته. والقدس بينها وبين عاملة بلاد صفد، سفر أربعة أيّام أو ستّة، وبيروت مدينة حسنة على شاطئ البحر قرب طرابلس. لا نعتقد أنّ المسافة بين صيدا والقدس تحتاج إلى أربعة أو ستّة أيّام بل على الأكثر يومين أو ثلاثة أيّام. وهذا دليل ما ذهبنا إليه وذكرناه سابقاً، من أنّ كاتب مختصر نسيم السحر يجهل جغرافية المنطقة، خصوصاً عند قوله: إنّ بيروت. قرب طرابلس. إذ أنّ المسافة بين صيدا والقدس هي ضعفي المسافة بين صيدا وطرابلس».

هذه المدن تشكّل حواضر مملكة دمشق في تلك الحقبة، والتي يبدو أنّ الشهيد كان له معارف وأنصار فيها وبالتالي امتداد نفوذه أيضاً، وهذا ما لحظناه آنفاً في رسالة برقوق له.

٣. على الهامش الأيمن مقابلها كتب: «قصدوا إحضاره في القدس لبعده عن الشام وعن وطنه، خوفاً من أن يظهر له ناصر، أو أحد يشفع من عظماء الشام وكبارها؛ لأنّ... كلّهم كان [كذا] معه. هذا النصّ مصداق قولنا عن قوّة حضور الشهيد ومكانته خصوصاً في دمشق، التي استطاع الشهيد أنّ يكوّن لنفسه فيها مكاناً مرموقاً جعله مقصداً لـ«عظماء الشام وكبارها». إلّا ابن جماعة. إلّا ابن جماعة؛ فإنّه دائماً [ظ ؟] عليه حسداً وبغضاً به. ولم يتمّ لهم المراد، والله وليّ العباد، وأنّ الله لا يحبّ الفساد».

٤. أي أنّ هذه المحاكمة لم تكن في دمشق عاصمة المملكة، بل في القدس، ولعلّ في ما ذهب إليه الكاتب تكمن الحقيقة. وربما حصلت في الفترة التي عزل فيها ابن جماعة عن القضاء ورجع إلى القدس بطالاً، وقبل أن يجبر على الحضور إلى دمشق. وفي هذه الفترة كان بيدمر أيضاً معزولاً عن نيابة دمشق. راجع آنفاً في المدخل إلى التحقيق.

ألا ترى إلى هذه الشهود فقال: «سبحان الله ما شاء الله كان، ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ فَاللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١]».

ولمّا صار في هذا المحضر ما صار، من المناظرة والمعارضة ما لا يمكن نشره، ولا حصره، وهو بإذن الله ومن جوده وكرمه، مسلِّط العَلَم الشريف [ابن مكّي] عليهم. ومع كثرتهم[٢] عليه وحسدهم له، فله الخطر والعظمة لديهم[٣].

ولمّا علم بذلك برقوق، بعد إحضارهم لديه ومناظرتهم له، وأنّ له عليهم الغلبة والقوة الباهرة، في علم المعقول وعلوم الآخرة، فغضب على من سعى في ذلك، وأمر برجوعه إلى الشام وإلى حيث شاء، ويكون مقدماً على الخاصّ والعام[٤]. فرجع إلى الشام لأُمورٍ اقتضت ذلك[٥]. وأضمروا له السوء القوم اللئام، واضطرمت نار الحسد في جلودهم، وأغرقت في بحار الظلمات قلوبهم.

ولمّا رُدّ إلى الشام، وأقام بها مدة من الزمان، والناس مقبلة عليه للاستفادة كما كان، بين فائدة يبديها، أو ضالّة يهديها، نهاره في التدريس والإفادة، وليله في التفكّر في جنب الله سبحانه وتعالى والعبادة. إلى يوم جمعة والناس تسعى إلى المسجد الجامع، مسجد يزيد، والناس يأتونه عن كلِّ جانب قريب وبعيد. وإذا قد دخله الشيخ الشريف شمس الدين محمّد بن مكّي للصلاة. وكان حينئذ ممن يترقّب وروده إليهم، وقدومه عليهم، ودخوله إلى المسجد المذكور، من القوم الذين ضلّوا عن سواء الطريق، وقد كان قد كتب أسماء العشرة المبشرة ونوى أنّه إذا دخل، وضعها في حذائه فإذا خرج من [ص ٩] المسجد يرميه بالزور والبهتان. ففعل ذلك، فلمّا خرج الشيخ الشريف شمس الدين محمّد بن مكّي، أحضروا له الحذاء،

---

١. الزمر (٣٩): ٩؛ الشورى (٤٢): ١٥؛ القصص (٢٨): ٧٠.

٢. فوقها: «وابن جماعة».

٣. خطر فلان: زها وتبختر، وخطر خطورة: عظم وارتفع قدره، والخَطَرُ: المثيل في الشرف والرفعة. راجع لسان العرب، مادة: خطر.

٤. مرّة جديدة يصل الأمر إلى برقوق الذي «غضب» على الساعين في ذلك. وهذا ما يؤكد على أهميّة الرجل «الشهيد» وأهميّة دوره وحضوره ومكانته العلمية. المسحوب عليها مكانة لدى السلطة والمجتمع... والتي أيضاً عاد برقوق ليؤكّد من جديد إطلاق يد الشهيد وإلى حيث يشاء «ويكون مقدماً على الخاصّ والعام».

٥. أي وجوب وضرورة تأكيد حضوره في دمشق، دون العودة إلى جزّين، ولعلّه من تداعيات فعل الاستدعاء إلى القدس.

فسقطت منه الأوراق، وهي عشرون ورقة، في كلِّ حذاء عشرة. فلمّا سقطت منه الأوراق المعهودة، قرأوا ما فيها من الأسماء العشرة المبشّرة[١]، فغضبوا لذلك، ونادوا بأعلى الأصوات: ألا ترون إلى الشيخ شمس الدين بن مكّي، الذي يعظِّمه برقوق وغيره، وهذا فعله. ألا ترون علامة رفضه[!؟] فبادرتِ الناسُ، واجتمع خلق كثير، وينظرونه، وهم ينظرون سوء فعلهم، ويسمعون أكاذيبهم، والمنادي ينادي بينهم في أسواق الشام: «من كان مسلماً فليساعد على إحراق شمس الدين بن مكّي». فاجتمع من الخلق ما لا يحصى، وتعصبوا على الباطل. والمحب والصديق صار خائفاً، وهو ساكت.

ولمّا اجتمع رأيهم على قتله، من غير مراجعة أرباب الدول كبيدمر وغيره، فقال أهل الشام: نحن نجتمع على قتله قبل أن يعلم بيدمر، فيأمر بإطلاقه كما سبق. وأما إذا فعلنا به المراد فلا يخالف ما اجتمعنا عليه. بعد ذلك اختلفوا في صفة قتله[٢]. فمنهم من قال: نُمثّل به. ومنهم من قال: نحرقه. ومنهم من قال: نضربه ضربة واحدة بالسيف. فقال قائل نُحضر جملين، ثمّ نربط يديه في أيديهما ورجليه في رجليهما، ثمّ نَصيح بهما، فيقوما بسرعة، فيُقطع قطعاً. فلمّا أوثقوه وربطوا يديه ورجليه كما اختاروا، ثمّ صاحوا بهما صيحةً عظيمة، فلم يقوما، ولم يزولا عن مكانهما. فتعجب الحاضرون، وتركوا قتله بهذه الصفة. ونادوا ثانياً، من كان مسلماً فليساعد على إحراق ابن مكّي. فحينئذٍ قد اجتمع حطب كثير بالرحبة عند القلعة، وجاؤوا بخشبة غليظة طولها اثنى عشر شبراً [كلمات مشطوبة] فأدخلوه فيها، وألقوه في وسط الحطب، ثمّ أضرموا النار في الحطب. فاشتعلت واضطرمت النار، وهاجب والتهبت حتّى لهيبها علا على حائط القلعة. والناس ينظرون وينادون: «اللهمّ أحرق الخشبة، اللهمّ أحرق الخشبة»[٣]. فإذا خمدت النار سريعاً بقدرة الله، مع كثرة الحطب،

---

١. يخصّص الشهيد في قصيدته «الرائية» لهذا الموضوع جانباً كبيراً استعاره عن الشاعر الشافعي السيّد أحمد بن محمّد الحافي الحسيني الشافعي. راجع المختاري: الشهيد الأوّل، الفصل الثالث من الباب الثالث. نقلاً عن الروضات للخوانساري.

علماً أنّ هذه القصيدة يبدو أنّها تكشف عن العديد من المواقف والمصاعب التي اعترضت خطة الشهيد ومشروعه كما قدّمناها آنفاً.

٢. مقابلها على الهامش الأيمن كتب: «ولكن اختلفوا في كيفيّة قتله كيف يقتلوه».

٣. مقابلها على الهامش الأيسر كتب: «حتّى إلى الآن في الشام، في بعض الطرق، في بعض الأسواق، إذا رأوا شيعيّاً قالوا في وجهه: اللهم أحرق الخشبة، اللهمّ أحرق الخشبة».

ولم تحترق الخشبة، ولا أضرّتْ بها النار. وذلك من فضل اللـه العـزيز الجـبار، [تـحتها]: «الكريم الرحيم الغفار». وخرج من الخشبة، يخاطب الجماعة التي لا تـحصى، بـالتوبيخ على سوء فعلهم من غير جرم يستوجب ذلك. والناس قد تعجبت لذلك. وقالوا: إنّ هذا وليّ ذو جلال، فلا تضرّه النار، ولا تقوم به الجمال. فيحنئذٍ طلب دواة وقرطاساً، فجاؤوا بـهما إليه، فكتب على الورقة:

ألك رضـــىً بأنّ عـــظمي تـــخلّه أم لك رضى بأنّ الأرض دمي تقلّه

ثمّ رمى بها في الهواء إلى جهة القبلة. فرجعت إليه والناس قد رأتْ رجوعها إليه وما كتب فيها، فإذا في قفاها بخطّ جليّ «فلي الأمر كلّه»[١].

فسكت حينئذٍ وقال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّـآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[٢] ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَـلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٣]. وكلّ ما فعلوا بالشيخ الشريف الشهيد، والناس مع كثرتها ترى ما فعل به، ومـا ظهر منه من الكرامات، فلا يرجعون ولا يندمون لما رأوا ما يدلّ على فضله وجلالة قـدره، وعظم شأنه عند الله سبحانه وتعالى. بل قال ابن جماعة ومن تابعه: ابن مكّي لا بدّ إن خرج من أيدينا ولم نقتله فلا يبقى منا أحد إلّا وقتله، وكلّ الناس تميل إليه زيادة عما مضى، لما رأوا منه ما رأوا من عدم حرقه بالخشبة، وعدم قيام الجملين، وما رجع إليه في الورقة على اختلاف الروايتين. فحينئذٍ بعد كتابته للورقة، وسكوته وخوفهم بأن ينعكس عليهم السوء. اتّفق ابن جماعة وقاضي المالكية على قتله. فضرب بالسيف، ثمّ رفع على خشبة قدر ربع ساعة[٤]. ثمّ نودي على إحراقه بعدما أنزلوه عن الخشبة. فاجتمع حطب كـثير، وأضـرموه

---

١. وفي رواية تحتها في ذيل الورقة كتب: «ويحتمل أنّه كتب على ورقتين، فتصح الروايتين (نسيم السحر) عـمّن كان حاضراً أنّه قد كتب في الورقة هكذا: «ربّي ربّي إنّي مغلوب فانتصر». مضمون الآية. ثمّ رمى بها في الهواء نحو القبلة، فرجعت إليه: «يابن مكّي، إن كنت عبدي فاصطبر» وفي مقابلها على الهامش الأيمن كتب: «والناس حال الكتابة يرونه، ولمّا رماها نحو القبلة أيضاً رأوه وحال رجوعها إليه رأوها وهذه كرامة [و] منقبة من مناقبه وكرامة لهﷺ». هذه الروايات، بعضها موجودة في بعض المصنّفات مثلاً: شمس الديـن، حـياة الإمـام الشـهيد، ص ٧٣. [ص ١٠]

٢. البقرة (٢): ١٥٦.

٣. الشعراء (٢٦): ٢٢٧.

٤. لا خلاف في وقائع قتل الشهيد كما هو مبين هنا، وبين ما هو معروف ودون في كتب التاريخ والتراجـم سـوى التفصيل أكثر، خصوصاً في وثيقة المقداد السيوري. راجع دراستنا في العرفان، م.م.

بالنار، وشبّهوا للناس أنّه [أنّهم] أحرقوه بالنار، إطفاءً للكرامة التي صارت له أوّلاً. ولمّا أضرموا له ناراً عظيمة قد كانوا وضعوها في مكان، ودفنوه في عصرية يوم الخميس تاسع جمادى الأُولى سنة١١٨٦ [٧٨٦][1].

ولمّا فعلوا به ما ذكر، لم يكن بأمر برقوق، ولا أُخبر بقتله[2] قبل. لكن قد نقل الثقات من أهل القدس والخليل، أنّ اليوم الذي قتل فيه الشهيد شمس الدين محمّد بن مكّي، بينما بيدمر في جلسة بالقدس الشريف، وعنده جمع غفير في ديوانه، قرب ألف رجل ونيّف، إذ قد سقط بين يديه ورقة بسرعة، ولها دويٌّ حال سقوطها. فتعجّب الجماعة، وبادروا إلى النظر فيها، فإذاً فيها:

> واهاً ثمّ واهاً لقوم أمروا أو باشروا أو استحسنوا سفك دم شمس الدين، وويلاً ثمّ ويلاً على فرقة ارتكبت قتل محمّد بن مكّي البرّ الأمين. وبعداً وسحقاً لطائفة هذه طريقتهم، وجرى على ذلك سَمْتُهم.

فتعجّب ـ والقوم ـ من ذلك. فركب سريعاً مسافراً إلى الشام قائلاً: لعلّ ابن مكّي ما قد وقع به قد ظُنّ أنّه بأمري أو بعلمي. فلما دخل الشام، فاتّفق أنّه قد مرّ على المكان الذي قتل فيه الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي فحينئذٍ[ظ] قد عثر به جواده، وقد سقط على وجهه مغشيّاً عليه. ثمّ أفاق فتشاءم وتطيّر من ذلك الحصان. فقيل له: «إنّ الفاضل البدل المولى الشريف شمس الدين محمّد بن مكّي قد قتل به، وفعل به ما فُعل في هذا المكان». فقتل من قد قتل وغضب على من قد غضب عليه. وقد ضرب من قد ضربه منهم، وصاروا في أقبح الحالات، فكما تدين تدان. فسبحان الملك الديان، فلحوم العلماء مسمومة، وعواقب الظلم وخيمة مذمومة. وبقيت الندامة والحسرة على: (خ ل: في) أهل الشام، وعلى الذين رضوا وسعوا من أُولئك القوم اللئام [ص ١١] حتّى قد وقع عليهم الخسران والمضرات، وأنواع

---

١. في أعلى الهامش الأيسر كتب: «واشتبه على قوم كثيرة صفة قتله؛ لأنّ المحبّ والصادق لم يرض فلم يحضر. وأُولئك خبرهم كاذب، بل إنّهم قتلوه ولم يُحرقوه، بل شبّهوا حرقه فتوهّم الأكثر فأخبر كلٌّ بما اعتقده».
أيضاً هذا التاريخ لا خلاف عليه، وهو الصحيح على ما هو جلي وواضح، لنقول: إنّ محاكمة الشهيد والتداول بشأنه استمرّ أُسبوعاً كاملاً، أي من يوم الجمعة إلى عصر يوم الخميس.

٢. هنا المفارقة بين ما هو مشهور ومعروف، وبين ما تكشفه هذه الرسالة، وتأسيساً عليه وبناء على ما ورد من أواصر العلاقة بين برقوق وبيدمر والشهيد يمكننا الأخذ بالرأي الوارد هنا.

المشقات، ما لو ذكرتها لاجتمع كراريس ولم يمكن شرحها في القراطيس [١].

ثمّ أمر بيدمر بأن يُبنى عليه قبّة عظيمة، ويكون مزاراً مشهوراً وبالخير يكون دائماً مذكوراً، فبُنِيَ عليه قبّة عظيمة [٢].

وما جرى عليه من الواشين والمرتدّين، فله أُسوة بما قبله من الأئمّة المعصومين الأكرمين، وبالأنبياء والمرسلين؛ لأنّ مصائب الخلق على قدر منازلهم لديه، وابتلاءهم بالنسبة إلى مراتبهم وإقبالهم عليه؛ لأنّ الله العالم بمصالحهم في أُولاهم وأُخراهم، والحمد للّه وحده.

* * *

وقد ذكر الشيخ الفاضل الصالح الشيخ محمّد بن عليّ بن الوحيد البتدّيني [٣]، في مجموع له قد كتبه بخطّه جميع أحوال الشريف الشهيد شمس الدين محمّد بن مكّي، من حين مولده، إلى حين مقتله في عصرية يوم الخميس تاسع شهر جمادى الأُولى سنة ١١٨٦ [٧٨٦]، على نحو ما ذكرناه، إلّا في يسير من بعض الألفاظ، قد ذكرها جميعاً من غير اختصار، كما ذكر في غير موضع بعضُ الأصحاب. وممّا ذكره الشيخ الفاضل المجيد محمّد بن عليّ بن الوحيد في مجموعه [٤] هكذا صورة ما ذكره:

لقد كان شيخنا الفاضل المحقّق المدقق، علامة دهره ووحيد عصره، عديم النظير في

١. لم نتعرّف على هذه التفاصيل بعد، وهي بحاجة إلى بحث وتدقيق، كون هذه المعلومات جديدة وبالتالي مغايرة لما هو معروف وسائد.

٢. مقابلها على الهامش الأيمن كتب: «قد نُقِلَ عن الثقات أنّه من مرّ في ذلك المكان، لم تقضَ له حاجةٌ ذلك اليوم قطّ، مجرَّبٌ. والآن لا يَعلم هذا المكان إلّا الخواصُّ من الشيعة أنّه المكان الذي قتل فيه الشهيد. وأمّا السنة، وأكثر الناس يظنّون أنّه من شيوخ أهل السنة والجماعة، كمحمّد بن يعقوب في بغداد، لا يَعلمه إلّا ما قلّ من الشيعة. والسنة يعتقدون أنّه من شيوخهم».

أيضاً هذه الواقعة المذكورة جديدة سوى ما أورده الشيخ شمس الدين: حياة الإمام الشهيد الأوّل، ص ٦.

٣. مقابلها على الهامش الأيسر كتب: «بتدّين: قرية عاملية هجرها الشيعة أثناء تهجيرهم من جزّين ومعروفة اليوم بـ«بتدين اللقش». راجع عليّ الزين، للبحث عن تاريخنا في لبنان، ص ١٦٣؛ الشيخ إبراهيم سليمان، بلدان جبل عامل، ص ٧٦. قرية من قرى جبل عاملة من تابع جزّين».

٤. هذا الكلام تكرار لما جاء في مقدّمة هذه الرسالة، ولكنّه يدلّ على أهميّة الأساس أي نسيم السحر فيما لو كشف عنها. والأهم هو مجموع الشيخ البتديني التي لعلّ من ضمنها نسيم السحر. الأصحاب: أي أصحاب الشهيد.

المشارق والمغارب. أقرّت لفضله فضلاء الأعاجم والأعارب[١]. ولقد جدّد شعائر سنن الحنيفية[٢]، وشيّد دينَ الفرقة الاثني عشرية في جبل عاملة[٣]. وبه اقتدى بعده مَن رام تحصيل الفضائل، وعلى طريقته جرى من تحلّى بالوصف الكامل. قد أمر ورغّب في تعمير مساجد الله، وأشاد بنيانَها، ورتّب وظائف الطاعات فيها، وعَظَّمَ شأنها[٤]. ولولاه لارتدّت أهل جبل عاملة[٥] مِن أكاذيب المدّعي الساحر اليالوشي. وارتدّ من أمثاله من كلِّ جاهل واشي. فواللهِ لقد كان سبباً للخير في تلك الأرض، ومفتاحاً للدين، ومن ظُلمة الجهل أخرجهم إلى النور المبين، إلّا الذين سبق في علم الله أنّهم لم يزالوا في ضلال مبين[٦].

ولمّا قَتَل اليالوشي ونحن معه[٧]، فاجتمع أهل السواحل وغيرهم من الأمصار في البلاد الشامية، فقال[٨]:

أيها الناس، فلا يكن في صدوركم شيء على اليالوشي الساحر الكاذب المرتّد [عن] طريق الحق. ولا يتَوَهَّمنَّ أحدٌ منكم أنّه كان منفرداً بما كان يفعل من الخيالات بالسحر،

---

١. الأعاجم: خلاف العرب وهنا إشارة إلى إيران الفارسية.

٢. إنّ معرفة الشيخ البتديني بالتجديد الفقهي على يد الشهيد، متأتّية من أنّه أحد تلامذته وملازميه. كما تظهر هذه الرسالة كما وأنّ قرية بتدين مجاورة لجزين.

٣. شيّد البناء: أعلاه ورفعه وأحكم بناءه. لسان العرب، مادة: شاد. والذي يرمى إليه الكاتب هنا هو تثبيت دعائم الشيعة الإمامية في جبل عامل، بعد عدة تصدّعات حصلت من رِدّة وما شابه على يد اليالوشي الذي قضى عليه الشهيد كما مر معنا.وكذلك يوسف بن يحيى ومن تبعه.

٤. إنّ مسألة تعمير المساجد للّه.. في حقبة الشهيد أمر متواتر عند العامليّين، وعلى وجه الخصوص في بلدة جزّين.. وهناك بناء يعتبر من أكبر المساجد الذي تعلوه أكبر قبة في جبل عامل على ما ذكره السيّد الأمين في خططه، أعني مسجد محمّد شاه في النبطية الفوقا، والذي ينسب إلى المرحلة المملوكية وبقربه على مئات الأمتار تقع مقبرة الشهداء التي تحدّثنا عنها.

٥. أي لولا الشهيد الأوّل الذي له الفضل في بقاء جبل عامل وأهله على الإسلام الموالي لأهل البيت عليهم السلام.

٦. إشارة إلى أمثال يوسف بن يحيى المرتد بعد اليالوشي وأتباعه ومن سار معه.

٧. قَتَل: الفعل للشهيد. ونحن معه: أي أنّ الشيخ محمّد بن عليّ بن الوحيد البتدّيني كان مع الشهيد فيمن احتشد وسار لقتال اليالوشي، وهذا ما يعطي الرسالة أهميّة كبيرة على أنّ كاتبها شاهد عيان، وهذه الفقرة تعود إلى يوم قتل اليالوشي، وإن جاءت متأخرة في النصّ وفي سياق الرسالة.

٨. فقال: أي الشهيد، وهذه الخطبة يبدو أنّه خطبها بعد قتله لليالوشي، وأنّ مضمون الخطبة تدلّ على مدى نجاح اليالوشي في استقطاب الجماهير ذوي النفوس الضعيفة بالسحر والشعوذة الذي كان مشهوراً في تلك المرحلة. راجع مقالتنا في العرفان ولكن هذا الاستقطاب لم يكن فعل إيمان.

وما أظهر بالحركات السيماويّة والشعابذيّة [كذا]بل يكون غيره أعظم شأناً في العلوم، وأرفع منازلَ في سائر الفنون. ولكن لا يعمل ما رأيتم منه إلّا المستضعفين في الدين القويم، والمستَخِفّين بقول الرسول النبيّ الكريم، الأئمّة الهداة [ص ١٢:] إلى الصراط المستقيم. وإنّي لأعلم خمسة وعشرين علماً، أدناها ما كان يستعظمه ويعمل به اليالوشي. وإنّ الله سبحانه لا يرضى بأن يعمله أحد إلّا لدفع سحر ساحر، أو ليدفع به دعوى من ادّعى بهذه العلوم النبوة. أو ادّعى شيئاً لا يجوّزه صاحب الشرع الشريف، صوناً للدين الحنيف، وإطاعةً للّه ربّ العالمين، وللنبيّ وآله الطاهرين، وحفظاً لأسرار ربّ العالمين [١].

وروي عن السيّد الجليل النبيل السيّد محمّد بن أحمد الموسوي البعلبكي [٢]، قال:

كنّا في بعض أسفارنا في بلاد الغرب [٣]، مع شيخنا العالم العلّامة، النجيب الأصيلِ البدلِ النحريرِ، الفاضل المتبحّر، صاحب الكرامات الخارقة، والأنفاس الصادقة، والأحوال الفاخرة، والأنوار الباهرة، والمقامات العالية، والمناقب السامية، والمواهب الجزيلة، والأوصاف الجميلة، الشريف أبي عبد الله الشهيد شمس الدين محمّد بن مكّي المطّلبي. وكنا سائرين مع قافلة عظيمة، قرب ثلاثمائة نفسٍ، في برية واسعة، في ليلةٍ مظلِمة، وكانت ليلة تاسع والعشرين من شهر رجب [٤] قرب الصبح ٣ ساعاتٍ ونصف [كذا]. بينما نحن سائرون في تلك الليلة، إذ قد أرعدت وأبرقت ونَزَلَ المطر الغزير، وضلّت القافلة عن الطريق، وضربها الريح إلى مكان سحيق. والناس سائرون، وهم حائرون، والناس لا يدرون

١. هنا يبرز دور الشهيد كفقيه مصلح ومهذِّب للدين من الشوائب التي علقت به. وهذا ما حصل إذ أرسل ولده الشيخ عليّ، الذي بقي فترة في السواحل يعمل بفتوى أبيه، ويهدي الناس الذين غرر بهم اليالوشي، ولا شكّ أنّ تلامذة الشهيد الذين كانوا معه، كان لهم دور بهذه المسألة. خصوصاً عندما نعلم لاحقاً أنّ صاحب هذه الرسالة كان موجوداً معه في سهل الزرارية.

٢. لم نعثر على ترجمة له، لكنّه على مايبدو أنّه أحد تلامذته ومرافقيه في أسفاره .والجدير ذكره هو أنّه لم تقتصر مدرسة جزّين على أبناء جبل عامل بل وبعلبك وطرابلس وغيرها،كما أنّ تلامذة الشهيد كانوا من كافة الأقطار التي كان يحلّ بها. راجع تلامذة الشهيد في دراستنا في العرفان.

٣. وردت عبارة الغرب مرّتين في هذه الرسالة.

٤. ٢٩ رجب الواقع في فصل الشتاء هي الموافقة لما بين الأعوام: رجب ٧٧١ ورجب ٧٨١ وهذه من الكرامات التي بدت من الشهيد.

إلى أيِّ جِهةٍ ينقلبون، وهم في شأنهم مضطربون، فحينئذٍ أمر شيخنا الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي بأنّ القافلة تقف وتجتمع ثمّ أنّه جدَّد وضوءه، وصلّى ركعتين، ورفع يديه ودعا. فلم يكن إلّا قدر طرفة العين، إلّا وقد سطع نورٌ من السماء إلى جانب القافلة، شبه عمود كالمنارة، فأضاءت الدنيا، واهتدوا إلى الطريق بقدرة الله الهادي إلى سواء الطريق [١].

وذكر لي [٢] الصالح الزاهد العابد الشيخ حسين بن محمّد الوحيدي البتدّيني [٣]، قال: بينما الشيخ الشريف شمس الدين يكتب ويؤلِّف كتاب الدروس [٤]. وهو في مدرسته برأس النبع [٥]، إذ قد دخل عليه رجلٌ ذو هيبة ووقار تكاد أن تذهل لحسن منظره وهيئته القلوب والأبصار. فأحسن الصحبة معه كثيراً، وعظّمه تعظيماً جليلاً، وجرى بينهما من المسائل الفقهية والأحاديث المروية كثير. وممّا سُمِعَ من الرجل ذي الهيبة والوقار يقول للشيخ الشريف شمس الدين محمّد بن مكّي:

> هذه العبارة التي ذكرتها في كتابك الدروس، ما قصدته من معناها والعمل بمقتضاها حقّ وصدق، لكن الناس لا يفهمون قصدك، ولا يبلغ فهمهم مقدار فهمك، ويقعون في الشطط والغلط إن أخذوا بظاهرها، ينبغي أن تُغَيِّرها إلى كذا وكذا.

ثمّ كلَّمه بكلام سرّاً خفيفاً، ونحن في جانب من المدرسة قربهما، فأقبلتُ بوجهي نحويهما، فغاب عني ولم أره قطّ. فتعجّبتُ من ذلك. فأقبلتُ على الشيخ ومَن كان حاضراً، فقلت: يا شيخنا، ما هذا الرجل الذي ما رأيناه [ص ١٣]. قبل هذا دخل إلى هذه المدرسة،

---

١. مقابلها على الهامش الأيمن كتب: «وهذه قد اشتهرت حتّى نقلها العلماء في بعض مجامعيه».

٢. الكلام للسيّد البعلبكي.

٣. الشيخ حسين بن محمّد الوحيدي البتدّيني، من تلامذة الشهيد غير معروفين، ويبدو أنّه ابن صاحب الرسالة الشيخ محمّد.

٤. شرع الشهيد بتأليف الدروس عام ٧٨٠ وفرغ من جزئه الأوّل آخر نهار الأربعاء لاثنتي عشر ليلة خلت من ربيع الآخر عام ٧٨٤.

٥. تحتها كتب: «وهي مدرسة عظيمة جدّاً، وهي لمحضر الدرس».
هي المرّة الأُولى التي يشار فيها إلى مكان مدرسة الشهيد الأوّل في جزّين على رأس النبع أي نبع جزّين الموجود إلى اليوم. إنّ معظم المؤلّفات تحدّثت عن العدد الكثير من التلامذة التي ضمّتهم، لتأتي هذه الرسالة وتوضح على أنّها «مدرسة عظيمة جداً»، والتي يبدو أنّها حولت إلى كنيسة موجودة اليوم على رأس نبع جزّين، تماماً كما حوِّل المسجد الذي بناه الشهيد إلى كنيسة أيضاً. راجع حياة الشهيد الأوّل، ص ٦ و ٧.

ولا رأينا نظيراً له ولا أعظم منه هيبة ووقاراً. فضحك الشيخ، وكَلَّمَنا بفائدة أُخرى بغير ما سألناه، ولم يخبرنا. فعلمنا أنّ الشيخ لا يريد أن يُخْبِر به. فصار بعضنا يتكلّم مع بعض، واتّفق رأينا على أنّه المهديّ (صلوات الله وسلامه عليه)[١].

وذكر الشيخ الجليل الشيخ محمّد بن الخازن الحائري، أنّه قد أجازه شيخه الفاضل المحقّق، شمس الحقّ والدين محمّد بن مكّي، بالأحاديث الأربعين المرويّة عن النبيّ ﷺ في فضيلة العلم وحامليه. وهي من الأحاديث الغريبة التي تفرّد بروايتها الشهيد ﷺ[٢]، وهي عندي بخطّ الشهيد، قال:

أمّا رواة هذه الأحاديث لا يخفىٰ فضلهم على ذوي الأبصار، ولا يُنكِر جلالة شأنهم أحدٌ في الأعصار والأمصار. فأمّا شيخنا وإمامنا، العالم الفاضل الزاهد، الشيخ الشريف شمس الدين محمّد بن مكّي المطّلبي، كان عالماً ماهراً فقيهاً محدِّثاً مدقِّقاً متبحّراً كاملاً، جامعاً للمعقول والمنقول، زاهداً عابداً ورعيّاً [وَرِعاً]، شاعراً أديباً منشئاً، فريد دهره، وحيد عصره، بل عديم النظير. إليه انتهت رياسة المذهب والملّة. وبه قامت قواطع البراهين والأدلّة. قد جمع فنون العلم، فانعقد عليه الإجماع، وتفرَّد بصنوف الفضائل، فبهر النواظر والأسماع، أرّجت أنفاس فوائده أرجاء الأقطار، وأحيت كلَّ أرضٍ نزلتْ بها، فكأنّها لبقاع الأرض أمطار، تصانيفه في وجه الأيّام غُرر، وكلامه في عقود السطور دُرر. إلخ.

وقال الشيخ الفاضل الجليل، صاحب الهمّة العليّة، والأوصاف السنيّة الشيخ محمّد بن عبد العلي النجدي العاملي[٣]، في مجموعته التي رواها عن شيخه بالقراءة والإجازة قال:

فضائل شيخنا وإمامنا المحقّق، والبدل النحرير المدقّق، الجامع بين منقبة العلم والسعادة، ومرتبة العمل والشهادة، الإمام السعيد أبي عبد الله الشهيد شمس الدين

---

١. هذه الرواية أيضاً جديدة لم يذكرها أحد ممن كتب في سيرة الشهيد.

٢. للشهيد رسالتان باسم الأربعون حديثاً؛ الأُولى اشتملت على أربعين حديثاً في موضوعات مختلفة، والثانية تحتوي على حديث واحد، في أربعين باب حول آداب المؤمن. راجع رسائل الشهيد الأوّل، ص ٣٥ ـ ٧٨، ولكن ما نودّ توضيحه هو أنّ الكاتب يشير إلى أنّ مضمون الأحاديث «في فضيلة العلم»، وأنّ الرسالتين الآنفة الذكر لا تحوي هذا المضمون المشار إليه، بل للشهيد رسالة أُخرى في هذه المسألة، ورد الحديث عنها في هذه الرسالة وفي الشهيد الأوّل، حياته وآثاره، الفصل الأوّل من الباب الثالث.

٣. المعروف بـ: ابن نجدة، وهو من أشهر تلامذة الشهيد وله إجازة منه إجازة كبيرة. راجع الشهيد الأوّل، حياته وآثاره، الفصل الثاني من الباب الثالث.

محمّد بن مكّي المطّلبي، (أعلى الله درجته كما شرّف خاتمته) فأكبر من أن تُحصى أو تُذكر، وأعزُّ من [أن] توصف وتسطر. كان الإدراك عن كنهه قاصراً، والعلم عن كـفايته فاتراً. وهو كريم الأبوين، عظيم القدر في الخافقين، فائق في العلم والحكمة والآداب، فاضل نحرير في مراسم السؤال والجواب، عالي الهمّة، كبير النفس، بعيد الغور، قـويُّ الحدس، لطيف العبارة، وجيز اللفظ، دقيق الإشارة، ثابت الرأي في البأساء والضـرّاء، عادل في الخصومات، كامل في الأحكام والحكومات، عارف بتصاريف الأُمور، واقف على ضمائر الجمهور، عذب الكلام، رحيب اليدين، عالي الهمّة [ص ١٤] في تحصيل المرام، كثير المناقب والكرامات، والى [١] المناصب فـي جـميع الأوقـات، بـريء مـن الأخلاق الذميمة، عريّ [كذا] الوحشة والنميمة، ناصح للملوك والسلاطين فيما يتعلّق بشأنهم، مُعرِضاً عمّا في أيديهم (خ ل: عن أموالهم)، شديد الأنفة فـي العـار [٢]، مـعتقد للصالحين والأبرار، لَيّن الجانب في المعاشرة، سهل العريكة في المطالبة. مـقوّم أبـناء جنسه، مربّي نوع الإنسان. يؤثر على نفسه إخوانه، حسن المداراة، صدوق في الأقوال، مصيب في الفراسة [٣]. مكارم أخلاقه في الآفاق مشهورة، وطـيب أعـراقـه فـي الدنـيا مذكورة. وجلالة قدره كبرتْ عن الذكر وتعالتْ، وسوابق نعمائه وأياديه عـلى عـلماء الدهر دَرَّتْ وتوالَتْ، وشرف ذاته ومحاسن جوامع صفاته آيةٌ (خ ل: سنّة) يقتدي بـها المتخلّقون، ويتحيّر فيها الواصفون. ما من إنسان إلّا وهو رَطْب اللسان بـذكر ألطـافه وإحسانه واتّصافه. وهو غائصٌ في أنواع العلوم وجوامع الكلم. له اليد الطولى في أقسام الرياضيات على اختلافها، والأحاديث، والتفاسير، والأنساب، والتـواريـخ، ومـعرفة أسماء الرجال وأنسابها، والأسانيد وأوصافها. فَطِن للمعالي، محسن للأعادي، مستفيد من العلويات، مدرك بالإشارات. دائم السرور بالله ممكّن. وافـر الأُنس مـع الطـلاب

١. والى: تابع... وتأتي بمعنى تولّى الشيء: أدبر عنه، أي أعرض وتركه. لسان العرب، مادة: ولا.
وهناك نصّ أورده ابن خلدون في تاريخه يرسم ملامح تلك المرحلة ولعلّه يشير إلى الشهيد وحركته. راجع ما ذكرناه آنفاً.

٢. العارُ: كلّ ما يلزم منه سُبةٌ أو عيب، والعيّار: ما اتّخذ أساساً للمقارنة والتقدير. راجع لسان العرب، مادة: عار. إلى ذلك فالشهيد بحسب ابن نجدة ميّال لا بل معتقد ـ بمعنى صدقَهم ومال قلبه وضميره إليهم ـ للصالحين والأبرار. لسان العرب، مادة: عقد.

٣. الفراسة: المهارة في معرفة بواطن الأُمور من ظواهرها. لسان العرب، مادة: فرس.

والأصحاب. كثير الشفقة على الواحد والجمع. عالم بالحكمة الإلهية، حافظ الأسرار، مبغض الأشرار، قويٌّ في حلِّ الرموز والبرهان، قد اطّلع على أحوال الماضية، له اليد العظمىٰ في اللطائف الأدبية، والدرجة العالية في المعارف اليقينية. مظهر الرحمة والجود. مظهر المعدلة في الوجود. شأنه ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [١]. بيانه ﴿مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [٢].

قد استفدتُ من أنفاسه الشريفة في جميع العلوم، المنثور منها والمنظوم، وعرضتُ عليه بعض خيالاتى، ونتائج أفكاري في خلواتي، فاستحسنها وأجازني بإجازة شريفة [٣]، وشرّفني بكلماتٍ لطيفة، ورفع شأني بكلماته المنيفة، إلى آخِر ما قاله.

هذا موضع الحاجة [٤] في ذكر السعيد الشهيد شمس الدين محمّد بن مكّي، وذكر ترجمة أولاده الثلاثة، وذكر الإجازة التي كتبت لهم مع أُختهم فاطمة المدعوّة بستِّ المشايخ قدّس [الله] أرواحَهم [٥].

وقال الشيخ حسن بن سليمان الحلّي [٦]، في آخر رسالة قد ألّفها:

فإنّ جميعَ ما ذكرته في رسالتي هذه عن شيخي وأُستاذي ومعتمدي، شمس العلوم والمعارف، الذي أشرقت بالفضل أقمارُه وشموسه، وزخر بالعلم عبابه وقاموسه. فدوّخ صيته الأقطار، وطار ذكرهُ في مناكب الأرض واستطار. وتهادتْ أخباره الركبان، وظهر فضله في كلّ صُقْعٍ وبان. قد علم من العلوم ما قام بها أحد مُضطلع، ولا ظهر على مكنونها مُطّلع. استنزل عصم البلاغة من صياصيها [٧]، واستقلّ بركاب [؟] البراعة فشفّع بنواصيها [٨]. إن نثر فما اللؤلؤ المنثور انفصم فطامه [؟]، أو نظم، فما الدر المشهور اتّسق نظامه. لم يزل

١. القلم (٦٨): ٤، وهي من الآيات الكبرى في وصف أخلاق النبيّ ﷺ.
٢. يوسف (١٢): ٣١.
٣. سبق ذكرها.
٤. مقابلها على الهامش الأيسر: «ممّا قد نقلناه من المجموع للشيخ المذكور، التي رواها عن شيخه الشهيد. ثمّ ذكر فيها أحواله وخصائصه وذكر ترجمة أولاده ملخّصاً».
٥. وهو أمر معروف ومشهور. راجع الشهيد الأوّل، حياته وآثاره، الفصل الثاني من الباب الثالث.
٦. وهو من خُلّص تلاميذه، وتتلمذ عليه في مدرسة رأس النبع مدرسة الشهيد في جزّين المقدم الحديث عنها.
٧. الصياصي: الحصون.
٨. الناصية: مقدّمة الرأس، ويقال ناصية الحصان أي رأسه.

مدرِّساً في مدرسته برأس النبع [ص ١٥] ببلده جزّين. ولم يزل مجتلياً به وجوه [كلمات مشوّشة] مجتنياً من رياضه أزهار المحاسن والإحسان، إلى أن نكد عليه المرتدّين [المرتدون] والوشاة، من أبناء الزمان[١] بعد أن أصلح العباد، وأحيا الدين في البلاد. حتّى انصرمت في العيش مدّته، وتمّت في الحياة عدّتُه، وهو شهيد. والله على كلِّ شيءٍ شهيد.

وله أشعار لطيفة، وقصائد شريفة، كلّها مشحونة بالحكم. وقد رأيت مجموعةً كتبت عن خطِّه الشريف، قرب أربعة آلاف بيت[٢]، كلّها ممّا تفرّد بها، من نثره وأشعاره وخطبه. فمنها: ممّا قاله بعد انتباهه بعد نوم غلبه عن قيام الليل في سفر له، وهو هذا:

عَظُمتْ مصيبةُ عبدك المسكينِ ... في نَوْمه عن مَهْر حور العينِ
الأولياء تمتّعوا بك في الدُجىٰ ... بِتهجّدٍ وتَخَشُّعٍ وحنينِ
فَطَرَدْتَني عن قَرْعِ بابك دونَهم ... أتَرى لعظم جرائمي سَبَقوني
أوَجَدْتَهم لم يُذْنِبوا فرَحِمْتَهُمْ ... أم أذْنَبوا فعفوتَ عنهم دوني
إنْ لم يكن [للعفو] عندك موضعٌ ... للمذنبينَ فأينَ حسنُ ظنوني

ومن أشعاره اللطيفة الشريفة، وهذا الشعر قد سمّطه[٣] ولده وأنا أذكر الأصل وتسميطه وهو هذا:

بِنا قد سَمَتْ أوجُ الكمال جُدودَنا ... فنحنُ بدور لا يَغِيبُ سعودنا
وإذ قد أبت درك الهوان جدودنا ... غَنيْنا بِنا عن كُلِّ من لا يُرِيدُنا
وإنْ كَثُرَتْ أوصافُه ونعوته
رعيْنا لِمنْ أصفى الهوى طيب خيمه ... وللْوُدِّ شُدْنا ما اعتفىٰ مِنْ رُسومه
ولم نَبْتَدئ بالعَتْبِ غيرَ مَلومِهِ ... فمن جاءنا يا مَرْحباً بِقُدومه
يَجِدْ عندنا وُدّاً صحيحاً ثبوتُه
نُبوِّؤه مِنْ ساحة القربِ منزلا ... ونجْلي له مِنْ خُمرة الحُبِّ سَلْسَلا

---

١. وهو مثل يضرب بمن يرفعهم الزمن وهم من الأراذل.
٢. لم يعرف من شعر الشهيد سوى ما حقّقه الأخ الفاضل الحجّة الشيخ رضا المختاري في الشهيد الأوّل حياته وآثاره، وما عرفناه هنا وأشار إليه في هذه الرسالة.
٣. مقابلها على الهامش الأيمن: «قد سمّطه ولده الفاضل الكامل الشيخ ضياء الدين عليّ ﷺ».
سمط. تسميط: وهو أن يضيف الشاعر لشعر غيره صدراً لعجز أو العكس.

ونَتْرُكُ أمرَ الكاشِحِ الغرِّ مُهْملا ومَنْ صَدّ عنّا حَسْبُه الصَدُّ والقِلى
ومَنْ فاتنا يكفيه أنّا نَفوته [١]

ومن شعر قد كتبه إلى ولده:

اِصْبِر على حُلْوِ القضاء ومُرِّهِ واعْلَمْ بأنّ اللهَ بالغُ أمرِه
فالصَدْرُ من يَلْقَى الخُطوبَ بصدره وبِصَبرِهِ وبِحمدِه وبِشُكْرِه
والحُرّ سيفٌ والدُثور لِصَفْوه صَدَأٌ وصيقُلُه نوائب دهرِه
اِصْبِر فكم أمرٍ أهَمَّكَ عُسرةٌ ليلاً فبَشَّرَكَ الصباحُ بِيُسْره
وإذا أُصِبْتَ بما أُصِبْتَ فلا تَقُلْ أُوذِيتُ مِنْ زيد الزمان وعَمْرِه
وكَمْ بعدَ يأسٍ قد أتى فرَجُ الفتىٰ مِنْ سِرِّ غَيبٍ لا يَمُرُّ بِفكره

ومن قصيدة له قد كتبها لأهل بيته وولده وهو في قلعة الشام مطلعها [٢]:

سلامٌ على أهلي وولدي وأُسرتي سلامَ مُحِبٍّ والفؤادُ مَشوقُ

ومنها:

فأُوصيكُمُ بالصبر والخير والتُقىٰ وحسن الثناء في العالمين يَشُوقُ
وبالإلْف فيما بينكم وبِحِفظكم لأولادكم حفظاً عليه يَفوقُ

ومنها:

فما الدهرُ إلّا مثلَ يومٍ وليلةٍ تَزول سريعاً والجميل يَروقُ
وما العمرُ إلّا مثلَ أحلامِ نائمٍ ومِثلِ خِيام [٣] الظِلِّ حينْ يَفوقُ

ومنها:

تَسلَّوا بما قد حَلّ بالرُسْلِ قَبلنا ففيه لمن رامَ السلوَّ طريقُ
فكَمْ نٰالهم همٌّ وغمٌّ وكربةٌ وقَتْلٌ وسِجْنٌ وابتلاءٌ ومَضْيَقُ
ونسألُ ربَّ العرش تجميعَ شَمْلِنا فرُحْماه فينا عالم ورَفيقُ

١. تمّ ضبط البيت الأخير من خلال البيتين المكتوبين في أعلى الصفحة، مشاراً بخطّ إلى موضعها ما بين الصدر والعجز لهذا البيت، ومن أعلى الهامش الأيمن بجانب القصيدة أيضاً.
٢. لا ندري في أيّ فترة من وجوده في السجن في قلعة دمشق كتب الشهيد هذه القصيدة،التي ترسم لنا ملامح منهجه التربوي على مستوى الأُسرة، لكنّنا نغلّب أنّها في الأيّام التي سبقت مقتله، وذلك لما تتضمّنه من وصية، وما توحي من وداع.
٣. كذا، ولعلّ الصواب «خيال».

ويَحْرُسُكم من كلِّ عيبٍ يَشِينكُم وبـ..عنكم حاسد وفسوقُ
ويجعل جنّاتِ النعيم مقرَّكم ففيها حياة المُكْرَمينَ تَروقُ

وهي قصيدة طويلة، كلُّها حِكم ونصائح. مضمون آياتٍ وأحاديث.

قد كتبتُ عن نسخةٍ غير منقوطة بخطٍّ يصعب قراءته، فمن وقع نظره على خلل أو خطأ، فليُصلِحْه أصلح الله حاله [غير واضحة ولعلّها]: «بمحمدٍ وآله المكرمين». [ص ١٦]

* * *

[وعن الصفحة ١٨ للمجموعة التي وجدت فيها هذه الرسالة كتب]:

فقد رأيت في بعض الكتب، بخطّ بعضهم: أنّ هذا الشعر للشهيد محمّد بن مكّي ﷺ.

يموتُ قومٌ ويُحْيِي العلمُ ذكرَهم والجهلُ يُلْحِقُ أحياءً بأمواتِ

[وكتب في الصفحة ٣٢ من المجموعة المخطوطة]:

... ومنهم الشيخ الجليل جمال الدين أحمد بن عبد الله بن محمّد بن عليّ بن حسن بن متوّج البحراني[١]. وهو شيخ الإمامية في وقته كما ذكره ابن جمهور الأحسائي في عوالي اللآلي[٢]. وذكر في موضع آخر، أنّ فتاويه مشهورة في المشارق والمغارب. وهو مِن تلامذة الشيخ الفاضل فخر الدين ابن العلّامة، ومن تلامذة غيره في الحلّة السيفية المزيدية. وله تصانيف جميلة جدّاً، منها: منهاج الهداية في آيات الأحكام[٣]، يدلّ على فضله. ومن جملة إفاداته، أنّ الطلاق البذلي أعمّ من الخلع ومن المباراة، يصحّ حيث يصح إحداهما، ويصحّ حيث لا يصحّ إحداهما كما هو مشهور في زماننا. وله رسالة وجيزة فيما يعمّ به البلوى، وذكر فيها بحث قبلة البحرين بأنْ يجعل الجدي محاذي الطرف اليمنى، وليس قبلتها كقبلة البصرة كما ظنّه بعض متفقهي زماننا. ومنها كتاب مختصر التذكرة[٤]، وهو جيِّد جدّاً. ومنها كتاب مجمع الغرائب والعجائب، وهو كما سُمِّيَ قد احتوى على فروع غريبة عجيبة ومسائل نادرة.

---

١. ترجمته في أعيان الشيعة، ج ٣، ص ١٤.
٢. الأحسائي، عوالي اللآلي، ج ١، ص ٣٤٩.
٣. الذريعة، ج ١٩، ص ٣٧.
٤. الذريعة، ج ٢، ص ٣٥.

وقبره بالجزيرة، جزيرة أكل [كذا] في المشهد المعروف بمشهد النبيّ صالح.

وقد حكى الشيخ سليمان [١]، وغيره من علماء البحرين: أنّه كان كثيراً ما يقع بينه وبين الشريف أبي عبد الله الشهيد شمس الدين محمّد بن مكّي [٢]، مناظرة ومباحثة. وكانا في الأغلب يستويان، وتارةً قيل: إنّه كان يحصل الغلبة للشيخ جمال الدين أحمد بن متوج. وكانا يجتمعان في مكّة أكثر السنين [٣]. وقيل: كانا بالحلّة [٤]. فلمّا تفرّقا ورجع الشيخ جمال الدين إلى البحرين، واشتغل بالناس بأُمور الحسبة وفصل قضايا الشريعة وغيرهما. فاتّفق أنّهما اجتمعا بعد ذلك في مكة المشرفة، الشيخ جمال الدين المذكور والشريف السعيد الشهيد شمس الدين محمّد بن مكّي، فتناظرا، فأفحمه الشريف الشهيد مراراً، فتعجَّبَ الشيخ جمال الدين، فقال الشيخ الشريف الشهيد شمس الدين محمّد بن مكّي: «وما ليلنا إلّا سواء، وإنّما تفاوته أنّا قد سهرنا ونُمْتُم». وقال له أيضاً: «سَهَرْنا وأضَعْتُم» [٥].

* * *

وكتب الكاتب في آخر المجموعة التي وجدت فيها الرسالة أيضاً اسمه ونسبه على النحو التالي:

شرف‌الدين محمّد مكّي بن محمّد ضياءالدين بن شمس‌الدين بن الحسن بن زين‌الدين بن خيرالدين عليّ بن أحمد من ذرية الشريف أبي عبد الله الشهيد محمّد بن مكّي المطّلبي العاملي الجزّيني.

---

١. هو الشيخ سليمان الماحوزي صاحب: جواهر البحرين في علماء البحرين. الذريعة، ج ١٩، ص ٣٧ ترجمته في أعيان الشيعة، ج ٧، ص ٣٠٢.

٢. على الهامش الأيسر كتب: «جدّ كاتب الأحرف».

٣. دلالة أُخرى على أنّ الشهيد الأوّل كان يحجّ كثيراً كما صرّح هو.

٤. كانا تتلمذا بالحلة معاً... .

٥. آغا بزرگ الطهراني، الذريعة، ج ٢٣، ص ١٨٠ عن الشيخ سليمان في جواهر البحرين، ونقلها الشيخ المحقّق المختاري في الشهيد الأوّل، حياته، آثاره، الفصل السادس من الباب الأوّل.

وهنا أودُّ أن أُشير إلى قول الشهيد في القواعد والفوائد، ج ١٥، ص ٦٦ (ضمن الموسوعة، ج ١٥) «معدود من الخسران إن صُرف الزمان في المباح وإن قلّ، لأنّه ينقص من الثواب ويخفض من الدرجات، وناهيك خسراناً بأن يتعجّل ما يفنى (الدنيا)، ويخسر زيادة نعيم يبقى (الآخرة)». أورده المختاري في الشهيد الأوّل، الفصل السادس من الباب الأوّل.

ثبت المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. ابن أبي طالب، الإمام عليّ عليه السلام. *نهج البلاغة*، شرح ابن أبي الحديد، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٦٥م.

٣. ابن أياس، محمّد (م ٩٣٠). *بدائع الزهور في وقائع الدهور*، تحقيق محمّد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣م.

٤. ابن تغري بردي، يوسف (م ٨٧٤). *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٢م.

٥. ابن حجر العسقلاني، أحمد (م ٨٥٣). *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، تحقيق سيّد جاد الحقّ، القاهرة ١٩٦٦م.

٦. ابن خلدون، عبد الرحمن (م ٨٠٨). *مقدّمة ابن خلدون*، دار القلم، بيروت ١٩٨٤م.

٧. ابن خلدون، عبد الرحمن (م ٨٠٨). *تاريخ ابن خلدون*، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٨. ابن فضل الله العمري، أحمد (م ٧٤٢). *التعريف بالمصطلح الشريف*، مطبعة العاصمة، القاهرة ١٣١٢.

٩. ابن فضل الله العمري، أحمد (م ٧٤٢). *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، د.ن، القاهرة ١٨٩٤م.

١٠. ابن طولون، محمّد (م ٩٥٣). *أعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى*، تحقيق محمّد دهمان، دمشق ١٩٦٤م.

١١. ابن كثير، إسماعيل (م ٧٧٤). *البداية والنهاية في التاريخ*، تحقيق عليّ شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨م.

١٢. ابن منظور، محمّد. *لسان العرب*، دار صادر، بيروت د.ت.
١٣. ابن يحيى، صالح (م ٨٤٠). *تاريخ بيروت*، دار الفكر الحديث، بيروت ١٩٩٠م.
١٤. *الاجتهاد*، مجلة، عدد ٣، بيروت ١٩٨٩م.
١٥. الاحسائي، محمّد. *عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية*، تحقيق آقا مجتبى العراقي، مطبعة سيّد الشهداء، قم ١٩٨٣م.
١٦. الامين، السيّد محسن. *أعيان الشيعة*، دار التعارف، بيروت ١٩٨٦م.
١٧. الاميني، الشيخ عبد الحسين. *شهداء الفضيلة*، دار الشهاب، قم د.ت.
١٨. بولياك، أ.ن. *الإقطاعية في مصر وسوريا ولبنان*، ترجمة عاطف كرم، منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، بيروت ١٩٤٨م.
١٩. الجباعي، محمّد بن عليّ. *مجموعة الجباعي*، مخطوطة مكتبة ملك الوطنية، طهران، رقم ٦٠٤.
٢٠. الحر العاملي، محمّد. *أمل الآمل*، دار الوفاء، بيروت ١٩٨٣م.
٢١. الحسني، هاشم معروف. *بين التصوف والتشيع*، دار القلم، بيروت ١٩٧٩م.
٢٢. الخوانساري، السيّد محمّد باقر. *روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات*، دار الصادق، بيروت، طبع قم ١٣٩٢.
٢٣. الزركلي، خير الدين. *الأعلام*، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، بيروت ١٩٨٠م.
٢٤. الزين، عليّ. *للبحث عن تاريخنا في لبنان*، د.ن، بيروت ١٩٧٣م.
٢٥. سليمان، إبراهيم. *بلدان جبل عامل*، مؤسّسة الدائرة، بيروت ١٩٩٥م.
٢٦. شمس الدين، الشيخ محمّد رضا. *حياة الإمام الشهيد الأوّل*، مطبعة الغري، النجف ١٩٥٧م.
٢٧. الشهيد الأوّل. *رسائل الشهيد الأوّل*، مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة، قم ١٤٢٣.
٢٨. الشهيد الأوّل. *اللمعة الدمشقيّة في فقه الإمامية*، تحقيق محمّد تقي وعليّ أصغر مروارید، دار التراث، بيروت ١٩٩٠م.
٢٩. الشهيد الثاني. *الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة*، دار العالم الإسلامي، بيروت د.ت.
٣٠. الشهيد الثاني. *منية المريد في أدب المفيد والمستفيد*، تحقيق الشيخ رضا المختاري، الطبعة الثانية، مكتب الاعلام الإسلامي، قم ١٤١٥.

٣١. الشيبي، د. كامل. *الصلة بين التشيّع والتصوّف*، دار الأندلس، بيروت ١٩٨٤م.
٣٢. الصدر، السيّد حسن. *تكملة أمل الآمل*، دار الأضواء، بيروت ١٩٨٦م.
٣٣. الصفدي، صلاح الدين (م ٧٦٤). *أُمراء دمشق في الإسلام*، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٨٣م.
٣٤. طباجة، يوسف. *الدين والسياسة في جبل عامل*، أُطروحة دكتوراه، الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٩٣م.
٣٥. طباجة. يوسف. *الشهيد الأوّل ومشروع القيادة الدينية سياسية في جبل عامل*. *العرفان*، م ٨٠، بيروت ١٩٩٦م.
٣٦. الطراونة، طه. *مملكة صفد في عهد المماليك*، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٢م.
٣٧. ظاهر، سليمان. *معجم قرى جبل عامل*، *العرفان*، م ٨ و م ٢١.
٣٨. العاملي، على بن محمّد. *الدر المنثور في المأثور وغير المأثور*، مطبعة مهر، قم ١٣٩٨.
٣٩. عبد الرزاق، عليّ. *الإسلام وأُصول الحكم*، دراسة: د. محمّد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ٢٠٠٠م.
٤٠. عبد الصمد العاملي، الشيخ حسين. *رسالة الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي إلى أُستاذه الشهيد الثاني*، تحقيق يوسف طباجة، مجلة *المنهاج*، عدد ٢٩ بيروت ٢٠٠٣م.
٤١. القلقشندي، أحمد (م ٨٢١). *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، د.ن. القاهرة ١٩٦٣م.
٤٢. كرافولسكي، دوروتيا. *العرب وإيران*، دار المنتخب العربي، بيروت ١٩٩٣م.
٤٣. المختاري، الشيخ رضا. *الشهيد الأوّل، حياته وآثاره*، مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة، قم، ١٤٢٦.
٤٤. الوردي، د. عليّ. *وعّاظ السلاطين*، الطبعة الثانية.
٤٥. الوردي، د. عليّ. *منطق ابن خلدون*، الطبعة الثانية، دار كوفان، لندن ١٩٩٤م.

٢. رسالة ابن تيميّة إلى السلطان*

* محمّد بن أحمد بن عبدالهادي: العقود الدريّة من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيميّة، ط. القاهرة ١٣٥٦/ ١٩٣٨ م، ص ١٨٢ ـ ١٩٤. أخذناها من بحث غير منشورٍ بعدُ للأُستاذ الشيخ جعفر المهاجر، وهوامش المتن كلّها بقلمه (دام علاه).

بسم الله الرحمن الرحيم

سلطان المسلمين، ومَن أيّد الله في دولته الدين، وقمع الكفّار والمنافقين (أيّد الله بـه الإسلام ونشر عدله في الأنام).

من الداعي أحمد بن تيميّة إلى سلطان المسلمين، و مَن أيّد الله في دولته الدين، وأعزّ به عباده المؤمنين، وقمع فيها الكفّار والمنافقين والخوارج والمارقين (نصره اللـه ونـصر بـه الإسلام، وأصلح له و به أُمور الخاصّ والعام. وأحيا به معالم الإيمان. وأقام به شرائع القرآن. وأذلّ به أهل الكفر و الفسوق والعصيان).

سلام عليكم ورحمة الله و بركاته. فإنّا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا هو. وهو للحمد أهل، وهو على كلّ شيء قدير. ونسأله أن يُصلي على خاتم النبيين وإمام المـتّقين مـحمّدٍ عبده ورسوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم تسليماً).

أمّا بعد، فقد صدق الله وعده، ونصر عـبده، و أعـزّ جـنده، وهـزم الأحـزاب وحـدَه. وأنعم الله على السلطان وعلى المؤمنين في دولته نعماً لم تُعهد في القرون الخالية. وجدّد الإسلام في أيّامه تجديداً بانت فضيلته على الدول الماضية، وتحقّق في ولايته خبر الصادق المصدوق، أفضل الأوّلين والآخرين، الذي أخبر فيه عن تجديد الدين في روؤس المئين، والله تعالى يُوزعه والمسلمين شكر هذه النعم العظيمة في الدنيا والدين، ويُتمّها بتمام النصر على سائر الأعداء المارقين.

ذلك أنّ السلطان (أتمّ الله نعمته) حصل للأُمة بيُمن ولايته وحُسن نيّته، وصحّة إسلامه وعقيدته، وبركة إيمانه ومعرفته، وفضل همّته وشجاعته، وثمرة تعظيمه للـدين وشـرعته، ونتيجة اتّباعه لكتاب الله وحكمته، ما هو شبيه بما كان يجري في أيّام الخلفاء الراشدين،

وما كان يقصدِه أكابر الأئمّة العادلين من جهاد أعداء الله المارقين من الدين. وهم صنفان:

ـ أهل الفجور والطغيان، وذوو الغي والعدوان، الخارجون عن شرائع الإيمان. طلباً للعلوّ في الأرض والفساد، وتركاً لسبيل الهدى والرشاد. وهؤلاء هم التتار ونحو هم، من كلِّ خارج عن شرائع الإسلام، وإن تمسّك بالشهادتين أو ببعض سياسة الإسلام.

ـ والصنف الثاني: أهل البدع المارقون، وذوو الضلال المنافقون، الخارجون عن السنّة والجماعة، المفارقون للشرعة والطاعة، مثل هؤلاء الذين غُزوا بأمر السلطان من أهل الجبل والجُرد [1] والكسروان [2]؛ فإنّ ما منّ الله به من الفتح والنصر على هؤلاء الطغام هو من عزائم الأُمور التي أنعم الله بها على السلطان وأهل الإسلام.

وذلك أنّ هؤلاء وجنسهم من أكابر المفسِدين في أمر الدنيا والدين؛ فإنّ اعتقادهم أنّ أبا بكر وعمر وعثمان، وأهل بدر وبيعة الرضوان، وجمهور المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان، وأئمّة الإسلام وعلمائهم أهل المذاهب الأربعة وغيرهم، ومشايخ الإسلام وعُبّادهم، وملوك المسلمين وأجنادهم، وعوامّ المسلمين وأفرادهم ـ كلّ هؤلاء ـ عندهم كفّار مُرتدّون، أكفر من اليهود والنصارى. لأنّهم مُرتدّون عندهم. والمُرتدّ شرّ من الكافر الأصلي. ولهذا السبب يُقدّمون الفرنج والتتار على أهل القرآن والإيمان.

ولهذا لمّا قدم التتار إلى البلاد، وفعلوا بعسكر المسلمين ما لا يُحصى من الفساد، وأرسلوا إلى أهل قبرص [3] فملكوا بعض الساحل، وحملوا راية الصليب، وحملوا إلى

---

١ و ٢. في هذه العبارة خطأ واضح؛ لأنّها من باب قسمة الشيء إلى نفسه وغيره. ممّا يدلّ على أنّ قائلها لم يكن يدري ما يقول. وهو الذي حشا كتابه بمختلف الدعاوي العريضة بمعرفته التفصيليّة بالمنطقة وأهلها. فـ«الجبل» ليس شيئاً غير «الجُرد» و«كسروان» (وليس «الكسروان!») وغيرهما.

والمعروف أنّ «كسروان» كانت يومذاك تعني المنطقة الجبلية الواقعة بموازاة الساحل اللبناني الممتدّ بين مصبّ «نهر الكلب» جنوباً ومصبّ «نهر إبراهيم» شمالاً. أمّا «الجُرد» فهو امتداده من هضاب قرية «فاريّا» وشرقاً. حيث «كسروان» يعني المنطقة الماهولة، بما فيها من قرى ومزارع، أمّا «الجُرد» فهو خال إلّا من القليل منها، ومن هنا جاء اسمه، أي من صفته بأنّه أجرد لا شجر فيه. في حين أنّ «كسروان» منطقة غابات. وجُرد «كسروان» ينتهي عند قرية «كفرتي». ولكن يفهم من كلام ابن تيميّه أنّه يعني عنده أيضاً جُرد «المتن»، الذي ينتهي من الجهة الشرقيّة عند بلدة «مجدل ترشيش».

٣. جزيرة في البحر المتوسّط شرقاً، غرب الساحل اللبناني السوري. قامت صِلات وثيقة بين أهلها وبين المسيحيين الموارنة، منذ بداية الغزوات الصليبيّة. وكان منهم جالية كبيرة في الجزيرة، ما تزال بقاياها حتّى اليوم.

قبرص من خيل المسلمين وسلاحهم وأسراهم ما لا يُحصي عدده إلّا اللهُ، وأقام سوقهم بالساحل عشرين يوماً يبيعون فيه المسلمين والخيل والسلاح على أهل قبرص، وفرحوا بمجيء التتار. هم وسائر أهل هذا المذهب الملعون، مثل أهل جزّين وما حواليها وجبل عامل ونواحيه.

ولمّا خرجت العساكر الاسلاميّة من الديار المصريّة، ظهر فيهم من الخزي والنكال ما عرفه الناس منهم. ولمّا نصر الله الإسلام النصرة العظمى عند قدون السلطان، كان بينهم شبه العزاء كلّ هذا وأعظم منه عنده هذه الطائفة، التي كانت من أعظم أسباب خروج جنكِسخان[1] إلى بلاد الإسلام، وفي استيلاء هولاكو على بغداد، وفي قدومه إلى حلب، وفي نهب الصالحية، وفي غير ذلك من أنواع العداوة للإسلام وأهله؛ لأنّ عندهم أنّ كلّ مَن لا يوافقهم على ضلالهم فهو كافر مُرتد، ومن استحلّ الفُقّاع فهو كافر، ومَنْ مسح على الحفّين فهو عندهم كافر، ومَنْ حرّم المتعة فهو عندهم كافر، ومَن أحبّ أبابكر أو عمر أو عثمان أو ترضّى عنهم، أو عن جماهير الصحابة، فهو عندهم كافر. ومَن لم يؤمن بمنتظر هم فهو عندهم كافر.

وهذا المُنتظر صبيٌّ عمره سنتان أو ثلاث أو خمس. يزعمون أنّه دخل السرداب بـ«سامرّا» مِن أكثر مِن أربعمائة سنة، وهو يعلم كلّ شيء، وهو حجّة الله على الأرض، فمَن لم يؤمن به فهو عندهم كافر، وهو شيء لا حقيقة له، ولم يكن هذا في الوجود قطّ.

وعندهم مَن قال: «إنّ الله يُرى في الآخرة» فهو كافر. ومَن قال: «إنّ الله تكلّم بالقرآن حقيقة» فهو كافر. ومن قال: «إنّ الله فوق السماوات» فهو كافر. ومَن آمن بالقضاء والقدر، وقال: «إنّ الله يهدي مَن يشاء ويُضلّ مَن يشاء، وإنّ الله يُقلّب قلوب عباده، وإنّ الله خالق كلّ شيء» فهو عندهم كافر. وعندهم أنّ مَن آمن بحقيقة أسماء الله وصفاته، التي أخبر بها في كتابه وعلى لسان رسوله، فهو عندهم كافر.

وهذا هو المذهب الذي تُلقِّنه لهم أئمّتهم، مثل بني العَود؛ فإنّهم شيوخ أهل هذا الجبل. وهم الذين كانوا يأمرونهم بقتال المسلمين، ويُفتونهم بهذه الأُمور.

---

١. يعني: چنگيزخان، سلطان التتر و مُنشئ الأمبراطورية المغولية (م ٦٢٥).

وقد حصل بأيدي المسلمين طائفة من كتبهم تصنيف ابن العَود وغيره، وفيها هذا وأعظم منه، وهم اعترفوا لنا بأنّهم الذين علّمو هم أمروهم. لكنّهم مع هذا يُظهرون التقيّة والنفاق.

ويتقرّبون ببذل الأموال إلى مَن يقبلها منهم. وهكذا عادة هؤلاء الجبيليّة؛ فإنّهم أقاموا بجبلهم لِما كانوا يُظهرونه من النفاق، ويبذلونه من البرطيل [1] لمَن يقصِدهم.

والمكان الذي لهم في غاية الصعوبة، ذكر أهل الخبرة أنّهم لم يروا مثله. ولهذا كثُر فسادهم، فقتلوا من النفوس، وأخذوا من الأموال، ما لا يعلمه إلّا الله.

ولقد كان جيرانهم، من أهل البقاع [2] وغيرها معهم في أمر لا يُضبط شرّه، كلّ ليلة تنزل عليهم منهم طائفة، ويفعلون من الفساد ما لا يُحصيه إلّا ربّ العباد. كانوا في قطع الطرقات، وإخافة سكّان البيوتات على أقبح سيره عُرفت من أهل الجنايات. يَرِد إليهم النصارى من أهل «قبرص» فيُضيفونهم ويعطونهم سلاح المسلمين، ويعقون بالرجال الصالح من المسلمين، فإمّا أن يقتلوه أو يسلبوه، وقليل منهم مَن يفلت منهم بالحلية.

فأعان الله ويسّر، بحُسن نيّة السلطان وهمّته، في إقامة شرائع الإسلام وعنايته بجهاد المارقين، أن غُزوا غزوة شرعيّة، كما أمر الله ورسوله، بعد أن كُشفت أحوالهم، وأُزيحت عللهم، واُزيلت شُبههم، وبُذل لهم من العدل والإنصاف ما لم يكونوا يطمعون به، وبُيّن لهم أنّ غزوهم اقتداء بسيرة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في قتال الحروريّة المارقين، الذين تواتر عن النبيّ صلى الله عليه وآله الأمرُ بقتالهم ونعتُ حالهم، من وجوه مُتعدّدة. أخرج منها أصحاب الصحيح عشرة أوجه: من حديث عليّ بن أبي طالب، وأبي سعيد الخدري، وسهل بن حُنَيف، وأبي ذر الغفاري، ورافع بن عمرو، وغيرهم من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله قال فيهم:

> يَحقِر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم. يقرأون القرآن لا يُجاوز حناجرهم. يمرقون من الإسلام كما يمرُق السهم من الرّميّة. لئن أدركتُهم لأقتلنّهم قتل عاد. لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمّد صلى الله عليه وآله لاتّكلوا عن العمل، يقتلون أهل الإسلام. ويدَعون أهل الأوثان. يقرأون القرآن يحسبون أنّه لهم وهو عليهم. شرّ قتلى تحت أديم السماء. خير قتلى مَن قتلوه.

---

١. يعني: «الرشوة. والكلمة ما تزال مسموعة حتّى اليوم في المحكيّة الشاميّة وأصلها من اللغة الآراميّة.

٢. يعني «سهل البقاع» وهو المُنخفض الواقع بين سلسلتي الجبال الشرقيّة والعربيّة. شرقه مدينة بعلبك.

وأوّل ما خرج من هؤلاء زمن أمير المؤمنين عليّ ﷺ. وكان لهم من الصلاة والصيام والقراءة والعبادة والزّهادة ما لم يكن لعموم الصحابة. لكن كانوا خارجين عن سُنّة رسول الله ﷺ وعن جماعة المسلمين، وقتلوا من المسلمين رجلاً اسمه عبدالله بن خبّاب، وأغاروا على دوابّ المسلمين. وهؤلاء القوم كانوا أقلّ صلاةً وصياماً. ولم نجد في جبلهم مصحفاً، ولا فيهم قارئاً للقرآن. وإنّما عندهم عقائدهم التي خالفوا فيها الكتاب والسُنّة. وأباحوا دماء المسلمين. وهم مع هذا فقد سفكوا من الدماء، وأخذوا من الأموال، ما لا يُحصى عدده إلّا الله تعالى.

فإذا كان عليّ بن أبي طالب قد أباح لعسكره أن ينهبوا ما في عسكر الخوارج، مع أنّه قتلهم جميعهم، كان هؤلاء أحقّ بأخذ أموالهم. وليس هؤلاء بمنزلة المتأولين، الذين نادى فيهم عليّ بن أبي طالب يوم الجمل: «أنّه لا يُقتَل مُدبر هم، ولايُجهز على جريحهم، ولا يُغنَم لهم مال، ولا يُسبى لهم دُريّة». لأنّ مثل أُولئك تأويل سائغ. وهؤلاء ليس لهم تأويل سائغ.

ومثل أُولئك إنّما يكونون خارجين عن طاعة الإمام. وهؤلاء خرجوا عن شريعة رسول‌الله ﷺ وسُنته. وهم شرّ من التتار من وجوه مُتعدّدة، لكن التتر أكثر وأقوى، فلذلك يظهر كثرة شرّهم.

وكثير من فساد التتر هو لمُخالطة هؤلاء لهم، كما كان في زمن قازان وهولاكو وغيرهما؛ فإنّهم أخذوا من أموال المسلمين أضعاف ما أخذوا من أموالهم، وأرضهم فيء لبيت المال.

وقد قال كثير من السلف: إنّ الرافضة لا حقّ لهم في الفيء؛ لأنّ الله إنّما جعل الفيء للمهاجرين والأنصار ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]. فمن لم يكن قلبه سليماً لهم، مستغفراً لهم، لم يكن من هؤلاء.

وقُطعت أشجارهم؛ لأنّ النبيّ ﷺ لمّا حاصر بني النضير قطع أصحابه نخلهم وحرّقوه. فقال اليهود: «هذا فساد وأنت يا محمّد تنهى عن الفساد». فأنزل الله: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[2].

---

١. الحشر (٥٩): ١٠.
٢. الحشر (٥٩): ٥.

وقد اتّفق العلماء على جواز قطع الشجر، وتخريب العامر، عند الحاجة إليه. فليس ذلك بأولى من قتل النفوس، وما أمكن غير ذلك؛ فإنّ القوم لم يحضروا كلّهم من الأماكن التي اختفوا فيها، وأيسوا من المقام في الجبل، إلّا حين قُطعت أشجارهم، وإلّا كانوا يختفون حيث لا يمكن العلم بهم، وما أمكن أن يسكن الجبل غيرهم، لأنّ التركمان إنّما قصدهم الرعي، وقد صار لهم مرعى، وسائر الفلّاحين لا يتركوا عمارة أرضهم ويجيئون إليه.

فالحمد للّه الذي يسّر هذا الفتح في دولة السلطان، بهمّته وعزمه وأمره، وإخلاء الجبل منهم، وإخراجهم من ديارهم، وهم يُشبهون ما ذكره الله في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُواْ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ * وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ * مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾[1].

وأيضاً فإنّه بهذا قد انكسر من أهل البدَع والنفاق بالشام ومصر والحجاز واليمن والعراق ما يرفع الله به درجات السلطان، ويُعزّبه أهل الإيمان.

تمام هذا الفتح وبركته تقدّم مراسم السلطان بحسم مادة أهل الفساد، وإقامة الشريعة في البلاد؛ فإنّ هؤلاء لهم من المشايخ والإخوان في قُرىً كثيرة مَن يقتدون بهم و ينتصرون لهم، وفي قلوبهم غلّ عظيم ومُعاداة شديدة، لا يؤمنون معها على ما يمكنهم، ولو أنّها مُباطنة العدو. فإذا أمسك رؤوسهم الذي يُضلّونهم، مثل بني العَود، زال بذلك من الشرّ ما لا يعلمه إلّا الله.

ويتقدّم إلى قراهم، وهي قرىً مُتعدّدة بأعمال دمشق و صفد وطرابلس وحماة وحمص وحلب بأن يُقام فيهم شرائع الإسلام والجمعة والجماعة وقِراءة القرآن، ويكون لها خطباء ومؤذّنون، كسائر قرى المسلمين، وتُقرأ فيهم الأحاديث النبوية، و تُنشر فيهم المعالم

١. الحشر (٥٩): ٢ ـ ٥.

الإسلاميّة، ويُعاقب مَن عُرف منهم بالبدعة والنفاق بما توجبه شرائع الإسلام، فإنّ هؤلاء من المحاربين وأمثالهم قالوا: نحن قوم جبال، وهؤلاء كانوا يُعلَموننا ويقولون لنا: أنتم إذا قاتلتم هؤلاء تكونون مجاهدين. ومَن قُتل منكم فهو شهيد.

وفي هؤلاء خلق كثير لا يُقرّون بصلاة ولا صيام ولا حج ولا عمرة، ولا يُحرّمون الميتة والدم ولحم الخنزير، ولا يؤمنون بالجنّة والنار، من جنس الإسماعيليّة والنُصيريّة والحاكميّة [1] والباطنيّة، وهم أكفر من اليهود والنصارى بإجماع المسلمين.

فتقدّم المراسيم السلطانية بإقامة شعائر الإسلام، من الجمعة والجماعة وقِراءة القرآن وتبليغ أحاديث النبيّ ﷺ في قرى هؤلاة من أعظم المصالح الإسلاميّة، وأبلغ الجهاد في سبيل الله، وذلك سبب لانقماع مَن يُباطن العدوَّ من هؤلاء، ودخولهم في طاعة الله ورسوله وطاعة أولي الأمر من المسلمين، وهو من الأسباب التي يُعين الله بها على قمع الأعداء؛ فإنّ ما فعلوه بالمسلمين في أرض «سيس» نوع من غدر هم الذي ينصر الله المسلمين عليهم، وفي ذلك حكمة عظيمة، نصرة للإسلام جسمية، قال ابن عبّاس: «ما نقض قوم العهد إلّا أُديل عليهم العدوّ».

ولولا هذا وأمثاله ما حصل للمسلمين من العزم بقوّة الإيمان، وللعدوّ من الخذلان، ما ينصر الله به المؤمنين، ويُذلّ به الكفّار والمنافقين.

والله هو المسؤول أن يُتمّ نعمته على سلطان الإسلام خاصّة وعلى عباده المؤمنين عامة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. والحمد للّه وحده. وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

١. نسبة إلى الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله. وابن تيميّة يعني بهم هنا الدروز.

مصادر التحقيق

تنبيهات

١ . ذكرنا أشهر الأقوال في سني ولادة المؤلّفين ووفياتهم غالباً، ومن لم نذكر مِن المؤلّفين سنة وفاته فهو مِن المعاصرين.

٢ . التواريخ المذكورة في هذا الكتاب كلّها بالهجري القمري إلّا ما صُرِّحَ بغيره.

٣ . حرف «م» قبل التاريخ يعني : المتوفّى ؛ وبعده يعني : السنة الميلادية.

٤ . هذه العلّامة « ← » تعني : اُنظر، فمثلاً ترى :

□ ***المسائل المقداديّة*** ← ***أجوبة مسائل الفاضل المقداد***

يعني للاطّلاع على مشخّصات ***المسائل المقداديّة*** اُنظر ***أجوبة مسائل الفاضل المقداد*** .

٥ . حين يعرف المصدر باسمٍ أشهر من عنوانه الأصلي، مثل ***الرعاية لحال البداية في علم الدراية***، وشهرته ***شرح البداية في علم الدراية*** فقد استعملنا العنوان المشهور وأحلنا إليه من العنوان الأصلي، هكذا :

□ ***الرعاية لحال البداية في علم الدراية*** ← ***شرح البداية في علم الدراية***

٦ . اعتمدنا في إثبات ما وجدناه مذكوراً في المصدر من خصوصيات الطبعة وتاريخ الطبع ومحلّه وغير ذلك، وأهملنا ما لم نجده فيه إلّا ما جعلناه بين المعقوفين.

٧ . ذكرنا في هذا الفهرس الاسمَ والعنوانَ الكاملَ للمصدر، بينما ذكرناه في الكتاب باسمه المختصر غالباً، مثل ***نهاية الإحكام في معرفة الأحكام***، وذكرناه بعنوان ***نهاية الإحكام*** فقط.

٨ . إذا لم نذكر في هذا الفهرس عدد مجلّدات المصدر فمعناه أنّه مجلّد واحد.

أ) المصادر العربيّة المطبوعة

القرآن الكريم

١ . ***الاتّجاهات الاجتماعيّة السياسيّة في جبل لبنان والمشرق العربي***. لوجيه كوثراني. بيروت، ١٩٨٧ م.

٢ . ***الاثنا عشرية في المواعظ العددية***. للسيّد محمّد بن الحسن بن القاسم الحسيني العاملي (م بعد ١٠٨٠). قم، مكتبة المصطفوي.

□ ***أجوبة المسائل الخمس عشرة*** ← ***الرسائل التسع***

٣ . ***أجوبة مسائل الفاضل المقداد***. للشهيد الأوّل شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦). إعداد عبّاس الحسّون. نشر في مجلّة ***تراثنا***، العددين ٧ ـ ٨، قم، ١٤٠٧.

٤ . ***أجوبة المسائل المهنّائية***. للعلّامة الحلّي جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهّر (٦٤٨ ـ ٧٢٦). إعداد محيي الدين المامقاني. الطبعة الأُولى، قم، ١٤٠١.

٥ . ***أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم***. لمحمّد بن أحمد المقدسي (ح ٣٨١)، ليدن، مطبعة بريل.

٦ . ***إحياء الداثر من القرن العاشر*** (من ***طبقات أعلام الشيعة***). للشيخ محمّد محسن آقا بزرگ الطهراني (١٢٩٣ ـ ١٣٨٩). تحقيق عليّ نقي المنزوي. الطبعة الأُولى، طهران، جامعة طهران، ١٣٦٦ ش.

٧ . ***أربع رسائل كلامية***. للشهيد الأوّل شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦) وعليّ بن يونس البياضي (م ٨٧٧). تحقيق مركز الأبحاث و الدراسات الإسلاميّة، الطبعة الأُولى، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٣٨٠ ش.

٨ . ***الأربعون حديثاً***. للشهيد الأوّل شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦) قم، مكتبة مدينة العلم [بالأُوفست عن طبعته الحجرية، طهران، ١٣١٨].

٩ . ***إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان***. للعلّامة الحلّي جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهّر (٦٤٨ ـ ٧٢٦). تحقيق فارس الحسّون. الطبعة الأُولى، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٠.

١٠ . ***إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان***، المطبوع مع ***غاية المراد***. للعلّامة الحلّي جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهّر (٦٤٨ ـ ٧٢٦). تحقيق رضا المختاري وآخرين في مركز الأبحاث والدراسات

الإسلاميّة، الطبعة الأُولى، ٤ مجلّدات، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٤ ـ ١٤٢١[1].

١١ . ***الأُصول الستّة عشر*** (من الأُصول الأوّليّة). لعدّة من الرواة القدماء. تحقيق ضياء الدين المحمودي، قم، دار الحديث، ١٣٨١/١٤٢٣ ش.

١٢ . ***الأعلام***. لخير الدين الزِركْلي (١٣١٠ ـ ١٣٩٦). الطبعة السادسة، ٨ مجلّدات، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.

١٣ . ***أعلام العرب في العلوم والفنون***. لعبد الصاحب عمران الدُجيْلي. الطبعة الثانية، ٣ مجلّدات، النجف الأشرف، مطبعة النعمان، ١٣٨٦/١٩٦٦ م.

١٤ . ***إعلام الورى بأعلام الهدى***. لأبي عليّ أمين الإسلام الفضل بن حسن الطبرسي (م ٥٤٨). طهران، المكتبة العلمية الإسلاميّة، ١٣٨٨.

١٥ . ***إعلام الورى بمَن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الكبرى***. لشمس الدين محمّد ابن طولون الصالحي (٩٥٣) تحقيق محمّد دهمان.

١٦ . ***أعيان العصر وأعوان النصر***. لخليل بن أيبك الصفدي (م ٧٦٤). تحقيق عليّ أبوزيد وآخرون. بيروت، دارالفكر، ١٤١٨ / ١٩٩٨ م.

١٧ . ***أعيان الشيعة***. للسيّد محسن بن عبدالكريم الأمين الحسيني العاملي الشقرائي (١٢٨٤ ـ ١٣٧١). إعداد السيّد حسن الأمين. الطبعة الخامسة، ١٠ مجلّدات + الفهرس، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٣ / ١٩٨٣م.

١٨ . ***الإكمال في رفع الارتيابعن المؤتلف المختلف في الأسماء والكنى والأنساب***. لعليّ بن هبة الله، ابن ماكولا، حيدرآباد.

١٩ . ***الألفية (الرسالة الألفية)***. للشهيد الأوّل شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦). إعداد عليّ الفاضل القائيني النجفي. الطبعة الأُولى، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٨.

٢٠. ***امتدادالعرب في صدرالإسلام***. لصالح أحمد العلي، بيروت، مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٣ / ١٩٨٣م.

٢١ . ***أمَلُ الآمل في علماء جَبَل عامِل***. للشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي (١٠٣٣ ـ ١١٠٤). إعداد السيّد أحمد الحسيني. الطبعة الثانية، مجلّدان، قم، دار الكتاب الإسلامي، ١٣٦٢ ش.

١. كلّما أرجعنا إلى هذه الطبعة ذكرنا بعده: «المطبوع مع غاية المراد».

(بالأُوفست عن طبعته الأُولى، بغداد، مكتبة الأندلس).

٢٢ . ***إنباء الغُمْر بأنباء العمر***. لأبي الفضل أحمد بن عليّ بن حَجَر العَسْقَلاني (٧٧٣ ـ ٨٥٢). إعداد السيّد عبدالله بن أحمد مُدَيحِج العلوي الحسيني الحضرمي. الطبعة الأُولى، ٩ مجلّدات، حيدر آباد الدكن، ١٣٨٧ ـ ١٣٩٦ / ١٩٦٧ ـ ١٩٧٦ م.

٢٣ . ***الأنوار الساطعة في المائة السابعة*** (من ***طبقات أعلام الشيعة***). للشيخ محمّد محسن آقا بزرگ الطهراني (١٢٩٣ ـ ١٣٨٩). تحقيق عليّ نقي المنزوي. الطبعة الأُولى، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٢ م.

□ ***أنيس المسافر*** ← ***كشكول البحراني***

٢٤ . ***إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد***. لفخر المحقّقين محمّد بن الحسن بن يوسف الحلّي (٦٨٢ ـ ٧٧١). إعداد عدّة من العلماء، الطبعة الثانية، ٤ مجلّدات، طهران وقم، بنياد فرهنگ اسلامى كوشان‌پور (مؤسّسة الثقافة الإسلاميّة لكوشان پور) وإسماعيليان، ١٣٦٣ ش (بالأُوفست عن طبعته الأُولى، ١٣٨٧ ـ ١٣٨٩).

٢٥ . ***إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون***. لإسماعيل باشا بن محمّد أمين الباباني البغدادي (م ١٣٣٩). مجلّدان، بيروت، دارالفكر، ١٤١٠ / ١٩٩٠ م.

«ب»

٢٦ . ***بحار الأنوار الجامعة لِدُرَرِ أخبار الأئمّة الأطهار***. للعلّامة محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي (١٠٣٧ ـ ١١١٠). إعداد عدّةٍ من العلماء. الطبعة الثالثة، ١١٠ مجلّدٍ (إلّا ٦ مجلّداتٍ، من المجلّد ٢٩ ـ ٣٤) + المدخل، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣ / ١٩٨٣ م. [بالأُوفست عن طبعة إيران].

٢٧ . ***البداية والنهاية***. لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٠١ ـ ٧٧٤). إعداد عليّ شيري. الطبعة الأُولى، ١٤ جزءاً في ٧ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨/١٩٨٨ م.

٢٨ . ***البلدان***. لأحمد بن واضح اليعقوبي (م بعد ٢٩٢) بيروت، ١٤٠٨ / ١٩٨٨ م.

□ ***بلوغ المراد إلى معرفة الأسناد*** ← ***طبقات الزيدية الكبرى***

٢٩ . ***بنو سيفاولاة طرابلس***. لجوزيف إليان. بيروت، ١٩٨٧ م.

٣٠ . ***بهجة الآمال في شرح زُبْدة المقال***. للمولى عليّ العلياري التبريزي (١٢٣٦ ـ ١٣٢٧). الطبعة الأُولى، ٧ مجلّدات، طهران، بنياد فرهنگ إسلامى كوشان پور (مؤسّسة الثقافة الإسلاميّة لكوشانپور)، ١٣٩٥ ـ ١٤٠٩.

٣١ . ***بهجة الراغبين في مؤلّفات الشيخ محمّدرضا شمس الدين***. (م ١٣٧٧). إعداد رضا محمّد حدرج. الطبعة الأُولى، بيروت، دارالمحجّة البيضاء، ١٤٢٤ / ٢٠٠٣ م.

٣٢ . ***البيان***. للشهيد الأوّل شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦). إعداد محمّد الحسّون. الطبعة الأُولى، قم، ١٤١٢.

«ت»

٣٣ . ***التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية***. للشيخ جعفر المهاجر، بيروت، دار الملاك، ١٤١٣ / ١٩٩٢ م.

٣٤ . ***تاج العروس من جواهر القاموس***. للسيّد محمّد بن محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي (١١٤٥ ـ ١٢٠٥). تحقيق عدّةٍ من الفضلاء. [الطبعة الأُولى]، صدر منه حتّى الآن ٢٥ جزءاً، [بيروت]، دار الهداية [بالأُوفست عن طبعة الكويت، ١٣٨٩ ـ ١٤٠٩/١٩٦٥ ـ ١٩٨٩م].

٣٥ . ***تاريخ ابن قاضي شهبة***. لأبي بكر بن أحمد بن محمّد بن عمر الدمشقي المعروف بابن قاضي شهبة (٧٧٩ ـ ٨٥١). تحقيق عدنان درويش. [الطبعة الأُولى]، صدر منه حتّى الآن مجلّد (الجزء الثالث من المخطوط، أعوام ٧٨١ ـ ٨٠٠)، دمشق، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، ١٩٧٧ م.

٣٦ . ***تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام***. لمحمّد بن أحمد الذهبي (م ٧٤٨)، بيروت، دارالكتاب العربي، ١٤٢٠ / ١٩٩٩ م.

٣٧ . ***تاريخ بيروت***. لصالح بن يحيى (م ٨٤٠)، بيروت، ١٩٩٠ م.

٣٨ . ***تاريخ بيروت***. لعصام بشارو. بيروت، ١٩٨٧ م.

٣٩ . ***تاريخ لبنان الحديث***. لكمال صليبا. بيروت، ١٩٧٩ م.

٤٠ . ***تاريخ الزَرارية والبلاد العاملية ماضياً وحاضراً وتطلعات***. لخليل شرف الدين. بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٥ م.

٤١ . *تاريخ العراق بين احتلالين*. لعبّاس العزاوي (م ١٣٩١). ٨ أجزاء في ٥ مجلّدات، قم، الرضي، ١٤١٠ [بالأُوفست عن طبعته الأُولى في بغداد، ١٣٥٤ ـ ١٣٧٦ / ١٩٣٦ ـ ١٩٥٦م].

٤٢ . *تاريخ لبنان أزمة نصّ ومصطلح وهويّة*. لنايل أبوشقراء. بيروت، ٢٠٠٤ م.

٤٣ . *التبيان في تفسير القرآن*. لأبي جعفر شيخ الطائفة محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠). إعداد أحمد حبيب قصير العاملي. ١٠ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي. [بالأُوفست عن طبعة النجف الأشرف].

٤٤ . *تحرير الأحكام الشرعيّة على مذهب الإمامية*. للعلّامة الحلّي جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهَّر (٦٤٨ ـ ٧٢٦). الطبعة الثانية. جزءان في مجلّدٍ واحدٍ، قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام للطباعة والنشر [بالأُوفست عن طبعته الحجرية].

٤٥ . *تحفة العالم في شرح خطبة المعالم*. للسيّد جعفر ابن السيّد محمّد آل بحر العلوم (١٢٨١ ـ ١٣٧٧). الطبعة الثانية، جزءان في مجلّدٍ واحدٍ، طهران، مكتبة الصادق، ١٤٠١ / ١٣٦٠ ش.

□ *تذكرة المتبحّرين في العلماء المتأخّرين* ← *أمل الآمل في علماء جبل عامل*

٤٦ . *تراثنا*. مجلّة فصلية تصدرها مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث في قم. صدر منها حتّى الآن ٧٠ عدداً.

٤٧ . *التعريف بالمصطلح الشريف*. لأحمد بن يحيى (م ٧٤٢) بتحقيق محمّد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٨ / ١٩٨٨ م.

٤٨ . *تعليقة أمل الآمل*. للميرزا عبدالله الأفندي الإصفهاني (١٠٦٧ ـ حوالي ١١٣٤). إعداد السيّد أحمد الحسيني. الطبعة الأُولى، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤١٠.

٤٩ . *تكملة أمل الآمل*. لأبي محمّد السيّد حسن الصدر الموسوي العاملي الكاظمي (١٢٧٢ ـ ١٣٥٤). إعداد السيّد أحمد الحسيني، الطبعة الأُولى، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤٠٦.

٥٠ . *التنقيح الرائع لمختصر الشرائع*. لجمال الدين المقداد بن عبدالله السيوري الحلّي المعروف بالفاضل المقداد (م٨٢٦). إعداد السيّد عبداللطيف الكوهكمري. الطبعة الأُولى، ٤ مجلّدات، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤٠٤.

٥١ . *تنقيح المقال في علم الرجال*. للشيخ عبدالله بن محمّد حسن المامقاني (١٢٩٠ ـ ١٣٥١). الطبعة

الثانية، ٣ مجلّدات، [قم]. [بالأُوفست عن طبعة النجف الأشرف، المطبعة المرتضوية، ١٣٥٢].

٥٢ . ***تهذيب الأحكام***. لأبي جعفر شيخ الطائفة محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠). إعداد السيّد حسن الموسوي الخرسان. الطبعة الثالثة، ١٠ مجلّدات، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٦٤ ش.

٥٣ . ***تهذيب الوصول الى علم الأُصول***. للعلّامة الحلّي جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهّر (٦٤٨ ـ ٧٢٦). تحقيق سيّد محمّد حسين الرضوي الكشميري. الطبعة الأُولى، قم، ١٤٢١.

«ث»

٥٤ . ***الثغر البسّام في ذكر مَن ولي قضاء الشام***. لشمس الدين محمّد ابن طولون الصالحى (م ٩٥٣) تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق، ١٩٥٦ م.

٥٥ . مجلّة ***الثقافة الإسلاميّة***. مجلّة تصدرها المستشارية الثقافية للجمهورية إلّاسلامية الإيرانية بدمشق، كلّ شهرين. صدر منها حتّى الآن حوالي ٩٠ عدداً.

٥٦ . ***الثقات العُيون في سادس القرون*** (من ***طبقات أعلام الشيعة***). للشيخ محمّد محسن آقا بزرگ الطهراني (١٢٩٣ ـ ١٣٨٩). تحقيق عليّ نقي المنزوي. الطبعة الأُولى، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٢/١٩٧٢م.

«ج»

٥٧ . ***جامع الرواة و إزاحة الاشتباهات عن الطرق والأسناد***. لمحمّد بن عليّ الأردبيلي (م ١١٠١). مجلّدان، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٣/١٩٨٣م.

٥٨ . ***الجامع في الرجال***. للشيخ موسى الزنجاني (م ١٣٩٩). قسم المخطوط منه توجد مصوّرته في مؤسّسة التراث الشيعة.

٥٩ . ***جامع المقاصد في شرح القواعد***. للمحقّق الثاني عليّ بن الحسين بن عبد العالي الكركي (٨٦٨ ـ ٩٤٠). تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. الطبعة الأُولى، ١٣ مجلّداً، قم، ١٤٠٨ ـ ١٤١١.

□ ***الجُمَل والعقود*** ← ***الرسائل العشر***

□ *جُنَّة الأمان الواقية وجنّة الإيمان الباقية* ← *المصباح*

٦٠ . *جواهر البحرين في علماء البحرين*. للشيخ سليمان بن عبدالله الماحوزي البحراني (١٠٧٥ ـ ١١٢١). المطبوع مع *فهرست آل بابويه* له أيضاً. إعداد السيّد أحمد الحسيني [الطبعة الأُولى]، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤٠٤.

٦١ . *جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام*. للشيخ محمّد حسن بن باقر النجفي (م ١٢٦٦). إعداد عدّةٍ من الفضلاء. الطبعة السادسة، ٤٣ مجلّداً، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٩٨.

٦٢ . *جبل عامل في التاريخ*. للمرحوم الشيخ تقي الفقيه (م ١٤١٩ ق). الطبعة الثانية، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٦ / ١٩٨٦ ق.

٦٣ . *جبل عامل بين الشهيدين*. للشيخ جعفر المهاجر. الطبعة الأُولى، دمشق، المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، ٢٠٠٥ م.

٦٤. *جبل عامل تحت الاحتلال الصليبي*. للشيخ جعفر المهاجر، بيروت، دار الحقّ، ١٤٢١ / ٢٠٠١ م.

«ح»

٦٥ . *الحقائق الراهنة في المائة الثامنة* (من *طبقات أعلام الشيعة*). للشيخ محمّد محسن آقا بزرگ الطهراني (١٢٩٣ ـ ١٣٨٩). تحقيق عليّ نقي المنزوي. الطبعة الأُولى، بيروت، دارالكتاب العربي، ١٩٧٥ م.

٦٦ . *حياة الإمام الشهيد الأوّل*. للشيخ محمّد رضا شمس الدين (م ١٣٧٧). [الطبعة الأُولى]، النجف الأشرف، مطبعة الغريّ الحديثة، ١٣٧٦/١٩٥٧م.

٦٧ . *حاشية الإرشاد* ـ المطبوع مع *غاية المراد* ـ. للشهيد الثاني زين الدين بن عليّ بن أحمد العاملي (٩١١ ـ ٩٦٥). تحقيق رضا المختاري و آخرين في مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة. الطبعة الأُولى، ٤ مجلّدات، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٤ ـ ١٤٢١.

٦٨ . *حياة المحقّق الكركي وآثاره*. للمحقّق الثاني عليّ بن الحسين بن عبدالعالي الكركي (٨٦٨ ـ ٩٤٠). تأليف وإعداد محمّد الحسّون. الطبعة الأُولى، ١٢ مجلّداً. طهران، الاحتجاج، ١٤٢٣ / ١٣٨١ ش.

«خ»

٦٩ . ***الخزائن***. للمولى أحمد بن محمّد مهدي النراقي (١١٨٥ ـ ١٢٤٥). تحقيق حسن حسن زاده الآملي وعليّ أكبر الغفاري. [الطبعة الأُولى]، طهران، ١٣٨٠.

٧٠ . ***الخصال***. لأبي جعفر محمّد بن عليّ الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (م ٣٨١). ـ المطبوع مع ترجمته الفارسية ـ طهران، المكتبة العلمية الإسلاميّة.

٧١ . ***خطط جبل عامل***. للسيّد محسن بن عبدالكريم الأمين الحسيني العاملي الشقرائي (١٢٨٤ ـ ١٣٧١). بيروت، ١٣٨٠ / ١٩٦١ م.

٧٢ . ***خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر***. لمحمّد بن فضل الله المحبّي (م ١١١١)، بيروت، دار صادر، لات.

٧٣ . ***خلاصة الأقوال في معرفة الرجال***. للعلّامة الحلّي جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهَّر (٦٤٨ ـ ٧٢٦). إعداد السيّد محمّد صادق بحر العلوم. قم، الرضي، ١٤٠٢ [بالأُوفست عن طبعته الثانية، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٨١/١٩٦١].

٧٤ . ***خلاصة الإيجاز في المتعة***. المنسوب إلى المحقّق الثاني عليّ بن الحسين بن عبدالعالي الكركي (٨٦٨ ـ ٩٤٠). تحقيق عليّ أكبر زماني نژاد. الطبعة الأُولى، قم، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣.

□ ***الخَلَل في الصلاة*** ← ***رسائل المحقّق الكركي***

«د»

٧٥ . ***الدرّة الباهرة من الأصداف الطاهرة***. المنسوب إلى الشهيد الأوّل شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي (م٧٨٦). إعداد محمّد هادي الأميني. الطبعة الأُولى، النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، ١٣٨٨/١٩٦٨م.

٧٦ . ***الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة***. للسيّد عليّ خان الحسيني الحسني المدني الشيرازي (١٠٥٢ ـ ١١٢٠). تقديم السيّد محمّد صادق بحرالعلوم. قم، مكتبة بصيرتي، ١٣٩٧ [بالأُوفست عن طبعته السابقة].

٧٧ . ***الدُرَرُ الكامنة في أعيان المائة الثامنة***. لأبي الفضل أحمد بن عليّ بن حَجَر العسقلاني (٧٧٣ ـ ٨٥٢). الطبعة الأُولى، ٤ مجلّدات، حيدر آباد الدكن، ١٣٤٨ ـ ١٣٥٠.

٧٨ . ***الدرُّ المنثور من المأثور وغير المأثور***. لعليّ بن محمّد بن الحسن بن الشهيد الثاني العاملي (١٠١٣/١٠١٤ ـ ١١٠٣). إعداد السيّد أحمد الحسيني. الطبعة الأُولى، مجلّدان، قم، ١٣٩٨.

٧٩ . ***الدروس الشرعيّة في فقه الإمامية***. للشهيد الأوّل شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦). قم، انتشارات صادق، ١٣٩٨ [بالأُوفست عن طبعته الحجرية].

● ***الدروس الشرعيّة في فقه الإمامية***. للشهيد الأوّل شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦). إعداد ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي. الطبعة الأُولى، ٣ مجلّدات، قم، ١٤١٢ ـ ١٤١٤[1].

٨٠ . ***دليل المخطوطات***. للسيّد أحمد الحسيني. [الطبعة الأُولى]، صدر منه مجلّد واحد، قم، المطبعة العلمية، ١٣٩٧.

«ذ»

٨١ . مجلّة ***الذخائر***، مجلّة فصلية محكمة تعنى بالآثار والتراث والمخطوطات والوثائق تصدر في بيروت، صدر منها ١٢ عدداً إلى سنة ١٤٢٣.

٨٢ . ***ذرائع البيان في عوارض اللسان***. للشيخ محمّد رضا الطبسي النجفي (م ١٤٠٥). [الطبعة الأُولى]، جزءان في مجلّد واحد، [العراق]، حوالي ١٣٧٧.

٨٣ . ***الذريعة إلى تصانيف الشيعة***. للشيخ محمّد محسن آقا بزرگ الطهراني (١٢٩٣ ـ ١٣٨٩). الطبعة الأُولى، ٢٥ جزءاً في ٢٨ مجلّداً (الجزء ٩ في ٤ مجلّدات). النجف الأشرف وطهران، ١٣٥٥ ـ ١٣٩٨.

٨٤ . ***ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة***. للشهيد الأوّل شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦). قم، بصيرتي، حوالي ١٤٠٠ [بالأُوفست عن طبعته الحجرية، حوالي ١٢٧١].

● ***ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة***. للشهيد الأوّل شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦). إعداد ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. الطبعة الأُولى، ٤ مجلّدات، قم، ١٤١٩[2].

١. إذا أرجعنا إلى هذه الطبعة، ذكرنا بعده: «ط. الجديدة».
٢. إذا أرجعنا إلى هذه الطبعة، ذكرنا بعده: «ط. الجديدة».

٨٥ . *ذيل مرآة الزمان*. لموسى بن محمّد اليونيني (م ٧٢٦)، حيدرآباد.

٨٦ . *الذيل على الروضتين*. لعبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة المقدسي (م ٦٦٥)، بيروت، دار الجيل.

«ر»

□ *رجال السيّد بحرالعلوم* ← *الفوائد الرجالية*

□ *رجال العلّامة* ← *خلاصة الأقوال في معرفة الرجال*

٨٧ . *رجال النجاشي* (فهرس أسماء مصنّفي الشيعة). لأبي العبّاس أحمد بن عليّ بن أحمد النجاشي (٣٧٢ ـ ٤٥٠). تحقيق آية الله السيّد موسى الشبيري الزنجاني. الطبعة الأُولى، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤٠٧.

□ *الرسالة الألفية* ← *الألفية*

□ *الرسالة النفلية* ← *النفلية*

٨٨ . *الرسائل التسع*. للمحقّق الحلّي نجم الدين جعفر بن حسن بن يحيى بن سعيد الهذلي (٦٠٢ ـ ٦٧٦). تحقيق رضا الأُستادي. الطبعة الأُولى، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٣٧١/١٤١٣ هـ ش.

٨٩ . *الرسائل العَشْر*. لأبي جعفر شيخ الطائفة محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠). إعداد عدّة من العلماء. [الطبعة الأُولى] قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، [حوالي ١٤٠٣].

٩٠ . *الرسائل الرجالية*. لأبي المعالي محمّد بن محمّد إبراهيم الكلباسي (١٢٤٧ ـ ١٣١٥). إعداد محمّد حسين الدرايتي. الطبعة الأُولى، مجلّدان، قم، دار الحديث، ١٣٨٠/١٤٢٢ ش.

٩١ . *رسائل الشهيد الأوّل*. للشهيد الأوّل شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي (م٧٨٦). تحقيق مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة. الطبعة الأُولى، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٣٨١ / ١٤٢٣ ش.

٩٢ . *رسائل الشهيد الثاني*. للشهيد الثاني زين الدين بن عليّ بن أحمد العاملي (٩١١ ـ ٩٦٥). تحقيق رضا المختاري وآخرين في مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة. الطبعة الأُولى، مجلّدان، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٢١ ـ ١٤٢٢/ ١٣٧٩ ـ ١٣٨٠ش.

٩٣ . *رسائل المحقّق الكركي*. للمحقّق الثاني عليّ بن الحسين بن عبد العالي الكركي (٨٦٨ ـ ٩٤٠). إعداد محمّد الحسّون. الطبعة الأُولى، ٣ مجلّدات، قم، مكتبة آية الله المرعشي ومؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤٠٩ ـ ١٤١٢.

□ *الرعاية لحال البداية في علم الدراية* ← *شرح البداية في علم الدراية*

٩٤ . *روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات*. للسيّد محمّد باقر الخوانساري الإصفهاني (١٢٢٦ ـ ١٣١٣). إعداد أسدالله إسماعيليان. ٨ مجلّدات، قم، إسماعيليان، ١٣٩٠.

٩٥ . *الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة*. للشهيد الثاني زين الدين بن عليّ بن أحمد العاملي (٩١١ ـ ٩٦٥). إعداد السيّد محمّد كلانتر، تقديم محمّد مهدي الآصفي. ١٠ مجلّدات، بيروت، دار العالم الإسلامي. [بالأُوفست عن طبعة النجف الأشرف، جامعة النجف الدينية].

● *الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة*. للشهيد الثاني زين الدين بن عليّ بن أحمد العاملي (٩١١ ـ ٩٦٥). إعداد دار التقريب بين المذاهب الإسلاميّة، تقديم الشيخ عبدالله السبيتي. الطبعة الخامسة، مجلّدان، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١١ [بالأُوفست عن طبعة مصر][1].

٩٦ . *روضة المتّقين في شرح أخبار الأئمّة المعصومين*. للعلّامة المولى محمّد تقي المجلسي (١٠٠٣ ـ ١٠٧٠). إعداد السيّد حسين الموسوي الكرماني والشيخ عليّ پناه الاشتهاردي. [الطبعة الأُولى]، ١٤ مجلّداً، [طهران]، بنياد فرهنگ إسلامى كوشان پور (مؤسّسة الثقافة الإسلاميّة لكوشان پور)، ١٣٩٣ ـ ١٣٩٩.

٩٧ . *الروضة النضرة في علماء المائة الحادية عشرة* (من *طبقات أعلام الشيعة*). للشيخ محمّد محسن آقا بزرگ الطهراني (١٢٩٣ ـ ١٣٨٩). تحقيق عليّ نقي المنزوي. الطبعة الأُولى، بيروت، مؤسّسة فقه الشيعة، ١٤١١/١٩٩٠ م.

٩٨ . *روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان*. للشهيد الثاني زين الدين بن عليّ بن أحمد العاملي (٩١١ ـ ٩٦٥). قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام للطباعة والنشر. [بالأُوفست عن طبعته الحجرية، طهران، ١٣٠٧].

● *روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان*. للشهيد الثاني زين الدين بن عليّ بن أحمد العاملي

---

١. إذا أرجعنا إلى هذه الطبعة لكتاب الروضة البهيّة، أضفنا بعد ذكر اسمه ورقمي الجزء والصفحة: «طبع مصر»؛ تمييزاً بينها وبين طبعة جامعة النجف الدينية في النجف الأشرف.

(٩١١ ـ ٩٦٥). تحقيق مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة. الطبعة الأُولى، مـجلّدان، قـم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٢٢.

٩٩. *رياض العلماء وحياض الفضلاء*. للميرزا عبدالله الأفندي الإصفهاني (١٠٦٧ـحوالي ١١٣٤). إعداد السيّد أحمد الحسيني. الطبعة الأُولى، ٧ مجلّدات، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤٠١ ـ ١٤١٥.

١٠٠. *رياض المسائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل*. للسيّد عليّ بن محمّد عليّ الطباطبائي (١١٦١ ـ ١٢٣١). إعداد مؤسّسة النشر الإسلامي، تقديم محمّد مهدي الآصفي. الطـبعة الأُولى، ١٤ مجلّداً، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٢ ـ ١٤٢٢.

«س»

١٠١. *ستّة فقهاء أبطال*. للشيخ جعفر المهاجر. الطبعة الأُولى، بيروت، المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، ١٤١٥/١٩٩٤ م.

١٠٢. *السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي*. لمحمّد بن منصور بن أحمد بن إدريس العجلي الحلّي (٥٤٣ ـ ٥٩٨). إعداد ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي، الطبعة الأُولى، ٣ مجلّدات، قم، ١٤١٠ ـ ١٤١١.

١٠٣. *سفينة البحار* (*سفينة بحار الأنوار ومدينة الحكم والآثار*). للشيخ عبّاس بن محمّد رضا القمّي (١٢٩٤ ـ ١٣٥٩). مجلّدان، طهران، مكتبة سنائي.

١٠٤. *السلوك لمعرفة دول الملوك*. لتقي الدين أحمد بن على المـقريزي (م ٨٤٥) إعـداد السـيّد عبدالفتاح عاشور، الطبعة الأُولى، ٨ مجلّدات، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨ / ١٩٩٧ م.

«ش»

١٠٥. *شَذَراتُ الذَهَب في أخبار من ذَهَب*. لأبي الفلاح عبدالحيّ بن أحمد بن العماد الحنبلي (١٠٣٢ ـ ١٠٨٩). ٨ أجزاء في ٤ مجلّدات، بيروت، دارالفكر، ١٤٠٩/١٩٨٨م.

١٠٦. *شرائع الإسلام في معرفة الحلال والحـرام*. للمحقّق الحلّي نجم الدين جعفر بن الحسن بـن يحيى بن سعيد الهذلي (٦٠٢ ـ ٦٧٦). ٤ مجلّدات، بيروت، ١٤٠٩ / ١٩٨٨ م.

□ *شرح الألفية* ← *رسائل المحقّق الكركي*

١٠٧. *شرح البداية في علم الدراية*. للشهيد الثاني زين الدين بن عليّ بن أحمد العاملي (٩١١ـ٩٦٥).

تحقيق مركز الأبحاث والدراسات إلّاسلامية. الطبعة الأُولى، قم، مكتبة إعلام الإسلامي، ١٣٨١/١٤٢٣ ش.

١٠٨ . *الشريعة إلى استدراك الذريعة*. للسيّد محمّد الطباطبائي البهبهاني. الطبعة الأُولى، مجلّدان، طهران، مكتبة ومتحف ومركز وثائق مجلس الشورى الإسلامي، ١٣٨٣ ـ ١٣٨٥ ش.

١٠٩ . *شعراء الحلّة (البابليات)*. لعلي الخاقاني (م ١٣٩٩). [الطبعة الأُولى]، ٥ أجزاء في ٣ مجلّدات، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٧٠ ـ ١٣٧٢/١٩٥١ ـ ١٩٥٢ م.

١١٠ . *شعراء الغريّ أو النجفيات*. لعليّ الخاقاني (م ١٣٩٩) الطبعة الثانية، ١٢ مجلّداً، قم، مكتبة آية‌الله المرعشي ١٤٠٨.

١١١ . *الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية*. لطاشْكُبْري‌زاده أبي الخير أحمد بن مصطفى ابن خليل (٩٠١ ـ ٩٦٨). بيروت، دارالكتاب العربي، ١٣٩٥/١٩٧٥ م.

١١٢ . *شهداء الفضيلة*. للعلّامة الشيخ عبدالحسين أحمد الأميني (١٣٢٠ ـ ١٣٩٠). قم، دار الشهاب [بالأُوفست عن طبعته السابقة].

١١٣ . *الشهيد الأوّل: محمّد بن مكّي*. للسيّد حسن ابن السيّد محسن الأمين العاملي (م ١٤٢٣). الطبعة الأُولى، بيروت، الغدير، ١٤١٨/١٩٩٨م.

١١٤ . *الشهيد الأوّل محمّد بن مكّي العاملى في المصادر العربية*. (ح ٧٢٤ ـ ٧٨٦)، إعداد مؤسّسة تراث الشيعة، الطبعة الأُولى، قم مركز العلوم الثقافة الإسلاميّة، ١٤٣٠ / ١٣٨٨ ش.

«ص»

١١٥ . *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*. لأبي العبّاس أحمد بن عليّ القلقشندي (٧٥٧ ـ ٨٢١). إعداد محمّد حسين شمس الدين. الطبعة الأُولى، ١٤ مجلّداً + الفهرس، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٤٠٧ ـ ١٤٠٩/١٩٨٧ ـ ١٩٨٩م.

١١٦ . *الصلة بين التصوّف والتشيّع*. للدكتور كامل مصطفى الشيبي. الطبعة الثالثة، مجلّدان، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٢ م.

«ض»

١١٧ . *الضياء اللامع في القرن التاسع* (من *طبقات أعلام الشيعة*). للشيخ محمّد محسن آقا بزرگ

الطهراني (١٢٩٣ ـ ١٣٨٩). تحقيق عليّ نقي المنزوي. [الطبعة الأُولى]، طهران، جامعة طهران، ١٣٦٢ هـ ش.

«ط»

١١٨ . ***طبقات الزيدية الكبرى*** (= ***بلوغ المراد إلى معرفة الأسناد***). للسيّد إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيّد بالله (م ١١٥٢). تحقيق عبدالسلام بن عبّاس الوجيه. الطبعة الأُولى. ٣ مجلّداتٍ. المملكة الأُردنية الهاشمية، عمّان، مؤسَّسة الإمام زيد بن عليّ الثقافية، ١٤٢١ / ٢٠٠١ م.

١١٩ . ***طبقات الشافعية***. لأبي بكر بن أحمد بن محمّد بن عُمَر الدِمَشقي المعروف بابن قاضي شُهْبَة (٧٧٩ ـ ٨٥١). تحقيق الدكتور الحافظ عبدالعليم خان. الطبعة الأُولى، ٤ أجزاء في مجلّدين، حيدرآباد الدكن، ١٣٩٨ ـ ١٤٠٠/١٩٧٨ ـ ١٩٨٠ م.

١٢٠ . ***طبقات الفقهاء***. تحت إشراف آية الله الشيخ جعفر السبحاني. ١٥ مجلّداً + مجلّدان، الطبعة الأُولى، قم، مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤١٨ ـ ١٤٢٤.

□ ***طبقات القرّاء*** ← ***غاية النهاية في طبقات القرّاء***

١٢١ . ***طبقات المفسّرين***. للحافظ شمس الدين محمّد بن عليّ بن أحمد الداودي (م ٩٤٥). تحقيق عليّ محمّد عمر. الطبعة الأُولى، مجلّدان، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٣٩٢/ ١٩٧٢م.

١٢٢ . ***طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال***. للسيّد عليّ أصغر ابن السيّد محمّد شفيع الجابلقي البروجردي (م ١٣١٣). إعداد السيّد مهدي الرجائي، الطبعة الأُولى، مجلّدان، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤١٠.

١٢٣ . ***الطليعة***. للشيخ محمّد السماوي (١٢٩٢ ـ ١٣٧٠)، مجلّدان، الطبعة الأُولى، بيروت، دار المؤرّخ العربي، ١٤٢٢ / ٢٠٠١.

«ع»

١٢٤ . ***عجائب المقدور في أخبار التيمور***. لأحمد بن محمّد ابن عربشاه الدمشقي، مصر، ١٣٠٥ / ١٩٨١ م.

١٢٥ . مجلّة ***العرفان***. مجلّة شهرية تصدر في لبنان، تأسّست سنة ١٣٢٧/١٩٠٩م. صدر منها أكثر من ثمانين مجلّداً.

١٢٦ . *العقود الدرّيّة من مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيميّة*. لمحمّد بن أحمد بن عبدالهادي (م ٧٤٤). القاهرة، مطبعة حجازي، ١٣٥٦ / ١٩٣٨ م.

١٢٧ . *علوم الحديث* . لأبي عمرو عثمان بن عبدالرحمن الشَهْرَزوري المعروف بابن الصلاح (٥٧٧ ـ ٦٤٣). تحقيق نور الدين عِتِر. الطبعة الثالثة، دمشق، دارالفكر ، ١٤٠٦/ ١٩٨٦م.

«غ»

١٢٨ . *غاية المراد في شرح نكت الإرشاد*. للشهيد الاوّل شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦). تحقيق رضا المختاري وآخرين في مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة. الطبعة الأُولى، ٤ مجلّدات قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٤ ـ ١٤٢١.

١٢٩ . *غاية النهاية في طبقات القرّاء*. لشمس الدين أبي الخير محمّد بن محمّد المعروف بابن الجزري (٧٥١ ـ ٨٣٣). إعداد ج. برجستراسر. الطبعة الأُولى، مجلّدان، مصر، مكتبة الخانجي، ١٣٥١/١٩٣٢ ـ ١٣٥٢/١٩٣٣م.

١٣٠ . *الغدير في الكتاب والسنّة والأدب*. للعلّامة الشيخ عبدالحسين أحمد الأميني (١٣٢٠ ـ ١٣٩٠). الطبعة الثالثة، ١١ مجلّداً، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧/١٩٦٧م.

«ف»

١٣١ . *الفكر الشيعي والنزعات الصوفيّة حتّى مطلع القرن الثاني عشر الهجري*. لكامل مصطفى الشيبي، بغداد، ١٣٨٦ / ١٩٦٦ م.

١٣٢ . *الفوائد الرجالية*. للعلّامة السيّد محمّد مهدي بحرالعلوم الطباطبائي (١١٥٥ ـ ١٢١٢). تحقيق محمّد صادق بحرالعلوم وحسين بحرالعلوم. ٤ مجلّدات، طهران، مكتبة الصادق، ١٣٦٣ هـ ش [بالأُوفست عن طبعة النجف الأشرف].

١٣٣ . *الفوائد المليّة لشرح الرسالة النفلية*. للشهيد الثاني زين الدين بن عليّ بن أحمد العاملي (٩١١ ـ ٩٦٥). باهتمام الشيخ أحمد الشيرازي. [طهران]، ١٣١٤.

● *الفوائد المليّة لشرح الرسالة النفلية*. للشهيد الثاني زين الدين بن علىّ بن أحمد العاملي (٩١١ ـ ٩٦٥). تحقيق محمّد حسين المولوي في مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة.

الطبعة الأُولى، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٣٧٨/١٤٢٠ ش [1].

١٣٤ . ***الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط: الفقه واصوله***. لمؤسّسة آل البيت للفكر الإسلامي، ١٢ مجلّداً، عمّان، المؤسّسة، ١٤٢٠ ـ ١٤٢٥ / ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٤.

١٣٥ . ***فهرست مخطوطات مكتبة الإمام الحكيم العامّة***. لمحمّد مهدي نحف. الطبعة الأُولى، النجف الأشرف، مكتبة الإمام الحكيم العامّة، ١٣٨٩/١٩٦٩م.

«ق»

□ ***قاطعة اللجاج في تحقيق حلّ الخراج*** ← ***رسائل المحقّق الكركي***

١٣٦ . ***قُرى ومُدُن لبنان***. (ضمن ***الموسوعة اللبنانية***). لطوني مفرج، نوبيليس للنشر، ٢٠٠٨.

١٣٧. ***قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام***. للعلّامة الحلّي جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهَّر (٦٤٨ـ٧٢٦). جزءان في مجلّد واحد، قم، الرضي، ١٤٠٤ [بالأُوفست عن طبعته الحجرية].

١٣٨ . ***القواعد والفوائد***. للشهيد الأوّل شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦). تحقيق عبدالهادي الحكيم. الطبعة الثانية، مجلّدان، قم، مكتبة المفيد [بالأُوفست عن طبعة النجف الأشرف، مطبعة الآداب، ١٩٨٠ م].

١٣٩ . ***قيمة الزمن عند العلماء***. لعبد الفتّاح أبو غُدّة (١٣٣٦ـ١٤١٧)، الطبعة العاشرة، بيروت، مكتب المطبوعات الإسلاميّة، ١٤٢٢ / ٢٠٠٢ م.

«ك»

١٤٠ . ***الكافي***. لأبي جعفر ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (م ٣٢٩). تحقيق عليّ أكبر الغفاري. الطبعة الرابعة، ٨ مجلّدات، بيروت، دار صعب ودار التعارف، ١٤٠١ [بالأُوفست عن طبعة دار الكتب الإسلاميّة بطهران].

● ***الكافي***. لأبي جعفر ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (م ٣٢٩). تحقيق قسم إحياء التراث في مركز بحوث دار الحديث. الطبعة الأُولى، ١٥ مجلّداً، قم، دار الحديث للطباعة والنشر، ١٤٣٠ [2].

١. إذا أرجعنا إلى هذه الطبعة ذكرنا بعده: «ط. الجديدة».

٢. إذا أرجعنا إلى هذه الطبعة ذكرنا بعده: «ط. الجديدة».

١٤١ . ***الكافي في الفقه*** [1]. لأبي الصلاح الحلبي تقي الدين بن نجم (٣٧٤ـ٤٤٧). تحقيق رضا الأُستادي. [الطبعة الأُولى]. إصفهان، مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ١٤٠٣.

١٤٢ . ***كشف الأستار عن وجه الكتب والأسفار***. للسيّد أحمد بن محمّد رضا الحسيني الخوانساري الصفائي (١٢٩١ ـ ١٣٥٩). إعداد ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. الطبعة الأُولى، صدر منه حتّى الآن ٦ مجلّدات، قم، ١٤٠٩ ـ ١٤١٩.

١٤٣ . ***كشف الحُجُب والأستار عن أحوال الكتب والأسفار***. للسيّد إعجاز حسين ابن السيّد محمّد قلي النيسابوري الكنتوري (١٢٤٠ ـ ١٢٨٦). إعداد محمّد هدايت حسين. الطبعة الثانية، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤٠٩ [بالأُوفست عن طبعة كلكته، ١٣٣٠].

١٤٤ . ***كشف الرموز***. لزين الدين أبي عليّ الحسن بن أبي طالب بن أبي المجد اليوسفي المعروف بالفاضل الآبي (م بعد ٦٧٢). إعداد الشيخ عليّ پناه الإشتهاردي وآقا حسين اليزدي. الطبعة الأُولى، مجلّدان، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤٠٨ ـ ١٤١٠.

١٤٥ . ***كشف القناع عن وجوه حجّية الإجماع***. للشيخ أسد الله بن إسماعيل التستري الكاظمي (م١٢٣٧). قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام للطباعة والنشر [بالأُوفست عن طبعته الحجرية، ١٣١٧].

١٤٦ . ***كشكول البحراني***. للشيخ يوسف بن أحمد البحراني (١١٠٧ ـ ١١٨٦). الطبعة الثانية، ٣ مجلّدات، [قم]، مؤسّسة الوفاء ودار النعمان، ١٤٠٦/١٩٨٥ م [بالأُوفست عن طبعة النجف الأشرف، مطبعة النعمان، ١٣٨١].

١٤٧ . ***الكنى والألقاب***. للشيخ عبّاس بن محمّد رضا القمّي (١٢٩٤ ـ ١٣٥٩). ٣ مجلّدات، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٧٦/١٩٥٦م.

«ل»

١٤٨ . ***لُباب الألقاب في ألقاب الأطياب*** [2]. للمولى حبيب الله الشريف الكاشاني (م ١٣٤٠). الطبعة الأُولى، طهران، مكتبة بوذر جمهري (المصطفوي)، ١٣٧٨.

---

١. طبع بهذا الاسم، والاسم الصحيح له هو الكافي في التكليف كما سمّاه المؤلّف نفسُه في رسالته المطبوعة ضمن أعلام الدين للديلمي، ص ٤٥.

٢. طبع الكتاب بهذا العنوان و ورد اسمه هكذا في مقدّمته وخاتمته؛ ولكنّ الشيخ آقا بزرگ الطهراني ذكره في الذريعة، ج ١٨، ص٢٧٧ بعنوان لُباب الالباب في ألقاب الأطياب، ولعلّه أولى.

١٤٩ . *لسان الميزان*. لأحمد بن حجر العسقلاني (٧٧٣ـ ٨٥٢). إعداد محمّد عبدالرحمن المرعشي الطبعة الأُولى، ٩ مجلّدات + المقدّمة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٥ ـ ١٤١٦.

١٥٠ . *لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفّاظ*. للحافظ تقيّ الدين محمّد بن محمّد بن فَهْد المكّي (٧٨٧ ـ ٨٧١). بيروت، دار إحياء التراث العربي.

١٥١ . *لبنان في عهد الأمير فخرالدين*. لخليل بن أيبك الصفدي (م ٧٦٤). تحقيق أسد رستم وفؤاد البستاني منشورات الجامعة اللبنانيّة، ١٩٦٩ م.

١٥٢ . *اللمعة الدمشقيّة في فقه الإمامية*. للشهيد الأوّل شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي (م٧٨٦). تحقيق مؤسّسة فقه الشيعة. الطبعة الأُولى، بيروت، مؤسّسة فقه الشيعة، ١٤١٠/ ١٩٩٠م.

١٥٣ . *لؤلؤة البحرين في الإجازة لقرّتي العين*. للشيخ يوسف بن أحمد البحراني (١١٠٧ ـ ١١٨٦). تحقيق السيّد محمّد صادق بحرالعلوم. الطبعة الثانية، قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام للطباعة والنشر [بالأُوفست عن طبعته السابقة].

«م»

١٥٤ . *ماضي النجف وحاضرها*. للشيخ جعفر الشيخ باقر آل محبوبة (حوالي ١٣١٤ـ ١٣٧٧). الطبعة الثانية، ٣ مجلّدات، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٦/١٩٨٦ م.

١٥٥ . *مجموع الغرائب وموضوع الرغائب*. للشيخ تقيّ الدين إبراهيم بن عليّ بن الحسن العاملي الكفعمي (٨٤٠ ـ ٩٠٥). إعداد السيّد مهدي الرجائي. الطبعة الأُولى، قم، مؤسّسة أنصار الحسين عليه السلام الثقافية، ١٣٧١ ش / ١٤١٢.

١٥٦ . *مختصر تاريخ الشيعة*. لأحمد عارف الزين (م ١٣٨٠). صيدا، مكتبة العرفان، ١٣٣٢.

١٥٧ . *المختصر النافع*[1]. للمحقّق الحلّي نجم الدين جعفر بن حسن يحيى بن سعيد الهذلي (٦٠٢ ـ ٦٧٦). إعداد عدّة من العلماء. الطبعة الثالثة، طهران، مؤسّسة البعثة، ١٤٠٢ [بالأُوفست عن طبعة مصر، حوالي ١٣٧٦].

١. هكذا سمّاه المؤلّف في المعتبر، ج ١، ص ١٩ ـ ٢٠، حيث قال: «... حتّى اتّفق لنا اختصار كتاب الشرائع بـ«المختصر النافع»؛ وذكره فخر المحقّقين في إجازته لبعض العلماء بعنوان النافع في مختصر الشرائع (بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٢٢)، وكذلك الفاضل المقداد عبّر عنه في التنقيح الرائع، ج ١، ص ٣ بـ«النافع مختصر الشرائع». وقال ابن فهد الحلّي في المهذّب البارع، ج ١، ص ٦٣: «وكان من أفصح مختصراته وأنقح مصنّفاته كتاب النافع أعني مختصر الشرائع».

١٥٨ . ***مختلف الشيعة في أحكام الشريعة***. للعلّامة الحلّي جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهّر (٦٤٨ ـ ٧٢٦). طهران، مكتبة نينوى الحديثة [بالأُوفست عن طبعته الحجرية، ١٣٢٤].

١٥٩ . ***مخطوطات مكتبة آية الله السيّد محمّد البغدادي الحسني في النجف الأشرف***. لمحمّد هادي الأميني. الطبعة الأُولى، النجف الأشرف، مطبعة القضاء، ١٣٨٣/١٩٦٤م.

١٦٠ . ***مخطوطات مكتبة المتحف العراقي*** (الجزء الثاني، المخطوطات الفقهية، القسم الأوّل). لأُسامة ناصر النقشبندي وعامر أحمد القشطيني. بغداد، وزارة الإعلام، ١٣٩٦/١٩٧٦م.

١٦١ . ***مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام***. للسيّد محمّد بن عليّ الموسوي العاملي (٩٥٦[1] ـ ١٠٠٩). تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. الطبعة الأُولى، ٨ مجلّدات، قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٠.

١٦٢ . ***مرآة الزمان في تاريخ الأعيان***. ليوسف بن قزأوغلي سبط ابن الجوزي. (م ٦٥٤) بتحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الشروق، ١٤٠٥ / ١٩٨٥ م.

١٦٣ . ***مرآة الشرق***. لمحمّد أمين الإمامي الخوئي (١٣٠٣ ـ ١٣٦٧). تحقيق علي الصدرائي الخوئي. الطبعة الأُولى، مجلّدان، قم، مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، ١٤٢٧ / ٢٠٠٦ م.

١٦٤ . ***مرآة الكتب***. للشهيد ثقة الإسلام التبريزي الميرزا عليّ بن موسى (١٢٧٧ ـ ١٣٣٠). [الطبعة الأُولى]، ٤ مجلّدات، [قم]، ١٣٦٣ ـ ١٣٦٩ هـ ش.

١٦٥ . ***المزار*** (***منتخب الزيارات***). للشهيد الأوّل شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي (م ٧٨٦). إعداد ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام. الطبعة الأُولى، قم، ١٤١٠.

١٦٦ . ***مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام***. للشهيد الثاني زين الدين بن عليّ بن أحمد العاملي (٩١١ ـ ٩٦٥). مجلّدان، قم، دارالهُدى [بالأُوفست عن طبعته الحجرية].

□ ***المسائل المقدادية*** ← ***أجوبة مسائل الفاضل المقداد***

١٦٧ . ***مستدركات أعيان الشيعة***. للسيّد حسن ابن السيّد محسن الأمين العاملي (م١٤٢٣). الطبعة الأُولى، ١٠ مجلّدات، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٨ ـ ١٤٢٣/١٩٨٧ ـ ٢٠٠٢م.

١٦٨ . ***مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل***. للحاج الميرزا حسين المحدّث النوري (١٢٥٤ ـ ١٣٢٠). ٣ مجلّدات، قم، إسماعيليان، ١٣٦٣ هـ ش [بالأُوفست عن طبعته الحجرية الأُولى].

---

١. انظر منية المريد، ص ٢١، مقدّمة التحقيق.

● ***مستدرك الوسائل*** و ***مستنبط المسائل***. للحاج الميرزا حسين المحدّث النوري (١٢٥٤ ـ ١٣٢٠). إعداد ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. الطبعة الأُولى، ٢٧ مجلّداً، قم، ١٤٠٧ ـ ١٤٢٠[1].

١٦٩ . ***المصباح (جنّة الأمان الواقية وجنّة الإيمان الباقية)***. للشيخ تقيّ الدين إبراهيم بن عليّ بن الحسن العاملي الكفعمي (٨٤٠ ـ ٩٠٥). قم، الرضي والزاهدي، ١٤٠٥ [بالأُوفست عن طبعته الحجرية، ١٣٢١].

١٧٠ . ***مصفّى المقال في مصنّفي علم الرجال***. للشيخ محمّد محسن آقا بزرگ الطهراني (١٢٩٣ ـ ١٣٨٩). إعداد أحمد المنزوي. الطبعة الأُولى، [طهران]، ١٣٧٨.

١٧١ . ***معادن الجواهر ونزهة الخواطر في علوم الأوائل والأواخر***. للسيّد محسن بن عبدالكريم الأمين الحسيني العاملي الشقرائي (١٢٨٤ ـ ١٣٧١). ٤ مجلّدات، بيروت، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١/١٩٨١ م.

١٧٢ . ***المعتبر في شرح المختصر***. للمحقّق الحلّي نجم الدين جعفر بن حسن يحيى بن سعيد الهُذَلي (٦٠٢ ـ ٦٧٦). إعداد عدّة من الطلّاب. الطبعة الأُولى، مجلّدان، قم، مؤسّسة سيّدالشهداء عليه السلام، ١٣٦٤ ش.

١٧٣ . ***معجم أسماء المدن والقرى اللبنانيّة***. لأنيس فريحة بيروت، ١٩٩٢ م.

١٧٤ . ***معجم أعلام جبل عامل***. لعلي داود جابر. الطبعة الأُولى، ٣ مجلّدات، بيروت، دار المؤرّخ العربي، ١٤٣٠ / ٢٠٠٩ م.

١٧٥ . ***معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة***. للسيّد أبي القاسم ابن السيّد عليّ أكبر الموسوي الخوئي (١٣١٧ ـ ١٤١٣) وعدةٍ من الفضلاء. الطبعة الثالثة، ٢٣ مجلّداً + الفهرس، بيروت، ١٤٠٣/١٩٨٣م.

١٧٦ . ***معجم قرى جبل عامل***. للشيخ سليمان ظاهر (١٢٩٠ ـ ١٣٨٠). مجلّدان، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٢٧ / ٢٠٠٦ م.

١٧٧ . ***معجم المؤلّفين***. لعمر رضا كحّالة (م ١٤٠٨). ١٥ جزءاً في ٨ مجلّدات + ***المستدرك على معجم المؤلّفين*** في مجلّدٍ، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

---

١. إذا أرجعنا إلى هذه الطبعة ذكرنا بعده: «ط. الجديدة».

١٧٨ . ***المعجم الوسيط***. لعدّة من الأُدباء من أعضاء مجمع اللغة العربية في مصر. مجلّدان، طهران، ناصر خسرو [بالأُوفست عن طبعة مصر].

١٧٩ . ***مع موسوعات رجال الشيعة***. للسيّد عبدالله بن عبدالحسين شرف الدين. الطبعة الأُولى، ٣ مجلّدات، بيروت ولندن، الإرشاد للطباعة والنشر، ١٤١١/١٩٩١م.

١٨٠ . ***المغرب في ترتيب المعرب***. لأبي الفتح ناصر بن عبدالسيّد بن عليّ المطرّزي (٥٣٨ ـ ٦١٠)، تحقيق محمود فاخوري وعبدالحميد مختار. الطبعة الأُولى، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٩م.

١٨١ . ***مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلّامة***. للسيّد محمّد جواد الحسيني العاملي (م حوالي ١٢٢٨). [الطبعة الثانية]. ١٠ مجلّدات، قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام للطباعة والنشر [بالأُوفست عن طبعته السابقة].

١٨٢ . ***مقابس الأنوار ونفائس الأسرار في أحكام النبي المختار وعترته الأطهار*** عليهم السلام. للشيخ أسدالله بن إسماعيل التستري الكاظمي (م ١٢٣٧). قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام للطباعة والنشر [بالأُوفست عن طبعته الحجرية، ١٣٢٢].

١٨٣ . ***المقاصد العليّة في شرح الرسالة الألفية***. للشهيد الثاني زين الدين بن عليّ بن أحمدَ العاملي (٩١١ ـ ٩٦٥). باهتمام الشيخ أحمد الشيرازي. [طهران]، ١٣١٤.

● ***المقاصد العلية في شرح الرسالة الألفية***. للشهيد الثاني زين الدين بن عليّ بن أحمد العاملي (٩١١ ـ ٩٦٥). تحقيق محمّد حسّون وآخرين في مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة. الطبعة الأُولى، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٢٠ /١٣٧٨ ش [1].

□ ***المقداديات*** ← ***أجوبة مسائل الفاضل المقداد***

□ ***مقدّمة ابن الصلاح*** ← ***علوم الحديث***

١٨٤ . ***المكاسب***. للشيخ مرتضى بن محمّد أمين الأنصاري الدزفولي (١٢١٤ ـ ١٢٨١). تبريز، ١٣٧٥.

١٨٥ . ***مكتبة العلّامة الحلّي***. للمرحوم السيّد عبدالعزيز الطباطبائي (١٣٤٨ ـ ١٤١٦) الطبعة الأُولى، قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٦.

١٨٦ . ***مناهج تحقيق التُراث بين القُدامى والمُحْدَثين***. لرمضان عبدالتوّاب. الطبعة الأُولى، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٦/١٩٨٦ م.

١. إذا أرجعنا إلى هذه الطبعة ذكرنا بعده: «ط. الجديدة».

□ *منتخب الزيارات* ← *المزار*

١٨٧ . *منتهى المطلب في تحقيق المذهب*. للعلّامة الحلّي جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهّر (٦٤٨ ـ ٧٢٦). الطبعة الحجرية، مجلّدان، إيران، ١٣٣٣.

١٨٨ . *مِنْ نوادر مخطوطات مكتبة آية الله الحكيم العامّة*. إدارة المكتبة، الطبعة الأُولى، النجف الأشرف، ١٣٨٢/١٩٦٢م.

١٨٩ . *منية المريد في أدب المفيد والمستفيد*. للشهيد الثاني زين الدين بن عليّ بن أحمد العاملي (٩١١ ـ ٩٦٥). تحقيق رضا المختاري. الطبعة الأُولى، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩/١٣٦٨ ش.

١٩٠ . *موسوعة مؤلّفي الإمامية*. *لمجمع الفكر الإسلامي*. الطبعة الأُولى، ٧ مجلّدات إلى الآن، قم، مجمع الفكر الإسلامي، ١٤٢٠ ـ ١٤٢٥.

١٩١ . *موسوعة ابن إدريس الحلّي*. لمحمّد بن منصور بن أحمد بن إدريس العجلي الحلّي (م ٥٩٨). تحقيق السيّد محمّد مهدي السيّد حسن الموسوي الخرسان، الطبعة الأُولى، ١٤ مجلّداً، قم، دليل ما، ١٤٢٩.

١٩٢ . *موسوعة الشهيد الأوّل*. تحقيق عدّة من الفضلاء. الطبعة الأُولى، ١٩ مجلّداً + المدخل والفهارس. قم، مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة، ١٤٣٠ / ١٣٨٨ ش.

١٩٣ . *المهذَّب البارع في شرح المختصر النافع*. لأبي العبّاس أحمد بن محمّد بن فهد الحلّي الأسدي (٧٥٧ ـ ٨٤١). تحقيق مجتبى العراقي. الطبعة الأُولى، ٥ مجلّدات، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤٠٧ ـ ١٤١٣.

١٩٤ . مجلّة *ميقات الحجّ*. مجلّة نصف سنوية، يصدرها مركز تحقيقات الحجّ في قم المقدّسة، صدر منها حتّى الآن ١٨ عدداً.

«ن»

١٩٥ . *النابس في القرن الخامس* (من *طبقات أعلام الشيعة*). للشيخ محمّد محسن آقا بزرگ الطهراني (١٢٩٣ ـ ١٣٨٩). تحقيق عليّ نقي المنزوي. الطبعة الأُولى، بيروت، دارالكتاب العربي، ١٣٩١/١٩٧١م.

□ *النافع مختصر الشرائع* ← *المختصر النافع*

١٩٦ . *النحو الوافي*. لعبّاس حسن. ٤ مجلّدات، طهران، ناصر خسرو، ١٤٠٩. [بالأُوفست عن طبعة القاهرة، دارالمعارف بمصر].

١٩٧ . *نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر*. لمحمّد بن أبي طالب الأنصاري (م ٧٢٧) بيروت، ١٤٠٨ / ١٩٨٨ م.

١٩٨ . *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*. للشريف الإدريسي (م ٥٦٠) بيروت، عالَم الكتب.

١٩٩ . *نضد القواعد الفقهية على مذهب الإمامية*. لجمال الدين المقداد بن عبدالله السيوري الحلّي المعروف بالفاضل المقداد (م ٨٢٦). إعداد السيّد عبداللطيف الكوهكمري. [الطبعة الأُولى]، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤٠٣.

٢٠٠ . *النفلية (الرسالة النفلية)*. للشهيد الأوّل شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي (م٧٨٦). إعداد عليّ الفاضل القائيني النجفي ـ المطبوع مع *الألفية* ـ الطبعة الأُولى، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٨.

٢٠١ . *نقد الرجال*. للسيّد مصطفى بن حسين الحسيني التفرشي (كان حيّاً في ١٠٤٤). الطبعة الحجرية، ١٣١٨.

٢٠٢ . *النهاية*. لأبي جعفر شيخ الطائفة محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (٣٨٥ـ ٤٦٠). قم، قدس [بالأُوفست عن طبعة بيروت].

٢٠٣ . *نهاية الإحكام في معرفة الأحكام*. للعلّامة الحلّي جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهّر (٦٤٨ ـ ٧٢٦). إعداد السيّد مهدي الرجائي. الطبعة الأُولى، مجلّدان، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٦/١٩٨٦ م.

٢٠٤ . *النهاية في غريب الحديث والأثر*. لأبي السعادت مجدالدين المبارك بن محمّد بن محمّد المعروف بابن الأثير الجزري (٥٤٤ ـ ٦٠٦). تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمّد الطناحي. الطبعة الرابعة، ٥ مجلّدات، قم، إسماعيليان، ١٣٦٣ ش [بالأُوفست عن طبعة بيروت].

٢٠٥ . *نيل الأمل في ذيل الدول*. لزين الدين عبدالباسط الظاهري الحنفي (٨٤٤ـ ٩٢٠)، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، الطبعة الأُولى، صيدا ـ بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٢ / ٢٠٠٢ م.

«هـ»

٢٠٦ . ***الهجرة العاملية إلى إيران في العصر الصفوي***. للشيخ جعفر المهاجر. الطبعة الأُولى، بيروت، دار الروضة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠/١٩٨٩م.

٢٠٧ . ***هديّة العارفين: أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين***. لإسماعيل باشا بن محمّد أمين البـاباني البغدادي (م ١٣٣٩). مجلّدان، بيروت، دارالفكر، ١٤١٠/١٩٩٠م.

«و»

٢٠٨ . ***الوفيات***، لتقيّ الدين أبي المعالي محمّد بن رافع السلّامي (٧٠٤ ـ ٧٧٤). تحقيق صالح مهدي عبّاس، إشراف ومراجعة بشّار عوّاد معروف. الطـبعة الأُولى. مـجلّدان، بـيروت، مـؤسّسة الرسالة، ١٤٠٢/١٩٨٢م.

٢٠٩ . ***وقف السلطان الناصر حسن بن قلاوون على مدرسته بالرميلة***. لهويدا الحارثي، بيروت، ٢٠٠١م.

ب) المصادر المخطوطة*

«ت»

٢١٠ . ***تكملة درّة الأسلاك***. لطاهر بن حسن المعروف بابن حبيب (م ٨٠٨). مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، المرقّمة ٢/٦٢٨٠.

«ح»

٢١١ . ***الحاشية النجّارية***[1]. المنسوبة إلى الشهيد الأوّل شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي (م٧٨٦). مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ٢)، المرقّمة ١/٧٨٠.

٢١٢ . ***حدائق المقرّبين***. للمير محمّد صالح الحسيني الخاتون الآبادي (١٠٥٨ ـ ١١٢٦). مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، المرقّمة ٧١٩٢.

«د»

٢١٣ . ***درّة الأسلاك في دولة الأتراك***. لبدر الدين حسن بن عمر الحلبي (٧١٠ ـ ٧٧٩). مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، المرقّمة ١/٦٢٨٠.

«ذ»

٢١٤ . ***ذيل مرآة الزمان***. لموسى بن محمّد اليونيني. مخطوطة «سوهاج» المحفوظة «معهد المخطوطات» التابع لجامعة الدول العربيّة بالقاهرة.

«س»

٢١٥ . ***سفينة شرف الدين محمّد مكّي***. هو حفيد الشهيد الأوّل (كان حيّاً ١١٨٦). مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله، المرقّمة ١٢٣٨٦.

---

* هذه المصادر كلّها باللغة العربية سوى حدائق المقرّبين؛ فإنّها فارسية.

١. تقدّم الكلام حولها مفصّلاً في الفصل الأوّل من الباب الثاني في البحث عن مؤلّفات الشهيد وآثاره العلمية.

«ف»

٢١٦ . ***فوائد القواعد***. للشهيد الثاني زين الدين بن عليّ بن أحمد العاملي (٩١١ ـ ٩٦٥). مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، المرقّمة ١٣٠٧.

٢١٧ . ***الفوائد الملّيّة***. للشهيد الثاني زين الدين بن عليّ بن أحمد العاملي (٩١١ ـ ٩٦٥). مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، المرقّمة ٨١٧٢.

«ل»

٢١٨ . ***مجموعة اللاهجاني***. للشيخ محمود اللاهجاني، تلميذ الشهيد الثاني (كان حيّاً سنة ٩٨٦). مخطوطة مركز احياء الميراث الإسلامي، المرقمة ١١٧٥.

«م»

٢١٩ . ***مجموعة الجباعي***. لشمس الدين محمّد بن عليّ بن حسن الجباعي (٨٢٢ ـ ٨٨٦). مخطوطة مكتبة ملك الوطنية بطهران، المرقّمة ٦٠٤.

٢٢٠ . ***مجموعة الجباعي***. ج ٢، لشمس الدين محمّد بن عليّ بن حسن الجباعي (٨٢٢ ـ ٨٨٦). مخطوطة مكتبة الشورى الإسلامي (رقم ١)، المرقّمة ٨٩٣٢.

٢٢١ . ***مختصر نسيم السحر***. لشرف الدين محمّد مكّي حفيد الشهيد الأوّل (كان حيّاً ١١٨٦). مخطوطة مؤسّسة آية الله البروجردي رحمه الله، المرقّمة ٣٩٩/٨.

ج) المصادر الفارسية

«آ»

٢٢٢ . *آشنايى با چند نسخهٔ خطى* (*التعرُّف على عدّة مخطوطات*). للشيخ رضا الأُستادي والسيّد حسين المدرّسي الطباطبائي. [الطبعة الأُولى]، صدر منه مجلّد، قم، ١٣٩٦.

٢٢٣ . *اطلس شيعه*. للشيخ رسول جعفريان. الطبعة الأُولى، طهران، المنظمة الجغرافية للقواة المسلّحة، ١٣٨٧.

«پ»

٢٢٤ . *پيامبران وخمسهٔ طيّبه* .لفخر الدين النصيري الأميني (م ١٣٧٩ ش) [الطبعة الأُولى]، مجلّدان، طهران، ١٣٦٩/١٤١١ ش.

٢٢٥ . مجلّة *پيام حوزه*، مجلّة فصليّة تصدرها اللجنة العليا المشرفة على الحوزة العلمية بقم المقدّسة، صدر منها حتّى الآن ٤٢ عدداً.

٢٢٦ . *پژوهشى درباره حديث وفقه*. للمرحوم الشيخ كاظم مدير شانه‌چى (م ١٤٢٣). الطبعة الأُولى، مشهد، مجمع البحوث الإسلاميّة، ١٣٨٠ ش.

«ت»

٢٢٧ . *تاريخ جنبش سربداران ودیگر جنبشهای ایرانیان در قرن هشتم هجری*. لعبد الرفيع حقيقت. الطبعة الأُولى، طهران، انتشارات آزاد انديشان، ١٣٦٠ ش.

٢٢٨ . *تحفة الأحباب في نوادر آثار الأصحاب*. للشيخ عبّاس بن محمّد رضا القمّي (١٢٩٤ـ١٣٥٩). إعداد علىّ محدّث زاده والسيّد جعفر الحسيني. الطبعة الأُولى، طهران، دارالكتب الإسلاميّة، ١٣٧٠ ش.

٢٢٩ . مجلّة *تحقيقات إسلامى*. مجلّة نصف سنوية كانت تصدرها مؤسّسة دائرة المعارف الإسلاميّة في طهران، صدر منها ٣٦ عدداً.

«ح»

٢٣٠ . *حبيب السّيَر في أخبار أفراد بشر*. لخواند مير غياث الدين بن همام الدين الحسيني (م ٩٤١ / ٩٤٢)، طهران، ١٣٣٣ ش.

«ر»

٢٣١ . *ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية أو اللقب*. للميرزا محمّد عليّ المدّرس التبريزي (١٢٩٦ ـ ١٣٧٣). الطبعة الثالثة، ٨ مجلّدات، تبريز، مكتبة خيّام.

«س»

٢٣٢ . *السيوف البارقة على هام المتصوفين المارقة أو لتنبيه اصحاب الخرقة وتراجمهم*. للشيخ ذبيح الله المحلاتي (١٣١٠ ـ ١٤٠٦)، طهران، ١٣٨٥ ق.

«ش»

٢٣٣ . *شفاء الصدور في شرح زيارة العاشور*. للميرزا أبي الفضل بن أبي القاسم الكلانتري النوري الطهراني (م١٣١٦). الطبعة الأُولى، بمبئي، باهتمام الشيخ عليّ المحلّاتي الحائري، ١٣١٠.

٢٣٤ . *شناختنامهٔ شهيدين*. إعداد مؤسّسة تراث الشيعة، الطبعة الأُولى، قم، مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة، ١٤٣٠ / ١٣٨٨ ش.

«ص»

٢٣٥ . *الصدف المشحون بأنواع العلوم والفنون*. للحاج المولى محمّد الشريف ابن الرضا الشيرواني (كان حيّاً سنة ١٢٥٨). مجلّدان، ١٣١٤.

«ع»

٢٣٦ . *علماء معاصرين*. لملّا علي واعظ الخياباني. طهران، المطبعة الإسلاميّة، ١٣٦٦.

«ف»

٢٣٧ . *فرهنگنامه‌ی رجال علمی و مشاهیر فرهنگی کرمان*؛ از آغاز اسلام تا پایان عصر قاجار. رضا کردی، الطبعة الأُولى، کرمان، مرکز کرمان‌شناسی، ١٣٨٨ ش.

٢٣٨ . *الفوائد الرضوية في أحوال علماء المذهب الجعفرية*. للشيخ عبّاس بن محمّدرضا القمّي (١٢٩٤ ـ ١٣٥٩). طهران، كتابفروشي مركزي، ١٣٢٧ ش.

٢٣٩ . *فهرست آثار خطی شیخ مفید در کتابخانهٔ آیة الله العظمی مرعشی نجفی* (*فهرس آثار الشيخ المفيد المخطوطة في مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي*). لرضا المختاري وحسين الشفيعي. الطبعة الأُولى، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤١٣.

٢٤٠ . *فهرست ألفبائی کتب خطی کتابخانهٔ مرکزی آستان قدس رضوی* (*الفهرس الألفبائي لمخطوطات مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة*). لمحمّد آصف فكرت ومحمّد وفادار مرادي. الطبعة الأُولى، مشهد، مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة، ١٣٦٩ ش.

٢٤١ . *فهرست قرآنهای خطی کتابخانه سلطنتی* (فهرس مصاحف المخطوطة المحفوظة في مكتبة السلطنة)، لبدري آتابای، طهران، مكتبة السلطنة، ١٣٥١.

٢٤٢ . *فهرست کتابخانهٔ دولتی تربیت تبریز* (*فهرس مكتبة التربية في تبريز التابعة للدولة*). لمحمّد نخجواني، [الطبعة الأُولى] تبريز، ١٣٢٩ ش.

٢٤٣ . *فهرست کتابخانهٔ مدرسهٔ عالی سپهسالار* (*فهرس مكتبة مدرسة سپهسالار العالية سابقاً، مدرسة الشهيد مطهّري العالية حالياً*). لعدّة من الفضلاء. [الطبعة الأُولى]، ٥ مجلّدات، طهران، ١٣١٣ـ١٣٥٦ ش.

٢٤٤ . *فهرست کتابهای چاپی عربی* (*فهرس كتب العربية المطبوعة*). لِخان بابا مُشار (م ١٤٠٢) الطبعة الأُولى، طهران، أنجمن كتاب، ١٣٤٤ ش.

٢٤٥ . *فهرست کتابهای خطی کتابخانهٔ ملّی ملك* (*فهرس مخطوطات مكتبة ملك الوطنية*). لعدّةٍ من الفضلاء. [الطبعة الأُولى]، ١٠ مجلّدات، طهران، ١٣٥٢ ـ ١٣٧٢ ش.

٢٤٦ . *فهرست کتب خطی کتابخانهٔ مرکزی آستان قدس رضوی* (*فهرس مخطوطات مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة*). لعدّةٍ من العلماء. [الطبعة الأُولى]، صدر منه ٢١ مجلّداً حتّى الآن،

مشهد، مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة، ١٣٤٥ ـ ١٣٠٥/١٤٢٣ ـ ١٣٨١ش.

- ***فهرست كتب خطى كتابخانهٔ مركزى آستان قدس رضوى*** (***فهرس مخطوطات مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة***). لعدّةٍ من العلماء. الطبعة الثانية، المجلّد الأوّل: تحقيق السيّد عليّ أردلان جوان. مشهد، مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة، ١٣٦٥ ش.

٢٤٧. ***فهرست كتب خطى كتابخانه‌هاى إصفهان*** (***فهرس مخطوطات مكتبات إصفهان***). للسيّد محمّد عليّ الروضاتي. [الطبعة الأُولى]، صدر منه مجلّد، إصفهان، ١٣٨٢/١٣٤١ ش.

٢٤٨. ***فهرست نسخه‌هاى خطى كتابخانهٔ مدرسه آية الله العظمى بروجردى*** (***فهرست مخطوطات مكتبة آية الله العظمى بروجردى في النجف الأشرف***). للسيّد جعفر الحسيني الإشكوري. الطبعة الأُولى، قم، مجمع الذخائر الإسلاميّة، ١٤٣٠.

٢٤٩. ***فهرست نسخ خطّى كتابخانهٔ ملّى ايران*** (***فهرس مخطوطات المكتبة الوطنية في إيران***). للسيّد عبدالله أنوار. ١٠ مجلّدات، طهران، المكتبة الوطنية، ١٣٤٥ ـ ١٣٥٨ش.

٢٥٠. ***فهرست نسخه‌هاى خطى كتابخانهٔ ارگانى بهبهانى*** (***فهرست مخطوطات مكتبة الأرگاني البهبهاني***). للشيخ محمود الأرگانى البهبهاني الحائري، الطبعة الأُولى، قم، دار المودة ومجمع الذخائر الإسلاميّة، ١٤٢٩ / ٢٠٠٨.

٢٥١. ***فهرست نسخه‌هاى خطى دوكتابخانهٔ مشهد*** (***فهرس مخطوطات مكتبتين في مشهد***). لعدّةٍ من العلماء. [الطبعة الأُولى]، طهران، انتشارات فرهنگ إيران زمين، ١٣٥١ ش.

٢٥٢. ***فهرست نسخه‌هاى خطى كتابخانهٔ آية الله العظمى گلپايگانى*** (***فهرس مخطوطات مكتبة آية الله العظمى الگپايگاني***). للشيخ رضا الأُستادي والسيّد أحمد الحسيني. [الطبعة الأُولى]، صدر منه ٣ مجلّدات، قم، ١٣٥٧ ش.

٢٥٣. ***فهرست نسخه‌هاى خطى كتابخانهٔ دانشكدهٔ أدبيات دانشگاه طهران*** (***فهرس مخطوطات كلّية الآداب لِجامعة طهران***»). لمحمّد تقي دانش پژوه (م ١٤١٧) [الطبعة الأُولى]، ٣ مجلّدات، طهران، جامعة طهران، ١٣٣٩ ـ ١٣٤٤ ش.

٢٥٤. ***فهرست نسخه‌هاى خطى كتابخانهٔ دانشكدهٔ إلهيّات ومعارف إسلامى دانشگاه تهران*** (***فهرس مخطوطات مكتبة كلّية الإلهيّات والمعارف الإسلاميّة لِجامعة طهران***) للسيّد محمّد باقر الحجّتي. [الطبعة الأُولى]، مجلّدان، طهران، جامعة طهران، ١٣٤٥ ـ ١٣٤٨ ش.

٢٥٥ . *فهرست نسخه‌های خطی کتابخانهٔ شاهچراغ شیراز* (*فهرس مخطوطات مكتبة شاهچراغ بشيراز*). لعليّ نقي بهروزي. [الطبعة الأُولى]، مجلّدان، شيراز، ١٤٠٢/١٣٦٠ ش.

٢٥٦. *فهرست نسخه‌های خطی کتابخانهٔ عمومی آیة الله العظمی مرعشی نجفی* (*فهرس مخطوطات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامّة*). للسيّد أحمد الحسيني وآخرين. الطبعة الأُولى، صدر منه ٣٠ مجلّداً حتّى الآن، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٣٩٥ ـ ١٤٢٢ / ١٣٥٤ ـ ١٣٨٠ ش.

٢٥٧ . *فهرست نسخه‌های خطی کتابخانهٔ مجلس شورای ملّی* (سابق = شورای إسلامی شماره ١) (*فهرس مخطوطات مكتبة مجلس النوّاب الوطني*)، (سابقاً = مكتبة مجلس الشورى الإسلامي رقم ١ حالياً). لعدّة من الفضلاء. [الطبعة الأُولى]، صدر منه ٣٨ مجلّداً حتّى الآن، طهران، مكتبة المجلس، وقم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٣٠٥ ـ ١٣٧٧ش.

٢٥٨ . *فهرست نسخه‌های خطی کتابخانهٔ مرکزی و مرکز أسناد دانشگاه تهران* (*فهرس مخطوطات المكتبة المركزية ومركز الأسناد لِجامعة طهران*). لمحمّد تقي دانش پژوه (م ١٤١٧) و عليّ نقي المنزوي. [الطبعة الأُولى]، ١٨ مجلّداً، طهران، جامعة طهران، ١٣٣٠ ـ ١٣٦٤ ش.

٢٥٩. *فهرست نسخه‌های خطی کتابخانهٔ مسجد أعظم قم* (*فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الأعظم بقم*). للشيخ رضا الاستادي. الطبعة الأُولى، قم، ١٣٦٥ ش.

٢٦٠ . *فهرست نسخه‌های خطی کتابخانهٔ مدرسهٔ فیضیه قم* (*فهرس مخطوطات مكتبة المدرسة الفيضية بقم*). للشيخ رضا الأُستادي. [الطبعة الأُولى] قم، ١٣٦٥ ش.

٢٦١ . *فهرست نسخه‌های خطی کتابخانهٔ مدرسهٔ مروی تهران* (*فهرس مخطوطات مكتبة مدرسة مروي بطهران*). للشيخ رضا الأُستادي. الطبعة الأُولى، طهران، مكتبة مدرسة مروي، ١٣٧١ ش.

٢٦٢ . *فهرست نسخه‌های خطی کتابخانهٔ نوربخش خانقاه نعمت اللهی* (*فهرس مخطوطات مكتبة نوربخش بخانقاه نعمة اللهي*). للسيّد إبراهيم الديباجي. [الطبعة الأُولى]، مجلّدان، طهران، خانقاه نعمة اللهي، ١٣٥٠ ـ ١٣٥٢ ش.

٢٦٣. *فهرست نسخه‌های خطی کتابخانهٔ وزیری یزد* (*فهرس مخطوطات مكتبة الوزيري بيزد*). لمحمّد الشيرواني. [الطبعة الأُولى]، ٥ مجلّدات، طهران، ١٣٥٠ ـ ١٣٥٨ ش.

٢٦٤ . *فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه‌های رشت و همدان* (*فهرس المخطوطات الموجودة في*

مكتبات مدينتي رشت و همدان). لعدّةٍ من الفضلاء. [الطبعة الأُولى]، طهران، انتشارات فرهنگ إيران زمين، ١٣٥٣ ش.

٢٦٥ . *فهرست نسخه‌های عکسی کتابخانهٔ عمومی آیة الله العظمی مرعشی نجفی* (*فهرس النسخ المصوّرة بمكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامّة*). للشيخ محمّد عليّ الحائري (م ١٤٢٣). الطبعة الأُولى، صدر منه مجلّدان حتّى الآن، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤١١ـ ١٤١٢/١٣٦٩ ـ ١٣٧٠ش.

٢٦٦ . *فهرست نسخه‌های عکسی مرکز إحیاء میراث اسلامی (فهرس النسخ المصوّرة بمركز إحياء الميراث الإسلامي)*. للسيّد جعفر الحسينى الإشكوري. الطبعة الأُولى، قم، مركز احياء الميراث الإسلامي، ١٤٢٩.

٢٦٧ . *فهرست نسخه‌های خطّی مرکز إحیاء میراث اسلامی (فهرست المخطوطات بمركز إحياء الميراث الإسلامي)*. للسيّد أحمد الحسيني. الطبعة الأُولى. ٨ مجلّدات، قم، مركز إحياء الميراث الإسلامي، ١٤١٩ ـ ١٤٢٦.

«ق»

٢٦٨. *قصص العلماء*[1]. للميرزا محمّد بن سليمان التنكابني (م ١٣٠٢). طهران، المكتبة العلمية الإسلاميّة.

«م»

٢٦٩ . *مجالس المؤمنين*. للشهيد القاضي السيّد نورالله بن شريف الدين المرعشي التستري (٩٥٦ ـ ١٠١٩). [الطبعة الأُولى]، مجلّدان، طهران، المكتبة الإسلاميّة، ١٣٧٥ ـ ١٣٧٦.

٢٧٠ . *مفاخر اسلام*. للشيخ عليّ الدواني. الطبعة الأُولى، ١٠ مجلّدات، طهران، أمير كبير، مركز أسناد انقلاب إسلامى ونشر قبله، ١٣٦١ ـ ١٣٧٩ ش.

٢٧١ . *مقدّمه‌ای بر فقه شیعه*. للسيّد حسين المدرّسي الطباطبائي. ترجمة محمّد آصف فكرت. الطبعة الأُولى. مشهد، مجمع البحوث الإسلاميّة، ١٣٦٨ ش.

١. هذا الكتاب ضعيف جدّاً ولا ينبغي أنْ يعتمد عليه.

٢٧٢ . *مكارم الآثار در احوال رجال دورهٔ قاجار*. للميرزا محمّد عليّ (معلم الحبيب آبادي). (١٣٠٨ ـ ١٣٩٦). تحقيق السيّد محمّد عليّ الروضاتي، ٨ مجلّدات الى الآن، الطبعة الأُولى، اصفهان، ١٣٧٧ ـ ١٤٢٣.

٢٧٣ . *مهاجرت علماى شيعه از جبل عامل به ايران*. لمهدي فراهاني منفرد. الطبعة الأُولى، طهران، أمير كبير، ١٣٧٧ ش.

٢٧٤ . *ميراث اسلامى إيران*. لعدّة من العلماء، إعداد رسول جعفريان، الطبعة الأُولى، ١٠ مجلّدات، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٣٧٣ ـ ١٣٧٨ ش.

٢٧٥ . *مجلّة ميراث شهاب*. نشرة مكتبة آية‌الله المرعشي، صدر حتّى منه الآن ٥٤ عدداً.

«ن»

٢٧٦ . *نسخه پژوهى (دراسة المخطوطات)*. لأبوالفضل حافظيان بابلى. ٣ أعداد إلى الآن، الطبعة الأُولى، قم و طهران، مؤسّسة المرجع ومكتبة مجلس الشورى الإسلامي، ١٣٨٣ ـ ١٣٨٥.

٢٧٧ . نشرة *نسخه‌هاى خطى* (نشرية *النسخ الخطيّة*). نشرة كانت تصدرها المكتبة المركزية لِجامعة طهران، تحت إشراف محمّد تقي دانش پژوه (م ١٤١٧) وإيرج أفشار و إسماعيل الحاكمي. صدر منه ١٢ عدداً، طهران، جامعة طهران، ١٣٤٠ ـ ١٣٦٢ش.

٢٧٨ . مجلّة *نور علم*. مجلّة تصدرها جماعة المدرّسين للحوزة العلمية بقم. صدر منها ٥٤ عدداً ثمّ توقّف نشرها في سنة ١٣٧٣ ش.

«هـ»

٢٧٩ . *هديّة الأحباب في ذكر المعروفين بالكُنى والألقاب والأنساب*. للشيخ عبّاس بن محمّد رضا القمّي (١٢٩٤ ـ ١٣٥٩). الطبعة الثانية، طهران، أمير كبير، ١٣٦٣ ش.

«ى»

٢٨٠ . *يكصد وشصت نسخه از يك كتابخانهٔ شخصى (مائة وستّون مخطوطة لمكتبةٍ خاصّة)*. للشيخ رضا الأُستادي. [الطبعة الأُولى]، قم، ١٣٥٤ ش.